المُستفاد
من احداث السيرة النبوية

الدكتور
شاذل رشان

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المستفاد من أحداث السيرة النبوية

الدكتور
شاذل رشان

شبكة الألوكة - قسم الكتب

اسـم الكتاب :المستفاد من احداث السيرة النبوية
اسـم المؤلف: الدكتور شاذل رشان
سنة الطبع :2024

الميثاق للطباعة
الموصل المجموعة الثقافية
07702014178

رقـم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (1564) لسنة 2024

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾[3].

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

---

[1] سورة آل عمران: الآية ١٠٢.

[2] سورة النساء: الآية ١.

[3] سورة الأحزاب: الآيتان ٧٠.٧١.

وبعد:

اعلم – وفقني الله تعالى وإياك –

إن دراسة السيرة النبوية تعين المسلم على تجميع أكبر قدر من الثقافة والمعارف الإسلامية الصحيحة، سواء ما كان متعلقاً منها بالعقيدة أو بالأحكام أو بالأخلاق، وهي تحقق عدة أهداف طيبة أهمها:

١- الاقتداء برسول الله ﷺ من خلال معرفة شخصيته وأعماله وأقواله وتقريراته.

٢- تكسب السيرة النبوية المسلم محبة الرسول ﷺ وتنميها وتباركها.

٣- يتعرف المسلم من خلال السيرة النبوية على حياة الصحابة الكرام الذين جاهدوا مع رسول الله ﷺ، فتدعوه تلك الدراسة لمحبتهم والسير على نهجهم واتباع سبيلهم.

٤. توضح السيرة النبوية للمسلم حياة الرسول ﷺ، بدقائقها وتفاصيلها، منذ ولادته وحتى موته، مرورًا بطفولته وشبابه ودعوته وجهاده وصبره، وانتصاره على عدوه، وتظهر بوضوح أنه كان زوجًا وأبًا وقائدًا ومحاربًا، وحاكمًا، وسياسيًا ومربيًا وداعية وزاهدًا وقاضيًا، وعلى هذا فكل مسلم يجد بغيته فيها:

أ ـ فالداعية إلى الله يجد له في سيرة رسول الله ﷺ أساليب الدعوة، ومراحلها المتسلسلة، ويتعرف على الوسائل المناسبة لكل مرحلة من مراحلها، فيستفيد منها

في تعامله مع الناس، ويستشعر الجهد العظيم الذي بذله رسول الله ﷺ من أجل إعلاء كلمة الله، وكيفية التصرف أمام العوائق والعقبات، والصعوبات وكيفية اتخاذ الموقف السليم أمام الشدائد والفتن والنوازل.

ب ـ ويجد المربي في سيرته ﷺ دروسًا نبوية في التربية والتأثير على الناس وعلى أصحابه الذين رباهم على يده وكلأهم بعنايته، فأخرج منهم جيلاً قرآنيًّاً فريداً، وكوَّن منهم أمة هي خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله، وأقام بهم دولة نشرت العدل في مشارق الأرض ومغاربها.

ت ـ ويجد القائد المحارب في سيرته ﷺ نظامًا محكمًا، ومنهجًا دقيقًا في فنون قيادة الجيوش، فيجد نماذج في التخطيط واضحة، ودقة في التنفيذ بينة، وحرصًا على تجسيد مبادئ العدل وإقامة قواعد الشورى بين الجند والأمراء.

ث ـ ويتعلم منها السياسي كيف كان ﷺ يتعامل مع أشد خصومه، كرئيس المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول الذي أظهر الإسلام وأبطن الكفر والبغض لرسول الله ﷺ، وكيف كان يحوك المؤامرات، وينشر الإشاعات التي تسيء إلى رسول الله ﷺ لإضعافه وتنفير الناس منه، وكيف عامله ﷺ، وصبر عليه وعلى حقده، حتى ظهرت حقيقته للناس فنبذوه جميعًا حتى أقرب الناس له وكرهوه والتفوا حول قيادة النبي ﷺ .

ج- ويجد علماء التفسير والفقهاء فيها ما يعينهم على فهم كتاب الله تعالى؛ لأنها هي المفسرة للقرآن الكريم في الجانب العملي، ففيها أسباب النزول، وتفسير

لكثير من الآيات فتعينهم على فهمها، والاستنباط منها، ومعايشة أحداثها، فيستخرجون أحكامها الشرعية، وأصول السياسة الشرعية، ويحصلون منها على المعارف الصحيحة في علوم الإسلام المختلفة، وبها يدركون الناسخ والمنسوخ وغيرها من العلوم، وبذلك يتذوقون روح الإسلام ومقاصده السامية.

ح- وتتعلم منها الأمة الآداب الرفيعة، والأخلاق الحميدة، والعقائد السليمة، والعبادة الصحيحة، وسمو الأخلاق، وطهارة القلب، وحب الجهاد في سبيل الله، وطلب الشهادة في سبيله.

جاء في الأثر: «في علم المغازي علم الآخرة والدنيا»، وقال إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبي وقاص: «كان أبي يعلمنا مغازي رسول الله ﷺ يعدها علينا ويقول هذه مآثر آبائكم فلا تضيعوا ذكرها».

٦- إن دراسة الهدي النبوي في تربية الأمة وإقامة الدولة، يساعد العلماء والقادة والفقهاء والحكام على معرفة الطريق إلى عز الإسلام والمسلمين، من خلال معرفة عوامل النهوض، وأسباب السقوط، ويتعرفون على فقه النبي صلى الله عليه وسلم في تربية الأفراد وبناء المجتمع المسلم، وإحياء المجتمع، وإقامة الدولة.

والواقع أن الإنسان مهما بحث عن قدوة وأسوة حسنة في أي ناحية من نواحي حياته لا يجده إلا في حياة الرسول ﷺ، على أعظم ما يكون من الوضوح والكمال، ولذا جعله الله تعالى قدوة للإنسانية كافة، فقال ﷻ: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ

﴿أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾[1].

وفي هذا الكتاب تقصي لأحداث السيرة ، تحدثت فيه عن احوال العرب الاجتماعية والدينية في شبه الجزيرة العربية قبيل البعثة ، وحياة الرسول ﷺ منذ ولادته حتى بعثته، ومراحل الدعوة، وأساليب المشركين في محاربة الدعوة، وعن الهجرة إلى الحبشة، ومحنة الطائف، ومنحة الإسراء والمعراج، والهجرة النبوية، مستخرجا منها الدروس والعبر والفوائد لكي يستفيد منها المسلمون في عالمنا المعاصر.

وتحدثت عن حياة النبي ﷺ منذ دخوله المدينة إلى وفاته، وقمت بشرح الحدث بما صح عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم – فيه، بحيث إنني أبحث في كتب السنة؛ فإن وقفت على حديث يشرح الحدث ويفصله اكتفيت به، وذكرته، فإن لم يكن هذا، نظرت فيما ورد في كتب السيرة المشهورة، واتفق عليه أهل السير أو على الأقل أخذ به جمهورهم. ثم إن كان الحديث الذي أذكره في "الصحيحين" أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليهما، وأما إن لم يكن فيهما أو في أحدهما، اجتهدت في عزوه إلى أغلب المصادر التي خرجته مع الاعتماد على تصحيح أو تحسين علماء الحديث له؛ كالشيخ الألباني، أو الشيخ شعيب الأرناؤوط – رحمهما الله تعالى.

وبيَّنت الدروس والعبر والفوائد المستفادة من الآيات القرآنية التي لها علاقة بالسيرة النبوية، كغزوة بدر، وأحد، والأحزاب، وبني النضير، وصلح الحديبية،

---

[1] سورة الأحزاب: الآية ٢١.

وغزوة تبوك والتي نزلت بشأن ذلك.

وأخيرا

أسأل الله تعالى أن يجزي خيرا كل من أعان على إكمال هذا العمل بقلم، أو رأي، أو نصح، أو جمع، أو مراجعة وتدقيق.

وأسأله تَعَالَى أَن يتَقَبَّل صَوَابه ويتجاوز عَن خطئه إِنَّه سميع مُجيب.

وأسأله سبحانه أن ينفع بهذا العمل ويجعله خالصا لوجهه الكريم ويبارك في جهود العاملين للإسلام ويرزق الجميع حسن القصد وإتباع الحق.

سبحانك اللّٰهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وإخوانه أجمعين.

الدكتور

شاذل رشان

الفصل التمهيدي

احوال العرب الاجتماعية والدينية في شبه الجزيرة العربية قبيل البعثة

إن موطن العرب الاصلي في الاقليم الواقع في الجنوب الغربي من آسيا، ويحده من الشمال بادية الشام ومن الشرق الخليج العربي وبحر عمان ومن الجنوب المحيط الهندي ومن الغرب البحر الاحمر. وقد سمي هذا الاقليم بجزيرة العرب او شبه جزيرة العرب نسبة إليهم لأنه موطنهم الأصلي كما قلنا، وقد استوطن بعضهم خارج الجزيرة العربية لا سيما في بادية الشام [١].

ويرجع المعنيون بالأنساب العرب إلى شعبين كبيرين، وهم : القحطانيون والعدنانيون. والقحطانيون من نسل قحطان وهم عرب الجنوب ومنهم اليمانيون .

أما العدنانيون فهم من نسل إسماعيل بن ابراهيم وهم عرب الشمال ومنهم اهل الحجاز. ومن هذين الشعبين الكبيرين تفرعت سائر القبائل العربية[٢].

واطلق على العرب في تلك الفترة بعرب الجاهلية [٣].ويورد الاستاذ يوسف بن محمد السعيد تعريفا للجاهلية بانها: هي الحالة التي تكون عليها أمة قبل مجيئها هدى

---

[١] أمين، أحمد: فجر الاسلام ، ص١

[٢] فمن قحطان تفرع شعب كهلان وشعب حمير، ومن كهلان تفرعت قبائل طي وجذام والأزد، ومن حمير تفرعت قبائل قضاعة وتنوخ وكلب وجهينة . وتفرع من عدنان ربيعة ومضر، ومن ربيعة تفرعت قبائل أشهرها وائل واسد، ومن مضر تفرعت قبائل أشهرها قيس عيلان وتميم وهذيل وكنانة . المصدر السابق، ص١٠-٦.

[٣] يصح إطلاق لفظ الجاهلية على العصر السابق لعصر النبي ﷺ، فالجهل الذي هو ضد العلم إذا ما قيس عصر الجاهلية بعصر الاسلام، إذ مما لا ريب فيه أن عرب الجاهلية كانوا على جهل بالشرائع الحقة والأحكام العادلة والمثل العليا التي جاء بها الاسلام . زيدان، عبد الكريم: المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية، ص١٦.

الله، والحالة التي تمتنع فيها أمة ما أو بعض أمة من الاستجابة لهدى الله.

حالة العرب الاجتماعية :

كان العرب قبل الاسلام، إلا القليل منهم، يعيشون عيشة البداوة وهؤلاء هم البدو، والقليل منهم سكنوا الأصقاع والقرى والمدن المتحضرة كاليمن ويثرب (المدينة) ومكة وعاشوا عيشة استقرار، وهؤلاء هم الحضر. والبدو من العرب سكنوا البادية وألفوا حياة التنقل والرحيل طلباً للكلأ والماء، وسكنوا بيوت الشعر والخيام واعتمدوا في معيشتهم على ما تنتجه ماشيتهم، كما اعتمدوا على الغزو كوسيلة من وسائل العيش، فكانت القبيلة تغير على الأخرى فتغنم الغالبة ما تجد عند المغلوبة من متاع وحيوان وتسبي نساءهم، وهذه الحياة وعادة الغزو والغارات جعلت البدو اقدر على القتال من الحضر وأكثر شجاعة منهم [1].

ومن عادات البدو عزوفهم عن التجارة والزراعة والصناعة واحتقارهم لها واعتبارها من المهن الخسيسة التي لا تليق بهم ولهذا لم يزاولوها، إلا أنهم اشتهروا، كما اشتهر الحضر أيضاً، بالشعر والخطابة والأمثال وسائر فنون اللغة العربية، وبرواية التاريخ وبرزوا في هذا كله واشتهروا به . وكان عندهم شيء من علم النجوم ومعرفة أوقات نزول المطر وهبوب الرياح، وتعلموا ذلك عن طريق التجربة بسبب اسفارهم وتنقلهم .

وبخلاف البدو، فقد سكن الحضر المدن كما قلنا، واستقروا فيها وزاولوا التجارة والزراعة وكانوا أرقى من البدو وأكثر منهم حضارة، وقد أشار القرآن

---

[1] المصدر السابق.

الكريم إلى ما اعتادته قريش من الرحلة إلى الشام واليمن لغرض التجارة، قال تعالى :﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (١) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (٢) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾[١] .

أساس نظامهم الاجتماعي وبعض أوصافه:

كان العرب قبائل متفرقة، وكان نظامهم الاجتماعي يقوم على أساس القبيلة وما يترتب عليها من شيوع العصبية القبلية بين افرادها. والقبيلة ليست دولة ولا كياناً سياسياً وإنما هي وحدة اجتماعية تقوم على صلة القربى ورابطة الدم، ويخضع أفرادها خضوعاً اختيارياً إلى رئيسهم بناء على ما تربطه بهم من رابطة النسب ولما كان يشتهر به عادة من الشجاعة والكرم ولولادته في بيت الرياسة .

وقد كان من نتائج العصبية القبلية تفاخرهم بالأنساب وتناصرهم على أشد ما يكون التناصر في الحق والباطل [٢]، فإذا ما ارتكب أحد افراد القبيلة جناية على آخر من قبيلة أخرى هبت قبيلة المجني عليه لنصرته والثأر له من الجاني وقبيلته، وكذلك تفعل قبيلة الجاني، تدافع عنه وتخاصم من أجله وإن كان هو الظالم الباغي. والتناصر القبلي ما كان يقف عند حد أفراد القبيلة المشتركين في النسب ورابطة الدم، بل كان يشمل ايضاً المحسوبين على القبيلة بسبب التبني او الحلف والموالاة أو بسبب الجوار. أما التبني فقد كان عادة مألوفة عند العرب وكان يتم بعقد من المتبني والمتبنى أو من ينوب عنه ولم تكن له شروط معينة من جهة العمر أو غيرها [٣]. أما

---

[١] سورة قريش، الآية ١-٤.

[٢] رضا، محمد رشيد: تفسير المنار٥/٤٥٥.

[٣] الجصاص: أحكام القرآن ٢/٧٧.

الحلف والموالاة فكان يتم بعقد الموالاة أو الحلف بأن يقول أحدهما لصاحبه إذا حالفه : دمي دمك وترثني وأرثك، فيتعاقدان الحلف على أن ينصر كل واحد منهما صاحبه فيدفع عنه ويحميه بحق كان ذلك او بباطل[1]. اما الجوار فكان يتم بأن يجبر رئيس القبيلة أو أحد وجوهها من يأتي إليهم مستجيراً بهم.

وكان القتال كثيراً بين القبائل وينشب لأتفه الأسباب كجناية فرد من قبيلة على آخر من قبيلة أخرى فتثور الحرب بين القبيلتين استجابة لداعي العصبية . وساعد على كثرة القتال بين القبائل أن العرف القائم آنذاك أقر الغزو والنهب والسلب واعتبرها أموراً طبيعية وضرباً من ضروب الشجاعة، كما أقر قيام القبيلة بطلب الثأر لأحد افرادها من القبيلة الأخرى. كما أن حياة البداوة وشظف العيش وعدم وجود سلطة يخضع لها الجميع، واتخاذ الغزو وسيلة للعيش، كل ذلك سهل نشوب القتال بين القبائل وجرأ القوي على أكل الضعيف، ولهذا لجأت بعض القبائل إلى التحالف على السلم والتناصر فيما بينها إذا وقع اعتداء على إحداها . ومع ولعهم بالقتال فقد كان من تقاليدهم إيقاف حالة الحرب وتحريمها في الأشهر الحرم وهي ذي القعدة وذي الحجة ومحرم ورجب [2].

وكثرة الحروب بين القبائل جعل العرب يكبرون شأن الرجل ويستصغرون شأن المرأة، لأن الرجل أقدر على القتال منها، فهو الذي يباشر الحرب، ويركب الخيل ويحمل السيف ويرد على العدو ويحوز الغنيمة ويدافع عن شرف القبيلة . وقد ترتب على هذه النظرة للمرأة أن انحطت منزلتها وهضمت حقوقها وحرمت من الميراث، وحتى شاع بين بعض القبائل وأد البنات وهن في قيد الحياة خوفاً من

---

[1] المصدر السابق ٢/٢٩٣.

[2] علي، جواد: تاريخ العرب قبل الاسلام ٥/٢٤٢.

وقوعهن بأيدي العدو سبايا حرب وفي هذا العار الذي لا يحتمل والفضيحة التي تنكس الرأس، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه العادة القبيحة فقال تعالى :﴿ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾[١]كما سجل القرآن إلى ما كان ينتاب أحدهم من الحزن العميق والحيرة والتردد بين الوأد وبين إبقاء الأنثى إذا ولدت امرأته انثى ولم تلد ذكراً، قال تعالى : ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (٥٧) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[٢]. وكما كان الوأد خوفاً من العار فقد كان أيضاً للفقر والعوز ويشمل الصغار إناثاً كانوا أو ذكوراً، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾

وبالرغم مما كان عند العرب من الصفات الذميمة كالغزو ووأد البنات والعصبية القبلية، فقد كانت عندهم صفات حميدة وخلال جميلة، مثل الكرم والشجاعة والوفاء وإباء الضيم والأنفة والصدق وحماية الجار والعفو عند المقدرة وغير ذلك . كما كان عندهم إكرام الضيف وقد اعتبروه حقاً للضيف يجب أن يعطاه وأن إهمال هذا الحق أو التقصير فيه أو التغاضي عنه يعد مخالفة قبيحة للعادات والتقاليد القبلية الموروثة[٣].

حالة العرب الدينية :

كان الشرك هو دين العرب العام والعقيدة السائدة، كانوا يعتقدون في الله أنه الإله الأعظم او الرب، لأنهم كانوا يقرون بالربوبية ويجحدون في الألوهية، فلئن

---

[١] سورة التكوير: الآيتان ٨-٩.

[٢] سورة النحل: الآيتان ٥٨-٥٩.

[٣] زيدان، عبد الكريم: المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية، ص١٩.

سئلوا: من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾[1] ولكنهم بحثوا لهم عن وسطاء توسلوا بهم إلى الله وشركوهم في الدعاء، وقاموا نحوهم ببعض العبادات ورسخت في أذهانهم فكرة الشفاعة حتى تحولت إلى عقيدة قدرة الشفعاء على النفع والضرر. ثم ترقوا في الشرك فاتخذوا من دون الله آلهة، واعتقدوا أن لهم مماثلة ومشاركة في تدبير الكون، وقدرة ذاتية على النفع والضرر والخير والشر والإعطاء والمنع[2]، وانغمست الأمة في الوثنية وعبادة الأصنام بأبشع أشكالها، فكان لكلّ قبيلة[3] أو ناحية أو مدينة صنم خاص، بل لكلّ بيت صنم خصوصيّ [4] .

وكان في جوف الكعبة- البيت الذي بناه إبراهيم عليه السلام لعبادة الله وحده- وفي فنائها، ثلاثمئة وستّون صنما ، وتدرّجوا من عبادة الأصنام والأوثان إلى عبادة الحجر، من أيّ جنس كان، وكانت لهم آلهة من الملائكة والجنّ والكواكب، وكانوا يعتقدون أن الملائكة بنات الله، وأنّ الجنّ شركاء الله، فامنوا بقدرتهم وتأثيرهم وعبدوهم[5].

---

[1] سورة الزمر: الآية ٣٨.

[2] الندوي، أبو الحسن: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٥٤.

[3] فكان لهذيل بن مدركة: سواع، ولكلب: ود، ولمذحج: يغوث، ولخيوان: يعوق، ولحمير: نسر، وكانت خزاعة وقريش تعبد إسافاً ونائلة، وكانت مناة على ساحل البحر، تعظمها العرب كافة والأوس والخزرج خاصة، وكانت اللات في ثقيف، وكانت العزى فوق ذات عرق، وكانت أعظم الأصنام عند قريش. العودة ، سلمان : الغرباء الأولون، ص٦٠.

[4] الكلبي: الأصنام ، ص ٣٣.

[5] المصدر نفسه ص ٤٤.

الحضارات السائدة قبل البعثة :

١-الإمبراطورية الرومانية: كانت الإمبراطورية الرومانية الشرقية تعرف بالإمبراطورية البيزنطية، فكانت تحكم دول اليونان والبلقان وآسيا وسوريا وفلسطين وحوض البحر المتوسط بأسره، ومصر وكل إفريقيا الشمالية، وكانت عاصمتها القسطنطينية، وكانت دولة ظالمة مارست الظلم والجور والتعسف على الشعوب التي حكمتها، وضاعفت عليها الضرائب، وكثرت الاضطرابات والثورات، وكانت حياتهم العامة قائمة على كل أنواع اللهو واللعب والطرب والترف. أما مصر فكانت عرضة للاضطهاد الديني والاستبداد السياسي، واتخذها البيزنطيون شاة حلوبا يحسنون حلبها، ويسيئون علفها.

وأما سوريا فقد كثرت فيهم المظالم والرقيق، ولا يعتمدون في قيادة الشعب إلا على القوة والقهر الشديد، وكان الحكم حكم الغرباء، الذي لا يشعر بأي عطف على الشعب المحكوم، وكثيرا ما كان السوريون يبيعون أبناءهم ليوفوا ما كان عليهم من ديون [١].

٢-الإمبراطورية الفارسية: كانت الإمبراطورية الفارسية تعرف بالدولة الفارسية أو الكسروية، وهي أكبر وأعظم من الإمبراطورية الرومانية الشرقية، وقد كثرت فيها الديانات المنحرفة كالزرادشتية والمانية التي أسسها ماني في أوائل القرن الثالث الميلادي، ثم ظهرت المزْدكية في أوائل القرن الخامس الميلادي التي دعت إلى الإباحية في كل شيء؛ مما أدى إلى انتشار ثورات الفلاحين وتزايد النهابين للقصور فكانوا يقبضون أو يأسرون النساء ويستولون على الأملاك والعقارات فأصبحت الأرض والمزارع والدور كأن لم تسكن من قبل.

---

[١] الندوي: السيرة النبوية، ص٣١.

وكان ملوكهم يحكمون بالوراثة، ويضعون أنفسهم فوق بني آدم، لأنهم يعتبرون أنفسهم من نسل الآلهة، وأصبحت موارد البلاد ملكًا لهؤلاء الملوك يتصرفون فيها ببذخ لا يتصور، ويعيشون عيش البهائم، حتى ترك كثير من المزارعين أعمالهم أو دخلوا الأديرة والمعابد فرارًا من الضرائب والخدمة العسكرية، وكانوا وقودًا حقيرًا في حروب طاحنة مدمرة قامت في فترات من التاريخ دامت سنين طوال بين الفرس والروم لا مصلحة للشعوب فيها إلا تنفيذ نزوات ورغبات الملوك [1].

٣-الهند: اتفقت كلمة المؤرخين على أن أحط أدوارها ديانة وخلقا واجتماعا وسياسة - ذلك العهد الذي يبتدئ من مستهل القرن السادس الميلادي، فانتشرت الخلاعة حتى في المعابد؛ لأن الدين أعطاها لونًا من القدس والتعبد، وكانت المرأة لا قيمة لها ولا عصمة، وانتشرت عادة إحراق المرأة المتوفى زوجها، وامتازت الهند عن أقطار العالم بالتفاوت الفاحش بين طبقات الشعب، وكان ذلك تابعا لقانون مدني سياسي ديني وضعه المشرعون الهنود الذين كانت لهم صفة دينية، وأصبح هو القانون العام في المجتمع ودستور حياتهم، وكانت الهند في حالة فوضى وتمزق، انتشرت فيها الإمارات التي اندلعت بينها الحروب الطاحنة، وكانت بعيدة عن أحداث عالمها في عزلة واضحة يسيطر عليها التزمت والتطرف في العادات والتقاليد، والتفاوت الطبقي والتعصب الدموي والسلالي[2]. وكان المجتمع الهندي راكدًا جامدًا، كان هناك تفاوت عظيم بين الطبقات وتمييز معيب بين أسرة وأسرة، وكانوا لا يسمحون بزواج الأيامى، ويشددون على أنفسهم في أمور الطعام والشراب، أما المنبوذون فكانوا يعيشون مضطرين خارج بلدهم ومدينتهم [3].

---

[1] الصلابي: السيرة النبوية١/١١.

[2] الندوي: السيرة النبوية، ص٣٨.

[3] الصلابي: السيرة النبوية١/١٣.

الحكمة الإلهية في اختيار الجزيرة العربية مهبطاً لآخر الرسالات:

لا بد قبل أن ندخل في الحديث عن سيرته ﷺ، وعن الجزيرة العربية التي نشأ فيها وأختاره الله منها ـ من أن نستجلي بعضاً من العوامل التي اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون بعثته ﷺ في هذه البقعة من العالم دون غيرها، وان تكون نشأة الدعوة الإسلامية على يد العرب قبل غيرهم وهي كما يأتي :ـ

١ـ تقع شبه الجزيرة العربية في أقصى الجنوب الغربي من قارة آسيا، ولذلك أصبح من المحتم أن تمر طرق المواصلات التي تربط بين آسيا وأفريقيا وأوربا عبر أراضيها. وقد كان لذلك تأثيره الكبير على الحياة الاقتصادية والسياسية والثقافية في شبه الجزيرة العربية في مختلف العصور[١]، وقد سهل لها هذا الموقع أن تنتشر الدّعوة إلى كامل بقاع العالم، ولو كانت في أقصى الشّرق أو الغرب لتعذّر وصولها.

٢ـ إحاطة المياه بها من جهات ثلاث، حيث يحيط بها من الشرق الخليج العربي، ومن الجنوب بحر العرب، ومن الغرب البحر الأحمر، في حين كانت الجهة الرابعة صحراء قاحلة مجدبة تمتد لمسافات شاسعة، تهدد كل من يحاول اختراقها بالويل والثبور، وعلى الجملة لم تشهد الجزيرة العربية على مختلف العصور حملات استعمارية حاولت السيطرة عليها[٢].

إن هذه العزلة التي حالت دون دخول الغرباء إلى الجزيرة، لم تمنع العرب أنفسهم من الخروج منها، بحكم أن هؤلاء امتلكوا مهارات ووسائل اقتحام الصحراء ؛ فهم

---

[١] الدوري، عبد العزيز : مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، ص ٢٩.
[٢] نوري، موفق سالم: فقه السيرة النبوية، ص ١٣.

اهتدوا بالنجوم في رحلاتهم، وملكوا الجِمَال التي حملتهم إلى العراق والشام واليمن، ومثل هذه المهارات والوسائل وما قادت إليه، كان لها شأن مهم في علاقة المسلمين بهذه المناطق الشمالية فيما بعد [1].

٣- اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون اللغة العربية هي لغة الدعوة الإسلامية، وقد أطلق على شبه الجزيرة هذه صفة " العربية " استناداً إلى اسم اللغة التي يتكلمها سكانها . فقد ذكر الهمذاني أن جزيرة العرب استمدت صفتها العربية من لسان أهلها، حيث أن " اللسان العربي في كلها شائع " [2].

٤- لم تتأثر طبائع العرب التي سكنت شبه الجزيرة العربية بأي مظهر من مظاهر الانحلال والاضطراب والشقاء والفلسفات والأفكار التي عاشتها الدولتان العظيمتان: فارس والرّوم، ومن ورائهما اليونان والهند .

---

[1] المصدر نفسه، ص ١٤.

[2] الهمذاني : صفة جزيرة العرب، ص ٣٩.

الباب الأول

النبي محمد ﷺ في مكة

الفصل الاول

استعراض حياة الرسول ﷺ منذ الولادة حتى البعثة

النسب الشريف :

هو مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلاَبِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعبِ بْنِ لؤَيِّ بْنِ غالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ[1]. وأمه آمنة بنت وهب من بني زهرة ويلتقي نسب أمه بنسب أبيه في كلاب بن مرّة [2] .قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ﴾[3] .

وأورد مسلم الحديث الصحيح، الذي قال فيه ﷺ : «إِنَّ اللهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» [4] . وقال ﷺ أيضا في حديث آخر: «بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ[5] بَنِي آدَمَ، قَرْنًا فَقَرْنًا[6]، حَتَّى كُنْتُ مِنَ القَرْنِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ» [7].

---

[1] صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة ، باب مبعث النبي ٥/ ٤٤.

[2] الدبيسي : السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية ١/١٤٧.

[3] القرآن الكريم- سورة الأنعام، الآية/ ١٢٤.

[4] صحيح مسلم : كتاب الفضائل ، بَابُ فَضْلِ نَسَبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،١٧٨٢/٤، حديث ٢٢٧٦.

[5] قرون: جمع قرن وهو الطبقة من الناس المجتمعين في عصر واحد. وقيل هو مائة سنة وقيل غير ذلك.

[6] قرنا فقرنا: أي نقيت من القرون وأفضلها حال كونها قرنا بعد قرن.

[7] صحيح البخاري :كتاب المناقب ، باب صفة النبي ،١٨٩/٤، حديث ٣٥٥٧.

الولادة الميمونة:

تُفيدُ أوثقَ الرواياتِ التي ذَكرتْ مَولدهُ ﷺ أنه ولد يَوْم الِاثْنَيْنِ [1] في الثَّانِي عشر مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ[2] مِنْ عَامَ الْفِيلِ [3].إن القرائن التاريخية التي تتصل بالروايات بالروايات التي تفيد أن مولده ﷺ عام الفيل قوية، وقد ذهب ابن القيم إلى القول بأنه: « لَا خِلَافَ أَنَّهُ وُلِدَ ﷺ بِجَوْفِ مَكَّةَ، وَأَنَّ مَوْلِدَهُ كَانَ عَامَ الْفِيلِ، وَكَانَ أَمْرُ الْفِيلِ تَقْدِمَةً قَدَّمَهَا اللَّهُ لِنَبِيِّهِ وَبَيْتِهِ، وَإِلَّا فَأَصْحَابُ الْفِيلِ كَانُوا نَصَارَى أَهْلَ كِتَابٍ، وَكَانَ دِينُهُمْ خَيْرًا مِنْ دِينِ أَهْلِ مَكَّةَ إِذْ ذَاكَ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا عُبَّادَ أَوْثَانٍ فَنَصَرَهُمُ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ نَصْرًا لَا صُنْعَ لِلْبَشَرِ فِيهِ، إِرْهَاصًا وَتَقْدِمَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ الَّذِي خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ، وَتَعْظِيمًا لِلْبَيْتِ الْحَرَامِ » [4] .

---

[1] قال صلى الله عليه وسلم: «ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ - أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ -» صحيح مسلم - كتاب الصيام - باب استحباب صيام ثلاثة أيام من كل شهر.

[2] الماوردي : اعلام النبوة ١/٢٠٧. السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ١/٨٣.ابن كثير : السيرة النبوية ١/١٩٩. الندوي : السيرة النبوية ١/١٥٧. مستعذب الإخبار بأطيب الأخبار١/٧٠.

[3]الحاكم- المستدرك ٢/ ٦٥٨،حديث ٤١٨٠. الطبراني : المعجم الكبير١٢/٤٧، حديث ١٢٤٣٢، جامع الاصول ١١/٢١٦، حديث ٨٧٧٢، البيهقي : دلائل النبوة ١/٧٤. واورد الشيخ الالباني في السلسلة الصحيحة ، الحديث٣١٥٢- (وُلِدَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم عام الفيل).

قال ابن كثير: وَالْمَقْصُودُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُلِدَ عَامَ الْفِيلِ عَلَى قَوْلِ الْجُمْهُورِ فَقِيلَ بَعْدَهُ بِشَهْرٍ، وَقِيلَ بِأَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَقِيلَ بِخَمْسِينَ يَوْمًا- وَهُوَ أَشْهَرُ-.أنظر: البداية والنهاية (٢/ ٢٦٢) طبعة دار الفكر – ١٩٨٦م.فلم يذكر ابن كثير أحداً قال: بأنه ولد يوم الفيل والله أعلم.

[4] ابن القيم- زاد المعاد ١/ ٧٦.

حياة الرسول ﷺ مع مرضعته :

اعْتادَ الحَضَرْ مِنْ العَرَبْ أَنْ يَلتَمِسُوا المَراضِع لأطفالهمْ في الباديةِ للابْتِعادِ بِهِمْ عَنْ أمراضِ الحواضِرِ، فَتَقوى أَجْسامَهمْ، وَتَشتَدَّ أَعصابهم بِفعلِ صفاءِ الهواءِ ونَقائهِ، كما يَنْشأ الطِّفْل أفْصحُ لِساناً وأسلسُ عبارةً . وقَدْ صَحَّ أَنَ ثَويبةَ مَولاةَ أَبِي لَهَبٍ أَرْضَعَتهُ، كما ثَبَتَ أَنَّ عَمَّه حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ كان أَخَاهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ[1] ، كما صَحَّ أَنَّ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةِ أَرْضَعَتهُ، وعاشَ مَعَها في الْبَادِيَةِ [2] .وعندما بَلَغَ مُحَمَّدٌ ﷺ سِنِّ الفطام ؛ أَي : سَنَتَيْنِ، أعادَتْهُ حَلِيمَةُ إلى أُمِّهِ في مَكَّةَ وهي تتمنى أَنْ تُقنعها كَيْ تَتْركه في حَضانَتِها مُدَّةً أَطْوَلَ، ونَجَحتْ في ذَلِكَ ، فَعادَتْ مَعَ الطِّفْل إلى مَضارِبها والْفَرَح بادٍ على وَجهِهَا [3]. وتعلم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ في بادية بَنِي سَعْدٍ اللِّسَان العربي الفَصيح، وأصْبَحَ فيما بَعْد مِنْ أفصحِ الخلقِ، فعندما قال له أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يَا رَسُول الله ما رَأَيْتُ أفْصَحَ منك. فقال ﷺ : « وَمَا يَمْنَعُنِي، وَأَنَا مِنْ قُرَيْشٍ، وَأُرْضِعْت فِي بَنِي سَعْدٍ » [4].

معجزة شق الصدر :

وقَدْ حَدثَتْ مُعْجِزَةُ شق صدره ﷺ وغَسَلَ قَلْبَهُ ولَأَمَهُ مَرَّتَيْنِ ، الْأُولَى عِنْدَما

---

[1] الطبراني : المعجم الكبير٣/١٣٧، حديث ٢٩١٧. الرحيق المختوم ١/٤٥. السهيلي : الروض الانف ٢/١٥٠. العمري : السيرة النبوية الصحيحة ١/١٠٢. ابو شهبة : السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ٢/٢٤٥.

[2] الاغصان الندية ١/٢٧. الإملاء المختصر في شرح غريب السير١/٣٥٢. الجامع الصحيح للسيرة النبوية ٢/٤٥٧.الندوي : الرسالة المحمدية ١/١١٨.

[3]ابن هشام : السيرة ١/١٦٤. ابن سعد: الطبقات الكبرى ١/١١١.

[4] السهيلي : الروض الانف ٢/١٦٧. السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ١/١٩٢.ابن هشام : السيرة ١/١٦٣.

كَانَ طِفْلاً فِي الرَّابِعَةِ مِنْ عُمْرِهِ [1] . وقد روى أبن حبان في صحيحه خبر معجزة الشق الأول هذا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ قَلْبَهُ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: «هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي ظِئْرَهُ - فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ فَاسْتَقْبَلُوهُ مُنْتَقِعَ اللَّوْنِ، قَالَ أَنَسٌ: قَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ ﷺ »[2].ولا شكَّ في أَنَّ التطهير من حَظّ الشَّيْطَانِ هو إرهاص مُبَكِرْ للنبوّة، وإعداد للعِصْمَةِ مِنْ الشَّرِّ وعِبادةِ غَيْرِ الله. فَلَا يَحِلُّ فِي قَلْبِهِ شيء إلّا التَّوْحِيد، وقَدْ دلّتْ أَحْدَاث صِباهُ على تَحقق ذَلِكَ، فلمْ يَرتكِبْ إثماً، ولمْ يَسجدْ لِصنمْ. أمّا مُعْجِزَةُ شقّ الصدر الثَّانِيَة فكانت لَيْلَة الْإِسْرَاء [3] .

استكمال يتمه :

تُوُفِّيَتْ أُمُّهُ آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبٍ بالْأَبْوَاءِ بين مَكَّة وَالْمَدِينَة وهو في السَّادِسَة مِنْ عُمْرِهِ[4] . وقَدْ تَرَكَ يُتْم النَّبِي ﷺ فِي نَفسه أعْمَق الْأَثر فكانَ قَدْ وُلِدَ يَتِيمُ الْأَب ، ثُمَّ فَقَدَ أُمُّهُ فِي طُفولَتِهِ، فَكَفلهُ جَدَّهُ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ ورَعاهُ [5] ، غَيْرَ أَنَّ جَدِّهِ مَا لَبِثَ أن

---

[1] العمري : السيرة النبوية الصحيحة ١٠٤/١. السيرة النبوية كما جاءت في الاحاديث الصحيحة ١٩٤/١.ابن كثير: السيرة النبوية ٢٣١/١. المختصر الكبير في سيرة الرسول ٢٥/١. عماد الدين خليل :دراسة في السيرة ، ص٣٢.

[2] صحيح ابن حبان : باب ذكر شق جبريل عليه السلام صدر المصطفى ﷺ في صباه ٢٤٣/١٤، حديث ٦٣٣٤.

[3] البيهقي : دلائل النبوة ١٣٦/١. مسند الامام احمد ٢٥٢/١٩. الحجة في بيان المحجة ٥٤١/١. الجامع الصحيح للسيرة النبوية ١٩٠/١. السيوطي : الخصائص الكبرى ١١٢/١.

[4] العمري : السيرة النبوية الصحيحة ١٠٥/١. الدبيسي : السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية ١٩٦/١. السيرة الحلبية ١٥١/١. الندوي : السيرة النبوية ١٦٣/١.

[5] المقريزي : امتاع الاسماع ١٣/١. السهيلي : الروض الانف ١٨١/٢. السيرة النبوية على ضوء القرآن

تُوفِيَّ ، بَعْدَ أَنْ أَوْصَى وَلَده أَبَا طَالِبٍ بِرعايَتِهِ [1] . وكَانَ ﷺ قَدْ بَلَغَ الثَّامِنَة ، ولَا شَكَّ فِي أَنَّ أَثَرَ ذلك كَانَ كَبِيرًا على أحاسيسه، لِما كَانَ يحبوه به جَدِّهِ مِنْ العَطفِ والرِعايةِ.

عمله ﷺ في الرعي:

عمد مُحَمَّدٌ ﷺ مُنْذُ أن أَضْحَى يعيش في كَنَفِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ إلى مُساعَدتهِ، ولا سِيّما أَنَّ أَبَا طَالِبٍ كانَ في أَشدِّ الْحَاجَةِ للمُساعَدة لفقرهِ وكَثْرَةِ عياله، فاشْتَغلَ بِرَعي الأغنام في شِعَابِ مَكَّةَ وفِجاجِها. وقَدْ ثَبتَ في الحَدِيث الصَّحِيح قيامه بهذا الْعَمَلِ ، حيث روى البخاري في صَحيحهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الغَنَمَ»، فَقَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ [2]لِأَهْلِ مَكَّةَ»[3].

وفي رَعيّ الغَنَم ما فِيهِ مِنْ تَهيئةِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وتَعالى لِنبيهِ لِتلقي الرسالةِ والقيامِ بأمرِ الدعوةِ. ويورد الحافظ ابن حجر فِي شَرْحِهِ للحديث خلاصة أَقْوَال الْعلمَاء في ذَلكَ فيقول: « الْحِكْمَةُ فِي إِلْهَامِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ رَعْيِ الْغَنَمِ قَبْلَ النُّبُوَّةِ أَنْ يَحْصُلَ لَهُمُ التَّمَرُّنُ بِرَعْيِهَا عَلَى مَا يُكَلَّفُونَهُ مِنَ الْقِيَامِ بِأَمْرِ أُمَّتِهِمْ وَلِأَنَّ فِي مُخَالَطَتِهَا مَا يُحَصِّلُ لَهُمُ الْحِلْمَ وَالشَّفَقَةَ لِأَنَّهُمْ إِذَا صَبَرُوا عَلَى رَعْيِهَا وَجَمْعِهَا بَعْدَ تَفَرُّقِهَا فِي الْمَرْعَى وَنَقْلِهَا مِنْ مَسْرَحٍ إِلَى مَسْرَحٍ وَدَفْعِ عَدُوِّهَا مِنْ سَبُعٍ وَغَيْرِهِ كَالسَّارِقِ وَعَلِمُوا اخْتِلَافَ طِبَاعِهَا وَشِدَّةَ تَفَرُّقِهَا مَعَ ضَعْفِهَا وَاحْتِيَاجِهَا إِلَى الْمُعَاهَدَةِ أَلِفُوا مِنْ ذَلِكَ الصَّبْرَ عَلَى الْأُمَّةِ

والسنة ١/٢٠٧.

[1] ابن سعد: الطبقات ١/ ١١٧- ١١٩ .الندوي : السيرة النبوية ١/١٦٣ . السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي ١/١٧٣ . عماد الدين خليل :دراسة في السيرة ، ص٣٣.

[2] قراريط: جمع قيراط وهو جزء من النقد وقيل قراريط اسم موضع قرب جياد بمكة.

[3] صحيح :صحيح البخاري :كتاب الاجارة ، باب رعي الغنم على قراريط ٣/٨٨ ، حديث رقم ٢٢٦٢.

وَعَرَفُوا اخْتِلَافَ طِبَاعَهَا وَتَفَاوُتَ عُقُولِهَا فَجَبَرُوا كَسْرَهَا وَرَفَقُوا بِضَعِيفِهَا وَأَحْسَنُوا التَّعَاهُدَ لَهَا فَيَكُونُ تَحَمُّلُهُمْ لِمَشَقَّةِ ذَلِكَ أَسْهَلَ مِمَّا لَوْ كُلِّفُوا الْقِيَامَ بِذَلِكَ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ لِمَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ التَّدْرِيجِ عَلَى ذَلِكَ بِرَعْيِ الْغَنَمِ وَخُصَّتِ الْغَنَمُ بِذَلِكَ لِكَوْنِهَا أَضْعَفَ مِنْ غَيْرِهَا وَلِأَنَّ تَفَرُّقَهَا أَكْثَرُ مِنْ تَفَرُّقِ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ لِإِمْكَانِ ضَبْطِ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ بِالرَّبْطِ دُونَهَا فِي الْعَادَةِ الْمَأْلُوفَةِ وَمَعَ أَكْثَرِيَّةِ تَفَرُّقِهَا فَهِيَ أَسْرَعُ انْقِيَادًا مِنْ غَيْرِهَا »[1].

لقاء الرَّاهِبِ بحِيرَا بالرسول ﷺ وهو غلام:

خَرَجَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى الشَّامِ وَمَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي أَشْيَاخٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا أَشْرَفُوا عَلَى الرَّاهِبِ - يَعْنِي بَحِيرَى - هَبَطُوا فَحَلُّوا رِحَالَهُمْ، فَخرج إِلَيْهِم الراهب وَكَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ يَمُرُّونَ بِهِ فَلَا يَخْرُجُ وَلَا يَلْتَفِتُ الَيْهِمْ.قَالَ: فَنَزَلَ وَهُمْ يُحِلُّونَ رِحَالَهُمْ، فَجَعَلَ يَتَخَلَّلُهُمْ حَتَّى جَاءَ فَأَخَذَ بِيَدِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: هَذَا سَيِّدُ الْعَالَمِينَ.

وَفِي رِوَايَةِ الْبَيْهَقِيِّ زِيَادَةٌ: هَذَا رَسُولُ رب الْعَالمين، بَعثه اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالمِينَ.

فَقَالَ لَهُ أَشْيَاخٌ مِنْ قُرَيْشٍ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَقَالَ إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ من الْعقبَة لم يبْق شجر وَلَا حَجَرٌ إِلَّا خَرَّ سَاجِدًا، وَلَا يَسْجُدُونَ إِلَّا لِنَبِيٍّ، وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ أَسْفَلَ مِنْ غُضْرُوفِ كَتِفِهِ. ثُمَّ رَجَعَ فَصَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا فَلَمَّا أَتَاهُمْ بِهِ - وَكَانَ هُوَ فِي رَعْيَةِ الْإِبِلِ - فَقَالَ: أَرْسِلُوا إِلَيْهِ. فَأَقْبَلَ وَغَمَامَةٌ تُظِلُّهُ. فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْقَوْمِ قَالَ: انْظُرُوا إِلَيْهِ عَلَيْهِ غَمَامَةٌ. فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْقَوْمِ وجدهم قد سَبَقُوهُ إِلَى فيء الشَّجَرَة فَلَمَّا جلس مَال فيء الشَّجَرَة عَلَيْهِ. قَالَ: انْظُرُوا إِلَى فيء الشَّجَرَة مَال عَلَيْهِ.

---

[1] ابن حجر : فتح الباري ٤/٤٤١.

قَالَ فَبَيْنَمَا هُوَ قَائِم عَلَيْهِم وَهُوَ ينشدهم أَلَّا يَذْهَبُوا بِهِ إِلَى الرُّوم، فَإِنَّ الرُّومَ إِنْ رَأَوْهُ عَرَفُوهُ بِالصِّفَةِ فَقَتَلُوهُ، فَالْتَفَتَ فَإِذَا هُوَ بِسَبْعَةِ نَفَرٍ مِنَ الرُّومِ قَدْ أَقْبَلُوا.

قَالَ: فَاسْتَقْبَلَهُمْ فَقَالَ مَا جَاءَ بِكُمْ؟ قَالُوا: جِئْنَا أَنَّ هَذَا النَّبِيَّ خَارِجٌ فِي هَذَا الشَّهْرِ، فَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ إِلَّا بُعِثَ إِلَيْهِ نَاسٌ، وَإِنَّا أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ إِلَى طَرِيقِكَ هَذِهِ.

قَالَ: فَهَل خلفكم أحد هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ؟ قَالُوا: لَا إِنَّمَا أُخْبِرْنَا خَبَرَهُ إِلَى طَرِيقِكَ هَذِهِ. قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ أَمْرًا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَهُ هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رَدَّهُ؟ فَقَالُوا: لَا. قَالَ: فَبَايَعُوهُ وَأَقَامُوا مَعَهُ عِنْدَهُ. قَالَ: فَقَالَ الرَّاهِبُ: أَنْشُدُكُمُ اللَّهَ أَيُّكُمْ وَلِيُّهُ؟ قَالُوا: أَبُو طَالِبٍ. فَلَمْ يَزَلْ يُنَاشِدُهُ حَتَّى رَدَّهُ وَبَعَثَ مَعَهُ أَبُو بَكْرٍ بِلَالًا وَزَوَّدَهُ الرَّاهِبُ مِنَ الْكَعْكِ وَالزَّيْتِ[1].

زواج الرسول ﷺ من السيدة خديجة :

ولمّا سَرتْ أَخْلاقُ مُحَمَّد ﷺ في أَرْجاءِ مَكَّةَ ، وَعرفَ القاصِيْ والدانيْ أَمَانَتِهِ وصِدْقِهِ وَحُسْنِ خُلُقِه رَغِبَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ في أَنْ يُديرْ لَهَا تِجَارَتِهَا . وَكَانَتْ خَدِيجَةُ امْرَأَةً ذَاتَ شَرَفٍ وَمَالٍ من خيرة نِسَاءِ قُرَيْشٍ نَسَبًا، وَأَعْظَمَهُنَّ شَرَفًا، وَأَكْثَرَهُنَّ مَالًا، فَاخْتَارَتِ مُحَمَّدًاﷺ ليُتاجِرَ لَهَا في أموالِهَا. وقَدْ سافَرَ بِتِجَارَتِهَا مَرَّتَيْنِ إلى بِلَادِ الشَّامَ وإلى سوقِ حُبَاشَةَ بتِهَامَة جنُوب مَكَّةَ، فَرَبِحَتْ تِجَارَتِهَا رِبْحًا كَثِيرًا

---

[1] الالباني : صحيح السيرة النبوية ص٢٩-٣٠ ، ودفاع عن الحديث النبوى ص ٦٢ - ٧٢، والمشكاة/٥٩١٨، وتخريج الالباني لفقه السيرة للغزالي ص٦٩-٧٠ حيث قال: بل هي صحيحة، فقد أخرجها الترمذي: ٤/ ٢٩٦، من حديث أبي موسى الأشعري، وقال: «هذا حديث حسن» . قلت (اي الالباني): وإسناده صحيح .وللمزيد انظر: - (حادثة الراهب المسمّى "بحيرا" حقيقة لا خرافة) للالباني المنشور في "مجلة التمدن الإسلامي" (٢٥/ ١٦٧/- ١٧٥). - (حديث تظليل الغمام له أصل أصيل) له المنشور في "مجلة المسلمون"(٦/٧٩٣-٧٩٧). مهدي رزق الله: السيرة النبوية في ضوء المصادر الاصلية١/١١٩- ١٢٢ . ابراهيم العلي : صحيح السيرة النبوية١/٤٤.

بِفَضْلِ إِدارَتِه ﷺ وكانَ غُلَامِهَا مَيْسَرَةَ قد صَحِبَهُ في تِلْكَ الرَحلاتْ فَلَمَّا عَادَ حَدَّثَهَا بما شاهَدَهُ مِنْ أَخْلَاقِهِ وصِدقِهِ وأَمَانَتِهِ، الْأَمْر الَّذِي رَغَّبَها في الزَّوَاجِ مِنْهُ، فأرسَلتْ إليهِ من أفصحَ لَهُ عن رَغْبَتِها، فأبْدى رَغْبَتَهُ في الزَّوَاجِ منها وعَرَضَ الأمْرَ على أَعْمَامِهِ فَخَرَجَ مَعَهُ عَمُّهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حَتَّى دَخَلَ عَلَى خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ، فَخَطَبَهَا إِلَيْهِ، فتَزَوَّجَهَا[1] .

نزول الوحي والبعثة النبوية:

بَدْء نزُول الْوَحْي عَلَى مُحَمَّدٍﷺ وعُمْرُهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً [2] . وقِصَّة بَدْء نزُول الْوَحْي على النَّبِيِّ ﷺ ثابتة بنص في الصحيحين مِنْ حَدِيثِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ [3]فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ[4]، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الخَلاَءُ[5]، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ[6] فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ العَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ [7]إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ المَلَكُ فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِئٍ[8]»، قَالَ:

---

[1] ابن هشام: السيرة ١/ ١٨٩. الحاكم: المستدرك ٣/ ١٨٢، ابن سعد:الطبقات الكبرى ١/ ١٥٥-١٥٧.سبل الهدى والرشاد ١/٩. عماد الدين خليل :دراسة في السيرة ، ص٣٧.

[2] شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة٤/٨٣٣.الخضري:نور اليقين١/٢٥. نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز ١/٩٩. ألعمري : السيرة النبوية الصحيحة ١/١٢٤. السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية ١/٢٦٥. سُبُل السَّلام مِن صَحيح سيرة خَير الأنَام ١/٧٠.

[3] الصالحة: الصادقة وهي التي يجري في اليقظة ما يوافقها.

[4] فلق الصبح: ضياؤه ونوره ويقال هذا في الشيء الواضح البين.

[5] الخلاء: الانفراد.

[6] بغار حراء: الغار هو النقب في الجبل وحراء اسم لجبل معروف في مكة.

[7] ينزع: يرجع.

[8] ما أنا بقارىء: لا أعرف القراءة ولا أحسنها.

" فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي[1] حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ[2] ثُمَّ أَرْسَلَنِي[3]، فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ[4].

فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ[5]، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي[6]» فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ[7]، فَقَالَ لِخَدِيجَةَ لِخَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي» فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ[8] اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ[9]، وَتَحْمِلُ الكَلَّ[10]، وَتَكْسِبُ المَعْدُومَ[11]، وَتَقْرِي وَتَقْرِي الضَّيْفَ[12]، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ[13]، فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ[14] فِي

---

[1] فغطني: ضمني وعصرني حتى حبس نفسي .

[2] الجهد: غاية وسعي.

[3] أرسلني: أطلقني.

[4] سورة العلق: الآيات ١ – ٥.

[5] يرجف فؤاده: يخفق قلبه ويتحرك بشدة.

[6] زملوني: لفوني وغطوني.

[7] الروع: الفزع.

[8] ما يخزيك: لا يذلك ولا يضيعك.

[9] لتصل الرحم: تكرم القرابة وتواسيهم.

[10] تحمل الكل: تقو بشأن من لا يستقل بأمره ليتم وغيره وتتوسع بمن فيه ثقل وغلاظة.

[11] تكسب المعدوم: تتبرع بالمال لمن عدمه وتعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك.

[12] تقري الضيف: تهيء له القرى وهو ما يقدم للضيف من طعام وشراب.

[13] نوائب الحق: النوائب جمع نائبة وهي ما ينزل بالإنسان من المهمات وأضيفت إلى الحق لأنها تكون في الحق والباطل.

[14] تنصر: ترك عبادة الأوثان واعتنق النصرانية.

الجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الكِتَابَ العِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الإِنْجِيلِ بِالعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا ابْنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ[1] الَّذِي نَزَّلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا[2] جَذَعًا[3]، جَذَعًا[3]، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ»، هُمْ»، قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ[4] أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا[5]. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ[6] وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ، وَفَتَرَ الوَحْيُ[7].[8] الوَحْيُ[7].[8]

وَفَتَرَ الوَحْيُ فَتْرَةً حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ ﷺ، فِيمَا بَلَغَنَا، حُزْنًا غَدَا مِنْهُ مِرَارًا [9] كَيْ يَتَرَدَّى [10] مِنْ رُءُوسِ شَوَاهِقِ الجِبَالِ [11]، فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ مِنْهُ نَفْسَهُ تَبَدَّى [12] لَهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، فَيَسْكُنُ لِذَلِكَ جَأْشُهُ [13]، وَتَقِرُّ [1] نَفْسُهُ، فَيَرْجِعُ، فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذَلِكَ،

---

[1] الناموس: هو صاحب السر والمراد جبريل عليه السلام سمي بذلك لاختصاصه بالوحي.

[2] فيها: في حين ظهور نبوتك.

[3] جذع: شاب والجذع في الأصل الصغير من البهائم ثم استعير للشاب من الإنسان.

[4] يومك: يوم إخراجك أو يوم ظهور نبوتك وانتشار دينك.

[5] مؤزرا: قويا من الأزر وهو القوة.

[6] ينشب: يلبث.

[7] فتر الوحي: تأخر عن النزول مدة من الزمن.

[8] صحيح البخاري : كتاب بدء الوحي ١/٧، حديث ٣.

[9] غدا منه مرارا: ذهب بسبب ذلك الحزن عدة مرات.

[10] يتردى: يسقط نفسه.

[11] شواهق الجبال: مرتفعاتها العالية.

[12] تبدى: ظهر.

[13] جأشه: اضطرابه.

فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ [٢].لقد كانَ بدءُ نزولِ الوَحْيِ على النَّبِيِّ ﷺ ونزول صدر سورة «اقرأ» نقطةَ تحولٍ في تاريخِ الْبَشَرِيَّةِ ، نَقلتْها من طَرِيقِ الاعوجاجِ و الظَّلَامِ إلى طَرِيقِ الْهُدَى والنُّورِ، طَرِيقِ الله الْمُسْتَقِيمِ المؤدي إلى النَّجَاةِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. ويعلقُ أحدُ الباحثينَ على ذَلكَ بقولهِ: «لَقدْ تَحولَ خَطُّ التاريخِ كما لمْ يتحولْ مِنْ قَبلُ قط، وكما لمْ يتحولْ مِنْ بَعدُ أيضاً، وكان هذا الحدث هو مفرقُ الطريقِ. وقامتْ المعالمُ فِي الْأَرْضِ واضحةً عَالِيَةً لا يَطمسها الزمانُ، ولا تَطمِسها الأحداثُ. وقامَ فِي الضَّمِيرِ الإنساني تَصورٌ للْوُجُودِ وللحياةِ وللقيم لمْ يَسبقْ أنْ اتضحَ بِمثلِ هذه الصورة، ولم يجئ بَعدهُ تَصورٌ في مثلِ شمولِهِ ونصاعَتِهِ وطلاقتِهِ مِنْ اعتباراتِ الْأَرْضِ جميعاً، مَعَ واقعيتهُ وملاءمتهُ للحياةِ الإنسانيةِ.

ولقَدْ إسْتقرَتْ قَواعِد هَذا أَلمَنهَجْ الإلهي فِي الْأَرْضِ وتَبيَنتْ خُطوطهُ ومَعالِمَهُ ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ﴾[٣] . لا غُموضَ ولا إبْهامْ. إنمّا هُوَ الضَلالُ عَنْ عِلمٍ، والانْحرافُ عَنْ عَمدٍ، والالتواءُ عَنْ قَصْدٍ. إنَهُ الحادِثُ الفَذُّ في تِلكَ اللحْظةِ الفَريدةِ. الحادثُ الكونيُّ الذي إبتدأ بِه عَهدٌ في هَذهِ الْأَرْضِ وانتَهى عَهدٌ. والذي كانَ فُرقاناً في تاريخِ الْبَشَرِ لا في تاريخِ أُمَّة ولا جيلٍ. والذي سَجلتهُ جَنباتُ الْوُجُودِ كُلَّهُ وهي تتجاوب به، وسَجلَهُ الضَّمِيرَ الإنساني. وبَقِيَّ أنْ يَتلفتَ هذا الضَّمِيرَ اليوم على تلك الذِّكْرَى الْعَظِيمَةِ ولا ينساها وأن يَذْكُرَ دائِماً أنهُ مِيلَادٌ جديدٌ للإنسانيةِ لمْ يَشهدَهُ إلاّ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي الزَمانِ»[٤] . أيقنَ النَّبِيُّ ﷺأَنَهُ رَسُولُ اللَّهِ بَعدَ أَنْ نَقشَتْ تَلكَ الآياتِ مِنْ سُورةِ «اقرأ» في صَدرهِ، وبَعدَ حَديثِ ورقةَ بنْ نَوفلْ

---

[١] تقر: تطمئن وتهدأ.

[٢] صحيح :صحيح البخاري :كتاب التعبير، بَابُ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ ٢٩/٩، حديث (٦٩٨٢).

[٣] سورة الانفال: الآية٤٢.

[٤] في ظلال القرآن : تفسير سورة العلق ٣٩٣٦/٦.

لَهُ، وازدادَ يقينهُ بَعدَ نُزولِ الآياتِ الأولى مِنْ سورةِ المُدثرْ، فقد روى جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِيَّ، وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: " بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي، فَإِذَا المَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَرُعِبْتُ مِنْهُ، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي " فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ[1] (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ[2] فَاهْجُرْ ﴾[3] فَحَمِيَ الوَحْيُ وَتَتَابَعَ[4][5] .

وهذه الآيات الأولى مِنْ سورةِ المدثرِ فيها الأمر من اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِمُحَمَّدٍ ﷺ بإنذارِ البَشرِ ودَعْوَتُهُمُ إلى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، فهي تُمثلُ في حياةِ مُحَمَّد ﷺ حدّاً فاصلاً بينَ عهدينِ، عهدٌ ما قبلَ الْبَعْثَةِ الذي يمثلُ أكثرَ عمرهِ ﷺ والذيْ لمْ يكنْ فيهِ مكلفاً من اللَّهِ تَعَالَى بشيء. وعهدٌ ما بَعدَ الْبَعْثَةِ الذي يُمثلُ أخطرَ وأصعبَ مَرْحَلَةً في حياتهِ ﷺ لأنها مرحلةِ تغييرِ طَرِيقِ الْبَشَرِيَّةِ وهي مَرْحَلَة خطيرة عندما نتصورها بِكُلِ أبعادِها فَها هيَ الْأَوَامِرِ الربانية تأمره ﷺ أنْ يَترك عَهْدَ النومِ وأنْ يَشمرَّ عَنْ ساعدِ الجدِّ، ليسَ لتغييرِ عقيدةَ قَوْمِهِ فَحَسبْ، بلْ لتغييرِ مسارِ الْبَشَرِيَّةِ بأكملهِ، ونقلِ تلكَ الْبَشَرِيَّةِ مِنْ طريقِ الْهَلَاكِ وَالدَّمَارِ الذي كانت تتردى فيه، إلى طَرِيقِ النَّجَاةِ الذي يؤدي إلى سعادة الدُّنْيَا والنَّجَاةِ العظمى في الأخرى. وهذه الْمُهِمَّةِ ، وهذا التَّكْلِيفُ الإلهي لمْ يكنْ يسيراً بلْ كانتْ دونهُ مِنْ الصعوباتِ والأخطارِ ما لا يستطيعهُ أحدٌ سوى مُحَمَّد ﷺ الذي اخْتَارَهُ الله تعالى لهذه الْمُهِمَّةِ الشاقة ونجحَ فيها- كما يشهد التاريخُ- أيمّا نجاحٍ، ووضعِ الْبَشَرِيَّةِ على الطريقِ

---

[1] المدثر: المتلفف بثيابه.

[2] والرجز فاهجر: الرجز في اللغة ألذنب والإثن والعذاب والمراد به هنا الأوثان وسميت رجزا لأنها سببه والهجر الترك والمعنى بالغ واستمر في تركك للأوثان. والآيات أوائل سورة المدثر.

[3] سورة المدثر: الآيات ١ – ٥.

[4] فحمي الوحي وتتابع: كثر نزوله ومجيئه.

[5] صحيح البخاري : كتاب بدء الوحي ١/٧، حديث ٤.

الصحيحِ وأوضح لها السَّبِيلَ الْحَقَّ ، وأنارَ لها الطريقَ ولمْ يَعدْ لفردٍ أو جماعةٍ أو فئةٍ عُذرٌ في تنكبِ طَرِيقِ الْحَقِّ والزَّيْغِ عن الْهُدَى والنُّورِ.وقد ثبتَ أَنَّ الوَحْيِ قد نَزَلَ عَلَيْهِ أول ما نزل يَوْمَ الِاثْنَيْنِ [1] . كما أن الْمَشْهُور أن ذلك قد حصل في شَهْرِ رَمَضَانَ. قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَالْفُرْقانِ ﴾ [2] . والوَحْيِ إلى مُحَمَّد ﷺنظير الوَحْيِ الإلهي إلى الْأَنْبِيَاء السَّابِقين ، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنا إِلَيْكَ كَما أَوْحَيْنا إِلى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنا إِلى إِبْراهِيمَ وَإِسْماعِيلَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْباطِ وَعِيسى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهارُونَ وَسُلَيْمانَ وَآتَيْنا داوُدَ زَبُوراً﴾ [3].

وكان الرَسولُ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً [4] ، وكان جَبِينَهُ يتفصَّدُ عَرَقاً فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ ، وكان وَجهه يتَغَيَّر ويَكرب [5] ، وجِسْمه يَثْقَل يَقُول زَيْدِ بْنِ ثَابِت: « فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ ﷺ، وَفَخِذُهُ عَلَى فَخِذِي، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حَتَّى خِفْتُ أَنَّ تَرُضَّ فَخِذِي » [6] . وكانَ يُرَكِزْ ذِهْنهُ بِشدّةَ لِحفْظِ الْقُرْآنِ ، فيُحَرِّكُ به به لِسانَهُ وشَفَتَيْهِ ، فنزلتِ الآية:﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ* إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ* فَإِذا قَرَأْناهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ* ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ﴾ [7] . كان حَرْص النَّبِيِّ ﷺ على

---

[1] الاغصان الندية ١/٥٧.ألعمري : السيرة النبوية الصحيحة ١/١٢٤. السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية ١/٢٦٥. سُبُل السَّلام مِن صَحيح سيرة خَير الأنَام ١/٧٠. الصحيح من احاديث السيرة النبوية ١/٣٣.

[2] سور البقرة: الآية ١٨٥.

[3] سورة النساء: الآية ١٦٣.

[4] البيهقي : الاسماء والصفات ١/٥٠١، حديث ٤٢٨.النسائي : السنن الكبرى ١/٤٨١، حديث ١٠٠٩.جامع الاصول ٢/٤٢٠،حديث ٨٦٧. صحيح ابن حبان ١/٢٢٦، حديث ٣٩.

[5] جمع الفوائد من جامع الأصول٢/٥٣٠ ، حديث ٦٣٧٩. عمدة القاري ١/٤٣. ذخائر العقبى في شرح المجتبى ١٢/١١٦. التوضيح لشرح الجامع الصحيح ٢/٢٣٠. المختصر الكبير في سيرة الرسول ١/٣٥.

[6] صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير ، بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى {لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ ٤/٢٥، حديث ٢٨٣٢.

[7] سورة القيامة: الآيات ١٦- ١٩.

تَبْلِيغِ الْقُرْآن الْكَرِيم يَدْفَعُهُ إلى التعجلِ في تَلقيّهِ والشوقِ إليهِ، وقد بَيّنتْ ذَلكَ الآية ﴿وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ (١) .

وكان الْوَحْيُ يَأْتِيهِ فِي الْيَقَظَةِ ، وَلَقَدْ أوضحَ النَّبِيُّ ﷺ كَيْفَ يَأْتِيهُ الْوَحْيُ حِينَ قَالَ: « أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلِ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ - وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ - فَيَفْصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ الْمَلَكُ رَجُلًا فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ » (٢) .
وَلَقَدْ إِستَغْرَقَ نُزُولِ الْوَحْي ثَلاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ، منها ثَلاثَةَ عَشَرَ عَامًا بمَكَّةَ الْمُكَرَّمَة وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ (٣)وعَشْرِ سِنِينَ فِي الْمَدِينَةِ وَهُوَ الْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ (٤).

---

(١) سورة طه: الآية ١١٤.

(٢) صحيح البخاري : كتاب بدء الوحي ٦/١، حديث ٢.البيهقي : السنن الكبرى ٨٤/٧، حديث ١٣٣٤٢.سنن الترمذي ٣٢/٦، حديث ٣٦٣٤. الجامع الصحيح للسيرة النبوية ٥٨١/٣.

(٣) الصحيح من احاديث السيرة النبوية ٣٣/١. المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ١١٨/١. جامع الأصول ٥١٥/٢. العمري : السيرة النبوية الصحيحة ١٢٩/١. السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي ١١/١.

(٤) ابن كثير : السيرة النبوية ٣٣٨/١. المنهاج شرح صحيح مسلم ٢١/١٥.شرح بلوغ المرام ٢/١٥٨.

المبحث الثاني

المستفاد من حياة الرسول ﷺ من الميلاد إلى البعثة

المستفاد من نسب النبي محمد ﷺ :

١ـ يتضح لنا من نسبه الشريف، دلالة واضحة على أن الله سبحانه وتعالى ميز العرب على سائر الناس، وفضل قريشًا على سائر القبائل الأخرى، ومقتضى محبة رسول الله ﷺ، محبة القوم الذين ظهر فيهم والقبيلة التي ولد فيها، لا من حيث الأفراد والجنس بل من حيث الحقيقة المجردة؛ ذلك لأن الحقيقة العربية القرشية، قد شرف كل منها – ولا ريب– بانتساب رسول الله ﷺ إليها، ولا ينافي ذلك ما يلحق من سوء بكل من قد انحرف من العرب أو القرشيين، عن صراط الله عز وجل، وانحط عن مستوى الكرامة الإسلامية التي اختارها الله لعباده، لأن هذا الانحراف أو الانحطاط من شأنه أن يودي بما كان من نسبة بينه وبين الرسول ﷺ ويلغيها من الاعتبار[١].

٢ـ طيب المعدن والنسب الرفيع يرفع صاحبه عن سفاسف الأمور ويجعله يهتم بمعاليها وفضائلها، والرسل والدعاة يحرصون على تزكية أنسابهم وطهر أصلابهم، ويُعرفون عند الناس بذلك فيحمدونهم ويثقون بهم[٢].

٣ـ أنه كلما كان الداعية إلى الله، أو المصلح الاجتماعي في شرف من قومه، كان ذلك

---

[١] البوطي: فقه السيرة النبوية، ص٥٠.

[٢] أبو فارس، محمد عبد القادر: السيرة النبوية، ص١٠٢.

أدعى إلى استماع الناس له، فإن من عادتهم أن يزدروا بالمصلحين والدعاة إذا كانوا من بيئة مغمورة، أو نسب وضيع، فإذا جاءهم من لا ينكرون شرف نسبه، ولا مكانة أسرته الاجتماعية بينهم، لم يجدوا ما يقولونه عنه إلا افتراءات يتحللون بها من الاستماع إلى دعوته، والإصغاء إلى كلامه، ولذلك كان أول ما سأل عنه هرقل أبا سفيان بعد أن أرسل الرسول ﷺ إلى هرقل كتابا يدعوه فيه إلى الإسلام هو وقومه: كيف نسبه فيكم؟ فأجاب أبو سفيان وهو يومئذ على شركه: هو من أشرفنا نسبا، ولما انتهى هرقل من أسئلته لأبي سفيان، وسمع جوابه عنها، أخذ يشرح له سر الأسئلة التي توجه بها إليه حول محمد « رسول الله ﷺ» فقال له هرقل: سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا.[1] صحيح أن الإسلام لا يقيم وزنا لشرف الأنساب تجاه الأعمال، ولكن هذا لا يمنع أن يكون الذي يجمع بين شرف النسب وشرف الفعل، أكرم وأعلى مكانا وأقرب نجاحا، كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا.

المستفاد من استكمال يُتْمْ النبي محمد ﷺ :

أن في تحمل الداعية آلام اليتم أو العيش، وهو في صغره ما يجعله أكثر إحساسا بالمعاني الإنسانية النبيلة، وامتلاءً بالعواطف الرحيمة نحو اليتامى أو الفقراء أو المعذبين، وأكثر عملا لإنصاف هذه الفئات والبر بها والرحمة لها، وكل داعية يحتاج لأن يكون لديه رصيد كبير من العواطف الإنسانية النبيلة التي تجعله يشعر بآلام الضعفاء والبائسين، ولا يوفر له هذا الرصيدَ شيءٌ مثلُ أن يعاني في حياته بعض ما

---

[1] رواه البخاري واللفظ له – كتاب بدء الوحي – باب كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟/الحديث/٧. وأخرجه الامام احمد في المسند، والترمذي (٢٧١٧) ، وابن منده في "الإيمان" (١٤٣) ، والبيهقي في "الدلائل" ٤/٣٨١-٣٨٣ من طرق عن الزهري، عن عبيد الله، عن ابن عباس، عن أبي سفيان.

يعانيه أولئك المستضعفون كاليتامى والفقراء والمساكين، لذلك اقتضت حكمة الله ان ينشأ رسوله يتيماً، تتولاه عناية الله وحدها، بعيداً عن الذراع التي تمعن في تدليله، والمال الذي يزيد في تنعيمه، حتى لا تميل به نفسه إلى مجد المال والجاه، وحتى لا يتأثر بما حوله من معنى الصدارة والزعامة، فيلتبس عن الناس قداسة النبوة بجاه الدنيا، وحتى لا يحسبوه يصطنع الأول ابتغاء الوصول إلى الثاني [1] وكانت المصائب التي أصابت النبيﷺ منذ طفولته كموت أمه ثم جده بعد أن حرم عطف الأب وذاق كأس الحزن مرة بعد مرة، كانت تلك المحن قد جعلته رقيق القلب مرهف الشعور، فالأحزان تصهر النفوس وتخلصها من أدران القسوة والكبر والغرور، وتجعلها أكثر رقة وتواضعاً[2].

الحكمة الإلهية من حادثة شق الصدر:

لاشك أن التطهير من حظ الشيطان هو إرهاص مبكر للنبوة، وإعداد للعصمة من الشر وعبادة غير الله، فلا يحل في قلبه إلا التوحيد الخالص، وقد دلت أحداث صباه على تحقق ذلك فلم يرتكب إثماً، ولم يسجد لصنم رغم انتشار ذلك في قريش.

ويبدو أن الحكمة في ذلك إعلان أمر الرسول ﷺ وتهيؤه للعصمة والوحي منذ صغره بوسائل مادية ليكون ذلك أقرب إلى إيمان الناس به وتصديقهم برسالته، إنها إذن عملية تطهير معنوي، ولكنها اتخذت هذا الشكل المادي الحسي، ليكون فيه ذلك الإعلان الإلهي بين أسماع الناس وأبصارهم[3]، إن إخراج العلقة منه تطهير

---

[1] البوطي: فقه السيرة، ص٥١.

[2] الصلابي: السيرة النبوية١/٥٤.

[3] البوطي: فقه السيرة، ص٥٢

للرسول ﷺ من حالات الصبا اللاهية العابثة المستهترة، واتصافه بصفات الجد والحزم والاتزان وغيرها من صفات الرجولة الصادقة، كما تدلنا على عناية الله به وحفظه له، وأنه ليس للشيطان عليه سبيل[1].

ما يستفاد من إرسال النبي ﷺ مع مرضعته حليمة إلى بادية بني سعد:

١- إن إرسال الأطفال مع المرضعات إلى البادية كان عادة قرشية تمارسها الأسر الموسرة في مكة، وقد ذُكر أن من أسباب هذه العادة حرص أهل مكة على ان ينشأ أطفالهم في جو صحي بعيد عن الوباء، ومن أجل أن يتعلموا فصاحة اللسان وخشونة العيش، لقد كان أهل مكة بحكم مركزها الديني والتجاري مدينة يلتقي فيها أناس من قبائل وأجناس مختلفة مما يؤثر على لهجات وعادات أهلها [2]، فضلاً عن احتمال نقل عدوى الأوبئة إلى أبنائها، فلا غرابة أن تحرص بعض العوائل الموسرة على إرسال أطفالها إلى البادية، وربما كان لأصول قبيلة قريش البدوية علاقة بهذه الممارسة حيث بقيت مرتبطة بأجواء البادية على الرغم من إقامتهم الطويلة نسبياً في مكة [3].

١ـ كلما عاش الداعية في جو أقرب إلى الفطرة، وأبعد عن الحياة المعقدة، كان ذلك أدعى إلى صفاء ذهنه، وقوة عقله وجسمه ونفسه، وسلامة منطقه وتفكيره، ولذلك أختار الله العرب لأداء رسالتهم كونهم أصفى نفوسا، وأسلم تفكيرا، وأقوم أخلاقا، وأكثر احتمالا لمكاره الحروب في سبيل دعوة الله ونشر رسالته في أنحاء

---

[1] أبو فارس، محمد عبد القادر: السيرة النبوية، ص١٠٧.
[2] العلي: محاضرات في تاريخ العرب، ص٢٣٣.
[3] الملاح: الوسيط في السيرة والخلافة الراشدة، ص٦٨.

العالم.

٢ـ اختار الله لحليمة هذا الطفل اليتيم وأخذته على مضض؛ لأنها لم تجد غيره، فكان الخير كل الخير فيما اختاره الله، وبانت نتائج هذا الاختيار مع بداية أخذه وهذا درس لكل مسلم بأن يطمئن قلبه إلى قدر الله واختياره والرضا به، ولا يندم على ما مضى، وعلى ما لم يقدره الله تعالى له.

المستفاد من سفر النبي ﷺ للتجارة :

١- إن الأمانة والصدق أهم مواصفات التاجر الناجح، وصفة الأمانة والصدق في التجارة في شخصية النبي ﷺ ، هي التي رغبت السيدة خديجة في أن تعطيه مالها ليتاجر به ويسافر به إلى الشام، فبارك الله لها في تجارتها[١]، وفتح الله لها من أبواب الخير ما يليق بكرم الكريم.

٢- إن التجارة مورد من موارد الرزق التي سخرها الله لرسوله ﷺ قبل البعثة، وقد تدرب النبي ﷺ على فنونها، وقد بين النبي ﷺ أن التاجر الصدوق الأمين في هذا الدين يُحشر مع الصديقين والشهداء والنبيين، وهذه المهنة مهمة للمسلمين ولا يقع صاحبها تحت إرادة الآخرين واستعبادهم وقهرهم وإذلالهم، فهو ليس في حاجة إليهم، بل هم في حاجة إليه وبحاجة إلى خبرته وأمانته وعفته[٢].

٣. ينبغي للمسلم أن يعتمد في معيشته على جهده الشخصي، أو مورد شريف لا استجداء فيه، ولا ذلة ولا مهانة، على أن لا يُفهم من هذا الكلام ان يبتعد المسلم

---

[١] طقوش: السيرة النبوية الشريفة، ص ٤٩.

[٢] الصلابي: السيرة النبوية ١/٦٣.

عن العمل كموظف في الدوائر الحكومية .

إن المسلمين العاملين في نشر الإسلام يربؤون بأنفسهم أن يعيشوا من صدقات الناس وعطاياهم، وأية كرامة تكون لهم في نفوس قومهم بعد أن يهينوا أنفسهم بذل السؤال والاستجداء ولو لم يكن صريحا مكشوفًا. فإذا وجدنا من يدعي الدعوة والإرشاد، وهو يستكثر من أموال الناس بشتى أنواع الحيل، فإننا نجزم بمهانة نفسه في نفسه، فكيف في نفوس قومه وجيرانه؟ ومن ارتضى لنفسه المهانة، فكيف يستطيع أن يدعو إلى مكارم الأخلاق، ويقف في وجه المفسدين، ويحارب الشر والفساد، ويبعث في الأمة روح الكرامة والشرف والاستقامة؟

٤. إن تجارب العاملين في نشر الإسلام ومعاشرة الجماهير، والتعرف على عوائد الناس وأوضاعهم ومشكلاتهم، لها أثر كبير في نجاح دعوتهم، فالذين يخالطون الناس في الكتب والمقالات دون أن يختلطوا بهم على مختلف اتجاهاتهم، قوم مخفقون في دعوة الإصلاح، لا يستمع الناس إليهم، ولا تستجيب العقول لدعوتهم، لما يرى فيهم الناس من جهل بأوضاعهم ومشكلاتهم، فمن أراد أن يصلح المتدينين عليه أن يعيش معهم في مساجدهم، ومجالسهم، ومجتمعاتهم، ومن أراد أن يصلح حال العمال والفلاحين، عليه أن يعيش معهم في مصانعهم وقراهم، بساتينهم، أراضيهم ومجالسهم، ومن أراد أن يصلح الأوضاع السياسية، عليه أن يختلط بالسياسيين، ويتعرف إلى تنظيماتهم، ويستمع لخطبهم، ويقرأ لهم برامجهم وأحزابهم، ثم يتعرف إلى البيئة التي يعيشون فيها، والثقافة التي نهلوا من معينها، والاتجاه الذي يندفعون نحوه، ليعرف كيف يخاطبهم بما لا تنفر منه نفوسهم، وكيف يسلك في إصلاحه معهم بما لا يدعوهم إلى محاربته عن كره نفسي، واندفاع عاطفي.

المستفاد من زواج الرسول ﷺ من السيدة خديجة :

١- قَدَّرَ الله سبحانه وتعالى لنبيه زوجة تناسبه وتؤازره، وتخفف عنه ما يصيبه، وتعينه على حمل تكاليف الرسالة وتعيش همومه[١].وخديجة مثلٌ طيب للمرأة التي تكمل حياة الرجل العظيم، إن أصحاب الرسالات يحملون قلوبًا شديدة الحساسية، ويلقون غَبنا بالغًا من الواقع الذي يريدون تغييره، ويقاسون جهادًا كبيرًا في سبيل الخير الذي يريدون فرضه، وهم أحوج ما يكونون إلى من يتعهد حياتهم الخاصة بالإيناس والترفيه، وكانت خديجة سباقة إلى هذه الخصال، وكان لها في حياة محمد صلى الله عليه وسلم أثر كريم[٢].

٢- يتضح للمسلم من خلال قصة زواج النبي ﷺ من السيدة خديجة، عدم اهتمام النبي ﷺ بأسباب المتعة الجسدية ومكملاتها، فلو كان مهتما بذلك كبقية الشباب لطمع بمن هي أقل منه سنًا، أو بمن لا تفوقه في العمر، وإنما رغب فيها النبي ﷺ لشرفها ومكانتها في قومها، فقد كانت تلقب في الجاهلية بالعفيفة الطاهرة.

٣- وفي زواج النبي ﷺ من السيدة خديجة ما يلجم ألسنة وأقلام الحاقدين على الإسلام وقوة سلطانه، من المستشرقين وعبيدهم العلمانيين، الذين ظنوا أنهم وجدوا في موضوع زواج النبي ﷺ مقتلا يصاب منه الإسلام، وصوروا النبي ﷺ في صورة الرجل الشهواني الغارق في لذاته وشهواته، فنجد أن النبي صلى الله عليه وسلم عاش إلى الخامسة والعشرين من عمره في بيئة جاهلية، عفيف النفس، دون

---

[١] أبو شهبة ، محمد: السيرة النبوية١/١٢٣.

[٢] الغزالي، محمد: فقه السيرة، ص٨٠.

أن ينساق في شيء من التيارات الفاسدة التي تموج حوله، كما أنه تزوج من امرأة لها ما يقارب ضعف عمره، وعاش معها دون أن تمتد عينه إلى شيء مما حوله، وإن من حوله الكثير وله إلى ذلك أكثر من سبيل، إلى أن يتجاوز مرحلة الشباب، ثم الكهولة، ويدخل في سن الشيوخ، وقد ظل هذا الزواج قائما حتى توفيت خديجة عن خمسة وستين عاما، وقد ناهز النبي عليه الصلاة والسلام الخمسين من العمر دون أن يفكر خلالها بالزواج بأي امرأة أخرى، وما بين العشرين والخمسين من عمر الإنسان هو الزمن الذي تتحرك فيه رغبة الاستزادة من النساء والميل إلى تعدد الزوجات للدوافع الشهوانية.

ولكن النبي ﷺ لم يفكر في هذه الفترة بأن يضم إلى خديجة مثلها من النساء: زوجة أو أمة، ولو أراد لكان الكثير من النساء والإماء طوع بنانه.

أما زواجه بعد ذلك من السيدة عائشة وغيرها من أمهات المؤمنين فإن لكل منهن قصة، ولكل زواج حكمة وسبب، يزيدان في إيمان المسلم بعظمة محمد ﷺ ورفعة شأنه وكمال أخلاقه[1].

٣ـ اقتضت الحكمة الإلهية، ألا يعيش له ﷺ أحد من الذكور حتى لا يكون مدعاة لافتتان بعض الناس بهم، وادعائهم لهم النبوة، فأعطاه الذكور تكميلا لفطرته البشرية، وقضاء لحاجات النفس الإنسانية، ولئلا ينتقص النبي في كمال رجولته شانئ، أو يتقول عليه متقول، ثم أخذهم في الصغر، وأيضا ليكون ذلك عزاء وسلوى للذين لا يرزقون البنين، أو يرزقون ثم يموتون، كما أنه لون من ألوان الابتلاء، وأشد الناس بلاء الأنبياء، وكأن الله أراد للنبي ﷺ أن يجعل الرقة الحزينة

---

[1] البوطي: فقه السيرة النبوية، ص٥٤.

جزءاً، من كيانه؛ فإن الرجال الذين يسوسون الشعوب لا يجنحون إلى الجبروت، إلا إذا كانت نفوسهم قد طبعت على القسوة والأثرة، وعاشت في أفراح لا يخامرها كدر، أما الرجل الذي خبر الآلام فهو أسرع الناس إلى مواساة المحزونين ومداواة المجروحين[1].

المستفاد من التحنث في غار حراء :

١- يجب على الداعية إلى الله أن تكون له بين الفينة والفينة أوقات يخلو فيها بنفسه، تتصل فيها روحه بالله جل شأنه، وتصفو فيها نفسه من كدورات الأخلاق الذميمة، والحياة المضطربة من حوله، ومثل هذه الخلوات تدعوه إلى محاسبة نفسه إن قصرت في خير، أو زلت في اتجاه، أو جانبت سبيل الحكمة، أو أخطأت في سبيل أو منهج أو طريق، أو انغمست مع الناس في الجدال والنقاش حتى أنسته ذكر الله والأنس به وتذكر الآخرة، وجنتها ونارها، والموت وغصصه وآلامه، ولذلك كان التهجد وقيام الليل فرضا في حق النبي ﷺ، مستحبا في حق غيره ، وأحق الناس بالحرص على هذه النافلة هم الدعاة إلى الله وشريعته وجنته، وللخلوة والتهجد والقيام لله بالعبودية في أعقاب الليل لذة لا يدركها إلا من أكرمه الله بها، وقد كان إبراهيم بن أدهم رحمه الله يقول في أعقاب تهجده وعبادته: نحن في لذة لو عرفها الملوك لقاتلونا عليها.

٢ـ من سنن النبي ﷺ سنة الاعتكاف في رمضان وهي مهمة لكل مسلم سواء كان حاكمًا أو عالمًا، أو قائدًا، أو تاجرًا.. لتنقية الشوائب التي تعلق بالنفوس والقلوب،

---

[1] الغزالي: فقه السيرة، ص٨٢.

ونصحح واقعنا على ضوء الكتاب والسنة، ونحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب[1].

وقد أخذ بعض أهل السلوك إلى الله فكرة الخلوة مع الذكر والعبادة في مرحلة من مراحل السلوك، لتنوير قلبه وإزالة ظلمته وإخراجه من غفلته وشهوته وهفوته.

٣ـ يمكن لأهل فقه الدعوة أن يعطوا لأنفسهم فترة من الوقت للمراجعة الشاملة والتوبة، والتأمل في واقع الدعوة وما هي عليه من قوة أو ضعف واكتشاف عوامل الخلل، ومعرفة الواقع بتفاصيله، خيره وشره.

ما يستفاد من عمل النبي في رعي الغنم :

١- إن إقبال النبي ﷺ على رعي الأغنام لقصد كسب القوت والرزق يدل على شهامة في الطبع وبر في المعاملة، وبذل للوسع[2].

٢- لقد كان سهلاً على الله أن يهيئ للنبي ﷺ، وهو في صدر حياته من أسباب الرفاهية ووسائل العيش ما يغنيه عن الكدح ورعاية الأغنام سعيًا وراء الرزق، ولكن الحكمة الربانية تقتضي منا أن نعلم أن خير مال الإنسان ما اكتسبه بكد يمينه ولقاء ما يقدمه من الخدمة لمجتمعه وبني جنسه[3].

٣- مهنة الرعي تحتاج إلى الصبر والتحمل، فالراعي يعيش في جو حار شديد

---

(١) الغضبان، منير محمد: فقه السيرة، معهد البحوث واحياء التراث مكة المكرمة، ص٤٩.

قلت: جاء في كتاب الزهد لأحمد بن حنبل رحمه الله، بتحقيق: يحيى بن محمد سوس، دار ابن رجب، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣ م، ص٢٣٠.

٦٣٣- عَنْ ثَابِتِ بْنِ الْحَجَّاجِ قَالَ: قَالَ عُمَرُ رَحِمَهُ اللَّهُ: حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُوزَنُوا ، فَإِنَّ أَهْوَنَ عَلَيْكُمْ فِي الْحِسَابِ غَدًا أَنْ تُحَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ وتَزِنُوا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾(الحاقة/١٨).

(٢) البوطي: فقه السيرة النبوية ، ص٤٩ .

(٣) الصلابي: السيرة النبوية١/ ٧٤.

الحرارة، وبخاصة في الجزيرة العربية، ويحتاج إلى الماء الغزير ليذهب ظمأه، وهو لا يجد إلا الخشونة في الطعام وشظف العيش، فينبغي أن يحمل نفسه على تحمل هذه الظروف القاسية، ويألفها ويصبر عليها[1].

٤- طبيعة عمل الراعي يركز في نفسه خلق التواضع، فخدمة الغنم، والإشراف على ولادتها، والقيام بحراستها والنوم بالقرب منها، وربما أصابه ما أصابه من رذاذ بولها أو شيء من روثها فلم يتضجر من هذا ويبعد عن نفسه الكبر والكبرياء .

٥- طبيعة عمل الراعي الاصطدام بالوحوش المفترسة، فلا بد أن يكون على جانب كبير من الشجاعة تؤهله للقضاء على الوحوش ومنعها من افتراس أغنامه[2].

٦- إن الراعي يقوم بمقتضى عمله في مساعدة الغنم إن هي مرضت أو كُسرت أو أصيبت، وتدعو حالة مرضها وألمها إلى العطف عليها وعلاجها والتخفيف من آلامها، فمن يرحم الحيوان يكون أشد رحمة بالإنسان، وبخاصة إذا كان رسولاً أرسله الله تبارك وتعالى لتعليم الإنسان، وإرشاده وإنقاذه من النار وإسعاده في الدارين[3].

المستفاد من قصة الراهب بحيرا:

١- أن الصادقين من رهبان أهل الكتاب يعلمون أن محمدًا ﷺ هو الرسول للبشرية، وعرفوا ذلك لما وجدوه من أمارات وأوصاف عنه في كتبهم.

---

[1] أبو فارس، محمد عبد القادر: السيرة النبوية، ص١١٥.

[2] أبو فارس، محمد عبد القادر: السيرة النبوية، ص١١٤.

[3] الصلابي: السيرة النبوية١/٧٣.

٢- إثبات تظليل الغمام وميل فيء الشجرة للنبي ﷺ.

٣- اطلع النبي ﷺ خلال اسفاره وتجواله مع عمه على تجارب الآخرين وخبراتهم واستفاد من آرائهم وخاصة من شيوخ وسادة قريش.

٤- حذر بحيرا من النصارى، وناشد عمه ألا يذهب به إلى الروم، فإن الروم إذا عرفوه بالصفة يقتلونه لقد كان الرومان على علم بأن مجيء هذا الرسول سيقضي على نفوذهم الاستعماري في المنطقة [١].

[١] المصدر نفسه ١/٧٧.

الفصل الثاني

الدعوة الاسلامية في مكة

تمهيد :

دَرَجَ البَاحِثُون فِي تَارِيخِ الدَّعْوَةِ الإِسْلامِيَّةِ فِي عَصْرِ الرِّسَالَةِ عَلَى دِرَاسَتِهَا فِي إِطَار عَهْدَينِ مُتكَامِلَينِ وَمُتَمَايزَينِ، العَهْد المكِّي وَالعَهْد الْمَدَنِيّ، وَيُقْسَم العَهْد المَكِّي إِلى مَرْحَلَتَينِ رَئِيسِيتَينِ هُمَا:

مَرْحَلة سِّريَّةِ الدَّعْوَة الَّتِي بَدَأتْ بِنزولِ الْوَحْي عَلَى الرَّسُولِ ﷺ فِي سَنَةِ ٦٠٩م وانْتَهَتْ فِي سَنَةِ ٦١٢م .

أَمَّا المَرْحَلَة الثَّانِيَة، وَهِيَ مَرْحَلَة عَلَنِيَّةِ الدَّعْوَة، فَتَبْدَأ مِنْ سَنَةِ ٦١٢م وَتَستَمِر حَتَّى هِجْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَى المَدينَةِ فِي سَنَةِ ٦٢٢م. وَقَدْ وَاجَه رَسُولُ اللهِ ﷺ المُشْرِكينَ وَأَسْمَعَهُمْ صَوت الدَّعْوَة، وَكَانَ لِلمُشْرِكِينَ مَوَاقِف مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَمِنْ دَعْوَتِه، وَلِغَرَضْ التَّعَرف عَلَى أَهَمِ احْدَاثِ العَهْدِ المَكِّي وَمَا يُسْتَفَاد مِنْهَا، فَقَد ارْتَأيتُ تَقْسيم هَذَا الفَصْلِ إِلَى مَبْحَثِينِ وَعَلَى النَّحْوِ التَّالِي :ـ

المبحث الأول : أحداث العهد المكي .

المبحث الثاني : المستفاد من أحداث العهد المكي .

المبحث الأول

أحداث العهد المكي

الدعوة السرية :

بَدأ ﷺ دَعوتَهُ المُباركةِ بصورةٍ سريةٍ وفرديةٍ واسْتَمرت الدَّعْوة بِهَذِه الصِيغَةِ الفَرْدِيَّةِ السِّرِيَّة فِي مَكَّة لِبِضْعِ سِنين[1].

وَتُسَمى هَذهِ المَرْحَلَة مِنَّ الدَّعْوةِ بِالعَهْدِ المَكِي كَمَا تُسمى بالمَرْحَلَةِ السِّرِّيَة. والحقيقة إنَّ إطلاق أسْم العهد المَكْي يَشْمل الدعوة مُدَةَ بَقائِهِ ﷺ في مَكة، ودعوتِهِ في مَكَّة كَانَ مِنْهَا دَعْوَة سِريَّة.

وَكَانَتْ مَكَّةَ تَخْضَعُ لقُرَيْشٍ بِعَشَائِرِهَا الأربَعَ عَشْرَة الَّتِي كَانَ لِكُلٍّ مِنْهَا كِيَانَها الخَاص مَع تَحَالُفِها ضِمنَ الإطارِ العامِ لقبيلةِ قُرَيْشٍ.

كَانَ مِنَ المُتَوَقع أَنْ يَنْتَشِر الْإِسْلَام فِي عَشِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ فِي قُرَيْشٍ الَّتِي يَنْتَمي إِلَيْهَا أَخْيراً، غَيْرَ أَنَّ انْتِشَارِ الْإِسْلَام لَمْ يَرْتَبِطْ بِالعَشَائِرِيَّةِ وَلا بالْعَصَبِيَّةِ الْقَبْلِيّة. وَرُغْمَ أن بَنْي هاشِمْ قَدْ تَعَاطَفُوا مَع الرَّسُولِ ﷺ فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَدْفَعَهُم إلى الدخولِ في الْإِسْلَام أكثرَ مِنْ غَيْرِهم. وانْتَشَر الْإِسْلَام في هذهِ المَرحلَةِ في سائرِ عَشائِر قُرَيْش

---

[1] المرويات التي أوردها ابن إسحاق والواقدي حددت الفترة بثلاث سنين: ابن سعد- الطبقات ١/ ١٩٩، ابن هشام- السيرة النبوية ١/ ٢٦٢، وحددها البلاذري في أنساب الأشراف (١/ ١١٦) بأربع سنين. ولا ريب أن الدعوة كانت سرية في بداية الأمر، لكن تحديدها بثلاث سنوات أو أربع، لم يثبت، وبالتالي فإن بناء أحكام شرعية عليها بهذا التحديد، لا دليل عليه والله أعلم.

بِشَكْلٍ مُتَوازِنْ وَهوَ أمرٌ يُخَالِف طَبْيعَة الْحَيَاة البَدَويَّةِ وَالنَّظْرَةِ الْقَبْلِيّةَ. ولعلَّ ذلكَ قَدْ أعانَ على انتشارِ الْإِسْلَامِ بين مُخْتلف العَشائر دونَ تَحفظاتٍ عَصَبية، ولو دَققنا في انتماءاتِ كلٍ مِنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ التَيْمِي، وعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ الأُمَوي ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ الأسَدِي ، وعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبِ الهَاشِميِّ، ومُصعَب بْنُ عُمَيْر الدارِيِّ، وعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ العدويِّ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفِ الزُهْري ، وَعُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونِ الجُمَحي[1]، لتبين لنا ذلك. وإضافة إلى هؤلاء فقد خرج اعتناق الإسلام عن إطار رجالات قُرَيْش ، فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودِ مِنْ هُذَيْلٍ[2]، وعُتْبَة بْنُ غَزْوان[3] مِنْ مازِنْ، وعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ مِنْ مَذْحِجَ [4]، وزيد بْنُ حَارِثَة مِنْ كلب[1]، والطُفَيْل بْنُ عَمْرِو[2]

---

[1] ويكنى أَبَا السَّائِب. وَأمه سخيلة بنت العنبس بن أهبان بن حذافة بن حجح. وَهِي أم السَّائِب وَعبد الله. وَأسلم عُثْمَان بن مَظْعُون بعد ثَلَاثَة عشر رجلا، وَهَاجَر الهجرتين وَشهد بَدْرًا. وَكَانَ أول رجل مَاتَ بِالْمَدِينَةِ من الْمُهَاجِرين بعد مَا رَجَعَ من بدر، وَكَانَ أول من دفن ببقيع الْغَرْقَد.

وَكَانَ عُثْمَان بن مَظْعُون أحد من حرم الْخمر فِي الْجَاهِلِيَّة، وَقَالَ: لَا أشْرب شرابًا يذهب عَقْلِي، ويضحك بى من هُوَ أدنى منى، ويحملني على أَن أنكح كَرِيمَتي. فَلَمَّا حرمت الْخمر أَتَى وَهُوَ بالعوالي، فَقيل لَهُ: يَا عُثْمَان، قد حرمت: فَقَالَ: تبًّا لَهَا، قد كَانَ بصرى فِيهَا ثاقبا (وَفِي هَذَا نظر لِأَن تَحْرِيم الْخمر عِنْد أَكْثَرهم بعد أحد) . انظر:الاستيعاب في معرفة الاصحاب ٣/١٠٥٤.

[2] أبو عبد الرحمن بن الهذلي، حليف بني زهرة، وَكَانَ أبوه مَسْعُود بْن غافل قد حالف فِي الجاهلية عَبْد الله بن الحارث ابن زهرة، وأم عَبْد اللَّهِ بْن مَسْعُود أم عبد بِنْت عبد ود بْن سواء بْن قريم ابن صاهلة من بني هذيل أيضا، وأمها زهرية قيلة بِنْت الْحَارِث بْن زهرة.

كان إسلامه قديما فِي أول الإسلام فِي حين أسلم سَعِيد بْن زَيْد وزوجته فاطمة بِنْت الخطاب قبل إسلام عُمَر بزمان، وَكَانَ سبب إسلامه أَنَّهُ كَانَ يرعى غنما لعقبة بْن أَبِي معيط، فمر بِهِ رَسُول اللَّهِ ﷺ، وأخذ شاة حائلا من تلك الغنم، فدرت عَلَيْهِ لبنا غزيرا. انظر: الاستيعاب في معرفة الاصحاب ٣/٩٨٧.

[3] كان إسلامه بعد ستة رجال، فهو سابع سبعة فِي إسلامه. وقد قَالَ ذَلِكَ فِي خطبته بالبصرة: ولقد رأيتني مع رَسُول اللَّهِ ﷺ سابع سبعة، مَا لنا طعام إلا ورق الشجر، حَتَّى قرحت أشداقنا. هاجر فِي أرض الحبشة وَهُوَ ابْن أربعين سنة، ثُمَّ قدم على النَّبِيّ ﷺ وَهُوَ بمكة، وأقام معه حَتَّى هاجر إِلَى المدينة مع المقداد بْن عَمْرو، ثُمَّ شهد بدرا والمشاهد كلها، مات بالربذة سنة خمس عشرة وَهُوَ ابْن سبع وخمسين سنة بالمدينة. انظر: الاستيعاب في معرفة الاصحاب ٣/١٠٢٦.

[4] وَكَانَ عمار وَأمه سميَّة مِمَّن عذب فِي الله، ثمَّ أَعْطَاهُم عمار مَا أَرَادوا بِلِسَانِهِ، وَاطْمَأَنَّ بِالْإِيمَان قلبه، فَنزلت فِيهِ: إِلَّا من أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ ١٦: ١٠٦. وَهَاجَر عمار إِلَى أَرض الْحَبَشَة، وَلَقَد شهد بَدْرًا والمشاهد

مِنْ دوس، وعَبْدُ اللَّهِ بْنُ قيس مِنْ الأشْعَرِيين[٣]، وَهَكَذا فَلَمْ يَقْتَصِرْ اعْتِنَاق الْإِسْلَامِ على أفْرَاد يَنْتَمونَ إِلَى قُرَيْش أَو يُقِيمونَ فِي مَكَّةَ[٤].

كلهَا، وأبلى ببدر بلَاء حسنا، ثمَّ شهد الْيَمَامَة فأبلى فِيهَا أَيْضا، ويومئذ قطعت أُذُنه، وَقيل فِي صفّين، وَكَانَت سنه إِذْ ذَاك تزيد على التسعين.

وَقَالَ الْوَاقِدِيّ، وَطَائِفَة من أهل الْعلم بِالنّسَبِ وَالْخَبَر: «إِن ياسرا وَالِد عمار عرنى قحطانى مذحجى من عنس فِي مذْحج، إِلَّا أَن ابْنه عمارا مولى لبني مَخْزُوم، لِأَن أَبَاهُ ياسرا تزوج أمة لبَعض بنى مَخْزُوم، فَولدت لَهُ عمارا، وَذَلِكَ أَن ياسرا وَالِد عمار قدم مَكَّة مَعَ أَخَوَيْنِ لَهُ، أَحدهمَا يُقَال لَهُ الْحَارِث وَالثَّانِي مَالك، فِي طلب أَخ لَهُم رَابِع، فَرجع الْحَارِث وَمَالك إِلَى الْيمن، وَأَقَام يَاسر بِمَكَّة، فحالف أَبَا حُذَيْفَة بن الْمُغيرَة بن عبد الله بن عمر بن مَخْزُوم، فَزَوجهُ أَبُو حُذَيْفَة أمة لَهُ يُقَال لَهَا سميَّة بنت خياط فَولدت لَهُ عمارا، فَأعْتقهُ أَبُو حُذَيْفَة، فَمن هَذَا هُوَ عمار مولى لبني مَخْزُوم ... وللحلف وَالْوَلَاء الَّذِي بَين بنى مَخْزُوم وَابْن عمار وَأَبِيهِ يَاسر كَانَ اجْتِمَاع بنى مَخْزُوم إِلَى عُثْمَان حِين نَالَ من عمار غلْمَان عُثْمَان، مَا نالوا من الضَّرْب حَتَّى انفتق لَهُ فتق فِي بَطْنه. فاجتمعت بَنو مَخْزُوم وَقَالُوا: وَالله لَئِن مَاتَ مَا قتلنَا بِهِ أحدا غير عُثْمَان» . انظر: الاستيعاب في معرفة الاصحاب ١١٣٥/٣.

(وقال عن نفسه رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَمَا مَعَهُ إِلَّا خَمْسَةُ أَعْبُدٍ , وَامْرَأَتَانِ , وَأَبُو بَكْرٍ). صحيح البخاري :كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذا خليلا ٥/٥، حديث ٣٦٦٠.

[١] أبو أسامة مولى رَسُول اللَّهِ ﷺ، هو زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزي بن امرئ القيس . خَرَجَتْ سُعْدَى بِنْتُ ثَعْلَبَةَ أُمُّ زَيْدِ بن حارثة، وهي امرأة من بني طى تَزُورُ قَوْمَهَا، وَزَيْدٌ مَعَهَا، فَأَغَارَتْ خَيْلٌ لِبَنِي الْقَيْنِ بْنِ جَسْرٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَمَرُّوا عَلَى أَبْيَاتِ مَعْنٍ- رَهْطِ أُمِّ زَيْدٍ، فَاحْتَمَلُوا زَيْدًا وَهُوَ يَوْمَئِذٍ غُلامٌ يَفَعَةٌ، فَوَافَوْا بِهِ سُوقَ عُكَاظٍ، فَعَرَضُوهُ لِلْبَيْعِ، فَاشْتَرَاهُ مِنْهُمْ حَكِيمُ بْنُ حِزَامِ بْنِ خُوَيْلِدٍ لِعَمَّتِهِ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ بأربعمائة درهم. وشهد زيد بن حارثة بدرا، وزوجه رَسُول اللَّهِ ﷺمولاته أم أيمن، فولدت له أسامة بن زيد، وبه كان يكنى، وكان يقَالُ لزيد بن حارثة حب رَسُول اللَّهِ ﷺ. روى عنه ﷺأنه قَالَ: أحب الناس إلي من أنعم الله عليه وأنعمت عليه- يعني زيد بن حارثة- أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعم عليه رَسُول اللَّهِ ﷺ بالعتق.وقتل زيد بن حارثة بمؤتة من أرض الشام سنة ثمان من الهجرة. انظر: الاستيعاب في معرفة الاصحاب ٥٤٦/٢.

[٢] أسلم وصدق النبي ﷺبمكة، ثم رجع إلى بلاد قومه من أرض دوس، فلم يزل مقيما بها حتى هاجر رسول الله ﷺ، ثم قدم على رسول الله ﷺ وهو بخيبر بمن تبعه من قومه، فلم يزل مقيما مع رَسُول اللَّهِ ﷺحتى قبض ﷺ، ثم كان مع المسلمين حتى قتل باليمامة شهيدا. انظر: الاستيعاب في معرفة الاصحاب ٧٥٨/٢.

[٣] هو من ولد الأشعر بن أدد بن زيد بن كهلان، وقيل: هُوَ من ولد الأشعر بْن سبأ أخي حمير بْن سبأ، وأمه ظبية بِنْت وَهْب بْن عك. ذكر الْوَاقِدِيّ أن أبا موسى قدم مكة، فحالف سعيد بن الْعَاص بْن أُمَيَّة أَبَا أحيحة، وَكَانَ قدومه مع إخوته فِي جماعة من الأشعريين، ثُمَّ أسلم وهاجر إِلَى أرض الحبشة. وقال ابْن إِسْحَاق: هُوَ حليف آل عُتْبَة بْن رَبِيعَة، وذكره فيمن هاجر من حلفاء بني عبد شمس إِلَى أرض الحبشة. انظر: الاستيعاب في معرفة الاصحاب ٩٧٩/٣.

[٤] نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ٢١٣/١.

المسلمون الأولون في المرحلة السرية :

لَقَدْ كانتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَوَّلَ مَنْ آمن بمحمدٍ ﷺ مِنَ البَشَرِ كَمَا هُوَ وَاضِحٌ مِنْ حَديثِ بَدْءِ الوَحْي عِنْدَمَا بَشَّرَته وَصَدَّقَتهُ فِيمَا أَخْبَرَهَا بِه، وخَدِيجَةُ « مَثَلٌ طَيِّبٌ لِلْمَرْأَةِ الَّتِي تُكَمّل حَيَاة الرَجُل الْعَظِيمِ. إنَّ أَصْحَاب الرِّسَالَاتِ يَحْمِلونَ قُلوبَاً شَديدَةَ الحَسَّاسِيَّةِ، ويَلْقَّونَ غُبْنَاً بَالِغَاً مِنَ الوَاقِعْ الَّذِي يُريدونَ تَغْيِيرَهُ، ويُقاسونَ جِهَادَاً كَبْيرَاً فِي سَبْيلِ الخَيرِ الَّذِي يُريدونَ فَرْضَهُ. وَهُمْ أَحْوَج مَا يَكونونَ إلى مَنْ يَتَعهدْ حَيَاتِهمْ الخَاصَّةِ بِالإيْنَاسِ وَالتَرفيهِ، بُلْهُ الإدْرَاك وَالمَعونَة! وَكَانَتْ خَدِيجَةُ سبّاقةً إلى هَذِه الخِصَالِ، وَكَانَ لَهَا فِي حَياةِ مُحَمَّد ﷺ أَثَرٌ كَرْيم» [1] ، وَلِذَلكَ نَالَتْ خَدِيجَةُ مَكَانَة عَليّة عِندَ رَبِّهَا ﷻ فقد ثبت في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: " أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ[2] لاَ صَخَبَ[3] فِيهِ، وَلاَ نَصَبَ[4] "[5] .

كَانَ أَوَّلَ ذَكَرٍ مِنْ النَّاسِ آمَنَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَصَلَّى مَعَهُ وَصَدَّقَ بِمَا جَاءَهُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ابْن هَاشِمٍ، رِضْوَانُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَوْمئِذٍ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ[6] . كما كان مِنْ أوائل من أَسْلَمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ مَوْلَى

---

[1] محمد الغزالي: فقه السيرة ، ص ٨٠.

[2] الْقصب : اللُّؤْلُؤُ الْمُجَوَّفُ.

[3] صخب: هو الصوت المختلط المرتفع.

[4] نصب: هو المشقة والتعب.

[5] متفق عليه : صحيح البخاري : باب تزويج النبي ﷺ خديجة ٣٩/٥، حديث ٣٨٢٠. صحيح مسلم: باب فضائل خديجة ام المؤمنين ١٨٨٧/٤ حديث ٢٤٣٢. النسائي : السنن الكبرى ٣٨٩/٧، حديث ٨٣٠٠. الحاكم : المستدرك ٢٠٣/٣، حديث ٤٨٤٨.

[6] الترمذي: الجامع ٥/ ٦٤٢، ابن هشام: السيرة ١/ ٢٤٥.الماوردي : اعلام النبوة ٢٤٠/١. إنارة الدجى

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ [1]. أما أَوَّلَ من أَسْلَمَ مِنْ الرجال مِنْ خارج بيت النبي ﷺ باتفاق الجمهور فهو أَبُو بَكْرٍ الصَدِّيق [2]، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ [3] رَجُلًا مَأْلَفًا [4] لِقَوْمِهِ، مُحَبَّبًا سَهْلًا، وَكَانَ أَنْسَبَ قُرَيْشٍ لِقُرَيْشٍ، وَأَعْلَمَ قُرَيْشٍ بِهَا، وَبِمَا كَانَ فِيهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَكَانَ رَجُلًا تَاجِرًا، ذَا خُلُقٍ وَمَعْرُوفٍ، وَكَانَ رِجَالُ قَوْمِهِ يَأْتُونَهُ وَيَأْلَفُونَهُ لِغَيْرِ وَاحِدٍ مِنْ الْأَمْرِ، لِعِلْمِهِ وَتِجَارَتِهِ وَحُسْنِ مُجَالَسَتِهِ، فَجَعَلَ يَدْعُو إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الْإِسْلَامِ مَنْ وَثِقَ بِهِ مِنْ قَوْمِهِ، مِمَّنْ يَغْشَاهُ وَيَجْلِسُ إِلَيْهِ. فَأَسْلَمَ على يَدَيْهِ، عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ[5]وَالزُّبَيْرُ[1] بْنُ الْعَوَّامِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ [2] بْنِ عَوْفٍ وَطَلْحَةُ [3] بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ

في مغازي خير الورى١/٥٧٢. ابن أبي عاصم: الآحاد والمثاني ١/١٤٨. المنة الكبرى شرح وتخريج السنن الصغرى ٥/٥٢٠.

[1] ابن هشام: السيرة ١/ ٢٤٧. السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي :١/٣٣٨.الطبراني : المعجم الكبير ٥/٨٤،حديث ٤٦٥٢. جامع الأصول في أحاديث الرسول ١٢/١١٨.

[2] أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي قُحَافَةَ، وَاسْمُهُ عَتِيقٌ، وَاسْمُ أَبِي قُحَافَةَ عُثْمَانُ بْنُ عَامِرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبٍ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: وَاسْمُ أَبِي بَكْرٍ: عَبْدُ اللَّهِ، وَعَتِيقٌ: لَقَبٌ لِحَسَنِ وَجْهُهُ وَعِتْقُهُ ، وَقيل سمى عتيقا، لِأَن أمه كَانَت لَا يعِيش لَهَا ولد، فنذرت إِن ولد لَهَا ولد أَن تسميه عبد الْكَعْبَة وَتَتَصَدَّق بِهِ عَلَيْهَا فَلَمَّا عَاشَ وشب سمى عتيقا كَأَنَّهُ أعتق من الْمَوْت، وَكَانَ يُسمى أَيْضا عبد الْكَعْبَة إِلَى أَن أسلم، فَسَماهُ رَسُول الله ﷺ: عبد الله. وَقيل سمى عتيقا، لِأَن رَسُول الله ﷺ قَالَ لَهُ حِين أسلم: أَنْت عَتِيق من النَّار، وَقيل بل كَانَ لِأَبِيهِ ثَلَاثَة من الْوَلَد: مُعتق ومعيتق وعتيق، وَهُوَ أَبُو بكر.

الفاكهي : اخبار مكة ٣/١٩١. ابن بطة :الإبانة الكبرى ٩/٤٣٧. الآجُرِّيُّ البغدادي: الشريعة ٤/١٧١٠. الحاكم : المستدرك ٣/١٤٧، حديث ٤٦٦٣.ابن أبي شيبة: المصنف ١٠/١٦٣. البيهقي : دلائل النبوة ٢/١٦٣.سنن الترمذي ٦/٩١.

[3] وَأم أَبِي بكر: أم الْخَيْر بنت صَخْر بن عَمْرو، بنت عَم أَبِي قُحَافَة، وَاسْمهَا سلمى، وَهِي من المبايعات، وَأم أَبِيه عُثْمَان أَبِي قُحَافَة: قيلة بنت أذاة بن رِيَاح بن عبد الله بن قرط، وَامْرَأَة أَبِي بكر، أم ابْنه عبد الله، قيلة بنت عبد الْعُزَّى.

[4] المألف: الّذي يألفه الْإِنْسَان.

[5] ويكنى عُثْمَان أَبَا عبد الله وَأَبا عَمْرو، كنيتان مشهورتان لَهُ، وَأَبُو عَمْرو أشهرهما، قيل إِنَّه ولدت لَهُ رقية بنت رَسُول الله ﷺابْنا فَسَماهُ عبد الله، واكتنى بِهِ وَمَات، ثمَّ ولد لَهُ عَمْرو، فاكتنى بِهِ إِلَى أَن مَاتَ رَحمَه الله. وَقيل إِنَّه كَانَ يكنى أَبَا ليلى. وَولد عُثْمَان فِي السّنة السَّادِسَة بعد الْفِيل، وَأمه أروى بنت كرز بن ربيعَة، وَأمّهَا الْبَيْضَاء أم حَكِيم بنت عبد الْمطلب عمَّة رَسُول الله ﷺ.

هَاجر إِلَى الْحَبَشَة فَارًّا بِدِينِهِ مَعَ زَوجته رقية، وَكَانَ أول خَارج إِلَيْهَا ثمَّ تَابعه سَائِر الْمُهَاجِرين. وَلم يشْهد بَدْرًا

وَسَعْدُ [٤] بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له فأسلموا» [٥]

لتخلفه على تمريض زَوجته رقية، وَكَانَت عليلة، فَأمره رَسُول الله ﷺ بالتخلف عَلَيْهَا.
وَقيل: بل تخلف لِأَنَّهُ كَانَ مَرِيضا بالجدري. وَهُوَ أحد الْعشْرَة الْمَشْهُود لَهُم بِالْجنَّةِ.انظر: سيرة ابن هشام ١/٢٥٠.

[١] ويكنى أَبَا عبد الله، وَأمه صَفِيَّة بنت عبد الْمطلب بن هَاشم، عمَّة رَسُول الله ﷺ.
وَأسلم الزبير وَهُوَ ابْن خمس عشرَة سنة، وَقيل وَهُوَ ابْن اثْنَتَيْ عشرَة سنة، كَمَا قيل إِنَّه أسلم هُوَ وعَلى وهما ابْنا ثَمَانِي سِنِين، وَولد الزبير هُوَ وعَلى وَطَلْحَة وَسعد بن أَبى وَقاص فِي عَام وَاحِد. وَلم يتَخَلَّف الزبير عَن غَزْوَة غَزَاهَا رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآخى رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَينه وَبَين عبد الله بن مَسْعُود حِين آخى بَين الْمُهَاجِرين بِمَكَّة، فَلَمَّا قدم الْمَدِينَة وآخى بَين الْمُهَاجِرين وَالْأَنْصَار آخى بَين الزبير وَبَين سَلمَة بن سَلامَة بن وقش، وَيُقَال إِن الزبير أول رجل سل سَيْفه فِي الْإِسْلَام، كَمَا يُقَال: إِنَّه كَانَ لَهُ ألف مَمْلُوك يؤدون إِلَيْهِ الْخراج، فَمَا يدْخل بَيته مِنْهَا دِرْهَم وَاحِد. يعْنى أَنه كَانَ يتَصَدَّق بذلك كُله. وَقتل رَحمَه الله فِي مُنْصَرفه من وقْعَة الْجمل، قَتله عميرَة بن جرموز وفضالة بن حَابِس ونقيع، وَكَانَت سنه إِذْ ذَاك سبعا وَسِتِّينَ، وَقيل سِتا وَسِتِّينَ.
وَكَانَ للزبير من الْوَلَد عشرَة: عبد الله وَعُرْوَة وَمصْعَب وَالْمُنْذر وَعَمْرو وَعبيدَة وجعفر وعامر وَعُمَيْر وَحَمْزَة.

[٢] ويكنى أَبَا مُحَمَّد، وَكَانَ اسْمه فِي الْجَاهِلِيَّة عبد عَمْرو، وَقيل عبد الْكَعْبَة، فَسَماهُ رَسُول الله ﷺ: عبد الرَّحْمَن.
وَأمه الشِّفَاء بنت عَوْف بن عبد بن الْحَارِث بن زهرَة. ولد بعد الْفِيل بِعشر سِنِين وَأسلم قبل أَن يدْخل رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَار الأرقم. وَكَانَ من الْمُهَاجِرين الْأَوَّلين، جمع الهجرتين جَمِيعًا، هَاجر إِلَى أَرض الْحَبَشَة، ثمَّ قدم قبل الْهِجْرَة وَهَاجَر إِلَى الْمَدِينَة. وآخى رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَينه وَبَين سعد بن الرّبيع. شهد بَدْرًا والمشاهد كلهَا مَعَ رَسُول الله ﷺ. وَبَعثه رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى دومة الجندل إِلَى بنى كلب، وَقَالَ لَهُ: إِن فتح الله عَلَيْك فَتزَوج بنت شريفهم، وَكَانَ الْأَصْبَغ بن ثَعْلَبَة الْكَلْبِيّ شريفهم، فَتزَوج بنته تماضر بنت الْأَصْبَغ، وَهِي أم ابْنه أَبى سَلمَة الْفَقِيه. وَتوفى عبد الرَّحْمَن بن عَوْف بِالْمَدِينَةِ سنة إِحْدَى وَثَلَاثِينَ، وَقيل سنة اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ، وَهُوَ ابْن خمس وَسبعين سنة، وَدفن بِالبَقِيعِ. انظر: سير اعلام النبلاء ١/٦٩.

[٣] وَأمه الحضرمية، اسْمهَا الصعبة بنت عبد الله بن عماد بن مَالك بن ربيعَة بن أكبر بن مَالك بن عويف بن مَالك بن الْخَزْرَج، وَيعرف أَبوهَا عبد الله بالحضرمي. ويكنى طَلْحَة أَبَا مُحَمَّد الْفَيَّاض. وَلما قدم طَلْحَة الْمَدِينَة آخى رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَينه وَبَين كَعْب بن مَالك، حِين آخى بَين الْمُهَاجِرين وَالْأَنْصَار. وَقتل طَلْحَة رَحمَه الله وَهُوَ ابْن سِتِّينَ سنة يَوْم الْجمل. انظر: الاستيعاب في معرفة الاصحاب ٢/٧٦٤.

[٤] وَأم سعد: حمدونة بنت سُفْيَان بن أُميَّة بن عبد شمس، ويكنى أَبَا إِسْحَاق، وَهُوَ أحد الْعشْرَة، دَعَا لَهُ النَّبِي ﷺأَن يسدد الله سَهْمه، وَأَن يُجيب دَعوته، فَكَانَ دعاؤه أسْرع الدُّعَاء إِجَابَة.وَفِي الحَدِيث أَن رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: احْذَرُوا دَعْوَة سعد، وَلَقَد مَاتَ سعد فِي خلَافَة مُعَاوِيَة. انظر: سيرة ابن هشام ١/٢٥١.

[٥] ابن هشام- السيرة ١/ ٢٥٠. الإشارة إلى سيرة المصطفى١/١٠٨، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي ١/٣٠٦.الندوي : السيرة النبوية ١/١٨٤.ابن حبان : السيرة النبوية وأخبار الخلفاء ١/٦٨. المقتفى من سيرة المصطفى ١/٥٤. الغضبان : المنهج الحركى للسيرة النبوية ١/٢٢.

. وتوالى إسلام الأفاضل من قريش، فأسلم جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ [١]،وَامْرَأَتُهُ أَسَمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ [٢]،وَالْأَرْقَمُ بْنُ أَبِي الْأَرْقَمِ ،وَعُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونِ ، وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ ، وَصُهَيْبُ بْنُ سِنَانٍ الرومي[٣].وبِلال بِنْ رَبَاحْ[٤]، وعُمَرَ بْنِ عَبْسَه السلمي[٥]،

---

[١] كان جعفر أشبه الناس خلقًا وخلقًا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان جعفر أكبر من علي رضي الله عنهما بعشر سنين. وكان جعفر من المهاجرين الأولين، هاجر إلى أرض الحبشة، ثم غزا غزوة مؤتة، وذلك سنة ثمان من الهجرة، وقاتل فيها جعفر حتى قطعت يداه جميعًا ثم قتل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله عز وجل أبدله بيديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء، فمن هنا قيل له جعفر ذو الجناحين.انظر :الاستعاب في معرفة الاصحاب ١/ ٢٤٢.

[٢] أخت ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وأخت لبابة أم الفضل زوجة العباس .كانت أسماء بنت عميس من المهاجرات إِلَى أرض الحبشة مَعَ زوجها جعفر بْن أبي طالب، فولدت له هناك محمدًا أَوْ عَبْد اللَّهِ وعونًا، ثم هاجرت إِلَى المدينة، فلما قتل جعفر بْن أبي طالب تزوجها أَبُو بَكْر الصديق، فولدت له مُحَمَّد بْن أبي بكر، ثم مات عنها فتزوجها عَلِيّ بْن أَبِي طَالِبٍ، فولدت له يَحْيَى بْن عَلِيّ بْن أَبِي طَالِبٍ، لا خلاف فِي ذلك. انظر:الاستعاب في معرفة الاصحاب ٤/ ١٧٨٤.

[٣] وَذَلِكَ أَن أَبَاهُ سِنَان بن مَالك، أَو عَمه، كَانَ عَاملا لكسرى على الأبلة، وَكَانَت مَنَازِلهمْ بِأَرْض الْمَوْصِل فِي قَرْيَة من شط الْفُرَات مِمَّا يَلِي الجزيرة والموصل، فأغارت الرّوم على تِلْكَ النَّاحِيَة فسبت صهيبا وَهُوَ غُلَام صَغِير، فَنَشَأَ صُهَيْب بالروم، فَصَارَ ألكن، فابتاعته مِنْهُم كلب، ثمَّ قدمت بِهِ مَكَّة، فَاشْتَرَاهُ عبد الله بن جدعَان التَّيْمِيّ مِنْهُم، فَأعْتقهُ، فَأَقَامَ مَعَه بِمَكَّة حَتَّى هلك عبد الله بن جدعَان، وَبعث النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَأما صُهَيْب وَولده، فيزعمون أَنه إِنَّمَا هرب من الرّوم حِين عقل وَبلغ، فَقدم مَكَّة فحالف عبد الله بن جدعَان، وَأَقَام مَعَه إِلَى أَن هلك.

[٤] يكنى أبا عَبْد الله، وقيل أبا عَبْد الكريم وقيل أبا عَبْد الرحمن وقال بعضهم: يكنى أبا عمرو ، وهو مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، اشتراه بخمس أواق، وقيل بسبع أواق، وقيل بتسع أواق ثم أعتقه، وكان له خازنا، ولرسول الله صلى الله عليه وَسَلَّمَ مؤذنًا، شهد بدرًا وأحدًا وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبيدة بن الحارث بن المطلب.كَانَ أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ الإِسْلامَ سبعَةٌ: رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلالٌ، وَالْمِقْدَادُ، فَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللَّهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ فَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرُعَ الْحَدِيدِ وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، فَمَا مِنْهُمْ إِنْسَانٌ إِلا وَقَدْ أَتَاهُمْ عَلَى مَا أَرَادُوا إِلا بِلالٌ، فَإِنَّهُ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللَّهِ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ مَكَّةَ، وَهُوَ يقول: أحد أحد.

مات بدمشق، ودفن عند الباب الصغير بمقبرتها سنة عشرين، وهو ابن ثلاث وستين سنة. وقيل: توفي سنة إحدى وعشرين وقيل: توفي وهو ابن سبعين سنة. انظر: الاستعاب في معرفة الاصحاب ١/ ١٧٨.

[٥] رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة، رقم: ٨٣٢ مطولا، وهذا

والمِقدادْ بْنِ الأسْوَد[1]،وخَبَّابُ بْنُ الْأَرَتِّ [2] [3] ، ويذكر أن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودِ

نصه:

قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ: كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «أَنَا نَبِيٌّ»، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي اللهُ»، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ، قَالَ: «أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ»، قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: «حُرٌّ، وَعَبْدٌ»، قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ، قَالَ: «إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي»، قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي وَقَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، وَكُنْتُ فِي أَهْلِي فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الْأَخْبَارَ ، وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، حَتَّى قَدِمَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةَ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ؟ فَقَالُوا النَّاسُ: إِلَيْهِ سِرَاعٌ وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ، فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: «نَعَمْ، أَنْتَ الَّذِي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ»، قَالَ: فَقُلْتُ: بَلَى .

[1] نسب إِلَى الأسود بْن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بْن زهرة الزهري، لأنه كَانَ تبناه وحالفه في الجاهلية، كَانَ قديم الإسلام، ولم يقدر عَلَى الهجرة ظاهرا، فأتى مع المشركين من قريش هُوَ وعتبة بْن غزوان ليتوصلا بالمسلمين، فانحازا إليهم، وذلك فِي السرية التي بعث فِيهَا رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عبيدة بْن الحارث إِلَى ثنية المرة، فلقوا جمعًا من قريش عليهم عكرمة بْن أبي جهل، فلم يكن بينهم قتال، غير أن سعد بْن أبي وقاص رمى يومئذ بسهم فكان أول سهم رمي به فِي سبيل اللَّه، وهرب عتبة بْن غزوان، والمقداد بْن الأسود يومئذ إِلَى المسلمين، وشهد المقداد فِي ذلك العام بدرًا، ثم شهد المشاهد كلها.

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: لَقَدْ شَهِدْتُ مِنَ الْمِقْدَادِ مَشْهَدًا لَأَنْ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشمس،وَذَلِكَ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَذْكُرُ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا وَاللَّهِ لا نَقُولُ لَكَ كَمَا قال أصحاب موسى لموسى: فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ. وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ مِنْ بَيْنَ يَدَيْكَ وَمِنْ خَلْفِكَ، وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ . قَالَ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُشْرِقُ وَجْهُهُ لِذَلِكَ، وَسَرَّهُ وَأَعْجَبَهُ وتوفي المقداد وَهُوَ ابْن سبعين سنة. انظر:الاستعاب في معرفة الاصحاب ١٤٨١/٤.

[2] اخْتلف فِي نسب خباب كَمَا ترى، فَقيل: إِنَّه خزاعيّ، وَقيل تميمى، وَالصَّحِيح أَنه تميمى النّسَب، لحقه سباء فِي الْجَاهِلِيَّة فاشترته امْرَأَة: (هِيَ أم أَنْمَار بنت سِبَاع الْخُزَاعِيَّة) من خُزَاعَة وأعتقته.

وَكَانَت من حلفاء بنى عَوْف بن عبد عَوْف بن عبد الْحَارِث بن زهرَة، فَهُوَ تميمى بِالنّسَبِ، خزاعيّ بِالْوَلَاءِ زهري بِالْحلف. وَهُوَ خباب بن الْأَرَت بن جندلة بن سعد بن خُزَيْمَة بن كَعْب بن سعد بن زيد مَنَاة بن تَمِيم وَكَانَ قينا يعْمل السيوف فِي الْجَاهِلِيَّة، وَقد شهد بَدْرًا، وَمَا بعْدهَا من الْمَشَاهد. ويكنى أَبَا عبد الله، وَقيل: أَبُو يحيى، وَقيل: أَبُو مُحَمَّد، وَكَانَ قديم الْإِسْلَام مِمَّن عذب فِي الله وصبر على دينه. نزل الْكُوفَة وَمَات بهَا سنة سبع وَثَلَاثِينَ. وَكَانَت سنه ثَلَاثًا وَسِتِّينَ. وَقيل: بل مَاتَ سنة تسع عشرَة بِالْمَدِينَةِ.

[3] العمري : السيرة النبوية الصحيحة ١٣٨/١ . السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية ٣٢٧/١.

أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وأنه أسْلَمَ وهوَ غُلام [1] .

دار الأرقم بن أبي الأرقم :

تَذْكُرُ كُتبُ السِّيرَة أَنَّ إِتخَاذ دَارِ الْأَرْقَمِ مَقرًا لِقيادَةِ الرَسُولِ ﷺ كَانَ بَعْدَ المُواجَهةِ الأولَى، التي بَرزَ فِيهَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذَا صَلَّوْا، ذَهَبُوا فِي الشِّعَابِ، فَاسْتَخْفَوْا بِصَلَاتِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ، فَبَيْنَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي شِعْبٍ مِنْ شِعَابِ مَكَّةَ، إِذْ ظَهَرَ عَلَيْهِمْ نَفَرٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ يُصَلُّونَ، فَنَاكَرُوهُمْ، وَعَابُوا عَلَيْهِمْ مَا يَصْنَعُونَ حَتَّى قَاتَلُوهُمْ، فَضَرَبَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ يَوْمَئِذٍ رَجُلًا مِنْ الْمُشْرِكِينَ بِلَحْيِ [2] فَشَجَّهُ، فَكَانَ أوّل دم هريق فِي الْإِسْلَامِ» [3].

أُصبَحتْ دَارِ الْأَرْقَمِ السَّرِيَّةِ مَرْكَزًا جَدْيدًا للدَعْوَةِ يَتَجمَعْ فِيْهِ المُسْلِمونَ، وَيتَلقونَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ كُلَّ جَديدٍ مِنَ الوَحْيِ، ويَسْتَمعونَ لَهُ ﷺ وَهوَ يُذَكِّرُهمُ بِاللهِ، وَيتْلو عَلَيهِمْ القُرآن، وَيضَعونَ بَينَ يَديهِ كُلَّ مَا فِي نُفوسِهِمْ وَواقِعِهِمْ فَيُرَبيهِمْ، عَلَيْهِ

---

[1] ابن سعد:الطبقات ٣/ ١٥٠ – ١٥١ .ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق :٣٣/٦٩.

[2] اللحى : العظم الذى على الخد، وهو من الإنسان العظم الذى تنبت عليه اللحية.

[3] ابن هشام : السيرة ١/٢٦٣. الجامع الصحيح للسيرة النبوية:٤/١٢٦٣. الرحيق المختوم ١/٨٠. بهجة المحافل وبغية الأماثل ١/٧٦. سبل الهدى والرشاد ٢/٣٢٠. سيرة ابن إسحاق : ١٤٧. محمد بن عبد الوهاب :مختصر سيرة الرسول ١/٨٥.

روى الامام الترمذي في السنن عن قيس بن أبي حازم قال: سمعت سعد بن أبي وقاص يقول إني لأول رجل أهراق دما في سبيل الله وإني لأول رجل رمى بسهل في سبيل الله ولقد رأيتني أغزو في العصابة من أصحاب محمد صلى الله عليه و سلم ما نأكل إلا ورق الشجر والحبلة حتى إن أحدنا ليضع كما تضع الشاة أو البعير وأصبحت بنو أسد يعزروني في الدين لقد خبت إذا وضل عملي.قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث بيان. وقال الشيخ الألباني: صحيح. أنظر :كتاب الزهد – باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ حديث٢٣٦٥ .

الصَلاةُ والسَلامُ عَلَى عَيْنِهِ. كَمَا تَرَبَى هَو عَلَى عَينِ اللهِ ﷻ، وأَصْبحَ هَذا الجَمْع هَو قُرةَ عَينِ النَبيِّ ﷺ[1].

اسباب اختيار دار الأرقم:

كَانَ إِخْتِيار دَارِ الْأَرْقَمِ لِعدةِ أَسْبابْ مِنْهَا:

١- إِنَّ الْأَرْقَمَ لَمْ يَكُنْ مَعْروفًا بِإِسْلامِه، فَما كَانَ يَخْطُر بِبالِ أَحدْ أَنْ يَتُمَّ لِقاءَ مُحَمَّدٍ ﷺ وأَصْحابِه بِدارِه.

٢- إِنَّ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ ﷺ مِنْ بَنْي مَخْزوم، وَقبيلةِ بَنْي مَخْزومِ هِيَ الَّتِي تَحْمِلُ لِواءَ التَنافُسِ والحَربُ ضِدَّ بَنْي هَاشِمْ. فَلوْ كَانَ الْأَرْقَم مَعْروفَاً بِإِسْلامِه فَلا يَخْطُرْ فِي البَالْ أَنْ يَكونَ اللِقاءَ فِي دارِه؛ لأَنَّ هَذا يَعْني أَنَّهُ يَتُمَّ فِي قَلْبِ صُفوفِ العَدوِ.

٣- إِنَّ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ كَانَ فَتىً عِنْدَ إِسْلامِه، فَلَقَدْ كَانَ فِي حُدودِ السَّادِسَةَ عَشَرَ مِنْ عُمرِه، وَيومَ تُفكِرُ قُرَيْش فِي البَحْث عَنْ مَركَزِ التَجمُعْ الإِسْلامِي، فَلنْ يَخْطِرَ فِي بَالِهَا أَنْ تَبْحثَ فِي بُيوتِ الفِتْيانِ الصِغارِ مِنْ أَصْحابِ مُحَمَّدٍ ﷺ بَلْ يَتجِه نَظرَهَا وَبَحْثَهَا إِلى بُيوتِ كِبارِ أَصْحابِه، أَو بَيْتِه هَو نَفْسهُ عَليه الصُلاةُ والسلامُ[2].

---

[1] الغضبان: التربية القيادية ١ /١٩٨. الصلابي : السِّيرةُ النّبوية ١/٩٥. عماد الدين خليل :دراسة في السيرة ، ص٥٣.

[2] الغضبان: التربية القيادية ١ /٤٩. الصلابي : السِّيرةُ النّبوية ١/٩٩.

الجهر بالدعوة :

لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ[1] الأَقْرَبِينَ[2]﴾ [3] صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: «يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ» - لِبُطُونِ قُرَيْشٍ - حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا[4] لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتَكُمْ[5] لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا[6] بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ[7] عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟» قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا[8]، قال: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ[9]عَذَابٍ شَدِيدٍ، إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ رَأَى الْعَدُوَّ، فَانْطَلَقَ يَرْبَأُ[10] أَهْلَهُ، فَخَشِيَ أَنْ يَسْبِقُوهُ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ[11]، يَا صَبَاحَاهُ[12]».

ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَأَنْذَرَهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، فَخَصَّ، وَعَمَّ، فَقَالَ:يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ[13]مِنَ اللهِ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ[14]

---

(١) عشيرتك: قومك وقبيلتك.

(٢) الأقربين: وهم بنو هاشم وبنو المطلب .

(٣) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٤) رسولا: من يستطلع له الخبر.

(٥) أرأيتكم: أخبروني.

(٦) خيلا: عليها فرسان يركبونها.

(٧) تغير: تهجم وتوقع بكم.

(٨)صحيح البخاري :كتاب تفسير القرآن، بَابٌ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ٦/١١١،حديث(٤٧٧٠).

(٩) بين يدي: قدام.

(١٠) يربأ :على وزن يقرأ معناه يحفظهم ويتطلع لهم ويقال لفاعل ذلك ربيئة وهو العين والطليعة الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم العدو ولا يكون في الغالب إلا على جبل أو شرف أو شيء مرتفع لينظر إلى بعد .

(١١)يهتف: معناه يصيح ويصرخ .

(١٢) يا صباحاه: كلمة يعتادونها عند وقوع أمر عظيم فيقولونها ليجتمعوا ويتأهبوا له.

(١٣) اشتروا أنفسكم: أنقذوها من النار بالإيمان والعمل الصالح.

(١٤) لا أملك لكم: معناه لا تتكلوا على قرابتي فإني لا أقدر على دفع مكروه يريده الله تعالى بكم .

مِنَ اللَّهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، ولَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا .يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا .يَا بَنِي مُرَّةَ بنِ كَعْبٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ.يَا مَعْشَرَ بَنِي قُصَيٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا.يَا مَعْشَرَ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، ولَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا .يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا بَنِي هَاشِمٍ، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ. يَا مَعْشَرَ بَنِي عَبْدِ المُطَّلِبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، ولَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا ، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا. يَا عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ المُطَّلِبِ، لَا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللهِ شَيْئًا. يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا.يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ، سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، إِنَّ لَكِ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلَالِهَا»[1].ولمَّا تَمَّ هَذَا الْإِنْذَار انْفَضَّ النَّاسُ وتَفَرَّقُوا،« فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ اليَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَنَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾[2] »[3] .

---

[1] سنن الترمذي٥/٣٣٨، حديث ٣١٨٥. صحيح مسلم :كتاب الايمان ، بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِين ١/١٩٢،حديث ٢٠٤. صحيح مسلم :كتاب الايمان ، بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِين ١/١٩٣،حديث٢٠٧. صحيح مسلم :كتاب الايمان ، بَابٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِين ١/١٩٢،حديث ٢٠٦. صحيح البخاري :كتاب الوصايا ، بَابٌ: هَلْ يَدْخُلُ النِّسَاءُ وَالوَلَدُ فِي الأَقَارِبِ٤/٦،حديث(٢٧٥٣).

[2] سورة المسد : الآية ٢.

[3]صحيح البخاري :كتاب تفسير القرآن، بَابٌ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ٦/١١١،حديث(٤٧٧٠).

لجوء قريش إلى ترويج الاتهامات الباطلة:

حاولت قريش ترويج الاتهامات الباطلة للقضاء على الدعوة الاسلامية في مهدها ،منها أنهم رُمُوا النَّبِيَّ بتهم هازلة ، وشتائم سفيهة ، فكَانُوا ينادوه بالْمَجْنُونِ ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[1]، ويصمونه بِالسِّحْرِ والْكَذِبِ ﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾[2] ، وكانوا يُشيِّعونه ويستقبلونَهُ بِنظراتٍ مُلتهمةٍ ناقمةٍ ، وعواطف مُنْفَعِلَةٍ هَائِجَةٍ﴿ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾[3] ، وكان إذا جلس وحوله الْمُسْتَضْعَفُونَ مِنْ أَصْحَابِهِ استهزأوا بهم وقالوا : هؤلاء جُلَسَاؤُهُ﴿مَنَّ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا ﴾[4]، قال تعالى﴿ أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ ، وكانوا كما قَصَّ اللَّهُ علينا﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾[5] . وقد أَكْثَرُوا من السُّخْرِيَةِ و الِاسْتِهْزَاءَ وزادوا مِنَ الطَّعْنِ والتضحيك شَيْئا فشيئاً حَتَّى أثر فِي نَفْسِ رَسُول الله ﷺ ، كما قال اللَّهُ تَعَالَى﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾، ثم ثَبَّتَهُ الله وأمره بما يَذْهَبُ بهذا الضّيق فقال : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾[6] ، وقد أخبره من قبل أنه

---

[1] سورة الحجر: الآية ٦.
[2] سورة ص:الآية ٤.
[3] سورة القلم: الآية ٥١.
[4] سورة الانعام: الآية ٥٣.
[5] سورة المطففين: الآيات ٢٩-٣٣.
[6] سورة الحجر: الآيتان ٩٨-٩٩.

يَكْفِيهِ هؤلاء الْمُسْتَهْزِئِينَ حيث قال: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [١] ، وأخبره أن فعلهم هذا سوف يَنْقَلِبُ وَبَالًا فقال : ﴿ وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾[٢].

وكانت قُرَيْش تقول عن الْقُرْآن: ﴿ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ﴾ [٣] يَرَاهَا مُحَمَّد بِاللَّيْلِ ويَتْلُوَهَا بِالنَّهَارِ ، ويَقُولُونَ: ﴿ بَلِ افْتَرَاهُ ﴾ [٤] مِنْ عِنْد نَفْسهِ ويَقُولُونَ : ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [٥] وقَالُوا: ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ [٦] أي اشْتَرَكَ هُوَ وزُملاؤهُ في اخْتِلاقِه ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [٧]، وأَحْيَانًا قَالُوا : إنَّ له جِنّاً أو شَّيْطانَاً عليه كما يَنْزِلُ الْجِنّ و الشَّيَاطِين على الْكُهَّانِ . قَالَ تَعَالَى رداً عليهم : ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (٢٢١) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [٨] ، أي إنها تَنْزِلْ على الْكذَّاب الْفَاجِر الْمُتلطِخْ بالذُنوبِ ، وما جَربتُمْ عليَّ كَذِباً ، وما وَجَدْتُمْ فيَّ فِسْقَاً ، فكيفَ تَجْعلونَ الْقُرْآن مِنْ تَنْزِيلِ الشَّيْطَان ؟ وأَحْيَانًا قَالُوا عن النَّبِيِّ ﷺ إنه مُصَابٌ بِنوعٍ مِنَ الْجُنُونِ ، فَهُوَ يَتَخيلْ الْمَعَانِي ، ثُمَّ يَصوغَها في كَلِماتٍ بديعةٍ رائعةٍ كما يَصْوغْ الشُّعَرَاء ، فهو شَاعِر وكَلَامَهُ شِعْر . قَالَ تَعَالَى رداً عليهم: ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ

---

[١] سورة الحجر: الآيتان ٩٥-٩٦.
[٢] سورة الانعام: الآية ١٠.
[٣] سورة الانبياء: الآية ٥.
[٤] سورة الانبياء : الآية ٥.
[٥] سورة النحل: الآية ١٠٣.
[٦] سورة الفرقان: الآية ٤.
[٧] سورة الفرقان: الآية ٥.
[٨] سورة الشعراء : الآيتان ٢٢١-٢٢٢.

وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾[١] .

هكذا كانَ يَرُدُّ عَليهِمْ بِجوابٍ مُقنعٍ حَولَ كُلِ شُبهةٍ كانوا يُثيرونَها ضِدَّ النَّبِيِّ ﷺ والْقُرْآنِ والإسْلامِ .أما شُبهاتِهم في رِسَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ فإنهم مع اعْترافِهِمْ بِصدقِ النَّبِيِّ ﷺ وأمانته وغايةِ صلاحهِ وتَقواه ، كانوا يَعْتقدونَ أنَّ مَنْصِبْ النُّبُوَّة والرِّسَالَةِ أجَّلُ وأعظمُ مِنْ أنْ يُعْطى لِبشرْ ، فالْبَشَر لا يكون رسولاً ، وَالرَّسُول لا يكون بشراً حَسبَ عَقيدتِهمْ ، فلمّا أعْلنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ نُبوتِهِ ، ودعا إلى الْإِيمَانِ بِهِ تَحيروا وقَالُوا : ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾[٢] ، وقالوا : إنَّ مُحَمَّدًاﷺ ﴿بَشَرٌ﴾ ، و ﴿ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ ﴾[٣]،فقَالَ تَعَالَى رداً عليهم: ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾ ، وكانوا يَعْرِفونَ ويَعْتَرفونَ بأنَّ موسى بَشَرٌ. وردَّ عليهمْ أيضاً بأنَّ كلُ قومٍ قَالُوا لُرسلِهِمْ إنْكاراً على رسالتهم : ﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا ﴾[٤]،فـ ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[٥] . فالْأَنْبِيَاء والرُّسُل لا يَكونونَ إلاّ بَشراً ، ولا منافاة بين الْبَشَرِيَّةِ والرِّسَالَةِ .

وانْتَقلوا بَعْدَ ذَلِكَ إلى شُبهَةٍ أُخرى ، قَالُوا : إنَّ رُسلِ مُلُوكِ الدُّنْيَا يَمشونَ في مَوكبٍ مِنْ الخَدمِ والحَشمِ ، ويَتمتعونَ بالأُبَهةِ و الْجَلَالِ ، ويُوَفِرُ لَهُمْ كُلَّ أَسْبَابَ الْحَيَاةِ ، فما بالُ مُحَمَّدٍ يَدْفعُ فِي الْأَسْوَاقِ للقْمَةِ عَيشٍ وَهوَ يَدْعيْ أَنهُ رَسُولُ اللَّهِ؟ ﴿ أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا

---

[١] سورة الشعراء: الآيات ٢٢٤ ـ ٢٢٦.
[٢] سورة الفرقان: الآية ٧.
[٣] سورة الانعام : الآية ٩١.
[٤] سورة ابراهيم: الآية ١٠.
[٥] سورة ابراهيم : الآية ١١.

مَسْحُورًا﴾ [1] ، وردَّ على شُبهَتِهم هذِه بأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولٌ ، يَعْني أَنَّ مُهِمَتهُ هيَ إبلاغُ رِّسَالَةَ الله إلى كُلِّ صَغيرٍ وكبيرٍ ، وضَعيفٍ وَقويٍ ، وشَريفٍ ووَضيعٍ ، وحُرٍّ وَعَبْدٍ ، فَلو لَبِثَ في الأُبهةِ والجَلَالِ والخَدمِ والحَشمِ والحَرسِ والمُواكبين مِثلَ رُسلِ المُلُوكِ ، لمْ يَكنْ يَصِل إليهِ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وصِغارهِمْ حتى يَسْتَفِيدُوا به ، وهُمْ جُمهورِ الْبَشَرِ ، وإِذَنْ فَاتَت مَصْلَحَةُ الرِّسَالَةِ ، ولَمْ تَعُدْ لَهَا فَائِدَةً تُذْكَر.

وكانوا يَطردونَ النَّاس ويُثيرونَ الشَغبْ والضَوضاءْ ويَتَغَنَّوْنَ ويَلْعَبُونَ ، وإِذَا رَأَوْا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَتَهَيَّأُ للدَعْوَةِ ، أو إِذَا رَأَوْهُ يُصَلِّي ويَتْلوا الْقُرْآن . قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ [2] حتى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَتَمَكَّنْ من تلاوة القرآن عَلَيهِمْ في مَجامِعهمْ ونَواديهِمْ إلاّ في أَوَاخِرِ السَّنَةِ الْخَامِسَةِ مِنَ النُّبُوَّةِ ، وذَلِكَ أيضاً عَنْ طَرِيقِ المُفاجأةِ ، دونَ أَنْ يَشْعُرُوا بِقَصْدِه قَبلَ بِدايةِ التِلاوَةِ . وَكَانَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ ، أحد شَيَاطِينِ قُرَيْشٍ قَدْ قَدِمَ الْحِيرَةَ ، وَتَعَلَّمَ بِهَا أَحَادِيثَ مُلُوكِ الْفُرْسِ، وَأَحَادِيثَ رُسْتُمَ وَاسْبِنْدِيَارَ ، فَكَانَ إِذَا جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسًا للتَذَكِّيَر باللَّه، وَالتحَذِّير مِنْ نِقْمَتِهِ خَلَفَهُ النَّضْرُ ويقول: أَنَا وَاللَّهِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَحْسَنُ حَدِيثًا مِنْهُ، ثُمَّ يُحَدِّثُهُمْ عَنْ مُلُوكِ فَارِسَ وَرُسْتُمَ وَاسْبِنْدِيَارَ ، ثمَّ يَقُول: بِمَاذَا مُحَمَّدٌ أَحْسَنُ حَدِيثًا مِنِّي [3].وفي رواية عن ابْن عَبَّاس رضي الله عنه أن النَّضر كان قد اشْترى قَيْنَةً ،فَكَانَ لَا يسمع بِأحد يُرِيد الإِسلام إِلَّا انْطلق بِهِ إِلَى قَيْنَته فَيَقُول: أطْعِميهِ واسْقِيهِ وغَنِّيهِ هَذَا خير مِمَّا يَدْعُوك إِلَيْهِ مُحَمَّد [4]، وفيه نزل قَوْله تعالى ﴿ وَمِنَ

---

[1] سورة الفرقان : الآية٨.

[2] سورة فصلت : الآية٢٦.

[3] سيرة ابن هشام : ١/ ٣٠٠.

[4] السيوطي : الدر المنثور٦/ ٥٠٤.

النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾[1] .

اضطهاد قريش للمستضعفين:

لَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ هَذِهِ الأساليبَ لَمْ تَجِدْ نَفْعاً فِي إِحْباطِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ اسْتَشارُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَقَرَروا القِيامْ بِتَعذيبِ المُسلِمينَ وفِتْنَتِهِمْ عَنْ دِينِهِمْ، فَأَخَذَ كُلُّ رَئِيس يُعَذِّبُ مَنْ دانَ مِنْ قَبِيلَتِهِ بِالْإِسْلَامِ ، وأَنْقَضَ كُلُّ سَيِّد عَلَى مَنْ إِخْتَار مِنْ عَبِيدِه طَرِيقَ الْأَيْمَانِ .وَكَانَ أَبُو جَهْلٍ ، إِذَا سَمِعَ بِالرَّجُلِ قَدْ أَسْلَمَ، وكَانَ تَاجِرًا قَالَ: وَاللَّهِ لَنُكَسِّدَنَّ تِجَارَتَكَ، وَلَنُهْلِكَنَّ مَالَكَ، وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا ضَرَبَهُ وَأَغْرَى بِهِ[2].

وَكَانَ بَلَالُ بْنُ رَبَاحٍ ، مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، صَادِقَ الْإِسْلَامِ طَاهِرَ الْقَلْبِ، وَكَانَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ يُخْرِجُهُ إِذَا حَمِيَتْ الظَّهِيرَةُ، فَيَطْرَحَهُ عَلَى ظَهْرِهِ فِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ، ثُمَّ يَأْمُرُ بالصّخرة الْعَظِيمَة فتوضع عَلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: (لَا وَاللَّهِ) لَا تَزَالُ هَكَذَا حَتَّى تَمُوتَ، أَوْ تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ، وَتَعْبُدَ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، فَيَقُولُ وَهُوَ فِي ذَلِكَ الْبَلَاءِ: أَحَدٌ أَحَدٌ. وكَانَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ يَمُرُّ بِهِ وَهُوَ يُعَذَّبُ بِذَلِكَ، فَيَقُولُ لسيده أَحْلِفُ بالله لَئِنْ قَتَلْتُمُوهُ عَلَى هَذَا لَأَتَّخِذَنَّهُ حَنَانًا [3] ، حَتَّى مَرَّ بِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ (ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمًا، وَهُمْ يَصْنَعُونَ ذَلِكَ بِهِ، وَكَانَتْ دَارُ أَبِي بَكْرٍ فِي بَنِي جُمَحٍ، فَقَالَ لِأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ: أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذَا الْمِسْكِينِ؟حَتَّى مَتَى؟ قَالَ: أَنْتَ الَّذِي أَفْسَدْتَهُ فَأَنْقِذْهُ مِمَّا تَرَى، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَفْعَلُ، عِنْدِي غُلَامٌ أَسْوَدُ أَجْلَدُ مِنْهُ وَأَقْوَى، عَلَى دِينِكَ، أُعْطِيكَهُ بِهِ، قَالَ: قَدْ قَبِلْتُ فَقَالَ: هُوَ لَكَ. فَأَعْطَاهُ أَبُو بَكْرٍ

---

[1] سورة لقمان : الآية ٦.

[2] سيرة ابن هشام ١/ ٣٢٠.

[3] أَي لأجعلن قَبره مَوضِع حنان: أَي عطف وَرَحْمَة، فأتمسح بِهِ متبركا، كَمَا يتمسح بقبور الصَّالِحين وَالشُّهَدَاء.

الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غُلَامَهُ ذَلِكَ، وَأَخَذَهُ فَأَعْتَقَهُ[1].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَتْ بَنُو مَخْزُومٍ يَخْرُجُونَ بِعَمَّارِ [2] بْنِ يَاسِرٍ، وَبِأَبِيهِ وَأُمِّهِ [3]، وَكَانُوا أَهْلَ بَيْتِ إِسْلَامٍ، إِذَا حَمِيَتْ الظَّهِيرَةُ، يُعَذِّبُونَهُمْ بِرَمْضَاءِ [4] مَكَّةَ، فَيَمُرُّ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولُ، فِيمَا بَلَغَنِي: صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ، مَوْعِدُكُمْ الْجَنَّةُ. فَأَمَّا أُمُّهُ فَقَتَلُوهَا، وَهِيَ تَأْبَى إِلَّا الْإِسْلَامَ[5].وكانَ أبو فُكَيْهَةَ واسمه أَفْلَحْ مَوْلَى لِبَنِي عَبْدِ الدَّارِ. وكانَ من الأزد ، وكانَ عبداً لصَفْوان بِنْ أُمَيةَ فأَسْلَمَ حِينَ أَسْلَمَ بِلالْ، فَمرَّ بِه أَبْو بَكْرْ ﷺ وقَدْ أَخَذهُ أُمَيةَ بِنْ خَلفْ فَرَبطَ في رِجْلِهِ حَبْلاً وأَمرَ بِه فَجُرَّ ثَمَّ أَلقاهُ في الرَمْضاءِ فَمَرَّ بِه جَعل فَقالَ: أليسَّ هذا رَبُّكَ، فقال: اللَّه ربي خَلَقَنِي وخَلَقَكَ وخلق هذا الجَعْل فَغَلط عَلَيْهِ وَجَعلَ يَخْنُقُه وَمَعهُ أَخوهُ أُبَيْ بنْ خَلفْ يَقْول: زِدْهُ عَذاباً حَتْى يَأتْي مُحَّمَدْ فَيُخَلِصهُ بِسحْرِه. فَأَخْرَجهُ نِصفَ النَهارِ في شِدَّةِ الحَرِّ مُقَيَداً إلى الرَمْضاءِ ووَضعَ على بَطْنِه صَخْرَةً فَدَلِعَ لِسَانَهُ فَلَمْ يَزَلَ على تِلْكَ الحالْ حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ مَاتَ، ثُمَّ أَفاقَ فَمرَّ بِهِ أَبُو بَكْرٍ ﷺ فَاشْتَرَاهُ مِنْهُ وَأعْتقهُ[6]. وكانَتْ زِنِّيرَةُ أَمَةٌ رُومِيَّةٌ، قد أَسْلَمَتْ فَعُذِبَتْ فِي اللَّهِ ، وَأُصِيبَتْ فِي بَصَرِهَا حَتَّى عَمِيَتْ، فَقِيلَ لَهَا: أَصَابَتْكِ اللَّاتُ وَالْعُزَّى

---

[1] سيرة ابن هشام ١/٣١٧،٣١٨ .

[2] روى أَن عمارا قَالَ لرَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لقد بلغ منا الْعَذَاب كل مبلغ، فَقَالَ لَهُ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: صبرا أَبَا الْيَقظَان، ثمَّ قَالَ: اللَّهمّ لَا تعذب أحدا من آل عمار بالنَّار. وعمار وَالْخُوَيْرث وعبود بَنو يَاسر. وَمن ولد عمار عبد الله بن سعد، وَهُوَ الْمَقْتُول بالأندلس، قَتله عبد الرَّحْمَن بن مُعَاوِيَة.

[3] وَاسْمهَا سميَّة: وَهِي بنت خياط، كَانَت مولاة لأبى حُذَيْفَة بن الْمُغيرَة، واسْمه مهشم، وَهُوَ عَم أَبى جهل، وَقد غلط ابْن قُتَيْبَة فِيهَا، فَزعم أَن الْأَزْرَق مولى الْحَارِث بن كلدة خلف عَلَيْهَا بعد يَاسر، فَولدت لَهُ سَلمَة بن الْأَزْرَق، وَالصَّحِيح أَن أم سَلمَة بن الْأَزْرَق سميَّة أُخْرَى، وَهِي أم زِيَاد بن أَبى سُفْيَان لَا أم عمار.

[4] الرمضاء: الرمل الحارة من شدَّة حرارة الشَّمْس.

[5] سيرة ابن هشام ١/٣٢٠.

[6] أسد الغابة ١/١٢٧، الاصابة في تمييز الصحابة ٦/٥٣٦، سبل الهدى والرشاد ٢/٣٦٠.

فَقَالَتْ: لَا وَاللَّهِ مَا أَصَابَتْنِي، وَهَذَا مِنَ اللَّهِ ، وإِنْ شَاءَ كَشَفَهُ ، فَأَصْبَحَتْ مِنَ الْغَدِ وَقَد رَدَّ اللَّهُ بَصَرِهَا ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: هَذَا بَعْضُ سِحْرِ مُحَمَّدٍ[1].وممَّنْ أَسْلَمْنَ وعُذِبْنَّ مِنْ الْجَوَارِي : النَّهْدِيَّةَ وَبِنْتَهَا، وَكَانَتَا لِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ[2].وممَّنْ عُذِّبَ مِنَ الْعَبِيدِ : عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، كانَ يُعَذَّبُ حَتَّى يَفْقِدَ وَعْيَهُ ولَا يَدْرِي مَا يَقُولُ[3].

وكان النَّبِيُّ ﷺ يَحُثُّ أَصْحَابَهُ دَائِماً على الصَّبْرِ على الْأَذَى و يُخْبِرُهُمْ بأَنَّ اللَّهُ تَعَالَى سَوفَ يَنْصُرُ دِينُهُ. فَقَدْ جَاءَ إِلَيْهِ خَبَّابُ بْنُ الْأَرَتِّ يَشْكُو إِلَيْهِ ما يُصِيبَهُمْ مِنْ شدَّة مِنْ الْمُشْرِكِينَ وقال: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً، وَهُوَ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ وَقَدْ لَقِينَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ شِدَّةً، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ، فَقَعَدَ وَهُوَ مُحْمَرٌّ وَجْهُهُ، فَقَالَ: «لَقَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ لَيُمْشَطُ بِمِشَاطِ الحَدِيدِ، مَا دُونَ عِظَامِهِ مِنْ لَحْمٍ أَوْ عَصَبٍ، مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُوضَعُ المِنْشَارُ عَلَى مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَيْنِ مَا يَصْرِفُهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَلَيُتِمَّنَّ اللَّهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، مَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ»، زَادَ بَيَانٌ: «وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ»[4] .

اعتداءات على رسول الله

مَدَّتْ قُرَيْشٌ يَدَ الاعْتِداءِ إلى رَسُولِ اللَّهِﷺ ، مَع ما كَانتْ تَأتيهِ مِنْ السُخْرِيَة والاسْتِهزاءِ والتَشْويهِ والتَلْبيسِ والتَشْويهِ وغَيرَ ذَلِكَ . وكَانَ عَمُّهُ أَبِو لَهَبٍ في مُقَدِمَتِهِمْ وعلى رأسِهِمْ ، فقد كَانَ أَبِو لَهَبٍ قَدْ زَوَّجَ ولديه عُتْبَةَ و عُتَيبَةَ ببنتي رَسُولُ

---

[1] ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢٥٦/٨، سيرة ابن هشام ٣١٨/١. عماد الدين خليل :دراسة في السيرة ، ص٦١.

[2] سيرة ابن هشام ٣١٨/١.

[3] ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢٤٨/٣.

[4] صحيح البخاري ، كتاب مناقب الانصار ، باب ما لقي النبي ﷺ واصحابه ، حديث رقم ٣٨٥٢ .

اللَّهِﷺ رُقَيَّةَ، وَ أُمَّ كُلْثُومٍ قبل الْبَعْثَةِ . فَلَمَّا كانَتْ الْبَعْثَة أَمْرَهُمَا بتَطَلِّيقِهما بعُنفٍ و شِدَّةٍ حتى طَلَّقَهُما[1].ولمَّا مَاتَ عَبْدُ اللَّهِ الإبن الثَّانِي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺاسْتَبْشَرَ أَبُو لَهَبٍ وذَهَبَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ يُبَشِرُهُمْ بأَنَّ مُحَمَّدًا صارَ أَبْتَرَ[2].وقَدْ رَوى طَارِقِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمُحَارِبِيِّ بأَنَّهُ رَأى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بسُوقِ ذِي الْمَجَازِ وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ تُفْلِحُوا وأَبُو لَهَبٍ يَتْبَعُهُ بِالْحِجَارَةِ ، وَقَدْ أَدْمَى عُرْقُوبَيْهِ [3]وَكَعْبَيْهِ[4].

وكانت امْرَأَةُ أَبِي لَهَبٍ ـ أُمُّ جَمِيلٍ أَرْوَى بِنْتُ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ ، أُخْتُ أَبِي سُفْيَانَ ـ لا تَقَلْ عَنْ زَوْجِهَا فِي عَدَاوَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَقَدْ كَانَتْ تَحْمِلُ الشَّوْكَ فَتَطْرَحُهُ عَلَى طَرِيقِ النَّبِيِّ ﷺ لِيَعْقُرَهُ وَأَصْحَابَهُ ، وكانت امْرَأَةٌ سَلِيطَةً تَبْسَط فِيهِ لِسَانهَا ، وتُطِيل عَلَيْهِ الِافْتِرَاء و الدَّسِّ وتؤَجِّجْ نَارِ الْفِتْنَةَ وتُثِيرُ حَرْبًا شَعْواء على النَّبِيِّ ﷺ ؛ ولذلك وصَفها القرآن بحَمَّالَةِ الحَطَبِ، وحِينَ سَمِعَتْ مَا نَزَلَ فِيهَا، وَفِي زَوْجِهَا مِنْ الْقُرْآنِ، أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَفِي يَدِهَا فِهْرٌ [5] مِنْ حِجَارَةٍ، فَلَمَّا وَقَفَتْ عَلَيْهِمَا أَخَذَ اللَّهُ بِبَصَرِهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَا تَرَى إِلَّا أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ: أَيْنَ صَاحِبُكَ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهُ يَهْجُونِي، وَاَللَّهِ لَوْ وَجَدْتُهُ لَضَرَبْتُ بِهَذَا الْفِهْرِ فَاهُ، أَمَا وَاَللَّهِ إِنِّي لَشَاعِرَةٌ، ثُمَّ قَالَتْ :

مُذَمَّمًا عَصَيْنَا ... وَأَمْرَهُ أَبَيْنَا وَدِينَهُ قَلَيْنَا [6]

ثُمَّ انْصَرَفَتْ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَا تَرَاهَا رَأَتْكَ؟ فَقَالَ: مَا رَأَتْنِي، لَقَدْ

---

[1] سيرة ابن هشام ١/٦٥٢.

[2] تفسير ابن كثير٨/٥٠٤.

[3] عرقوبيه: العرقوب: عصب موثق خلف الكعبين والجمع عراقيب مثل عصفور وعصافير.

[4] صحيح ابن حبان ١٤/٥١٨،حديث ٦٥٦٢.

[5] الفهر: حجر على مِقْدَار ملْء الْكَفّ. وَالْمَعْرُوف فِي الفهر التَّأْنِيث، إِلَّا أَنه وَقع هُنَا مذكرا.

[6] قلينا: أبغضنا.

أَخَذَ اللَّهُ بِبَصَرِهَا عَنِّي[1].. وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ حَدَّثَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَى[2] جَزُورِ[3] بَنِي فُلاَنٍ، فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ[4] أَشْقَى الْقَوْمِ[5] فَجَاءَ بِهِ، فَنَظَرَ حَتَّى سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ، وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ لاَ أُغْنِي شَيْئًا، لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ[6]، قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ وَيُحِيلُ [7] بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاجِدٌ لاَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ، فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ[8]». ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ، قَالَ: وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ، ثُمَّ سَمَّى: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ، وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ» - وَعَدَّ السَّابِعَ فَلَمْ يَحْفَظْ [9]-، قَالَ: قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَرْعَى[10]، فِي الْقَلِيبِ[11] قَلِيبِ بَدْرٍ[12].

---

[1] سيرة ابن هشام ١/٣٥٦.

[2] بسلى: الجلدة التي يكون فيها ولد البهائم وهي كالمشيمة بالنسبة للآدمي.

[3] جزور :كل مذبوح من الإبل ذكرا أم أنثى.

[4] فانبعث: أسرع.

[5] أشقى القوم: أكثرهم خبثا وهو عقبة بن أبي معيط.

[6] منعة: عز وقوم يمنعوني من الأعداء لطرحته عنه.

[7] يحيل: ينسب كل منهم الفعل للآخر تهكما.

[8] عليك بقريش: أهلك كفارهم ومن فعل ذلك منهم.

[9] السابع هو : عمارة بن الوليد .

[10] صرعى: قتلى جمع صريع.

[11] القليب: البئر القديمة.

[12] صحيح : صحيح البخاري : كتاب الوضوء ، بَابُ إِذَا أُلْقِيَ عَلَى ظَهْرِ الْمُصَلِّي قَذَرٌ أَوْ جِيفَةٌ، لَمْ تَفْسُدْ عَلَيْهِ صَلاَتُهُ ١/٥٧،حديث (٢٤٠).

وكَانَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ إذَا رَأَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هَمَزَهُ وَلَمَزَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ: وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ، الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ. يَحْسَبُ أَنَّ مالَهُ أَخْلَدَهُ. كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ. وَما أَدْراكَ مَا الْحُطَمَةُ، نارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ. إِنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ [1].قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: الْهُمَزَةُ: الَّذِي يَشْتُمُ الرَّجُلَ عَلَانِيَةً، وَيَكْسِرُ وَيَكْسِرُ عَيْنَيْهِ عَلَيْهِ، وَيَغْمِزُ بِهِ. وَاللُّمَزَةُ: الَّذِي يَعِيبُ النَّاسَ سِرًّا وَيُؤْذِيهِمْ[2].

أما أخوهُ أُبَيٌّ بْنُ خَلَفٍ فكَانَ هو وَعُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ، مُتَصَافِيَيْنِ. وجَلَسَ عُقْبَةُ مرة إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَسَمِعَ مِنْهُ، فَلما بَلَغَ ذَلِكَ أُبَيًّا، أَتَاهُ وعاتَبَهُ وطلب منه أَنْ يَتْفُلَ فِي وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَفَعَلَ ، وأُبَيٌّ بْنُ خَلَفٍ نَفْسَهُ فَتَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَظْماً بَالِياً ثُمَّ نَفَخَهُ فِي الرِّيحِ نَحْوَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ[3].

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي فَجَاءَ أَبُو جَهْلٍ فَقَالَ: أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟ أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟ أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ هَذَا؟ "فَانْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَزَبَرَهُ"، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا بِهَا نَادٍ أَكْثَرُ مِنِّي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾ [4] فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "وَاللَّهِ لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذَتْهُ زَبَانِيَةُ اللَّهِ"[5]. وفي رواية أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخذَ بِخناقِهِ وَهَزَّهُ ، وهو يَقولُ لَهُ: ﴿أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ [6]. فَقَالَ عَدُوُّ اللَّهِ أَبُو جَهْلٍ: أَتُوعِدُنِي يَا مُحَمَّدُ؟ وَاللَّهِ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْتَ وَلَا

---

[1] سورة الهمزة :الآيات ١-٩.

[2] سيرة ابن هشام ١/٣٥٦.

[3] سيرة ابن هشام ١/٣٦١.

[4] سورة العلق : الآيتان ١٧-١٨.

[5] حسن صحيح : رواه الترمذي في سننه : كتاب تفسير القرآن ، باب ٨٤ ومن سورة اقرأ باسم ربك.٥/٤٤٤،حديث (٣٣٤٩) وقال الالباني :صحيح الاسناد.

[6] سورة القيامة : الآيتان ٣٤-٣٥.

رَبُّكَ شَيْئًا، وَإِنِّي لَأَعَزُّ مَنْ مَشَى بَيْنَ جَبَلَيْهَا[1].

وَلَمْ يَكُنْ أَبُو جَهْلٍ لِيَفِيقَ بَعْدَ هذا الانْتِهار، بَلْ ازْدادَ شقاوةً فيما بَعْدُ . أخرجَ مُسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ[2] بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟ قَالَ فَقِيلَ: نَعَمْ، فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ، قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ، قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ [3]مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ [4]وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا»[5].

وفد قريش يهدد أبا طالب :

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: مَشَى رجال من أشراف قُرَيْشٍ إلى أَبِي طَالِبٍ. فَقَالُوا: يَا أَبَا طَالِبٍ، إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ قَدْ سَبَّ آلِهَتَنَا، وَعَابَ دِينَنَا، وَسَفَّهَ أَحْلَامَنَا، وَضَلَّلَ آبَاءَنَا، فَإِمَّا أَنْ تَكُفَّهُ عَنَّا، وَإِمَّا أَنَّ تُخَلِّي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، فَإِنَّكَ عَلَى مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِهِ، فَنَكْفِيكَهُ فَقَالَ لَهُمْ أَبُو طَالِبٍ قَوْلًا رَفِيقًا، وَرَدَّهُمْ رَدًّا جَمِيلًا، فَانْصَرَفُوا عَنْهُ. وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، يُظْهِرُ دِينَ اللَّهِ، وَيَدْعُو إِلَيْهِ [6].

ثُمَّ جَاءَتْ قُرَيْشٌ إِلَى أَبِي طَالِبٍ مرة أخرى ، «فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ أَخِيكَ هَذَا قَدْ آذَانَا

---

[1] تفسير ابن كثير٨/٢٨٣.

[2] هل يعفر محمد وجهه: أي يسجد ويلصق وجهه بالعفر وهو التراب .

[3] فجئهم: بكسر الجيم ويقال أيضا فجأهم بفتحها لغتان أي بغتهم .

[4] ينكص على عقبيه: أي رجع يمشي ورائه قال ابن فارس النكوص الإحجام عن الشيء.

[5] صحيح : صحيح مسلم : كتاب صفات المنافقين واحكامهم ، بَابُ قَوْلِهِ: {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى} ٤/٢١٥٤،حديث (٢٧٩٧).

[6] سيرة ابن هشام ١/٢٦٥.

فِي نَادِينَا وَمَسْجِدِنَا فَانْهَهُ عَنَّا. فَقَالَ: يَا عَقِيلُ انْطَلِقْ فَأْتِنِي بِمُحَمَّدٍ، فَانْطَلَقْتُ إِلَيْهِ فَاسْتَخْرَجْتُهُ مِنْ كِبْسٍ [1] أَوْ قَالَ: مِنْ حِفْشٍ- يَقُولُ بَيْتٌ صَغِيرٌ- فَجَاءَ به في الظَّهِيرَةِ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ، فَلَمَّا أَتَاهُمْ، قَالَ أَبُو طَالِبٍ: إِنَّ بَنِي عَمِّكَ هَؤُلَاءِ قَدْ زَعَمُوا أَنَّكَ تُؤْذِيهِمْ فِي نَادِيهِمْ وَمَسْجِدِهِمْ فَانْتَهِ عَنْ أَذَاهُمْ فَحَلَّقَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِبَصَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: أَتَرَوْنَ هَذِهِ الشَّمْسَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا أَنَا بِأَقْدَرِ عَلَى أَنْ أَدَعَ ذَلِكَ مِنْكُمْ عَلَى أَنْ تَسْتَشْعِلُوا مِنْهَا شُعْلَةً، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: وَاللهِ مَا كَذَّبْتَ ابْنَ أَخِي قَطُّ فَارْجِعُوا»[2].

سياسة المفاوضات:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ زِيَادٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، قَالَ: حُدِّثْتُ أَنَّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَكَانَ سَيِّدًا، قَالَ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَحْدَهُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَلَا أَقُومُ إِلَى مُحَمَّدٍ فَأُكَلِّمَهُ وَأَعْرِضَ عَلَيْهِ أُمُورًا لَعَلَّهُ يَقْبَلُ بَعْضَهَا فَنُعْطِيهِ أَيَّهَا شَاءَ، وَيَكُفُّ عَنَّا؟ وَذَلِكَ حِينَ أَسْلَمَ حَمْزَةُ، وَرَأَوْا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَزِيدُونَ وَيَكْثُرُونَ، فَقَالُوا: بَلَى يَا أَبَا

---

[1] الكبس: الكن يأوي إليه الإنسان.

[2] البيهقي : دلائل النبوة ٢/١٨٦.

وقد أورد ابن هشام في سيرته ١/ ٢٦٦رواية نصها : عَظُمَ عَلَى أَبِي طَالِبٍ هذا الوعيد والتهديد الشديد، فبَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَاءُونِي، فَقَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا، لِلَّذِي كَانُوا قَالُوا لَهُ، فَأَبْقِ عَلَيَّ وَعَلَى نَفْسِكَ، وَلَا تُحَمِّلْنِي مِنْ الْأَمْرِ مَا لَا أُطِيقُ، قَالَ: فَظَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ عَمِّهِ خَاذِلُهُ وَأَنَّهُ قَدْ ضَعُفَ عَنْ نُصْرَتِهِ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: يَا عَمُّ، وَاَللَّهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ، أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ، مَا تَرَكْتُهُ. قَالَ: ثُمَّ اسْتَعْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَبَكَى ثُمَّ قَامَ، فَلَمَّا وَلَّى نَادَاهُ أَبُو طَالِبٍ، فَقَالَ: أَقْبِلْ يَا بن أَخِي، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: اذْهَبْ يَا بن أَخِي، فَقُلْ مَا أَحْبَبْت، فو الله لَا أُسْلِمُكَ لِشَيْءٍ أَبَدًا .قال الألباني – رحمه الله – في كتابه السلسلة الضعيفة (٢/ ٣١١) ح رقم (٩٠٩):(وهذا إسناد ضعيف معضل، يعقوب بن عتبة هذا من ثقات أتباع التابعين، مات سنة ثمان وعشرين ومائة. التعليق: إسناده ضعيف.

الْوَلِيدِ، قُمْ إِلَيْهِ فَكَلِّمْهُ، فَقَامَ إِلَيْهِ عُتْبَةُ حَتَّى جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا بن أَخِي، إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ مِنْ السِّطَةِ[1] فِي الْعَشِيرَةِ، وَالْمَكَانِ فِي النَّسَبِ، وَإِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ قَوْمَكَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ فَرَّقْتَ بِهِ جَمَاعَتَهُمْ وَسَفَّهْتَ بِهِ أَحْلَامَهُمْ وَعِبْتَ بِهِ آلِهَتَهُمْ وَدِينَهُمْ وَكَفَّرْتَ بِهِ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ، فَاسْمَعْ مِنِّي أَعْرِضْ عَلَيْكَ أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا لَعَلَّكَ تَقْبَلُ مِنْهَا بَعْضَهَا. قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ، أَسْمَعْ، قَالَ: يَا بن أَخِي، إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالًا جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوَّدْنَاكَ عَلَيْنَا، حَتَّى لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلَّكْنَاكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رِئْيًا[2] تَرَاهُ لَا تَسْتَطِيعُ رَدَّهُ عَنْ نَفْسِكَ، طَلَبْنَا لَكَ الطِّبَّ، وَبَذَلْنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا حَتَّى نُبْرِئَكَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا غَلَبَ التَّابِعُ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُدَاوَى مِنْهُ أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ. حَتَّى إِذَا فَرَغَ عُتْبَةُ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَمِعُ مِنْهُ، قَالَ: أَقَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاسْمَعْ مِنِّي، قَالَ: أَفْعَلُ، فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. ﴿ حم (١) تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣) بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٤) وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ (٥) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (٧) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٨) قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي

---

[1] السِّطَةِ :المنزلة الرفيعة المهيبة .

[2] الرئى (بِفَتْح الرَّاء وَكسرهَا) : مَا يتَرَاءَى للْإِنْسَان من الْجِنّ.

أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (١٠) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (١٢) فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾[1]. فَلَمَّا سَمِعَهَا مِنْهُ عُتْبَةُ، أَنْصَتَ لَهَا، وَأَلْقَى يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْمَعُ مِنْهُ، ثُمَّ انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى السَّجْدَةِ مِنْهَا، فَسَجَدَ ثُمَّ قَالَ: قَدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ، فَأَنْتَ وَذَاكَ. فَقَامَ عُتْبَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: نَحْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ. فَلَمَّا جَلَسَ إِلَيْهِمْ قَالُوا: مَا وَرَاءَكَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ قَالَ: وَرَائِي أَنِّي قَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَاللَّهِ مَا هُوَ بِالشِّعْرِ، وَلَا بِالسِّحْرِ، وَلَا بِالْكِهَانَةِ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَطِيعُونِي وَاجْعَلُوهَا بِي، وَخَلُّوا بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ فاعتزلوه، فو الله لَيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ، فَإِنْ تُصِبْهُ الْعَرَبُ فَقَدْ كُفِيتُمُوهُ بِغَيْرِكُمْ، وَإِنْ يَظْهَرْ عَلَى الْعَرَبِ فَمُلْكُهُ مُلْكُكُمْ، وَعِزُّهُ عِزُّكُمْ، وَكُنْتُمْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ، قَالُوا: سَحَرَكَ وَاللَّهِ يَا أَبَا الْوَلِيدِ بِلِسَانِهِ، قَالَ: هَذَا رَأْيِي فِيهِ، فَاصْنَعُوا مَا بَدَا لَكُمْ[2].

وَفِي رواياتٍ أُخرى : أنَّ عُتْبَةُ استمع حَتَّى إذا بَلَغَ الرَسُولُ ﷺ قَوْلُهُ تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾فَقَالَ عُتْبَةُ: حَسْبُكَ! حَسْبُكَ! ووضعَ يَدَهُ عَلَى فَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَنَاشَدَهُ بِالرَّحِمِ، وَذَلِكَ مخافة أنْ يَقَعَ النَذْير، ثمَّ قام إلى القومِ فَقال ما قالَ[3].

---

[1] سورة فصلت :الآيات ١ – ١٣.

[2] قال الألباني عنه: إنه حسن مرسل .انظر: المطالب العالية ١٧/٢٧٣.سيرة ابن هشام ١/٢٩٣-٢٩٤.

[3] تفسير ابن كثير٧/١٦٢.

وكأن رَجَاءَ قُرَيْشٌ لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَا أَجابَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ عُتْبَةُ على اقْتِراحاتِه ؛ لأنه لَمْ يَكُنْ صَرِيحًا فِي الرَّفْضِ أو الْقَبُولِ، بَلْ تَلَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ آيَاتٌ لَمْ يَفْهَمْهَا عُتْبَةُ، وَرَجَعَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ ، فَتَشَاوَرَ رُؤَسَاءَ قُرَيْش فِيمَا بَيْنَهُمْ وفكَّرُوا فِي كُلِّ جَوَانِب الْقَضِيَّةِ ، ودَرَسُوا كُلْ الْمَوَاقِف برَوِيَّةٍ وتَرَيّثْ ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا يَومَاً ، عِنْدَ ظَهْرِ الْكَعْبَةِ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ ، وأَرْسَلُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَدَعُونَهُ ، فَجَاءَ مُسْرِعًا يَرْجُوا خَيْرَاً ، فَلَمَّا جَلَسَ إِلَيْهِمْ قَالُوا لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ عُتْبَةُ ، وعَرَضُوا عَلَيْهِ نَفْس الْمَطَالِبَ الَّتِي عَرَضَهَا عُتْبَة . وَكَأَنَّهُم ظنُّوا أَنَّهُ لَمْ يَثِقْ بِجدّيَة هَذَا الْعَرَضِ حِينَ عَرَضَ عُتْبَة وَحْدَهُ ، فَإِذَا هُمْ أَجْمَعُونَ يَثِق و يُقْبَل ، وَلَكِنْ قَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" مَا بِي مَا تَقُولُونَ، مَا جِئْتُ بِمَا جِئْتُكُمْ بِهِ أَطْلُبُ أَمْوَالَكُمْ، وَلَا الشَّرَفَ فِيكُمْ، وَلَا الْمُلْكَ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَابًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فَبَلَّغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي، وَنَصَحْتُ لَكُمْ، فَإِنْ تَقْبَلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ، فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ"، أَوْ كَمَا قَالَ ﷺ[1].

فانْتَقَلُوا إِلَى نُقْطَةٍ أُخْرَى، وطلبوا منه أن يسأل رَبّهُ أن يُسَيِّرْ عَنَّهم الْجِبَالَ ، وَيَبْسُطْ لَهم البِلَادَ، وَيُفَجِّرْ فِيهَا الانهَار ،ويُحيي لَهُمْ المَوتى ـ لاسيما قُصَيُّ بْنُ كِلَابٍ، فَإِنْ صَدَّقُوهُ يؤمنون به. فَأجابَ بِنَفْسِ ما سَبقَ مِنْ الجَوابِ . فانْتَقَلُوا إِلَى نُقْطَةٍ ثَالِثَةٍ وطلبوا منه أن يسأل رَبّهُ أَنْ يَبْعَثَ له مَلَكًا يُصَدِّقُهُ ، وَيُرَاجِعُونه فيه ، وأن يَجْعَلْ لَه جَنَاتٍ وَقُصُورًا وَكُنُوزًا مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ، فأجابَهُمْ بِنَفْسِ الجَوابِ. فانْتَقَلُوا إِلَى نُقْطَةٍ رَابِعَةٍ ، وطلبوا منه الْعَذَابِ : أَنْ يُسْقِطْ عَلَيْهِم السَّمَاءَ كِسَفًا كَمَا يقول ويتوعد، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ أَنْ يَفْعَلَهُ بِكُمْ فَعَلَ، فقَالُوا: أَمَا عَلِمَ رَبُّكَ أَنَّا سَنَجْلِسُ مَعَكَ وَنَسْأَلُكَ ، وَنَطْلُبُ مِنْكَ ، حتى يُعَلِّمَكَ مَا تُرَاجِعُنَا بِهِ، وَمَا هُوَ صَانِعٌ

---

[1] المباركفوري : الرحيق المختوم ص١٢٨.

بِنَا، إِذْا لَمْ نَقْبَلْ .وأخيراً هددوه أشد التهديد ،وقالوا : أما وَاَللَّهِ لَا نَتْرُكُكَ وَمَا فَعَلَتَ بِنّا حَتَّى نهلكك، أَوْ تُهْلِكَنَا، وَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى أَهْلِهِ حَزِينًا آسِفًا لِمَا فَاتَهُ ما طَمِعَ مِنْ قَوْمِهِ[1].

مساومات وتنازلات :

ولمّا فَشَلَتْ قُرَيْشٌ في مفاوضتِهِمْ المَبْنيَة على الاغراءِ والترغيبِ ، والتهديدِ والترهيبِ ،وخابَ أَبُو جَهْلٍ فيما أَبْداهُ مِنَ الرعونةِ وقَصدِ الفتكِ ، تَيَقظتْ فيهِمْ رغبة الوصولِ إلى حلٍ حصيفٍ يُنقذهُمْ عَمّا هُمْ فيهِ ، ولمْ يَكونوا يَجْزمونَ أنَّ النبيَّ على باطلٍ ، بَلْ كانوا كما قالَ اللَّهُ تَعَالَى﴿ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴾[2]. فرأوا أَنْ يُساوِموهُ ﷺ في امورِ الدِّينِ، وَيَلتقوا بِهِ في منتصفِ الطريقِ ، فَيَتْركوا بَعض ما هُمْ عَليهِ ، وَيُطالبوا النبيَّ ﷺ بِتركِ بعضِ ما هُوَ عَليهِ، وَظنّوا أَنَهُمْ بِهذا الطريق سيصيبونَ الحقَّ ، إنْ كانَ يَدْعوا إليهِ النبيّ ﷺ حَقاً .

وَاعْتَرَضَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ- فِيمَا بَلَغَنِي- الْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، وَالْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ، وَكَانُوا ذَوِي أَسْنَانٍ فِي قَوْمِهِمْ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، هَلُمَّ فَلْنَعْبُدْ مَا تَعْبُدُ، وَتَعْبُدُ مَا نَعْبُدُ، فَنَشْتَرِكُ نَحْنُ وَأَنْتَ فِي الْأَمْرِ، فَإِنْ كَانَ الَّذِي تَعْبُدُ خَيْرًا مِمَّا نَعْبُدُ، كُنَّا قَدْ أَخَذْنَا بِحَظِّنَا مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ مَا نَعْبُدُ خَيْرًا مِمَّا تَعْبُدُ، كُنْتَ قَدْ أَخَذْتَ بِحَظِّكَ مِنْهُ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ

---

[1] الدر المنثور في التفسير بالمأثور٥/٣٣٧-٣٣٩.

[2] سورة الشورى : الآية ١٤.

دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾[1][2]..

وَأخرج عبد بن حميد وَابْن الْمُنْذر وَابْن مرْدَوَيْه عَن ابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُمَا أَن قُرَيْشًا قَالَت: لَو استلمت آلِهَتنَا لعبدنا إلهك فَأنْزل الله ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾[3].وأخرَجَ ابنُ جَرِير[4] وَغَيْرَه عَنْهُ أَنَّ قُرَيْشًا قَالُوا لرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: تَعْبُدُ آلِهَتَنَا سَنَةً ، وَنَعْبُدُ إِلَهَكَ سَنَةً، فأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾[5] .

ولمّا حَسمَ اللَّهُ تَعَالَى هذهِ المُفاوضَة المُضحكةِ بِهذهِ المُفاصَلةِ الجازمةِ لَمْ تَيْأس قُرَيْش كلَّ اليَأس ، بَلْ أَبْدوا مَزْيداً مِنَ التنازُلِ بِشَرْط أَنْ يَجْري النبيُّ بَعضَ التَعديلِ فِيْما جاءَ بِهِ مِنْ التَعْليمات ، ﴿فقالوا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾، فَقَطعَ اللهُ هٰذا السَبيل أيضاً بِإنزالِ ما يَرْد بِهِ النَبيّ ﷺ عَلَيْهِمْ فَقال : ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[6] وَنَبَّهَ على عِظَمِ خُطورةِ هٰذا العَمَل بِقَولِه :﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣) وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا (٧٤) إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾[7].

---

[1] سورة الكافرون : الآيات ١-٥.
[2] سيرة ابن هشام ١/٣٦٢.
[3] الدر المنثور في التفسير بالمأثور٨/٦٥٥.
[4] تفسير ابن جرير الطبري٢٤/٧٠٣.
[5] سورة الزمر : الآية ٦٤.
[6] سورة يونس : الآية ١٥.
[7] سورة الاسراء : الآيات ٧٣-٧٥.

ميثاق المقاطعة العامة :

زَادَتْ حَيْرَةِ الْمُشْرِكِينَ إِذْ نَفَذَتْ بِهِمْ الْحِيَل ، ووَجَدُوا بَنِي هَاشِمٍ وبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مُصَممينَ عَلَى حِفْظِ نَبِيَّ اللَّهِﷺ وَالْقِيَامِ دُونَهُ ، كَائِنًا مَا كَانَ، فاجتمعوا في خَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ [1] من وادي الْمُحَصَّبَ فتَحَالَفَوا ، على بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ألاَ يُنَاكِحُوهُمْ[2] وَلاَ يُبَايِعُوهُمْ، وَلَا يُجَالِسُوهُمْ وَلَا يُخَالِطُوهُمْ ، وَلَا يَدْخُلُوا بُيُوتَهُمْ وَلَا يُكَلِّمُوهُمْ، حَتَّى يُسْلِمُوا إِلَيْهِمْ رَسُولَ اللهِ ﷺ للقتل، وكَتَبَوا بِذلكَ صَحيفةً فيها عُهودٌ ومَواثيق « ألاّ يَقْبلوا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ صُلْحاً أبداً، ولا تَأْخُذُهُم بِهِمْ رَأفةٌ حتى يُسَلِموهُ، للقَتلِ» قال ابن القيم :يُقَالُ: كَتَبَهَا: مَنْصُورَ بْنَ عِكْرِمَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ هَاشِمٍ ، وَيُقَالُ: النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ، وَالصَّحِيحُ: أَنَّهُ بَغِيضُ بْنُ عَامِرِ بْنِ هَاشِمٍ ، فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَشُلَّتْ يَدُهُ[3].تمَّ هذا الميثاق، وَعُلِّقَت الصَحِيفَة في جوفِ الْكَعْبَةِ ، فَانْحَازَ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ مُؤْمِنُهُمْ وَكَافِرُهُمْ إِلَّا أبا لهب، وَحُبِسوا في شِعْبِ أبي طالب لَيْلَةَ هِلَالِ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ سَبْعٍ مِنَ الْبَعْثَةِ[4].

---

[1] خيف بني كنانة: وهو مكان في أعلى مكة على طيق منى والخيف كل ما نحدر من الجبل وارتفع عن المسيل. عن أبي هريرة ﷺ أن النبي محمد ﷺ قال : ...وَذَلِكَ أَنَّ قُرَيْشًا وَكِنَانَةَ، تَحَالَفَتْ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَوْ بَنِي الْمُطَّلِبِ: أَنْ لاَ يُنَاكِحُوهُمْ وَلاَ يُبَايِعُوهُمْ، حَتَّى يُسْلِمُوا إِلَيْهِمُ النَّبِيَّ ﷺ).صحيح : رواه البخاري: كتاب الحج، بَابُ نُزُولِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ ١٤٨/٢، حديث ١٥٩٠.

[2] يناكحوهم :يزوجوهم أو يتزوجوا منهم.

[3] ابن القيم : زاد المعاد ٢٧/٣.

[4] تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس ٢٩٧/١.

حصار المسلمون في شعب أبي طالب:

واشتّدَ الحِصارْ، وقَطَعتْ عَنْهُم المِيرَةَ[1] والمادَّةَ[2]، فَلَمْ يَكُنْ المُشرِكونَ يَتْرِكونَ طَعاماً يَدْخُلُ مَكةَ ولا بَيْعاً إلاّ بادَروهُ فاشْتَروهُ، حتى بَلَغَهم الجُهُد والتجأوا إلى أكلِ الأوراقِ والجلودِ، وحَتَّى كانَ يَسْمَعُ مِنْ وراءِ الشِعْبِ أصْواتِ نِسَائِهِمْ وصبِيَّانِهم أَنَّهُم يَتضاغَوْنَ مِنْ الجُوعِ ، وكان لا يَصِلُ إليهمْ شَيء إلاّ سِراً- وكانوا- لا يَخْرُجونَ مِنْ الشِعْبِ لاشتراء الحَوائِجِ إلاّ في الأشْهُرِ الحُرُمِ، وكانوا يَشْترونَ مِنَ العِيرِ التي تَرِدُ مَكَّةَ مِنْ خارجِها، ولكِنْ أهْلَّ مَكَّةَ كانوا يَزْيدونَ عَليهِمْ في السِلْعَةِ قيمتها حتى لا يَسْتَطِيعُوا الإشْتِراء[3].وَكَانَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ [4] بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي تأتيه العير تحمل الحنطة من الشام [5]إلى عَمَّتِهِ خَدِيجَةُ - رضي الله عنها- وقد تَعَرَّضَ لَهُ مَرَّةً أَبُو جَهْلٍ فتَعَلَّقَ بِهِ لِيَمْنَعَهُ فَتدخَّلَ بَيْنَهُما أَبُو الْبَخْتَرِيِّ ، ومَكَّنَهُ مِنْ حَمْلِ الْقَمْحِ إلى عَمَّتِهِ.

وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ يَخَافُ على رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فكَانَ إذا أَخَذَ النَّاسُ مَضاجِعِهِمْ يأمر رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَضْطَجِعَ على فِراشِهِ، حَتَّى يَرَى ذَلِكَ مَنْ أَرَادَ اغْتيالَهُ، فإذا نام النَّاسُ أمر أحد بَنِيهِ أو إخْوَانِهِ أو بني عَمِّهِ فَاضْطَجَعَ على فِراشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وأَمَرَهُ أن يَأْتِي بعض فرشهم[6].

---

(1) الميرة : ما يجلب من الطعام.

(2) المقريزي : امتاع الاسماع ١/٤٤.

(3) المباركفوري : الرحيق المختوم ص١٣٤.

(4) ابن أخي خديجة رضي الله عنها.

(5) المقريزي : امتاع الاسماع ١/٤٤.

(6) الدرر في اختصار المغازي والسير١/٥٤.

نقض صحيفة الميثاق :

مرَّتْ ثلاثةُ أعوامٍ كاملةٍ والأمر على ذَلِكَ ، وفي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ عشر من النبوة حدث نَقْض الصَّحِيفَةِ وفَكْ الميثاق، وذلك أن قُرَيْشًا كانوا بَيْنَ راضٍ بِهذا الميْثاق وكارهٍ لَهُ، فَسَعى فِي نَقْضِ الصَّحِيفَةِ مَنْ كانَّ كارهاً لَهَا[1]. وكانَ القائِمْ بِذلكَ هِشَامِ بْنِ عَمْرِو مِنْ بَنْي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ- وكانَ يصل بَني هَاشِمٍ فِي الشِّعْبِ مُسْتَخْفِيَاً بالليّلِ بالطَّعَامَ ، ثُمَّ إنَّهُ مَشَى إلَى زُهَيْرِ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ المَخْزُومي، وَكَانَتْ أُمُّهُ عَاتِكَةَ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: يَا زُهَيْرُ، أَقَدْ رَضِيتَ أَنْ تَأْكُلَ الطَّعَامَ، وَتَلْبَسَ الثِّيَابَ، وَتَنْكِحَ النِّسَاءَ، وَأَخْوَالُكَ حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ، لَا يُبَاعُونَ وَلَا يُبْتَاعُ مِنْهُمْ، وَلَا يَنْكِحُونَ وَلَا يُنْكَحُ إلَيْهِمْ؟ فقَالَ: وَيْحَكَ يَا هِشَامُ! فَمَاذَا أَصْنَعُ؟ إنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَاَللَّهِ لَوْ كَانَ مَعِي رَجُلٌ آخَرُ لَقُمْتُ فِي نَقْضِهَا ، قَالَ: قَدْ وَجَدْتَ رَجُلًا قَالَ: فَمَنْ هُوَ؟ قَالَ: أَنَا، قَالَ لَهُ زُهَيْرٌ: أَبْغِنَا رَجُلًا ثَالِثًا.فَذَهَبَ إلَى الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ ، فذكره أرحام بَني هَاشِمٍ وَبَني الْمُطَّلِبِ ابني عَبْدِ مَنَافٍ ولامته على موافقته لِقُرَيْشٍ على هذا الظلم ، فَقَالَ: الْمُطْعِم : وَيْحَكَ! مَاذَا أَصْنَعُ؟ إنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، قَالَ: قَدْ وَجَدْتَ ثَانِيًا، قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: أَنَا، قَالَ: أَبْغِنَا ثَالِثًا، قَالَ: قَدْ فَعَلْتُ، قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: زُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، قَالَ: أَبْغِنَا رَابِعًا[2].فَذَهَبَ إلَى الْبَخْتَرِيِّ بْنِ هِشَام، فَقَالَ لَهُ نَحْوًا مِمَّا قَالَ لِلْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ، فَقَالَ: وَهَلْ مِنْ أَحَدٍ يُعِينُ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَنْ هُوَ؟ قَالَ: زُهَيْرُ ابْن أَبِي أُمَيَّةَ، وَالْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ، وَأَنَا مَعَكَ، قَالَ: أَبْغِنَا خَامِسًا.

فَذَهَبَ إلَى زَمْعَةَ بْنِ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ أَسَدٍ، فَكَلَّمَهُ، وَذكر لَهُ قَرَابَتَهُمْ

---

[1] ابن القيم : زاد المعاد ٣/٢٧.

[2] ابن هشام : السيرة النبوية ١/٣٧٥.

وَحَقَّهُمْ، فَقَالَ لَهُ: وَهَلْ عَلَى هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي تَدْعُونِي إِلَيْهِ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ سَمَّى لَهُ الْقَوْمَ. فاجتمعوا عند الْحَجُونِ ، وَتَعَاقَدُوا عَلَى الْقِيَامِ بِنَقْضِ الصَّحِيفَةِ ، وَقَالَ زُهَيْرٌ: أَنَا أَبْدَؤُكُمْ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَتَكَلَّمُ.فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا إِلَى أَنْدِيَتِهِمْ، وَغَدَا زُهَيْرُ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ عَلَيْهِ حُلَّةٌ، فَطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: يَا أَهْلَ مَكَّةَ، أَنَأْكُلُ الطَّعَامَ وَنَلْبَسُ الثِّيَابَ، وَبَنُو هَاشِمٍ هَلْكَى لَا يُبَاعُ وَلَا يُبْتَاعُ مِنْهُمْ، وَاللَّهِ لَا أَقْعُدُ حَتَّى تُشَقَّ هَذِهِ الصَّحِيفَةُ الْقَاطِعَةُ الظَّالِمَةُ.

قَالَ أَبُو جَهْلٍ: وَكَانَ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ: كَذَبْتَ وَاللَّهِ لَا تُشَقُّ، قَالَ زَمْعَةُ بْنُ الْأَسْوَدِ: أَنْتَ وَاللَّهِ أَكْذَبُ، مَا رَضِينَا كِتَابَهَا حَيْثُ كُتِبَتْ، قَالَ أَبُو الْبَخْتَرِيِّ: صَدَقَ زَمْعَةُ، لَا نَرْضَى مَا كُتِبَ فِيهَا، وَلَا نُقِرُّ بِهِ. قَالَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ: صَدَقْتُمَا وَكَذَبَ مَنْ قَالَ غَيْرَ ذَلِكَ، نَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْهَا، وَمِمَّا كُتِبَ فِيهَا. قَالَ هِشَامُ ابْن عَمْرٍو نَحْوًا مِنْ ذَلِكَ. فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَذَا أَمْرٌ قُضِيَ بِلَيْلٍ، تُشُوورَ فِيهِ بِغَيْرِ هَذَا الْمَكَانِ. وَأَبُو طَالِبٍ جَالِسٌ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، فَقَامَ الْمُطْعِمُ إِلَى الصَّحِيفَةِ لِيَشُقَّهَا، فَقَامَ الْمُطْعِمُ إِلَى الصَّحِيفَةِ لِيَشُقَّهَا، فَوَجَدَ الْأَرَضَةَ قَدْ أَكَلَتْهَا، إِلَّا «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ» [1].وَمَا كَانَ فِيهَا مِنَ إِسْمِ اللَّهِ فإنها لَمْ تَأْكُلَهُ.ثُمَّ نَقْضِ الصَّحِيفَةِ ، وخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ الشِّعْبِ ، وقَدْ رَأَى الْمُشْرِكُونَ آيَةً عَظِيمَةً من آيَاتِ نُبُوَّتِهِ، وَلَكِنهُمْ كما أَخْبَرَ الله عَنْهُمْ ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا، وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾[2] أعْرَضوا عَنْ هذهِ الْآيَة وازْدَادَوا كُفْراً إِلَى كُفْرِهِمْ.

---

[1] ابن هشام : السيرة النبوية ١/٣٧٦.

[2] سورة القمر : الآية ٢ .

الهجرة إلى أرض الحبشة :

زادَتْ قُرَيْش مِنْ أَذاهَا واعْتِداءَها وتَعْذِيبَها للمُسْلِمينَ ، وَلا سِيَّما الضُعَفاء مِنْهُمْ، لِهَذا فكرَّ النَبيُّ ﷺ فِي أَنْ يَبْحثَ لَهُمْ عَنْ سُبلٍ تُنْجيهِم مِنْ فِتْنَةِ المُشْرِكينَ لَهُمْ فِي دِينِهِمْ، خَشْيَةَ أَنْ يَضْعفَ بَعْضُهمْ ، فَيَتركَ دِينَهُ ،وفِي هَذِه الظُروفِ نَزلتْ سُورَة الزُمَر تُشيْر إِلى اتِخاذِ سَبيْل الهِجْرةِ ، وَتُعلِنُ بِأَنَّ أَرضُ اللهِ لَيْستْ بِضَيقةٍ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَةٌ، وَأَرْضُ اللَّهِ واسِعَةٌ، إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾

تَقولُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا [1] والَّتِي كَانتْ مِنْ ضِمنَ مَنْ هَاجرَ إِلى الحَبشَةِ فِي الهِجْرَةِ الأولى : «لَمَّا ضَاقَتْ عَلَيْنَا مَكَّةُ وَأُوذِيَ أصحاب رسول الله ﷺ، وَفُتِنُوا وَرَأَوْا مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ فِي دِينِهِمْ وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَا يَسْتَطِيعُ دَفْعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي مَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَمِنْ عَمِّهِ، لَا يَصِلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا يَكْرَهُ مِمَّا يَنَالُ أَصْحَابُهُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ : إِنَّ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ مَلِكًا لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ فَالْحَقُوا بِبِلَادِهِ حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ، فَخَرَجْنَا إِلَيْهَا أَرْسَالًا حَتَّى اجْتَمَعْنَا بِهَا فَنَزَلْنَا بِخَيْرِ دَارٍ وَإِلَى خَيْرِ جَارٍ آمَنَّا عَلَى دِينِنَا، وَلَمْ نَخْشَ مِنْهُ ظُلْمًا» [2] . لَقَدْ بَدأتْ الهِجْرةُ الأولى إِلى الحَبشَةِ فِي شَهْرِ رَجَبَ مِنَ السَنةَ الخامِسَةَ للبِعْثَةِ . هَاجرَ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلًا وَأَرْبَعُ نِسْوَةٍ خرجوا متسللين سرّا [3] . وَأَنَّهُمْ خَرَجُوا مُشَاةً إِلَى الْبَحْرِ فَاسْتَأْجَرُوا سَفِينَةً بِنصْف دِينَار[4] .

---

[1] ولم تكن قد تزوجها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم حينذاك.

[2] ابن هشام: السيرة النبوية ١/ ٣٢٢. البيهقي: دلائل النبوة ٢/ ٣٠١. المقريزي : امتاع الاسماع ٤/٣٦٣. العمري : السيرة النبوية الصحيحة ١/ ١٧٠. السيرة النبوية كما جاءت في الاحاديث الصحيحة ١/١٢٦. ابن اسحاق : السير والمغازي :١/٢١٣.

[3] تثبيت دلائل النبوة :١/ ٢٠.سبل الهدى والرشاد ١/ ١١.

[4] ابن حجر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ٧/١٨٨.

وكَانَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ مِنْهُمْ وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ رُقَيَّةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأخرج يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ بِسَنَدٍ مَوْصُولٍ إِلَى أَنَسٍ قَالَ: أَبْطَأَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَبَرُهُمَا فَقَدِمَتِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ لَهُ لَقَدْ رَأَيْتُهُمَا وَقَدْ حَمَلَ عُثْمَانُ امْرَأَتَهُ عَلَى حِمَارٍ فَقَالَ صَحِبَهُمَا اللَّهُ إِنَّ عُثْمَانَ لَأَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ بِأَهْلِهِ بَعْدَ لُوطٍ[1] .وَقَدْ سَرَدَ ابْنُ إِسْحاقَ وَغَيرَهُ أَسْماءَ مُهاجِرةَ الحَبشةِ وَهمْ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَامِّ وَأَبُو حُذَيْفَةَ بْنُ عُتْبَةَ وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَأَبُو سَلمَةَ بن عبد الْأسد وَعُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ [2]وَعَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ وَسُهَيْلُ بن بَيْضَاءَ وَأَبُو سَبْرَةَ بْنُ أَبِي رُهْمٍ الْعَامِرِيُّ قَالَ وَيُقَالُ بَدَلَهُ حَاطِبُ بْنُ عَمْرٍو الْعَامِرِيُّ وأما النسوة فهن رُقَّيَة بِنتْ النَبيِّ ﷺوَسَهْلَة بِنتْ سَهلْ امْرَأَة أَبِي حَنِيفَةَ ، أُمِّ سَلَمَةَ بِنْتِ أَبِي أُمَيَّةَ، امْرَأَة أَبِي سَلَمَةَ، وَلَيْلَى بِنتْ أَبِي حَثْمَة امْرَأَة عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ[3] .

أبو بكر الصديق ﷺ يدخل في جِوَارِ ابْنُ الدُّغُنَّةِ:

أَرادَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيق ﷺ الإلتِحاقَ بِالمُهاجِرينَ إِلى الحَبَشَةِ فِي هَذهِ الهِجْرةِ الأولى بَعْدَ أَنْ اشْتَدَّ أَذَى قُرَيْشٍ عَلَيْهِ، وَيظهَرْ أَنَّهُ سَلكَ طَرِيقاً آخرَ، إِذْ تُشيرُ الأَخْبارَ بِأَنهُ سَارَ فِي طَرِيّقِ اليَمنِ حَتّى إِذا مَا بَلغَ بَرْكَ الْغِمَادِ[4] لَقِيَهُ ابْنُ الدُّغُنَّةِ [5] . عَنْ

---

[1] انيس الساري ٥/٣٤٠٥. حديث ٢٣٠٩. ابن حجر :فتح الباري ٧/١٨٨. البيهقي- دلائل النبوة ٢/ ٢٩٧.

[2] عثمان بن مظعون بن حبيب الجمحي: من المهاجرين الأولين السابقين إلى الإسلام، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، وهاجر الهجرة الأولى إلى الحبشة، وشهد بدراً، ثم مات، عقبها في سنة ٢ من الهجرة، وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين وأول من دفن بالبقيع منهم. انظر، مسند الامام احمد : تحقيق أحمد محمد شاكر ٢/٢٨٥.

[3] السهيلي : الروض الآنف ٣/٢٤١. ابن هشام: السيرة ١/ ٣٢٢. الموسوعة في صحيح السيرة النبوية ١/٣٢٠. بهجة المحافل وبغية الأماثل ١/٩٥.

[4] وهو موضع على خمس ليال من مكة.

[5] هُوَ مَالك بن الدغنة سيد الْأَحَابِيش، وهم بَنو الْحَارِث الكنانيون والهون بن خُزَيْمَة القاريون الكنانيون

عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: فَقَالَ ابْنُ الدُّغُنَّةِ: أَيْنَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟ قَالَ: أَخْرَجَنِي قَوْمِي وَآذَوْنِي، وَضَيَّقُوا عَلَيَّ، قَالَ: وَلِمْ؟ فو الله إِنَّكَ لَتَزِينُ الْعَشِيرَةَ، وَتُعِينُ عَلَى النَّوَائِبِ، وَتَفْعَلُ الْمَعْرُوفَ، وَتُكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، ارْجِعْ فَأَنْتَ فِي جِوَارِي. فَرَجَعَ مَعَهُ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ مَكَّةَ، قَامَ ابْنُ الدُّغُنَّةِ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ، فَلَا يَعْرِضَنَّ لَهُ أَحَدٌ إِلَّا بِخَيْرٍ. قَالَتْ: فَكَفُّوا عَنْهُ[1].

وَكَانَ لِأَبِي بَكْرٍ مَسْجِدٌ عِنْدَ بَابِ دَارِهِ فِي بَنِي جُمَحٍ، فَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ، وَكَانَ رَجُلًا رَقِيقًا، إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ اسْتَبْكَى. قَالَتْ: فَيَقِفُ عَلَيْهِ الصِّبْيَانُ وَالْعَبِيدُ وَالنِّسَاءُ، يَعْجَبُونَ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ هَيْئَتِهِ. قَالَتْ: فَمَشَى رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى ابْنِ الدُّغُنَّةِ، فَقَالُوا لَهُ : يَا بن الدُّغُنَّةِ، إِنَّكَ لَمْ تُجِرْ هَذَا الرَّجُلَ لِيُؤْذِيَنَا! إِنَّهُ رَجُلٌ إِذَا صَلَّى وَقَرَأَ مَا جَاءَ بِهْ مُحَمَّدٌ يَرِقُّ وَيَبْكِي ، وَكَانَتْ لَهُ هَيْئَةٌ وَنَحْوٌ، فَنَحْنُ نَتَخَوَّفُ عَلَى صِبْيَانِنَا وَنِسَائِنَا وَضَعَفَتِنَا أَنْ يَفْتِنَهُمْ، فَأْتِهِ فَمُرْهُ أَنْ يَدْخُلَ بَيْتَهُ فَلْيَصْنَعْ فِيهِ مَا شَاءَ. قَالَتْ: فَمَشَى ابْنُ الدُّغُنَّةِ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنِّي لَمْ أُجِرْكَ لِتُؤْذِيَ قَوْمَكَ، إِنَّهُمْ قَدْ كَرِهُوا مَكَانَكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ، وَتَأَذَّوْا بِذَلِكَ مِنْكَ، فَادْخُلْ بَيْتَكَ، فَاصْنَعْ فِيهِ مَا أَحْبَبْتَ، قَالَ: أَوَأَرُدُّ عَلَيْكَ جِوَارَكَ وَأَرْضَى بِجِوَارِ اللَّهِ؟ قَالَ: فَارْدُدْ عَلَيَّ جِوَارِي، قَالَ: قَدْ رَدَدْتُهُ عَلَيْكَ. قَالَتْ : فَقَامَ ابْنُ الدُّغُنَّةِ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، إِنَّ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ قَدْ رَدَّ عَلَيَّ جِوَارِي فَشَأْنُكُمْ بِصَاحِبِكُمْ[2]. وَهَكَذا بَقِيَّ أَبُو بَكْرٍ بِمَكَّةَ إِلى جِوارِ الرَسُولِ الكَرِيمِ ﷺ، مُسْتَجيراً بِاللهِ سُبْحانَهُ وَتَعالَى يَحْتَمِلُ أَذَى مُشْرِكي قُرَيْش، بَعْدَ أَنْ كَانَ الرَسُولُ قَدْ أُذِنَ لَهُ بِالهِجْرَةِ إِلى الحَبَشَةِ.

قوم ابْن الدغنة وَبَنُو المصطلق الخزاعيون. تحالفوا عِنْد جبل يُقَال لَهُ حبشِي فسمو الْأَحَابِيش. انظر: الدرر في اختصار المغازي والسير ١/ ٤١.

[1] ابن هشام: السيرة النبوية ١/ ٣٧٣.بإسناد حسن

[2] ابن هشام: السيرة النبوية ١/ ٣٧٤.

الهجرة الثانية إلى الحبشة:

وَبعدَ هِجْرةِ الحَبَشَةِ الأولَى بِفَترةٍ قَليلَةٍ، حَدثَ أَنْ صَلّى النَبيُّ ﷺ فِي المَسْجدِ الحَرامِ، فَقَرأَ سُورةَ النَجْمِ وَسجدَ فِي مَوضِعِ السُجودِ فَسجدَ مَعهُ كُلُ مَنْ كَانَ يَسْمَعهُ مِنْ المُسلِمينَ والمُشْرِكينَ [1]. وَشاعَ أَنَّ قُرَيْشَاً قَدْ أَسْلَمتْ، وَبلغَ المُسلمينَ وَهمْ بِأرضِ الحَبَشَةِ «أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ أَسْلَموا فَرجعَ نَاسٌ مِنْهُمْ عُثْمَانُ بْنُ مظعونٍ إِلى مَكَّةَ فَلَمْ يَجِدُوا مَا أُخْبِروا بِه صَحْيحَاً فَرَجَعوا وَسارَ مَعَهمْ جَماعةً إِلى الحَبَشَةِ، وَهيَ الهِجْرَة الثانِيَةَ، وَقَدْ ذَكَرتْ إِحْدى الرِواياتِ الصَحيحَةَ أَنَهمْ «كَانُوا اثْنَينِ وَثَمانِينَ رَجُلاً سِوَى نِسائِهمْ وأَبْنائِهمْ ... وَقِيلَ إِنَّ عَددِ نِسائِهمْ كَانَتْ ثَمانِيَّ عَشْرَةَ امْرَأة» [2] . وَلا شَكَّ فِي أَنَّ دَوافِعَ الهِجْرةِ الثَّانِيَةِ قَدْ شَمِلَتْ اشْتِدادَ البَلاءِ وَتَعاظُمَ الفِتْنَةِ والتَعْذيبِ الدّائِمِ للمُسْتَضْعفينَ مِنْ المُسلِمينَ، والعِدْوانِ المُستَمرِّ عَلَى أَصْحابِ الرَسُولِ ﷺ [3].

وَقدْ ذَهبتْ رِواياتٍ مُرْسلَةٍ صَحيْحَةَ السَنِدِ [4] إِلى أَنَّ الْشَيْطانَ كَانَ قَدْ أَلقَى عَلَى لِسانِ الرَسُولِ ﷺفِي قِراءَتِه لِسورةِ النَجْمِ فِي صِلاتِه تِلْكَ فِي الحَرمْ عِبَارَة «تِلْكَ الغَرانِيقُ العُلا وإِنَّ شَفَاعَتَهنَّ لَتُرْتَجَى» ، وَذَهبتْ رِواياتٍ مُرْسلَةٍ وأُخْرَى ضَعيفَةَ الأَسانيدِ إِلى أَنَّ هَذِه العِبارَةَ قَدْ قَالَهَا الشَيْطانُ، وَسَمِعَها المُشْرِكونَ دُونَ المُسْلِمينَ، فَسجدَ المُشْرِكونَ بِسُجودِ المُسلِمينَ [5] . وَقَدْ اِعْتَرَضَ عَلَى هَذِه القِصَّةَ عَددٌ كَبيرٌ مِنْ

---

[1] سبل الهدى والرشاد٨/٢٠٢. المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ١٤٩/١. نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز١/١٢٠.

[2] العمري :السِّيرةُ النَّبَويَّةُ الصَّحيْحَةُ١/١٧٢. عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٦٨/٧.ابن حجر: فتح الباري ١٨٩/٧. فتح السلام شرح عمدة الأحكام ٤٧٥/٣.

[3] ابن إسحاق: السير والمغازى ١/ ٢١٣.

[4] ورد في أسانيدها سعيد بن جبير، وأبا بكر بن عبد الرحمن وأبا العاليه.

[5] روى هذه القصة ابن سعد في طبقاته ١/ ٢٠٥- ٢٠٦، عن طريق الواقدي وهو ضعيف جدّا، والطبري في التفسير وفي إسناده أبو معشر وهو ضعيف، والبيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٢٨٥- ٢٨٧ وإسناده ضعيف،

أَفاضِل العُلَماءِ والنُّقَّادِ [1] . والحَقُّ أَنَّ هَذِه القِصَّةَ تَصْطَدِمُ بِنصوصِ القُرآنِ الكَرِيمِ[2] ، وَعِصْمةُ النُّبوَّةِ فِي قَضِيةِ الوَحْيِّ [3] ، وَتَتعارَضُ معَ عَقيدةِ التَوحيدِ الأَصْلُ فِي العَقيدَة الإِسْلامِيَة.

الوفد القرشي إلى الحبشة :

بَادرَتْ قُرَيْش بَعدَ الهِجْرةِ الثّانِيةِ وَفَشلَها فِي مَنْعِ المُسْلِمينَ مِنْ الهِجْرَةِ، وَنَتيجَة تَخوفِهَا مِنْ انْتِشارِ الدَعْوةِ الإِسْلامِيةِ، فَأَرْسَلتْ وَفْداً مُؤلفاً مِنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وعَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ ، وَمعَهُما الهَدايَا إِلى النَّجَاشِيّ وَبَطارِقَتهُ، بِهدفِ إِعادةِ مَنْ هَاجرَ مِنْ المُسْلِمينَ إِلى مَكَّةَ. وَحاولَ الوَفْدُ إِقْناعَ البَطارقةِ عَنْ طَرِيقِ الهَدايا، وَعنْ طَرِيقِ تَصْويرِ المُهاجِرينَ المُسلِمينَ لَهُمْ بِأَنَهُمْ «غِلْمَانٌ سُفَهَاءُ، فَارَقُوا دِينَ قَوْمِهِمْ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي دِينِكُمْ، وَجَاءُوا بِدِينٍ مُبْتَدَعٍ لَا نَعْرِفُهُ نَحْنُ وَلا أَنْتُمْ... » [4] ، وبيّتوا الأَمْرَ معَ البَطارِقةَ عَلَى أَنْ يَشْيرُوا عَلَى النَّجَاشِيّ بِأَنْ يُسَلِمَهُم إِليهِم وَلا يُكَلِمَهمْ، غَيرَ أَنَّ النَّجَاشِيُّ رَأى ضُرورةِ أَنْ يَتَحرَى الأَمْرَ بِنَفسهِ فَدَعا المُسلِمينَ وَطلبَ مِنْهُم تَوضيحَ حَقيقَةَ دِيْنِهِمْ، فَانْبَرَى جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ﷺ وَتكلَّمَ نِيابَةً عَنْ إِخوانَهُ المُهاجِرينَ كَما

ولم يروها أحد من أصحاب الكتب الستة والإمام أحمد ولا غيرهم من أصحاب الكتب المعتمدة.

[1] نذكر منهم الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٦) ، والقاضي عياض في الشفا (٢/ ٢٨٨ وما بعدها)، العمري :السِّيرةُ النَّبويَّةُ الصَّحيْحَةُ١/١٧١. ، وللشيخ محمد ناصر الدين الألباني رسالة عنوانها «نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق» خرّج فيها أحاديثها وحكم عليها بالضعف والبطلان وقد فسر الألوسي سبب سجود المشركين بما اعتراهم من خوف ودهشة وهم يستمعون إلى أخبار هلاك من سبقهم من الأمم السابقة. انظر: الآلوسي : روح المعاني ٩/ ١٧٤.

[2] سورة النجم: الآية ٢٣ ، سورة الحجر: الآية ٤٢، سورة ص: الآيات ٨٢- ٨٣، سورة النحل: الآية ٩٩.

[3] ناصر الدين الألباني: نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق. أبو شهبة: السيرة النبوية ١/ ٣٦٤- ٣٧٤.

[4] ابن هشام: السيرة ١/ ٣٣٤- ٣٣٥. البيهقي :دلائل النبوة ١/ ٢٩. مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣/ ٢٦٣، حديث ١٧٤٠. عماد الدين خليل :دراسة في السيرة ، ص٦٨.

سَبقَ وَأَسْلَفْنا، قائِلاً: «أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ، وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ، وَعَفَافَهُ، " فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ، وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ، وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا... »[1]

وحِينَ طَلَبَ النَّجَاشِيُّ مِنْ جَعْفَرْ أَنْ يَقْرَأَ عَلَيْهِ شَيْئاً مِمَّا جَاءَ بِه مُحَمَّدْ ﷺ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ صَدْرًا مِنْ (سورة مريم) ، فَبَكَى النَّجَاشِيُّ حَتَّى أَخْضَلَ لِحْيَتَهُ، وَبَكَتْ أَسَاقِفَتُهُ وقَالَ النَّجَاشِيُّ: إِنَّ هَذَا وَالَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى لَيَخْرُجُ مِنْ مِشْكَاةٍ وَاحِدَةٍ، انْطَلِقُوا راشِدينَ . وأَقْسَمَ بِألّا يُسَلِّمَهمْ لِقُرَيْش أَبَداً[2] .وَرَغْمَ فَشَل المُحاولةِ فَقَدَ أثار عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فِي اليوم التَالِي مَوقِفْ الإسْلام مِنْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَنظرةِ المسلمين إليه بزعمه، وَذكرَ للنَّجَاشِيّ بِأَنَهُمْ يقولُونَ فِي عِيسَى قَولاً عَظيماً. فَسَأَلَهُمْ النَّجَاشِيُّ عن قولهم في المسيح ، فَقَالَ لَهُ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: نَقُولُ فِيهِ الَّذِي جَاءَ بِهِ نَبِيُّنَا: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ الْبَتُولِ[3]» . فَضَرَبَ النَّجَاشِيُّ يَدَهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَخَذَ مِنْهَا عُودًا، ثُمَّ قَالَ: «مَا عَدَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا قُلْتَ هَذَا الْعُودَ»[4] واسْتَقَرَّ رَأيَّ النَّجَاشِيّ عَلَى مَنْحِ المُسْلِمينَ

---

(1) اسناده حسن : علق عليه شعيب الاناؤوط في مسند الإمام أحمد ٣/٢٦٣، حديث ١٧٤٠ .

(2) ابن هشام: السيرة ١/ ٣٣٦- ٣٣٧. البيهقي :السنن الكبرى ٩/١٤٤،حديث١٨٨٩٢.المقريزي : إمتاع الأسماع ٤/٣٦٥. العمري :السِّيرةُ النَّبَويَّةُ الصَّحيْحَةُ ١/١٧٣ . ابن كثير :السيرة النبوية ٢/٢١.

(3) امرأة بتول: أي منقطعة عن الرجال، لا شهوة لها فيهم.

(4) ابن إسحاق: السير والمغازي ١/٢١٥.ابن هشام: السيرة ١/ ٣٣٧. عماد الدين خليل : دراسة في السيرة ١/٦٩.

الأمَانَ، «فَأَقامُوا فِي خَيْرِ دَارٍ مع خَيْرِ جَارٍ »[1].

أَمَّا القِسِّيسِينَ وَالرُهْبَان الَّذِينَ سَمِعُوا قَولَ جَعْفَرْ واسْتَمَعوا إليه وَهُوَ يُرَتِلُ القرآن، فَقدْ ذَرَفُوا الدُموعَ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الحَقِّ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى قُولُهُ الكَرِيم: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾[2] .

وَعَلَى الرَغْمِ مِنْ فَشَلِ مُبادَرَةِ قُرِيْشٍ فِي مُحاوَلَتِهَا اِسْتِعادَةِ المُهاجِرِينَ المُسْلِمِينَ، فَإِنَّ هَذِهِ المُحاوَلَةِ تَدُلَ عَلَى إِدْراكِهَا لِخُطورَةِ المَوقِفِ النَاجِمِ عَنْ حُصولِ المُسْلِمِينَ عَلَى مَلْجَأ يَأَوونَ إِلَيْهِ آمِنِينَ، وَخاصَةً أَنَّ الحَبَشَةَ تَدِينُ بِالنَصْرانِيَةِ، وَقَدْ شَاعَ عَنْ مَلِكِهَا العَدْل وَالإِنْصاف، كَمَا أَنَّها قَرِيبَةً مِنْ مَكَّةَ مِمَّا كَانَ يُشَكِلُ خَطَراً مُتَوقِعاً عَلَى قُرَيْش وَمَصالِحَها فِي المُسْتَقبَل.

مَكثَ المُسْلِمونَ فِي الحَبَشَةِ مَا شَاءَ اللهُ لَهُمْ، وَلَقَدْ تُوفِيَّ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ جَحْشٍ، زَوجْ أُمِّ حَبِيبَةَ بنت أبي سفيان فَخَطبَها رَسُولَ اللهِ ﷺ ، وَزَوجَّهُ إِيّاهَا النَّجَاشِيِّ وَدفعَ مَهْرَهَا أَرْبَعَ مِائَةِ دِرْهَمٍ ، ثُمَّ جَهَّزَهَا مِنْ عِنْدِهِ وَقدْ بَعَثهَا النَّجَاشِيِّ إِلى رَسُولَ اللهِ ﷺ مَعَ شُرَحْبِيلَ ابْنِ حَسَنَةَ[3] .

---

[1] البيهقي :دلائل النبوة ٢/٣٠٤. العمري :السِّيرةُ النَّبَويَّةُ الصَّحيْحَةُ ١/١٧٤. السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية ١/٢٤٢. ابن كثير :السيرة النبوية ٢/٢٣.

[2] سورة المائدة: الآيات ٨٢- ٨٣. تفسير الطبري ١٠/ ٤٩٩.

[3] العمري :السِّيرةُ النَّبَويَّةُ الصَّحيْحَةُ ١/١٧٦. الصَّحيحُ من أحاديث السّيرة النبوية ١/٣٤٣.ابن أبي عاصم: الآحاد والمثاني٥/٤١٧، مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤٥/٣٩٨، حديث(٢٧٤٠٨).السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة ٣/ ١٥٠.

اِنْضَمَّ إِلى مُهاجِرةِ الحَبَشَةِ، أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ مع جَمْع مِنْ قَومِهِ بَلغُوا ثَلاثَةٍ وَخَمْسِينَ رَجُلاً وكَانُوا قد رَكِبوا سَفِينَةً يريدون الهِجْرَةِ إِلى المَدينَةِ حِينَ بَلغَهمْ اِسْتقرارِ الوَضْعِ فِيْهَا لِصالِح المُسْلِمينَ فَألقَتهُم الرِّياح إِلى الحَبَشةِ فَالتَحَقوا بِالمُسلِمينَ وَمَكثُوا مَعهُم إِلى أَنْ عَادوا جَمْيعاً إِلى المَدينَةِ حِينَ افْتتحَ المُسلِمونَ خَيْبَرَ [1] ،وَعادَ بَعْضهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعدَ هِجْرةِ المُسلِمينَ إِليهَا وَقَبلَ وَقْعة بَدْر الكُبْرى، وَكانَ عَدَدَهم ثَلاثَةٌ وَثَلاثُونَ رَجُلًا و ثَمانِي نِسْوَةٍ ، وَعادَ البَاقونَ وَعَلَى رَأسِهم جَعْفَرْ بْن أَبِي طالبْ فِي العامِ السَابْع مِنْ الهِجْرَةِ فِي أَعْقابِ فَتْحْ خَيْبَرَ [2] .

فضل مهاجري الحبشة :

جَرى حِوارْ بَينَ أَسْماءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ- إِحْدى المُهاجِرات إِلى الحَبَشَةِ- عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: قال عُمَرَ رضي الله عنه: « سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ الله ﷺ مِنكُمْ» فَغَضِبَتْ أسماء وَقَالَتْ: «كَلَّا وَاللهِ كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ، وَيَعِظُ جَاهِلَكُمْ، وَكُنَّا فِي دَارِ أَوْ فِي أَرْضِ الْبُعَدَاءِ الْبُغَضَاءِ بِالْحَبَشَةِ، وَذَلِكَ فِي الله وَفِي رَسُولِهِ ﷺ ، وَايْمُ الله لَا أَطْعَمُ طَعَامًا، وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَذْكُرَ مَا قُلْتَ لِرَسُولِ الله ﷺ »، وَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ما دَارَ بَيْنَهُمَا ، أَنْصفَ رَسولُ اللهِ مُهاجِري الحَبَشةِ وَقالَ: « لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنكُمْ وَلَهُ وَلِأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ وَلَكُمْ أَنْتُمْ أَهْلَ السَّفِينَةِ هِجْرَتَانِ»[3]،وَلقدْ أَسْعدَ كُلامُ الرَسُولِ ﷺ مُهاجِرةِ الحَبَشَةِ وأَثْلَجَ

---

[1] صحيح البخاري: كتاب الخمس، باب إذا بعث الإمام رسولا في حاجة أو أمره بالمقام هل يسهم له ٤/٩٠، حديث ٣١٣٦. مسند أبي يعلى ١٣/٣٠٣،حديث ٧٣١٦، الصَّحيحُ من أحاديث السّيرة النبوية ١/٣٧٩. سبل الهدى والرشاد ٥/١٣٥.

[2] العمري : السيرة النبوية الصحيحة ١/١٧٦ . ابن سعد: الطبقات الكبرى ١/ ٢٠٧.

[3] صحيح البخاري: كتاب المغازي ،باب غزوة خيبر ٥/١٣٧، حديث ٤٢٣٠ . صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة ،باب من فضائل جعفر بن أبي طالب وأسماء بنت عميس وأهل سفينتهم رضي الله ٤/ ١٩٤٦ ، حديث ٢٥٠٣ .الجامع الصحيح للسيرة النبوية ٤/١٢٨١.

صُدورَهمْ.

إسلام النجاشي:

وَقدْ وَردتْ العَديد مِنْ الدَلائلِ الَّتِي تُفيدْ إِسلامْ النَّجَاشِيُّ ، والظاهِر أَنَّ إِسلامْ النَّجَاشِيّ كَانَ عَلَى يَدْ جَعْفَر ﷺ[1]. وَأَورد الشَيْخان أَنَّ النبيَّ ﷺنَعى النَّجَاشِيّ أَصْحمةَ فِي اليَومِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فِي العَامِ التاسِعْ مِنْ الهِجْرَةِ النَبوِيَّةِ، وأَنَّهُ صَلّى بِالمُسْلِمينَ صَلاةَ الغائِبِ عَلَيْهِ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّهُ قَالَ: نَعَى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّجَاشِيَ صَاحِبَ الْحَبَشَةِ، فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَ: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ» قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُ، «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَفَّ بِهِمْ بِالْمُصَلَّى، فَصَلَّى فَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ»[2].

وفاة أبي طالب:

ألحَّ الْمَرَضُ بِأَبِي طَالِبٍ، فلَمْ يَلْبَثْ أَنْ وافَتْهُ المَنْيةَ، وكانَتْ وَفاتَه فِي رَجَبٍ«١» سنة عشر مِنْ النُّبُوَّةِ، بَعْدَ الْخُرُوجِ من الشِّعْبِ، بِستَّةِ أَشْهُرٍ«٢» . وقِيلَ: تُوُفِّيَ فِي رَمَضَان قبل وَفَاة خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بثَلَاثَة أَيَّام.

وفي الصحيح عَنْ سَعِيدُ بْنُ المُسَيِّبِ، أَنَّ أَبَا طَالِبٍ لَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ المُغِيرَةِ، قَالَ

---

[1] ابن هشام: السيرة ١/ ٣٤١. البيهقي : دلائل النبوة ١/٢٨. مسند الإمام أحمد بن حنبل ٣/٢٦٢. الجامع الصحيح للسيرة النبوية ٤/١٢٧٦.

[2] متفق عليه : صحيح البخاري: كتاب الجنائز ،بابُ الرَّجُلِ يَنْعَى إِلَى أَهْلِ المَيِّتِ بِنَفْسِهِ ٢/٧٢، حديث ١٢٤٥ .صحيح مسلم: كتاب الجنائز ،بَابٌ فِي التَّكْبِيرِ عَلَى الْجَنَازَةِ ٢/ ٦٥٧ ، حديث ٩٥١ .واللفظ له

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَبِي طَالِبٍ: " يَا عَمِّ، قُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا[1] عِنْدَ اللَّهِ " فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ[2] عَبْدِ المُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ، وَيَعُودَانِ بِتِلْكَ المَقَالَةِ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ[3] » [4] فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾[5] .ونزلت ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾[6] .

وفِي الصَحِيح عَنْ العَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ : مَا أَغْنَيْتَ[7] عَنْ عَمِّكَ[8]، فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ[9]وَيَغْضَبُ لَكَ؟ قَالَ: «هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ ضَحْضَاحٍ [10]مِنْ نَارٍ، وَلَوْلاَ أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرَكِ[11] الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ»[12]. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ ، وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ، فَقَالَ: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ

---

[1] أشهد لك بها: أحاجج لك بها وأدافع عنك.

[2] أترغب عن ملة: أتعرض عن طريقة.

[3] أنه عنك: أنه عن الاستغفار لك.

[4] صحيح: صحيح البخاري :كتاب الجنائز ،بابُ إِذَا قَالَ المُشْرِكُ عِنْدَ المَوْتِ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ٢/ ٩٥،حديث (١٣٦٠).

[5] سورة التوبة :الآية ١١٣.

[6] سورة القصص :الآية ٥٦.

[7] ما أغنيت: ماذا نفعته وأي شيء دفعته عنه.

[8] عمك: أبي طالب.

[9] يحوطك: يصونك ويدافع عنك.

[10] ضحضاح: هو الموضع القريب القعر والمعنى أنه خفف عنه شيء من العذاب.

[11] الدرك: طبق من أطباق جهنم وأسفل كل شيء ذي عمق ويقال لما انخفض درك كما يقال لما ارتفع درج.

[12] صحيح: صحيح البخاري :كتاب مناقب الانصار ،بابُ قصة أبي طالب ٥/ ٥٢،حديث (٣٨٨٣).

دِمَاغُهُ»[1].

خديجة إلى رحمة الله:

وبَعْدَ وفاة أَبِي طَالِبٍ بنحو شَهْرَيْنِ أو ثَلَاثَة – على اخْتِلَافِ الْقَوْلَيْنِ – تُوُفِّيَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ خَدِيجَةُ الْكُبْرَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، كانت وَفاتَها في شَهْرِ رَمَضَانَ في السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ مِنَ النُّبُوَّةِ، وَلَهَا خَمْسٌ وَسِتُّونَ سَنَةً ، ورَسُول اللَّهِ ﷺ إذ ذَاكَ في الْخَمْسِينَ مِنْ عُمُرِهِ . إنَّ خَدِيجَة كانت مِنْ نِعَمِ اللَّهِ الجليلة على رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، بَقِيَتْ مَعَهُ رُبْعَ قَرنٍ تَحُنُّ عَلَيهِ ساعةَ قَلَقِهِ، وتُؤازِرُهُ في أَحْرَجِ أَوْقَاتِهِ ، وتُعينُهُ على إبلاغِ رسالتِهِ، وتُشارِكُهُ في مغارِمِ الجِهادِ المُرِّ، وتُواسيه بِنَفْسِهَا ومالها، يقول رَسُولُ اللهِ ﷺ: آمَنَتْ بِي حِينَ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَأَعْطَتْنِي مَالَهَا حِينَ حَرَمَنِي النَّاسُ[2].

وَفِي الصَحيحْ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ ﷺ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لاَ صَخَبَ فِيهِ، وَلاَ نَصَبَ "[3].

تراكم الأحزان:

وَقَعتْ هاتانْ الحادِثَتانْ المُؤلِمَتانْ خِلالْ أَيَّاماً مَعْدُودَةً ، فأهْتَزتْ مَشاعِرِ الحُزْن والأَلَمَ في قَلْبِ رَسولِ اللهِ ﷺ ، ثُمَّ لَمْ تَزَلْ تَتوالى عَلَيْهِ الْمَصَائِبُ مِنْ قَومِهِ، فَقَدْ كانوا

---

[1] صحيح: صحيح البخاري :كتاب مناقب الانصار ،بابُ قصة أبي طالب ٥/٥٢،حديث (٣٨٨٥).

[2] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٩/٣٦٥٩.

[3] صحيح: صحيح البخاري :كتاب فضائل الصحابة ،بابُ تَزْوِيجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَدِيجَةَ وَفَضْلِهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا٥/٣٩حديث (٣٨٢٠).

تَجرأوا عَلَيْهِ، وكاشَفوهُ بالنكالِ والأذَى بَعْدَّ مَوتِ أَبِي طَالِبٍ ، فَازْدادَ غَمًّا على غَمٍّ، حَتَّى يَئِسَ مِنْهُمْ وخَرَج إلى الطائِفَ، رَجاءَ أَنْ يَسْتَجِيبُوا لِدَعْوَتِهِ أو يُؤووهُ ويَنْصُروهُ على قَوْمِهِ، فَلَمْ يَرَ من يؤوي ولَمْ يَرَ ناصِراً، وآذوه مَعَ ذَلِكَ أَشَدَّ الأذَى، وَنالوا مِنْهُ ما لَمْ يَنَلْهُ قَومَهُ[1]. قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: لَمَّا هَلَكَ أَبُو طَالِبٍ، نَالَتْ قُرَيْشٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْأَذَى مَا لَمْ تَكُنْ تَطْمَعُ بِهِ فِي حَيَاةِ أَبِي طَالِبٍ، حَتَّى اعْتَرَضَهُ سَفِيهٌ مِنْ سُفَهَاءِ قُرَيْشٍ، فَنَثَرَ عَلَى رَأْسِهِ تُرَابًا و دَخَلَ بَيْتَهُ، وَالتُّرَابُ عَلَى رَأْسِهِ، فَقَامَتْ إلَيْهِ إحْدَى بَنَاتِهِ، فَجَعَلَتْ تَغْسِلُ عَنْهُ التُّرَابَ وَهِيَ تَبْكِي، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ لَهَا:لَا تَبْكِي يَا بُنَيَّةِ، فَإِنَّ اللَّهَ مَانِعٌ أَبَاكَ. قَالَ: وَيَقُولُ بَيْنَ ذَلِكَ: مَا نَالَتْ مِنِّي قُرَيْشٌ شَيْئًا أَكْرَهُهُ، حَتَّى مَاتَ أَبُو طَالِبٍ[2].ونَظَراً لِتَوالِيْ مِثلَ هذِه الآلام في هَذَا الْعَامِ فَقَدْ سَمّاهُ بُعضُ المُؤرخينَ «عامَ الحُزْن»، ولَمْ يَرَو أَنَّ النبيَّ ﷺ سَمّاهُ بِهذا الإسْم [3] .

رحلة الرسول ﷺ إلى الطائف:

اشْتَدَتْ مُقاومَة قُرَيْشٌ للدَعوةِ الإسْلاميَةِ، وَلَمَّا هَلَكَ أَبُو طَالِبٍ نَالَتْ قُرَيْشٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْأَذَى مَا لَمْ تَكُنْ تَنَالُ مِنْهُ فِي حَيَاةِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إلَى الطَّائِفِ، يَلْتَمِسُ النُّصْرَةَ مِنْ ثَقِيفٍ، وَالْمَنْعَةَ بِهِمْ مِنْ قَوْمِهِ، وَرَجَاءَ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَخَرَجَ إلَيْهِمْ وَحْدَهُ[4]. ورجاء أن يَقْبَلوا مِنْهُ ما جاءَهُمْ بِهِ مِنْ اللهﷻ ولكن ثَقِيفاً لَمْ تَسْتَجِبْ لهُ، وَأَغْرَى زُعَماؤها وأَشْرافَها صِبْيانَهُمْ وسُفَهَاءَهُمْ وَعَبِيدَهُمْ، يَسُبُّونَهُ وَيَصِيحُونَ بِهِ، اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ

---

[1] ابن القيم : زاد المعاد ٣/٢٨.

[2] ابن هشام : السيرة النبوية ١/٤١٦.

[3] الألباني: دفاع عن الحديث النبوي والسيرة ص٨.

[4] ابن هشام: السيرة ١/ ٤١٩.

ورشقوه بالحجارة وَأَلْجَئُوهُ إِلَى حَائِطٍ [1]لِعُتْبَةَ وَشَيْبَةَ ابْنِي رَبِيعَةَ ، وَرَجَعَ عَنْهُ مِنْ سُفَهَاءِ ثَقِيفٍ مَنْ كَانَ يَتْبَعُهُ، فَعَمَدَ إِلَى ظِلِّ حَبَلَةٍ [2]مِنْ عِنَبٍ، فَجَلَسَ فِيهِ[3]

وَذكَرتْ كُتبْ السِّيرَة أَنَّهُ ﷺ لمَّا اطْمَأنَ، تَوجهَ إِلى رَبهِ بِالشَكوى: « اللَّهمّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ، وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي [4] ؟ أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي، وَلَكِنَّ عَافِيَتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ [5] ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سُخْطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ» [6] . وَقدْ وَردَ فِي الصَحيحَينِ أن رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قال: فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذا أَنا بِسَحابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ فَإِذا فِيها جبريلُ فَنادانِي فَقالَ: إِنَّ الله قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَما رَدُّوا عَلَيْكَ وَقَد بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبالِ لِتَأْمُرَهُ بِما شِئْتَ فِيهِمْ فَنادانِي

---

[1] الْحَائِط: الْبُسْتَان.

[2] الحبلة: شَجَرَة الْعِنَب، أَو قضبانها.

[3] ابن هشام: السيرة ١/ ٤٢٠. ابن سعد: الطبقات ١/ ٢١١- ٢١٢.

[4] تجهمه: استقبله بِوَجْه كريه.

[5] الْوَجْه، إِذا جَاءَ ذكره فِي الْكتاب وَالسّنة، فَهُوَ يَنْقَسِم فِي الذّكر إِلَى موطنين: موطن تقرب واسترضاء بِعَمَل، كَقَوْلِه تَعَالَى: يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ، وَكَقَوْلِه: إِلَّا ابْتِغاءَ وَجْهِ رَبِّهِ ، فالمطلوب فِي هَذَا الموطن رِضَاهُ وقبوله للْعَمَل، وإقباله على العَبْد الْعَامِل، وَأَصله أَن من رضى عَنْك أقبل عَلَيْك، وَمن غضب عَلَيْك أعرض عَنْك، وَلم يَرك وَجهه.

والموطن الثَّانِي من مَوَاطِن ذكر الْوَجْه يُرَاد بِهِ مَا ظهر إِلَى الْقُلُوب والبصائر من أَوْصَاف جَلَاله ومجده، كَقَوْلِه تَعَالَى: وَيَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ وَالْوَجْه لُغَة: مَا ظهر من الشَّيْء معقولا كَانَ أَو محسوسا.

أما النُّور فعبارة عَن الظُّهُور وانكشاف الْحَقَائِق الإلهية. وَبِه أشرقت الظُّلُمَات، أَي أشرقت محالها، وَهِي الْقُلُوب الَّتِي كَانَت فِيهَا ظلمات الْجَهَالَة والشكوك. أنظر: سيرة ابن هشام ١/ ٤٢٠.

[6] ابن هشام: السيرة ١/ ٤٢٠، وإسناده حسن مرسل . ورواه ابن سعد في الطبقات (١/ ٢١١- ٢١٢) مختصرا وفي إسناده الواقدي، ورواه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٤١٤- ٤١٧) عن طريق موسى بن عقبة عن الزهري، كما ذكره السيوطي في الجامع الصغير، وعزاه للطبراني وحسّنه.

مَلَكُ الْجِبالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّدُ فَقالَ: ذَلِكَ فِيما شِئْت[1] إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمْ [2]الْأَخْشَبَيْنِ[3]، فَقالَ النَّبِي ﷺ : « بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ الله مِنْ أصلابِهِم مَنْ يَعبد الله وَحدَهُ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» [4]. وفي طَرِيق عَوْدَتِه مِنْ الطَّائِفِ، وعِنْدَ حَائِط ابْنَي رَبِيعَةَ ، التَقى بعَدَّاسٍ النَّصْرَانِيِّ فَأَسْلَمَ [5] ، وَأَقَامَ الرَّسُول ﷺ أَيَّامَاً فِي وَادِيَ نَخْلَةَ القَرِيب مِنْ مَكَّةَ- وَخِلال فَتْرَة إِقَامَتِه هَذِه بَعثَ اللهُ إليهِ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ اسْتَمَعُوا إِلى الْقُرْآنَ الكَرِيْم، وَأَسْلَمُوا وَعَادُوا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ وَمُبَشِّرِينَ كَمَا ذَكَر اللهُ تَعَالى فِي كِتَابِه العَزِيز: ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٠) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١) وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [6][7].وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ مَكَّةَ عِنْدَ عَودَتِهِ مِنَ الطَائِفْ فِي

---

[1] فما شئت: استفهام أي فأمرني بما شئت.

[2] إن شئت أن أطبق عليهم: شرط وجزاؤه مقدر وهو أطبقت أي إن شئت ضممت الأخشبين وجعلتهما كالطبق عليهم حتى هلكوا تحته.

[3] الأخشبين: هما جبلا مكة أبو قبيس والجبل الذي يقابله.

[4] متفق عليه أخرجه البخاري : كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، حديث(٣٢٣١).صحيح : صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين٣/ ١٤٢٠،حديث(١٧٩٥).

[5] أرّخ الواقدي الرحلة في شوال سنة عشر من المبعث بعد وفاة أبي طالب وخديجة- رضي الله عنها- وذكر أن مدة إقامته بالطائف عشرة أيام، ابن سعد- الطبقات ١/ ٢١٢.

[6] سورة الأحقاف: الآيات ٢٩ – ٣٢.

[7] صحيح : علق الذهبي عليه في مستدرك الحاكم: كتاب التفسير، باب تفسيرسورة الاحقاف ٢/٤٩٥،حديث (٣٧٠١) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وصححه الوادعي في "الصحيح المسند من أسباب النزول" (٢٥٢).

جِوَارِ المُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ ، الَّذِي تَهَيَّأَ هُوَ وَبَنُوهُ لِحِمَايَةِ الرَّسُول ﷺ [1] ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أُسارَى بَدرٍ: « لَوْ كانَ المُطْعِمُ بن عَدِيٍّ حَيا ثُمَّ كَلَّمَنِي في هَؤُلاءِ النَّتْنَي لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ» [2].

الإسراء والمعراج:

إنَّ الإِسْراء و الْمِعْرَاج حادِثَتانِ مُتَلازِمَتانِ ومُتَرادِفَتانِ وَهُما ثابِتَتانِ بِنَصِّ الْقُرْآن الْكَرِيم ، والسُّنَّةِ النبويَّةِ الصَّحِيحَةِ. فَلَقَدْ نَصَّ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ على أنَّ مُعْجِزَةِ الإِسْراء قَدْ تَمَتْ لَيْلاً حِينَ تَمَّ انْتِقَال الرَّسُول ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ الحَرامِ فِي مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ، إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى في الْقُدُسِ الشَّرِيفِ بِأَرْضِ فِلَسْطِينَ: ﴿سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتِنا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [3] . أمّا الْمِعْرَاج، فَهُوَ الانْتِقَال بالرَّسُولِ ﷺإِلَى السَّمَوَاتِ ، لِتَصِلَ بِه إلى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى و لِيَطَّلِعَ بِحَوَاسِّهِ وَدونَ شَكْ على آيَاتِ اللَّهِ الْكُبْرَى ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [4] .

وَلَقَدْ صَحَّتْ الرِّوَايَاتِ عَنْ قِيَامِ الْمَلَكِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِشَقِّ صَدْرِ الرَّسُولِ ﷺ ثانِيَةً فِي هَذِه المُناسَبةِ، وغَسْلِه لِقَلْبِه ﷺ بِمَاءِ زَمْزَمَ ، وإِفْراغِه الحِكْمَةَ والإِيْمانِ في

---

[1] ابن هشام: السيرة ١/ ٣٨١، ابن كثير: البداية والنهاية ٤/ ٣٤٢، وانظر ابن سعد: الطبقات ١/ ٢١٢.

[2] صحيح: أخرجه البخاريُّ : كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرًا ٥/٨٦،حديث(٤٠٢٤).

[3] سورة الإسراء: الآية ١.

[4] سورة النجم: الآيات ١٣- ١٨.

صَدْرِهِ [١] . فَفي الصَّحِيحَيْنِ عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ تحدّث أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ، مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، فَلَمَّا جَاءَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ... .» [٢] ممّا يُؤَكِدْ أَنَّ هَذِه العَمليَةِ قَدْ تمَّتْ في لَيْلَةِ الإِسْراءِ وأَنَّ ذَلِكَ كَانَ إِعْداداً لَهُ لِتَحَمّلِ الرِحْلَةِ، وَهِيَ تَظْهَرُ في عَدَمْ تَأثُر جِسْمُهُ ﷺ بِشَّقِ الصَدْرِ وإِخْراجِ القَلْبِ وغَسْلِه، ممّا يُشْير إلى تَأمينِه مِنْ جَميعِ المَخاطِرِ. إنَّ هَذِه الْأُمُورِ الْخَارِقَةِ لقَوانينِ الْحَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ والْعَادَةِ وَمَا جَرَى التَّعَارُفِ عَلَيْهِ هِيَ أُمُورٌ وَقَعتْ، ويَجِب التَسْليم بِهَا وَعدَمْ صَرْفِها عَنْ حَقيقَتِها الثَّابِتَةِ ، وَهِيَ إِنْفَاذٌ لِإِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وقُدْرَتِه الَّتِي لا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهَا شَيْء. [٣] .

وبَعْدَ الانْتِهاءِ مِنْ شَقِّ الصَدْرِ وغَسْلِه أُسْرِيَّ بِرَسُولِ الله ﷺ إلى بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، وَهُوَ راكِبٌ ظَهْرَ الْبرَاقِ [٤] . فَقدْ ذَكَر أَنَسٌ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ : « أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ... » [٥] . وفي بَيْتَ الْمَقْدِسِ صَلّى الرَّسُولُ ﷺ بِبَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ ، ووَصَفَ

---

[١] صحيح البخاري : كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الاسراء ١/٧٨، حديث ٣٤٩ .صحيح البخاري : كتاب الحج، باب ما جاء في زمزم ٢/١٥٦، حديث ١٦٣٦ .صحيح البخاري : كتاب الانبياء، باب ذكر ادريس عليه السلام ٤/١٣٥، حديث ٣٣٤٢.

[٢] متفق عليه : صحيح البخاري: كتاب الانبياء ، باب{ذكر ادريس عليه السلام}٤/١٣٥، حديث ٣٣٤٢ . صحيح مسلم : كتاب الايمان ، بابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاوَاتِ١/١٤٨،حديث ١٦٣ .

[٣] ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٢٠٥ .

[٤] المصدر نفسه ٧/ ٢٠٣ .

[٥] ابن حجر: فتح الباري ١٠/ ٣٣ حديث ٥٥٧٦. صحيح : صحيح مسلم : كتاب الايمان ، بابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاوَاتِ١/١٤٥،حديث ١٦٢.

هَيْئَاتِهِمْ ، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ لَهُ جِبْرِيلُ فَفُتِحَ لَهُ، فَرَأَى هُنَالِكَ آدَمَ أَبَا الْبَشَرِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَرَحَّبَ بِهِ، وَأَقَرَّ بِنُبُوَّتِهِ، وَأَرَاهُ اللَّهُ أَرْوَاحَ السُّعَدَاءِ عَنْ يَمِينِهِ، وَأَرْوَاحَ الْأَشْقِيَاءِ عَنْ يَسَارِهِ.

ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فَاسْتَفْتَحَ لَهُ، فَرَأَى فِيهَا يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَلَقِيَهُمَا وَسَلَّمَ عَلَيْهِمَا، فَرَدَّا عَلَيْهِ وَرَحَّبَا بِهِ، وَأَقَرَّا بِنُبُوَّتِهِ. ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَرَأَى فِيهَا يُوسُفَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ وَرَحَّبَ بِهِ، وَأَقَرَّ بِنُبُوَّتِهِ.ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَرَأَى فِيهَا إِدْرِيسَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَرَحَّبَ بِهِ وَأَقَرَّ بِنُبُوَّتِهِ.ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَرَأَى فِيهَا هَارُونَ بْنَ عِمْرَانَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَرَحَّبَ بِهِ، وَأَقَرَّ بِنُبُوَّتِهِ. ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَلَقِيَ فِيهَا مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ وَرَحَّبَ بِهِ، وَأَقَرَّ بِنُبُوَّتِهِ. فَلَمَّا جَاوَزَهُ بَكَى مُوسَى، فَقِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: أَبْكِي لِأَنَّ غُلَامًا بُعِثَ مِنْ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّا يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي.ثُمَّ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَلَقِيَ فِيهَا إِبْرَاهِيمَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، وَرَحَّبَ بِهِ وَأَقَرَّ بِنُبُوَّتِهِ[1].ثُمَّ رُفِعَ

---

[1] «...فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، فَقَالَ: هَذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلَامَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى، وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ، قَالَ: هَذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِمَا، فَسَلَّمْتُ فَرَدَّا، ثُمَّ قَالاَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ، قَالَ: هَذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: أَوَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ فَفُتِحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِلَى إِدْرِيسَ، قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي، حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الخَامِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ:

إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلاَلِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الفِيَلَةِ[1]،فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ[2] ونور وألوان ، تغيرت ،فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِفَهَا مِنْ حُسْنِهَا[3] ثُمَّ رُفِعَ لَهُ الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ [4] ، ثم أدخل الجنة فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ[5] اللُّؤْلُؤَ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ[6]، وعُرِجَ بِه حَتَّى ظَهَر لِمُسْتَوَى يسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلاَمِ[7]. ولقد رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ[8]، وَإِنَّهُ أَتَاهُ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ فِي صُورَتِهِ الَّتِي هِيَ صُورَتُهُ فَسَدَّ أُفُقَ السَّمَاءِ[9]، وفُرِضَ عَلَيَّه خَمْسِينَ صَلاَةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلَ إِلَى

مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا هَارُونُ، قَالَ: هَذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةَ فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا مُوسَى، قَالَ: هَذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيْهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ ثُمَّ قَالَ: مَرْحَبًا بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى، قِيلَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي لِأَنَّ غُلاَمًا بُعِثَ بَعْدِي يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي، ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى [ص:٥٤] السَّمَاءِ السَّابِعَةِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: مَرْحَبًا بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ قَالَ: هَذَا أَبُوكَ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ فَرَدَّ السَّلاَمَ، قَالَ: مَرْحَبًا بِالِابْنِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ... انظر، صحيح : صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، بابُ المعراج ٥/٥٢،حديث ٣٨٨٧.

(١) صحيح : صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة ، بابُ المعراج ٥/٥٢،حديث ٣٨٨٧.

(٢) صحيح : صحيح مسلم : كتاب الايمان ، بَابٌ فِي ذِكْرِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ١/١٥٧،حديث ١٧٣ .

فراش من ذهب: الفراش دويبة ذات جناحين تتهافت في ضوء السراج واحدتها فراشه.

(٣) اسناده صحيح على شرط مسلم ،علق عليه الارناؤوط في مسند احمد ١٩/٤٨٧، حديث ١٢٥٠٥ .

(٤)صحيح : صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق، بابُ ذكر الملائكة ٤/١٠٩،حديث ٣٢٠٧.

(٥) جنابذ: هي القباب واحدتها جنبذة

(٦) صحيح : صحيح مسلم : كتاب الايمان ، بابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاوَاتِ١/١٤٨،حديث ١٦٣ .

(٧) صحيح : صحيح البخاري : كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الاسراء ١/٧٨، حديث ٣٤٩ .

(٨) صحيح : صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، بابُ {فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى}٦/١٤١،حديث ٤٨٥٦.

(٩) صحيح : صحيح مسلم : كتاب الايمان ، بَابُ مَعْنَى قَوْلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً

مُوسَى ﷺ، فَقَالَ: مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُال: خَمْسِينَ صَلَاةً، قَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ "، قَالَ: " فَرَجَعَ إِلَى رَبِّه، فَقُال: يَا رَبِّ، خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّه خَمْسًا، فَرَجَعَ إِلَى مُوسَى، فَقال: حَطَّ عَنِّي خَمْسًا، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ "، " فَلَمْ يزَلْ يرْجِعُ بَيْنَ رَبِّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً "، قَالَ: " فَنَزَل حَتَّى انْتَهَى إِلَى مُوسَى ﷺ، فَأَخْبَره، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ "، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ": قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ " انتهى[1].

وقَدْ رأى ضِمْنَ هذه الرِحْلَةِ أُموراً عَديدَةً:

- عُرِضَ عَليهِ اللَّبَنَ و الْخَمْرَ، فَاخْتَارَ اللَّبَنَ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: " أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ بِإِيلِيَاءَ بِقَدَحَيْنِ مِنْ خَمْرٍ، وَلَبَنٍ فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَخَذَ اللَّبَنَ، قَالَ جِبْرِيلُ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَاكَ لِلْفِطْرَةِ، لَوْ أَخَذْتَ الخَمْرَ غَوَتْ أُمَّتُكَ[2].
- ورأى أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ في الْجَنَّةِ: نَهَرَانِ ظَاهِرَانِ ،وَنَهَرَانِ بَاطِنَانِ ، والظَّاهِرَانِ هما:

أُخْرَى}١/١٦٠،حديث ١٧٧.

[1] صحيح : صحيح مسلم : كتاب الايمان ، بابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاوَاتِ١/١٤٥،حديث ١٦٢.

[2] متفق عليه: صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، بابُ قَوْلِهِ: {أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ}٦/٨٣،حديث ٤٧٠٩. صحيح مسلم : كتاب الايمان ، بابُ الْإِسْرَاءِ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السَّمَاوَاتِ١/١٥٤،حديث ١٦٨.

النِّيلُ وَالفُرَاتُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " رُفِعْتُ إِلَى السِّدْرَةِ، فَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهَرَانِ ظَاهِرَانِ وَنَهَرَانِ بَاطِنَانِ، فَأَمَّا الظَّاهِرَانِ: النِّيلُ وَالفُرَاتُ، وَأَمَّا البَاطِنَانِ: فَنَهَرَانِ فِي الجَنَّةِ[1]،ومَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ رِسَالَتَهُ سَتتوَطَنْ الْأَوْدِيَةِ الخَصِبَةِ فِي النِّيلِ وَالفُرَاتِ ، وسَيَكُونُ أَهْلَهَا حَمَلَةَ الْإِسْلَامِ جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ، ولَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ مِيَاهَ النَّهَرَيْنِ تَنْبَعُ مِنَ الْجَنَّةِ .

- ورأى مَالِك خَازِنَ النَّارِ. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي قَالاَ الَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ، وَأَنَا جِبْرِيلُ وَهَذَا مِيكَائِيلُ»[2].
- ورأى أَكَلَةَ لُحُومَ النَّاسِ بالْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: "لما عُرج بي مررتُ بقوم لهم أظفارٌ من نُحاسٍ يخمُشونَ بها وجُوهَهُم وصدُورَهُم، فقلت: مَن هؤلاء يا جبريلُ؟ قال: هؤلاء الذين يأكلُون لحومَ الناس، ويقعونَ في أعراضِهِم"[3].

قال ابن القيم : فَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي قَوْمِهِ أَخْبَرَهُمْ بِمَا أَرَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ آيَاتِهِ الْكُبْرَى، فَاشْتَدَّ تَكْذِيبُهُمْ لَهُ، وَأَذَاهُمْ وَضَرَاوَتُهُمْ عَلَيْهِ، قَالَ: جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الحِجْرِ فَجَلَّى اللَّهُ لِي بَيْتَ المَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ»[4]، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ شَيْئًا. وَأَخْبَرَهُمْ عَنْ عِيرِهِمْ فِي مَسْرَاهُ وَرُجُوعِهِ، وَأَخْبَرَهُمْ عَنْ وَقْتِ قُدُومِهَا،

---

(1) صحيح : صحيح البخاري: كتاب الاشربة ، باب شرب اللبن ١٠٩/٧، حديث ٥٦١٠.

(2) صحيح : صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق ،بَابُ إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ: آمِينَ وَالمَلاَئِكَةُ فِي السَّمَاءِ١١٦/٤، حديث ٣٢٣٦.

(3) صحيح : علق عليه الالباني في سنن ابي داؤد ٦٨٥/٦،حديث ٤٨٧٨.

(4) صحيح : صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، بابُ قَوْلِهِ: {أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ المَسْجِدِ الحَرَامِ}٨٣/٦،حديث ٤٧١٠.

وَأَخْبَرَهُمْ عَنِ الْبَعِيرِ الَّذِي يَقْدُمُهَا، وَكَانَ الْأَمْرُ كَمَا قَالَ، فَلَمْ يَزِدْهُمْ ذَلِكَ إِلَّا نُفُورًا، وَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا[1]. يُقَالُ سُمِّيَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ صِدِّيقًا ؛ لِتَصْدِيقِهِ هَذِهِ الْوَاقِعَة حِينَ كَذَبَهَا النَّاس [2].

والمُتَأمِل في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (١) وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا (٢) ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا (٣) وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا (٧) عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (٨) إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ [3] .

يَرَى أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ قِصَّةَ الإِسْراءِ فِي آيَةٍ وَاحِدَةٍ فَقطْ، ثُمَّ أَخذَ فِي ذِكْرِ فَضائِحْ الْيَهُودَ و جَرَائِمِهِمْ ، ثُمَّ نَبَّهَهُمْ بِإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ، فَرُبَما يَظُنُ القَارِئ أَنَّ الْآيَتَيْنِ لَيْسَ بَيْنَهُمَا إرتِباطْ، والْأَمْرُ لَيْسَ كَذَلِكَ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُشيرُ بِهذا الْأُسْلُوبِ إلى أَنَّ الإِسْراءِ إِنَّمَا وَقَعَ إلى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ؛ لأن الْيَهُودَ سَيُعْزَلونَ عَنْ مَنْصِبِ قِيَادَةِ

---

[1] ابن القيم : زاد المعاد ٣/ ٣٥.

[2] ابن هشام :السيرة النبوية ١/ ٣٩٩.

[3] سورة الاسراء: الآيات ١-٩.

الْأَمَةُ الْإِنْسَانِيَّةِ؛ لمّا ارْتَكَبُوا مِنْ الْجَرَائِمَ التي لَمْ يَبْقَ مَعَهَا مَجَالٌ لِبَقَائِهِمْ عَلَى هَذَا الْمَنْصِبِ، وَأَنَّ اللَّهَ سَيُنْقَلُ هذا الْمَنْصِبِ فِعْلاً إِلَى رَسُولِهِﷺ ، إِلَى أُمَةٍ تَتَدَفَّقُ بالْبِرِّ والْخَيْرَاتِ، ولايَزَالُ رَسُولُهَا يَتَمَتَّعُ بِوَحْيِ الْقُرْآنَ الَّذِي يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ [1].لَقَدْ كَانَتْ رِحْلَةِ الإسراء و الْمِعْرَاجِ مُكَافَأَةً رَبَّانِيَّةً على ما لاقَاهُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ أَتْرَاحْ وآلامْ وأَحْزَانَ ، إِذْ كان بَعْدَ حِصارِ دامَ ثَلَاثُ سَنَوَاتٍ في شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ وما لاقَاهُ في أَثْنَائِهِ من جُوعٍ وحِرْمَانٍ ، إِنَّهُ كَانَ بَعدَ فَقْدِ النَّاصِرِ الْحَمِيمِ ، وفَقْدِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَهُ كَانَ بَعْدَ خَيْبَةَ الْأَمَلِ فِي ثَقِيفٍ ،وما ناله مِنْ سُفَهَائِهَا وصِبْيَانِهَا وعَبِيدِهَا. بَعْدَ هذهِ الآلامِ كَافَأَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ فَرَفَعَهُ إِلَيْهِ ، وقَرَبهُ وأَدْنَاهُ، وخَلَعَ عَلَيْهِ مِنْ حُلَلِ الرِّضَا ما أَنْسَاهُ كُلَّ ما كَانَ قَدْ لاقاهُ مِنْ حُزْنٍ وَأَلَمٍ ونَصَبٍ وتَعبٍ، وما قَدْ يُلاقيهِ في سَبيلِ إِبلاغِ رِسَالَتِهِ ونَشْرِ دَعْوَتَهِ.

بيعة العقبة الأولى:

لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ الْعَقَبَةِ فِي مَوْسِمِ الحج من العام الحادي عشر من البِعْثة سِتَّةَ نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ كُلُّهُمْ مِنَ الْخَزْرَجِ، وَهُمْ: أَبُو أُمَامَةَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ، وَعَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ، ورافع بن مالك، وقطبة بن عامر، وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، وجابر بن عبد الله بن رئاب، فَدَعَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْإِسْلَامِ فَأَسْلَمُوا.ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَدَعَوْهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَفَشَا الْإِسْلَامُ فِيهَا حَتَى لَمْ يَبْقَ دَارٌ إِلَّا وَقَدْ دَخَلَهَا الْإِسْلَامُ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ، جَاءَ مِنْهُمُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، السِّتَّةُ الْأُوَلُ خَلَا جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، وَمَعَهُمْ معاذ بن الحارث بن رفاعة أَخُو عوف الْمُتَقَدِّمِ، وذكوان بن عبد القيس، وَقَدْ أَقَامَ ذكوان بِمَكَّةَ حَتَّى هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَيُقَالُ: إِنَّهُ مُهَاجِرِيٌّ أَنْصَارِيٌّ، وَعُبَادَةُ بْنُ

[1] المباركفوري : الرحيق المختوم ص١٦٤.

الصَّامِتِ، ويزيد بن ثعلبة، وَأَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهَانِ، وعويمر بن مالك هُمُ اثْنَا عَشَرَ[1].اتصل هؤلاء برسول الله ﷺ عند العقبة بمنى، فبايعوه بيعة النساء، أي وفق بيعتهن التي نزلت بعد الحديبية . رُوِي عن عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَعَالَوْا بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلاَ تَسْرِقُوا، وَلاَ تَزْنُوا، وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ، وَلاَ تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلاَ تَعْصُونِي فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ لَهُ كَفَّارَةٌ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اللَّهُ فَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ» قَالَ: فَبَايَعْتُهُ عَلَى ذَلِكَ[2].

سفير الإسلام في المدينة:

وبعدَ أنْ تَمَت البيعة وانْتَهى المَوسِم ، بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُمْ أول سفير في يثرب هو مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ فَأَمَرَهُ أَنْ يُقْرِئَهُمُ الْقُرْآنَ وَيُعَلِّمَهُمُ الْإِسْلَامَ وَيُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ وَكَانَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ يُسَمَّى بِالْمَدِينَةَ الْمُقْرِئَ[3].

---

[1] ابن القيم : زاد المعاد ٣/ ٤١.

[2] صحيح :صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة ، باب وفود الانصار٥/ ٥٥،حديث ٣٨٩٢.

[3] الاصبهاني :دلائل النبوة ١/ ٢٩٩.

اسلام بني عبد الأشهل:

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: أَنَّ أَسْعَدَ بْنَ زُرَارَةَ خَرَجَ بِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ يُرِيدُ بِهِ دَارَ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَدَارَ بَنِي ظَفَرٍ، وَكَانَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ بْنَ خَالَةِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ، فَدَخَلَ بِهِ حَائِطًا مِنْ حَوَائِطِ بَنِي ظَفَرٍ. وَجَلَسَا على بِئْرُ يقال لها بِئْرُ مَرَقٍ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِمَا رِجَالٌ مِمَّنْ أَسْلَمَ، وَسَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، يَوْمَئِذٍ سَيِّدَا قَوْمِهِمَا مِنْ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، وَكِلَاهُمَا مُشْرِكٌ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، فَلَمَّا سَمِعَا بِهِ قَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ لِأُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ: لَا أَبَا لَكَ، انْطَلِقْ إِلَى هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ اللَّذَيْنِ قَدْ أَتَيَا دَارَيْنَا لِيُسَفِّهَا ضُعَفَاءَنَا، فَازْجُرْهُمَا وَانْهَهُمَا عَنْ أَنْ يَأْتِيَا دَارَيْنَا، فَإِنَّهُ لَوْلَا أَنَّ أَسْعَدَ بْنَ زُرَارَةَ مِنِّي حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُ كَفَيْتُكَ ذَلِكَ، هُوَ ابْنُ خَالَتِي، وَلَا أَجِدُ عَلَيْهِ مُقَدَّمًا، قَالَ: فَأَخَذَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ حَرْبَتَهُ ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْهِمَا، فَلَمَّا رَآهُ أَسْعَدُ ابْن زُرَارَةَ، قَالَ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ: هَذَا سَيِّدُ قَوْمِهِ قَدْ جَاءَكَ، فَاصْدُقْ اللَّهَ فِيهِ، قَالَ مُصْعَبٌ: إِنْ يَجْلِسْ أُكَلِّمْهُ. قَالَ: فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّمًا، فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمَا إِلَيْنَا تُسَفِّهَانِ ضُعَفَاءَنَا؟ اعْتَزِلَانَا إِنْ كَانَتْ لَكُمَا بِأَنْفُسِكُمَا حَاجَةٌ، فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ: أَوَ تَجْلِسُ فَتَسْمَعَ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا قَبِلْتَهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ كُفَّ عَنْكَ مَا تَكْرَهُ؟ قَالَ: أَنْصَفْتَ، ثُمَّ رَكَزَ حَرْبَتَهُ وَجَلَسَ إِلَيْهِمَا، فَكَلَّمَهُ مُصْعَبٌ بِالْإِسْلَامِ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، فَقَالَا: فِيمَا يُذْكَرُ عَنْهُمَا: وَاللَّهِ لَعَرَفْنَا فِي وَجْهِهِ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي إِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الْكَلَامَ وَأَجْمَلَهُ! كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا فِي هَذَا الدِّينِ؟ قَالَا لَهُ: تَغْتَسِلُ فَتَطَّهَّرُ وَتُطَهِّرُ ثَوْبَيْكَ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ تُصَلِّي. فَقَامَ فَاغْتَسَلَ وَطَهَّرَ ثَوْبَيْهِ، وَتَشَهَّدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: إِنَّ وَرَائِي رَجُلًا إِنْ اتَّبَعَكُمَا لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ، وَسَأُرْسِلُهُ إِلَيْكُمَا الْآنَ،

سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ وَانْصَرَفَ إِلَى سَعْدٍ وَقَوْمِهِ وَهُمْ جُلُوسٌ فِي نَادِيهِمْ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ مُقْبِلًا، قَالَ: أَحْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أُسَيْدٌ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَى النَّادِي قَالَ لَهُ سَعْدٌ: مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: كلّمت الرجلَيْن، فو الله مَا رَأَيْتُ بِهِمَا بَأْسًا، وَقَدْ نَهَيْتُهُمَا، فَقَالَا: نَفْعَلُ مَا أَحْبَبْتَ، وَقَدْ حُدِّثْتُ أَنَّ بَنِي حَارِثَةَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ لِيَقْتُلُوهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ عَرَفُوا أَنَّهُ ابْنُ خَالَتِكَ، لِيُحتقِرُوكَ.

قَالَ: فَقَامَ سَعْدٌ مُغْضَبًا مُبَادِرًا، تَخَوُّفًا لِلَّذِي ذُكِرَ لَهُ مِنْ بَنِي حَارِثَةَ، فَأَخَذَ الْحَرْبَةَ مِنْ يَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَرَاكَ أَغْنَيْتَ شَيْئًا، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمَا، فَلَمَّا رَآهُمَا سَعْدٌ مُطْمَئِنَّيْنِ، عَرَفَ سَعْدٌ أَنَّ أُسَيْدًا إِنَّمَا أَرَادَ مِنْهُ أَنْ يَسْمَعَ مِنْهُمَا، فَوَقَفَ عَلَيْهِمَا مُتَشَتِّمًا، ثُمَّ قَالَ لِأَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ: يَا أَبَا أُمَامَةَ ، لَوْلَا مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ الْقَرَابَةِ مَا رُمْتَ هَذَا مِنِّي، أَتَغْشَانَا فِي دَارَيْنَا بِمَا نَكْرَهُ- وَقَدْ قَالَ أَسْعَدُ ابْن زُرَارَةَ لِمُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ: أَيْ مُصْعَبُ، جَاءَكَ وَاللَّهِ سَيِّدُ مَنْ وَرَاءَهُ مِنْ قَوْمِهِ، إِنْ يَتَّبِعْكَ لَا يَتَخَلَّفُ عَنْكَ مِنْهُمْ اثْنَانِ- قَالَ: فَقَالَ لَهُ مُصْعَبٌ: أَوَتَقْعُدُ فَتَسْمَعَ، فَإِنْ رَضِيتَ أَمْرًا وَرَغِبْتَ فِيهِ قَبِلْتَهُ، وَإِنْ كَرِهْتَهُ عَزَلْنَا عَنْكَ مَا تَكْرَهُ؟قَالَ سَعْدٌ: أَنْصَفْتَ. ثُمَّ رَكَزَ الْحَرْبَةَ وَجَلَسَ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ الْإِسْلَامَ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ، قَالَا: فَعَرَفْنَا وَاللَّهِ فِي وَجْهِهِ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ، لِإِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُمَا: كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا أَنْتُمْ أَسْلَمْتُمْ وَدَخَلْتُمْ فِي هَذَا الدِّينِ؟ قَالَا: تَغْتَسِلُ فَتَطَّهَّرُ وَتُطَهِّرُ ثَوْبَيْكَ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ تُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، قَالَ: فَقَامَ فَاغْتَسَلَ وَطَهَّرَ ثَوْبَيْهِ، وَتَشَهَّدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ، ثُمَّ رَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ أَخَذَ حَرْبَتَهُ، فَأَقْبَلَ عَامِدًا إِلَى نَادِي قَوْمِهِ وَمَعَهُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ.قَالَ: فَلَمَّا رَآهُ قَوْمُهُ مُقْبِلًا، قَالُوا: نَحْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ رَجَعَ إِلَيْكُمْ سَعْدٌ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ مِنْ عِنْدِكُمْ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِمْ قَالَ: يَا بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، كَيْفَ تَعْلَمُونَ أَمْرِي فِيكُمْ؟ قَالُوا: سَيِّدُنَا

وَأَفْضَلُنَا رَأْيًا، وَأَيْمَنُنَا نَقِيبَةً، قَالَ: فَإِنَّ كَلَامَ رِجَالِكُمْ وَنِسَائِكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ حَتَّى تُؤْمِنُوا بالله وبرسوله .قَالَا: فو الله مَا أَمْسَى فِي دَارِ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ رَجُلٌ وَلَا امْرَأَةٌ إِلَّا مُسْلِمًا وَمُسْلِمَةً[1]،إِلَّا رَجُلٌ واحد وَهوَ أصيرم عمرو بن ثابت بن وقش فَإِنَّهُ تَأَخَّرَ إِسْلَامُهُ إِلَى يَوْمِ أُحُدٍ، وَأَسْلَمَ حِينَئِذٍ وَقَاتَلَ فَقُتِلَ قَبْلَ أَنْ يَسْجُدَ لِلَّهِ سَجْدَةً، فَأُخْبِرَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا»[2].

وَرَجَعَ مُصْعَبٌ إِلَى مَنْزِلِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ فَأَقَامَ عِنْدَهُ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الإِسْلامِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الأَنْصَارِ إِلَّا وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ مُسْلِمُونَ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ دَارِ بَنِي أُمَيَّةَ بْنِ زَيْدٍ، وَخَطْمَةَ وَوَائِلٍ[3]،كَانَ فِيهِمْ أَبُو قَيْسِ بْنُ الْأَسْلَتِ وَكَانَ شَاعِرًا لَهُمْ قَائِدًا يَسْتَمِعُونَ مِنْهُ وَيُطِيعُونَهُ، فَوَقَفَ بِهِمْ عَنِ الْإِسْلَامِ حَتَّى كَانَ بَعْدَ عام الْخَنْدَقِ سَنَةَ خَمْس مِنَ الهِجْرَة[4] .

بيعة العقبة الثانية

في السَنَةِ الثالثة عَشَرْ من النبوة- يونيو سنة ٦٢٢ م- حَضَرَ لأداء مناسك الْحَجِّ من مُسْلِمُي الأوْسَ و الْخَزْرَجَ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا و امْرَأَتَانِ ، فبايعوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْعَةَ الْعَقَبَةَ الثانِيَةَ وهي أن يَمْنَعُوه- إذا قَدِمَ عَلَيْهِمْ- مما يَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَهُمْ، وَأَبْنَاءَهُمْ وأَنْفُسَهُمْ. وهذه الْبَيْعَةَ هي نُقْطة التَحْول الكُبْرى في تاريخِ الدعوةِ حيثُ أصبحَ للْإِسْلَامِ دار يمكنُ أن يتخذَ منها قاعِدَةً للانتشار وهوَ ما حصلَ بالفعل،

---

[1] ابن هشام :السيرة النبوية ١/ ٤٣٥-٤٣٧.

[2] صحيح :صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب عمل صالح قبل القتال ٤/ ٢٠،حديث ٢٨٠٨.

[3] ابن سيد الناس : عيون الأثر ١/ ١٨٧.

[4] ابن كثير : السيرة النبوية ٢/ ١٨٤.

فأذِنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لأصْحابِهِ بالهِجْرَةِ إلى المدينةِ [1].

يُحَدِثُنا الصَحابِيُ الجليلُ كَعْبٌ بْنُ مَالِكِ الْأَنْصَاري عن تَفاصيلِ بَيْعَةَ الْعَقَبَةَ الثانِيَةَ فَيَقول: خَرَجْنَا إِلَى الْحَجِّ، وَوَاعَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْعَقَبَةِ مِنْ أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ. فَلَمَّا فَرَغْنَا مِنْ الْحَجِّ، وَكَانَتْ اللَّيْلَةُ الَّتِي وَاعَدْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَهَا، وَمَعَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو ابْن حرَام أَبُو جَابِرٌ، سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِنَا، وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِنَا ، أَخَذْنَاهُ مَعَنَا، وَكُنَّا نَكْتُمُ مَنْ مَعَنَا مِنْ قَوْمِنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ أَمْرَنَا، فَكَلَّمْنَاهُ وَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا جَابِرٍ، إنَّكَ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِنَا، وَشَرِيفٌ مِنْ أَشْرَافِنَا، وَإِنَّا نَرْغَبُ بِكَ عَمَّا أَنْتَ فِيهِ أَنْ تَكُونَ حَطَبًا لِلنَّارِ غَدًا، ثُمَّ دَعَوْنَاهُ إلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبَرْنَاهُ بِمِيعَادِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إيَّانَا الْعَقَبَةَ. قَالَ: فَأَسْلَمَ وَشَهِدَ مَعَنَا الْعَقَبَةَ، وَكَانَ نَقِيبًا[2].قَالَ كَعْبٌ: فَنِمْنَا تِلْكَ اللَّيْلَةَ مَعَ قَوْمِنَا فِي رِحَالِنَا، حَتَّى إذَا مَضَى ثُلُثُ اللَّيْلِ خَرَجْنَا مِنْ رِحَالِنَا لِمَعَادِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، نَتَسَلَّلُ تَسَلُّلَ الْقَطَا مُسْتَخْفِينَ، حَتَّى اجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ، وَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا، وَمَعَنَا امْرَأَتَانِ مِنْ نِسَائِنَا: نُسَيْبَةُ بِنْتُ كَعْبٍ[3]، أُمُّ عُمَارَةَ، إحْدَى نِسَاءِ بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَدِيِّ بْنِ نَابِي، إحْدَى نِسَاءِ بَنِي

---

[1] ابن هشام: السيرة ١/ ٤٤١، ابن القيم: زاد المعاد ١/ ٩٨. النجار : القول المبين في سيرة سيد المرسلين ١/١٦٦. البوطي : فقه السيرة ص ١٢٩.

[2] رواه الإمام احمد بإسناد حسن في مسنده ٢٥/٩٣،حديث (١٥٧٩٨).

[3] هِيَ امْرَأَة زيد بن عَاصِم، وَقد شهِدت بيعَة الْعقبَة وبيعة الرضْوَان، كَمَا شهِدت يَوْم الْيَمَامَة وباشرت الْقِتَال بِنَفسِهَا. وشاركت ابْنهَا عبد الله فِي قتل مُسَيْلمَة، فَقطعت يَدهَا. وجرحت اثنى عشر جرحا، ثمَّ عاشت بعد ذَلِك دهرا. ويروى أَنَّهَا قَالَت لرَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أرى كل شَيْء إِلَّا للرِّجَال، وَمَا أرى للنِّسَاء شَيْئا! فَأنْزل الله تَعَالَى: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا).سورة الأحزاب :الآية٣٥.

سَلِمَةَ، وَهِيَ أُمُّ مَنِيعٍ[1].فَاجْتَمَعْنَا فِي الشِّعْبِ نَنْتَظِرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى جَاءَنَا وَمَعَهُ (عَمُّهُ)الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ عَلَى دِينِ قَوْمِهِ، إِلَّا أَنَّهُ أَحَبَّ أَنْ يَحْضُرَ أَمْرَ ابْنِ أَخِيهِ وَيَتَوَثَّقَ لَهُ. وكَانَ أَوَّلَ مُتَكَلِّمٍ[2].

كَلِمَةُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِي الْخَزْرَجِ قَبْلَ الْمُبَايَعَةِ :

وبعد أن تكاملَ المجلس بدأتْ المحادثات لإبرام التحالف الديني والعسكري، وكان أَوَّلَ المتَكَلِّمين هو الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تكلم ليشرح لهم- بكل صراحة- خُطورةِ المسؤولية التي سَتُلقى على كواهِلِهم نَتيجَةِ هذا التحالف. قال: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ- قَالَ: وَكَانَتْ الْعَرَبُ إِنَّمَا يُسَمُّونَ هَذَا الْحَيَّ مِنْ الْأَنْصَارِ: الْخَزْرَجَ، خَزْرَجَهَا وَأَوْسَهَا-: إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ وَقَدْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَوْمِنَا، مِمَّنْ هُوَ عَلَى مِثْلِ رَأْيِنَا فِيهِ، فَهُوَ فِي عِزٍّ مِنْ قَوْمِهِ وَمَنَعَةٍ فِي بَلَدِهِ، وَإِنَّهُ قَدْ أَبَى إِلَّا الِانْحِيَازَ إِلَيْكُمْ، وَاللُّحُوقَ بِكُمْ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَافُونَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُمُوهُ إِلَيْهِ، وَمَانِعُوهُ مِمَّنْ خَالَفَهُ، فَأَنْتُمْ وَمَا تَحَمَّلْتُمْ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ مُسْلِمُوهُ وَخَاذِلُوهُ بَعْدَ الْخُرُوجِ بِهِ إِلَيْكُمْ، فَمِنْ الْآنَ فَدَعُوهُ، فَإِنَّهُ فِي عِزٍّ وَمَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَبَلَدِهِ[3].قَالَ كَعْبٌ: فَقُلْنَا لَهُ: قَدْ سَمِعْنَا مَا قُلْتَ، فَتَكَلَّمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَخُذْ لِنَفْسِكَ وَلِرَبِّكَ مَا أَحْبَبْتَ[4].وألقى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ بَيانَهُ، ثمَّ تَمَتْ الْبَيْعَةَ.

---

[1] ابن كثير: السيرة النبوية ٢/١٩٧.

[2] البيهقي: دلائل النبوة ٢/٤٤٦.

[3] المقريزي: امتاع الاسماع ١/٥٤.

[4] رواه الإمام احمد بإسناد حسن في مسنده ٢٥/٩٣،حديث (١٥٧٩٨).

بنود البيعة :

وقد روى ذَلِكَ الإمام أَحْمَد عن جَابِر مُفَصَلاً. قال جَابِرُ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَى مَا نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «تُبَايعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ، وَالْكَسَلِ. وَعَلَى النَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ، وَالْيُسْرِ . وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ. وَعَلَى أَنْ تَقُولُوا فِي اللَّهِ لَا تَأْخُذْكُمْ لَوْمَةُ لَائِمٍ. وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِيَ إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ، وَتَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ عَنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَلَكُمُ الْجَنَّةُ»[1] . فَتَكَلَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَتَلَا وَدَعَا إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَغَّبَ فِي الْإِسْلَامِ، قَالَ: " أُبَايِعُكُمْ عَلَى أَنْ تَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَكُمْ، وَأَبْنَاءَكُمْ " قَالَ: فَأَخَذَ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: نَعَمْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَنَمْنَعَنَّكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أُزُرَنَا[2]، فَبَايِعْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَنَحْنُ أَهْلُ الْحُرُوبِ، وَأَهْلُ الْحَلْقَةِ[3]، وَرِثْنَاهَا كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، قَالَ: فَاعْتَرَضَ الْقَوْلَ، وَالْبَرَاءُ يُكَلِّمُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهَانِ[4] حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الرِّجَالِ حِبَالًا، وَإِنَّا قَاطِعُوهَا - يَعْنِي الْعُهُودَ - فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ نَحْنُ فَعَلْنَا ذَلِكَ، ثُمَّ أَظْهَرَكَ اللهُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَى قَوْمِكَ، وَتَدَعَنَا؟ قَالَ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، ثُمَّ

---

[1] رواه الإمام احمد بإسناد حسن في مسنده ٢٣/٢٣،حديث (١٤٦٥٣). وصححه الحاكم في مستدركه ٦٨١/٢،حديث (٤٢٥١) وصححه ابن حبان ١٧٣/١٤.

[2] أزرنا، أَي نِسَاءَنَا. وَالْمَرْأَة قد يكنى عَنْهَا بالإزار، كَمَا يكنى أَيْضا بالإزار عَن النَّفس، وَيجْعَل الثَّوْب عبارَة عَن لابسه. قَالَ الشَّاعِر:

رَمَوْهَا بأثواب خفاف فَلَا ترى ... لَهَا شبها إِلَّا النعام المنفرا

وعَلى هَذَا يَصح أَن يحمل قَول الْبَراء على إِرَادَة الْمَعْنيين جَمِيعًا.

[3] الْحلقَة، أَي السِّلَاح.

[4] التيهَان: يرْوى بتَشْديد الْيَاء وتخفيفها.

قَالَ: " بَلِ الدَّمَ الدَّمَ، وَالْهَدْمَ الْهَدْمَ [1] أَنَا مِنْكُمْ، وَأَنْتُمْ مِنِّي أُحَارِبُ مَنْ حَارَبْتُمْ، وَأُسَالِمُ مَنْ سَالَمْتُمْ "[2].

كَلِمَةُ الْعَبَّاسِ بْنِ عُبَادَةَ فِي الْخَزْرَجِ:

بَعْدَ أَنْ تَمَّتْ المحادثة حول شروط الْبَيْعَةَ ، تَكَلَّمَ الْعَبَّاسُ بْنُ عُبَادَةَ ليؤكِدَ للقوم خُطورة البيعة ، حتى لا يبَايَعُوهُ إلا على جَليةٍ من الأمرِ ،فقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ هَلْ تَدْرُونَ عَلَامَ تُبَايِعُونَ هَذَا الرَّجُلَ؟ قَالُوا: نَعَمْ قَالَ: إِنَّكُمْ تُبَايِعُونَهُ عَلَى حَرْبِ الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ مِنَ النَّاسِ، فَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ إِذَا أنهكت أَمْوَالكُم مُصِيبَة وأشرافكم قتلا أَسْلَمْتُمُوهُ، فَمِنَ الْآنَ، فَهُوَ وَاللَّهِ إِنْ فَعَلْتُمْ خِزْيُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّكُمْ وَافُونَ لَهُ بِمَا دَعَوْتُمُوهُ إِلَيْهِ عَلَى نَهْكَةِ الْأَمْوَالِ وَقَتْلِ الْأَشْرَافِ فَخُذُوهُ، فَهُوَ وَاللَّهِ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. قَالُوا: فَإِنَّا نَأْخُذُهُ عَلَى مُصِيبَةِ الْأَمْوَالِ وَقَتْلِ الْأَشْرَافِ، فَمَا لَنَا بِذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ نَحْنُ وَفَيْنَا؟ قَالَ: " الْجَنَّةُ ".قَالُوا: ابْسُطْ يَدَكَ.فَبَسَطَ يَدَهُ فَبَايَعُوهُ[3].وفي رواية جَابِرُ (قَالَ):فَقُمْنَا نُبَايِعُهُ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ وَهُوَ أَصْغَرُ السَّبْعِينَ، فَقَالَ: رُوَيْدًا يَا أَهْلَ يَثْرِبَ، إِنَّا لَمْ نَضْرِبْ إِلَيْهِ أَكْبَادَ الْمَطِيِّ إِلَّا وَنَحْنُ

---

[1] قَالَ ابْن قُتَيْبَة: كَانَت الْعَرَب تَقول عِنْد عقد الْحلف والجوار: دمي دمك، وهدمي هدمك: أَي مَا هدمت من الدِّمَاء هدمته أَنا.
ويروى أَيْضا: بل اللدم اللدم، وَالْهدم الْهدم. وَأنْشد:
ثمَّ الحقي بهدمى ولدمى
فاللدم: جمع لادم، وهم أَهله الَّذين يلتدمون عَلَيْهِ إِذا مَاتَ، وَهُوَ من لدمت صدرها، إِذا ضَربته
قَالَ السهيليّ: «وَإِنَّمَا يكنى عَن حُرْمَة الرجل وَأَهله «بالهدم» ، لأَنهم كَانُوا أهل نجعة وارتحال، وَلَهُم بيُوت يستخفونها يَوْم ظعنهم، فَكلما ظعنوا هدموها. وَالْهدم: بِمَعْنى المهدوم.
ثمَّ جعلُوا الْهدم، وَهُوَ الْبَيْت المهدوم، عبارَة عَمَّا حوى. أنظر: سيرة ابن هشام ١/٤٤٣.

[2] رواه الإمام احمد بإسناد حسن في مسنده ٢٥/٩٣،حديث (١٥٧٩٨).

[3] ابن كثير: السيرة النبوية ٢/٢٠١.

نَعْلَمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ، إِنَّ إِخْرَاجَهُ الْيَوْمَ مُفَارَقَةُ الْعَرَبِ كَافَّةً، وَقَتْلُ خِيَارِكُمْ، وَأَنْ تَعَضَّكُمُ السُّيُوفُ، فَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَصْبِرُونَ عَلَى السُّيُوفِ إِذَا مَسَّتْكُمْ، وَعَلَى قَتْلِ خِيَارِكُمْ، وَعَلَى مُفَارَقَةِ الْعَرَبِ كَافَّةً، فَخُذُوهُ وَأَجْرُكُمْ عَلَى اللهِ، وَإِمَّا أَنْتُمْ قَوْمٌ تَخَافُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ خِيفَةً فَذَرُوهُ، فَهُوَ أَعْذَرُ عِنْدَ اللهِ[1].

عقد البيعة :

وبعد إقرار بنود الْبَيْعَةَ ، وبعد هذا التأكيد والتأكد بَدأ عَقْد الْبَيْعَةَ بالمُصافَحَة، قال جابر- بَعْدَ أن حَكى قَوْل أسعد بن زُرارة - قال: قَالَوا: يَا أَسْعَدُ بْنَ زُرَارَةَ أَمِطْ عَنَّا يَدَكَ، فَوَاللهِ لَا نَذَرُ هَذِهِ الْبَيْعَةَ، وَلَا نَسْتَقِيلُهَا[2].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَبَنُو النَّجَّارِ يَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَا أُمَامَةَ، أَسْعَدَ بْنَ زُرَارَةَ، كَانَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ عَلَى يَدِهِ، وَبَنُو عَبْدِ الْأَشْهَلِ يَقُولُونَ: بَلْ أَبُو الْهَيْثَمِ بْنُ التَّيِّهَانِ[3]. وبعد ذلك بَدَأت الْبَيْعَةَ العامَة ، قال جابر: فَقُمْنَا إِلَيْهِ رَجُلًا رَجُلًا يَأْخُذُ عَلَيْنَا بِشُرْطَةِ الْعَبَّاسِ،، وَيُعْطِينَا عَلَى ذَلِكَ الْجَنَّةَ [4].وأما بيعة المرأتين اللتين شهدتا الوقعة فكانت قولاً . قَالَتْ عَائِشَةُ: وَاللهِ مَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ، غَيْرَ أَنَّهُ يُبَايِعُهُنَّ بِالْكَلَامِ[5].

---

[1] رواه الإمام احمد بإسناد حسن في مسنده ٢٣/٢٣،حديث (١٤٦٥٣). والبيهقي في السنن الكبرى ٢٥١/٨،حديث (١٦٥٥٦).

[2] المصدر نفسه .

[3] ابن هشام :السيرة النبوية ٤٤٧/١ .

[4] رواه الإمام احمد بإسناد حسن في مسنده ٢٤/٢٣،حديث (١٤٦٥٣).

[5] صحيح : صحيح مسلم : كتاب الامارة ، باب كيفية بيعة النساء ١٤٨٩/٣،حديث(١٨٦٦).

اثنا عشر نقيباً :

وبعد أن تمت الْبَيْعَةَ طلب رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أن يَخْتاروا اثْنَيْ عَشَرَ زعيماً يكونون نقباء عَلَى قَوْمِهِمْ، لتنفيذ بنود الْبَيْعَةَ ، فقال للقوم : أَخْرِجُوا إِلَيَّ مِنكُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا، لِيَكُونُوا عَلَى قَوْمِهِمْ بِمَا فِيهِمْ. فتم اختيارهم في الحال، وكانوا تِسْعَةً مِنْ الْخَزْرَجِ، وَثَلَاثَةً مِنْ الْأَوْسِ.

نُقَبَاءُ الْخَزْرَجِ :

١- أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ بْنُ عُدَسَ .
٢- سَعْدُ ابْن الرَّبِيعِ بْنِ عَمْرِو .
٣- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ .
٤- رَافِعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ الْعَجْلَانِ .
٥- الْبَرَاءُ ابْن مَعْرُورِ بْنِ صَخْرِ.
٦- عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامِ .
٧- عُبَادَةُ ابْن الصَّامِتِ بْنِ قَيْسِ .
٨- سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ دُلَيْمِ .
٩- الْمُنْذِرُ بْنُ عَمْرِو بْنِ خُنَيْسِ.

نُقَبَاءُ الْأَوْسِ :

١-أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرِ بْنِ سِمَاكٍ.
٢-سَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ بْنِ الْحَارِثِ .

٣-رِفَاعَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ بْنِ زُبَيْرٍ [١].

ولمّا تمَّ اختيار هؤلاء النقباء أخذ عليهم رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ميثاقاً آخر بصفتهم رؤساء مسئولين. قال لهم: أَنْتُمْ عَلَى قَوْمِكُمْ بِمَا فِيهِمْ كُفَلَاءُ، كَكَفَالَةِ الْحَوَارِيِّينَ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وَأَنَا كَفِيلٌ عَلَى قَوْمِي- يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ- قَالُوا: نَعَمْ[٢].

تَنْفِيرُ الشَّيْطَانِ لِمَنْ بَايَعَ فِي الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ :

ولَمَّا تم إبرام المُعاهَدَة ، وكانَ القومُ على وشَكِ الانْفِضاضْ ، اكتشفها أَحَدْ الشياطين ؛ وحيث إن هذا الاكتشاف جاءَ في اللحظَةِ الأخيرةِ ، ولمْ يَكُنْ يُمكِنْ إبلاغْ زُعماء قُرَيشْ هذا الخَبَرْ سِراً ، لِيُباغتوا المُجتَمعين وَهُمْ في الشعب [٣]، صَرَخَ الشَّيْطَانُ مِنْ رَأْسِ الْعَقَبَةِ بِأَنْفَذِ صَوْتٍ سُمِعْ قَطُّ: يَا أَهْلَ الْجُبَاجِبِ- وَالْجُبَاجِبُ: الْمَنَازِلُ [٤]- هَلْ لَكُمْ فِي مُذَمَّمٍ [٥] وَالصُّبَاةُ [٦] مَعَهُ، قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى حَرْبِكُمْ[٧]. هَذَا هَذَا أَزَبُّ الْعَقَبَةِ هَذَا ابْنُ أَزْيَبَ، اسْمَعْ أَيْ عَدُوَّ اللهِ أَمَا وَاللهِ، لَأَفْرُغَنَّ لَكَ" [٨] ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَنْفَضُّوا إِلَى رِحَالِهِمْ[٩].

---

[١]ابن هشام :السيرة النبوية ١/٤٤٤.

[٢]ابن كثير:السيرة النبوية ٢/٢٠١.

[٣] المباركفوري : الرحيق المختوم ص١٧٣.

[٤]الْمَنَازل: منَازِل منى. وأصل إِطْلَاق «الجباجب» على الْمَنَازل، مَأْخُوذ من أَن الأوعية من الْأدم، كالزنبيل وَنَحْوه، تسمى: جبجبة، فَجعل الْخيام والمنازل لأَهْلهَا كالأوعية.

[٥]المذمم: المذموم جدا.

[٦]الصباة: جمع صابى، وَهُوَ الصَّابِئ (بِالْهَمْز) . وَكَانَ يُقَال للرجل إِذا أسلم فِي زمن النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صابئ» .

[٧]ابن هشام : السيرة النبوية ١/٤٤٧.

[٨]رواه الإمام احمد بإسناد حسن في مسنده ٢٥/٩٣،حديث (١٥٧٩٨).

[٩]ابن القيم : زاد المعاد ٣/٤٤.

اسْتِعْجَالُ الْمُبَايِعِينَ لِلْإِذْنِ بِالْحَرْبِ :

وَعِنْدَ سماع صَوتْ هذا الشَيْطان قَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ: وَاللَّهِ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ: إِنْ شِئْتَ لَنَمِيلَنَّ عَلَى أَهْلِ مِنًى غَدًا بِأَسْيَافِنَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَمْ نُؤْمَرْ بِذَلِكَ، وَلَكِنْ ارْجِعُوا إِلَى رِحَالِكُمْ. فَرَجَعُوا إِلَى مَضَاجِعِهِم ، ونِامُوا حَتَّى أَصْبَحُوا[1].

غُدُوُّ قُرَيْشٍ عَلَى الْأَنْصَارِ فِي شَأْنِ الْبَيْعَةِ :

لَمَّا قَرَعَ هذا الخَبَرْ آذان قُرَيْش وَقَعَتْ فيْهِم ضجة ، وساورتْهُمْ القَلاقِلَ والأحْزان ؛لأنَهُمْ كانوا على مَعْرِفَةٍ تامة بعواقب مثل هذه الْبَيْعَةِ ونتائِجَها بالنِسْبَة إلى أنفسِهِمْ وأموالهم ،فلما أن أصْبَحُوا حَتى تَوَجَهَ وَفْد كَبير مِنْ زُعماءِ مَكَةَ وأكابِرَ مُجرميها إلى أهْلِ يَثْرِبْ؛ ليقدم احتجاجَهُ الشَدْيد على هذه المُعاهَدَةِ ،قال الوَفْد[2]:يَا مَعْشَرَ الْخَزْرَجِ، إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّكُمْ قَدْ جِئْتُمْ إِلَى صَاحِبِنَا هَذَا تَسْتَخْرِجُونَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، وَتُبَايِعُونَهُ عَلَى حَرْبِنَا، وَاللهِ إِنَّهُ مَا مِنَ الْعَرَبِ أَحَدٌ أَبْغَضَ إِلَيْنَا أَنْ تَنْشَبَ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ مِنْكُمْ[3].

ولَمَّا كان مُشْرِكو الخَزْرَجْ لا يَعْرِفونَ شَيْئاً عَنْ هذِهِ الْبَيْعَةِ ، لأنها تَمَتْ في سِرْيَة تامَة، وفي ظَلامِ الليلِ، إنْبَعَثَ هؤلاء المُشْرِكون يَحْلِفُونَ لَهُمْ بِاللَّهِ: مَا كَانَ هَذَا وَمَا عَلِمْنَا، حتى أتَوا وَعبد الله بن أبي بن سلول فجَعَلَ يَقُولُ: هَذَا بَاطِلٌ، وَمَا كَانَ هَذَا، وَمَا كَانَ قَوْمِي لِيَفْتَاتُوا عَلَيَّ مِثْلَ هَذَا، لَوْ كُنْتُ بِيَثْرِبَ مَا صَنَعَ قَوْمِي هَذَا حَتَّى

---

[1] ابن هشام : السيرة النبوية ١/٤٤٨.

[2] المباركفوري : الرحيق المختوم ص١٧٤.

[3] رواه الإمام احمد بإسناد حسن في مسنده ٢٥/٩٣،حديث (١٥٧٩٨).

يُؤَامِرُونِي[1].

أما المسلمون فَنَظَرَ بَعْضُهم إلى بعضٍ، ثُمَ لاذوا بالصمتِ، فَلَمْ يتحدثْ أحد منهم بِنَفْي أو إثبات. ومالَ زُعماء قُرَيْش إلى تَصْديقِ المشركين، فَرَجَعُوا خائِبين[2].

قُرَيْشٍ تُطارِدُ الْمُبَايِعِينَ:

عاد زُعماء مَكة وَهُمْ على شُبه اليقين مِنْ كَذب هذا الخبر، لكنهم لَمْ يَزالوا يتنطسونه[3] حتى تأكدَ لديهم أنَّ الخبرَ صحيحٌ، و الْبَيْعَةِ قد تمتْ فعلا. وذلك بعدَ ما نفر الحجيج إلى أوطانِهم، فسارع فرسانهم بمطاردة اليثربيين، فَأَدْرَكُوا سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ بِأَذَاخِرَ، وَالْمُنْذِرَ بْنَ عَمْرٍو أَخَا بَنِي سَاعِدَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ الْخَزْرَجِ وَكِلَاهُمَا كَانَ نَقِيبًا.فَأَمَّا الْمُنْذِرُ فَأَعْجَزَ الْقَوْمَ، وَأَمَّا سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَأَخَذُوهُ[4]، ورَبَطُوا يَدَيْهِ إِلَى عُنُقِهِ بِنِسْعِ [5]رَحْلِهِ، وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ وَيَجُرُّونَهُ وَيَجْذِبُونَهُ بِجُمَّتِهِ[6] حَتَّى أَدْخَلُوهُ مَكَّةَ، فَجَاءَ مطعم بن عدي والحارث بن حرب بن أمية فَخَلَّصَاهُ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَتَشَاوَرَتِ الْأَنْصَارُ حِينَ فَقَدُوهُ أَنْ يَكِرُّوا إِلَيْهِ، فَإِذَا سعد قَدْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ، فَوَصَلَ الْقَوْمُ جَمِيعًا إِلَى الْمَدِينَةِ[7].

---

[1] ابن القيم : زاد المعاد ٣/ ٤٤.

[2] المباركفوري : الرحيق المختوم ص١٧٤.

[3] تنطس الْقَوْم الْخَبَر: أَي أَكْثرُوا الْبَحْث عَنهُ. والتنطس: تدقيق النّظر. قَالَ الراجز:
وَقد أكون عِنْدهَا نقريسا ... طِبًّا بأدواء النسا نطيسا

[4] ابن كثير: السيرة النبوية ٢/ ٢٠٦.

[5] النسع: الشرَاك الّذي يشد بِهِ الرحل.

[6] الجمة: مُجْتَمع شعر الرَّأْس، وَهِي أَكثر من الوفرة، وَالْجمع: جمم.

[7] ابن القيم : زاد المعاد ٣/ ٤٤.

الهجرة إلى يثرب:

لَمْ يَكُنْ اخْتِيَار يَثْرِبَ دارا لِلْهِجْرَةِ مما اقْتَضَتهُ ظُرُوفُ الدَعْوَةِ فَقَطْ، وإنَمَا كَانَ ذَلِكَ بِوَحْي مِنْ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَقَدْ وَرَدتْ أَحَادِيثُ صَحِيحَةُ تُؤكِدُ ذَلِكَ، مِنْهَا قَوْلُهُ ﷺ لِلْمُسْلِمِينَ فِي مَكَّةَ، كَمَا وَرَدَ فِي حَدِيثِ عَائِشَةَ- رضي الله عنها: «إِنِّي أُرِيتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ، ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لاَبَتَيْنِ(١)»(٢) . وقوله ﷺ : «رَأَيْتُ فِي المَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي(٣)إِلَى أَنَّهَا اليَمَامَةُ(٤) أَوْ هَجَرُ(٥)، فَإِذَا هِيَ المَدِينَةُ يَثْرِبُ»(٦) .

ولا شَكَّ فِي أَنَّ الِابْتِلَاء والِاضْطِهَادَ والْخَوْفَ مِنَ الْفِتْنَةِ فِي الدِّينِ كَانُوا مِنَ أَسْبَابِ الْهِجْرَةِ ، فعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: زُرْتُ عَائِشَةَ مَعَ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيِّ، فَسَأَلْنَاهَا عَنِ الهِجْرَةِ فَقَالَتْ: «... كَانَ المُؤْمِنُونَ يَفِرُّ أَحَدُهُمْ بِدِينِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ، مَخَافَةَ أَنْ يُفْتَنَ عَلَيْهِ(٧).... »(٨). لَقَدْ كَانَتْ قُرَيْشٌ تَضْطَهِدْ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ ﷺ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ « حَتَّى فَتَنُوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَنَفَوْهُمْ مِنْ بِلَادِهِمْ،

---

(١) اللابتان هما: الحرتان .

(٢) صحيح البخاري :كتاب فضائل الصحابة ، باب هجرة النبي ﷺ واصحابه ٥/٥٨، حديث ٣٩٠٥ ، ارشاد الساري ٦/٢١٥. البغوي: شرح السنة ١٣/٣٥٦. ابن كثير: السيرة النبوية ٢ / ٢٤٥.

(٣) وهلي: وهمي وظني.

(٤) اليمامة: بلد من بلاد الحجاز.

(٥) هجر: مدينة من اليمن.

(٦) صحيح البخاري : كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الاسلام ٤/٢٠٣، حديث ٣٦٢٢ . صحيح مسلم : باب رؤية النبي ﷺ ٤/ ١٧٧٩، حديث ٢٢٧٢.ابن الاثير: جامع الاصول في أحاديث الرسول٢/٥٣٨، حديث ١٠١٣. سنن ابن ماجه ٢/١٢٩٢، حديث ٣٩٢١. البغوي: شرح السنة ١٢/٢٤٧. صحيح ابن حبان ١٤/١٧٦، حديث ٦٢٧٦.

(٧) يفتن عليه: يعذب حتى يرجع عن دينه.

(٨) صحيح البخاري : كتاب فضائل الصحابة ، باب هجرة النبي ﷺ واصحابه ، ٥/٥٧ ، حديث ٣٩٠٠.

فَهُمْ مِنْ بَيْنِ مَفْتُونٍ فِي دِينِهِ، وَمِنْ بَيْنِ مُعَذَّبٍ فِي أَيْدِيهِمْ، وَبَيْنِ هَارِبٍ فِي الْبِلَادِ فِرَارًا مِنْهُمْ...» [1] .

أول المهاجرين:

أَوَلَ مَنْ هَاجرَ إلى المَدِينَةِ « مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَكَانَا يُقْرِئَانِ النَّاسَ»[2]القرآن. فِي حِينِ وَردتْ رِوَايَاتٍ أُخْرَى تُفِيدُ بِأَنَّ أَوَّلَ مَنْ هَاجرَ هُوَ أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ آذته قُرَيْشٌ عَلَى أَثَرِ رُجوعِهِ مِنْ هِجْرَتِهِ إِلَى الْحَبَشَةِ فَتَوَجَّهَ إِلَى يَثْرِب قَبْلَ بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ بسَنَةٍ وَاحِدَةٍ[3]، عَلَى أَنَّهُ يُمْكِنْ الْجَمْعُ بَيْنَ الْخَبَرَيْنِ بحمل الْأَوْلَوِيَّة فِي حالَةِ مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ وعَبْدُ اللهِ بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ على أَنَّها بَعْدَ الْإِذْنِ بالْهِجْرَةِ ، وَبِنِيَّةِ الْإِقَامَةِ بِها، وليُعَلِّمَا مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِهَا ، وذَلِكَ بِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ ، فِي حِينِ كَانَ خُرُوجُ أَبُو سَلَمَةَ مِنْ مَكَّةَ فِرَارًا بِدِينِهِ ولَيسَ بِقَصْدِ الْهِجْرَة إلى الْمَدِينَةِ لِلاسْتِقْرَارِ بِهَا .

---

[1] ابن هشام: السيرة النبوية ١/ ٤٦٧.

[2] صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة ، باب مقدم النبي ﷺ واصحابه ٦٦/٥ (الأحاديث ٣٩٢٤، ٣٩٢٥) .

[3] البكجري : الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا ١٥١/١. النمري : الدرر في اختصار المغازي والسير ٧٥/١. ابن كثير : الفصول في السيرة ١١٣/١. عبد العزيز الكناني: المختصر الكبير في سيرة الرسول١/٤٧.

فائدة : أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد اللَّه بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب، السيد الكبير، أخو رسول اللَّه صلّى اللَّه عليه وسلّم من الرضاعة، وابن عمته برّة بنت عبد المطلب، وأحد السابقين الأولين، هاجر إلى الحبشة، ثم هاجر إلى المدينة، وشهد بدرا، ومات بعدها بأشهر، وله أولاد صحابة، كعمر وزينب، ولما انقضت عدة زوجته أم سلمة، تزوج بها النبي صلّى اللَّه عليه وسلّم، وروت عن زوجها أبي سلمة القول عند المصيبة وكانت تقول: من خير من أبي سلمة، وما ظنّت أن اللَّه يخلفها في مصابها به بنظيره، فلما فتح عليها بسيد البشر، اغتبطت أيما اغتباط. مات كهلا في سنة ثلاث من الهجرة، رضي اللَّه عنه. المقريزي : امتاع الاسماع ١١/١.

أساليب قريش في محاولتها عرقلة هجرة المسلمين إلى يثرب:

وَقدْ ذَكَرتِ المَصادِرْ المُعْتَمَدةُ الكَثيرَ مِنَ المَعْلومَاتِ عَنْ أَساليبَ قُرَيْش فِي مُحاوَلَتِها عَرْقَلةُ هِجْرَةِ المُسْلِمِينَ إلى يَثْرِبَ، وإثارَتِهَا للمَشاكِلَ فِي وَجْهِ المُهاجِرينَ مِنَ الإرْهَابِ، وحَجْزِ الزَوجاتِ والأطْفالِ، وسَلْبِ الأمْوالِ، أَو الاحْتِيالِ لإعادَةِ مَنْ هاجرَ مِنْهُمْ، غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُعَرقِلْ مَوْكِبَ الْهِجْرَةِ، فَقدْ كَانَ المُهاجِرونَ على اسْتِعدادٍ تامٍ للانِخلاعِ عَنِ الدُنْيَا ومَباهِجَها فِي سَبيلِ الفَرارِ بدِينِهِمْ. والمَصادِرْ المُوَثقةَ تَحْكي قِصَصَ البُطولَةِ والفِداءِ فِي هَذا المَجالِ، فَقدْ ذَكرتْ أُمَّ المُؤْمِنِينَ أُمَّ سَلَمَةَ رضي الله عنها- قِصَةَ هِجْرَتِها مَعَ زَوْجِهَا الْأَوَّلِ ، وكيف أن قُرَيْشاً انتزعتها وطفلها من زَوْجِهَا. وَكيْفَ أَنَّ رِحْلَةَ العَذابِ قَدْ إسْتَمرتْ قَرابَةَ السنة قَبْلَ أنْ يُتاحَ لَها أَنْ تَسْتَرْجِعَ إبْنَها وأَنْ تَلْحَق بِزَوْجِها، وتَعْكِسْ القِصّةَ، إلى جانبِ الإيمَانِ العَمْيقِ والمُعاناةِ فِي سَبيلِ العَقيدَةِ، إحْدَى صُوَرِ المُروءَةِ التيْ عَرِفَهَا المُجْتَمعُ العَربِيُّ قَبْلَ الإسْلامِ حِيْنَ تَطوعَ عُثْمانُ بِنْ طَلْحَة بِمُصاحَبةِ أُمَّ سَلَمَةَ وطِفْلَهَا والإحِسْانِ فِي مُعامَلَتِهِمَا بِشَرفٍ وكرامَةٍ وَحياءٍ إلى أَنْ أَوْصَلَها مَشارِفَ يَثْرِبْ وَاطْمَأنَّ عَلَى سَلامَتِهِمَا قَبْلَ أَنْ يَعُودَ إلى مَكَّةَ[1].

أما صُهَيْب الرُّومِيُّ فَقدْ مَنعَهُ زُعَماءَ قُرَيْش مِنَ الْهِجْرَةِ بِحُجَةِ أَنَّهُ كَانَ قَدْ أَتَى إلى مَكَّةَ فَقِيراً، فَقَالوا لَهُ: «كَثُرَ مَالكَ عِنْدَنَا، وَبَلغْتَ الَّذِي بَلَغتَ، ثُمَّ تُرِيْدُ أَنْ تَخْرُجَ بِمالِكَ ونَفْسِكَ؟ وَاللَّهِ لا يَكونُ ذَلِكَ أَبَداً» وحِينَ عَرَضَ صُهَيْب عَلَيْهِمْ أَنْ يَجْعلَ لَهُمْ المَالُ في مُقابِلَ أَنْ يَخْلّوا سَبيلَهُ، فَإنَهُمْ وافَقُوا عَلَى ذَلِكَ، وبَلغَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

---

[1] ابن هشام: السيرة ١/ ٤٦٩- ٤٧٠ بإسناد حسن.

فَقالَ:« رَبِحَ صُهَيْبٌ» [1]، ثَمَّ تَلا قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ ﴾[2].

ويَرْوِي عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه خَبرْ هِجْرَتهُ حَيثُ إتَعدَ مَعَ عَيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وهِشَامِ بْنِ الْعَاصِ السَّهْمِيُّ ، على الِالْتِقَاءِ في سرف عَلَى أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ ، وكيف أن هِشَامِ بْنِ الْعَاصِ قَدْ حُبِسَ عَنْهُمَا، وَفُتِنَ فَافْتُتِنَ ، ثُمَّ تَحدثَ عَنْ خَبرْ وصولهما إلى ظاهر الْمَدِينَةِ ، ونُزُولِهِمَا في بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بقباء، وخُرُوج أَبِي جَهْلِ بْنِ هِشَامٍ وأَخِيهِ الْحَارِثُ إلى عَيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وإقْناعِهِمَا إِيَّاهُ بِضَرُورَةِ الْعَوْدَةِ مَعَهُمَا إلى مَكَّةَ لِيَبرَّ بِقَسِمِ أُمِهِ التي نَذَرْتُ أَلّا يمسّ رَأْسَهَا مِشْط حَتَّى تَرَاهُ ، وكيف حذره عُمَرَ منهما وقَوْلُهُ لَهُ «يَا عَيَّاشُ إِنَّهُ وَاللَّهِ إِنْ يُرِيدُكَ الْقَوْمُ إِلَّا عَنْ دِينِكَ فَاحْذَرْهُمْ » ، وعَدمْ إسْتِماعِه إِلَى التَّحْذِيرِ ، أو إلى عَرضْ عُمَرَ بِمُقاسَمتِه مَالِه الكَثْيرْ، وقَدْ صَدقَ حَدسْ عُمَرَ فِي الأَمْرِ حيث عَدَوا عَلَيْهِ في بَعْضِ الطَّرِيقِ فأَوْثَقَاهُ وَربَطاهُ ثم دَخَلا به مَكَّةَ وَفَتَنَاهُ فَافْتُتِنَ. يقول عُمَرَ: «فكُنَّا نَقُولُ: ما اللَّهُ بِقَابِلٍ مِمَّنِ افْتُتِنَ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا وَلَا تَوْبَةَ ، قوم عَرَفُوا اللَّهَ ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى الْكُفْرِ لِبَلَاءٍ أَصَابَهُمْ» ، فَلَمَّا قَدِمَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِمْ وَفِي قَوْلِنَا لَهُمْ وَقَوْلِهِمْ لِأَنْفُسِهِمْ[3] : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٥٣) وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ (٥٤)

---

[1] صحيح ابن حبان ٥٥٨/١٥. احمد بن حنبل : فضائل الصحابة ٨٢٨/٢، حديث ١٥٠٩. المباركفوري : الرحيق المختوم ١٤١/١. السهيلي : الروض الآنف ١٧٣/٤. السيرة الحلبية ٣١/٢. ابو شهبة : السيرة النبوية على ضوء القران والسنة ٤٦٧/١. الندوي : السيرة النبوية ٢٣٥/٢. ابن كثير : السيرة النبوية ٢٢٣/٢. ابن هشام: السيرة ١/ ٤٧٧.

[2] سورة البقرة: الآية ٢٠٧.

[3] سنده صحيح :رواه من طريق ابن اسحاق والسنن الكبرى للبيهقي ٢٣/٩، حديث (١٧٧٥٦).أنظر: الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ١٣٧/١.

وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾[1] .

قَالَ عُمَرُ: « فكَتَبْتُهَا بيدي فِي صَحِيفَةٍ وَبَعَثْتُ بِهَا إِلَى هِشَامِ بْنِ الْعَاصِ» . ويَظهرْ أنَّ هِشَاماً قَدْ وَجدَ صُعوبَةً في فَهمِها إلى أنْ أَلقى الله فِي قَلْبِهِ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَمْثَاله فَلحِقَ برَسُولِ اللَّهِ ﷺ في الْمَدِينَةِ »[2] . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو فِي القُنُوتِ «اللَّهُمَّ أَنْجِ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الوَلِيدَ بْنَ الوَلِيدِ، اللَّهُمَّ أَنْجِ عَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ أَنْجِ المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ[3] عَلَى مُضَرَ[4]، اللَّهُمَّ سِنِينَ[5] كَسِنِيِّ يُوسُفَ[6]»[7].

نَزَلَ أَغْلَبُ الْمُهَاجِرِينَ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِقِبَاءٍ فِي مَوضِعٍ يُدْعَى «العصبة» قَبْلَ مَقْدِمِ الْمُصْطَفَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَكَانُوا يَجْتَمِعُونَ لِلصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِ قُبَاءٍ ، يَؤُمُّهُمْ سَالِمُ بْنُ مَعْقِلٍ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ ﷺ لِكَوْنِهِ أَكْثَرَ الْمُهَاجِرِينَ قُرْآنًا[8].

---

[1] سورة الزمر: الآيات ٥٣- ٥٥.

[2] السيرة النبوية على ضوء القران والسنة ١/٤٦٦. السهيلي : الروض الآنف ٤/١٧١. أما ما روى من إعلان عمر لهجرته على قريش عند البيت العتيق وتهديده لمن تحدثه نفسه أن يلحق به بثكل أمه وترميل زوجته ويتم أولاده فلم يصح، حيث ورد الخبر بإسناد فيه مجاهيل ثلاثة. الألباني: دفاع عن الحديث والسيرة ص١٤٣.

[3] اشدد وطأتك: عقوبتك.

[4] مضر: علم على قريش.

[5] سنين: جمع سنة وهي القحط والغلاء.

[6] كسني يوسف: بن يعقوب عليه السلام من حيث القحط وقلة الأمطار .

[7] صحيح البخاري : كتاب الدعوات، بَابُ الدُّعَاءِ عَلَى المُشْرِكِينَ بِالهَزِيمَةِ وَالزَّلْزَلَةِ٤/٤٤، حديث ٢٩٣٢ .

.

[8] العمري : السيرة النبوية الصحيحة ١/٢٠٧.الذهبي : تاريخ الاسلام ٣/٥٥.

الرسول ﷺ يُبرم خطة الهجرة مع أبو بكر الصديق:

وحين أَمَرَ اللَّهِ تَعَالَى رَسُولِهِ ﷺ بالهِجْرَةِ إلى يَثْرِب، جاء ﷺ مُتَقَنِعاً إلى مَنْزِلْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه في وَقْتٍ لَمْ يَعْتَدْ أَنْ يَزُورَهُ فِيهِ، فِي نَحْرِ الظُّهْرِ، وَهُوَ أَشَدَّ مَا يَكُونُ فِي حَرَارَةَ النَّهَارِ، وقد روت أُمِّ المُؤْمِنِينَ عائشة رَضِيَ الله عَنْهَا وَقَائِعَ مَا جَرَى فَقالَتْ: « فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ[1]، قَالَ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَقَنِّعًا[2]، فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينَا فِيهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فِدَاءٌ لَهُ أَبِي وَأُمِّي، وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ، قَالَتْ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَأْذَنَ، فَأُذِنَ لَهُ فَدَخَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: «أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ[3]، بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنِّي قَدْ أُذِنَ لِي فِي الخُرُوجِ» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ [4]بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ»[5]. وبَعْدَ إِبْرامِ خُطَّةِ الهِجْرَةِ رَجعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى بَيْتِهِ ، يَنْتَظِرْ مَجِيءِ اللَّيْلِ. وَقَدْ اسْتَمرَّ فِي أَعْمالِهِ اليَومِيَّةِ حَسبَ المُعْتادِ حتى لَمْ يَشْعُرْ أَحَدْ بِأَنَّهُ يَسْتَعِدْ للْهِجْرَةِ ، أو لِأَيَّ أَمْرٍ آخَرَ اتِّقَاءَ ما قد تُقَرّرهُ قُرَيْشٌ[6].

---

[1] نحر الظهيرة: أول الزوال عند شدة الحر.

[2] متقنعا: مغطيا رأسه.

[3] أهلك: أي لا يوجد أحد يشك فيه إنما هي زوجتك عائشة وأختها أسماء رضي الله عنهما.

[4] الصحابة: أريد مصاحبتك.

[5] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺوأصحابه إلى المدينة،٥/٥٨، حديث (٣٩٠٥).

[6] الرحيق المختوم، ص١٨٢.

تآمر قريش على حياة الرسول ﷺ :

تآمرت قُرَيْشٌ على حَيَاةِ الرَّسُولِ ﷺ بَعْدَ أَنْ عَلِمَ الْمُشْرِكُونَ بِمَا تَمَّ بَيْنَ الرَّسُولِ ﷺ الْأَنْصَارِ فِي الْعقبَة الثَّانِيَة ، وَرَأَوْا الْمُسْلِمِينَ يُهَاجِرُونَ إلى يَثْرِب جَمَاعَاتٍ وأَفْرَادًا.

فلَقدْ عَقَدَ زُعَماءُ قُرَيْشٍ اجْتِمَاعًا خَطِيراً فِي دَارَ النَّدْوَةِ حَيْثُ تَشاوَرُوا فِي أَضْمَنْ الوَسائِلْ للتَخَلُصْ مِنْ الرَّسُولِ ﷺ [1]، وقَدْ كَانَ ائْتِمارِ الْمُشْرِكِينَ لِقَتْلِه أَحَدْ الآراءِ التي طَرَحُوهَا فِي ذَلِكَ الاجْتِماعِ وَقدْ لَخَّصَ الْقُرْآن الْكَرِيم تِلْكَ الآراءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ﴾[2] ، لِذلِكَ فَلا يُسْتَبْعَدْ أَنْ حَاصرَ الْمُشْرِكُونَ بَيْتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، أَمَّا مَا وَرَدَ مِنْ أَساطِيرَ تَسربَتْ إلى مَصادِرَ كَثِيرَةً فِي الْحَدِيثِ والسِّيرَةِ فَلا يَصُحُ الِاحْتِجَاجُ بِهَا[3] .

الرسول ﷺ يغادر بيته:

انْطَلَقَ الرَّسُولُ ﷺ إلى الْغَارِ مِنْ بَيْتِهِ حَيْثُ حَاصَرهُ الْمُشْرِكُونَ يُرِيدُونَ قَتْلَهُ، فَلَبِسَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه ثَوْبَهُ وَنامَ فِي مَكانِه، واخْتَرَقَ النَّبِيُّ ﷺ حِصارَ الْمُشْرِكِينَ دُونَ أَنْ يَرَوهُ، بَعْدَ أَنْ أَوْصَى عَلِيًّا بِأَنْ يُخْبِرْ أَبا بَكْرٍ أَنْ يَلْحَقَ بِه فَجاءَ أَبُو بَكْرٍ وعَلِيٌّ نَائِمْ،، عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: « شَرَى عَلِيٌّ نَفْسَهُ، وَلَبِسَ ثَوْبَ النَّبِيِّ ﷺ،

---

[1] الدر المنثور ٤/ ٥١. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ١/ ١٤٠.

[2] سورة الأنفال: الآية ٣٠.

[3] منها :١- رواية ضعيفة - بسبب الإرسال - قصة اجتماع المشركين على باب الرسول صلى الله عليه وسلم وذره التراب على رءوسهم. وورود رواية نسيج العنكبوت على فم الغار ٢- ورود حديث ضعيف جداً يفيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما بات في غار ثور أمر الله شجرةً، فنبتت في وجه الغار، وأمر حمامتين وحشيتين، فوقعتا بفم الغار. وأن ذلك سبب صدود المشركين عن الغار. انظر ، العمري : السيرة النبوية الصحيحة ١/ ٢٠٨.

ثُمَّ نَامَ مَكَانَهُ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَرْمُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَلْبَسَهُ بُرْدَةً، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَ النَّبِيَّ ﷺ، فَجَعَلُوا يَرْمُونَ عَلِيًّا، وَيَرَوْنَهُ النَّبِيَّ ﷺ ، وَقَدْ لَبِسَ بُرْدَةً» [1]، « فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، وَعَلِيٌّ نَائِمٌ، قَالَ: وَأَبُو بَكْرٍ يَحْسَبُ أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّهِ، قَالَ: فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَالَ: فَقَالَ عَلِيٌّ: إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ قَدِ انْطَلَقَ نَحْوَ بِئْرِ مَيْمُونٍ فَأَدْرِكْهُ، قَالَ: فَانْطَلَقَ أَبُو بَكْرٍ فَدَخَلَ مَعَهُ الْغَارَ، قَالَ: وَجُعِلَ عَلِيٌّ يُرْمَى بِالْحِجَارَةِ كَمَا كَانَ يُرْمَى نَبِيُّ اللَّهِ، وَهُوَ يَتَضَوَّرُ قَدْ لَفَّ رَأْسَهُ فِي الثَّوْبِ لَا يُخْرِجُهُ حَتَّى أَصْبَحَ، ثُمَّ كَشَفَ عَنْ رَأْسِهِ فَقَالُوا: إِنَّكَ لَلَئِيمٌ، كَانَ صَاحِبُكَ نَرْمِيهِ فَلَا يَتَضَوَّرُ، وَأَنْتَ تَضَوَّرُ، وَقَدِ اسْتَنْكَرْنَا ذَلِكَ» [2].

من الدار إلى الغار:

غَادرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتِه فِي لَيْلَةِ ٢٧ مِنْ شَهْرِ صَفَرَ سَنَةَ ١٤ مِنَ النُّبُوَّةِ الْمُوَافِقَ١٢/ ١٣ سِبْتَمْبَرْ سَنةَ ٦٢٢ م [3]. وأَتَى إلى دَارِ رَفيقِه- أَمِنَّ النَّاسُ عَلَيْهِ في صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ - أَبِي بَكْرٍ ﷺ. ثَمَّ غَادَرا مَنْزِلَ الْأَخِيرِ مِنْ بَابٍ خَلْفِيٍ، ليَخْرُجَا مِنْ مَكَّةَ عَلَى عَجَلٍ، وَقَبلَ أَنْ يَطْلِعَ الفَجْرُ. ولمَّا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْلَمْ أَنَّ قُرَيْشاً سَتَجُّدُ في الطَلَبِ، وأن الطَّرِيقَ الَّذِي سَتتَجِهْ إِلَيْهِ الأَنْظَارَ لأَوَّلِ وَهْلَةٍ هُوَ طَّرِيقُ المَدْينَةِ الرَّئِيسِيِّ المُتَجِهْ شَمالاً، فَقَدَ سَلَكَ الطَّرِيقَ الَّذِي يُضَادُّهُ تَماماً، وَهُوَ الطَّرِيقُ الْوَاقِع جَنْوبِ مَكَّةَ، والمُتَجِهْ نَحْوَ الْيَمَنِ. سَلكَ هَذا الطَّرِيقَ نَحْوَ خَمْسَةِ أَمْيَالٍ ، حَتَّى بَلغَ إلى جَبلٍ يُعْرَفُ بِجَبلِ ثَوْرٍ، وهذا جَبَلٌ شَامِخٌ، وَعْرُ الطَّرِيقِ ، صَعْبَ الْمُرْتَقَى ، ذَا أَحْجَارٌ

---

[1] صحيح : رواه الحاكم في مستدركه ،حديث (٤٢٦٣) ،وقال حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه. وصححه الذهبي.

[2] احمد بن حنبل :فضائل الصحابة ٢/ ٦٨٢ ، حديث ١١٦٨.

[3] محمد سليمان :رحمة للعالمين ١/ ٧٨.

كَثِيرَةٌ، فَحَفِيَتْ قَدَما رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَقِيلَ: بَلْ كَانَ يَمْشِي فِي الطَّرِيقِ على أَطْرَافِ قَدَمَيْهِ كَيْ يُخْفِي أَثَرَهُ فَحَفِيَتْ قَدَماهُ، وأيّاً ما كَانَ، فَقَدْ حَمَلَهُ أَبُو بَكْرٍ حِينَ بَلَغَ إِلَى الْجَبَلِ ، وطَفِقَ يَشْتَدُّ بِهِ حَتَّى انْتَهَى به إلى غَارٍ فِي قِمَّةِ الْجَبَلِ ، عُرِفَ فِي التَّارِيخِ بِغَارِ ثَوْرٍ[1] .

الرسول ﷺ والصديق في الغار:

ولَمَّا انْتَهَيَا إِلى الْغَارِ قال أَبُو بَكْرٍ : والله لا تَدْخُلُهُ حتى أَدْخُلَهُ قَبْلَكَ، فَإِنْ كَانَ فيه شيء أَصَابَنِي دُونَكَ، فَدخلَ فَكَسحَهُ، ووَجدَ فِي جانِبِهِ ثُقْباً فَشَقَّ إِزَارَهُ وَسَدَّهَا بِه، وبقي منها اثْنَانِ فَأَلْقَمُهما رِجْلَيهِ، ثَمَّ قال لرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أُدْخُلْ. فَدَخلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَوَضَعَ رَأْسَهُ فِي حَجْرِهِ ونام، فَلُدِغَ أَبُو بَكْرٍ فِي رِجْله مِنْ الحُجر، ولم يتحرَّكْ مخافة أن يَنْتَبِهَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَسقَطتْ دُموعهُ على وَجهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فقال: ما لَكَ يا أَبا بَكْرٍ ؟ قال: لُدِغتُ ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ، فَتفلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَذهبَ ما يَجِدُهُ[2].

وكَمنا فِي الغَارِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ ولَيْلَةَ السَّبْتِ ولَيْلَةَ الْأَحَدِ[3].وكان عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ يَبِيتُ عِنْدَهُمَا. قَالتْ عَائِشَةَ: وهو غُلَامٌ شَابٌّ، ثَقِفٌ[4] لَقِنٌ[5]، فَيُدْلِجُ[6] مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ، فَلاَ يَسْمَعُ أَمْرًا، يُكْتَادَانِ بِهِ [7]إِلَّا وَعَاهُ[1]، حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلاَمُ، وَيَرْعَى عَلَيْهِمَا

---

[1] الرحيق المختوم ، ص ١٨٥.

[2] رواه رزين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفيه ثم انتقض عليه (أي رجع أثر السم حين موته) وكان سبب موته. انظر مشكاة المصابيح، باب مناقب أبي بكر ٣/ ١٧٠٠.

[3] ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٢٣٦.

[4] ثقف: حاذق فطن.

[5] لقن: سريع الفهم حسن التلقي لما يسمعه ويعلمه.

[6] فيدلج: يخرج وقت السحر منصرفا إلى مكة.

[7] يكتادان به: يدبر بشأنهما ويمكر به لهما ويسبب لهما الشر والأذى.

عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مِنْحَةً [٢] مِنْ غَنَمٍ، فَيُرِيحُهَا [٣]عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ العِشَاءِ، فَيَبِيتَانِ فِي رِسْلٍ[٤]، وَهُوَ لَبَنُ مِنْحَتِهِمَا وَرَضِيفِهِمَا[٥]، حَتَّى يَنْعِقَ [٦] بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ بِغَلَسٍ[٧]، يَفْعَلُ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلاَثِ [٨] . وكان عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ يَتْبَع بِغَنَمِهِ أَثَرَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ بَعْدَ ذِهابِه إلى مَكَّةَ لِيَعْفِي عَلَيْهِ [٩] .أَمَّا قُرَيْشٌ فَقَدْ جَنَّ جُنُونَها حِينَما تَأَكَّدَ لَدَيْهَا إفْلاتَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَباحَ لَيْلَةَ تَنْفيذِ المُؤامَرةِ. فَأَوَّلَ ما فَعَلوا بِهَذا الصَدِدِ أَنَهُمْ ضَربُوا عَلِيَّاً، وَسَحبوهُ إلى الكَعْبَةِ، وَحَبسوهُ سَاعَةً، عَلَهُمْ يَظْفَرونَ بِخَبَرِهِمَا [١٠] . ولَمَّا لَمْ يَحْصَلُوا مِنْ عَلِيٍّ عَلَى جَدْوَى جَاؤُوا إلى بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ ، وَقَرعُوا بَابَهُ، فَخَرجتْ إلْيهِمْ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، فَقَالوا لَهَا: أَيْنَ أَبُوكِ؟ قَالَتْ: لا أَدْرِي واللهِ أَيْنَ أَبِي؟ فَرَفعَ أَبُو جَهْلٍ يَدهُ- وكَانَ فَاحِشًا خَبِيثًا - فَلطَمَ خَدَهَا لَطْمَةً طَرحَ مِنْهَا قِرْطَهَا [١١]. وقَررَتْ قُرَيْشٌ وَضْعَ جَمِيعِ الْطُرقِ الْنافِذَةِ مِنْ مَكَّةِ، فِي جَمِيعِ الجِهاتِ تَحْتَ المُراقَبةِ المُسَلحَةِ الشَّدِيدَةِ ، كَمَا قَررَتْ إعْطاءَ مُكَافَأَةً ضَخْمَةً قَدَرُهَا مِائَةَ نَاقَةٍ بَدلَ كُلُ واحِدٍ مِنْهُمَا لِمَنْ يُعِيدُهُمَا إلى قُرَيْشٍ

---

[١] وعاه: حفظه.

[٢] منحة: الناقة أو الشاة يعطى لبنها ثم جعلت كل عطية منحة وكذلك تطلق على كل شاة.

[٣] فيريحها: من الرواح وهو السير في العشي.

[٤] رسل: اللبن الطري.

[٥] رضيفهما: هو اللبن الذي جعل فيه الرضفة وهي الحجارة المحماة لتذهب وخامته وثفله وقيل الرضيف الناقة المحلوبة.

[٦] ينعق: يصبح بغنمه.

[٧] بغلس: هو ظلام آخر الليل.

[٨]صحيح: أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة ، باب هجرة النبي ﷺوأصحابه إلى المدينة،٥/٥٨، حديث (٣٩٠٥).

[٩]ابن هشام : السيرة النبوية ١/ ٤٨٦.

[١٠]الرحيق المختوم، ص١٨٦.

[١١]ابن هشام : السيرة النبوية ١/ ٤٨٧.

حَيَّيْنِ أو مَيِّتَيْنِ ، كَائِناً مَنْ كَانَ [1] .وحِينَئِذٍ جَدَّتْ الفُرْسَانْ والمُشاةْ وقصّاصْ الأثَرِ في في الطَلَبِ، وانْتَشَرُوا فِي الجِبالِ والوِدْيانِ، والوِهادِ والهِضابِ، لَكِنْ مِنْ دونِ جَدْوَى وَبِغَيرِ عَائِدَة.

وَقدْ وَصلَ المُطارِدونَ إلى بَابِ الغَارِ، ولَكنَّ اللَّه غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ ﷺ، قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الغَارِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِأَقْدَامِ القَوْمِ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ طَأْطَأَ بَصَرَهُ[2] رَآنَا، قَالَ: «اسْكُتْ يَا أَبَا بَكْرٍ، اثْنَانِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا»[3].وقد كانت معجزة أكرم الله بها نبيه ﷺ ، وَقَدْ كَانَتْ مُعْجِزةٌ أَكْرَمَ اللهَ بِهَا نَبِيَهُ ﷺ ، فَقدْ رَجَعَ المُطارِدونَ حِينَ لَمْ يَبْقَ بَيْنَهُ وبَيْنَهُمْ إلا خُطواتٍ مَعْدودَةٍ.

في الطريق إلى المدينة :

وحِينَ خَمَدتْ نَارَ الطَلَبِ، وتَوقَفتْ أَعمالَ دَورياتِ التَفْتيشِ، وَهدأتْ ثَائِراتُ قُرَيْشٍ بَعْدَ استمرارِ المُطاردَةِ الحَثيثَةِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بِدونِ جَدوَى، تَهَيَّأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَصاحِبَهُ للخُروجِ إلى المَدِينَةِ. وكان رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قد اسْتَأْجَرَا رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ وهو عبد الله بن أريقط الليثي ، هَادِيًا خِرِّيتًا[4]، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمِنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا، وَوَاعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلاَثِ لَيَالٍ، بِرَاحِلَتَيْهِمَا[5]،فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةَ الاثْنَيْنِ – غُرّة ربيعٍ الأوّلِ سَنَةَ ١ هـ/ ١٦ سِبْتَمبَرْ سَنَةَ

---

[1] ابن حجر : فتح الباري ٢٤١/٧. ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٢١٨/٦، حديث(٣٩٠٦). الرحيق المختوم، ص١٨٦.

[2] طأطأ بصره: أماله إلى تحت.

[3] متفق عليه: أخرجه البخاري : كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺوأصحابه إلى المدينة٦٥/٥، حديث(٣٩٢٢).

[4] خِرِّيتًا:ماهرا بالطريق.

[5] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺوأصحابه إلى المدينة،٥٨/٥،

٦٢٢ م- جَاءَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُرَيْقِطٍ بِالرَّاحِلَتَيْنِ ، وكَانَ قَدْ قَالَ أَبُو بَكْرٍ للنبيﷺ عِندَ مُشاوَرتِه في البَيْتِ: فَخُذْ بِأبي أَنْتَ يَا رَسُولَ الله إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «بِالثَّمَنِ»، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَثَّ[1] الجِهَازِ[2]، وَصَنَعْنَا لَهُمَا سُفْرَةً [3]فِي جِرَابٍ[4]، فَقَطَعَتْ أَسْمَاءُ بنتُ أبي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا فَرَبَطَتْ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ فَبِذَلِكَ سُمِّيَتْ ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ[5].

ثُمَّ ارْتَحَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، وارتحل معهما عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ ، وأَخَذَ بِهِمْ الدَّلِيل عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُرَيْقِطٍ على طَرِيقِ السَواحِلِ. وأَوَّل مَنْ سَلكَ بِهِمْ بَعْدَ الخُروجِ مِنْ الغَارِ أَنَّهُ أَمْعَنَ فِي إِتجاهِ الجَنُوبِ نَحْوَ الْيَمَنِ ، ثُمَّ اتَجهَ غَرْبًا نَحْوَ السَّاحِلِ ، حَتَّى إذا وَصلَ إلى طَرِيقِ لَمْ يَأْلَفهُ النَّاسُ اتَجهَ شِمَالًا على مَقْرُبَة مِنْ شَاطِيءِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ ، وَسلكَ طَرِيقاً لَمْ يَكُنْ يَسْلُكهُ أَحدْ إلا نَادِرًا . وَقدْ ذَكرَ ابْنُ إِسْحَاقَ المَواضِعَ التي مَرَّ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي هَذا الطَّرِيقِ قَالَ: لمَّا خَرجَ بِهِمَا الدَّلِيلِ، سَلَكَ بِهِمَا أَسْفَلَ مَكَّةَ، ثُمَّ مَضَى بِهِمَا عَلَى السَّاحِلِ، حَتَّى عَارَضَ الطَّرِيقَ أَسْفَلَ مِنْ عُسْفَانَ، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمَا عَلَى أَسْفَلِ أَمَجَ، ثُمَّ اسْتَجَازَ بِهِمَا، حَتَّى عَارَضَ بِهِمَا الطَّرِيقَ، بَعْدَ أَنْ أَجَازَ قُدَيْدًا، ثُمَّ أَجَازَ بِهِمَا مِنْ مَكَانِهِ ذَلِكَ، فَسَلَكَ بِهِمَا الْخَرَّارَ، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمَا ثَنِيَّةَ الْمُرَّةِ، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمَا لِقْفا.ثُمَّ أَجَازَ بِهِمَا مَدْلَجَةَ لِقْفٍ ثُمَّ اسْتَبْطَنَ بِهِمَا مَدْلَجَةَ مَحَاجَّ ، ثُمَّ تَبَطَّنَ بِهِمَا مَرْجِحَ مِنْ ذِي الْغَضْوَيْنِ ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِمَا عَلَى الْجَدَاجِدِ، ثُمَّ عَلَى الْأَجْرَدِ، ثُمَّ سَلَكَ بِهِمَا ذَا سَلَمٍ، مِنْ

حديث (٣٩٠٥).

[1] أحث: من الحث وهو الإسراع.

[2] الجهاز: ما يحتاج إليه في السفر.

[3] سفرة: الزاد الذي يصنع للمسافر.

[4] جراب: وعاء يحفظ فيه الزاد ونحوه.

[5] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺوأصحابه إلى المدينة،٥/٥٨، حديث (٣٩٠٥).

بَطْنِ أَعْدَاءِ مَدْلَجَةٍ تِعْهِنٍ ، ثُمَّ عَلَى الْعَبَابِيدِ. ثُمَّ هَبَطَ بِهِمَا الْعَرْجَ، ثُمَّ خَرَجَ بِهِمَا دَلِيلُهُمَا مِنْ الْعَرْجِ، فَسَلَكَ بِهِمَا ثَنِيَّةَ الْعَائِرِ، عَنْ يَمِينِ رَكُوبَةٍ- وَيُقَالُ ثَنِيَّةُ الْغَائِرِ[1]، حَتَّى هَبَطَ بِهِمَا بَطْنَ رِئْمٍ، ثُمَّ قَدِمَ بِهِمَا قُبَاءً[2].

أحداث على الطريق :

١- رَوَى مُسْلِم عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ قال : أَسْرَيْنَا لَيْلَتَنَا كُلَّهَا، حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ، وَخَلَا الطَّرِيقُ فَلَا يَمُرُّ فِيهِ أَحَدٌ، حَتَّى رُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ طَوِيلَةٌ لَهَا ظِلٌّ، لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ الشَّمْسُ بَعْدُ، فَنَزَلْنَا عِنْدَهَا، فَأَتَيْتُ الصَّخْرَةَ فَسَوَّيْتُ بِيَدِي مَكَانًا، يَنَامُ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ فِي ظِلِّهَا، ثُمَّ بَسَطْتُ عَلَيْهِ فَرْوَةً، ثُمَّ قُلْتُ: نَمْ، يَا رَسُولَ اللهِ وَأَنَا أَنْفُضُ لَكَ مَا حَوْلَكَ، فَنَامَ وَخَرَجْتُ أَنْفُضُ مَا حَوْلَهُ، فَإِذَا أَنَا بِرَاعِي غَنَمٍ مُقْبِلٍ بِغَنَمِهِ إِلَى الصَّخْرَةِ، يُرِيدُ مِنْهَا الَّذِي أَرَدْنَا، فَلَقِيتُهُ فَقُلْتُ: لِمَنْ أَنْتَ؟ يَا غُلَامُ فَقَالَ: لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، قُلْتُ: أَفِي غَنَمِكَ لَبَنٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: أَفَتَحْلُبُ لِي؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَخَذَ شَاةً، فَقُلْتُ لَهُ: انْفُضْ الضَّرْعَ مِنَ الشَّعَرِ وَالتُّرَابِ وَالْقَذَى - قَالَ: فَرَأَيْتُ الْبَرَاءَ يَضْرِبُ بِيَدِهِ عَلَى الْأُخْرَى يَنْفُضُ - فَحَلَبَ لِي، فِي قَعْبٍ مَعَهُ، كُثْبَةً مِنْ لَبَنٍ، قَالَ: وَمَعِي إِدَاوَةٌ أَرْتَوِي فِيهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ، لِيَشْرَبَ مِنْهَا وَيَتَوَضَّأَ، قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ ، وَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُ مِنْ نَوْمِهِ، فَوَافَقْتُهُ اسْتَيْقَظَ، فَصَبَبْتُ عَلَى اللَّبَنِ مِنَ الْمَاءِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ اشْرَبْ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ، قَالَ: فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَمْ يَأْنِ لِلرَّحِيلِ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَارْتَحَلْنَا[3].

---

[1] صحيح : رواه الحاكم في مستدركه ،حديث (٤٢٧٢) ،وقال حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

[2] ابن هشام : السيرة النبوية ١/ ٤٩١، ٤٩٢.

[3] صحيح :صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب في حديث الهجرة ٤/٢٣٠٨،حديث (٢٠٠٩).

٢- عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: أَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ إِلَى المَدِينَةِ وَهُوَ مُرْدِفٌ أَبَا بَكْرٍ(١)، وَأَبُو بَكْرٍ شَيْخٌ يُعْرَفُ(٢)، وَنَبِيُّ اللَّهِ ﷺ شَابٌّ (٣)لاَ يُعْرَفُ(٤)، قَالَ: فَيَلْقَى الرَّجُلُ أَبَا بَكْرٍ فَيَقُولُ يَا أَبَا بَكْرٍ مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْكَ؟ فَيَقُولُ: هَذَا الرَّجُلُ يَهْدِينِي السَّبِيلَ، قَالَ: فَيَحْسِبُ الحَاسِبُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي الطَّرِيقَ، وَإِنَّمَا يَعْنِي سَبِيلَ الخَيْرِ(٥).

٣- وفي اليوم الثاني أو الثالث مَرُّوا عَلَى خَيْمَتَيْ أُمِّ مَعْبَدٍ الْخُزَاعِيَّةِ، وكان موقعهما بالمشلّل من ناحية قُديد على بُعد نحو ١٣٠ كيلومترا من مكة، وَكَانَتِ أُمُّ مَعْبَدٍ امْرَأَةً بَرْزَةً جَلْدَةً تَحْتَبِي بِفِنَاءِ الْخَيْمَةِ، ثُمَّ تَسْقِي وَتُطْعِمُ، فَسَأَلُوهَا لَحْمًا وَتَمْرًا لِيَشْتَرُوا مِنْهَا، فَلَمْ يُصِيبُوا عِنْدَهَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ الْقَوْمُ مُرْمِلِينَ مُسْنِتِينَ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى شَاةٍ فِي كَسْرِ الْخَيْمَةِ، فَقَالَ: «مَا هَذِهِ الشَّاةُ يَا أُمَّ مَعْبَدٍ؟» قَالَتْ: شَاةٌ خَلَّفَهَا الْجَهْدُ عَنِ الْغَنَمِ، قَالَ: «هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ؟» قَالَتْ: هِيَ أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «أَتَأْذَنِينَ لِي أَنْ أَحْلُبَهَا؟» قَالَتْ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، إِنْ رَأَيْتَ بِهَا حَلْبًا فَاحْلُبْهَا، فَدَعَا بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَمَسَحَ بِيَدِهِ ضَرْعَهَا، وَسَمَّى اللَّهُ تَعَالَى، وَدَعَا لَهَا فِي شَاتِهَا، فَتَفَاجَّتْ عَلَيْهِ وَدَرَّتْ، فَاجْتَرَّتْ فَدَعَا بِإِنَاءٍ يَرْبِضُ(٦) الرَّهْطُ فَحَلَبَ فِيهِ ثَجًّا حَتَّى عَلَاهُ الْبَهَاءُ، ثُمَّ سَقَاهَا حَتَّى رَوِيَتْ وَسَقَى أَصْحَابَهُ حَتَّى رَوَوْا وَشَرِبَ آخِرَهُمْ حَتَّى أَرَاضُوا، ثُمَّ

---

(١) مردف أبا بكر: مركبه خلفه على نفس الراحلة أو على راحلة غيرها.

(٢) شيخ يعرف: أي قد شاب شعر رأسه وكان يعرفه أهل المدينة لمروره عليهم في سفر التجارة.

(٣) شاب: أي من حيث عدم انتشار الشيب في رأسه وإلا فهو ﷺأسن من أبي بكر رضي الله عنه.

(٤) لا يعرف: لم يعرفه الناس لعدم خروجه من مكة غالبا وعدم التقائه بهم.

(٥) صحيح: أخرجه البخاري : كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺوأصحابه إلى المدينة٥/٦٢، حديث(٣٩١١).

(٦) يربض: يسقى .

حَلَبَ فِيهِ الثَّانِيَةَ عَلَى هَدَّةٍ حَتَّى مَلَأَ الْإِنَاءَ، ثُمَّ غَادَرَهُ عِنْدَهَا، ثُمَّ بَايَعَهَا وَارْتَحَلُوا عَنْهَا، فَقَلَّ مَا لَبِثَتْ حَتَّى جَاءَهَا زَوْجُهَا أَبُو مَعْبَدٍ لِيَسُوقَ أَعْنُزًا عِجَافًا يَتَسَاوَكْنَ هُزَالًا مُخُّهُنَّ قَلِيلٌ، فَلَمَّا رَأَى أَبُو مَعْبَدٍ اللَّبَنَ أَعْجَبَهُ، قَالَ: مِنْ أَيْنَ لَكِ هَذَا يَا أُمَّ مَعْبَدٍ وَالشَّاءُ عَازِبٌ حَائِلٌ، وَلَا حلوبَ فِي الْبَيْتِ؟ قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ إِلَّا أَنَّهُ مَرَّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ مِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: صِفِيهِ لِي يَا أُمَّ مَعْبَدٍ، قَالَتْ: رَأَيْتُ رَجُلًا ظَاهِرَ الْوَضَاءَةِ، أَبْلَجَ الْوَجْهِ، حَسَنَ الْخَلْقِ، لَمْ تَعِبْهُ ثَجْلَةٌ، وَلَمْ تُزْرِيهِ صَعْلَةٌ، وَسِيمٌ قَسِيمٌ، فِي عَيْنَيْهِ دَعِجٌ، وَفِي أَشْفَارِهِ وَطَفٌ، وَفِي صَوْتِهِ صَهَلٌ، وَفِي عُنُقِهِ سَطَعٌ، وَفِي لِحْيَتِهِ كَثَاثَةٌ، أَزَجُّ أَقْرَنُ، إِنْ صَمَتَ فَعَلَيْهِ الْوَقَارُ، وَإِنْ تَكَلَّمَ سَمَاهُ وَعَلَاهُ الْبَهَاءُ، أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبْهَاهُ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَحْسَنُهُ وَأَجْمَلُهُ مِنْ قَرِيبٍ، حُلْوُ الْمَنْطِقِ فَصْلًا، لَا نَزْرٌ وَلَا هَذْرٌ، كَأَنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتُ نَظْمٍ، يَتَحَدَّرْنَ رَبْعَةٌ لَا تَشْنَأَهُ مِنْ طُولٍ، وَلَا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ قِصَرٍ، غُصْنٌ بَيْنَ غُصْنَيْنِ، فَهُوَ أَنْضَرُ الثَّلَاثَةِ مَنْظَرًا وَأَحْسَنُهُمْ، قَدْرًا لَهُ رُفَقَاءُ يَحُفُّونَ بِهِ، إِنْ قَالَ: سَمِعُوا لِقَوْلِهِ، وَإِنْ أَمَرَ تَبَادَرُوا إِلَى أَمْرِهِ، مَحْفُودٌ مَحْشُودٌ لَا عَابِسٌ وَلَا مُفَنَّدٌ، قَالَ أَبُو مَعْبَدٍ: هَذَا وَاللَّهِ صَاحِبُ قُرَيْشٍ الَّذِي ذُكِرَ لَنَا مِنْ أَمْرِهِ مَا ذُكِرَ، وَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَصْحَبَهُ، وَلَأَفْعَلَنَّ إِنْ وَجَدْتُ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا،[1] . وَأَصْبَحَ صَوْتٌ بِمَكَّةَ عَالِيًا يَسْمَعُونَهُ وَلَا يَرَوْنَ الْقَائِلَ:

جَزَى اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ خَيْرَ رَفِيقَيْنِ حَلَّا خَيْمَتَيْ أم معبد
هُمَا نَزَلَا بِالْبِرِّ وَارْتَحَلَا بِهِ وَأَفْلَحَ مَنْ أَمْسَى رَفِيقَ مُحَمَّدِ
فَيَا لَقُصَيٍّ مَا زَوَى اللَّهُ عَنْكُمُ بِهِ مِنْ فَعَالٍ لَا يُجَازَى وَسُودَدِ
لِيَهْنِ بَنِي كَعْبٍ مَكَانُ فَتَاتِهِمْ وَمَقْعَدُهَا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَرْصَدِ
سَلُوا أُخْتَكُمْ عَنْ شَاتِهَا وَإِنَائِهَا فَإِنَّكُمْ إِنْ تَسْأَلُوا الشَّاءَ تَشْهَدِ

[1] صحيح : رواه الحاكم في مستدركه ٣/١٠،حديث ٤٢٧٤.وقال حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ وصححه الذهبي.

قَالَتْ أسماء بنت أبي بكر: مَا دَرَيْنَا أَيْنَ تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنَ الْجِنِّ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ، فَأَنْشَدَ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ، وَالنَّاسَ يَتْبَعُونَهُ وَيَسْمَعُونَ صَوْتَهُ، وَلَا يَرَوْنَهُ حَتَّى خَرَجَ مِنْ أَعْلَاهَا، قَالَتْ: فَلَمَّا سَمِعْنَا قَوْلَهُ، عَرَفْنَا حَيْثُ تَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَّ وَجْهَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ» (١).

٤- وتبعهما في الطريق سُرَاقَةُ بن مالك .قال سُرَاقَةُ :بَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدْلِجٍ، أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ، فَقَالَ يَا سُرَاقَةُ: إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنِفًا أَسْوِدَةً (٢) بِالسَّاحِلِ، أُرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ، قَالَ سُرَاقَةُ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا، انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً، ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي، وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكَمَةٍ(٣)، فَتَحْبِسَهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ رُمْحِي، فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ (٤) الْبَيْتِ، فَحَطَطْتُ بِزُجِّهِ(٥) الْأَرْضَ، وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ، حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا، فَرَفَعْتُهَا(٦) تُقَرِّبُ بِي(٧)، حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَعَثَرَتْ بِي فَرَسِي، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ(٨) فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا(٩): أَضُرُّهُمْ

---

(١) ابن القيم : زاد المعاد ٣/ ٥١-٥٢.

(٢) أسودة: أشخاصا.

(٣) أكمة: رابية مرتفعة عن الأرض.

(٤) من ظهر: من خلف.

(٥) فحططت بزجه: نكست أسفله

(٦) فرفعتها: أسرعت بها السير.

(٧) تقرب بي: من التقريب وهو نوع من السير دون العدو وفوق العادة وقيل هو أن ترفع يديها معا وتضعهما معا.

(٨) الأزلام: سهام لا ريش لها ولا نصل مكتوب عليها لا نعم فكانوا في الجاهلية إذا أرادوا أمرا ضربوا بها فإن خرج [لا] تركوا وإن خرج [نعم] فعلوا.

(٩) فاستقسمت بها: من الاستقسام وهو طلب معرفة ما قسم.

أَمْ لاَ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ[1]، فَرَكِبْتُ فَرَسِي، وَعَصَيْتُ الأَزْلاَمَ، تُقَرِّبُ بِي حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَهُوَ لاَ يَلْتَفِتُ، وَأَبُو بَكْرٍ يُكْثِرُ الِالْتِفَاتَ، سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الأَرْضِ، حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ، فَخَرَرْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَنَهَضَتْ، فَلَمْ تَكَدْ تُخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً، إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ[2] سَاطِعٌ [3]فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدُّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالأَزْلاَمِ، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَنَادَيْتُهُمْ بِالأَمَانِ فَوَقَفُوا، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنَ الحَبْسِ عَنْهُمْ، أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ . فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ، وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالمَتَاعَ، فَلَمْ يَرْزَآنِي[4] وَلَمْ يَسْأَلاَنِي، إِلَّا أَنْ قَالَ: «أَخْفِ عَنَّا». فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ[5]، فَأَمَرَ عَامِرَ بْنَ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ[6]، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ[7]. وفي رواية عن أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَارْتَحَلْنَا وَالقَوْمُ يَطْلُبُونَنَا، فَلَمْ يُدْرِكْنَا أَحَدٌ مِنْهُمْ غَيْرُ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ عَلَى فَرَسٍ لَهُ، فَقُلْتُ: هَذَا الطَّلَبُ قَدْ لَحِقَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا»[8]. وَرَجَعَ سراقة فَوَجَدَ النَّاسَ فِي الطَّلَبِ، فَجَعَلَ يَقُولُ: قَدِ اسْتَبْرَأْتُ لَكُمُ الخَبَرَ، وَقَدْ كُفِيتُمْ مَا هَاهُنَا، وَكَانَ أَوَّلَ النَّهَارِ جَاهِدًا عَلَيْهِمَا، وَآخِرَهُ حَارِسًا لَهُمَا[9].

---

[1] الذي أكره: أي لا تضرهم ولا تقدر عليهم.

[2] عثان: الدخان من غير نار وفي نسخة (غبار).

[3] ساطع: منتشر.

[4] لم يرزآني: لم يأخذا مني شيئا ولم ينقصا مالي.

[5] كتاب أمن: كتاب موادعة.

[6] أديم: هو الجلد المدبوغ.

[7] صحيح: أخرجه البخاري : كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺ- وأصحابه إلى المدينة٥/٦٠، حديث(٣٩٠٦).

[8] صحيح: أخرجه البخاري : كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب المهاجرين وفضلهم ٥/٣، حديث(٣٦٥٢).

[9] ابن القيم : زاد المعاد ٣/٥٠.

٥- وَفِي الطَرِيقِ لَقِيَّ النَّبِيُّ ﷺ بُرَيْدَةُ بْنُ الْحُصَيْبِ الْأَسْلَمِيِّ ، وكَانَ رَئِيسَ قَوْمِه، وكَانَ قَدْ خَرجَ يَبْحثُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ طَمعاً فِي الحُصولِ عَلَى الْجَائِزَةِ التي رَصدَتهَا قُرَيْش لِمَنْ يَقْبِضْ عَلَى النَّبِيِّ ، وكَانَتْ الْجَائِزَةُ مِائَةً مِنْ الإبلِ. إِلَّا أَنَّهُ حِينَ مَثُلَ أَمامَ النَّبِيِّ ﷺ وَواتَتهُ الفُرصةُ لِيَسْتَمِعَ إلى كَلامَ النَّبِيِّ ، أَسْلَّمَ مِنْ فَورِه معَ سَبْعِينَ رَجُلًا كَانُوا مَعهُ، ثُمَّ خَلعَ عِمَامَتِهِ وجَعلَها رَايةً بَيْضاءَ تُرَفْرِفُ مِنْ فَوقِ رُمْحِه، تُبَشرُ بِقدومِ الأمْنِ، حَامي السَلامِ نَاشِرَ العَدلِ والإنْصافِ فِي الدُنْيَا[1].

٦- وفي الطريق في بطن رِئَمْ لَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الزُّبَيْرَ، وهو فِي رَكْبٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، كَانُوا تِجَارًا قَافِلِينَ مِنَ الشَّأْمِ، فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَابَ بَيَاضٍ[2].

النزول بقباء:

وفِي يَوْمَ الِاثْنَيْنِ ٨ رَبيعُ الأوّلِ /١ه المُوافِقْ ٢٣ سِبْتَمبَرْ سَنةَ ٦٢٢ م نَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقُباءَ[3] .قال عروة بن الزبير: سَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الحَرَّةِ، فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ، فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَ مَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ، فَلَمَّا أَوَوْا إِلَى بُيُوتِهِمْ، أَوْفَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودَ عَلَى أُطُمٍ [4] مِنْ آطَامِهِمْ، لِأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مُبَيَّضِينَ [5]

---

[1] محمد سليمان :رحمة للعالمين ١/ ٨٤.

[2] صحيح: أخرجه البخاري : كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺ- وأصحابه إلى المدينة٥/ ٦٠، حديث(٣٩٠٦).

[3] رحمة للعالمين : ١/ ٨٤.

[4] أطم: حصن وقيل بناء من حجر كالقصر.

[5] مبيضين: عليهم ثياب بيض.

يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ[1]، فَلَمْ يَمْلِكِ اليَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعَاشِرَ العَرَبِ، هَذَا جَدُّكُمُ [2] الَّذِي تَنْتَظِرُونَ، فَثَارَ المُسْلِمُونَ إِلَى السِّلاَحِ، فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِظَهْرِ الحَرَّةِ[3].قال ابن القيم: وَسُمِعَتِ الرَّجَّةُ[4] وَالتَّكْبِيرُ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَكَبَّرَ المُسْلِمُونَ فَرَحًا بِقُدُومِهِ، وَخَرَجُوا لِلِقَائِهِ، فَتَلَقَّوْهُ وَحَيَّوْهُ بِتَحِيَّةِ النُّبُوَّةِ، فَأَحْدَقُوا بِهِ مُطِيفِينَ حَوْلَهُ وَالسَّكِينَةُ تَغْشَاهُ، وَالْوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصالِحُ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذلِكَ ظَهِيرٌ﴾[5][6] .

قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ اليَمِينِ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَذَلِكَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ، وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَامِتًا، فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الأَنْصَارِ - مِمَّنْ لَمْ يَرَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ - يُحَيِّي أَبَا بَكْرٍ، حَتَّى أَصَابَتِ الشَّمْسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ، فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ[7] .

أقام رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بقباء يَوْمَ الِاثْنَيْنِ وَالثُّلَاثَاءِ وَالْأَرْبِعَاءِ وَالْخَمِيسِ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، [8] . وأسس مسجد قباء وصلى فيه، وهو أَوَّلُ مَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى

---

[1] تزول بهم السراب: هو ما يرى في شدة الحر من بعد كأنه ماء والمعنى يزول السراب عن النظر بسبب عروضهم له أو يظهرون فيه تارة ويخفون أخرى.

[2] جدكم: حظكم وصاحب دولتكم الذي تتوقعون مجيئه.

[3] صحيح: أخرجه البخاري : كتاب فضائل الصحابة ، باب هجرة النبي ﷺ- وأصحابه إلى المدينة٥/٦٠، حديث(٣٩٠٦).

[4] صوت الشيء الساقط.

[5] سورة التحريم :الآية ٤.

[6] ابن القيم: زاد المعاد ٣/٥٢.

[7] صحيح: أخرجه البخاري : كتاب فضائل الصحابة، باب هجرة النبي ﷺ- وأصحابه إلى المدينة٥/٦٠، حديث(٣٩٠٦).

[8] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣/١٠٠٩.

بعد النبوة، فلما كان اليوم الخامس- يوم الجمعة- ركب عَلَى رَاحِلَتِهِ، وَأَبُو بَكْرٍ رِدْفُهُ[1]، وأَرْسَلَ إِلَى بَنِي النَّجَّارِ- أخواله - فَجَاءُوا مُتَقَلِّدِين سُّيُوفِهم[2]،فَسارَ نَحْوَ المَدِينَةَ وَهُمْ حَوْلَهُ[3]، وأَدْرَكَتهُ الْجُمُعَةِ فِي بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ فَصَلى الْجُمُعَةِ الْكُبْرَى فِي الْمَسْجِدِ بِبَطْنِ الْوَادِي[4]، بِمَنْ كَانَ مَعهُ مِنْ الْمُسْلِمينَ، وَهُمْ مِائَةَ رَجُلٍ[5].

دخول النبي ﷺ في المدينة:

قال البراء بن عازب :قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ، فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ المَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ[6]وَمِنْ ذَلِكَ اليَوْمَ سُميَتْ بَلْدَة يَثْرِب بِمَدينَةِ الرَسُولِ ﷺ، وَيُعَبرْ عَنْهَا عَنْهَا بِالمَدينَةِ مُخْتَصَراً- وكَانَ يَوماً تَارِيخِيّاً أَغَرْ، فَقدْ كَانَتْ البُيوتْ والسِكَك تَرتَجْ بَأصْواتِ التَحْميدِ والتَقْديسِ، والأنْصَارِ إِنْ لَمْ يَكونُوا أَصْحابْ ثَرَواتٍ طائِلَةٍ إِلَّا أَنَّ كُلَّ واحِدٍ مِنْهُمْ كَانَ يَتمَنى أَنْ يَنْزِلَ الرَسُولُ ﷺ عَلَيْهِ، فَكانَ لا يَمُرْ بِدارٍ مِنْ دُورِ الأَنْصارِ إِلَّا أَخَذُوا خِطَامِ رَاحِلَتِهِ[7]، هَلُمَّ إِلَى الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ وَالسِّلَاحِ وَالْمَنَعَةِ، فَقَالَ: فَقَالَ: «خَلُّوا سَبِيلَهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ» فَلَمْ تَزَلْ نَاقَتُهُ سَائِرَةً بِهِ لَا تَمُرُّ بِدَارٍ مِنْ دُورِ الْأَنْصَارِ إِلَّا رَغِبُوا إِلَيْهِ فِي النُّزُولِ عَلَيْهِمْ، وَيَقُولُ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ» فَسَارَتْ

---

[1] ردفه: راكب خلفه.

[2] متقلدي السيوف: جعلوا حمائلها في أعناقهم كالقلائد خوفا من اليهود عليه وليروه استعدادهم لنصرته صلى الله عليه وسلم.

[3] صحيح: أخرجه البخاري : كتاب الصلاة، بَابٌ هَلْ تُنْبَشُ قُبُورُ مُشْرِكِي الجَاهِلِيَّةِ، وَيُتَّخَذُ مَكَانُهَا مَسَاجِدَ١/٩٣، حديث(٤٢٨).

[4] رواه الطبراني ورجاله ثقات .أنظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/٧٨، حديث(٩٩٢٢).

[5] المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ١/١٨٢ .

[6]صحيح: أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة ، باب مقدم النبي ﷺوأصحابه المدينة،٥/٦٦، حديث (٣٩٢٥).

[7]الرحيق المختوم ، ص١٩٣.

حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى مَوْضِعِ مَسْجِدِهِ الْيَوْمَ وَبَرَكَتْ، وَلَمْ يَنْزِلْ عَنْهَا حَتَّى نَهَضَتْ وَسَارَتْ قَلِيلًا، ثُمَّ الْتَفَتَتْ فَرَجَعَتْ فَبَرَكَتْ فِي مَوْضِعِهَا الْأَوَّلِ، فَنَزَلَ عَنْهَا وَذَلِكَ فِي بَنِي النَّجَّارِ أَخْوَالِهِ ﷺ.وَكَانَ مِنْ تَوْفِيقِ اللَّهِ لَهَا فَإِنَّهُ أَحَبُّ أَنْ يَنْزِلَ عَلَى أَخْوَالِهِ يُكْرِمُهُمْ بِذَلِكَ، فَجَعَلَ النَّاسُ يُكَلِّمُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي النُّزُولِ عَلَيْهِمْ، وَبَادَرَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ إِلَى رَحْلِهِ فَأَدْخَلَهُ بَيْتَهُ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «الْمَرْءُ مَعَ رَحْلِهِ» ، وَجَاءَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ فَأَخَذَ بِزِمَامِ رَاحِلَتِهِ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ[1].

وفي رواية أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : «أَيُّ بُيُوتِ أَهْلِنَا أَقْرَبُ». فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: أَنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هَذِهِ دَارِي وَهَذَا بَابِي، قَالَ: «فَانْطَلِقْ فَهَيِّئْ لَنَا مَقِيلًا»، قَالَ: قُومَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ[2].قالت عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وُعِكَ[3] أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا أَخَذَتْهُ الْحُمَّى[4] يَقُولُ: كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ ... وَالْمَوْتُ أَدْنَى[5] مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ[6]، وَكَانَ بِلَالٌ إِذَا أُقْلِعَ[7]عَنْهُ الْحُمَّى يَرْفَعُ عَقِيرَتَهُ[8] يَقُولُ:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي[9] هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ[10] وَجَلِيلُ[11]،

---

[1] ابن القيم: زاد المعاد ٣/٥٣.

[2] صحيح: أخرجه البخاري : كتاب فضائل الصحابة ، باب هجرة النبي ﷺوأصحابه إلى المدينة٥/٦٢، حديث(٣٩١١).

[3] وعك: أصابه الوعك وهو الحمى.

[4] أخذته الحمى: اشتدت عليه.

[5] أدنى: أقرب.

[6] شراك نعله: سير النعل الذي يكون على وجهها.

[7] أقلع: كف.

[8] عقيرته: رفع الصوت مع البكاء أو الغناء.

[9] ليت شعري: ليتني أشعر.

[10] إذخر: نوع من الحشيش.

[11] جليل: نوع من النبات.

وَهَـلْ أَرِدَنْ يَوْمًـا مِيَـاهَ مَجَنَّـةٍ[1] وَهَلْ يَبْدُوَنْ[2] لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ[3]،

قَالَ: اللَّهُمَّ العَنْ شَيْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنَ خَلَفٍ كَمَا أَخْرَجُونَا مِنْ أَرْضِنَا إِلَى أَرْضِ الوَبَاءِ[4]، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا المَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا وَفِي مُدِّنَا، وَصَحِّحْهَا لَنَا، وَانْقُلْ حُمَّاهَا إِلَى الجُحْفَةِ[5]»[6].

وَقَدْ اسْتَجابَ اللهُ دُعاءَهُ ﷺ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ: فِي رُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ فِي المَدِينَةِ: « رَأَيْتُ امْرَأَةً سَوْدَاءَ ثَائِرَةَ الرَّأْسِ، خَرَجَتْ مِنَ المَدِينَةِ حَتَّى نَزَلَتْ بِمَهْيَعَةَ، فَتَأَوَّلْتُهَا أَنَّ وَبَاءَ المَدِينَةِ نُقِلَ إِلَى مَهْيَعَةَ» وَهِيَ الجُحْفَةُ "[7]، وَبِذلِكَ اسْتَراحَ المُهاجِرونَ عَمَّا كَانُوا يُعاونهُ مِنْ شِدَةِ مَناخِ المَدينَةِ .

---

[1] مياه مجنة: ماء عند عكاظ قريبا من مكة.

[2] يبدون: يظهرن.

[3] شامة وطفيل: جبلان على نحو ثلاثين ميلا من مكة وقيل هما عينا ماء (وقال) بلال رضي الله عنه.

[4] الوباء: المرض العام.

[5] الجحفة: ميقات أهل الشام ومصر والمغرب الآن وتسمى رابغ.

[6] صحيح: أخرجه البخاري : ابواب فضائل المدينة، بَابُ كَرَاهِيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُعْرَى المدينة٣/٢٣، حديث(١٨٨٩).

[7] صحيح: أخرجه البخاري : كتاب التعبير، بَابُ المرأة السوداء ٩/٤٢، حديث(٧٠٣٩).

المبحث الثاني

المستفاد من أحداث العهد المكي

المستفاد من أسلوب الدعوة السرية والضابط لوجوبها:

الدعوة الناشئة تحتاج إلى جو هادئ بعيد عن تجمع الأعداء ضد هذه الدعوة وصاحبها، كما تحتاج إلى فسحة من الوقت يتخير فيها صاحبها العناصر السليمة التي يمكن مكاشفتها وعرض الدعوة عليها واحتمال إجابتها حتى يكونوا أعواناً للدعوة وقائدها وقاعدة لها، وهذه الأغراض يحققها أسلوب الفردية والسرية في المرحلة الأولى للدعوة، والضابط لوجوب السرية للدعوة الإسلامية وجود ضرر محقق أو محتمل الوقوع احتمالا راجحاً يلحق بالدعوة ذاتها أو بالدعاة أنفسهم ؛ وتقدير الضرر يرجع إلى ملاحظة جملة اعتبارات منها:ـ

١ـ شدة بطش وعتو أعداء الدعوة من حكام ومتنفذين في المجتمع إذا عرفوا بوجود الدعوة وعرفوا قادتها .

٢ـ قلة المستجيبين للدعوة بحيث يؤدي انكشافهم إلى تصفيتهم جسدياً وإلى القضاء على الدعوة أو إلى شل حركتها .

٣ـ تعريض الدعوة ودعاتها إلى الخصام مما يعرقل عمل الدعاة ويشغلهم عن عملهم المبرور[1].

---

[1] زيدان، عبد الكريم: المستفاد من قصص القرآن ٢/ ٣٢.

المستفاد من موقف المشركين من الدعوة الإسلامية الجهرية :

لقد ردّ المشركون في مكة دعوة الإسلام، وقابلوها بالتكذيب والطعن في الرسول ﷺ واتهامه بالكذب والسحر والنعوت القبيحة، وهو ﷺ بريء منها، بل ويعلمون هم أنه بريء منها لأنهم ما عرفوا منه إلا الأمانة والصدق، ولكن استمساكهم بكفرهم ومعاداتهم للدعوة حملهم على ردها والطعن في شخص الرسول ﷺ. فعلى المسلمين أن لا يأخذهم العجب والبهر والانزعاج إذا ما رأوا الناس أو بعضهم يردون دعوتهم ويعادونها ويتهمونهم بالتهم الباطلة، فليسوا هم ـ أي المسلمين ـ بأحسن حالاً ولا أقوى حجة ولا أكثر تأييداً من الله ولا أنصع بياناً من رسول الله ﷺ، ومع ذلك أتهمه أهل الباطل بما اتهموه به، وردوا دعوته وهي دعوة الحق، فإذا فقه المسلمين ذلك لم يلتفتوا إلى تكذيب المكذبين وطعنهم بأشخاصهم، ومضوا في دعوتهم بإصرار ويقين بنصر الله لهم [1].

المستفاد من المفاوضات التي جرت بين عتبة بن ربيعة ورسول الله ﷺ :

١- لم يخض ﷺ معركة جانبية حول العروض المغرية، وغضبه الشخصي لهذا الاتهام، إنما ترك ذلك لهدف واحد أبعد ﷺ، وترك عتبة يعرض كل ما عنده، وبلغ من أدبه ﷺ أن قال : « أفرغت يا ابا الوليد ؟» فقال : نعم [2].

٢- كان جواب رسول الله ﷺ حاسماً، إن اختياره لهذه الآيات لدليل على حكمته، وقد تناولت الآيات الكريمة قضايا رئيسية كان منها : إن هذا القرآن تنزيل

---

[1] المصدر السابق ٢/ ٥٤.

[2] الغضبان، منير: التحالف السياسي في الإسلام، ص٣٣ .

من الله، بيان موقف الكافرين وإعراضهم، بيان مهمة الرسول، وأنه بشر، بيان أن الخالق واحد هو الله، وأنه خالق السماوات والأرض، بيان تكذيب الأمم السابقة وما أصابها، وإنذار قريش صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود[1].

٣- لم يخض ﷺ معركة جانبية حول العروض المغرية، وغضبه الشخصي لهذا الاتهام، إنما ترك ذلك لهدف واحد أبعد ﷺ، وترك عتبة يعرض كل ما عنده، وبلغ من أدبه ﷺ أن قال : « أفرغت يا ابا الوليد ؟» فقال : نعم [2].

٤- كان جواب رسول الله ﷺ حاسماً، إن اختياره لهذه الآيات لدليل على حكمته، وقد تناولت الآيات الكريمة قضايا رئيسية كان منها : إن هذا القرآن تنزيل من الله، بيان موقف الكافرين وإعراضهم، بيان مهمة الرسول، وأنه بشر، بيان أن الخالق واحد هو الله، وأنه خالق السماوات والأرض، بيان تكذيب الأمم السابقة وما أصابها، وإنذار قريش صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود[3].

٥- خطورة المال، والجاه والنساء على الدعاة، فكم سقط من الدعاة على الطريق تحت بريق المال وكم عرضت الآلاف من الأموال على الدعاة ليكفوا عن دعوتهم، والذين ثبتوا أمام إغراء المال هم المقتدون بالنبي ﷺ، وخطورة الجاه واضحة ؛ لأن الشيطان في هذا المجال يزين ويغوي بطرق أكبر وأمكر وأفجر. والداعية الرباني هو الذي يتأسى برسول الله ﷺ في حركته وأقواله وأفعاله، ولا ينسى الهدف الذي عاش له ويموت من أجله: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

---

[1] الشامي، صالح أحمد: من معين السيرة، ص٧٥.
[2] الغضبان، منير: التحالف السياسي في الإسلام، ص٣٣ .
[3] الشامي، صالح أحمد: من معين السيرة، ص٧٥.

(١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾[١]، وأما النساء فقد قال ﷺ : « ما تركت فتنة على أمتي أضر على الرجال من النساء »[٢] سواء كانت زوجة تثبط الهمة عن الدعوة والجهاد، أو تسليط بعض الفاجرات عليه ليسقطنه في شباكهن، أو في تهيئة أجواء البغي والإثم والمجون ليرتادها خطوة بعد خطوة، أياً كانت، فإنها فتنة عظيمة في الدين[٣] .

٦- تأثر عتبة بموقف النبي ﷺ، وكان هذا التأثير واضحاً لدرجة أن أصحابه أقسموا على ذلك التأثير قبل أن يخبرهم، فبعد أن كان العدو ينوي القضاء على الدعوة، إذا به يدعو لعكس ذلك، فيطلب من قريش أن تخلي بين محمد ﷺ وما يريد[٤].

٧- استمع الصحابة لما حدث بين النبي ﷺ وبين عتبة، وكيف رفض حبيبهم ﷺ كل عروضه المغرية، فكان ذلك درساً تربوياً خالط أحشاءهم، تعلموا منه الثبات على المبدأ، والتمسك بالعقيدة، ووضع المغريات تحت أقدام الدعاة[٥].

٨- تعلم الصحابة من الرسول الكريم ﷺ الحلم ورحابة الصدر، فقد استمع ﷺ

---

[١] سورة الأنعام، الآيتان ١٦٢-١٦٣.

[٢] روى الامام احمد في المسند/ ١١١٦٩: " إِنَّ الدُّنْيَا خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ "، قال الارناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

و٢١٨٢٩: " مَا تَرَكْتُ فِي النَّاسِ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ "، قال الارناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

- روى ابن حبان في صحيحه/٥٩٣٦: (مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ على الرجال من النساء). و٥٩٣٩: (مَا تركتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَخْوَفَ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ). وصححها الالباني في التعليقات الحسان.

[٣] الغضبان، منير محمد: فقه السيرة النبوية، ص١٦٩.

[٤] أحمد، إبراهيم علي محمد: في السيرة النبوية جوانب الحذر والحماية، ص٨٧.

[٥] الصلابي: السيرة النبوية١/١٧٢.

إلى ترهات عتبة بن ربيعة ونيله منه وقوله عنه: « إن في قريش ساحراً »، و « إن في قريش كاهناً »،« ما رأينا سخلة اشأم على قومك منك »، « إن كان رِئِّي من الجن » فقد اعرض عنه ﷺ وأغض عن هذا السباب بحيث لا يصرفه ذلك عن دعوته وتبليغه إياها لسيد بني عبد شمس، فقد كانت كل كلمة تصدر من سيد الخلق ﷺ مبدأ يحتذى، وكل تصرف ديناً يتبع، وكل إغضاء خلقاً يتأسى به [1].

المستفاد من هجرة المسلمين إلى الحبشة :

١- إن ثبات المؤمنين على عقيدتهم، دليل على صدق إيمانهم، وإخلاصهم في معتقداتهم، وسمو نفوسهم وأرواحهم[2].

٢- شفقة الرسول الكريم ﷺ على أصحابه ورحمته بهم، وحرصه الشديد للبحث عما فيه أمنهم وراحتهم،، وهذه تربية نبوية لقيادات المسلمين في كل عصر، أن تخطط بحكمة وبعد نظر لحماية الدعوة والدعاة، وتبحث عن الأرض الآمنة التي تكون عاصمة احتياطية للدعوة، ومركزًا من مراكز انطلاقها فيما لو تعرض المركز الرئيسي للخطر[3].

٣- إن وجود ابن عم رسول الله ﷺ جعفر، وصهره عثمان، وابنته رقية رضي الله عنهم جميعًا، في مقدمة المهاجرين له دلالة عميقة تشير إلى أن الأخطار لا بد أن يتجشمها المقربون إلى القائد، وأهله ورحمه[4].

٤- إن اختيار الرسول ﷺ الهجرة إلى الحبشة يشير إلى نقطة إستراتيجية هامة،

---

[1] الغضبان، منير محمد: التربية القيادية ١/ ٣٠٤.

[2] السباعي، مصطفى: السيرة النبوية، ص٥٧.

[3] الغضبان، منير محمد: التربية القيادية١/ ٣٣٣.

[4] الغضبان، منير محمد: التربية القيادية١/ ٣٣٣.

تمثلت في معرفة الرسول بما حوله من الدول والممالك، فكان يعلم طيبها من خبيثها، وعادلها من ظالمها، الأمر الذي ساعد على اختيار دار آمنة لهجرة أصحابه، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه حال قائد الدعوة الذي لا بد أن يكون ملمًّا بما يجري حوله، مطلعًا على أحوال وأوضاع الأمم والحكومات[1].

٥- يظهر الحس الأمني عند الرعيل الأول، في هجرتهم الأولى، وكيفية الخروج، فيتمثل في كونه تم تسللاً وخفية حتى لا تفطن له قريش فتحبطه كما أنه تم على نطاق ضيق لم يزد على ستة عشر فردًا، فهذا العدد لا يلفت النظر في حالة تسللهم فردًا أو فردين، وفي ذات الوقت يساعد على السير بسرعة، وهذا ما يتطلبه الموقف فالركب يتوقع المطاردة والملاحقة في أي لحظة [2].

٦- لم ترض قريش بخروج المسلمين إلى الحبشة وشعرت بالخطر الذي يهدد مصالحها في المستقبل، فربما تكبر الجالية هناك وتصبح قوة خطرة، ولذلك جد المشركون وشرعوا في الأخذ بالأسباب لإعادة المهاجرين، وبدأت قريش تلاحق المهاجرين؛ لكي تنزع هذا الموقع الجديد منهم في تخطيط محكم ذكي، فالهدايا إلى النجاشي والهدايا إلى بطارقته ووضعت الخطة داخل مكة، وكيف توزع الهدايا، وما نوعية الكلام الذي يرافق الهدايا، وصفات السفراء، فعمرو من أصدقاء النجاشي ومعروف بالدهاء! وما أحوجنا إلى ألا نستصغر عدونا، وألا ننام عن مخططاته، وأن نعطيه حجمه الحقيقي، وندرس تحركاته، لنستعد لمواجهة مخططاته الماكرة[3].

---

[1] أحمد، إبراهيم علي محمد: في السيرة النبوية جوانب الحذر والحماية، ص١٠١.

[2] الصلابي: السيرة النبوية١/٢٠٣.

[3] الغضبان، منير محمد: التربية القيادية١/٣١٧.

٧- اجتمع الصحابة حين جاءهم رسول النجاشي وطلب منهم الحضور، وتدارسوا الموقف، وهكذا كان أمر المسلمين شورى بينهم، وكل أمر يتم عن طريق الشورى هو أدعى إلى نجاحه؛ لأنه يضم خلاصة عقول كثيرة، وتبدو مظاهر السمو التربوي في كون الصحابة لم يختلفوا بل أجمعوا على رأي واحد، ألا وهو أن يعرض الإسلام كما جاء به رسول الله ﷺ كائنًا في ذلك ما هو كائن، وعزموا على عرض الإسلام بعزة، وإن كان في ذلك هلاكهم[1].

٨- كان وعي القيادة النبوية على مستوى الأحداث؛ ولذلك وضع جعفر بن أبي طالب على إمارة المسلمين في الهجرة، وتم اختياره من قبل المسلمين المهاجرين ليتحدث باسمهم بين يدي النجاشي، وليتمكن من مواجهة داهية العرب عمرو بن العاص، وقد امتازت شخصية جعفر بعدة أمور جعلتها تتقدم لسد هذه الثغرة العظيمة منها:

* جعفر بن أبي طالب من ألصق الناس برسول الله ﷺ فقد عاش معه في بيت واحد، فهو أخبر الناس بقائد الدعوة، وسيد الأمة من بين كل المهاجرين إلى الحبشة.

* وهذا الموقف بين يدي النجاشي يحتاج إلى بلاغة وفصاحة، وبنو هاشم قمة قريش نسبًا وفضلاً، وجعفر في الذؤابة من بني هاشم، والله تعالى قد اختار هاشمًا من كنانة، واختار نبيه من بني هاشم، فهم أفصح الناس لسانًا وأوسطهم نسبًا.

* وهو ابن عم رسول الله ﷺ وهذا يجعل النجاشي أكثر اطمئنانًا وثقة بما يعرض

---

[1] الحميدي: التاريخ الإسلامي مواقف وعبر ٢/ ٩٢.

عن ابن عمه[1].

* خلق جعفر المقتبس من مشكاة النبوة، وجمال خلقه المنحدر من أصلاب بني هاشم، فقد قال رسول الله ﷺ لجعفر: «أشبهت خَلْقي وخُلُقي» فالسفير بين يدي النجاشي كان قدوة لسفراء المسلمين على مر الزمان، وكر العصور، فقد اتصف بسمات السفراء المسلمين، كالإسلام والانتماء إليه، والفصاحة، العلم، حسن الخلق، الصبر، الشجاعة، الحكمة، سعة الحيلة، المظهر الجذاب[2].

٩- كان عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو يمثل في تلك المرحلة عداوة الله ورسوله ﷺ على مستوى كبير من الذكاء والدهاء والمكر، وكان قبل دخول جعفر وحديثه قد شحن كل ما لديه من حجة، وألقى بها بين يدي النجاشي من خلال النقاط الآتية:

* تحدث عن بلبلة جو مكة وفساد ذات بينها من خلال دعوة محمد ﷺ، وهو سفير مكة وممثلها بين يدي النجاشي، فكلامه مصدق لا يعتريه الشك، وهو عند النجاشي موضع ثقة.

* تحدث عن خطورة أتباع محمد ﷺ وربما سيزلزلون الأرض تحت قدمي النجاشي، كما أفسدوا جوّ مكة، ولولا حب قريش للنجاشي وصداقتها معه، ما تعنوا هذا العناء لنصحه «وأنت لنا عيبة صدق، تأتي إلى عشيرتنا بالمعروف، ويأمن تاجرنا عندك» فلا أقل من رد المعروف بمثله، ولا أقل من وفاء حسن الجوار والعلاقة بين مكة والحبشة من تحذيره من هذه الفتنة المخيفة.

* وأخطر ما في أمرهم، هو خروجهم على عقيدة النجاشي وكفرهم بها «فهم لا

---

[1] الغضبان، منير محمد: التربية القيادية ١/ ٣٣٥.

[2] خطاب، محمود شيت: سفراء النبي ﷺ ٢/ ٣١٧.

يشهدون أن عيسى ابن مريم إله، فليسوا على دين قومهم وليسوا على دينك» فهم مبتدعة دعاة فتنة.

* ودليل استصغارهم لشأن النجاشي، واستخفافهم به أن كل الناس يسجدون له لكنهم لا يفعلون ذلك، فكيف يتم إيواؤهم عندك وهو عودة إلى إثارة الرعب في نفسه، من عدم احترام الدعاة له حين يستخفون بملكه، ولا يسجدون له، فكان على جعفر أن يفند كل الاتهامات الباطلة التي ألصقها سفير قريش بالمهاجرين[1].

١٠- كان رد جعفر على أسئلة النجاشي في غاية الذكاء، وقمة المهارة السياسية، والإعلامية والدعوية، والعقدية، فقام بالتالي:

* عدَّد عيوب الجاهلية، وعرضها بصورة تنفر السامع، وقصَدَ بذلك تشويه صورة قريش في عين النجاشي، وركز على الصفات الذميمة التي لا تنتزع إلا بنبوة.

* عرض شخصية الرسول ﷺ في هذا المجتمع الآسن المليء بالرذائل، وكيف كان بعيدًا عن النقائص كلها، ومعروفًا بنسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فهو المؤهل للرسالة.

* أبرز جعفر محاسن الإسلام وأخلاقه التي تتفق مع أخلاقيات دعوات الأنبياء، كنبذ عبادة الأوثان، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، وإقام الصلاة، وكون النجاشي وبطارقته موغلين في النصرانية فهم يدركون أن هذه رسالات الأنبياء، التي بعثوا بها من لدن موسى، وعيسى عليهما الصلاة والسلام.

* فضح ما فعلته قريش بهم؛ لأنهم رفضوا عبادة الأوثان، وآمنوا بما نزل على

---

[1] الغضبان، منير محمد: التربية القيادية ١/ ٣٤٠.

محمد ﷺ وتخلقوا بخلقه.

* أحسن الثناء على النجاشي بما هو أهله، بأنه لا يُظلم عنده أحد، وأنه يقيم العدل في قومه.

* وأوضح أنهم اختاروه كهفًا من دون الناس، فرارًا من ظلم هؤلاء الذين يريدون تعذيبهم؛ وبهذه الخطوات البينة الواضحة دحر بها بلاغة عمرو وفصاحته، واستأثر بلب النجاشي وعقله، وكذلك استأثر بلب وعقل البطارقة، والقسيسين الحاضرين.

* وعندما طلب الملك النجاشي شيئًا مما نزل على محمد ﷺ جاء صدر سورة مريم في غاية الإحكام والروعة والتأثير، حتى بكى النجاشي، وأساقفته، وبللوا لحاهم وصحفهم من الدموع، واختيار جعفر لسورة مريم، يظهر بوضوح حكمة وذكاء مندوب المهاجرين، فسورة مريم تتحدث عن مريم وعيسى عليهما السلام.

* إن عبقرية جعفر رضي الله عنه في حسن اختيار الموضوع، والزمن المناسب، والقلب المتفتح، والشحنة العاطفية، أدت إلى أن يربح الملك إلى جانبه[1].

* كان رده في قضية عيسى عليه السلام دليلاً على الحكمة والذكاء النادر، فرد بأنهم لا يألهون عيسى ابن مريم، ولكنهم كذلك لا يخوضون في عرض مريم عليها السلام، كما يخوض الكاذبون، بل عيسى ابن مريم كلمته وروحه ألقاها إلى مريم البتول العذراء الطاهرة، وليس عند النجاشي زيادة عما قال جعفر، ولا مقدار هذا العود[2].

---

[1] الغضبان، منير محمد: التربية القيادية ١/ ٣٣٧.

[2] المصدر السابق ١/ ٣٤٢.

* انتهى الأمر بأن أعلن النجاشي صدق القوم، وأيقن بأن هؤلاء صديقون، وعزم على أن يكون في خدمة رسول الله ﷺ الذي يأتيه الناموس كناموس موسى، وأن يتقرب إلى الله بحماية أصحابه، وأكد لعمرو أنه لا يضيره تجارة قريش، ولا مال قريش، ولا جاهها، ولو قطعت علاقتها معه[1].

١١- وبذلك انهزمت قريش في هذه الجبهة سياسيًّا ومعنويًّا، وإعلاميًّا أمام مقاومة المسلمين الموفقة وخطواتهم، وأساليبهم الرصينة.

١٢- كان موقف جعفر وإخوانه مثالاً تطبيقيًا لقول رسول الله ﷺ : « مَنِ الْتَمَسَ رِضَا الله بِسَخَطِ النّاسِ كَفَاهُ الله مُؤْنَةَ النّاسِ، وَمَنِ الْتَمَسَ رَضَا النّاسِ بِسَخَطِ الله وَكَلَهُ الله إِلَى النّاسِ» [2] فهؤلاء الصحابة -رضي الله عنهم- قد التمسوا رضا الله عز وجل، مع أن الظاهر في الأمر أنه يترتب عليه في هذه القضية سخط أولئك النصارى وهم الذين لهم الهيمنة عليهم، فكانت النتيجة أن الله عز وجل سخر لهم ملك الحبشة حتى نطق بالحق الموافق لدعوة النبي ﷺ ، مع مخالفته الصريحة لمعتقدهم المنحرف، الذي قام عليه ملكهم وما يغلب على الظن من ثورة النصارى المتعصبين عليه[3].

المستفاد من عداوة أبو لهب لرسول الله ﷺ :

أبو لهب وهو عم الرسول ﷺ، لم يكتف بعدم استجابته لدعوة الإسلام، وإنما اندفع بحماس في عداوته لرسول الله ﷺ، ولم تمنعه من ذلك العصبية القبلية التي كانت تغشى نفوس الناس، بل راح يدعو الناس ويحرضهم ضد دعوة الإسلام،

---

[1] المصدر نفسه .

[2] تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، ١٣/ ٩٢،حديث(٢٤٥٩).

[3] الحميدي: التاريخ الإسلامي٢/ ١٠٥.

ويتهم رسول الله ﷺ بالكذب، وهو يعلم أن ابن أخيه لم يكذب قط لا في جاهلية ولا في إسلام، فعلى المسلمين أن يفقهوا ذلك، فإذا رأوا من قريب لهم عداوة للدعوة وصداً للناس عنها فلا يستغربوا من ذلك ولا يتوقعوا أن يكون قريبهم مدافعاً عنهم، وعليهم أن يحذروه، كما أن على المسلمين أن يعلموا أن العقيدة وإن كانت باطلة فهي إذا تغلغلت في النفوس فإنها تحمل صاحبها على تجاوز كثير من الروابط والاعتبارات، وقد تحمله على ان يقاتل الدعاة ويعرض نفسه للموت كما حصل لكفار قريش في محاربتهم لرسول الله ﷺ بعد هجرته من مكة [1].

المستفاد من حادثة الإسراء والمعراج :

١- بعد كل محنة منحة، وقد تعرض رسول الله ﷺ لمحن عظيمة، فجاءت حادثة الإسراء والمعراج على قدر من رب العالمين، فيعرج به من دون الخلائق جميعًا، ويكرمه على صبره وجهاده، ويلتقي به مباشرة دون رسول ولا حجاب، ويطلعه على عوالم الغيب دون الخلق كافة، ويجمعه مع إخوانه من الرسل في صعيدٍ واحد، فيكون الإمام والقدوة لهم وهو خاتمهم وآخرهم[2].

٢- إن شجاعة النبي ﷺ العالية تتجسد في مواجهته للمشركين بأمر تنكره عقولهم ولا تدركه في أول الأمر تصوراتهم، وهي:

* وصف النبي ﷺ بيت المقدس، وقد أقروا بصدق الوصف ومطابقته للواقع الذي يعرفونه.

---

[1] زيدان، عبد الكريم: المستفاد من قصص القرآن ٢/ ٨٤.

[2] الغضبان، منير محمد: التربية القيادية ١/ ٤٤٧.

* إخباره عن العير التي بالروحاء، والبعير التي أضلوه، وما قام به من شرب الماء الذي في القدح.

* إخباره عن العير الثانية التي نفرت فيها الإبل ووصفه الدقيق لأحد جمالهم.

* إخباره عن العير الثالثة التي بالأبواء ووصفه الجمل الذي يقدمها، وإخباره بأنها تطلع ذلك الوقت من ثنية التنعيم، وقد تأكد المشركون فوجدوا أن ما أخبرهم به الرسول ﷺ كان صحيحًا فهذه الأدلة الظاهرة كانت مفحمة لهم ولا يستطيعون معها أن يتهموه بالكذب، كانت هذه الرحلة العظيمة، تربية ربانية رفيعة المستوى، وأصبح ﷺ يرى الأرض كلها بما فيها من مخلوقات نقطة صغيرة في ذلك الكون الفسيح، ثم ما مقام كفار مكة في هذه النقطة؟ إنهم لا يمثلون إلا جزءًا يسيرًا جدًا من هذا الكون، فما الذي سيفعلونه تجاه من اصطفاه الله تعالى من خلقه، وخصه بتلك الرحلة العلية الميمونة وجمعه بالملائكة والأنبياء عليهم السلام، وأراه السماوات السبع وسدرة المنتهى والبيت المعمور وكلمه جلا وعلا[1]؟

٣- إن شرب رسول الله ﷺ اللبن حين خير بينه وبين الخمر، وبشارة جبريل عليه الصلاة والسلام: هديت للفطرة، تؤكد أن هذا الإسلام دين الفطرة البشرية التي ينسجم معها، فالذي خلق الفطرة البشرية خلق لها هذا الدين الذي يلبي نوازعها واحتياجاتها، ويحقق طموحاتها ويكبح جماحها[2].

٤- يظهر إيمان الصديق رضي الله عنه القوي في هذا الحدث الجلل، فعندما أخبره الكفار قال بلسان الواثق، لئن كان قال ذلك لقد صدق، ثم قال: إني لأصدقه

---

[1] الحميدي، عبد العزيز: التاريخ الإسلامي مواقف وعبر٣/٤١.

[2] الصلابي: السيرة النبوية١/٢٢٨.

فيما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة، وبهذا استحق لقب الصديق[1].

٥- إن صلاة النبي ﷺ بالأنبياء دليل على أنهم سلموا له بالقيادة والريادة، وأن شريعة الإسلام نسخت الشرائع السابقة، وأنه وسع أتباع هؤلاء الأنبياء ما وسع أنبياءَهم أن يسلموا بالقيادة لهذا الرسول ولرسالته التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها[2].

٦- إن الرسول ﷺ كان مُقدمًا على مرحلة جديدة، مرحلة الهجرة، والانطلاق لبناء الدولة، يريد الله تعالى لِلَّبِنَات الأولى في البناء أن تكون سليمة قوية متراصة متماسكة، فجعل الله هذا الاختبار والتمحيص، ليخلص الصف من الضعاف المترددين[3].

٧- إن الربط بين المسجد الأقصى، والمسجد الحرام وراءه حكم ودلالات وفوائد منها:

* أهمية المسجد الأقصى بالنسبة للمسلمين، إذ أصبح مسرى رسولهم صلى الله عليه وسلم، ومعراجه إلى السماوات العلا.

* الربط يشعر المسلمين بمسؤوليتهم نحو المسجد الأقصى بمسئولية تحرير المسجد الأقصى من أوضار الشرك وعقيدة التثليث، كما هي أيضًا مسئوليتهم تحرير المسجد الحرام من أوضار الشرك وعبادة الأصنام.

---

[1] الحميدي: التاريخ الإسلامي مواقف وعبر٣/٤٣.

[2] الصلابي: السيرة النبوية١/٢٢٨.

[3] الغضبان، منير محمد: التربية القيادية١/٤٥١.

* الربط يشعر بأن التهديد للمسجد الأقصى، هو تهديد للمسجد الحرام وأهله[1].

٨- أهمية الصلاة وعظيم منزلتها: وقد ثبت في السنة النبوية أن الصلاة فرضت على الأمة الإسلامية في ليلة عروجه ﷺ إلى السماوات وفي هذا كما قال ابن كثير: «اعتناء عظيم بشرف الصلاة وعظمتها»[2].

المستفاد من الابتلاء الذي تعرض له صحابة رسول الله ﷺ:

الابتلاء - بصفة عامة- سنة الله في خلقه، وهذا واضح في تقريرات القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾[3]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[4]، وقال جل شأنه:﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾

ولقد جرت سنة الله تعالى ألا يُمكِّن لأمة إلا بعد أن تمر بمراحل الاختبار المختلفة، وإلا بعد أن ينصهر معدنها في بوتقة الأحداث، فيميز الله الخبيث من الطيب، وهي سنة جارية على الأمة الإسلامية لا تتخلف، فقد شاء الله تعالى أن يبتلي المؤمنين ويختبرهم، ليمحص إيمانهم ثم يكون لهم التمكين في الأرض بعد ذلك.للابتلاء حكم كثيرة من أهمها:

---

[1] الصلابي: السيرة النبوية١/٢٢٨.

[2] تفسير ابن كثير٥/٤٣.

[3] سورة الانعام : الآية ١٦٥.

[4] سورة الكهف : الآية ٧.

١- تصفية الصفوف: جعل الله الابتلاء وسيلة لتصفية نفوس الناس، ومعرفة المحق منهم والمبطل؛ وذلك لأن المرء قد لا يُكشف في الرخاء، لكنه تكشفه الشدة، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[١].

٢- الكشف عن خبايا النفوس: فالله يعلم حقيقة القلوب قبل الابتلاء، ولكن الابتلاء يكشف في عالم الواقع ما هو مكشوف لعلم الله، مغيب عن علم البشر، فيحاسب الناس إذن على ما يقع من عملهم لا على مجرد ما يعلمه سبحانه من أمرهم، وهو فضل من الله من جانب، وعدل من جانب، وتربية للناس من جانب، فلا يأخذوا أحدًا إلا بما استعلن من أمره وبما حققه فعله، فليسوا بأعلم من الله بحقيقة قلبه»[٢].

٣- الإعداد الحقيقي لتحمل الأمانة: فالنفس تصهرها الشدائد، فتنفي عنها الخبث وتستجيش كامن قواها المذخورة فتستيقظ وتتجمع، وتطرقها بعنف وشدة فيشتد عودها ويصلب ويصقل، وكذلك تفعل الشدائد بالجماعات، فلا يبقى صامدًا إلا أصلبها عودًا وأقواها طبيعة، وأشدها اتصالاً بالله، وثقة فيما عنده من الحسنيين النصر أو الأجر، وهؤلاء هم الذين يسلمون الراية في النهاية مؤتمنين عليها بعد الاستعداد والاختبار».

٤- معرفة قدر الدعوة: فلكي تعز هذه الدعوة عليهم، وتغلو بقدر ما يصيبهم في سبيلها من غث وبلاء، وبقدر ما يضحون في سبيلها من عزيز وغالٍ، فلا يفرطوا فيها بعد ذلك مهما كانت الأحوال».

---

[١] سورة العنكبوت : الآية ٢.

[٢] سيد قطب: في ظلال القرآن٦/٣٨٧.

٥- جذب بعض العناصر القوية إليها: فأمام صمود المسلمين وتضحياتهم، تتوق النفوس القوية إلى هذه العقيدة، ومن خلال الصلابة الإيمانية تكبر عند هذه الشخصيات الدعوة وحاملوها، فيسارعون إلى الإسلام دون تردد، وأعظم الشخصيات التي يعتز بها الإسلام دخلت إلى هذا الدين من خلال هذا الطريق.

٦- رفع المنزلة والدرجة عند الله، وتكفير السيئات: قال رسول الله ﷺ: «ما يصيب المؤمن من شوكة فما فوقها إلا رفعه الله بها درجة، وحط عنه خطيئة» فقد يكون للعبد درجة عند الله تعالى لا يبلغها بعمله فيبتليه الله تعالى حتى يرفعه إليها، كما أن الابتلاء طريق لتكفير سيئات المسلم.

المستفاد من حادثة هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة في مسار الدعوة الاسلامية:

١- مكر خصوم الدعوة بالداعية : من مكر أهل الباطل وخصوم الدعوة استخدام سلاح المال لإغراء النفوس الضعيفة للقضاء على الدعوة والدعاة، ولذلك رصدوا مائة ناقة لمن يأتي بأحد المهاجرين حياً أو ميتاً، فتحرك الطامعون ومنهم سراقة، الذي عاد بعد هذه المغامرة الخاسرة مادياً بأوفر ربح وأطيب رزق، وهو رزق الإيمان، وأخذ يعمّي الطريق عن الطامعين الآخرين الذين اجتهدوا في الطلب، وهكذا يرد الله عن أوليائه والدعاة[١]، قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾[٢].

٢- دقة الأخذ بالأسباب : دقة الأخذ بالأسباب من ابتدائها إلى انتهائها، ومن

---

[١] البر، عبد الرحمن: الهجرة النبوية المباركة،ص٢٠٠.

[٢] سورة الأنفال: الآية ٣٦.

مقدماتها على ما جرى بعدها، يدرك أن التخطيط المسدد بالوحي في حياة رسول الله ﷺ كان قائماً، وأن التخطيط جزء من السنة النبوية وهو جزء من التكليف الإلهي في كل ما طولب به المسلم [1]، فعندما حان وقت الهجرة للنبي ﷺ وشرع النبي ﷺ في التنفيذ نلاحظ الآتي:

* وجود التنظيم الدقيق للهجرة حتى نجحت، رغم ما كان يكتنفها من صعاب وعقبات، وذلك أن كل أمر من أمور الهجرة كان مدروساً دراسة وافية، فمثلا:

أ- جاء ﷺ إلى بيت أبي بكر في وقت شديد الحر- الوقت الذي لا يخرج فيه أحد- بل من عادته لم يكن يأتي فيه، لماذا؟ حتى لا يراه أحد.

ب- إخفاء شخصيته ﷺ أثناء مجيئه للصديق، وجاء إلى بيت الصديق متلثماً، لأن التلثم يقلل من إمكانية التعرف على معالم الوجه المتلثم[2].

ج- أمر ﷺ أبا بكر أن يُخرِج مَنْ عنده، ولما تكلم لم يبين إلا الأمر بالهجرة دون تحديد الاتجاه.

د - وكان الخروج ليلاً ومن باب خلفي في بيت أبي بكر[3].

هـ- بلغ الاحتياط مداه، باتخاذ طرق غير مألوفة للقوم، والاستعانة بذلك بخبير يعرف مسالك البادية ومسارب الصحراء، بالرغم من كون ذلك الخبير مشركاً ولكنه على خلق ورزانة، وفيه دليل على أن الرسول ﷺ كان لا يحجم عن الاستعانة بالخبرات مهما يكن مصدرها[4].

---

[1] حوى، سعيد: الأساس في السنة١/٣٥٧.

[2] أحمد، إبراهيم علي محمد: في السيرة النبوية جوانب الحذر والحماية، ص١٤١.

[3] الشامي: من معين السيرة، ص١٤٧.

[4] جزولي، أحزمي سامعون: الهجرة في القرآن الكريم، ص٣٦١.

* انتقاء شخصيات عاقلة لتقوم بالمعاونة في شؤون الهجرة، ويلاحظ أن هذه الشخصيات كلها تترابط برباط القرابة، أو برباط العمل الواحد، مما يجعل من هؤلاء الأفراد وحدة متعاونة على تحقيق الهدف الكبير.

* وضع كل فرد من أفراد هذه الأسرة في عمله المناسب، الذي يجيد القيام به على أحسن وجه ليكون أقدر على أدائه والنهوض بتبعاته.

ونرى احتياجات الرحلة قد دبرت تدبيرا محكما:

أ- علي :رضي الله عنه ينام في فراش الرسول ﷺ ليخدع القوم، ويُسلَّم الودائع ويلحق بالرسول.

ب- وعبد الله بن أبي بكر: صاحب المخابرات الصادق، وكاشف تحركات العدو.

جـ- وأسماء ذات النطاقين: حاملة التموين من مكة إلى الغار، وسط جنون المشركين بحثاً عن محمد ﷺ ليقتلوه.

د- وعامر بن فهيرة: الراعي البسيط الذي قدم اللحم واللبن إلى صاحبي الغار، وبدد آثار أقدام المسيرة التاريخية بأغنامه، كيلا يتفرسها القوم، لقد كان هذا الراعي يقوم بدور الإمداد والتموين.

هـ- وعبد الله بن أريقط: دليل الهجرة الأمين، وخبير الصحراء البصير، ينتظر في يقظة إشارة البدء من الرسول، ليأخذ الركب طريقه من الغار إلى يثرب.

فهذا تدبير للأمور على نحو رائع دقيق، واحتياط للظروف بأسلوب حكيم، ووضع لكل شخص من أشخاص الهجرة في مكانه المناسب، وسد لجميع الثغرات، وتغطية بديعة لكل مطالب الرحلة، واقتصار على العدد اللازم من الأشخاص من غير زيادة ولا إسراف.

لقد أخذ الرسول ﷺ بالأسباب المعقولة أخذًا قويًّا حسب استطاعته وقدرته..

ومن ثم باتت عناية الله متوقعة[1].

٣- الإيمان بالمعجزات الحسية:

وفي هجرة النبي ﷺ وقعت معجزات حسية، وهي دلائل ملموسة على حفظ الله ورعايته لرسول الله ﷺ، ومن ذلك ما جرى لرسول الله ﷺ مع أم معبد، وما جرى له مع سراقة ووعده إياه بأن يلبس سواري كسرى [2]، فعلى الدعاة ألا يتنصلوا من هذه الخوارق، بل يذكروها ما دامت ثابتة بالسنة النبوية على أن ينبهوا الناس على أن هذه الخوارق هي من جملة دلائل نبوته ورسالته عليه السلام[3].

٤- جواز الاستعانة بالكافر المأمون:

ويجوز للدعاة أن يستعينوا بمن لا يؤمن بدعوتهم، ما داموا يثقون بهم ويأتمنونهم

---

[1] سبع، توفيق محمد: أضواء على الهجرة، ص٣٩٣-٣٩٧.

[2] مما اشتهر في السيرة أنه - صلى الله عليه وسلم - لما هاجر وصاحبه الصديق - رضي الله عنه - ولحق بهما سراقة بن مالك أنه - صلى الله عليه وسلم - قال لسراقة: "كيف بك إذا لبستَ سواريْ كسرى"؟ وقد ذكر ذلك الحافظان ابن عبد البر وابن حجر -رحمهما الله- في ترجمتهما لسراقة - رضي الله عنه - فقالا: "روى سفيان بن عيينة عن أبي موسى عن الحسن أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لسراقة: .. وذكره: "قال فلما أُتي عمر - رضي الله عنه - بسواري كسرى ومنطقه وتاجه دعا سراقة بن مالك فألبسه إياهما، ... وقال له: ارفع يدك، فقال: الله أكبر والحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز، وألبسهما سراقة الأعرابي".
وهذا مرسل الحسن بن أبي الحسن البصري الإمام المشهورة وهو على جلالته وعلمه وفضله إلا أن مراسيله ليست بحجة، وهو قول محمَّد بن سيرين وابن سعد والإمام أحمد، وخالفهم الإمامان أبو زرعة الرازي ويحي القطان".
قال العلائي -رحمه الله- في (جامع التحصيل): "والظاهر أن قول الأكثر أولى بالاعتماد، وقال أحمد بن حنبل: ليس في المرسلات شيء أضعف من مرسلات الحسن وعطاء بن أبي رباح فإنهما كانا يأخذان من كل ضرب".
وقد رواه أبو بكر بن أبي شيبة من طريق علي بن زيد -وهو ضعيف- عن الحسن، وليس فيه: "كيف بك إذا لبست سواري كسرى ".
أما أصل القصة وهي لحاق سراقة بالرسول - صلى الله عليه وسلم - والصديق فهي ثابتة رواها البخاري، ومسلم. إنظر: ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية، ص٨٥.

[3] الشامي: من معين السيرة، ص١٤٨.

على ما يستعينون به معهم، فقد رأينا أن النبي ﷺ وأبا بكر استأجرا مشركاً ليدلهم على طريق الهجرة ودفعا إليه راحلتيهما وواعده عند غار ثور، وهذه أمور خطيرة أطلعاه عليها، ولا شك أن النبي ﷺ وأبا بكر وثقا به وأمناه، مما يدل على أن الكافر أو العاصي أو غير المنتسب إلى الدعاة، قد يوجد عند هؤلاء ما يستدعي وثوق الدعاة بهم، كأن تربطهم رابطة القرابة، أو المعرفة القديمة أو الجوار، أو عمل معروف، كان قد قدمه الداعية لهم، أو لأن هؤلاء عندهم نوع جيد من الأخلاق الأساسية، مثل الأمانة وحب عمل الخير إلى غير ذلك من الأسباب، والمسألة تقديرية يترك تقديرها إلى فطنة الداعي ومعرفته بالشخص[1].

٥- أمانات المشركين عند رسول الله ﷺ:

في إيداع المشركين ودائعهم عند رسول الله ﷺ مع محاربتهم له، وتصميمهم على قتله، دليل باهر على تناقضهم العجيب، الذي كانوا واقعين فيه، ففي الوقت الذي كانوا يكذبونه ويزعمون أنه ساحر، أو مجنون أو كذاب، لم يكونوا يجدون فيمن حولهم من هو خير منه أمانة وصدقاً فكانوا لا يضعون حوائجهم ولا أموالهم التي يخافون عليها إلا عنده، وهذا يدل على أن كفرانهم لم يكن بسبب الشك لديهم في صدقه، وإنما بسبب تكبرهم واستعلائهم على الحق، الذي جاء به، وخوفاً على زعامتهم وطغيانهم[2]، وصدق الله العظيم: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾[3].

وفي أمر الرسول ﷺ لعلي رضي الله عنه بتأدية هذه الأمانات لأصحابها في مكة رغم هذه الظروف الشديدة التي كان من المفروض أن يكتنفها الاضطراب، بحيث لا يتجه

---

[1] زيدان، عبد الكريم: المستفاد من قصص القرآن ٢/١٠٨.

[2] البوطي: فقه السيرة، ص١٩٣.

[3] سورة الأنعام: الآية ٣٣.

التفكير إلا إلى إنجاح خطة هجرته فقط، رغم ذلك فإن الرسول ﷺ ما كان لينسى أو ينشغل عن رد الأمانات إلى أهلها، حتى ولو كان في أصعب الظروف التي تنسي الإنسان نفسه فضلا عن غيره[1].

٦- الراحلة بالثمن:

لم يقبل رسول الله ﷺ أن يركب الراحلة حتى أخذها بثمنها من أبي بكر ﷺ، واستقر الثمن ديناً بذمته، وهذا درس واضح بأن حملة الدعوة ما ينبغي أن يكونوا عالة على أحد في وقت من الأوقات، فهم مصدر العطاء في كل شيء. إن يدهم إن لم تكن العليا، فلن تكون السفلى، وهكذا يصر عليه السلام أن يأخذها بالثمن، وسلوكه ذلك هو الترجمة الحقة لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[2].

٧- الجندية الرفيعة والبكاء من الفرح:

تظهر أثر التربية النبوية في جندية أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، فأبو بكر ﷺ عندما أراد أن يهاجر إلى المدينة وقال له رسول الله ﷺ: «لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً» فقد بدأ في الإعداد والتخطيط للهجرة «فابتاع راحلتين واحتبسهما في داره يعلفهما إعداداً لذلك، وفي رواية البخاري، «وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر- وهو الخبط- أربعة أشهر»، لقد كان يدرك بثاقب بصره ﷺ، وهو الذي تربى ليكون قائدا، أن لحظة الهجرة صعبة قد تأتي فجأة؛ ولذلك هيأ وسيلة الهجرة، ورتب تموينها، وسخر أسرته لخدمة النبي ﷺ، وعندما

---

[1] الشامي: من معين السيرة، ص١٤٩.

[2] سوة الشعراء: الآية ١٠٩.

جاء رسول الله ﷺ وأخبره أن الله قد أذن له في الخروج والهجرة، بكى من شدة الفرح، وتقول عائشة رضي الله عنها في هذا الشأن: «فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ»، إنها قمة الفرح البشري أن يتحول الفرح إلى بكاء.

فالصديق رضي الله عنه يعلم أن معنى هذه الصحبة، أنه سيكون وحده برفقة رسول رب العالمين بضعة عشرة يوماً على الأقل وهو الذي سيقدم حياته لسيده وقائده وخليله المصطفى ﷺ، فأي فوز في هذا الوجود يفوق هذا الفوز: أن يتفرد الصديق وحده من دون أهل الأرض، ومن دون الصحب جميعاً برفقة سيد الخلق وصحبته كل هذه المدة[1] وتظهر معاني الحب في الله في خوف أبي بكر وهو في الغار من أن يراهما المشركون، ليكون الصديق مثلاً لما ينبغي أن يكون عليه جندي الدعوة الصادق، مع قائده الأمين، حين يحدق به الخطر من خوف وإشفاق على حياته، فما كان أبو بكر ساعتئذ بالذي يخشى على نفسه الموت، ولو كان كذلك لما رافق رسول الله ﷺ في هذه الهجرة الخطيرة، وهو يعلم أن أقل جزائه القتل إن أمسكه المشركون مع رسول الله ﷺ، ولكنه كان يخشى على حياة الرسول الكريم ﷺ، وعلى مستقبل الإسلام إن وقع الرسول ﷺ في قبضة المشركين[2]، ويظهر الحس الأمني الرفيع للصديق في هجرته مع النبي ﷺ في مواقف كثيرة منها، حين أجاب السائل: من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فقال: هذا هادٍ يهديني السبيل، فظن السائل بأن الصديق يقصد الطريق، وإنما كان يقصد سبيل الخير، وهذا يدل على حسن استخدام أبي بكر

---

[1] الغضبان، منير محمد: التربية القيادية ٢/١٩٢.

[2] السباعي، مصطفى: السيرة النبوية دروس وعبر، ص٧١.

للمعاريض، فرارا من الحرج أو الكذب[1]،؛ لأن الهجرة كانت سراً وقد أقره الرسول ﷺ على ذلك[2]، وفي موقف علي بن أبي طالب مثال للجندي الصادق المخلص لدعوة الإسلام، حيث فدى قائده بحياته، ففي سلامة القائد سلامة للدعوة، وفي هلاكه خذلانها ووهنها، فما فعله علي ﷺ ليلة الهجرة من بياته على فراش الرسول ﷺ، إذ كان من المحتمل أن تهوي سيوف فتيان قريش على رأس علي ﷺ، ولكن علياً ﷺ لم يبال بذلك، فحسبه أن يسلم رسول الله ﷺ نبي الأمة وقائد الدعوة[3].

٨- فن قيادة الأرواح، وفن التعامل مع النفوس:

يظهر الحب العميق الذي سيطر على قلب أبي بكر لرسول الله ﷺ في الهجرة، كما يظهر حب سائر الصحابة أجمعين في سيرة النبي المصطفى ﷺ. وهذا الحب الرباني كان نابعاً من القلب، وبإخلاص، لم يكن حب نفاق، أو نابعاً من مصلحة دنيوية، أو رغبة في منفعة أو رهبة لمكروه قد يقع، ومن أسباب هذا الحب لرسول الله ﷺ صفاته القيادية الرشيدة، فهو يسهر لينام، ويتعب ليستريحوا، ويجوع ليشبعوا، كان يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم، فمن سلك سنن الرسول ﷺ مع صحابته في حياته الخاصة والعامة، وشارك الناس في أفراحهم وأتراحهم وكان عمله لوجه الله أصابه شيء من هذا الحب إن كان من الزعماء أو القادة أو المسؤولين في أمة الإسلام[4].

إن القيادة الصحيحة هي التي تستطيع أن تقود الأرواح قبل كل شيء وتستطيع

---

[1] البر، عبد الرحمن: الهجرة النبوية المباركة، ص٢٠٤.

[2] ابو فارس، محمد عبد القادر: السيرة النبوية، ص٢٥٤.

[3] السباعي: السيرة النبوية دروس وعبر، ص٦٨.

[4] ابو فارس، محمد عبد القادر: في ظلال السيرة النبوية، ص٥٤.

أن تتعامل مع النفوس قبل غيرها، وعلى قدر إحسان القيادة يكون إحسان الجنود، وعلى قدر البذل من القيادة يكون الحب من الجنود، فقد كان ﷺ رحيماً وشفوقاً بجنوده وأتباعه، فهو لم يهاجر إلا بعد أن هاجر معظم أصحابه، ولم يبقَ إلا المستضعفون والمفتونون ومن كانت له مهمات خاصة بالهجرة[1].

٩- الداعي إلى الله ينتهز كل فرصة مناسبة لتبليغ دعوة الله :

إن المسلم الذي تغلغلت الدعوة في شغاف قلبه لا يفتر لحظة واحدة عن دعوة الناس إلى دين الله تعالى، مهما كانت الظروف قاسية والأحوال مضطربة، والأمن مفقود بل ينتهز كل فرصة مناسبة لتبليغ دعوة الله تعالى، هذا نبي الله تعالى يوسف -عليه السلام- حينما زج به في السجن ظلماً، واجتمع بالسجناء في السجن، فلم يندب حظه، ولم تشغله هذه الحياة المظلمة عن دعوة التوحيد وتبليغها للناس ومحاربة الشرك وعبادة غير الله والخضوع لأي مخلوق قال تعالى: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (٣٩) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [2].

وقد أمر الله تعالى رسوله محمد ﷺ أن يقتدي بالأنبياء والمرسلين في دعوته إلى الله؛ ولذلك نجده ﷺ في هجرته من مكة إلى المدينة، وقد كان مطارداً من المشركين قد أهدروا دمه وأغروا المجرمين منهم بالأموال الوفيرة، ليأتوا برأسه حياً أو ميتاً، ومع هذا فلم ينس مهمته ورسالته، فقد لقي ﷺ في طريقه رجلاً يقال له بريدة بن

---

[1] البر، عبد الرحمن: الهجرة النبوية المباركة، ص٢٠٥.

[2] سورة يوسف: الآيتان ٣٩-٤٠.

الحصيب الأسلمي ﷺ في ركب من قومه فدعاهم إلى الإسلام فآمنوا وأسلموا[1].

١٠- معية الله لأوليائه المؤمنين ونصرته لهم، ويتجلى هذا في حفظ رسول الله ﷺ في الغار من أن تناله أيدي المشركين ثم نجاته من سراقة بن مالك.

١١- الثقة المطلقة بالله وبنصره وتأييده، ويتجلى هذا الدرس في قوله ﷺ: ((ما ظنك باثنين الله ثالثهما))، ثم في عدم تلفته عندما لحقه سراقة، وكأن الأمر لا يعنيه ﷺ، ثم في إعطائه ﷺ سراقة كتاب أمان، وهو الذي يخرج من بلده مهاجراً، لكنه كان يرى نصر الله له ويرقبه ويتيقنه كما يتيقن الشمس في رابعة النهار.

[1] ابو فارس، محمد عبد القادر: في ظلال السيرة النبوية، ص٥٩.

الباب الثاني

النبي محمدﷺ في المدينة

الفصل الاول

دعائم دولة الاسلام في المدينة

تمهيد:

تُعَدُّ الهِجْرةُ النَبويَّة مِنْ مَكَّةَ إلى المَدينَةِ حَدثاً مِفْصَلياً فِي تَارِيخِ الدَعْوةِ الاسْلامِيةِ، إِذْ أَنَّها فَصَلتْ بَينَ عَهْدَينِ تَمَيَّز كُلٌّ مِنْهُمَا بِمُمَيزاتٍ خَاصَةٍ.

وَلَقدْ اِبْتَدأتْ الرِحْلَة المَدِيْنِية فِي حِياةِ الرَسُولِﷺ بِوصولِه إلى قُبَاء، وَكانَتْ الهِجْرَة تَعْنِي نَشْأَة أَوَل دَارٍ لِلإِسْلامِ، وَهِي إِيْذانٍ بِظُهورِ الدَوْلَة الإِسْلامِيَة، لِذَا شَرعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُنْذُ دُخولِه المَدينَة بِتَثْبيتِ دَعائِم الدَولَةِ الجَديدَةِ عَلَى قَواعِد مَتِيْنَة، وَأُسُّسْ رَاسِخةَ، فَكَانتْ أُوْلَى خُطواتِه المُبارَكةِ الإِهْتِمام بِبناءِ دَعائِم الأُمَة كَبِناءِ المَسْجِد الأَعْظَم بِالمَدِيْنَة، وَالمُؤاخَاة بَينَ المُهاجِرينَ والأَنْصَار عَلَى الحُبِّ فِي اللهِ، وإِصْدارِ الوَثِيقَة فِي المَدينَة الَّذِي يُنَظِم العَلاقَات بَينَ المُسْلِمينَ واليَهُود وَمُشْرِكي المَدينَة، وإِعْداد جَيْش لِحِمَايَة الدَوْلَة، والسَّعْي لِتَحْقيق أَهْدافَها، وَهَذا مَا سَنُحاوِل بَحْثَه فِي هَذا الفَصْل فِي ثَلاثَةِ مَباحِث مُسْتَقِلة وُفْق التَرتِيب التَالي :

المَبْحَث الأَوَل : بِناءُ المَسْجِد النَبَويِّ بِالمَدينَة .

المَبْحَث الثَانِي : المُؤاخَاة بَينَ المُهاجِرينَ والأَنْصَار.

المَبْحَث الثَالِث : الوَثِيقَة

المبحث الاول

بناء المسجد النبوي بالمدينة

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلي حَيثُ أَدْرَكَتهُ الصلاة وَكانَ رِجالٌ مِنْ المُسلِمينَ يُقِيمونَ الصَلاةَ فِي مَبرَكِ نَاقَة النَبِيِّ ﷺ عِنْدَ بَيتِ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، وَكانَتْ الأَرْضُ لِسَهلٍ وَسهيلٍ، وَهُمَا غُلامَانِ يَتِيمانِ مِنْ بَنْي النَجارْ، وَفِيهَا نَخْلٌ لَهُمَا [1] . كَمَا كَانتْ فِيهَا بَعْضِ قُبُورِ المُشْرِكِينَ، وَقدْ اِشْتَرَاهَا النَبِيُّ ﷺ ، وَتَوَلى المُسْلِمونَ تَسْوِيتَها وَقطعِ نَخيلِهَا وَنَقلِ قُبورِها وَحِجارَتهَا، فَجَعلوا صُخورِهَا وَجِذوعِ نَخْلِها فِي قِبْلَةَ المَسْجِدِ [2] .

وَقدْ سَاهمَ النَبيُّ ﷺ معَ المُسْلِمينَ مِنْ المُهاجِرينَ والأَنْصارِ فِي المَدينَةِ فِي بِناءِ المَسْجِدِ، وَكَانُوا فِي حَالَةٍ مِنْ السَعادَةِ الغَامِرةِ والسُرورِ العَظيمِ، وَهُمْ يَهْزُجونَ:

« اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الْآخِرَة ... فَانْصُرْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَة » [3] .

وَكَانَ النَبيُّ ﷺ يُقَدِّمُ فِي العَملِ مَنْ يُجيدَهُ، وأَوردَ البُخارِي قَوْلَهُ ﷺ : « قَرِّبُوا الْيَمَامِيَّ [4] مِنَ الطِّينِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُكُمْ لَهُ مَسًّا وَأَشَدُّكُمْ لَهُ سَبْكًا » [5] .

وَفِي رِوايةٍ صَحيحَةٍ أُخْرَى: « دَعُوا الْحَنَفِيَّ وَالطِّينَ، فَإِنَّهُ أَضْبَطُكُمْ » [6] .

---

[1] إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٣/٣٢٩،حديث ١٨٦٨ .

[2] صحيح البخاري : ابواب فضائل المدينة ، باب حرم المدينة ٣/ ٢٠، حديث ١٨٦٨ .

[3] صحيح البخاري : كتاب فضائل الصحابة ، باب مقدم النبي ﷺ واصحابه ٥/ ٦٧، حديث ٣٩٣٢.

[4] المقصود هو: الطلق بن علي اليمامي الحنفي . .

[5] ابن حجر: فتح الباري ١/ ٥٤٣.

[6] مسند الامام احمد ٣٩/ ٤٦٦، حديث ٣١.

وكَانَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ مِنَ العامِلينَ الجَيدينَ فِي بِناءِ مَسْجدِ النَبيِّ ﷺ ، فَفِي حِينْ كَانَ كُلُّ واحدٍ مِنَ الصَحابةِ يَحْمِلُ لَبِنةٍ واحِدةٍ فِي كُلِ مَرةٍ، كَانَ عَمَّارُ يَحْمِلُ لَبِنتَينِ واحِدةً عَنْهُ وَأُخرَى عَنْ الرَسُولِ ﷺ ، فَأَكْرَمهُ النَبيُّ ﷺ بِأنْ مَسحَ عَلَى ظَهْرِهِ مبرّكا وقال له: « يَا ابْنَ سُمَيَّةَ! لِلنَّاسِ أَجْرٌ وَلَكَ أَجْرَانِ، وَآخِرُ زَادِكَ شَرْبَةٌ مِنْ لَبَنٍ، وَتَقْتُلُكَ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ » [1]. وَقدْ تَمَّ بِنَاء المَسْجِد أَوَل الأَمْر بِالجَرِيدِ، واسْتَغْرقَ بِناؤُه اثْنَيْ عَشَرَ يَوماً [2] .

وَبعْدَ الفَراغِ مِنْ بِناءِ المَسْجدِ النَبَويِّ بُنِيتْ بُيوتِ أَزْواجِ النَبيِّ ﷺ عَلَى شَاكِلَةِ بِناءِ المَسْجِد [3] . وَكَانتْ إِلى جَنْبِ المَسْجِد قَصْيرةِ البِناءِ مُتَقارِبَةٍ [4] . وَلَمْ يَكُنْ فِي المَسْجِد النَبَويِّ حِينَ بُنِيَّ مِنبرٌ يَخْطُب النَاسُ عَلَيْهِ، وَكانَ النَبيُّ ﷺ يَخْطُبُ وَهوَ مُسْتَنِدٌ إِلى جِذْعٍ عِنْدَ مُصَلاّهُ، ثُمَّ اتَخَذَ لَهُ كُرْسِياً بِدَرجَتينِ [5] .

---

[1] البيهقي : دلائل النبوة ٢/ ٥٥٠.

[2] السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية ٣٧٦/١. ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٢٤٦ نقلا عن الزبير بن بكار. وتشير الرواية الأخيرة إلى أنه قد أعيد بناؤه باللبن بعد الهجرة بأربع سنين.

[3] ابن كثير: البداية والنهاية ٤/ ٥٤٠، ابن سعد: الطبقات الكبرى١/ ٢٤٠.

[4] وقد بنيت في بداية الأمر حجرتان إحداهما لأم المؤمنين سودة بنت زمعة، والأخرى لأم المؤمنين عائشة بنت الصديق وهما أول بيتين بنيا، ونقل البخاري عن الحسن البصري قوله أنه دخل حجرات نساء النبي في خلافة عثمان وأنه كان يتناول سقفها بيده، ابن كثير: البداية ٤/ ٥٤٥ .

[5] عنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَانَ يَقُومُ يَوْمَ الجُمُعَةِ إِلَى شَجَرَةٍ أَوْ نَخْلَةٍ، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ، أَوْ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ نَجْعَلُ لَكَ مِنْبَرًا؟ قَالَ: «إِنْ شِئْتُمْ»، فَجَعَلُوا لَهُ مِنْبَرًا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الجُمُعَةِ دُفِعَ إِلَى المِنْبَرِ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ صِيَاحَ الصَّبِيِّ، ثُمَّ نَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ، تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّنُ. قَالَ: «كَانَتْ تَبْكِي عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ عِنْدَهَا». صحيح البخاري : كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الاسلام ١٩٥/٤، حديث ٣٥٨٤.

المستفاد من بناء المسجد :

يُعْتَبرُ المَسْجِد مِنْ أَهَمِ الرَكائِزِ فِي بِناءِ المُجْتَمعِ الاسْلامِيِّ وَيُستفادُ مِنْهُ فِي عِدَةِ أُمورٍ:

١- إِنَّهُ المَركزُ الَّذِي يُشْيعُ آصِرة المَحبَة بَينَ المُسْلِمينَ، وَهِيَ الَّتِي لا تَتُم إلا فِي المَسْجِد حَيْثُ يَتَلاقَى المُسْلِمونَ خَمْسَ مَرّاتٍ يَومِيَاً، وَقدْ زَالتْ بَينَهُمْ فَوارِق الجَّاه والمُال .

٢- يُشيِّعُ المَسْجِد رَوحَ العَدلِ والمُساواةِ بَينَ المُسْلِمينَ فِي مُخْتلَفِ شُؤونِهمْ وأَحْوالِهمْ، وَذَلِكَ مِنْ خِلالِ نِظامِ الصَّفِ الواحِد فِي الصَّلاةِ ؛ إِذْ يَقِفونَ عَلَى صَعِيدٍ مُشْتَرَكٍ مِنْ العُبودِيَة للهِ .

٣- إِنَّهُ رَمزٌ لِشُمولِيةِ الإِسْلامِ وَمَدْرسَةٌ عِلْمِيَّةٌ وَتَشرِيعِيَةٌ وَمَعهَدٌ يَؤُمَّهُ طُلابُ العِلْمِ لِيَتفقَهُوا فِي الدِّينِ وَيَعودُوا إِلى أَقْوامِهِمْ دُعاةً إِلى اللهِ[1].

٤- يَكْتَسِبُ المُجْتَمعُ الاسْلامِيُّ مِنْ خِلالِ المَسْجِد صِفَةَ التَماسُكِ والرُسوخِ مِنْ واقِعِ الالْتِزامِ بِنظامِ الإِسْلامِ وَعَقيدَتِه وَآدابِه، وإِنَّمَا يَنبَعُ ذَلِكَ مِنْ رُوحِ المَسْجِد وَوحْيِه .

٥- إِنَّهُ مَكانٌ يَأْوي إِليهِ الغُرَباءُ وَابْناءُ السَبيلِ [2].

٦- إِنَّهُ دائِرَةٌ سِياسِيةٌ وَعْسكَريةٌ لِتَوجيهِ عَلاقَاتِ الدَّولَةِ فِي الداخِلِ وَالخَارِجِ.

٧- هُوَ مَكانٌ لاجْتِماعِ المُجاهِدينَ عِنْدَ الاسْتِنفارِ، وَتُعقَدُ فِيهِ أَلويةَ الجَيْشِ والجِهادِ والدَعْوةِ إِلى اللهِ .

---

[1] البوطي : فقه السيرة، ص ١٤٤. الصلابي : السيرة النبوية١/٤٦٦. طقوش: السيرة النبوية، ص١٢٧. عماد الدين خليل :دراسة في السيرة ، ص١٢٢.

[2] عرجون، محمد الصادق : محمد رسول الله ﷺ ٣/٣٤.

٨- وأسْتُعْمِلَ أَحدَ زَوايا المَسْجِد مَشْفَى يُسْتَشفَى فِيه جَرحى الجِهَاد، حَتَّى يَتَمكَّن النَبيُّ ﷺ مِنْ عِيادَتِهمْ، والنَظرِ فِي أَحْوالِهمْ والاسْتِطبابِ لَهُم، وَمُداواتِهم مِنْ غَيرِ مَشَقةٍ ولا نَصبْ تَقْدِيراً لِفَضْلِهمْ [١].

المبحث الثاني

نظام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

أَدى تَدَفُق المُهاجِرينَ إِلى المَدينَةِ المُنَورةِ إِلى حُصولِ العَديدِ مِنْ المُشْكلاتِ الاقْتِصادِيةِ والاجْتِماعِيةِ والصِحيَّةِ، ذَلِكَ أَنَّ المُهاجِرينَ كَانُوا قَدْ تَركُوا أَهلِيهِمْ وَمُعظَم أَمْوالَهُمْ فِي مَكَّةَ، كَمَا أَنَّهمْ كَانُوا- فِي الغَالِب- خُبَراء مُتَمرسينَ فِي أَعْمالِ التِجارَة، وَلَمْ تكنْ لَهُمْ مَهارَة فِي الزِراعَةِ والصِناعَةِ اليَدوِيَّة الشَائِعَةِ فِي المَدينَةِ، وَشكّل حَاجَاتِهمْ إِلى رَأسِ المَالِ حَاجِزاً دُونَ مُمارَستِهمْ للتِجارَةِ. وَلَقدْ أَبْدى الأَنْصَار تَوَجُهاً واضِحاً نَحوَ البَذلِ والتَعاونِ معَ إِخوانِهمْ المُهاجِرينَ فَقدْ أَعْطوهُم الأَرْضَ والنَّخْل لِيَعْملوا بِهَا بِنصْفِ ثِمارِها، وَمِنْهمْ مَنْ أَعْطَى مِثلَ ذَلِكَ مَنيحَة دُونَ مُقابِل، وَقدَ اِسْتَغْنَوا عَنْهَا حِينَ فَتحَ اللهُ عَليهِمْ خَيبَر [٢] . وَلا شَكَّ فِي أَنَّ عَمَل الأَنْصَار هَذا يَعْكِس مَدَى اهْتِمامَهم وَرِعايَتهم وَحُبِهم لإِخْوانِهمْ المُهاجِرينَ، وَهَذا مَا أَشارَ إِليهِ القُرآنِ الكَرِيم فِي قَولِه تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُا الدَّارَ وَالْإِيمانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كانَ

---

[١] الصلابي : السيرة النبوية ١/٤٦٧. طقوش: السيرة النبوية، ص١٢٧.

[٢] النووي : شرح صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب رد المهاجرين إلى الانصار منائحهم ١٢/ ٩٩ ، حديث ١٧٧١.

بِهِمْ خَصاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[1].

وَتَحدثَتِ الرِواياتِ الصَحِيحَةِ عَنْ صَورٍ رائِعةٍ مِنْ صُورِ الإيْثارِ الَّذِي مَارَسهُ الأنْصَار تِجَاه إِخْوانَهمْ المُهاجِرينَ [2] . وإلى جانبِ ذَلِكَ فَإِنَّ اِنْتِقالِ المُهاجِرينَ إِلى

---

[1] سورة الحشر: الآية ٩.عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ قَالَ أَبُو القَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ أَنَّ الأَنْصَارَ سَلَكُوا وَادِيًا، أَوْ شِعْبًا، لَسَلَكْتُ فِي وَادِي الأَنْصَارِ، وَلَوْلاَ الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ»، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «مَا ظَلَمَ بِأَبِي وَأُمِّي، آوَوْهُ وَنَصَرُوهُ، أَوْ كَلِمَةً أُخْرَى». انظر، صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صلى الله عليه و سلم (لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار)، ٥/ ٣١، حديث ٣٧٧٩.

[2] حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، أَخْبَرَنَا ابْنُ شِهَابٍ، عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، أَنَّ أُمَّ العَلاَءِ، امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِمْ، بَايَعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَخْبَرَتْهُ: أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ طَارَ لَهُمْ فِي السُّكْنَى، حِينَ اقْتَرَعَتِ الأَنْصَارُ عَلَى سُكْنَى المُهَاجِرِينَ، قَالَتْ أُمُّ العَلاَءِ: فَاشْتَكَى عُثْمَانُ عِنْدَنَا فَمَرَّضْتُهُ حَتَّى تُوُفِّيَ، وَجَعَلْنَاهُ فِي أَثْوَابِهِ، فَدَخَلَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ، شَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللَّهَ أَكْرَمَهُ»، قَالَتْ: قُلْتُ: لاَ أَدْرِي، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَنْ؟ قَالَ: «أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ وَاللَّهِ اليَقِينُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الخَيْرَ، وَمَا أَدْرِي وَاللَّهِ وَأَنَا رَسُولُ اللَّهِ مَا يُفْعَلُ بِي»، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ لاَ أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ، قَالَتْ: فَأَحْزَنَنِي ذَلِكَ، فَنِمْتُ، وفَرِيتُ لِعُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ عَيْنًا تَجْرِي، فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: «ذَلِكَ عَمَلُهُ». انظر، صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة ، باب مقدم النبي ﷺ واصحابه، ٥/ ٦٧، حديث ٣٩٢٩.

حَدَّثَنَا الصَّلْتُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَبُو هَمَّامٍ، قَالَ: سَمِعْتُ المُغِيرَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَتِ الأَنْصَارُ: اقْسِمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ النَّخْلَ، قَالَ: «لاَ» قَالَ: «يَكْفُونَنَا المَئُونَةَ وَيُشْرِكُونَنَا فِي التَّمْرِ» قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا. انظر، صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة ، باب إخاء النبي صلى الله عليه و سلم بين المهاجرين والأنصار٥/ ٣٢، حديث ٣٧٨٢.

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حِينَ خَرَجَ مَعَهُ إِلَى الوَلِيدِ قَالَ: دَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأَنْصَارَ إِلَى أَنْ يُقْطِعَ لَهُمُ البَحْرَيْنِ، فَقَالُوا: لاَ إِلَّا أَنْ تُقْطِعَ لِإِخْوَانِنَا مِنَ المُهَاجِرِينَ مِثْلَهَا، قَالَ: «إِمَّا لاَ، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي، فَإِنَّهُ سَيُصِيبُكُمْ بَعْدِي أَثَرَةٌ». انظر، صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة ،باب قول النبي صلى الله عليه و سلم للأنصار (اصبروا حتى تلقوني على الحوض) ٥/ ٣٣، حديث ٣٧٩٤.

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ سَهْلٍ، قَالَ: جَاءَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ نَحْفِرُ الخَنْدَقَ، وَنَنْقُلُ التُّرَابَ عَلَى أَكْتَادِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ لاَ عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَهْ، فَاغْفِرْ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ». انظر، صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة ،باب دعاء النبي صلى الله عليه و سلم (أصلح الأنصار والمهاجرة) ٥/ ٣٤، حديث ٣٧٩٧.

مُجْتَمَعٍ جَديدٍ زَادَ مِنْ مَشاكِلِهِمْ، وإِحْساسِهِمْ بِالوَحْشةِ والحَنينِ إِلى مَكَّةَ، كَمَا أَنَّ البِيئَةَ المَناخِيةَ الجَديدةَ تَخْتَلف عَمَّا اعْتادُوه فِي دِيارِهِمْ بِمَكَّةَ، كَمَّا تَعرّضُوا لِلإِصَابةِ بِبَعضِ الأَمْراضِ. وَكانتْ الحُمَّى مِنْ الأَمْراضِ الظاهِرةِ الَّتِي شَاعَتْ بَينَهُمْ وَسببتْ لَهُمْ الكَثيرَ مِنْ المَتاعِب وَزادَتْ مِنْ إِحْسَاسِهِمْ بِالضِّيقِ وَالغُربَةِ. وَذلِكَ مَا أَدْركَهُ النَبيُّ ﷺ حِينَ سَأَلَ رَبهُ قَائِلاً: «اللَّهُمَّ أَمْضِ لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ وَلَا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ»[1].

وَذَلِكَ يَعْكِسْ دَونَ أَدَنَى شَكْ أَنْ وَضعَ المُهاجِرينَ كَانَ يَقْتَضِي عِلاجَاً سَريعَاً، وَحَلّا اِسْتِثنائِيّا عَاجِلاً، وَذَلِكَ مَا يُوَضِحُ السَّبَبْ فِي تَشْريعِ نِظامِ المُؤاخاةِ بَينَ المُهاجِرينَ والأَنْصَار فِي السَنةِ الأَوْلَى مِنْ الهِجْرَةِ[2] . فَلَقدْ أَرادَ الرَسُولُ ﷺ أَنْ يُشَرِعْ نِظامَاً يُعالِجْ فِيهِ أَوْضاعَ المُهاجِرينَ الاقْتِصادِيَّة وَيُشْعِرُهمْ بِأَنَهُمْ لَيْسوا عَالَةً عَلَى إِخْوانِهمْ الأَنْصَار.

وَلقَدْ حَصلَ جَدلْ بَينَ العُلَماء حَوْلَ مَدَى صِحَةِ المَعْلوماتِ الَّتِي أَورَدتْهَا بَعْضُ المَصادِر[3] ، عَنْ مُؤاخاةِ جَرتْ فِي مَكَّةَ بَين بَعْض المُهاجِرينَ مِنْ أَهلِ السَّابِقَة[4] . وَلكِنْ اِبنُ تَيمِيَّة وَتِلميذَهُ اِبنُ القَيِّم قَدْ فَنّدا ذَلِكَ، وَتَابَعهُمَا الحَافِظْ اِبنُ كَثْير[5] . وَلَمْ تُشِرْ كُتبْ السِّيرَة الأُولَى إِلى وُقوعِ المُؤاخَاةِ بِمَكَّةَ، كَما لَمْ يَرِدْ عَنْهَا رِوايَةً صَحْيحَةً.

---

[1] صحيح البخاري : كتاب فضائل الصحابة ،باب قول النبي صلى الله عليه و سلم (اللّهم أمض لأصحابي هجرتهم) ٥/٦٨، حديث ٣٩٣٦.

[2] حدد ابن عبد البر تاريخ تشريع المؤاخاة بخمسة أشهر بعد الهجرة . ابن عبد البر: الدرر في اختصار المغازي والسير١/٨٨. ، أما ابن سعد في كتابه الطبقات الكبرى ٣/ ٥٥٥، فيجعلها قبل غزوة بدر الكبرى دون تحديد دقيق.

[3] البلاذري: أنساب الأشراف ١/ ٢٧٠. ابن عبد البر:الدرر في اختصار المغازي والسير١/ ٩٢. ابن سيد الناس:عيون الأثر ١/ ١٩٩.

[4] مؤاخاة أبي بكر وعمر، وطلحة والزبير، وعبد الرحمن بن عوف وعثمان، والزبير وابن مسعود، والنبي صلّى الله عليه وسلّم وعلي بن أبي طالب، وحمزة وزيد بن ثابت.

[5] ابن تيمية: منهاج السنة ٤/ ٣٣- ٣٤. ابن القيم: زاد المعاد ٣/ ٥٦. ابن كثير: السيرة النبوية ٢/ ٣٢٤.

شَرعَ الرَسُولُ ﷺ نِظامَ المُؤاخاة بَينَ المُهاجِرينَ والأَنْصار، وَقدْ شَمِلَ ذَلِكَ خَمْسةً وَأَرْبَعينَ مِنْ المُهاجِرينَ وَمِثْلَهمْ مِنْ الأَنْصَار [1] ، وَتَرَتَّبَ عَلَى هَذا النِظامِ حُقوقٌ خَاصَة بَينَ المُتآخِينَ كَالمُواساةِ فِي مُواجَهةِ أَعْباءِ الحَياةِ وَالتَوارِث بَيْنَهُما دَونَ ذَوي الأَرْحامِ [2] . وَتُصَورْ بَعْضُ المَرْوياتِ الصَحيحةِ عُمْق اِلتِزَام الأَنْصَار بِنظَامِ المُؤاخَاةِ وَمدَى حِرْصِهمْ عَلَى تَنْفيذِه، كَما تَصوَر مَدَى أَنَفة وَكرَم أَخْلاق المُهاجِرينَ وَامْتِناعِهمْ عَنْ اِسْتِغْلالِ إِخْوانِهمْ [3].

اِسْتَمرَّ العَملُ بِنظامِ المُؤاخاةِ إِلى مَا بَعْد غَزْوة بَدرٍ الكُبْرَى حَيثُ أَلِفَ المُهاجِرونَ جَوَّ المَدِيْنَةِ، وَعَرِفوا مَسَالِك الرِزْق فِيْهَا، وَوثَّقُوا عَلاقَتَهُمْ بِإِخْوانِهمْ المُسْلِمينَ مِنْ الأَنْصَارِ وَغَيرِهمْ، وأَصَابُوا مِنْ غَنائِم مَعْرَكَةِ بَدْرٍ الكُبرى مَا كَفاهُمْ. وَلِذلِكَ فَقدْ أُلغِيَ التَوارِثْ فِي نِظامِ المُؤاخاةِ، وَعادَ إِلى وَضْعِه الطَبيعِي القَائِمْ عَلَى أَساسِ صِلَةِ الرَحِم [4]. وَقَدْ جَاءَ ذَلِكَ الإِبْطَال بِنَصِ القُرآنِ الكَرِيم فِي قُولِه تَعَالَى:

---

(1) يذكر البلاذري: أنساب الأشراف ١/ ٢٧٠: أنه لم يبق من المهاجرين أحد إلّا آخى بينه وبين أنصاري.

(2) صحيح البخاري ٥/ ٣٣، ٥/ ٦٧. صحيح مسلم ٤/ ١٩٦٠. ابن عبد البر: الدرر في اختصار المغازي والسير١/ ٩٢. ابن القيم- زاد المعاد ٣/ ٥٦.

(3) حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: لَمَّا قَدِمُوا المَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، قَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنِّي أَكْثَرُ الأَنْصَارِ مَالًا، فَأَقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْنِ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمِّهَا لِي أُطَلِّقْهَا، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، أَيْنَ سُوقُكُمْ؟ فَدَلُّوهُ عَلَى سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، فَمَا انْقَلَبَ إِلَّا وَمَعَهُ فَضْلٌ مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ، ثُمَّ تَابَعَ الغُدُوَّ، ثُمَّ جَاءَ يَوْمًا وَبِهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَهْيَمْ»، قَالَ: تَزَوَّجْتُ، قَالَ: «كَمْ سُقْتَ إِلَيْهَا؟». قَالَ: نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ، - أَوْ وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، شَكَّ إِبْرَاهِيمُ -. انظر، صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب إخاء النبي صلى الله عليه و سلم بين المهاجرين والأنصار ٥/ ٣١، حديث ٣٧٨

انقلب: رجع.

الغدو: الذهاب صبيحة كل يوم.

مهيم: ما حالك وشأنك وما خبرك.

(4) ابن سعد: الطبقات الكبرى ٣/ ٥٥٥. ابن القيم: زاد المعاد ٣/ ٥٧.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[1].

غَيرَ أَنَّ ذَلِكَ لا يَعْنِي إِبْطال مُؤاخَاةِ المُواسَاة وَالتَعاوِن وَالتَناصُح فَقَدْ أَوردَ البُخَارِي فِي صَحْيحِه خَبَراً عَنْ المُؤاخَاة بَيْنَ أَبِي الدَرْدَاء وَسَلْمان الفَارِسِي[2]، كَمَا تُورِد المَصادِر مَرويَات عَنْ مُنَاسَباتٍ جَرتْ فِيهَا حَالاتْ مُؤاخَاة أُخْرَى تَقْتَضِي المُؤازَرة وَالرِفْقَة دُونَ حُقوقِ التَوارِث، هَذا إِضَافَة إِلى أَنَّ المُؤاخَاة الَّتِي شُرِعَتْ بَيْنَ المُؤمِنينَ وَالَّتِي نَصَّ عَلَيْهَا الْكِتَابِ الْعَزِيزِ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[3]. بَاقِيةً لَمْ تُنْسَخْ، وَأَنَّ مَا نُسِخَ هُوَ التَوارِث المُتَرَتِب عَلَيْهَا. مِمَا حَصرَ المُوالاة وَالأُخوّة بَيْنَ المُؤمِنينَ دُونَ غيرهم، وَقَطْع الوِلايَة بَيْنَ المُؤمِنينَ وَالكَافِرينَ مِنْ المُشْرِكينَ وَاليَهود وَالنَصارى قَالَ تَعَالَى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آباءَكُمْ وَإِخْوانَكُمْ أَوْلِياءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[4].

وَتَعرّضَ الصَحابَة مِنْ المُهاجِرينَ والأَنْصَار إِلى اِمْتِحانٍ شَدْيدٍ فِي عَقْيدَتِهم

---

[1] سورة الأنفال: الآية ٧٥. ويذكر ابن عباس- رضي الله عنهما-: أن نسخ التوارث بالمؤاخاة قد تم حين نزل قوله تعالى وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا . سورة النساء: الآية ٣٣.

[2] حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ عَوْنٍ، حَدَّثَنَا أَبُو العُمَيْسِ، عَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: آخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ سَلْمَانَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ؟ قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ: سَلْمَانُ قُمِ الآنَ، فَصَلَّيَا فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقَ سَلْمَانُ». انظر، صحيح البخاري : كتاب الصوم ، بَابُ مَنْ أَقْسَمَ عَلَى أَخِيهِ لِيُفْطِرَ فِي التَّطَوُّعِ٣/٣٨، حديث ١٩٦٨.

[3] سورة الحجرات: الآية ١٠.

[4] سورة التوبة: الآية ٢٣.

حِينَ خَيَّرَهُم اللهُ بَينَ الالْتِزامِ بِمَصالِحِهمْ الدُّنْيَوِيةِ وَعَلاقاتِهمْ النِسْبِيةِ مِنْ جِهَةٍ وَبينَ الِالْتِزامِ بِالعَقيدَةِ فَقالَ تَعالَى: ﴿قُلْ إِنْ كانَ آباؤُكُمْ وَأَبْناؤُكُمْ وَإِخْوانُكُمْ وَأَزْواجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوالٌ اقْتَرَفْتُمُوها وَتِجارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسادَها وَمَساكِنُ تَرْضَوْنَها أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفاسِقِينَ﴾[1].

وَقدْ نَجحَ صَحابةُ النَبيِّ ﷺ فِي هَذا الامْتِحانِ العَسِيرِ، وَغَلَّبوا حُبَّ اللهِ وَرسولِهِ وَآصرةِ العَقيدةِ عَلَى كُلِ مَا سوى ذَلِكَ، فكانَ مُجْتمعُ المَدينَة الجَديدِ مُجْتَمعاً عَقَديّاً يَرتَبِط بِالإسْلامِ وَلا يَعْرِفْ المُوالاةِ إِلّا للهِ وَلِرسولِه وَللمُؤمِنينَ، وَمعَ ذَلِكَ فَهوَ مُجْتَمعٌ مَفْتوحٌ لِمَنْ أَرادَ أَنْ يَلْتَحقَ بِه فَيُؤمِنُ بِعَقيدَتِهِ بَعدَ أَنْ يَخْلَع نَفْسِهِ عَنْ عَقيدَةِ الجَاهِليَة وَصِفاتِها وَدُونَ أَيْ اِعْتِبارٍ لِجنْسِه أَو لَوْنِه أَو اِنْتِمائِه السَّابِقِ.

المستفاد من نظام المؤاخاة :

١- المُؤاخَاة بَينَ المُسْلِمينَ مِنْ أَسْبابِ التَمْكِينِ المَعْنَوِيَّة:

إِنَّ مِنْ أَسْبابِ التَمْكينِ المَعْنَوِيَّةِ العَمل عَلَى تَرْبِيةِ الأَفْرادِ تَرْبِيةً رَبَّانِيَّةً، وإِعْدادِ القِيادَةِ الرَّبَّانِيَّةِ ،وَمُحارَبةِ أَسْبابَ الفُرْقَةِ، وَالأَخْذِ بِأُصُولِ الوَحْدةِ والاتِحادِ[2].

وأَهَمْ أَصْولِ الوَحْدَةِ وَالاتِحادِ، وَحْدَة العَقيدَةِ، صِدْقَ الانْتِماءِ إِلى الإِسْلامِ طَلب الحَقِ والتَّحرِّي فِي ذَلِكَ وَتَحقِيقِ الأُخُوَةِ بَينَ أَفْرادِ المُسْلِمينَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ

---

[1] سورة التوبة: الآية ٢٤ .

[2] الصلابي، علي محمد: فقه التمكين في القرآن الكريم، ص٢٥٣.

وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[١]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[٢].

وَلا يَذُوق حَلاوةَ الإِيْمانِ إلا مَنْ أُشْرِب هَذِه الأُخُوة، قَالَ ﷺ : « ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ[٣]: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ[٤]، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ[٥] فِي النَّار».

٢- المُؤاخَاة بَينَ المُسْلِمينَ تَهْدُفُ إلى تَذْويبِ الفَوارِق الإِقْليميَةَ والقَبَلِيةَ بَينَ أَفرادَ المُجْتَمعِ الاسْلامِيِّ .

٣- الأُخُوةُ فِي اللهِ مِنْ أَسْبابِ تَماسُكِ صُفوفِ المُسْلِمينَ وَقوَتِهِمْ، وَمنْ أَسْبابِ شُموخِهِمْ وَالتَمكِينِ لَهُمْ [٦].

٤- إِنَّ الأُخُوةَ فِي اللهِ مِنْ أَهَمِ الأسْبابِ الَّتِي تَعْمَلُ عَلَى الصُمودِ فِي وَجْهِ أَعْتَى المِحَنْ الَّتِي تَنْزِل بِالمُسْلِمينَ.

٥- إِنَّ المُؤاخَاة عَلَى الحُبِّ فِي اللهِ مِنْ أَقْوَى الدَعائِم فِي بِنَاءِ الأُمَةِ المُسْلِمَة، فَإِذَا وَهَتْ يَتَآكَلُ كُلُّ بُنْيَانَها [٧] وَلِذَلِكَ حَرصَ النَبيُّ ﷺ عَلَى تَعْميقِ مَعَانِي الحُّب فِي اللهِ فِي المُجْتَمعِ المُسْلِم الجَدْيد.

---

[١] سورة الأنفال: الآيتان ٦٢-٦٣ .

[٢] سورة الحجرات: الآية ١٠ .

[٣] وجد حلاوة الإيمان: انشرح صدره للإيمان وتلذذ بالطاعة وتحمل المشاق في الدين والحلاوة في اللغة مصدر حلو يحلو وهي نقيض المرارة.

[٤] لا يحبه إلا لله: لا يقصد من حبه غرضا دنيويا.

[٥] يقذف: يرمى.

[٦] الخطيب, محمد عبد الله: نظرات في رسالة التعاليم، ص ٢٦٢.

[٧] عرجون، محمد الصادق : محمد رسول الله ﷺ ١٢٩/٣.

٦- حَقَقتْ المُؤاخاة أَهْدافَها، فَقَدْ قَضتْ عَلَى وَحْشَةِ الغُرْبَةِ عِنْدَ المُهاجِرينَ وَآنَسَتْهُمْ عَنْ مُفارَقَةِ الأَهْلِ وَالعَشيرَةِ، وَشَدتْ أَزْرَ بَعْضِهمْ بَعْضاً، وَكَانَتْ سَبباً فِي نُهوضِ الدَوْلَةِ الجَدْيدَةِ، لأَنَّ أَيَّ دَوْلَةٍ لا يُمْكِنْ أَنْ تَنْهضَ وَتَقومَ إِلا عَلَى أَساسٍ مِنْ وَحْدَةِ الأُمَةِ وَتُسانِدَهَا، وَلا يُمْكِنْ لِكُلِ مِنَّ الوَحْدةِ والتَّسانُدَ أَنْ يَتُمَ بِغَيرِ عَامِلِ التَآخِي وَالمَحبَّة المُتَبادِلَة، فَكُلُ جَماعَةٍ، لا تُؤَلِف بَينَها آصِرَة المَوَدَة وَالتَآخِي الحَقيقِيَة، لا يُمْكِن أَنْ تَتَحِد حَول مَبْدَأ مَا، وَمَا لَمْ يَكُن الاتحاد حقيقة قائمة في الأمة فلا يمكن أن تتألف منها دولة،[1] كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَسْبِق التَآخِي عَقِيدَة يِتُم اِلقاء عَلَيْهَا وَالإِيْمان بِهَا، لِذَلِكَ جَعلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ العَقيدَة الاسْلامِيَة أَساسُ هَذِه الأُخُوَةِ[2].

[1] طقوش: السيرة النبوية، ص١٢٩.
[2] البوطي: فقه السيرة، ص١٤٩.

المبحث الثالث

وثيقة المدينة

يَتَجَلى تَنْظِيم الرَسُول ﷺ الإِدارِيِّ فِي أَوائِل الهِجْرَة فِي الصَحْيفَةِ الَّتِي أَصْدَرَها فِي السَنَةِ الثانِيَةِ للهِجْرَة قَبْل مَعْرَكَة بَدْرٍ، وَضَمَّنَها الأَحْكام الَّتِي تُوَضِح اِلتِزامَاتِ جَمْيع الأَطْراف دَاخِلَ المَدينَة، وَتَحْدِيد الحُقوقِ وَالواجِبَاتِ، وَقَدْ سُمِيَّتْ بِالكِتَابِ وَالصَحْيفَةِ[1].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَكَتَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كِتَابًا بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَادَعَ فِيهِ يَهُودَ وَعَاهَدَهُمْ، وَأَقَرّهُمْ عَلَى دِينِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَشَرَطَ لَهُمْ وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ[2]،وَفِيمَا يَلْي نَصُّ هَذا الْكِتَابِ [3]ـ الوَثْيقَة ـ مُقَسماً إِلى بُنودٍ:

١-هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمّدٍ النّبِيّ ﷺ، بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ، فَلَحِقَ بِهِمْ، وَجَاهَدَ مَعَهُمْ.

٢-إِنّهُمْ أُمّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ دُونِ النّاسِ.

---

[1] طقوش: السيرة النبوية، ص ١٢٩.

[2] السهيلي : الروض الآنف٤/ ٢٤٠. قال الالباني في تخريج فقه السيرة للغزالي ص١٩٤: روى هذه الوثيقة ابن إسحاق: ٢/ ١٦- ١٨، بدون إسناد.

«المعاهدة مع يهود المدينة تصلح للدراسة التأريخية، لكنها لا تصلح دليلاً شرعياً لعدم ثبوتها حديثياً. فليس كل ما في الوثيقة على درجة واحدة من الصحة، لأن بعضها ورد بشكل أحاديث متفرقة في المصادر الحديثية مثل البخاري ومسلم، وبعضها أوردته كتب السيرة والتأريخ دون أسانيد أو بأسانيد معلولة». انظر ، اكرم العمري : مرويات السيرة النبوية ١/٤٦.

[3] حميد الله، محمد: مجموعة الوثائق السياسية ١/٥٩.

٣ـ الْمُهَاجِرُونَ مِنْ قُرَيْشٍ على ربعتهم[١] ، يتعاقلون، بينهم، وهم يفدون عانيهم[٢] بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٤ـ وبنو عوف عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ[٣] الْأُولَى، كُلّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

٥ـ وَبَنُو سَاعِدَةَ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ المؤمنين.

٦ـ وَبَنُو الْحَارِثِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

٧ـ وَبَنُو جُشَمٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلِهِمْ الْأُولَى، وَكُلّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

٨ـ وَبَنُو النّجّارِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

٩ـ وَبَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

١٠ـ وَبَنُو النّبِيتِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمْ الْأُولَى، وَكُلّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

١١ـ وَبَنُو الْأَوْسِ عَلَى رِبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي

---

[١] الربعة: الحال التي جاء الإسلام وهم عليها.

[٢] العاني: الأسير.

[٣] المعاقل: جمع معقلة وهي الدِّيات.

عانيها بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ.

١٢ـ وَإِنّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتْرُكُونَ مُفْرَحًا[١] بَيْنَهُمْ أَنْ يُعْطُوهُ بِالْمَعْرُوفِ فِي فِدَاءٍ أَوْ عَقْلٍ. وَأَنْ لَا يُحَالِفَ مُؤْمِنٌ مَوْلَى مُؤْمِنٍ دُونَهُ.

١٣ـ وَإِنّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتّقِينَ عَلَى مَنْ بَغَى مِنْهُمْ، أَوْ ابْتَغَى دَسِيعَةَ ظُلْمٍ[٢]، أَوْ إِثْمٍ، أَوْ عُدْوَانٍ، أَوْ فَسَادٍ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ؛ وَإِنّ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِ جَمِيعًا، وَلَوْ كَانَ وَلَدَ أَحَدِهِمْ.

١٤ـ وَلَا يَقْتُلُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا فِي كَافِرٍ، وَلَا يَنْصُرُ كَافِرًا عَلَى مُؤْمِنٍ.

١٥ـ وَإِنّ ذِمّةَ اللهِ وَاحِدَةٌ، يُجِيرُ عَلَيْهِمْ أدناهم، وإن المؤمنين بعضهم موالى بعض دُونَ النّاسِ.

١٦ـ وَإِنّهُ مَنْ تَبِعَنَا مِنْ يَهُودَ فَإِنّ لَهُ النّصْرَ وَالْأُسْوَةَ، غَيْرَ مَظْلُومِينَ وَلَا مُتَنَاصَرِينَ عَلَيْهِمْ.

١٧ـ وَإِنّ سِلْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدَةٌ لَا يُسَالَمُ مُؤْمِنٌ دُونَ مُؤْمِنٍ فِي قِتَالٍ. فِي سَبِيلِ اللهِ إِلّا عَلَى سَوَاءٍ وَعَدْلٍ بَيْنَهُمْ .

١٨ـ وَإِنّ كُلّ غَازِيَةٍ غَزَتْ مَعَنَا يَعْقُبُ بَعْضُهَا بَعْضًا.

١٩ـ وَإِنّ الْمُؤْمِنِينَ يُبِيءُ[٣] بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ بِمَا نَالَ دِمَاءَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ.

٢٠ـ وَإِنّ الْمُؤْمِنِينَ الْمُتّقِينَ عَلَى أَحْسَنِ هَدْيٍ وَأَقْوَمِهِ وَإِنّهُ لَا يُجِيرُ مُشْرِكٌ مَالًا لِقُرَيْشٍ وَلَا نَفْسًا، وَلَا يَحُولُ دُونَهُ عَلَى مُؤْمِنٍ.

---

[١] المفرح: المثقل بالدين والكثير العيال.

[٢] ابتغى دَسيعة ظلم: أي طلب دفعاً على سبيل الظلم .. انظر: لسان العرب – مادة "دَسَعَ".

[٣] يبيء: من "البواء"، وهو المساواة.

٢١ـ وَإِنَّهُ مَنْ اعْتَبَطَ [١]مُؤْمِنًا قَتْلًا عَنْ بَيِّنَةٍ فَإِنَّهُ قُوَدٌ بِهِ إِلّا أَنْ يَرْضَى وَلِيّ الْمَقْتُولِ وَإِنّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ كَافَّةً وَلَا يَحِلّ لَهُمْ إِلّا قِيَامٌ عَلَيْهِ.

٢٢ـ وَإِنَّهُ لَا يَحِلّ لِمُؤْمِنٍ أَقَرّ بِمَا فِي هَذِهِ الصّحِيفَةِ وَآمَنَ بِاَللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَنْصُرَ مُحْدِثًا، وَلَا يُؤْوِيهِ وَأَنَّهُ مَنْ نَصَرَهُ أَوْ آوَاهُ فَإِنّ عَلَيْهِ لَعْنَةَ اللهِ وَغَضَبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ.

٢٣ـ وَإِنّه مَهْمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَإِنّ مَرَدّهُ إِلَى اللهِ عَزّ وَجَلّ وَإِلَى مُحَمّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢٤ـ وَإِنّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارَبِينَ .

٢٥ـ وَإِنّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ مَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ إِلّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنّهُ لَا يُوتِغُ[٢] إِلّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ.

٢٦ـ وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي النّجّارِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ .

٢٧ـ وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي الْحَارِثِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ.

٢٨ـ وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي سَاعِدَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ.

٢٩ـ وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي جُشَمٍ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ.

٣٠ـ وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي الْأَوْسِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ.

٣١ـ وَإِنّ لِيَهُودِ بَنِي ثَعْلَبَةَ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ إِلّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنّهُ لَا يُوتِغُ إِلّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ.

---

[١] أي قتله دون جناية أو سبب يوجب قتله.

[٢] يُوتغ: يُهلك.

٣٢ـ وَإِنّ جَفْنَةَ بَطْنٍ مِنْ ثَعْلَبَةَ كَأَنْفُسِهِمْ .

٣٣ـ وَإِنّ لِبَنِي الشّطَيْبَةِ مِثْلَ مَا لِيَهُودِ بَنِي عَوْفٍ وَإِنّ الْبِرّ دُونَ الْإِثْمِ.

٣٤ـ وَإِنّ مَوَالِيَ ثَعْلَبَةَ كَأَنْفُسِهِمْ .

٣٥ـ وَإِنّ بِطَانَةَ يَهُودَ كَأَنْفُسِهِمْ .

٣٦ـ وَإِنّهُ لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلّا بِإِذْنِ مُحَمّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنّهُ لَا يَنْحَجِزُ عَلَى ثَأْرِ جُرْحٍ وَإِنّهُ مَنْ فَتَكَ فَبِنَفْسِهِ فَتَكَ وَأَهْلِ بَيْتِهِ إِلّا مَنْ ظَلَمَ وَإِنّ اللهَ عَلَى أَبَرّ هَذَا[1].

٣٧ـ وَإِنّ عَلَى الْيَهُودِ نَفَقَتَهُمْ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ نَفَقَتَهُمْ وَإِنّ بَيْنَهُمْ النّصْرَ عَلَى مَنْ حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصّحِيفَةِ وَإِنّ بَيْنَهُمْ النّصْحَ وَالنّصِيحَةَ وَالْبِرّ دُونَ الْإِثْمِ .

٣٨ـ وَإِنّهُ لَمْ يَأْثَمْ امْرِئٌ بِحَلِيفِهِ وَإِنّ النّصْرَ لِلْمَظْلُومِ .

٣٩ـ وَإِنّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ.

٤٠ـ وَإِنّ يَثْرِبَ حَرَامٌ جَوْفُهَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصّحِيفَةِ .

٤١ـ وَإِنّ الْجَارَ كَالنّفْسِ غَيْرُ مُضَارٍ وَلَا آثِمٌ .

٤٢ـ وَإِنّهُ لَا يُجَارُ حُرْمَةٌ إِلّا بِإِذْنِ أَهْلِهَا.

٤٣ـ وَإِنّهُ مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصّحِيفَةِ مِنْ حَدَثٍ أَوْ اشْتِجَارٍ يُخَافُ فَسَادُهُ فَإِنّ مَرَدّهُ إِلَى اللهِ عَزّ وَجَلّ وَإِلَى مُحَمّدٍ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِنّ اللهَ عَلَى أَتْقَى مَا فِي هَذِهِ الصّحِيفَةِ وَأَبَرّهِ [2].

---

[1] على أبر هذا: على الرضا به.

[2] أي أن الله وحزبه المؤمنين على الرضا به.

٤٤ـ وَأَنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ عَلَى مَنْ دَهَمَ يَثْرِبَ.

٤٥ـ أ وَإِذَا دُعُوا إِلَى صُلْحٍ يُصَالِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ فَإِنَّهُمْ يُصْلِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ وَإِنَّهُمْ إِذَا دُعُوا إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا مَنْ حَارَبَ فِي الدِّينِ .

ب ـ عَلَى كُلِّ أُنَاسٍ حِصَّتُهُمْ مِنْ جَانِبِهِمْ.

٤٦ـ وَأَنَّ يَهُودَ الْأَوْسِ وَمَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ مَعَ الْبِرِّ الْمُحْسِنِ مِنْهُمْ، مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ ، وَأَنَّ الْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ، وَلَا يَكْسِبُ كَاسِبٌ إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ، وَأَنَّ اللَّهَ عَلَى أَصْدَقِ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ وَأَبَرِّهِ.

٤٧ـ وَإِنَّهُ لَا يَحُولُ هَذَا الْكِتَابُ دُونَ ظَالِمٍ وَآثِمٍ وَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ آمِنٌ وَمَنْ قَعَدَ آمِنٌ بِالْمَدِينَةِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ أَوْ أَثِمَ وَإِنَّ اللهَ جَارٌ لِمَنْ بَرَّ وَاتَّقَى، وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

المستفاد مما تضمنته الصحيفة. الوثيقة:

١- إِنَّ المَدْينَة حَرمْ آمِنْ لا يَجُوز اِنْتِهَاكه، وَبِذَلكَ ضَمنَت اِسْتِقْرار الأَمْن، وَمنَعتْ الحُروبْ الدَاخِليَة فِيْهَا، وأَصْبَحتْ المَدْينَة مَرْكَز اِنْطِلاق الدَعْوَة، وَعاصِمَة لِلدَوْلَة الإِسْلامِيَة النَاشِئَة.

٢- بَيْنَت الوَثْيقَة فِي صَدْرِهَا أَطْرَاف التَحَالُف فَذكَرتْ « الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ مِنْ قُرَيْشٍ وَيَثْرِبَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَحِقَ بِهِمْ وَجَاهَدَ مَعَهُمْ » [2] .

٣- جَعلتْ الوَثْيقَة أَطْرَاف التَعَاقد « أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ دُونَ النَّاسِ » [3] .

---

[1] حميد الله، محمد: مجموعة الوثائق السياسية، ١/٦٢.

[2] الفقرة الأولى من الوثيقة- مجموعة الوثائق، محمد حميد الله.

[3] الفقرة (٢) ، المرجع السابق: (الوثيقة) .

٤- تَعرَضتْ تِسعْ فَقَرات تَالِيةَ [١] إِلى ذِكْر الكِيانَات العَشائِرِيَة. والمُلاحَظ أَنَّ المُهاجِرينَ اُعْتُبِروا كُتْلةً واحِدةً مُتَميزَةً فِي حِين نُسِبَ الأَنْصَار إِلى عَشائِرِهِمْ، وَقدْ اِتَضحَ أَنَّ القَصدَ مِنْ ذَلِكَ إِبرَاز فِكْرَة التكافُل الإِجْتِماعيِّ، دُونَ التَناصُر فِي العَصبِيَة وَالظُلْمِ. وبِهَذا فَقَدْ حَوّلَ الرَسُولُ ﷺ التَوَجُهاتِ القَبَلِيَّة إِلى مَا يُحَقِقُ الأَهْدَاف السَّامِيَة للدَعْوَة الإِسْلامِيَة. وَبِمَا أَنَّ التكافُل يُحَتِمُ عَلَى القَبِيلَة أَنْ تُعْيِنْ أَفْرَادَها، وَهوَ أَمرٌ كَانَ سَائِداً فِي الجَاهِلِيَة، فَقدْ أَقَرتْهُ الوَثْيقَة لِمَا فِيه مِنْ رُوحْ التَعَاون وَالتَضامُن وَالتكافُل. وَهَكَذا فَقدْ وَردَ فِي أَعْقابِ ذِكر المُهاجِرينَ والقَبَائِل الأَنْصَارِية الأُخْرَى قَولَهُ بِأَنَهُم :« عَلَى رَبْعَتِهِمْ يَتَعَاقَلُونَ مَعَاقِلَهُمُ الْأُولَى، وَكُلُّ طَائِفَةٍ تَفْدِي عَانِيَهَا بِالْمَعْرُوفِ وَالْقِسْطِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ » [٢] .

٥- أَكَدتْ الوَثْيقَة عَلَى مَسْئُولِيَة المُؤمِنينَ الشَامِلَة فِي التكافُل معَ كُلِّ فَرْدٍ مِنْ أَبْناءِ الأُمَّةِ: «لأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَتْرُكُونَ مُفْرَحًا مِنْهُمْ أَنْ يُعْطُوهُ بِالْمَعْرُوفِ فِي فِدَاءٍ أَوْ عَقْلٍ » [٣] . وإِلى جَانِب ذَلِكَ، أَكَدتْ الوَثْيقَة عَلَى المَسْئُولِيَّة الجَماعِيَّة، فَقدْ أصبحت مسئولية المؤمنين جميعا تحقيق الأمن والاستقرار والعدالة في المدينة: «وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُتَّقِينَ عَلَى مَنْ بَغَى مِنْهُمْ، أَوِ ابْتَغَى دَسِيعَةَ ظُلْمٍ[٤] أَوْ إِثْمٍ أَوْ عُدْوَانٍ أَوْ فَسَادٍ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَنَّ أَيْدِيَهُمْ عَلَيْهِمِ جَمِيعِهِمْ وَلَوْ كَانَ وَلَدَ أَحَدِهِمْ» [٥] .

٦- تَبْرُز فِي الوَثْيقَة بِجَلاء رُوح الإِسْلام فِي اِسْتِعْلاءِ المُؤمِنينَ عَلَى الكَافِرِينَ، وأَنَّ دَم الكَافِرِ لا يُكَافِئ دَم المُؤمِنْ، وَالتَأْكِيد عَلَى التَرابُط الوَثْيق بَينَ المُؤمِنينَ وَمُوالاتِهم

---

[١] الفقرات (٣- ١١) من الوثيقة.

[٢] الفقرات (٣- ١١) من الوثيقة.

[٣] الفقرة (١٢) من الوثيقة.

[٤] طلب عطية دون وجه حق، انظر ابن الأثير- النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ١١٧.

[٥] الفقرة (١٣) من الوثيقة.

بَعْضِهم لِبَعضٍ: «ولَا يَقْتُلُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنًا فِي كَافِرٍ، وَلَا يُنْصَرُ كَافِرٌ عَلَى مُؤْمِنٍ، وَالْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ مَوَالِي بَعْضٍ دُونَ النَّاسِ» (١).

٧- أَشارَتْ الوَثيقَة لِمَبْدَأ الجُوار الَّذِي كَانَ مَعْروفاً قَبلَ الإسْلامِ، فَقدْ أَتاحَتْ لِكُلْ مُسْلِم أَنْ يُجِير، وَأَلزَمتْ المُجْتَمعْ الإسْلامِي بِأَنْ لا يَخفر جُوارَه، وَحَصرَت المُوالاة بَينَ المُؤْمِنينَ. غَيرَ أَنَّ الوَثيقَة اِسْتَثْنَتْ مَنْ بَقِيَّ عَلَى الشِرْك مِنْ قَبائِل الأَوْس وَالخَزْرَج مِنْ إِجَارَة قُرَيْش وَتِجَارَتِها، أو الاعْتِراض عَلَى تَصَدي المُسْلِمينَ لَهَا، فَذَكرتْ بِأَنَّه :« لَا يُجِيرُ مُشْرِكٌ مَالًا لِقُرَيْشٍ وَلَا نَفْسًا، وَلَا يَحُولُ دُونَهُ عَلَى مُؤْمِنٍ » (٢)

٨- بَيَّنتْ الوَثيقَة أَنَّ إِعْلان حَالِة السِّلْمِ والحَرْبِ هِيَ مِنْ اِخْتِصاصِ النَبيِّ ﷺ ، وإنْ «سِلْمَ الْمُؤْمِنِينَ وَاحِدٌ، وَلَا يُسَالَمُ مُؤْمِنٌ دُونَ مُؤْمِنٍ فِي قِتَالٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا عَلَى سَوَاءٍ وَعَدَلٍ بَيْنَهُمْ» (٣).

٩- بَيّنتْ الوَثيقَة عُقوبَة القَتْل العَمْد حَيْثُ جَاءَ فِيْهَا: « وَأَنَّهُ مَنِ اعْتَبَطَ(٤) مُؤْمِنًا قَتْلًا عَنْ بَيِّنَةٍ فَإِنَّهُ قَوَدٌ، إِلَّا أَنْ يُرْضِيَ وَلِيَّ الْمَقْتُولِ بِالْعَقْلِ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ كَافَّةً وَلَا يَحِلّ لَهُمْ إِلّا قِيَامٌ عَلَيْهِ» (٥).

١٠ـ أَصْبحَ الرَسْولُ بِموجِب هَذهِ الوَثيقَة هَو المَرْجِعْ الوَحيد لِلفَصْلِ فِي كُلِ خِلافٍ قَدْ يَقعْ بَينَ أَطرَاف التَعاقِد (المُسْلِمينَ وَحُلَفائِهِمْ) فِي المَدينَة: « وَأَنَّهُ مَهْمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَإِنّ مَرَدّهُ إِلَى اللهِ عَزّ وَجَلّ وَإِلَى مُحَمّدٍ ﷺ » (٦).

١١ـ اِلتِزامْ اليَهُود بِالمُساهَمَةِ فِي نَفَقاتِ الحَربِ الدِفاعِيةِ عَنِ المَدينَة: « وَأَنَّ الْيَهُودَ

---

(١) الفقرتان (١٤- ١٥) من الوثيقة.

(٢) الفقرة (٢٠) من الوثيقة.

(٣) الفقرة (١٧) من الوثيقة.

(٤) أي قتله بدون مبرر أو جناية توجب قتله، انظر لسان العرب ٧/ ٣٤٨.

(٥) الفقرة (٢١) من الوثيقة.

(٦) الفقرة (٢٣) من الوثيقة.

يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ » [1] .

١٢ـ رَكزتْ الوَثيقَة فِي عَشرَة بُنودٍ مِنَ صَدْرِها عَلَى تَنْظِيم العَلاقَة بِالمُتَهودينَ مِنْ قَبيلَتِي الأَوسْ والخَزْرَج، معَ التَرْكيز عَلَى نِسْبَتهم إِلى عَشائِرهمْ العَربِيَة حَيْثُ أَقَرتْ تَحَالُفَهمْ معَ المُؤمِنينَ، « وَأَنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُؤْمِنِينَ دِينُهُمْ، وَمَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنَّهُ لَا يَوْتِغُ إِلَّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ» [2] .

١٣ـ تَعرضتْ الوَثيقَة إِلى ذِكرِ اليَهْود مِنْ بَنْي النَجارْ، وَبَني الحَارِث، وَبَني سَاعدة، وَبنيْ جَشم، وَبني الأَوْس وَبَني ثَعلَبة، وَجَفنَة، وَبَني الشَطيبَة، وَمَوالي ثَعلبة، والَّتِي كَفلَتْ لَهُم حُرِيتَهم الدِينية وَحدَدتْ مَسْئولِية الجَرائِم وَحَصرَتْها فِي مُرْتكبيهَا الَّذِينَ يَنْبَغي أَنْ يَنالوا عُقوباتِهمْ وإِنْ كَانُوا مِنَ المُتَعاهِدينَ.

١٤ـ مَنعتْ الوَثْيقَة يَهْود المَدينَة مِنَ الخُرُوجِ مِنْهَا إِلّا بَعدَ الحُصولِ عَلَى إِذنٍ مِنَ الرَسُولِ ﷺ : «وَإِنَّهُ لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلّا بِإِذْنِ مُحَمّدٍ ﷺ » [3] وَذَلِكَ حَرمَهمْ مِنَ القِيامِ بِأيِّ نَشاطٍ عَسْكَريٍّ خَارِجَ المَدْينَةِ قَدْ يُؤثِر عَلَى أَمْنِ المَدينَة وَعَلاقاتِها الاقْتِصادِيةِ.

١٥ـ اِعْتَبرتْ الوَثْيقَة مِنْطَقَةَ المَدينَة حَرَماً آمِنَاً: « وَإِنّ يَثْرِبَ حَرَامٌ جَوْفُهَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصّحِيفَةِ » [4] .

---

[1] البند (٢٤) من الوثيقة، انظر المصدر السابق.

[2] البند (٢٥) من الوثيقة. ويوتغ: أي يهلك. انظر «النهاية» لابن الأثير (وتغ) (٥/ ١٤٩) .

[3] البند (٣٦) من الوثيقة.

[4] البند (٣٩) من الوثيقة.

١٦ـ تَعرضتْ بَعْضُ بُنودِ الوَثيقَة إِلى حُقوقِ الجَارِ: « وَإِنّ الجَارَ كَالنّفْسِ غَيْرُ مُضَارٍ وَلَا آثِمٌ »[١]، وأَكَدتْ عَلَى « وَإِنّهُ لَا يُجَارُ حُرْمَةٌ إِلّا بِإِذْنِ أَهْلِهَا »[٢].

١٧ـ اِعْتِراف اليَهودْ بِموجِب بُنودِ هَذهِ الاتِفاقِيَّة بِوجودِ سُلْطَةٍ قَضائِيةٍ عُلْيا مُتَمثِلَة فِي الرَسُولِ ﷺ يَرْجِع إِلَيْهَا سَائِر المُواطِنين فِي المَدينَة بِمَا فِيْهِم اليَهود فِي حَالاتِ الأَحْداث، أَو حُصولِ الشِجارِ وَالاخْتِلاف بَيْنَهمْ وَبينَ المُسْلِمينَ: « وَإِنّهُ مَا كَانَ بَيْنَ أَهْلِ هَذِهِ الصّحِيفَةِ مِنْ حَدَثٍ أَوْ اشْتِجَارٍ يُخَافُ فَسَادُهُ فَإِنّ مَرَدّهُ إِلَى اللهِ عَزّ وَجَلّ وَإِلَى مُحَمّدٍ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَإِنّ اللهَ عَلَى أَتْقَى مَا فِي هَذِهِ الصّحِيفَةِ وَأَبَرّهِ»[٣].

١٨ـ مَنعتْ الوَثيقَة اليَهود مِنْ إِجارَة قُرَيْش أَو نَصْرِها: «وَإِنّهُ لَا تُجَارُ قُرَيْشٌ وَلَا مَنْ نَصَرَها»[٤]. وَكَانَ الهَدف مِنْ ذَلِكَ هُوَ ضَمانْ حُرِيَة المُسْلِمينَ فِي التَعَرُضَ لِتِجارةِ قُرَيْش الَّتِي كَانتْ تَمُرُّ غَربِيَّ المَدينَة فِي طَريقِها مِنَ الشَامِ وَإِلَيْها.

١٩ـ اِمْتدتْ المُعاهَدة لِتَشمِل «حُلَفاء» الطَرفَينِ إِذْ اِشْتَرَطتْ المُعاهَدة عَلَى كُلٍّ مِنْ الطَرفَيْنْ مُصَالَحَةِ حُلَفاءِ الطَرفِ الآخَرِ، بِاسْتِثناءِ مَنْ حَاربَ فِي الدِّينِ، وَذَلِكَ لأَنَّ المُسْلِمينَ كانوا فِي حَالَةِ حَرْبٍ دَائِمةٍ مَعَهمْ. وَمِنْ الواضِحْ أَنَّ المَقْصود مِنْ ذَلِكَ هَو التَأْكِيْد عَلَى اِسْتِثناءِ قُرَيْش مِنْ المُصالَحَةِ[٥].

---

[١] الفقرة (٤٠) من الوثيقة.

[٢] الفقرة (٤١) منها.

[٣] الفقرة (٤٢) من الوثيقة، ثم ألزمهم بضرورة التحاكم إلى شرع الله ما داموا تحت سلطان الحكومة المسلمة. لما نزل قول الله تعالى: وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ .سورة المائدة: الآية ٤٢ .

[٤] الفقرة (٤٣) من الوثيقة.

[٥] الفقرات (٤٤ – ٤٦) من الوثيقة.

الفصل الثاني

غــزوة بــدر

تمهيد :

مَعْرَكَةُ بَدْرٍ، هِيَ أَوَّل مَعْرَكَة فِي تَارِيخِ الإِسْلامِ والمُسْلِمين، خَاضَها المُسْلِمونَ بَعْدَ الهِجْرَةِ بِقِيَادَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ضِدَّ مُشْرِكِي مَكَّةَ، وَهِيَ أَوَّل مَعْرَكَة اِنْتَصر فِيهَا المُسْلِمونَ عَلَى المُشْرِكينَ، وَكَانَ لَهَا أَثَّر كَبْيرٌ جِداً فِي ألاحْداثِ الْلاحِقَةِ لَهَا، وَتَظْهَرُ أَهَمِيَتهَا أَنهَا أَظْهَرتْ وَمَيَّزتْ الحَقَّ مِنَ البَاطِلَ، وأَصْحابَ كُلٍ مِنْهُمَا عَلَى صَعْيدِ الواقِعِ المَحْسوسِ ؛ وَلِذَلِكَ سَمَّاهَا القُرْآن « يَوْمَ الْفُرْقَانِ » وَلِغَرَضِ التَعَرُفِ عَلَى أَبْرَز أَحْداثْ هَذِه الغَزَوة واَخْذِ الدُروسَ وَالعِبَرْ المُسْتَفَادَة مِنْهَا، فَقَدْ إِرْتَيْأت تَقْسِيم هَذَا الفَصْل إِلى مَبْحَثَيْنِ وَعَلَى النَحْوِ التَالِي :ـ

المَبْحَثْ الأَوْل : أَحْداث غَزْوَة بَدْرٍ .

المَبْحَثْ الثَانِي : المُسْتَفْاد مِنْ أَحْدَاث غَزْوَةِ بَدْرٍ.

المبحث الأول

أحداث غـزوة بـدر

سبب المعركة:

لَمْ يَكُنْ المُسْلِمونَ قَدْ اِشْتَبَكُوا معَ قُرَيْشٍ بِشَكْلٍ حَاسِمْ حَتَّى تَارِيخِ هَذِه الغَزْوَة، وَذَلِكَ مَا أَتَاحَ لِقُرَيْش مُواصَلَة إِرْسَال قَوَافلها الَّتِي كَانَتْ تُمَثل شِرْيانَ الحَياةِ لاقْتِصادِها، وَيُلاحَظ أَنَّ قُرَيْشاً اِسْتَشْعَرتْ الخَطَر فَأَخَذَتْ تُهَيِّء لِقَوافِلِهَا حِراسَات شَدِيدَة وَكَثِيفَة، وَتَنَوع الطُّرُق الَّتِي تَسْلُكهَا. وَكَانَ المُسْلِمونَ يَرْصُدونَ تَحرُك القَوافِل القَرشِيَّة وَتَتجَمعْ لَدَيهِمْ الأَخْبار عَنْ مُحْتَواها وَبِضاعَتَها وَحِراسَاتَها وَالطُّرُق الَّتِي تَسْلُكُهَا.

بَلَغَ المُسْلِمينَ تَحَرُّك قَافِلَة تِجَارِيَّة كَبِيرَة مِنَ الشَامِ وَهِيَ تَحْمِلُ أَمْوَالاً عَظِيمَة [1] لِقُرَيْش يَقُودَها أَبُو سُفْيان وَيَقُوم عَلَى حِراسَتِها بَينَ ثَلَاثِينَ وأَرْبَعِينَ رَجُلًا [2] ، فَأَرْسَلَ الرَسُولُ ﷺ بَسْبَسَ بْنَ عَمْرٍو [3] لاسْتِطْلاعِ أَخْبَار القَافِلَة، فَلَمَّا عَادَ بَسْبَسَ بِخَبرِهَا نَدبَ النَبيُّ ﷺ أَصْحَابَه للخُروجِ مُتَعجِلًا بِمنْ كَانُوا عَلَى اِسْتِعْداد دُونَ أَنْ يَنْتَظرْ تَهَيُؤ الآخَرِين مِمَنْ أَبْدَى رَغْبَـةً فِي الخُروجِ، حِرْصـاً مِنْهُ عَلَى ألّا تَفوتَهُمْ القَافِلَة [4] .

---

[1] قدرت قيمة البضائع التي تحملها القافلة بخمسين ألف دينار، انظر: المباركفوري: الرحيق المختوم ١/ ١٨٤. الندوي : السيرة النبوية ١/ ١٤٢. ابن حجر : فتح الباري ٧/ ٢٨٦.

[2] ابن حزم: جوامع السيرة ١/ ٨١.

[3] ورد الإسم في صحيح مسلم بصيغة التأنيث مصحّفا إلى «بسيسة» ، وصححه ابن حجر في الإصابة ١/ ١٥١.

[4] النووي: شرح صحيح مسلم ١٣/ ٤٤ .البيهقي : دلائل النبوة ٣/ ٣٣.العمري : السيرة النبوية الصحيحة

خروج المسلمين من المدينة المنورة:

خَرجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَالمُسْلِمينَ مِنَ المَدينَة فِي الْيَوْمِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ المُبَارَك مِنَ السَّنَةِ الثَّانِيَة لِلْهِجْرَةِ ، وَكَلَّفَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ بالصَّلَاةِ بِالنَّاسِ فِي الْمَدِينَةِ عِنْد خُرُوجِهِ إِلى بَدْرٍ، ثُمَّ أَعادَ أَبَا لُبَابَةَ مِنَ الرَّوْحَاءِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَعَيَّنَهُ أَمْيراً عَلَيْها[1] .

وَقدْ خَرجَ النَبيُّ ﷺ فِي جَيْشٍ تِعْدَادهُ ، بِضْعَةَ عَشَرَ وَثَلاثَ مِائَةٍ مقاتل [2] مِنْهُمْ الْأَنْصارُ نَيِّفًا وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ، وَمِنْ المُهَاجِرينَ نَيِّفًا وسِتِّينَ [3]. غَيْرَ أَنَّ عَلَيْنَا أَنْ نتَذَكَر بِأَنَّ قُوَاتِ المُسْلِمينَ هَذِه الَّتِي صَاحَبَتْ النَبيَّ ﷺ فِي غَزْوَتِه إِلى بَدْرٍ لا تُمَثِّلُ الطَاقَةَ العَسْكَرِيَّةَ القُصْوَى لِلحُكومَةِ النَبوِيَّةِ، ذَلِكَ أَنَّهُمْ إِنَّما خَرَجُوا لاعْتِراضِ قَافِلَةٍ تِجارِيةٍ وَاحْتِوائِهَا، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوَلَ النَبيُّ ﷺ لِلمُسْلِمينَ: « هَذِهِ عِيرُ قُرَيْشٍ فِيهَا أَمْوَالُهُمْ فَاخْرُجُوا إِلَيْهَا لَعَلّ اللهَ يُنْفِلُكُمُوهَا » [4] ، وَلَمْ يَكُونُوا يَعْلَمونَ أَنَّهُمْ سَوفَ

٣٥٤/٢.

[1] السهيلي : الروض الآنف ٨٨/٥. ابن كثير، البداية والنهاية ٥/ ٦٤.

[2] هناك حديثان صحيحان في عدد جيش المسلمين والمشركين:

أما الأوّل: ففي صحيح البخاري (٣٩٥٦، ٣٩٥٩).

٣٩٥٦ - وَكَانَ المُهَاجِرُونَ يَوْمَ بَدْرٍ نَيِّفًا عَلَى سِتِّينَ، وَالأَنْصَارُ نَيِّفًا وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ»

٣٩٥٩ - عَنْ أَبِي عَنِ البَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: " كُنَّا نَتَحَدَّثُ: أَنَّ أَصْحَابَ بَدْرٍ ثَلاَثُ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَرَ...

وأما الثاني: ففي مسند أحمد (٩٤٨) بإسناد صححه الشيخ الألباني في تحقيق فقه السيرة وكذلك صححه الشيخ. أحمد شاكر. (....فجعلنا نقول له: كم القوم؟ فيقول: هم واللهِ كثيرٌ عددُهم شديد بأسهم، فجعل المسلمون إذا قال ذلك ضربوه، حتى انتهوا به إلى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال له: "كم القوم؟ " قال: هم والله كثير عددهم شديد بأسهم، فجَهَد النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يخبره كم هم فأبى، ثم إن النبي - صلى الله عليه وسلم - سأله: "كم ينحرون من الجزر؟ " فقال: عشرًا كل يوم، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "القوم ألف، كل جزُور لمائة وتَبَعها"،...)

[3] صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب المغازي، باب عدة أصحاب بدر، ٧٣/٥، حديث ٣٩٥٦.

[4] ابن هشام: السيرة ١/ ٦٠٧ بسند صحيح إلى عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما-.السهيلي : الروض

يُواجِهُونَ قُواتِ قُرَيْشٍ وَأَحْلافَهَا مُجْتَمِعةً لِلحَربِ وَالَّتِي بَلغَ تِعْدادَهَا تِسْعِمِائَةٍ وَخَمْسِينَ مُقَاتِلًا ، وَمَعَهُمْ مِائَتَا فَرَسٍ يَقُودُونَهَا، وَخَرَجُوا مَعَهُمْ بِالْقِيَانِ يَضْرِبْنَ بِالدُّفِّ، وَيَتَغَنَّيْنَ بِهِجَاءِ الْمُسْلِمِينَ [١] ، كَمَا أَخَذُوا مَعَهُمْ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ، وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَفْعلُ ذَلِكَ لِتَحْفِيزِ جُنودِهَا عَلَى القِتَال، فَإِنَّ الرَّجُلَ إِذا مَا خَارَتْ قُوَّتَهُ وَوهَنتْ عَزيمَتَهُ وَأَرادَ أَنْ يَفِرَّ مِنْ سَاحَةِ المَعْرَكَة تَذَكَرَ مَا خَلْفَهُ مِنْ نِساءٍ وَأَبْناءٍ وَأَمْوالٍ فَكَانَ ذَلِكَ حَافِزًا لَهُ عَلَى القِتَالِ بِقوةٍ وَبَأسٍ وَعَدمِ الفِرارِ مِنْ أَرضِ المَعْرَكَةِ.

لَمْ يَكُنْ معَ القُواتِ الإِسْلامِيَّةِ إِلاّ فَرسٌ واحِدٌ لِلمُقْدادِ بِنْ عَمْرو [٢] وَسَبْعونَ بَعْيرًا [٣] يَعْتَقِب كُلُّ ثَلاثَةٍ بعيرًا [٤] فكانَ النَبيُّ ﷺ وَعَلِيٌّ وأبو لُبابَةَ يَعتَقِبونَ بَعيرًا فَلَمَّا كَانَتْ عُقْبَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ [٥] قَالا: نَحنُ نَمْشِي عَنْكَ يا رَسُولُ اللهِ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :"ما أَنْتُما بِأَقْوَى مِنِّي وَلا أَنا بِأَغْنَى عَنْ الْأَجْرِ مِنكُما" [٦].

وَقَدْ كَتَمَ النَبيُّ خَبرَ الجِهَةِ الَّتِي يَقْصِدَها عِنْدَمَا أَرادَ الخُرُوج إِلى بَدْرٍ، حَيْثُ قَالَ: « إِنَّ لَنَا طَلِبَةً فَمَنْ كَانَ ظَهْرُهُ حَاضِرًا فَلْيَرْكَبْ مَعَنَا » [٧] .وَبعْدَ خُروجِ المُسْلِمينَ مِنَ المَدينَة فِي طَرِيقِهِمْ إِلى مُلاقاةِ عِيرِ قُرَيْشٍ، وَصَلُوا إِلى مِنْطَقَةٍ تُسَمّى " بُيُوتِ السُّقْيَا "

الآنف ٥/ ٨٢.

[١] ابن كثير: البداية والنهاية٥/ ٦٣.

[٢] عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: مَا كَانَ فِينَا فَارِسٌ يَوْمَ بَدْرٍ غَيْرُ الْمِقْدَادِ " وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا فِينَا إِلا نَائِمٌ، إِلَّا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ شَجَرَةٍ يُصَلِّي، وَيَبْكِي، حَتَّى أَصْبَحَ . صحيح: أخرجه أحمد في مسنده : ٢/٢٩٩،حديث (١٠٢٣). صحيح ابن خزيمة : ٢/٥٢، حديث(٨٩٩). صحيح ابن حبّان : ٦/٣٢، حديث(٢٢٥٧).
وجاءت روايات أخرى ضعيفة بأنهما كانا فرسين أحدهما للزبير والثاني للمقداد، وهو ضعيف.

[٣] المقريزي : امتاع الاسماع ١/١٠٢ . ابن القيم : زاد المعاد ٣/١٥٣.

[٤] يعتقبون البعير: أي يتبادلون الركوب عليه.

[٥] أي: نوبته في المشي.

[٦] صحيح: أخرجه أحمد في مسنده : ٧/١٧،حديث (٣٩٠١) وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

[٧] السنن الكبرى للبيهقي ٩/١٦٩، حديث ١٨١٩٧. صحيح مسلم ٣/١٥٠٩، حديث ١٩٠١. مسند الامام احمد ١٩/٣٨٩، حديث ١٢٣٩٨.

خَارِجَ المَدينَة، فَعَسْكَر فِيهَا المُسْلِمونَ، واَسْتَعْرَضَ رَسُولُ اللهِ مُحَمَّد ﷺ مَنْ خَرجَ مَعهُ فَرَدَّ مَنْ لَيْسَ لَهُ قُدْرَة عَلَى المُضِي وَالقِتَال مِنْ جَيْشِ المُسْلِمينَ، وَمِنْهمْ الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ، وعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ لِصغَرِهِمَا، وَكَانَا قَدْ خَرجَا معَ النَبيِّ ﷺ رَاغِبينَ وَعَازِمينَ عَلَى الاشْتِراكِ فِي الجِهَادِ (١).

ارجع فلن أستعين بمشرك:

عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَرَجَ إِلَى بَدْرٍ، فَتبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَلَحِقَهُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ، فَقَالَ: إِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَتْبَعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ، قَالَ: " تُؤْمِنُ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ؟ " قَالَ: لَا، قَالَ: " ارْجِعْ فَلَنْ نَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ " قَالَ: ثُمَّ لَحِقَهُ عِنْدَ الشَّجَرَةِ، فَفَرِحَ بِذَاكَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكَانَ لَهُ قُوَّةٌ وَجَلَدٌ، فَقَالَ: جِئْتُ لِأَتْبَعَكَ وَأُصِيبَ مَعَكَ. قَالَ: " تُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ؟ " قَالَ: لَا، قَالَ: " ارْجِعْ فَلَنْ أَسْتَعِينَ بِمُشْرِكٍ " قَالَ: ثُمَّ لَحِقَهُ حِينَ ظَهَرَ عَلَى الْبَيْدَاءِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: " تُؤْمِنُ بِاللهِ وَرَسُولِهِ؟ " قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَخَرَجَ بِهِ)(٢).

ابو سفيان يحول مسار القافلة :

بَلَغَ أَبَا سُفْيَان خَبرَ مَسير النَبيِّ ﷺ وأَصْحابِه مِنَ المَدينَة بِقَصْد اِعْتِراض قَافِلَته وَاحْتِوائِها، فَبادَر إِلى تَحْوِيلِ مَسَارِهَا إِلى طَرِيقِ السَّاحِل، فِي نَفْسِ الوَقْتِ الَّذِي أَرْسَلَ

---

(١) عَنِ البَرَاءِ، قَالَ: اسْتُصْغِرْتُ أَنَا وَابْنُ عُمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ. انظر، صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب عدة أصحاب بدر، ٥/٧٣، حديث ٣٩٥٥.

استصغرت: عددت صغيرا ولم يسمح لي بالخروج للقتال. أبو شهبة: السيرة النبوية٢/١٢٤.

(٢) قال الارناؤوط في تخريجه: إسناده صحيح على شرط مسلم. انظر، مسند الامام احمد: ٤٢/٨١، حديث ٢٥١٥٨.

فِيهِ إِلى قُرَيْشٍ يَسْتَنْفِرهَا لإِنْقَاذِ قَافِلَتِهَا وَأَمْوالِهَا. وَكَانَ وَقْع ذَلِكَ شَدِيداً عَلَى قُرَيْشٍ، الَّتِي اشْتَاط زُعَماؤُهَا غَضَباً لِمَا يَرَونَهُ مِنْ اِمْتِهانٍ لِلكَرامَةِ، وَتَعرِيضٍ لِلمَصَالِحِ الاقْتِصَادِيَة لِلأَخْطَارِ إِلى جَانِب مَا يَنْجُم عَنْ ذَلِكَ مِنْ اِنْحِطَاطٍ لِمكانَةِ قُرَيْشٍ بَيْنَ القَبائِلَ العَرَبِيَة الأُخْرَى وَلِذَلِكَ فَقَدْ سَعَوا إِلى الخُرُوجِ لِمُجَابَهَةِ الأَمْر بِأَقْصَى طَاقَاتِهِمْ القِتَالِيَّة [1] .

قريش تصر على التقدم نحو بدر:

أَرْسَلَ أَبُو سُفْيَان بَعْدَ ذَلِكَ إِلى زُعَماءِ قُرَيْش وَهُمْ بِالجَحْفَة بِرسَالَة أَخْبَرهم فِيهَا بِنَجاتِه وَالقَافِلَة، وَطَلَبَ مِنْهمْ العَودَة إِلى مَكَّةَ، وَذَلِكَ أَدّى إِلى حُصُولِ اِنْقِسَام حَادْ فِي آراءِ زُعَماءِ قُرَيْش، فَقَدْ أَصَرَّ أَغْلَبهُمْ عَلَى التَقدم نَحْوَ بَدْرٍ مِنْ أَجْلِ تَأْدِيبِ المُسْلِمِينَ وَتَأْمِين سَلامَة طَرِيق التِجَارَة القَرشِيَّة وإِشْعَار القَبائِل العَرَبِيَة الأُخْرَى بِمَدَى قُوَة قُرَيْش وَسُلْطَانِها [2] . وَقَدْ اِنْشَقَّ بَنُو زَهْرَة [3] ، وَمَنْ كَانَ مَعَ قُرَيْش مِنْ بَنِي هَاشِم [4] . وَعَادُوا إِلى مَكَّةَ، أَمَّا غَالِبِيَة قُوات قُرَيْش وأَحْلافَهمْ فَقَدْ تَقَدَمتْ حَتَّى وَصَلتْ إِلى مِنْطَقة بَدْرٍ.

---

[1] ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٢٨٣. ابن هشام: السيرة ١/ ٦٠٩، ٦١٢ بأسانيد حسنة.

[2] الصلابي : السيرة النبوية ٣/ ٥.

[3] كان عدد بني زهرة في قوات قريش حوالي ثلاثمائة مقاتل، ابن هشام: السيرة ١/ ٦١٨.

[4] كانوا بقيادة طالب بن أبي طالب، وكانت قريش قد اتهمتهم بأن هواهم مع محمد صلّى الله عليه وسلّم، ابن هشام: السيرة ١/ ٦١٩.

النبي ﷺ يستشير أصحابه:

بَلغَتْ أَخْبار تَجمُعْ قُرَيْش وَتَقدُمَهم تِجَاه مِنْطقَة بَدر إِلى الرَسُولِ ﷺ وَهوَ فِي طَرْيقِه إِلى بَدْرٍ، فَاسْتَشَار أَصْحابَه فِي الأَمْر [1] وَكَانَ بَعْضُهمْ قَدْ كَرِهَ القِتَال، وَفِي ذَلِكَ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾

وَالحَقُّ الَّذِي تَبيّن هَو أَنَّ اللهُ تَعَالَى قَدْ وَعَدهُم إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ إِمَّا أَخْذ القَافِلَة وَغَنيمَتَها، وَإِمَّا القِتَال، فَلمَّا فَرَّتْ القَافِلَة كَانَ الحَقُّ الَّذِي تَبيّنَ هَو القِتَال فَكَرِه بَعْضُ المُسْلِمينَ ذَلِكَ، يَقولُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ [2] وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾[3].وَكانَ هَؤلاءِ يَرونَ أَنَّ القِتَال لا فَائِدَة مِنْهُ لأَنَّ القَافِلَةَ نَجَتْ فَلا غَنيمَة تُفيد المُسْلِمينَ، وَلأَنَ المُسْلِمينَ غَيْرَ مُسْتَعِدينَ لِلحَرْبِ كَمَا اِسْتَعدتْ قُرَيْش، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَى قَدْ بَينَ الحِكْمَة مِنَ القِتَال فِي الآيَتَينِ السَابِقَتَينِ مِنْ سُورَةِ الأَنْفَالِ.

فَاسْتَشَارَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النَّاسَ "، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ فَأَحْسَنَ، ثُمَّ قَامَ عُمَرُ ﷺ فَقَالَ فَأَحْسَنَ ثُمَّ قَامَ الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، امْضِ لِمَا أُمِرْتَ بِهِ فَنَحْنُ مَعَكَ، وَاللهِ لَا نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ [4] وَلَكِنِ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا، إِنَّا مَعَكُمَا

---

[1] ابن كثير: البداية ٣/ ٢٦٢- ٢٦٣. صحيح مسلم :باب غزوة بدر٣/١٤٠٣، حديث ١٧٧٩.

[2] الشوكة: القتال، وغير ذات الشوكة: هي الغنيمة التي لا قتال فيها.

[3] سورة الانفال: الآيتان ٧.٨.

[4] سورة المائدة :الآية ٢٤.

مُقَاتِلُونَ[1]، فَوَ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، لَوْ سِرْتَ بِنَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ[2] ، لَجَالَدْنَا مَعَكَ مَنْ دُونَهُ حَتَّى تَبْلُغَهُ، " فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَيْرًا ، وَدَعَا لَهُ بِهِ، ثُمَّ قَالَ: أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ - وَإِنَّمَا يُرِيدُ الْأَنْصَارَ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ عَدَدُ النَّاسِ[3]، وَكَانُوا حِينَ بَايَعُوهُ بِالْعَقَبَةِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا بُرَآءُ مِنْ ذِمَامِكَ حَتَّى تَصِلَ إِلَى دَارِنَا، فَإِذَا وَصَلْتَ إِلَيْنَا ، فَأَنْتَ فِي ذِمَمِنَا، نَمْنَعُكَ مِمَّا نَمْنَعُ مِنْهُ أَنْفُسَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا، فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَخَوَّفُ أَنْ لَا تَكُونَ الْأَنْصَارُ تَرَى أَنَّ عَلَيْهَا نُصْرَتَهُ إِلَّا بِالْمَدِينَةِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَسِيرَ بِهِمْ إِلَى عَدُوٍّ بِغَيْرِ بِلادِهِمْ - " ، فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ، قال له سَعْدٌ بْنُ مَعاذ: وَاللهِ لَكَأَنَّكَ يَا رَسُولَ اللهِ تُرِيدُنَا؟ ، قَالَ: " أَجَلْ " ، فَقَالَ سَعْدٌ: قَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ حَقٌّ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذَلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَاثِيقَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَامْضِ يَا رَسُولَ اللهِ لِمَا أَرَدْتَ ، فَنَحْنُ مَعَكَ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ، لَوِ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هَذَا الْبَحْرَ ، لَخُضْنَاهُ مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا وَاحِدٌ، وَمَا نَكْرَهُ أَنْ نَلْقَى عَدُوَّنَا غَدًا، إِنَّا لَصُبُرٌ عِنْدَ الْحَرْبِ، صُدُقٌ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَلَعَلَّ اللهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللهِ ، فَسُرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِقَوْلِ سَعْدٍ، وَنَشَطَهُ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: " سِيرُوا وَأَبْشِرُوا ، فَإِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَاللهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ الْآنَ مَصَارِعَ الْقَوْمِ "[4].

---

[1] صحيح البخاري : كتاب المغازي ،بَاب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى { إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ٥/٧٣، حديث ٣٩٥٢.

[2] موضع بناحية اليمن.

[3] أي: أكثر الناس، فهم أكثر من المهاجرين.

[4] رواه ابن هشام في "السيرة" ١/٦١٥ بهذا السياق عن ابن إسحاق بدون إسناد، وله شواهد أخرى كثيرة تقويه، انظر: صحيح مسلم ٣/١٤٠٣،حديث(١٧٧٩)، وأخرجه أحمد في مسنده:٦/٢٢٧،حديث (٣٦٩٨) انظر : وأخرجه البخاري في صحيحه، الحديث رقم ٣٩٥٢والذي نصه : سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ، يَقُولُ: شَهِدْتُ مِنَ المِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ مَشْهَدًا، لَأَنْ أَكُونَ صَاحِبَهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا عُدِلَ بِهِ، أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَدْعُو عَلَى المُشْرِكِينَ، فَقَالَ: لاَ نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ، وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ،

لَقَدْ كَانَتْ كَلِماتْ سَعْد مُشَجِعَةً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَمُلْهِبَةً لِمَشاعِرِ الصَحابَةِ فَقَدْ رَفَعتْ مَعْنَوِيَاتِ الصَحابَة وَشَجَعَتهمْ عَلَى القِتَالِ. إِنَّ حِرْصَ النَبيَّ ﷺ عَلَى اِسْتِشَارَة أَصْحَابِه فِي الغَزَواتِ يَدُلُّ عَلَى تَأْكِيدِ أَهَمِيةِ الشُّورَى فِي الحُروبِ بِالذاتِ؛ ذَلِكَ لأَنَّ الحُروبَ تُقَرِرُ مَصْيرَ الأُمَمِ، فَإِمَا إِلى العَلْيَاءِ، وإِمَّا تَحْتَ الغَبْرَاءِ [1].

النبي ﷺ يعقد الألوية:

نَظَّمَ النَبيُّ ﷺ جُنْدَهُ، بَعْدَ أَنْ رَأى طَاعَةَ الصَحَابَة وَشَجاعَتِهمْ واجْتِماعِهمْ عَلَى القِتَال، وَعَقدَ اللِّوَاءُ الْأَبْيَضِ وَسَلَّمَهُ إِلى مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ ، وأَعْطَى رَايَتَيْنِ سَوْدَاوَيْنِ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ ، وعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، وَجَعَلَ عَلَى السَّاقَةِ قَيْسُ بْنُ أَبِي صَعْصَعَةَ [2] .

النبي ﷺ يستكشف أحوال جيش المشركين:

وَقَام النَبيُّ ﷺ وَمَعهُ أَبُو بَكْرٍ يَسْتكشِف أَحَوالِ جَيشِ المُشْرِكينَ، وَبَينَما هُمَا يَتَجولانِ فِي تِلْكَ المَنْطَقَة حَتَّى وَقَفَ عَلَى شَيْخٍ مِنْ الْعَرَبِ، فَسَأَلَهُ عَنْ قُرَيْشٍ، وَعَنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، وَمَا بَلَغَهُ عَنْهُمْ، فَقَالَ الشَّيْخُ: لَا أُخْبِرُكُمَا حَتَّى تُخْبِرَانِي مِمَّنْ أَنْتُمَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِذَا أَخْبَرْتنَا أَخْبَرْنَاكَ. قَالَ: أَذَاكَ بِذَاكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ الشَّيْخُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كَانَ صَدَقَ الَّذِي أَخْبَرَنِي، فَهُمْ الْيَوْمَ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا، لِلْمَكَانِ الَّذِي بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَبَلَغَنِي أَنَّ قُرَيْشًا

وَعَنْ شِمَالِكَ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ «فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ» يَعْنِي: قَوْلَهُ.

[1] أبو فارس، محمد: غزوة بدر الكبرى١/٣٧.

[2] ابن القيم : زاد المعاد ٣/١٥٣ . ابن كثير: البداية والنهاية٥/ ٦٥.

خَرَجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كَانَ الَّذِي أَخْبَرَنِي صَدَقَنِي فَهُمْ الْيَوْمَ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا لِلْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ قُرَيْشٌ. فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ خَبَرِهِ، قَالَ: مِمَّنْ أَنْتُمَا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: نَحْنُ مِنْ مَاءٍ(١)، ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ. قَالَ يَقُولُ الشَّيْخُ: مَا مِنْ مَاءٍ(٢)، أَمِنْ مَاءِ الْعِرَاقِ؟(٣).

مشورة الحباب بن المنذر في بدر:

وَصلَ المُسْلِمونَ إِلَى بَدْرٍ وَاسِتَطْلَعُوا المَوْضِع قَبْلَ وَصْولِ قُواتِ قُرَيْش، وَقَدْ وَرَدتْ رِواية حَسَنة السَند تَذْكُر أَنَّ الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ أَشَارَ عَلَى النَبيِّ ﷺ بِأَنْ: «نَأتِي أَدْنَى مَاءٍ مِنْ القوم، فَنَنزِله وَنَغوّر مَا وَراءَهُ مِنْ القَلب، ثُمَّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا فَنَمْلأهُ ثُمَّ نُقَاتِلُ الْقَوْمَ ، فَنَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ » (٤) ، وَأَنَّ النَبيَّ ﷺقَدْ قَبِلَ مَشورَتَه وَفَعَل بِمَا أَشار بِه الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ (٥).

---

(١) هذا من التوريات البديعة، وهو يحتمل معنيين: أحدهما قريب وهو المكان المعروف بهذا الاسم، والثاني بعيد وهو الماء الذي خلق منه كل كائن حي، وهو مراد النبي.

(٢) يعني أمن المكان الذي بالعراق أم من غيره؟

(٣) السهيلي : الروض الآنف ٥/٩٣. ابن كثير : السيرة النبوية ٢/٣٩٦. ابن هشام: السيرة ١/ ٦١٦. ابن كثير: البداية والنهاية٥/ ٧٥.

أبو شهبة: السيرة النبوية٢/١٣١. رواه ابن اسحاق باسناد منقطع لانها من رواية محمد بن يحيى ابن حبان، قال عنه في التقريب ص٥١٢: ثقة فقيه من الرابعة. وانظر السيرة النبوية في ضوء المصادر الاصلية ص٣٤٣،هامش٣٢ .

(٤) المباركفوري : الرحيق المختوم ١/١٩١.السهيلي : الروض الآنف ٥/٩٨. ابن كثير : السيرة النبوية ٢/٤٠٢.

(٥)ابن هشام: السيرة ١/ ٦٢٠- ٦٢١ وإسناده مرسل موقوف على عروة . والحاكم: المستدرك ٣/ ٤٤٦- ٤٤٧. البداية والنهاية ٥/ ٨٢: إسناده منقطع.

الأخذ بالقرائـن والحصول على أهم المعلومات عن جيش المشركين:

وَفِي مَساءِ ذَلِكَ اليَوم الَّذِي خَرجَ فِيه رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ، أَرْسَلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، والزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، فِي نَفَر مِنْ أَصْحَابِه إِلَى مَاءِ بَدْرٍ يَتَسَقَطونَ لَهُ الأَخْبَار عَنْ جَيْشِ قُرَيْش، فَاسْتَطَاعُوا إِلقَاء القَبْض عَلَى اِثْنَيْنِ مِنْ سُقَاة قُرَيْش جَاؤُوا بِهِمَا إِلى الرَسُولِ ﷺ، إِلا أَنَّهمَا أَكَّدا اِنْتِمَاءَهُمَا لِلجَيشِ القَرَشِي الَّذِي يُعَسْكِر الآنْ قَرْيباً مِنْ المُسْلِمينَ تَحْجِبُهم التِّلالِ والكُثْبَانِ عَنْهُمْ، فَقَالَ الرَسُولُ: أَخْبِرَانِي عَنْ قُرَيْش. قَالُوا: هُمْ وَاللهِ وَراءَ هَذا الكُثَيبْ الَّذِي تَرَى بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى. فَقالَ لَهُمْ: كَمْ القَوم؟ قَالا: لا نَدْرِي. قَالَ: كَمْ يَنْحَرُونَ كُلَّ يَوْمٍ؟ "، قَالُوا: يَوْمًا عَشْرًا، وَيَوْمًا تِسْعًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " الْقَوْمُ بَيْنَ الأَلْفِ وَالْتِسْعِ مِائَةٍ، ثُمَّ سَأَلَهُمَا: فَمنْ فِيْهَا مِنْ أَشْرافِ قُرَيْش؟ فَطَفِقَا يَسْتَعْرِضَان عَدداً مِنْ قَادَةِ قُرَيْش فِيهِمْ عُتْبَةُ ، وَشَيْبَةُ ابْنَا رَبِيعَةَ وأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ و أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ وسُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو وعَمْرُو بْنُ عَبْدِ وُدّ وغيرهم[1]،وَبِذَلِكَ حَصلَ الرَسُولُ ﷺ عَلَى مَعْلومَاتٍ كَثْيرَةٍ عَنْ مَوْقِع الجَيْشِ المَكِّي، وَمِنْ بِه مِنَ الأَشْرَافِ، وَاسْتَنْتَجَ عَدَدَ

---

[1] محمود شيت خطاب: الرسول القائد ١/ ١٠٦. السهيلي : الروض الآنف ٥/ ٩٤. ابن كثير : السيرة النبوية ٢/ ٣٩٧. السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ١/ ٢٦١. ابن كثير: البداية والنهاية٥/ ٧٦.
(...فَنَدَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺالنَّاسَ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى نَزَلُوا بَدْرًا، وَوَرَدَتْ عَلَيْهِمْ رَوَايَا قُرَيْشٍ، وَفِيهِمْ غُلَامٌ أَسْوَدُ لِبَنِي الْحَجَّاجِ، فَأَخَذُوهُ وَكَانَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺيَسْأَلُونَهُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ وَأَصْحَابِهِ، فَيَقُولُ: مَا لِي عِلْمٌ بِأَبِي سُفْيَانَ، وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ، وَعُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، فَإِذَا قَالَ ذَاكَ ضَرَبُوهُ، فَإِذَا ضَرَبُوهُ، قَالَ: نَعَمْ، أَنَا أُخْبِرُكُمْ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ، فَإِذَا تَرَكُوهُ، فَسَأَلُوهُ قَالَ: مَا لِي بِأَبِي سُفْيَانَ عِلْمٌ، وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلٍ، وَعُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ، وَأُمَيَّةُ فِي النَّاسِ، قَالَ: فَإِذَا قَالَ هَذَا أَيْضًا ضَرَبُوهُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ انْصَرَفَ، فَقَالَ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَتَضْرِبُونَهُ إِذَا صَدَقَكُمْ، وَتَتْرُكُونَهُ إِذَا كَذَبَكُمْ "، قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ غَدًا " يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْأَرْضِ هَاهُنَا وَهَاهُنَا، فَمَا أَمَاطَ أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ). قال الارناؤوط إسناده صحيح على شرط مسلم. أنظر، مسند الامام احمد :٢١/ ٢٦٤،حديث ١٣٧٠٣.

أَفْرادِه مِنْ مَعْرِفَتِه لِعددِ مَا يُنْحَر لَهُمْ يَومِيًا مِنَ الجِمَالِ وَتَوجّه ﷺ لِقَومِه قَائِلاً: « هَذِهِ مَكَّةُ قَدْ أَلْقَتْ إِلَيْكُمْ أَفْلاذَ كَبِدِهَا » (١) . ثُمَّ قَالَ النَبيُّ ﷺ : "هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ" – وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْأَرْضِ هَا هُنَا هَا هُنَا– فَمَا مَاطَ (٢) أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ الله ﷺ (٣)، فَبَاتَ الْمُسْلِمونَ تِلْكَ اللَيْلَةِ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا(٤)، وَبَاتَ الْمُشْرِكونَ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى(٥) ، وَقدْ ذَكرَ القُرآن الكَرْيم هَذا المَوْقِفْ فِي قَولِه تَعَالَى: ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ﴾ أَيْ العِير الَّذِي فِيهِ أَبُو سُفْيَان ﴿ أَسْفَلَ مِنْكُمْ ﴾ أَيْ مِمَا يَلِي سَاحِلْ البَحْر، ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(٦) لِيَصيرَ الأَمْر ظَاهرًا، والحُجَّة قَاطِعَة، وَالبَرَاهِينُ سَاطِعَة، وَلا يَبْقَى لأَحَدْ حُجَّة وَلا شُبْهَة، فَحِينَئِذٍ يَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ أَيْ: يَسْتَمِرْ فِي الكُفْرِ مَنْ اِسْتَمَر فِيهِ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ(٧)أَنَّهُ مُبْطِلْ، لِقِيَامِ الحُجَّةِ عَلَيْهِ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ أَيْ: يُؤْمِنْ مَنْ آمَنَ عَنْ بَيِّنَةٍ أَيْ: عَنْ حُجَّةٍ وَبَصِيرَةٍ، ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ أَيْ: لِدُعَائِكُمْ وَتَضَرُعِكُمْ وَاسْتِغَاثَتِكُمْ بِه عَلِيمٌ بِكُمْ وَأَنَكُمْ تَسْتَحِقونَ النَصْرَ عَلَى أَعْدائِكُمْ الكَفَرَةَ المُعَانِدِينَ (٨).

---

(١) ابن هشام: السيرة ١/ ٦١٧. سبل الهدى والرشاد ٢٨/٤.ابن كثير : السيرة النبوية ٣٩٨/٢. البيهقي : دلائل النبوة ٤٣/٣.

(٢) ماط: أي بَعُد.

(٣) صحيح: أخرجه مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر١٤٠٣/٣،حديث١٧٧٩.

(٤) أي القريبة من المدينة.

(٥) أي البعيدة عن المدينة من ناحية مكة.

(٦) سورة الانفال: الآية ٤٢.

(٧) وهبة الزحيلي : التفسير المنير ١٧/١٠.

(٨) تفسير ابن كثير٦٩/٤.

الجيش المكي في عرصة القتال :

وَلَمَّا وَصلَ جَيْشُ مَكَّةَ إِلى بَدْرٍ دَبَّ فِيْهِم الخِلافُ وَكَادُوا أَنْ يَرْجِعُوا دُونَ قِتَال حَيْثُ تَذَكَرُوا الَّذِي كَانَ بَيْنَهمْ وَبينَ بَنْي بَكْر مِنْ خُصُومَةٍ وَخَافُوا أَنْ يَأْتُوهمْ مِنْ خَلفِهِمْ فَيُعينونَ عَلَيْهِمْ جَيْشَ المُسْلِمينَ، وَبَينَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ إِذ جَاءَهُم إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ الْمُدْلِجِيِّ، وَكَانَ مِنْ أَشْرَافِ بَنِي كِنَانَةَ، فَقَالَ لَهُمْ: أَنَا لَكُمْ جَارٌ مِنْ أَنْ تَأْتِيَكُمْ كِنَانَةُ مِنْ خَلْفِكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ، فَخَرَجُوا سِرَاعًا.وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [1].حَيثُ فَرَّ الشَيْطانُ مِنْ سَاحَةِ المَعْرَكَةِ عِنْدَمَا رَأى المَلائِكَة تَتَنزَلْ لِنُصْرة المُؤمِنين . وَتَزَعزَعتْ صُفوفَهمْ الدَاخِليّة، وَهَذا عُتْبَةُ بْنَ رَبِيعَةَ وَهوَ فِي القِيادَة مِنْ قُرَيْش لا يَرَى دَاعِيًا لِقتَال مُحَمَّد، وَقدْ دَعَا قَرَيْش بِترْكِ مُحَمَّد فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فِيمَا يَدْعُو إِليهِ فَعِزُّهُ عِزٌّ قُرَيْش وَمُلْكُه مُلْكَها، وَسَتكونُ أَسعدَ النَاسَ بِه، وإِنْ كَانَ كاذبًا فَسَيَذوب فِي العَرب وَتَنْهيَه[2]،وَأشارَ عَلَيْهِمْ بِالرُجوعِ لَئلا تَكْثر التِراتُ بَيْنَ الطَرَفينِ وَبينَهمْ أَرْحام وَقَراباتٍ[3]، غَيرَ أَنَّ أَبَا جَهْل خَطَّلَ رَأيهُ وَاتَهَمهُ بِالجُبْنِ [4] ، وَأَصَرَّ أَبُو جَهْلِ عَلَى القِتَال وَغَلَّبَ رَأيَهُ أَخيرًا [5].

---

[1] سورة الانفال: الآية ٤٨.

[2] باوزير، أحمد: مرويات غزوة بدر ١/١٦٥.

[3] العمري : السيرة النبوية الصحيحة ٢/ ٣٥٩.

[4] الهيثمي: مجمع الزوائد ٦/ ٧٦. ابن كثير: البداية والنهاية٥/ ٧٢.

[5] تاريخ الطبري ٢/ ٤٢٥، بسند حسن. نقلاً عن "السيرة النبوية الصحيحة" ٢/ ٣٥٩.

من نعم الله على المسلمين قبل القتال:

كَانَ الوَادِي الَّذِي نَزَلَ بِه المُسْلِمونَ لَيْنًا سَهْلًا لا تَثبُتُ فِيهِ أَقْدَام الخُيول، وَالوَادِي الَّذِي نَزَلَ بِه المُشْرِكُونَ صَلبًا تَتحركُ فِيه الخَيلَ بِسُهولَةٍ، فَأَنعَم اللهُ تَعَالَى عَلَى المُسْلِمينَ بِأَنْ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَاءً لِيُثبتَ بِه أَقْدامَهمْ، وَفِي ذَلِكَ يَقولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ تَطْهِيرِ الظَاهِرِ مِنَ الحَدثِ الأَصْغَرِ أَو الأَكبَرِ، ﴿ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾ مِنْ وَسْوَسةٍ أَو خَاطِرٍ سَيءٍ وَهوَ تَطْهِير البَاطِنْ ﴿وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ بِالصَبْرِ وَالإِقْدامِ عَلَى مُجَالَدَةِ الأَعْداءِ، ﴿ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [1]، حَيثُ تَصَلبَتْ الأَرضُ وَتَوَطئتْ، فَثبَتَتْ بِه أَقْدَام المُسْلِمينَ فِي مُواجَهةِ عَدُوهِمْ[2]. ثُمَّ أَنزَلَ اللهُ تَعَالَى عَلَى المُؤمِنينَ النُعاسَ أَمانًا لَهمْ، وَراحَةً مِنْ عَناءِ السَفرِ، حَتَّى إِذا ما بَدأت المَعْرَكة كَانُوا فِي ذَروَةِ النَشاطِ وَالاسْتِعدَاد.

وَقدْ وَصفَ الصَحابِي الجَليل عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ حَال المُسْلِمينَ فِي مُعَسْكَر النَبيِّ ﷺ لَيْلَة السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ وَهيَّ لَيْلَةِ مَعْرَكَةِ بَدْر الْكُبْرَى ، فَقَالَ: «أَصَابَنَا مِنَ اللَّيْلِ طَشٌّ مِنَ الْمَطَرِ، يَعْنِي اللَّيْلَةَ الَّتِي كَانَتْ فِي صَبِيحَتِهَا وَقْعَةُ بَدْرٍ، فَانْطَلَقْنَا تَحْتَ الشَّجَرِ وَالْحَجَفِ، نَسْتَظِلُّ تَحْتَهَا مِنَ الْمَطَرِ...»[3] .

النبي ﷺ يدعو ربه ويستغيث:

لَمْ يَنَمْ النَبيُّ ﷺ فِي تِلْكَ الليْلَة، بَلْ ظلَّ فِي عَرْيشِه الَّذِي بَناهُ لَهُ الصَحابَة بِمَشورَةِ سَعْدٌ بِنْ مُعَاذ ﷺ ، حيث قَالَ : يَا نَبِيّ اللهِ أَلَا نَبْنِي لَك عَرِيشًا تَكُونُ فِيهِ نُعِدّ عِنْدَك

---

[1] سورة الانفال: الآية ١١.

[2] تفسير ابن كثير ٢/ ١٤٥ بتصرف.

[3] ابن كثير: البداية والنهاية٥/ ٨٠.

رَكَائِبَك، ثُمّ نَلْقَى عَدُوّنَا، فَإِنْ أَعَزّنَا اللهُ وَأَظْهَرَنَا عَلَى عَدُوّنَا، كَانَ ذَلِكَ مَا أَحْبَبْنَا، وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى، جَلَسْتَ عَلَى رَكَائِبِكَ، فَلَحِقْتَ بِمَنْ وَرَاءَنَا، فَقَدْ تَخَلَّفَ عَنْكَ أَقْوَامٌ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا نَحْنُ بِأَشَدَّ لَكَ حُبًّا مِنْهُمْ، وَلَوْ ظَنُّوا أَنَّكَ تَلْقَى حَرْبًا مَا تَخَلَّفُوا عَنْكَ، يَمْنَعُكَ اللَّهُ بِهِمْ، يُنَاصِحُونَكَ وَيُجَاهِدُونَ مَعَكَ. فَأَثْنَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْرًا، وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ. ثُمَّ بُنِيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَرِيشٌ، فَكَانَ فِيهِ.(١).

وَظلَّ النَبيُّ ﷺ فِي ذَلِكَ العَرْيش يَدْعُو رَبَّهُ، وَيَستَغيْث بِه، وَيَسْتَنصرَه. عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : قَالَ: قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ له: "اللهُمَّ إِنِّي أَنْشدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ اللّهمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعبد بَعْدَ الْيَوْمِ" فَأَخَذَ أبو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ الله فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ، وَهُوَ فِي الدِّرْعِ فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ ﴾ (٢)(٣).

وعن عُمَرَ بن الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ الله إلى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ رسول الله ﷺ الْقِبلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: "اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللّهمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللّهمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعبد فِي الْأَرْضِ"(٤) فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أبو بَكْرٍ، فَأَخَذَ

---

(١) "سيرة ابن هشام" ١/ ٦٢١ عن ابن إسحاق، قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث: أن سعد بن معاذ قال، ثم ذكره، وله شاهد في "صحيح البخاري" عن ابن عباس، قال: قال النبي ﷺ وهو في قبّة، وهو الحديث الآتي.

(٢) سورة القمر: الآيتان٤٥-٤٦.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في درع النبي ﷺ والقميص في الحرب٤/٤١، حديث ٢٩١٥.

(٤)العلي : صحيح السيرة النبوية ١/١٦٩. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦/٩٧، حديث ٩٩٥٣.الغضبان : فقه السيرة النبوية ١/٤٢٤.

رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِي الله كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ الله – عز وجل – ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ (١)(٢)، « وَبَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْنِي قَائِمًا يُصَلِّي، وَحَرَّضَ عَلَى الْقِتَالِ»(٣) . وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ ، وَهُوَ فِي قُبَّةٍ(٤): «اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ(٥) عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ(٦) لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ(٧)» فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ، فَقَالَ: حَسْبُكَ(٨) يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَدْ أَلْحَحْتَ (٩)عَلَى (٩)عَلَى رَبِّكَ وَهُوَ فِي الدِّرْعِ، فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ(١٠)، وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ(١١) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ، وَالسَّاعَةُ أَدْهَى(١٢) وَأَمَرُّ(١٣)﴾ (١٤)(١٥).

---

(١) سورة الانفال: الآية ٩.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم : كتاب: الجهاد والسير، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم٣/١٣٨٣،حديث١٧٦٣ .

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية٥/ ٨٠.

(٤) قبة :بيت صغير من الخيام وكل بناء مدور.

(٥) أنشدك: أسألك.

(٦) هلاك المؤمنين.

(٧) لأنه لا يبقى من يدعو إلى الله عز وجل وتقوى شوكة الباطل.

(٨) حسبك: يكفيك.

(٩) ألححت: بالغت في الدعاء وأطلت فيه وداومت عليه.

(١٠) سيهزم الجمع: سيفرق جمعهم ويتلاشى.

(١١) يولون الدبر: يديرون ظهورهم أي يفرون منهزمين.

(١٢) أدهى: أشد وأفظع من الداهية وهي الأمر الشديد الذي لا يهتدى له.

(١٣) أمر: أعظم بلية وأشد مرارة عليهم.

(١٤)سورة القمر: الآيتان ٤٥.٤٦.

(١٥) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في درع النبي ﷺ والقميص في الحرب ٤/٤١، حديث ٢٩١٥. مسند الامام احمد ٥/١٦٥، حديث ٣٠٤٢. ابن كثير : السيرة النبوية ٢/٤٢٠. السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ٢/١٤٣.

خطة الرسول ﷺ في المعركة:

اِبْتكرَّ الرَسُول ﷺ فِي قِتالِه معَ المُشْرِكينَ يَوم بَدرٍ أُسلوبًا جَدْيداً فِي مُقَاتَلةِ أَعْدَاءِ اللهِ تَعَالَى، وَلَمْ يَكُنْ مَعْروفاً مِنْ قَبْلُ عِندَ العَرَب، فَقدْ قَاتلَ ﷺ بِنظَامِ الصُفوفِ[1].

وَهَذا الأُسْلُوب أَشَار إِلَيْهِ القُرآن الكَرِيمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴾[2].وَصِفَة هَذَا الأُسْلُوبِ: أَنْ يَكُون المُقَاتِلونَ عَلَى هَيْئَة صُفُوفِ الصَلاةِ، وَتَكُون الصُفوف الأُوْلَى مِنْ أَصْحَابِ الرِمَاحِ لِصَدِّ هَجَماتِ الفُرْسَانِ، وَتَكُون الصُفُوف الَّتِي خَلْفَها مِنْ أَصْحَابِ النِبَال، لِتَسْدِيدِهَا مِنَ المُهَاجِمِينَ عَلَى الأَعْدَاءِ. وَقَدْ اِتبعَ الرَسُولُ ﷺ أُسْلُوب الدِفَاعِ وَلَمْ يُهَاجِمْ قَوةَ قُرَيْش، وَكَانَتْ تَوجِيهاتِه التكْتِيكِيَة الَّتِي نَفذَها جُنودَه بِكُلِ دِقَةٍ سَببًا فِي زَعْزَعَة مَرْكَزِ العَدُو، وإِضْعَافِ نَفْسِيتِهِ، وَبِذَلِكَ تَحَقَقُ النَصْرُ عَلَى العَدُوِّ بِرَغْمِ تَفَوقِهِ.

وَبَينمَا كَانَ ﷺ فِي بَدْرٍ يَعْدِل الصُّفُوف وَيَقوم بِتَسْوِيَتها لِكَي تَكُون مُسْتَقِيمَة مُتَرَاصَّة، وَبِيَدِهِ سَهْم لا رِيشَ لَهُ يَعْدِل بِه الصَفَّ، فَرَأى رَجُلاً اِسْمُه سَوَادَ بْنَ غَزِيَّةَ ، وَقدْ خَرجَ مِنْ الصَفِّ فَطَعَنَهُ ﷺ فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ لَهُ: «اِسْتَوِ يَا سَوَاد» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوْجَعْتَنِي، وَقَدْ بَعَثَكَ اللهُ بِالحَقِّ وَالعَدلِ فَأَقِدنِي، فَكشَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ بَطنِه وَقَالَ: «اِسْتَقِدْ» فَاعْتَنقَه فَقَبَّلَ بَطْنَه، فَقَالَ: «مَا حَمَلكَ عَلَى هَذَا يَا سَوَاد» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ حضر مَا تَرى فَأَرَدتُ أَنْ يَكونَ آخِرَ العُهدُ بِكَ أَنْ يَمُسَ جِلْدِي جِلْدَك، فَدَعا لَهُ رَسُولُ اللهِ بِخَيرٍ [3].

---

[1] وهو أسلوب جديد لم تعتد عليه العرب قبل ذلك يقلل من خسائر الجيش ويعوض عن قلة العدد أمام العدو ويمكن القيادة من إحكام السيطرة. انظر، محمود شيت خطاب: الرسول القائد ص ١١١.

[2] سورة الصف: الآية ٤.

[3] العلي، إبراهيم: صحيح السيرة النبوية، ص٢٣٦.

النبي ﷺ يشارك شخصيّا في القتال:

كَانَ النَبيُّ ﷺ قَدْ مَنعَ الجَيْش مِنْ التَقَدُم أَو الالْتِحَام معَ المُشْرِكينَ إِلاّ أَنْ يَكُون النَبيُّ ﷺ هُوَ المُتَقدِم أولًا، فَقَالَ لهم: "لَا يُقَدِّمَنَّ أَحَدٌ مِنكُمْ إلى شَيءٍ حَتَّى أكُونَ أَنَا دُونَهُ" (١). وَقدْ شَارَكَ النَبيُّ ﷺ شَخْصِيّاً فِي القِتَال وَكَانَ أَقْرَب النَاسِ إِلى خُطوطِ العَدُوَّ كَما كَانَ أَشَدَّ المُؤمِنينَ بَأَساً (٢)، فَقدْ نَقلَ الإِمامْ أَحْمد بِسَنَدِه عَنْ عَلِيٍّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَوْلَه: « لَمَّا حَضَرَ البَأْسُ يَوْمَ بَدْرٍ، اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ ﷺ، فَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ، مَا كَانَ أَحَدٌ قَالَ: ولَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَقْرَبُ إِلَى المُشْرِكِينَ مِنْهُ » (٣) . ونَصحَ النَبيُّ ﷺ جُنْدَهُ وَأَمَرَهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ: "إِذَا أَكْثَبُوكُمْ (٤) فَارْمُوهُمْ، وَاسْتَبْقُوا نَبْلَكُمْ(٥)" (٦)، فَأَمَرَ النَبيُّ ﷺ أَلاّ يَضْرِبوا إِلاّ مِنْ قَرِيبٍ، حَتَّى تُصْيب القَوْم.

صبيحة يوم المعركة :

وَفِي صَبَاحِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ وَبَعْدَ أَنْ نَظّمَ الرَسُولُ ﷺ جَيْشَهُ ،حَرَضَّهُمْ عَلَى القِتَالِ ، فَقَالَ لهم: "قُومُوا إلى جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ "(٧)، فقَالَ عُمَيْرُ بن الْحُمَامِ الْأَنْصَارِيُّ: يَا رَسُولَ الله جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ؟! قَالَ: "نَعَمْ"،

---

(١) صحيح: أخرجه مسلم : كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد٣/١٥٠٩،حديث١٩٠١.

(٢)مسند الامام احمد ٢/ ٨١، حديث ٦٥٣ . مصنف ابي شيبة ٦/ ٤٢٦، حديث ٣٢٦١٤.

(٣)مسند أبي يعلى ١/ ٣٢٩، حديث ٤١٢ . مسند الامام احمد ٢/ ٣٠٧، حديث ١٠٤٢ . المسند الجامع ١٣/ ٣٩٥، حديث ١٣/ ٣٩٥، حديث ١٠٣١٢ .

(٤) أي: اقتربوا منكم.

(٥) أي: ابقوا على نبلكم ولا تستعملوه حتى يقتربوا منكم، حفاظًا على السهام وحتى لا تنفذ من غير فائدة.

(٦) صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب المغازي :باب فضل من شهد بدرا ٥/ ٧٨، حديث ٣٩٨٤.

(٧) صحيح مسلم: كتاب الامارة ،باب ثبوت الجنة للشهيد ٣/ ١٥٠٩ ،حديث ١٩٠١ . البيهقي : دلائل النبوة ٣/ ٦٩. جامع الاصول في أحاديث الرسول ٨/ ١٨١، حديث ٦٠١٣. مسند الامام احمد ١٩/ ٣٨٩، حديث ١٢٣٩٨ .العمري: السيرة النبوية الصحيحة ٢/ ٣٦٢.

قَالَ: بَخٍ، بَخٍ [1]فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : "مَا يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بَخٍ، بَخٍ؟ "، قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ الله إِلَّا رَجَاءَةَ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِهَا، قَالَ: "فَإِنَّكَ مِنْ أَهْلِهَا" فَأَخْرَجَ - عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ - تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ [2]فَجَعَلَ يَأْكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أَنَا حَيِيتُ حَتَّى آكُلَ تَمَرَاتِي هَذِهِ إِنَّهَا لَحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، فَرَمَى بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ[3].

فَلَمَّا أَقبلَ الْمُشْرِكُونَ وَدَنوا مِنْ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ أَخذَ النَبِيُّ ﷺ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ ثُمَّ رَماهُ فِي وُجُوهِهِمْ فَمَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا أَصَابَ عَيْنَيْهِ وَمِنْخَرَيْهِ وَفَمَهُ تُرَابٌ مِنْ تِلْكَ الْقَبْضَةِ، فَوَلَّوا مُدْبِرِينَ[4]وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾[5].

وَعِنْدَما تَقابَلَ الجَيْشَان وَدَنا بَعْضَهمْ مِنْ بَعْضٍ، كَانَ الْمُسْتَفْتِحَ أَبُو جَهْلٍ وإِنَّهُ قَالَ حِينَ الْتَقَى الْقَوْمُ: " اللَّهُمَّ أَيُّنَا كَانَ أَقْطَعَ لِلرَّحِمِ، وَآتَانَا بِمَا لَا نَعْرِفُ، فَاحْنِهِ الْغَدَاةَ، فَكَانَ ذَلِكَ اسْتِفْتَاحَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [6].

---

[1] بخ، بخ: فيه لغتان أحدهما: إسكان الخاء، أو كسرها منونًا، وهي: كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير. "شرح مسلم" للنووي ١٣/ ٤٥.

[2] قرنه: بقاف وراء مفتوحتين، وهي الجُعبة.

[3] صحيح: أخرجه مسلم : كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد٣/١٥٠٩،حديث١٩٠١.

[4] تفسير الطبري ١١/ ٨٦.

[5] سورة الانفال: الآية ١٧.

[6]سورة الأنفال: الآية ١٩، الحاكم: المستدرك ٢/ ٣٥٧،حديث ٣٢٦٤ هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

ابتداء القتال بالمبارزات الفردية:

وَبَدأَ القِتَال بِمُبارَزاتٍ فَردِيَةٍ، فَقَدْ خَرجَ عُتْبَةُ بْنَ رَبِيعَةَ وَولَداهُ الْوَلِيدِ وشَيْبَةُ طَالِبِينَ المُبَارَزَة، وَرَفَضُوا مَبارَزة بَعْض شَبابِ الأَنْصَار الَّذِينَ انْتُدِبُوا لِقتَالِهِمْ، فَأَمَرَ النَبيُّ ﷺ عَمُّهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ ، وعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، و عُبَيْدَةَ ابْن الْحَارِثِ فَبارَزوهُمْ وَقَتَلوهُمْ. وَفِي هَؤلاءِ السِتَّةِ نَزلَ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٢٢) إِنَّ اللهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٢٣) وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾[1] .

مقتلُ عدو الله أبي جهل:

عَنْ عبد الرَّحْمَنِ بن عَوْفٍ أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا وَاقِفٌ فِي الصَّفِّ يَوْمَ بَدْرٍ نَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي، فَإِذَا أَنَا بَيْنَ غُلَامَيْنِ مِنْ الْأَنْصَارِ، حَدِيثَةٍ أَسْنَانُهُمَا، تَمَنَّيْتُ لَوْ كُنْتُ بَيْنَ أَضْلَعَ مِنْهُمَا [2]، فَغَمَزَنِي أَحَدُهُمَا فَقَالَ: يَا عَمِّ، هَل تَعْرِفُ أَبَا جَهْلٍ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، وَمَا حَاجَتُكَ إِلَيْهِ يَا ابْنَ أَخِي؟ قَالَ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ يَسُبُّ رَسُولَ الله ﷺ وَالَّذِي نَفْسِي

---

[1] سورة الحج: الآيات ١٩- ٢٤. ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٢٩٧ الحديث ٣٩٦٦ . ابن كثير: البداية والنهاية٥/ ٩٦.

[2] أضلع منهما: أقوى منهما، أي: تمنيت لو كنت بين أقوى منهما.

بِيَدِهِ لَئِنْ رَأَيْتُهُ لَا يُفَارِقُ سَوَادِي سَوَادَهُ [1] حَتَّى يَمُوتَ الْأَعْجَلُ مِنَّا، قَالَ: فتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَغَمَزَنِي الْآخرُ، فَقَالَ: مِثْلَهَا، قَالَ: فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ نَظَرتُ إلى أبي جَهْلٍ يَزُولُ فِي النَّاسِ [2]، فَقُلْتُ: أَلَا تَرَيَانِ؟ هَذَا صَاحِبُكُمَا الَّذِي تَسْأَلَانِ عَنْهُ، قَالَ: فَابْتَدَرَاهُ فَضَرَبَاهُ بِسَيْفَيْهِمَا، حَتَّى قَتَلَاهُ، ثُمَّ انْصَرَفَا إلى رَسُولِ الله ﷺ فَأَخْبَرَاهُ، فَقَالَ: "أَيُّكُمَا قَتَلَهُ؟ " فَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: أَنَا قَتَلْتُ، فَقَالَ: "هَلْ مَسَحْتُمَا سَيْفَيكُمَا؟ " قَالَا: لَا، فَنَظَرَ فِي السَّيْفَيْنِ، فَقَالَ: "كِلَاكُمَا قَتَلَهُ"، وَقَضَى بِسَلَبِهِ لِمُعَاذِ بن عَمْرِو بن الْجَمُوحِ. وَالرَّجُلَانِ مُعَاذُ بن عَمْرِو بن الْجَمُوحِ وَمُعَـاذُ بن عَفْرَاءَ [3] .وفي لفظ: وَهُمَـا ابْنَا عَفْرَاءَ [4].

الزبير يقتل عُبيدة بن سعيد بن العاص:

عن الزُّبَيْر قال: لَقِيتُ يَوْمَ بَدْرٍ عُبَيْدَةَ بن سَعِيدِ بن الْعَاصِ وَهُوَ مُدَجَّجٌ [5] لَا يُرَى مِنْهُ إِلَّا عَيْنَاهُ، وَهُوَ يُكْنَى أبو ذَاتِ الْكَرِشِ، فَقَالَ: أَنَا أبو ذَاتِ الْكَرِشِ، فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ بِالْعَنَزَةِ [6] فَطَعَنْتُهُ فِي عَيْنِهِ فَمَاتَ [7].

---

[1] أي لا يفارق شخصي شخصه.

[2] يزول بين الناس: أي يتحرك بسرعة شديدة بين الناس في ميدان المعركة.

[3] متفق عليه أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب المغازي :بَاب فَضْلُ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا، ٧٨/٥ ، حديث ٣٩٨٨. صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب استحقاق القاتل سلب القتيل٣/ ١٣٧٢،حديث١٧٥٢ .

[4] معاذ بن عمرو بن الجموح أخو معاذ بن عفراء من أمه، وقد ضبط الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في "الإصابة" ٦/ ١١٣ اسم معاذ بن عمرو بن الجموح فقال: (معوِّذ).

[5] مدججٌ: أي مغطى بالسلاح ولا يظهر منه شيء.

[6] العنزة: الحربة الصغيرة.

[7] صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب المغازي :بَاب شُهُودِ الْمَلَائِكَةِ بَدْرًا٥/ ٨١ ، حديث

مقتل عدو الله أمية بن خلف:

بَعْدَ مَا قَتَلَ أَبْطالُ المُسْلِمينَ فِي بِدايَةِ المَعْرَكَةِ ثَلاثَةً مِنْ أَلَدِّ أَعْداءِ الإِسْلام الَّذِينَ طَالَمَا آذَوا المُسْلِمينَ، وَصَدوا عَنْ سَبيلِ اللهِ وَهمْ شَيْبَةُ وعُتْبَةُ إِبْنَا رَبِيعَةَ، والْوَلِيدِ بْنَ عُتْبَةَ ، وَتَمَكنُوا أَيْضًا فِي وَسَطِ المَعْرَكَةِ مِنْ قَتْلِ صِنْدِيدٍ آخر مِنْ صَناديدِ قُرَيْش وَهوَ أَبُو جَهْلٍ ، أَعَانَهُم اللهُ فِي آخِرِ المَعركة عَلَى قَتْلِ وَاحدٍ مِنْ أَلَدِّ أَعْداءِ الإِسْلام فِي مَكَّةَ، وَأَشَدَّهَا ظُلْماً لِضُعَفاءِ المُسْلِمينَ، وَهوَ أُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ.

عن عبد الرحمن بن عوف قال: كَانَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ لِي صَدِيقًا بِمَكَّةَ، وَكَانَ اسْمِي عَبْدَ عَمْرٍو، فَتَسَمَّيْتُ، حِينَ أَسْلَمْتُ، عَبْدَ الرَّحْمَنِ، وَنَحْنُ بِمَكَّةَ، فَكَانَ يَلْقَانِي إِذْ نَحْنُ بِمَكَّةَ فَيَقُولُ: يَا عَبْدَ عَمْرٍو، أَرَغِبْتَ عَنْ اسْمٍ سَمَّاكَهُ أَبَوَاكَ؟ فَأَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أَعْرِفُ الرَّحْمَنَ، فَاجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ شَيْئًا أَدْعُوكَ بِهِ، أَمَّا أَنْتَ فَلَا تُجِيبُنِي بِاسْمِكَ الْأَوَّلِ، وَأَمَّا أَنَا فَلَا أَدْعُوكَ بِمَا لَا أَعْرِفُ، قَالَ: فَكَانَ إِذَا دَعَانِي: يَا عَبْدَ عَمْرٍو، لَمْ أُجِبْهُ.قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا عَلِيٍّ، اجْعَلْ مَا شِئْتَ، قَالَ: فَأَنْتَ عَبْدُ الْإِلَهِ، قَالَ:فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَكُنْتُ إِذَا مَرَرْتُ بِهِ قَالَ: يَا عَبْدَ الْإِلَهِ فَأُجِيبُهُ، فَأَتَحَدَّثُ مَعَهُ. حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ، مَرَرْتُ بِهِ وَهُوَ وَاقِفٌ مَعَ ابْنِهِ، عَلِيُّ بْنُ أُمَيَّةَ، آخُذُ بِيَدِهِ، وَمَعِي أَدْرَاعٌ ، قَدْ اسْتَلَبْتُهَا، فَأَنَا أَحْمِلُهَا. فَلَمَّا رَآنِي قَالَ لِي:يَا عَبْدَ عَمْرٍو، فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ الْإِلَهِ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: هَلْ لَكَ فِيَّ، فَأَنَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ هَذِهِ الْأَدْرَاعِ الَّتِي مَعَكَ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، هَا اللَّهِ ذَا [1] إِذًا، قال: فَطَرَحْتُ الْأَدْرَاعَ مِنْ يَدِي، وَأَخَذْتُ بِيَدِهِ وَيَدِ ابْنِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ، أَمَا لَكُمْ حَاجَةٌ فِي اللَّبَنِ -أي من أَسَرَنِي افْتَدَيْتُ مِنْهُ بِإِبِلٍ كَثِيرَةِ اللَّبَنِ - ثُمَّ خَرَجْتُ أَمْشِي بِهِمَا ، فقال أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ: يَا عَبْدَ

[1] مما يستعملونه في القسم أن يحذفوا حرف القسم ويذكروا في مكانه (ها) فكأنه قال: نعم والله إذًا.

الْإِلَهِ، مَنْ الرَّجُلُ مِنكُمْ الْمُعْلَمُ بِرِيشَةِ نَعَامَةٍ فِي صَدْرِهِ؟ قَالَ: قُلْتُ: ذَاكَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: ذَاكَ الَّذِي فَعَلَ بِنَا الْأَفَاعِيلَ، قَالَ عبد الرَّحْمَن: فو الله إِنِّي لَأَقُودُهُمَا إِذْ رَآهُ بِلَالٌ مِعَى- وَكَانَ هُوَ الَّذِي يُعَذِّبُ بِلَالًا بِمَكَّةَ عَلَى تَرْكِ الْإِسْلَامِ، فَيُخْرِجُهُ إِلَى رَمْضَاءَ [1] مَكَّةَ إِذَا حَمِيَتْ، فَيُضْجِعُهُ عَلَى ظَهْرِهِ، ثُمَّ يَأْمُرُ بِالصَّخْرَةِ الْعَظِيمَةِ فَتُوضَعُ عَلَى صَدْرِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: لَا تَزَالُ هَكَذَا أَوْ تُفَارِقَ دِينَ مُحَمَّدٍ، فَيَقُولُ بِلَالٌ: أَحَدٌ أَحَدٌ. قَالَ: فَلَمَّا رَآهُ، قَالَ: رَأْسُ الْكُفْرِ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، لَا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا . قَالَ: قُلْتُ: أَيْ بِلَالُ، أَبِأَسِيرَيَّ. قَالَ: لَا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا. قَالَ: قُلْتُ: أَتَسْمَعُ يَا بن السَّوْدَاءِ، قَالَ: لَا نَجَوْتُ إِنْ نَجَا. قَالَ: فَأَحَاطُوا بِنَا حَتَّى جَعَلُونَا فِي مِثْلِ الْمُسْكَةِ[2] وَأَنَا أَذُبُّ عَنْهُ.قَالَ: فَأَخْلَفَ رَجُلٌ السَّيْفَ[3]، فَضَرَبَ رِجْلَ ابْنِهِ فَوَقَعَ، وَصَاحَ أُمَيَّةُ صَيْحَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ. قَالَ: فَقُلْتُ: انْجُ بِنَفْسِكَ، وَلَا نجاء بك فو الله مَا أُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا. قَالَ: فَهَبِرُوهُمَا[4] بِأَسْيَافِهِمْ، حَتَّى فَرَغُوا مِنْهُمَا. قَالَ: فَكَانَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ يَقُولُ: يَرْحَمُ اللَّهُ بِلَالًا، ذَهَبَتْ أَدْرَاعِي وَفَجَعَنِي بِأَسِيرَيَّ[5] .

الملائكة تقاتل مع الفئة المؤمنة :

وَقَدْ ثَبتَ مِنْ نُصُوصِ الْقُرْآنِ الْكَرِيم أَنَّ اللهَ سَبْحانَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَمدَّ الفِئَةَ المُؤمِنَة بِالنَصْرِ، وَبِأَنَّهُ أَمَدهُمْ بِالمَلائِكَةِ الَّذِينَ ثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا فَقاتَلوا مَعَهُم، وَأنه

---

[1] الرمضاء: الرمل الشديد الحرارة من الشمس.

[2] المَسَكَةُ: السوار، أو الأسورة.

[3] أي أخرجه من غمده.

[4] هبروهما: أي قطعوا لحمهما.

[5] حسن: أخرجه ابن هشام في "السيرة" ١/ ٦٣١، ٦٣٢، بأسانيد حسنة إلى عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - وأخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الوكالة، باب إذا وكَّل المسلم حربيًا في دار الحرب أو في دار الإسلام جاز ٣ /٩٨ ، حديث ٢٣٠١.

تَعَالَى أَلْقَى فِي قُلوبِ الَّذِينَ كَفَروا الرُّعْبَ، وَكَما وَردَ عَدداً مِنَ الأحادِيثِ الصَحيحَةِ الَّتِي تُشيرُ إِلى مُشَارَكَةِ المَلائِكَةِ فِي مَعْرَكَةِ بَدْرٍ، وَقِيامِهِمْ بِضَربِ المُشْرِكِينَ وَقَتْلِهِمْ .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: خَفَقَ النَبيُّ ﷺ خَفْقَةً فِي العَرْيشِ ثُمَّ انْتَبَه فَقالَ: " أَبْشِرْ يَا أَبَا بَكْرٍ أَتَاكَ نَصْرُ اللَّه هَذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ يَقُودُهُ عَلَى ثَنَايَاهُ النَّقْعُ "[1]

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِي ﷺ قَالَ يَوْمَ بَدْرٍ: "هَذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ عَلَيهِ أَدَاةُ الْحَرْبِ"[2] وعن ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما أيضًا قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنْ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ، وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصارِيُّ فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: "صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ"[3] وأسر رجل من المسلمين الْعَبَّاسَ بن عبد الْمُطَّلِب، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ هَذَا وَاللهِ مَا أَسَرَنِي، لَقَدْ أَسَرَنِي رَجُلٌ أَجْلَحُ[4] مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا عَلَى فَرَسٍ أَبْلَقَ مَا أُرَاهُ فِي الْقَوْمِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: أَنَا أَسَرْتُهُ يَا رَسُولَ الله فَقَالَ: "اسْكُتْ، فَقَدْ أَيَّدَكَ الله تَعَالَى بِمَلَكٍ كَرِيمٍ"[5] وَفِي ذَلِكَ يَقولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ

---

[1] النقع: الغبار. الغزالي : فقه السيرة ١/ ٢٣٤. ابن هشام : السيرة ١/ ٦٢٧، بدون سند، لكن وصله الأموي من طريق ابن إسحاق، حدثني الزهري، عن عبد الله بن ثعلبة بن صغير، وهذا سند حسن، وسكت عنه ابن كثير: السيرة النبوية ٢/ ٤٢٠.

[2] صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرًا٥/ ٨١، حديث ٣٩٩٥.

[3] صحيح: أخرجه مسلم : كتاب: الجهاد والسير، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم٣/ ١٣٨٣،حديث١٧٦٣.

[4] الأجلح: الذي انحسر شعره عن جانبي رأسه.

[5] صحيح: أخرجه أحمد في مسنده :٢/ ٢٦١،حديث(٩٤٨) وصححه الشيخ أحمد شاكر.

فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [1]أي: مُتَتابِعِينَ ﴿ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [2][3].

انتهاء المعركة وهزيمة المشركين:

اِنتَهت المَعْرَكَة بِهَزِيمَة المُشْرِكِينَ هَزيمَة نَكْرَاء، وَنَصْرٍ كَبِيرٍ للمُسْلِمينَ. عَنِ الْبَرَاء بن عَازِبٍ ﷺ قَالَ: وَكانَ النَّبِي ﷺ وَأَصْحَابُهُ أَصَابُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمِائَةً، سَبْعِينَ أَسِيرًا، وَسَبْعِينَ قَتِيلًا[4]، وَفَرَّ بَاقِي مُقَاتِلَةُ الْمُشْرِكِينَ لَا يَلْوُونَ عَلَى شَيْءٍ ، وَتَرَكُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فِي مَيْدَانِ المَعْرَكَةِ. أما شُهَدَاءُ الْمُسْلِمِينَ فَقَدْ دُفِنُوا فِي أَرْضِ المَعْرَكَةِ، وَكَانَ عَدَدُهُمْ أَرْبَعَةِ عَشَرَ شَهِيدَاً [5].

---

[1] سورة الانفال: الآية ٩.

[2]سورة الانفال: الآية ١٠.

[3] وأما عن حكمة اشتراك الملائكة بهذه الطريقة مع أن جبريل وحده قادر على إهلاكهم بأمر الله، فيوضح السبكي ذلك بقوله: وقع ذلك لإرادة أن يكون الفعل للنبي - صلي الله عليه وسلم - وأصحابه، وتكون الملائكة مددًا على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الأسباب وسنتها التي أجراها الله تعالى في عباده، والله تعالى هو فاعل الجميع. والله أعلم. فتح الباري" ٧/ ٣١٣، في التعليق على الحديث رقم (٣٩٩٥).

[4] صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه :كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرا، ٧٨/٥، حديث ٣٩٨٦.

[5] العمري : السيرة النبوية الصحيحة ٣٦٦/٢. عمدة القارئ شرح صحيح البخاري١١١/١٤. السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني ٢٨٦/١.

بعد انتهاء المعركة:

عن أَنَس بن مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "مَنْ يَنْظرُ لَنَا مَا صَنِعَ أبو جَهْلٍ؟ "، فَانْطَلَقَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَوَجَدَهُ قَدْ ضَرَبَهُ ابْنَا عَفْرَاءَ حَتَّى بَرَكَ، قَال: فَأَخَذَ بِلِحْيَتِهِ، فَقَالَ: آنْتَ أبو جَهْلٍ؟ فَقَالَ: وَهَلْ فَوْقَ رَجُلٍ قَتَلْتُمُوهُ[1]أَوْ قَالَ: قَتَلَهُ قَوْمُهُ، ثم قَالَ أبو جَهْلٍ: فَلَوْ غَيْرُ أَكَّارٍ قَتَلَنِي [2] ومما حدث أيضًا بعد إنتهاء المعركة أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَ يَوْمَ بَدْرٍ بِأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ رَجُلًا مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، فَقُذِفُوا فِي طَوِيٍّ مِنْ أَطْوَاءِ بَدْرٍ خَبِيثٍ مُخْبِثٍ - وَكَانَ إِذَا ظَهَرَ عَلَى قَوْمٍ أَقَامَ بِالْعَرْصَةِ [3] ثَلَاثَ لَيَالٍ -، فَلَمَّا كَانَ بِبَدْرٍ الْيَوْمَ الثَّالِثَ أَمَرَ بِرَاحِلَتِهِ فَشُدَّ عَلَيْهَا رَحْلُهَا، ثُمَّ مَشَى وَاتَّبَعَهُ أَصْحَابُهُ وَقَالُوا: مَا نُرَى يَنْطَلِقُ إِلَّا لِبَعْضِ حَاجَتِهِ حَتَّى قَامَ عَلَى شَفَةِ الرَّكِيِّ [4] فَجَعَلَ يُنَادِيهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِهِمْ: "يَا فُلَانُ بن فُلَانٍ، وَيا فُلَانُ بن فُلَانٍ، أَيَسُرُّكُمْ أَنَكُمْ أَطَعْتُمْ الله وَرَسُولَهُ، فَإِنَّا قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا، فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا" فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ الله مَا تُكَلِّمُ مِنْ أَجْسَادٍ لَا رُوحَ لَهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ"، قَالَ قَتَادَةُ: أَحْيَاهُمْ الله حَتَّى أَسْمَعَهُمْ قَوْلَهُ تَوْبِيخًا وَتَصْغِيرًا وَنَقِيمَةً وَحَسْرَةً وَنَدَمًا [5]

---

[1] أي: لا عار عليَّ في قتلكم إياي . "النووي ": شرح صحيح مسلم ١٢/ ١٦٠.

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب المغازى، باب قتل أبي جهل٥/ ٧٤، حديث ٣٩٦٢.
صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب قتل أبي جهل٣/ ١٤٢٤،حديث١٨٠٠.
قَوْله: (فلَوْ غَيْر أَكَّار قَتَلَنِي؟!!) الْأَكَّار: الزَّرَّاع وَالْفلاَّح، وَهُوَ عِنْد الْعَرَب نَاقِص، وَأَشَارَ أبو جَهْل إِلَى اِبْنَي عَفْرَاء اللَّذَيْنِ قَتَلَاه, وَهُمَا مِنْ الْأَنْصَار، وَهُمْ أَصْحَاب زَرْع وَنَخِيل، وَمَعْنَاهُ: لَوْ كَانَ الَّذِى قَتَلَنِي غَيْر أَكَّار لَكَانَ أَحَبّ إِلَيَّ وَأَعْظَم لِشَأْنِي، وَلَمْ يَكُنْ عَلَيَّ نَقْص فِي ذَلِكَ. "النووي ": شرح صحيح مسلم ١٢/ ١٦٠.

[3] العرصة: أي الساحة, أي أقام بساحة المعركة.

[4] أي: البئر.

[5] متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل٥/ ٧٦، حديث ٣٩٧٦.صحيح مسلم : كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه

ثَمَّ تَحَرَكَ النَبيُّ ﷺ مِنْ بَدرٍ رَاجِعًا إِلى المَدْينَة، حَتّى إِذَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالصّفْرَاءِ قُتِلَ النّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ قَتَلَهُ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، ثُمّ خَرَجَ حَتّى إِذَا كَانَ بِعِرْقِ الظّبْيَةِ قُتِلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي مُعَيْطٍ [1].

وعَنْ عَائِشَةَ – رضي الله عنها – أنها قَالَتْ: لَمَّا بَعَثَ أَهْلُ مَكَّةَ في فِدَاءِ أَسْرَاهُمْ، بَعَثَتْ زَيْنَبُ في فِدَاءِ أبي الْعَاصِ بِمَالٍ، وَبَعَثَتْ فِيهِ بِقِلَادَةٍ لَهَا كَانَتْ عِنْدَ خَدِيجَةَ أَدْخَلَتْهَا بِهَا عَلَى أبي الْعَاصِ قَالَتْ: فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ الله ﷺ رَقَّ لَهَا رِقَّةً شَدِيدَةً، وَقَالَ: "إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا"، قَالُوا: نَعَمْ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ أَخَذَ عَلَيْهِ، أَوْ وَعَدَهُ، أَنْ يُخَلِّيَ سَبِيلَ زَيْنَبَ إِلَيْهِ [2].

وَكَانَ النَبيُّ ﷺ لَمَّا فَرِغَ مِنْ بَدْرٍ– قَدْ أَرْسلَ بَشْيرَينِ إِلى أَهْلِ المَدينَة، بَعثَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ إِلى أَهْلِ السَّافِلَة، وَبعثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ إِلَى أَهلِ العَالِيةِ يُبَشِروَنَهُم بِفَتحِ اللهِ عَلَى نَبيهِ ﷺ ، فَوَافقَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ ابنه أُسَامَةَ حِينَ سَوَّى التُّرَابَ عَلَى رُقْيَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَقِيلَ لَهُ: ذَاكَ أَبُوكَ حِينَ قَدِمَ، قَالَ أُسَامَةُ: فَجِئْتُ وَهُوَ وَاقِفٌ لِلنَّاسِ، يَقُولُ: قُتِلَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ، وَنَبِيُّهُ وَمُنَبِّهٌ وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، فَقُلْتُ: يَا أَبَتِ، أَحَقٌّ هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ[3].وقسَّم النَبيُّ ﷺ الغَنائِم عَلَى الصحابة رَضِوَان اللَّهُ عَلْيهُمْ .

عَنْ عُبَادَةَ بن الصَّامِتِ ﷺ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِي ﷺ، فَشَهِدْتُ مَعَهُ بَدْرًا،

وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه٤/٢٢٠٣،حديث٢٨٧٤.

[1] "سيرة ابن هشام" ١/ ٦٤٤.

[2] حسن: أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الجهاد، باب فداء الأسير بالمال،٤/٣٢٨،حديث(٢٦٩٢) وحسنه الألباني.

[3] حسن: أخرجه الحاكم في مستدركه :٣/٢٤٠،حديث (٤٩٥٩)، وقال الحاكم: على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

فَالْتَقَى النَّاسُ فَهَزَمَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْعَدُوَّ، فَانْطَلَقَتْ طَائِفَةٌ فِي آثَارِهِمْ يَهْزِمُونَ وَيَقْتُلُونَ، فَأَكَبَّتْ طَائِفَةٌ عَلَى الْعَسْكَرِ يَحُوزُونَهُ وَيَجْمَعُونَهُ، وَأَحْدَقَتْ طَائِفَةٌ بِرَسُولِ الله - ﷺ لَا يُصِيبُ الْعَدُوُّ مِنْهُ غِرَّةً، حَتَّى إِذَا كَانَ اللَّيْلُ وَفاءَ النَّاسُ بَعْضهُمْ إِلى بَعْضٍ، قَالَ الَّذِينَ جَمَعُوا الْغَنَائِمَ: نَحْنُ حَوَيْنَاهَا وَجَمَعْنَاهَا، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهَا نَصِيبٌ، وَقَالَ الَّذِينَ خَرَجُوا فِي طَلَبِ الْعَدُوِّ: لَسْتُمْ بِأَحَقَّ بِهَا مِنَّا نَحْنُ أَحْدَقْنَا بِرَسُولِ الله ﷺ، وَخِفْنَا أَنْ يُصِيبَ الْعَدُوُّ مِنْهُ غِرَّةً، وَاشْتَغَلْنَا بِهِ، فَنَزَلَتْ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [1] فَقَسَمَهَا رَسُولُ الله ﷺ عَلَى فَوَاقٍ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ[2].

وَحدثَ أَيضًا كَما يَقُولُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ: جِئْتُ إِلى النَّبِي ﷺ يَوْمَ بَدْرٍ بِسَيْفٍ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ الله قَدْ شَفَى صَدْرِي الْيَوْمَ مِنْ الْعَدُوِّ، فَهَبْ لِي هَذَا السَّيْفَ، قَالَ: "إِنَّ هَذَا السَّيفَ لَيسَ لِي وَلَا لَكَ"، فَذَهَبْتُ وَأَنَا أَقُولُ: يُعْطَاهُ الْيَوْمَ مَنْ لَمْ يُبْلِ بَلَائِي! فَبَيْنَا أَنَا إِذْ جَاءَنِي الرَّسُولُ ﷺ، فَقَالَ: "أَجِبْ"، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ نَزَلَ فِيَّ شَيءٌ بِكَلَامِي، فَجِئْتُ فَقَالَ لِي النَّبِي ﷺ: "انَّكَ سَأَلْتَنِي هذَا السَّيفَ، وَلَيْسَ هُوَ لِي وَلَا لَكَ، وَإِنَّ الله قَدْ جَعَلَهُ لِي، فَهُوَ لَكَ" ثمَّ قَرَأَ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [3][4].

---

[1] سورة الانفال: الآية ١.

[2] صحيح: أخرجه أحمد في مسنده: ٣٧/ ٤٢٢، حديث(٢٢٧٦٢) بإسناد صحيح.

[3] سورة الانفال: الآية ١.

[4] صحيح: أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب الأنفال٣/١٣٦٧،حديث١٧٤٨. وأبو داود (٢٧٤٠)، كتاب: الجهاد، باب: في النفل.

اسرى قريش:

فَعنْ عُمَرَ ﷺ قال: فَلَمَّا أَسَرُوا الْأُسَارَى، قَالَ رسُولُ الله ﷺ لِأبي بَكْرٍ وَعُمَرَ: "ما تَرَوْنَ في هَؤُلَاءِ الْأُسَارَى؟ " فَقَالَ أبو بَكْرٍ: يَا نَبِي الله هُمْ بنو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذَ منهُمْ فِدْيَةً فتكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ، فَعَسَى الله أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ :"مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ "، قُلْتُ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ الله مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أبو بَكْرٍ، وَلَكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَّا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ، فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنَّي مِنْ فُلَانٍ -نَسِيبًا لِعُمَرَ- فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، فَهَوِيَ رَسُولُ الله ﷺ مَا قَالَ أبو بَكْرٍ، وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ الله ﷺ وَأبو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ، فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاء بَكَيتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : "أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخذِهمْ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ" - شَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْ نَبِي الله ﷺ وَأَنْزَلَ الله ﷻ: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قَوْلِهِ: ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ [1]فَأَحَلَّ الله الْغَنِيمَةَ لَهُمْ [2]. فَفَدَى النَبيُّ ﷺ الأُسَارَى بِمَالٍ.

وَجَاء فِي بَعْضِ الرِوَايَاتْ أَنَّ قَدرْ الفِديَة كَانَ أَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ [3].

---

[1] سورة الانفال: الآيتان ٦٧-٦٩.

[2] صحيح: أخرجه مسلم : كتاب: الجهاد والسير، باب: الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم٣/١٣٨٣،حديث١٧٦٣.

[3] كَانَ فِي الْأَسْرَى: أَبُو وَدَاعَةَ بْنُ صُبَيْرَةَ السَّهْمِيُّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " إِنَّ لَهُ بِمَكَّةَ ابْنًا تَاجِرًا كَيِّسًا ذَا مَالٍ، كَأَنَّكُمْ قَدْ جَاءَكُمْ فِي فِدَاءِ أَبِيهِ ". فَلَمَّا قَالَتْ قُرَيْشٌ فِي الْفِدَاءِ مَا قَالَتْ، قَالَ الْمُطَّلِبُ: صَدَقْتُمْ، وَاللَّهِ لَئِنْ فَعَلْتُمْ لَيَتَأَرَّبَنَّ عَلَيْكُمْ. ثُمَّ انْسَلَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ فَفَدَى أَبَاهُ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ».رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ.أنظر، الهيثمي: "مجمع الزوائد" ٦/ ٩٠،حديث ١٠٠٢١. عماد الدين خليل :دراسة

وعن أَنَس بن مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رِجَالًا مِنْ الْأَنْصَارِ اسْتَأْذَنُوا رَسُولَ الله ﷺ فَقَالُوا: ائْذَنْ لَنَا فَلْنَتْرُكْ لِابْنِ أُخْتِنَا عَبَّاسٍ فِدَاءَهُ، قَالَ: وَاللهِ لَا تَذَرُونَ مِنْهُ دِرْهَمًا [1].وقال النَّبِي ﷺ في أُسَارَى بَدْرٍ: "لَوْ كَانَ الْمُطعِمُ بن عَدِيٍّ حَيا ثُمَّ كَلَّمَنِي في هَؤُلَاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ"[2].

في السيرة ، ص١٥٢.

[1] صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرًا٥/٨٥، حديث ٤٠١٨.

[2] صحيح: أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب المغازي، باب شهود الملائكة بدرًا ٥/٨٦، حديث ٤٠٢٤. قال النبي – صلي الله عليه وسلم – ذلك وفاءً للمطعم، فالمطعم كان ممن مزقوا صحيفة قريش الجائرة وأخرجوا النبي – صلي الله عليه وسلم – من شعب أبي طالب، وأيضًا هو الذي أدخل النبي – صلي الله عليه وسلم – مكة في جواره بعد عودته من الطائف.

المبحث الثاني

المستفاد من أحداث غزوة بدر

المستفاد من الآيات التي نزلت بشأن غزوة بدر :

١ – إصلاح ذات البين وتوحيد الصف، ورفع النزاع والخصومة بين المؤمنين من أولى مقومات النصر ولوازمه، والتفرق والتنازع من أعظم مسببات الضعف والفشل، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [١].

٢ – لا بد من الإعداد المادي والمعنوي لمواجهة العدو [٢]،قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [٣].

٣ – عوامل النصر على الكفار، وهي: أ–الثبات .ب– دوام الأتصال بالله بدوام ذكره . ت– عدم التنازع والاختلاف . ث– الصبر .ج– اخلاص العمل لله، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

---

[١] سورة الانفال: الآية ١ .

[٢] الغضبان، منير محمد: فقه السيرة النبوية، ص٤٦١، ٤٦٢.

[٣] سورة الأنفال: الآية ٦٠ .

٤- النصر ابتداء وانتهاء، بيد الله عز وجل، وليس ملكًا لأحد من الخلق، يهبه الله لمن يشاء ويصرفه عمن يشاء، مثله مثل الرزق، والأجل والعمل .قال تعالى : ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١].

٥- من أعظم أسرار النصر أن تأتي قوة الترابط بين المؤمنين والمحبة فيما بينهم والتآلف بين قلوبهم بعد قوة الإيمان، وهذه منَّةٌ من الله ،قال تعالى :﴿ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[٢].

٦- سلاح الرعب من أقوى الأسلحة التي يتحقق بها الغلبة على الأعداء، وهذا السلاح إذا سرى في أقوى الجيوش وأعتاها، فإنه ينهار ولا يغني عنه لا عدد ولا عتاد، وهذا السلاح لا يملك خزائنه إلا من يقدر على الوصول إلى القلب الذي هو محلّ التثبيت والخوف والهلع. فسلاح الرعب سلاح ينفذ إلى أعماق القلوب، فيسلب من أصحابها العقلَ والحسَّ، ويجعلها في حالة من الذهول واللاوعي، قال تعالى : ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾[٣]

٧- يجب على المسلمين أن يأخذوا بالأسباب، لكن يجب أن لا يغتروا بها، وأن يكون اعتمادهم على خالق الأسباب حتى يمدهم الله بنصره وتوفيقه، وأن النصر الذي كان في بدر، إنما كان في الحقيقة بتوفيق الله أولاً وبفضله ومعونته، قال تعالى :

---

[١] سورة الأنفال: الآية ١٠ .
[٢] سورة الانفال: الآية ٦٣.
[٣] سورة الانفال: الآية ١٢.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1] .

٨- وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم . لقد كان الذين خرجوا للمعركة من المسلمين إنما خرجوا يريدون عير قريش يريدون قافلة وغنيمة ورحلة مريحة، فأراد الله لهم غير ما أرادوا، أرادها أن تكون معركة وقتالاً وقتلاً وأسرًا، وقد قال الله سبحانه: إنه صنع هذا (لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ) وإن الحق لا يحق وإن الباطل لا يبطل -في المجتمع الإنساني- إلا بأن يتحطم سلطان الباطل ويعلو سلطان الحق، وذلك لا يتم إلا بأن يغلب جند الحق ويظهروا ويهزم جند الباطل ويندحروا، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾[2].

٩- نقص العدد والعدة ليس هو سبب الهزيمة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[3].

المستفاد من مشاركة النبي ﷺ أصحابه متاعبهم يوم بدر:

عند خروج النبي ﷺ مع المسلمين للتصدي إلى عير قريش، وكان مع المسلمين (٧٠) بعيراً مما اضطرهم على أن يتعاقب على ركوب البعير كل ثلاثة أو أربعة، وقد سرى هذا الترتيب على رسول الله ﷺ فلم يختص ببعير لنفسه بل كان ثالث ثلاثة

---

[1] سورة الانفال: الآية ١٧ .

[2] سورة الانفال: الآيتان ٧-٨.

[3] سورة آل عمران : الآية ١٢٣ .

يتعاقبون على بعير واحد، ولما عرض عليه اللذان كانا معه أن يبقى راكباً ويكفياه مؤنة المشي رفض ذلك،

إن مثل هذه المشاركة تقوي الصلة بين القائد واتباعه وتجد الناس فيه الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة والتطبيق العملي لمعاني الدعوة، فعلى ولي الأمر أو القائد أو المسؤول أن يشارك أصحابه في متاعبهم، لأن هذه المشاركة تقوي الصلة بهم، ويكون هذا الصنيع من المسؤول دعوة صامتة، يجد الناس فيه الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة، فكم من صامت أبلغ من متكلم أو خطيب[1].

المستفاد من استكشاف النبي ﷺ لأحوال العدو :

الدعوة الإسلامية لها خصومها وأعداؤها في كل زمان ومكان، فعلى العاملين في الحقل الإسلامي استكشاف أحوال هؤلاء الخصوم والأعداء لأخذ الوقاية من شرورهم، وقد رأينا كيف أن النبيﷺ ومعه أبو بكر رضي الله عنه قاما باستكشاف أحوال المشركين، ويقوم بهذا الاستكشاف جميع الأفراد العاملين في الحقل الإسلامي ويستفاد من ذلك أيضاً :ـ

١- أهمية معرفة أحوال العدو والتجسس عليه وتتبع أخباره واستنتاج أحواله واستعداده، فقد سأل عن منزل قريش وعددها وزعمائها وأبطالها، وأرسل العيون لذلك وسأل من لم يكن على علم بما يدور ليكون أقرب إلى الصواب وأبعد عن الشبهة، وقام بنفسه ومعه صاحبه أبو بكر ببعض هذه المهام ليكون ذلك درساً لكل قائد عسكري، كي لا يكون اعتماده كله على عيونه وجواسيسه.. ولأن نظر القائد

---

[1] عبد الكريم زيدان : المستفاد من قصص القرآن ٢/١٤٦.

أبعد من نظر من دونه، وحرصه أشد من حرص غيره، وليكون كل جندي عيناً على عدوه يعرف كل ما يستطيع معرفته عنه، ويواصل أخباره ويكشف تحركاته ومؤامراته.

٢- جواز إرسال الجواسيس وبث العيون والتعمية على العدو بكل وسيلة ممكنة فقد قطع أجراس الإبل ليبقي تحرك الجيش سرا عسكريا، وجواز استعمال المعاريض وخصوصاً في وقت الحرب خروجا من الكذب كقوله صلى الله عليه وسلم نحن من ماء جوابا لمن سأله ممن أنتما؟

المستفاد من مشورة الحباب بن المنذر :

إن الحرية التي ربَّى عليها رسول الله ﷺ أصحابه مكنت مجتمعهم من الاستفادة من عقول جميع أهل الرأي السديد والمنطق الرشيد، فالقائد فيهم ينجح نجاحًا باهرًا، وإن كان حديث السن؛ لأنه لم يكن يفكر برأيه المجرد، أو آراء عصبة مهيمنة عليه قد تنظر لمصالحها الخاصة قبل أن تنظر لمصلحة المسلمين العامة، وإنما يفكر بآراء جميع أفراد جنده، وقد يحصل له الرأي السديد من أقلهم سمعة وأبعدهم منزلة من ذلك القائد؛ لأنه ليس هناك ما يحول بين أي فرد منهم والوصول برأيه إلى قائد جيشه[١].

ونلحظ عظمة التربية النبوية التي سرت في شخص الحباب بن المنذر، فجعلته يتأدب أمام رسول الله ﷺ فتقدم دون أن يُطلب رأيه، ليعرض الخطة التي لديه، لكن هذا تم بعد السؤال العظيم الذي قدمه بين يدي الرسول ﷺ. يا رسول الله، أرأيت

---

[١] الحميدي: التاريخ الإسلامي ٤/ ١١٠.

هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ إن هذا السؤال ليشي بعظمة هذا الجوهر القيادي الفذ الذي يعرف أين يتكلم ومتى يتكلم بين يدي قائده، فإن كان الوحي هو الذي اختار هذا المنزل، فلأن يقدم فتقطع عنقه أحب إليه من أن يلفظ بكلمة واحدة، وإن كان الرأي البشري فلديه خطة جديدة كاملة باستراتيجية جديدة.

وتبدو عظمة القيادة النبوية في استماعها للخطة الجديدة، وتبني الخطة الجديدة المطروحة من جندي من جنودها أو قائد من قوادها[1].

إن هذه النفسية الرفيعة، عرفت أصول المشورة، وأصول إبداء الرأي، وأدركت مفهوم السمع والطاعة، ومفهوم المناقشة، ومفهوم عرض الرأي المعارض لرأي سيد ولد آدم، عليه الصلاة والسلام.

المستفاد من خطة الرسول ﷺ بجعل القتال بنظام الصفوف:

١- لإرهاب الأعداء ودلالة على حسن وترتيب النظام عند المسلمين.

٢- جعل القوة الاحتياطية بيد القائد الأعلى ﷺ يعالج بها المواقف المفاجئة في صد هجوم معاكس، أو ضرب كمينٍ غير متوقع، ويستفاد منه في حماية الأجنحة من خطر المشاة والفرسان، ويعد تطبيق هذا الأسلوب لأول مرة في غزوة بدر سبقًا عسكريًا تميزت به المدرسة العسكرية الإسلامية على غيرها منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان[2].

---

[1] الغضبان: التربية القيادية ٣/٢١.

[2] محمود شيت خطاب: الرسول القائد، ص١١١، ١١٦، ١١٧.

المستفاد من قصة سواد بن غَزِيّة ﷺ :

يستفاد من قصة سواد بن غزية :

١- حرص الإسلام على النظام.

٢- العدل المطلق: فقد أعطى رسول الله ﷺ القود من نفسه.

٣- حب الجندي لقائده.

٤- تذكر الموت والشهادة.

٥- جسد رسول الله ﷺ مبارك، ومسه فيه بركة، ولهذا حرص عليها سواد.

٦- بطن الرجل ليس بعورة بدليل أن النبي ﷺ كشف عنه ولو كان عورة لما كشف عنه[١].

المستفاد من قتال الابن لأبيه والأخ لأخيه في غزوة بدر:

رسمت غزوة بدر لأجيال الأمة صورًا مشرقة في الولاء والبراء، وجعلت خطًا فاصلاً بين الحق والباطل، فكانت الفرقان النفسي والمادي والمفاصلة التامة بين الإسلام والكفر، وفيها تجسدت هذه المعاني، فعاشها الصحابة واقعًا ماديًّا وحقيقة نفسية، وفيها تهاوت القيم الجاهلية، فالتقى الابن بأبيه والأخ بأخيه:

١- كان أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة في صف المسلمين، وكان أبوه عتبة وأخوه الوليد وعمه شيبة في صف المشركين، وقد قتلوا جميعًا في المبارزة الأولى.

---

[١] محمد أبو فارس، غزوة بدر الكبرى، ص٥٢.

٢- كان أبو بكر الصديق في صف المسلمين.. وكان ابنه عبد الرحمن في صف المشركين.

٣- كان مصعب بن عمير حامل لواء المسلمين، وكان أخوه أبو عزيز بن عمير في صف المشركين، ثم وقع أسيرًا في يد أحد الأنصار، فقال مصعب للأنصاري: شد يدك به فإن أمه ذات متاع، فقال أبو عزيز: يا أخي هذه وصيتك بي؟ فقال مصعب: إنه أخي دونك، تلك كانت حقائق وليس مجرد كلمات: إنه أخي دونك[١]، إنها القيم المطروحة لتقوم الإنسانية على أساسها، فإذا العقيدة هي آصرة النسب والقرابة وهي الرباط الاجتماعي[٢].

٤- كان شعار المسلمين في بدر (أَحَدٌ، أَحَدٌ) وهذا يعني أن القتال في سبيل عقيدة تتمثل بالعبودية للإله الواحد، فلا العصبية ولا القبلية، ولا الأحقاد والضغائن، ولا الثأر هو الباعث والمحرك، ولكنه الإيمان بالله وحده.

المستفاد من رفض النبي ﷺ الموافقة على قبول طلب المشرك:

في غزوة بدر - في الأحداث التي سبقتها- أراد مشرك أن يلحق بجيش المسلمين، وطلب من النبي ﷺ الموافقة على قبوله معهم، والاشتراك فيما هم ذاهبون إليه فقال ﷺ: «ارجع فلن أستعين بمشرك»[٣] فالحديث يبين أن القاعدة والأصل عدم الاستعانة بغير المسلم في الأمور العامة، ولهذه القاعدة استثناء، وهو جواز الاستعانة بغير المسلم بشروط معينة وهي:

---

[١] ابن كثير : البداية والنهاية ١٩١/٥.

[٢] الشامي : معين السيرة، ص٢١٣.

[٣] العمري: السيرة النبوية الصحيحة ٣٥٥/٢.

١. تحقق المصلحة، أو رجحانها بهذه الاستعانة.

٢ـ ألا يكون ذلك على حساب الدعوة ومعانيها.

٣. أن يتحقق الوثوق الكافي بمن يستعان به.

٤. أن يكون تابعًا للقيادة الإسلامية، لا متبوعًا، ومقودًا فيها لا قائدًا لها.

٥ـ ألا تكون هذه الاستعانة، مثار شبهة لأفراد المسلمين.

٦ـ أن تكون هناك حاجة حقيقية لهذه الاستعانة وبمن يستعان به. فإذا تحققت هذه الشروط جازت الاستعانة على وجه الاستثناء، وإذا لم تتحقق لم تجز الاستعانة. وفي ضوء هذا الأصل رفض رسول الله ﷺ اشتراك المشرك مع المسلمين في مسيرهم إلى عير قريش إذ لا حاجة به أصلاً، وفي ضوء الاستثناء وتحقق شروطه استعان النبي ﷺ بالمشرك عبد الله بن أريقط الذي استأجره النبي ﷺ وأبو بكر في هجرتهما إلى المدينة؛ ليدلهما على الطريق إليها.. وضبط هذه القاعدة مع فهم شروط الاستثناء في واقع الحياة يحتاج إلى فقه دقيق وإيمان عميق[1].

المستفاد من بناء عريش للرسول ﷺ يوم بدر:

١- يحتاج قائد الجيش إلى وضع الخطط النافعة للمعركة في ضوء المعلومات التي ترد إليه عن أحوال العدو وأحوال جنده ؛ ولذلك فهو يحتاج إلى محل آمن وراحة بال، وصفاء فكر، وهدوء، وطول تأمل، واستشارة من هم عنده من أهل الشورى، ولا يمكنه ذلك إذا زج نفسه في المعركة وشارك جنوده مشاركة فعلية ودائمة في جهادهم القتالي، لذلك لا بد أن يكون مكان القيادة مشرفًا على أرض

[1] عبد الكريم زيدان : المستفاد من قصص القرآن ٢/ ١٤٤.

المعركة، يتمكن القائد فيه من متابعة المعركة وإدارتها.

٢- ينبغي أن يكون مقر القيادة آمنًا بتوافر الحراسة الكافية له.

٣- ينبغي الاهتمام بحياة القائد، وصونها من التعرض لأي خطر.

٤- ينبغي أن يكون للقائد قوة احتياطية أخرى تعوض الخسائر التي قد تحدث في المعركة[١].

المستفاد من مشاورة الرسول ﷺ لأصحابه :

مبدأ الشورى من أهم مقومات نظام الحكم في الإسلام، به نطق القرآن، وجاءت به السنة، وأجمع عليه الفقهاء، وهو حق للأمة وواجب على الخليفة، جاء في تفسير القرطبي «قال ابن عطية : والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب»[٢] فلا بقاء لحاكم مستبد في دولة الإسلام . إن المشاورة سبيل معرفة الرأي الصواب لأن كل مستشار يظهر رأيه ووجهة هذا الرأي ومدى فائدته، وبعرض هذه الآراء ومناقشتها يظهر الصواب غالباً، كما أن بالمشاورة استفادة بلا جهد من خبرات الآخرين وتجارهم التي اكتسبوها في سنين طوال وبجهود وتضحيات، كما أن المشاورة عصمة لولي الأمر من الإقدام على أمور تضر بالأمة ولا يشعر هو بضررها، ولا سبيل إلى إصلاح الضرر بعد وقوعه، ولا يرفعه كونه حسن النية . والمشاورة مع الأمة تجري في شؤون الدولة المختلفة وفي الأمور الشرعية الاجتهادية التي لا نص فيها، أي أن

---

[١] محمد أبو فارس: غزوة بدر الكبرى، ص٦٦.

[٢] تفسير القرطبي: ٤/٢٤٩.

رئيس الدولة يستشير في أمور الدين والدنيا كما يقول الفقهاء، فقد جاء في تفسير الجصاص «الاستشارة تكون في أمور الدنيا وفي أمور الدين التي لا وحي فيها »[1]، والمشاورة في أمور الدنيا أي في شؤون الدولة المهمة منها مثل تسيير الجيوش وإعلان الحرب وعقد المعاهدات وإسناد المناصب المهمة في الدولة إلى مستحقيها ونحو ذلك، فلا تكون المشاورة في كل شيء من شؤون الدولة حتى في صغائرها وجزئياتها، فإن هذا غير ممكن ولا مطلوب ولا حاجة إليه ولا منفعة فيه ولا دليل عليه .

المستفاد من إرجاع النبي ﷺ البراء بن عازب وعبد الله بن عمر :

١ـ ردّ رسول الله ﷺ صغار السن خشية ألا يكون لهم صبر على ضرب السيوف، ورمي السهام، وطعن الرماح، فيفروا من المعركة إذا حمي الوطيس، فيحدث فرارهم خلخلة في صفوف المسلمين[2].

٢ـ عدم الاستعجال في إناطة الأعمال الإسلامية وخصوصاً الجهادية إلى من لا تتحقق فيهم القدرة الحقيقية على القيام بهذه الأعمال، وعلى القدرة الخاصة بالعمل المرغوب فيه والمراد تكليف الراغب فيه به [3].

---

[1] احكام القرآن للجصاص: ٢/ ٤٠.

[2] عرجون، محمد الصادق : محمد رسول الله ﷺ ٣/ ٥٧١.

[3] عبد الكريم زيدان : المستفاد من قصص القرآن ٢/ ١٤٤.

الفصل الثالث

غـزوة أحـد

تمهيد

وَقَعتْ غَزْوَةِ أُحُدٍ فِي الْخَامِسَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ شَوَّالٍ من السّنة الثَّالِثَة مِنَ الْهِجْرَة بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَقُرَيْشٍ، كَانَ النَصْرُ فِيْهَا أَولاً، وَكَانتْ الهَزيمَة ثَانِيَاً، وَكَانَ اِلانْتِصَار الكَبْير بَعدَ النَصْرِ وَالهَزيمَةِ . كَانتْ تَمْحِيصَاً لِلنُفوسِ وَتَمْيِيزَاً لِلصُفوفِ وَانْطَلَقَ الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ ذَلِكَ وَقدْ تَحَرروا مِنْ كَثْيرٍ مِنْ ضَبابِيَةِ التَصَورِ وَتَأججِ المَشاعِرْ، وَذَلِكَ بِانْخِذَالِ الْمُنَافِقِينَ ، وَوضُوح سِمَات الصِدْقِ فِي القَولِ وَالعَملِ، وَفِي الشُعْورِ وَالسُلوكِ، وَلِغَرَضْ التَعَرُف عَلَى أَهَمِ أَحْداثِ غَزْوَةِ أُحُدٍ وَالأُمُورِ المُسْتَفَادَةِ مِنْهَا فَقدْ رَأَيْت تَقْسِيْم هَذَا الفَصْلِ إِلَى مَبْحَثَيْنِ وَعَلَى النَحْوِ التَالِي :

المَبْحَث الأَوْلَ : أَحْدَاث غَزْوَةِ أُحُدٍ.

المَبْحَثْ الثَانِيْ : المُسْتَفَاد مِنْ أَحْداثِ غَزْوَةِ أُحُدٍ.

المبحث الأول

أحداث غزوة أحد

أسباب قيام غزوة أحد:

تَعودْ أَسْبَاب هَذِه المَعْرَكَة إِلَى جُمْلَةٍ مِنَ الأسْبَابِ المُتَدَاخِلَة، أَبرَزُهَا رَغْبَةَ قُرَيْش فِي الانْتِقَامِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لِقَتْلاهَا يَوْمَ بَدْرٍ حَيْثُ كَانَتْ قَدْ فَقَدتْ صَنادِيد رِجَالهَا وَلَحِقَ بِهَا عَارُ الهَزِيمَةِ المُنْكَرةِ إِضَافَةً إِلى مَا فَقَدَتْهُ مِنْ أَمْوَالهَا الَّتِي غَنمَتْ، وَمَكانَتَهَا الَّتِي تَهَاوَتْ وَسَمْعَتَها الَّتِي مُرِغَتْ فِي الوَحْلِ[1] . يُضَافُ إِلَى ذَلِكَ مَا كَانَ يَشْعُر بِه زُعَمَاء قُرَيْش مِنْ أَخْطَار تُهَدِدَهُمْ وَتِجَارَتِهِمْ الَّتِي كَادَتْ أَنْ تَتوَقَفَ مَعَ بِلادِ الشَّامِ بَعدَ أَنْ تَحكمَ المُسْلِمونَ فِي كَافَةِ طُرُقِ التِجَارَةِ الدَاخِلِيّة وَالسَاحِلِيّة، وَخَاصَةً بَعدَ أَنْ فَقَدُوا أَمَلَهمْ الأَخْير فِي سُلوكِ طَرِيقِ العِرَاقِ، وَمَا جَرَى فِي سَرِيَّةِ الْقَرَدَةِ حِينَ غَنِمَ المُسْلِمُونَ تِجَارَتَهمْ وَعِيرَهُمْ وَقَطَعُوا عَلَيْهِمْ آخِرَ طَرِيقٍ كَانُوا يُؤَمِّلُونَهُ لاسْتِمْرارِ سَيْر تِجَارَتِهِمْ [2]. هَذَا إِلى جَانِبِ تَعَنُتْ قُرَيْش وإِصْرارِهَا عَلَى دِينِ الآبَاءِ وَالأَجْدادِ وَمُقَاوَمَتهَا التَوْحِيد، وَحِقْدَها التَارِيخِي عَلَى الرَسُولِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ أَفْلَتُوا مِنْ قَبْضَتِهَا، فَأَصْبَحُوا لَهَا نِدّاً يُنَاصِبُونَها العَداءَ وَيَقْطَعُونَ عَلَيْهَا سُبُلَ حَيَاتِهَا.

إكمال إعداد جيش قريش :

كَانَتْ اِسْتِعْدَادَات قُرَيْش لِحَرْبِ الْمُسْلِمِينَ قَدْ بَدأَتْ مُبَكِرَة فِي أَعْقَابِ هَزِيْمَتِها

---

[1] ابن إسحاق: السيرة والمغازي ص٣٢٢. ابن هشام: السيرة ٢/ ٦٠. الواقدي: المغازي ١/ ١٩٩. ابن سعد: الطبقات ٢/ ٣٧.

[2] ابن هشام: السيرة ٢/ ٦٠. ابن كثير: البداية والنهاية ٥/ ٣٣٩. ابن سعد: الطبقات ٢/ ٣٦.

فِي بَدْرٍ، فَقَدْ رَصَدُوا أَمْوَال تِجارَتِهِمْ الَّتِي تَمْكِن أَبُو سُفْيَانَ مِنَ الإفْلاتِ بِهَا قُبَيْلَ مَعْرَكَةِ بَدْرٍ مع أَرْبَاحَهَا لِتَجْهِيزِ جَيْشِ الثَّارِ [١] ، وَجَمَعَتْ ثَلَاثَةِ آلَافِ مُقَاتِلٍ مِنْ أَبْنَائِهَا وَحُلَفَائِهَا مِنْ كِنَانَة وَأَهْلِ تِهامَة [٢] ، بَيْنَهُمْ مِائَتَا فَارِسٍ و سَبْعُمِائَةِ دَارِعٍ [٣] ، وَجعلَتْ عَلَى قِيادَةِ الْمَيْمنَة خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، وَعلَى الْمَيْسرَة عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ [٤] ، وَصَاحَبَ الجَيْشَ عَدَدٌ مِنْ نِساءِ قُرَيْش لِغَرَضِ إِثَارَةِ الحَمَاسِ وَمَنع الْمُقَاتِلِينَ مِنَ التَفْكِيرِ بِالفِرارِ خَشْيَةَ العَارِ [٥] .

النبي ﷺ يشاور أصحابه:

رَأى النَّبيُ ﷺ رُؤْيَا مَنامِيَة قَبْلَ عِلْمِهِ بِقُدومِ الْمُشْرِكِينَ ، وَقَصَّهَا عَلَى أَصْحَابِه- رضوان الله عليهم- فقَالَ ﷺ:« رَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا فَانْقَطَعَ صَدْرُه فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ أُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مما كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ بِهِ الله مِنْ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَأَيْتُ فِيهَا بَقَرًا وَاللهُ خَيْرٌ، فَإِذَا هُمْ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ أُحُدٍ» [٦].وَفِي رِوَايَة: « وَرَأَيْتُ أَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ فَأَوَّلْتُهَا الْمَدِينَةَ» [٧].ثُمَّ أُخْبِرَ النَّبِيَّ ﷺ بِقُدومِ الْمُشْرِكِينَ فَجمَعَ أَصْحَابَه وَشَاوَرهُم فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي

---

[١] ابن هشام: السيرة ٢/ ٦١.الواقدي: المغازي ١/ ٢٠٠. ابن إسحاق: السيرة والمغازي ص ٣٢٢،

[٢] ابن هشام: السيرة ٢/ ٦٢. الواقدي: المغازي ١/ ١٠١.

[٣] ابن هشام: السيرة ٢/ ٦٦. الطبري:تاريخ ٢/ ٦١.من رواية الواقدي.

[٤] ابن هشام: السيرة ٢/ ٦٦. الطبري: تاريخ ٢/ ٦١.

[٥] ابن هشام: السيرة ٢/ ٦٢ برواية ابن إسحاق دون إسناد. الطبري: تاريخ ٢/ ٥٩. الواقدي: المغازي ١/ ٢٠١. ابن سعد: الطبقات ٢/ ٣٧.

[٦] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب من قتل من المسلمين يوم أحد٥/١٠٢ ، حديث ٤٠٨١. صحيح مسلم : كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي – صلى الله عليه وسلم ٤/١٧٧٩، حديث٢٢٧٢.

[٧] صحيح: مسند الامام احمد ٤/٢٥٩ ، حديث ٢٤٤٥. سنن الدارمي ٢/ ١٣٨٧،حديث ٢٢٠٥. الحاكم: المستدرك ٢ / ١٤١، حديث ٢٥٨٨وصححه ووافقه الذهبي. أي: هم المؤمنون الذين قتلوا يوم أُحُد.

يَرَونَه لِمُواجَهَة جَيْشِ المُشْرِكِينَ ، وَحيْثُ أَنَّ المَدِينَة كَانَتْ قَدْ شَبكتْ بِالبُنْيَان فَهِي كَالحِصْنِ [1] ، فَقَد كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَرَى البَقَاء وَالتَحَصُّن فِيهَا، وَقَالَ: «إِنّا فِي جنّة حَصْينَة» [2]، وَكَانَتْ وَجْهَة نَظَر مَنْ وَافَقَ عَلَى هَذَا الرَأي مِنَ الصَحابَةِ مَبْنيَة عَلَى عِدَةِ أُمُورٍ مِنْهَا:

١ – إِنَّ جَيْش مَكَّة لَمْ يَكُنْ مُوَّحَدْ العَناصِرْ، وَبذَلِك يَسْتَحيْل عَلَى هَذَا الجَيْش البَقَاء زَمناً طَوْيلاً إِذ لا بُدَّ مِنْ ظُهورِ الخِلاف بَيْنَهم إِنْ عَاجِلاً أَو آجِلاً.

٢ – إِنَّ مُهَاجَمَةِ المُدنْ المُصَممَة عَلَى الدِفَاعِ عَنْ حِيَاضِهَا وَقِلاعِهَا وَبَيضَتهَا أَمرٌ بَعْيدُ المَنالِ، وَخُصوصَاً إِذا تَشَابَه السِلاح عِنْدَ كِلا الجَيْشَينِ، وَقدْ كَانَ يَوم أُحُدٍ مُتَشابِهاً.

٣ – إِنَّ المُدَافِعينَ إِذا كَانُوا بَينَ أَهْلِيهمْ فَإِنَهمْ يَسْتَبْسِلونَ فِي الدِفَاعِ عَنْ أَبْنَائِهمْ وَحِمايَةِ نِسَائِهمْ وَبَناتِهمْ وَأَعْراضِهمْ.

٤ – مُشَارَكةِ النِسَاءِ وَالأَبْناءِ فِي القِتَال وَبِذَلكَ يَتضَاعَفْ عَدد المُقَاتِلينَ.

٥ – اِسْتِخْدَام المُدافِعينَ أَسْلِحَةً لَهَا أَثَر فِي صُفوفِ الأَعْداءِ مِثْلَ الأَحْجَار، وَغيرَهَا، وَتكون إِصْابَةَ المُهَاجِمينَ فِي مُتَناوِلهمْ [3].

وَقدْ أَبْدَى بَعْض أَصْحابِه مِنَ الأَنْصَار كَراهَة القِتَال فِي طُرُقِ المَدِينَةِ وَقَالُوا: «وَقدْ كُنَّا نَمْتَنِع مِنْ الغَزو فِي الجَاهِليَّة، فَبِالإِسْلامِ أَحَق أَنْ نَمْتَنِعَ مِنْهُ، فَابْرَزَ إِلى

---

[1] الصنعاني: المصنف ٥/ ٣٦٣.

[2] الطبري: تفسير ٦/ ٢١٥ بإسناد حسن إلى قتادة، وقد جاء بطرق عديدة وبمجموع الطرق يصح الحديث، وانظر: البيهقي: دلائل النبوة ٣/ ٢٠٤، ٢٠٨. الصنعاني: المصنف ٥/ ٣٦٤- ٣٦٥. ابن سعد: الطبقات ٢/ ٣٨.

[3] القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ ١/ ٣٧٤.

القَوْم» [1] ، وَكَانُوا قَدْ آثَرُوا الخُروج مِنَ الْمَدِينَةِ لِلقَاءِ العَدُوِّ، وَكَانَ رَأْيَهُم مَبْنِياً عَلَى أُمُورٍ مِنْهَا:

١ - إِنَّ الأَنْصَار قَدْ تَعاهَدُوا فِي بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَة عَلَى نُصْرة الرَسُول ﷺ، فَكَانَ أَغْلَبهُمْ يَرى أَنَّ المُكُوث دَاخِل الْمَدِينَةِ تَقاعِس عَنِ الوَفَاء بِهَذا العَهْد.

٢ - إِنَّ الأَقَلِيَّة مِنْ الْمُهَاجِرِينَ كَانَتْ تَرَى أَنَّها أَحَقّ مِنَ الأَنْصَار فِي الدِفَاعِ عَنِ المَدينَة وَمُهَاجَمَةِ قُرَيْش وَصَدَّهَا عَنْ زُرُوعِ الأَنْصَار.

٣ - إِنَّ الَّذِينَ فَاتَتهُمْ غَزْوَة بَدْرٍ كَانُوا يَتَحرَّقُونَ شَوْقاً مِنْ أَجْلِ مُلاقَاةِ الأَعْدَاءِ طَمَعاً فِي حُصولِ الشَهادَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ.

٤ - إِنَّ الأَكْثَرِينَ كَانُوا يَرونَ أَنَّ فِي مُحَاصَرةِ قُرَيْش لِلمَدينَة ظَفَرًا يَجِبْ ألا تَحْلَمَ بِه، كَمَا تَوقَعُوا أَنَّ وَقتَ الحِصَارِ سَيَطول أَمَدهُ، فَيصْبَح المُسْلِمونَ مُهَددينَ بِقَطعِ المُؤْنْ عَنْهُم [2]. وَقدْ شَكَلُوا الأَكْثَرِيةَ العَدديَّة .

وَنزلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى رَأي الأَكْثَرِيةَ، فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ وَتَلاومَ القَومُ فَقَالَ ﷺ : « إِنَّهُ لَيْسَ لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لَأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ» [3].

---

[1] الطبري: تفسير ٦/ ٢١٥.

[2] احمد عزالدين: غزوة احد ص٥٢.

[3] قال الارناؤوط : صحيح لغيره، وهذا إسناد على شرط مسلم،اخرجه احمد في مسند ه : ١٠٠/٢٣ ، حديث (١٤٧٨٧).الهيثمي : مجمع الزوائد ١٥٢/٦،حديث (١٠٠٥٧) وقال رواه احمد ورجاله رجال الصحيح .

النبي ﷺ يستعد للخروج للقتال:

خرج النَّبِيُّ ﷺ بجيش تعداده أَلْفَ مُقَاتِلٍ ، معهم فرسان فقط، ومِائَةَ دَارِعٍ[1].ولَبِسَ النَّبِيُّ ﷺ دِرْعَيْنِ [2] رغم علمه بأن الله تعالى يعصمه من القتل للأمة على الأخذ بالْأَسْبَابِ المادية ثم التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ ،واستعمل على الْمَدِينَةِ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ للصَّلَاةِ بالنَّاسِ [3].وعقد ﷺ رَايَةً سَوْدَاءَ وقام بتقسيم الجيش إلى ثَلاثِ كتائب، وَأَعْطَى اللواء لأحد أفراد الكتيبة، وهذه الكتائب هي:

١- كَتِيبَةِ الْمُهَاجِرِينَ ، وَأَعْطَى لواءها مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْرٍ ﷺ.

٢- كَتِيبَةِ الأوس مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَأَعْطَى لواءها أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ ﷺ.

٣- كَتِيبَةِ الخزرج مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَأَعْطَى لواءها الْحُبَابُ بْنُ الْمُنْذِرِ ﷺ[4] .

تمرد المنافق عبد الله ابن ابي واصحابه:

ثُمَّ سَارَ النَّبِيُّ ﷺ بِالجَيْشِ مُتَوَجِهًا إِلى أُحُدٍ [5] حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالشَّوْط بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَأُحُدٍ انْسَحَبَ مِنْ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ الْمُنَافِقُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ بْنِ سَلُولٍ وثَلَاثَمِائَةِ مِنْ أَتْبَاعِه الْمُنَافِقِينَ ، بِدَعْوَى أَنَّهُ لَنْ يَقَعْ قِتَال مَعَ الْمُشْرِكِينَ، وَمُعْتَرِضَاً عَلَى قَرَارِ

---

[1]"تاريخ الطبري" ٢/ ٦٠. "عمدة القارئ شرح صحيح البخاري" ١٤/ ٢٨٢.

[2]صحيح: أخرجه أبو داود : كتاب الجهاد، باب في لبس الدروع٤/٢٣٣، حديث ٢٥٩٠. وصححه الألباني .

[3]ابن هشام: السيرة ٢/ ٦٤.

[4] محمد عيظة: غزوة أحد دراسة دعوية ١/٨٩.

[5] يقع جبل أحد في شمال المدينة، وكان يرتفع ١٢٨ مترًا أما الآن فيرتفع ١٢١ مترًا فقط بسب عوامل التعرية، ويبعد عن المسجد النبوي حوالي ٥,٥ كيلو مترًا، بدءًا من باب المجيد أحد أبواب المسجد النبوي. "السيرة النبوية الصحيحة" ٢/ ٣٧٨.

الرَسُولِ ﷺ بِالخُروجِ مِنَ الْمَدِينَةِ لِمُلاقَاةِ الْمُشْرِكِينَ بِقَوْلِهِ «أَطَاعَ الْوِلْدَانِ وَمنْ لَا رَأْيَ لَهُ، أَطَاعَهُمْ وَعَصَانِي [1]،عَلَامَ نَقْتُلُ أَنْفُسَنَا» [2] .

وَقدْ حَاولَ الصَحابِيْ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ تَدارُكْ الأَمْر فَلَحِقَ بالْمُنَافِقِينَ الْمُنْسَحِبِينَ، وَحَاولَ إِقْناعِهِمْ بِضُرورَةِ نُصْرَةِ نَبِيهِمْ وَقَومِهِمْ، قَائِلاً : تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُوا ، غَيرَ أَنَهمْ أَصَرُوا عَلَى مَوقِفِهِمْ، وَقَالُوا لَهُ: لَوْ نَعْلَمُ أَنَكُمْ تُقَاتِلُونَ لَمَا أَسْلَمْنَاكُمْ ، وَلَكِنّا لَا نَرَى أَنَّهُ يَكُونُ قِتَالٌ ، وَبَعدَ أَنْ يَئِسَ عَبْدُ اللهِ مِنْهمْ سَأَلَ اللهُ أَنْ يُبْعِدَهُمْ، وَأَنْ يُغْنِي اللهُ نَبِيهُ عَنْهُمْ [3]،وَفِي ذَلِكَ يَقولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [4] [5].وَفِي ذَلِكَ يَقولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٦) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ [6] . وَمَا جَعلَ اللهُ ذَلِكَ إِلاَّ لِيَمِيز الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ. يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [7] . وَكَادَ بَنُو سَلِمَةَ وَبَنُو حَارِثَةَ أَنْ يَفْشَلا وَيَتَّبِعَا الْمُنَافِقِينَ لَوْلا

---

[1] أي: أطاعهم في الخروج والقتال خارج المدينة، وعصاه حيث كان يرى القتال بداخل المدينة.

[2] ابن هشام: السيرة ٢/ ٦٤. الواقدي: المغازي ١/ ٢١٩. ابن سعد: الطبقات ٢/ ٣٩. البيهقي: دلائل النبوة ٣/ ٢٠٨.

[3] ابن هشام: السيرة ٢/ ٦٤.

[4] سورة آل عمران: الآية١٢٢.

[5] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب: {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢)} ٦/ ٣٨ ، حديث ٤٥٥٨. صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الأنصار – رضي الله عنهم٤ /١٩٤٨، حديث٢٥٠٥.

[6] سورة آل عمران: الآيتان ١٦٦ – ١٦٧.

[7] سورة آل عمران:الآية١٧٩.

لَوْلا أَنْ ثَبَتَهمْ اللهُ. فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا[1]﴾ [2] وَقَالَ النَبيُّ ﷺ: « إِنَّهَا طَيْبَةٌ تَنْفِي الذُّنُوبَ[3] كَمَا تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الْفِضَّةِ» [4].

رد النبي ﷺ بعض الصحابة لصغر سنهم:

عَسْكَرَ الجَيْش الإِسْلامِي فِي مِنْطَقَة الشَيْخَين حَيْثُ اِسْتَعْرَضَ الرَسُولُ ﷺ المُتَطَوِعينَ مِنْ صِغَارِ السِّنِ فَرَدَّ مِنْهمْ أَرْبَعَةِ عَشَرَ صَبِيًّا ، مِنْهُمْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو ، وَكَانَ عُمرَهُ أَرْبَعَةِ عَشَرَ سَنَة [5]، وزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، وأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، وعَمْرِو بْنِ حَزْمٍ، والْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ، وأُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ [6]، وَأَجَازَ مِنْهُمْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ لَمَّا قِيْلَ لَهُ: إِنَّهُ إِنَّهُ رام، فَبَلغَ ذَلِكَ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ فَذهَبَ إِلى زَوْجِ أُمِّهِ مِرْي بْنِ سِنَانٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ وَهوَ يَبْكِي، وَقَالَ لَهُ: يَا أَبَتِ أَجَازَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَافِعًا وَرَدَّنِي، وَأَنا أَصْرَع رافعًا، فَرجَع زَوْج أُمِّهِ هَذَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَالتَفَتَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى رَافِع وَ سَمُرَةَ فَقَالَ لَهُمَا: «تَصَارَعَا» فصرع سَمُرَةَ رافعًا فَأَجَازَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَمَا أَجَازَ رَافِعًا، وَجَعلَهُمَا مِنْ جُنْدِه وَعَسْكَر كَتَائِبَه، وَلِكُلٍ مِنْهُمَا مَجَالَهُ وَاخْتِصاصَهُ[7].

---

[1] أركسهم بما كسبوا: أوقعهم في الخطأ وأهلكهم بسبب عصيانهم ومخالفتهم وأركسه قلبه ونسكه أي جعل أعلاه أسفله.

[2] سورة النساء: الآية ٨٨.

[3] تنفي الذنوب: تظهر من يرتكب فيها الذنوب وتميزهم.

[4] متفق عليه: صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب: غزوة أحد ٥ /٩٦ ، حديث ٤٠٥٠. صحيح مسلم : كتاب: صفات المنافقين وأحوالهم ٤/٢١٤٢، حديث٢٧٧٦.

[5] متفق عليه: صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب ٥ /١٠٧ ، حديث ٤٠٩٧. صحيح مسلم : كتاب الإمارة، باب بيان سن البلوغ ٣/١٤٩٠، حديث١٨٦٨.

[6] ابن سيد الناس : عيون الاثر في فنون المغازي ٢/١٢.

[7] عرجون، محمد الصادق : محمد رسول الله٣/٥٧١. أكرم العمري: السيرة النبوية الصحيحة٢/٣٨٣ .

دفاع المسلمين :

وَتقدَم الجَيْش الإِسْلامِي إِلَى مَيْدَانِ أُحُدٍ وَأَخَذَّ النَبيُّ ﷺ يُنَظِمُ مَواقِعَ الجَيْشِ وَيُمْلِي عَلَى الجُنْدِ خُطتَهُ، فَجعلَ النَبيُّ ﷺ وَجْهَ جَيْشِه إِلَى المَدينَة وَظَهْرِه إِلَى جَبَلِ أُحُدٍ لِحِمايَة ظَهْرِ المُسْلِمِينَ مِنْ أَنْ يُداهِمَهمْ أَحدٌ مِنْ خَلْفِهِمْ، ثُمَّ عَزَّز ذَلِكَ بِخَمْسِينَ رَامِيًا بِقيادَة عَبْدِ اللهِ بْنِ جُبَيْرٍ ﷺ أَوقَفَهمْ عَلَى جَبلِ عَيْنَيْن [1]- الَّذِي يَقَع خَلْفَ جَبلِ أُحُدٍ - حَتَّى إِذَا فَكَّر أَحدٌ فِي مُبَاغَتَة المُسْلِمِينَ مِنَ الخَلفِ أَمْطَرُوه بِوابلٍ مِنَ النِبَالِ فَمَنَعوهُ مِنْ ذَلِكَ، وَشَدد عَلَيْهِمْ النَّبِيُّ ﷺ بِلُزومِ أَمَاكِنِهِمْ، وَعَدمْ مُغَادَرة الجَبَل تَحْتَ أَي ظَرْفٍ مِنَ الظُروفِ، فَقَالَ لَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ: « إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا الْقَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ ، فلَا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ » [2].وَهَكَذا فَقدْ سَيْطَرَ المُسْلِمونَ عَلَى المُرْتَفعَاتِ تَارِكِينَ الوَادِي لِجَيْشِ المُشْرِكِينَ الَّذِي تَقدَمَ لِيُوَاجِهَ المُسْلِمِينَ [3] . وَأَصْبحَ المُسْلِمونَ لا يُفكِرُونَ إِلاَّ فِي جَبْهَةٍ وَاحِدَةٍ، بِخلافِ المُشْرِكِينَ الَّذِينَ عَسْكَرُوا فِي وَادِي أُحُدٍ المَكْشُوف مِنْ كُلِ جوانِبه، فَتَمَيَّزَ عَنْهُمْ المُسْلِمونَ بِالمَوْقِعِ رَغْمَ وَصُولِ المُشْرِكِينَ إِلَى المَكَانِ قَبْلَهم، وَلكِنَها عَبْقَرِيَة النَّبيّ ﷺ القَائِدْ.

---

[1] الذي سُمِّي بعد أحُدٍ بجبل الرماة.

[2] صحيح: صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة أحد ٥/٩٤، حديث٤٠٤٣.سنن ابي داؤد: كتاب الجهاد، باب في الكُمناء٤/٢٩٧، حديث ٢٦٦٢.

[3] نضرة النعيم في مكارم اخلاق الرسول الكريم ١/٣٠٣.

مناورات سياسية من قبل قريش :

وَقُبيلِ نُشوبِ المَعْرَكَةِ حَاوَلَ أَبُو سُفْيَانَ أَنْ يُوجِدْ شَرْخًا وَتَصَدُّعًا فِي جَبْهَةِ الْمُسْلِمِينَ الْمُتَمَاسِكَة، فَأَرْسَلَ إِلَى الأَنْصَارِ يَقُولُ: « خَلُّوا بَيْنَنَا وَبَينَ ابْنُ عَمِّنَا، فَنَنْصَرِف عَنْكُمْ ، فَلا حَاجَة بِنَا إِلَى قِتَال» فَرَدُّوا عَلَيْهِ بِمَا يَكْرَهُ [1].وَلَمَّا فَشَلتْ الْمُحَاوَلَة الأَوْلَى لَجَأَتْ قُرَيْش إِلَى مُحَاوَلَةٍ أُخْرَى عَنْ طَرِيقِ عَمْيلٍ خَائِنْ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ، وَهُوَ أَبُو عَامِرٍ الرَّاهِبُ ، حَيْثُ حَاولَ أَبُو عَامِرٍ الرَّاهِبُ أَنْ يَسْتَزِلَ بَعْضُ الأَنْصَارِ فَنَادَى: يَا مَعْشَرَ الْأَوْسِ، أَنَا أَبُو عَامِرَةَ قَالُوا: فَلَا أَنْعَمَ اللهُ بِك عَيْنًا يَا فَاسِقُ فَلَمَّا سَمِعَ رَدَّهُمْ عَلَيْهِ قَالَ: لَقَدْ أَصَابَ قَوْمِي بَعْدِي شَرّ، ثُمّ قَاتَلَهُمْ قِتَالًا شَدِيدًا، ثُمّ رَاضَخَهُمْ بِالْحِجَارَةِ [2].

الرسول ﷺ يُسلم السيف إلى أبي دجانة :

شَرعَ رَسُولُ اللهِ يَشْحذُ فِي هِمَمِ أَصْحَابِه وَيَعْمل عَلَى رَفْعِ مَعْنَوِيَاتِهِمْ فَأَخَذَ ﷺ سَيْفَاً وَقَالَ: « مَنْ يَأْخُذُ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ » فَقَامَ إِلَيْهِ رِجَالٌ كلٌ يقول: أَنَا، أَنَا، فَأَمْسَكَهُ عَنْهُمْ وَقَالَ: « مَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ » فَقَامَ أَبُو دُجَانَةَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ وَقَالَ: ومَا حَقَّهُ يَا رَسُولَ ﷺ ؟ قَالَ: « أَنْ تَضْرِب بِهِ الْعَدُوّ حَتّى يَنْحَنِي » فقال: أَنَا آخُذُهُ يَا رَسُولَ اللهِ بِحَقِّهِ فَأَعْطَاهُ إِيّاهُ ، وَكَانَ أَبُو دُجَانَةَ رَجُلًا شُجَاعًا يَخْتَالُ عِنْدَ الْحَرْبِ إِذَا كَانَتْ وَكَانَ إِذَا أُعْلِمَ بِعِصَابَةٍ لَهُ حَمْرَاءَ، فَاعْتَصَبَ بِهَا عَلَى النّاسِ أَنّهُ سَيُقَاتِلُ فَلَمّا أَخَذَ السّيْفَ مِنْ يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَخْرَجَ عِصَابَتَهُ تِلْكَ فَعَصَبَ بِهَا رَأْسَهُ وَجَعَلَ يَتَبَخْتَرُ

---

[1] السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني١/٣٢٧، الرحيق المختوم ١/٢٣٣.

[2] أبو شهبة : السيرة النبوية،٢/١٩٢. ابن هشام : السيرة ٢/٦٧. وسنده حسن ورجاله ثقات، وصرح ابن إسحاق بالتحديث والحديث مرسل.

بَيْنَ الصّفّيْنِ. فقَالَ رَسُولُ اللهِ حِينَ رَأَى أَبَا دُجَانَةَ يَتَبَخْتَرُ: « إِنّهَا لَمِشْيَةٌ يَبْغُضُهَا اللهُ إِلّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ» (١).

بدء المعركة :

التَقَى الجَمْعَانِ يَوْمَ السَّبْتِ (١٥شوال ٣ه /٣١آذار٦٢٥م) على أَرْجَحِ الرِّوَايَاتِ ، فقامت هِنْدٌ بِنْتُ عُتْبَةَ ، زَوْجِ أَبِي سُفْيَانَ ، في النِّسْوَةِ اللَّاتِي كُنَّ مَعهَا، فَأَخَذْنَ الدُّفُوفِ يَضْرِبْنَ ويُحَرّضْنَ الرِّجَالِ ، فكانت هِنْدٌ تُحَرِّضُ الرِّجَالَ بِقَولِهَا :

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِقْ نَمْشِي عَلَى النَّمَارِقْ

إِنْ تُقْبِلُوا نُعَانِقْ وَنَبْسُطُ النَّمَارِقْ

إِنْ تُدْبِرُوا نُفَارِقْ فِرَاقَ غَيْرِ وَامِقْ(٢)

واقْتَرَبَ المُتَقاتِلُونَ بَعْضَهمْ مِنْ بَعضٍ، وَتَقارَبَ الجَمْعَانِ وَتدانَتْ الفِئَتَانِ، وَكَانَ أَول وَقودِ المَعْرَكةِ حَامِل لِواءِ المُشْرِكِينَ طَلْحَةُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ الْعَبْدَرِيُّ (٣)، وَكَانَ مِنْ أَشْجَع فُرْسَانِ قُرَيْش ، يُسَمِيهِ المُسْلِمونَ كَبْشُ الْكَتِيبَةِ (٤)، وَقدْ خَرجَ وَهوَ رَاكب عَلَى جَمَلٍ يَدْعُو إِلَى المُبَارَزَةِ، فَأَحْجَمَ عَنْهُ النَّاس لِفَرْطِ شَجَاعَته، وَلَكِن تقدم إليه الزبير ولم يمهله، بَلْ وَثبَ إِلَيْهِ وَثْبَةَ اللَيْثِ حَتَّى صَارَ مَعَهُ عَلَى جَمَلِه، ثُمَّ اقْتَحَمَ بِه الأَرْض

(١) عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺأَخَذَ سَيْفًا يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: «مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا؟» فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ، كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ يَقُولُ: أَنَا، أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ يَأْخُذُهُ بِحَقِّهِ؟» قَالَ فَأَحْجَمَ الْقَوْمُ. فَقَالَ سِمَاكُ بْنُ خَرَشَةَ أَبُو دُجَانَةَ: أَنَا آخُذُهُ بِحَقِّهِ. قَالَ: فَأَخَذَهُ فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ. صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة, باب فضائل أبي دجانة سماك بن خرشة – رضي الله عنه ١٩١٧/٤، حديث ٢٤٧٠.

(٢) البيهقي: دلائل النبوة ، ٢٣٣/٣. ابن اسحاق : السير والمغازي ٣٢٧/١.

(٣) ابن كثير: السيرة النبوية ٤٠/٣.

(٤) المقريزي: امتاع الاسماع ١٣٩/١ .ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري ٢٩٢/٦.

فَأَلْقَاهُ عَنْهُ وَذَبَحهُ بِسَيْفِهِ. وَرَأى النَّبِيُّ ﷺ هَذَا الصِرَاع الرَائِع فَكَبَّرَ، وَكَبَّرَ الْمُسْلِمونَ وَأَثْنَى عَلَى الزُبَيرِ، وَقَالَ فِي حَقهِ : « إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ »[1] .

وَجَرتْ مُبارَزةً بَيْنَ حَمْزَة ﷺ وَبَينَ رَجُل مِنَ الْمُشْرِكِينَ يُقَال لَهُ سِبَاعٌ ، حَيْثُ خَرَجَ سِبَاعٌ هَذَا مِنْ بَينِ الصُفُوفِ فَقَالَ: هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ ؟ فخرج إليه حمزة ﷺ فَقَالَ يَا سِبَاعُ يَا ابْنَ أُمِّ أَنْمَارٍ مُقَطِّعَةِ الْبُظُورِ [2]أَتُحَادُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ؟ ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ حَمْزَة ﷺ فَقَتَلَهُ [3]، وَالتَحَم الجَيْشَان، وَاشْتَدَّ النِزَال بَيْنَ جَيْشِ ٱلْمُسْلِمِينَ المكَونِ مِنْ سَبْعِمِائَةِ مُقَاتِلٍ بَعْدَ اِنْسِحَابِ الْمُنَافِقِينَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ بْنِ سَلُولَ ومن معه من الْمُنَافِقِينَ ، فَكَانتِ الغَلَبَةُ أَولاً للْمُسْلِمِينَ ، حَيثُ أَلحَقُوا بِالْمُشْرِكِينَ هَزيمَةً نَكْرَاء وَرَدوهُمْ إِلَى مُعَسْكَرِهِمْ، وَقَاتَلَ أَبُو دُجَانَةَ بِسَيفِ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّى فَلَقَ بِه هَام الْمُشْرِكِينَ [4] حَتَّى قُتِلَ فِي أَولِ النَهَارِ مِنْ أَصْحَابِ لِواءِ الْمُشْرِكِينَ سَبْعَةٍ أو تِسْعَةٍ [5]، وَفِي ذَلِكَ يَقولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ﴾ [6][7].وَفِي وَسَطِ المَعْرَكةِ جَاء رَجُل إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فقَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فَأَيْنَ أَنَا؟ قَالَ: "فِي الْجَنَّةِ»، فَأَلْقَى تَمَرَاتٍ فِي يَدِهِ ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ [8].

---

[1] صحيح: صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل الطليعة ٤/٢٧،حديث٢٨٤٦.

[2]مُقطِّعة البظور: أي التي تختن النساء، فهي تقطع بظر المرأة عند ختنها.

[3]صحيح: صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب قتل حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه ٥/١٠٠،حديث٤٠٧٢.

[4]هام المشركين: أي رؤوس المشركين.

[5]صحيح: أخرجه الامام أحمد ٤/٣٦٩، حديث٢٦٠٩)، وصححه الشيخ أحمد شاكر.

[6]سورة آل عمران: الآية١٥٢.

[7]الحسُّ: القتل، أي: إذ تقتلونهم بإذنه. أي: ولقد صدقكم الله وعده أيها المؤمنون الذي وعدكم إياه إن أطعتم الله ورسوله، أن لكم النصر على الأعداء.

[8]متفق عليه ، صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة أحد ٥/٩٥، حديث٤٠٤٦. صحيح مسلم :

غلطة الرماة الفظيعة :

وَبَينَمَا كَانَ الجَيْش الاسْلامِي الصَغْير يُسَجِلُ مَرَةً أُخْرَى نَصْراً سَاحِقَاً عَلَى أَهْلِ مَكَّة لَمْ يَكُنْ أَقَلُ رَوعَةً مِنَ النَصْرِ الَّذِي إكْتَسبَه يومَ بَدْرٍ وَكَانَ قَدْ تَسبَّبَ بِهَزِيمَة المُشْرِكِينَ وفرَّارهم مِنَ المَيْدانِ وَتَرْكِهِمْ أَمْوالَهَمْ وَأَمْتِعَتهُمْ فِي سَاحَةِ المَعْرَكَةِ، غَلَط الرُمَاة غَلْطَةً فَظِيعَةً بِتَرْكِهِمْ أَمَاكِنهمْ عَلَى الجَبَلِ وَنَزلُوا وَهُمْ يَقُولُونَ: الغَنِيمَةَ الغَنِيمَةَ ، فَقَالَ لهم عَبْدِ اللهِ بْنِ جُبَيْرٍ ﷺ: عَهِدَ إِلِيَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ لَا تَبْرَحُوا، فَأَبَوْا [1].فَلَمَّا تَرَكُوا الجَبَل وَنَزَلُوا اِنْكَشَفَ ظَهْر المُسْلِمِينَ ، فَرَأى المُشْرِكُونَ الفُرصَة سَانِحَةً لِلالتِفَاتِ حَوْلِهِمْ وَمُحَاصَرَتَهمْ، فَفعَلُوا ذَلِكَ، وَأَحَاطُوا بِالمُسْلِمِينَ مِنَ الخَلْفِ وَالأَمَامِ، فَارْتَبَكَتْ صُفوفُ المُسْلِمِينَ اِرْتِبَاكًا شَدْيدًا وَأَصْبَحُوا يُقَاتِلونَ دُونَ تَخْطِيط ، وَاسْتَغَلَّ إِبْلِيسُ عَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ الفُرْصَةَ فَصَرخَ فِي المُسْلِمِينَ: أَيْ عِبَادَ الله أُخْرَاكُمْ، فَرَجَعَتْ أُولَاهُمْ فَاجْتَلَدَتْ معَ أُخْرَاهُمْ، وَأَخَذَ المُسْلِمونَ يَضْرِب بَعْضُهمْ بَعْضًا، حَتَّى إِنَّ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ ﷺرَأى أَبَاه الْيَمَانِ ﷺ يضربه المسلمون، فَقَالَ: أَيْ عِبَادَ الله أَبِي، أَبِي، فما احْتَجَزُوا عنه حَتَّى قَتَلُوهُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: يَغْفِرُ الله لَكُمْ[2].

مقتل مصعب بن عمير ﷺ :

وَفِي وَسَطِ المَعْرَكَةِ قُتل مُصْعَبِ بْنِ عُمَيْر ﷺ ،وَكَانَ الَّذِي قَتَلَهُ ابْنُ قَمِئَةَ اللَّيْثِيُّ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَرَجَعَ إِلَى قُرَيْشٍ فَقَالَ: قَتَلْتُ مُحَمَّدًا. فَلَمَّا قُتِلَ مُصْعَبُ

كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد٣/١٥٠٩، حديث١٨٩٩.وهذا الرجل غير عُمير بن الحُمام الذي استشهد يوم بدر، حيث جاء في رواية: (قال رجل للنبي ﷺ يوم أحد ...).

[1]صحيح: أخرجه البخاري :كتاب المغازي، باب غزوة أُحُد ٥/٩٥، حديث ٤٠٤٣.

[2]صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢)} ٥/٩٨، حديث ٤٠٦٥.

بْنُ عُمَيْرٍ أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اللِّوَاءَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه [1].

إشاعة خبر مقتل النبي ﷺ:

صَاحَ الشَّيْطَانُ وسط الميدان: قُتِلَ مُحَمَّدٌ، فَلَمْ يُشَكَّ أحد أَنَّهُ حَقٌّ [2].فَلَمَّا انْتَشَر الخَبَرْ وَشَاعَ بَيْنَ صَفُوفِ الْمُسْلِمِينَ ، خَارَتْ قِوَى بَعْض الْمُسْلِمِينَ ، وَلانَتْ عَزِيْمَتهمْ، حَتَّى إِنَّهُمْ جَلَسُوا عَنِ القِتَال، فَرآهم أَنَسِ بْنِ النَّضْرِ رضي الله عنه عم أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه مَا يُجْلِسُكُمْ؟ قَالُوا: قُتِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَمَاذَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَهُ؟ قُومُوا فَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقَـوْمَ، فَقَـاتَلَ حَتَّى قُتِـلَ [3]. وَكَانَ أَنَسِ بْنِ النَّضْرِ رضي الله عنه لَمْ يَشْهَدْ مَعَ النبي ﷺ غزوة بَدْر، فقَالَ: غِبْتُ عَنْ أول قِتَال النَبِيِّ ﷺ لَئِنْ أَشْهَدَنِي اللهُ معَ النَّبِيّ ﷺ ليرينَّ اللهُ مَا أَصْنَعُ، فَلَمَّا رَأى ذَلِكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ، يَعْنِي الْمُسْلِمِينَ وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا جَاءَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ» فَتَقَدَّمَ بِسَيْفِهِ فَلَقِيَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ، فَقَالَ: أَيْنَ يَا سَعْدُ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَ الجَنَّةِ دُونَ أُحُدٍ، فَمَضَى فَقُتِلَ، فَمَا عُرِفَ حَتَّى عَرَفَتْهُ أُخْتُهُ بِشَامَةٍ أَوْ بِبَنَانِهِ، وَبِهِ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ مِنْ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ وَرَمْيَةٍ بِسَهْمٍ فنَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَصْحَابِه: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[4][5].

---

[1] ابن هشام: السيرة ٢/ ٧٣.

[2] صحيح: أخرجه أحمد (٢٦٠٩)، والحاكم في "المستدرك" ٢/ ٣٢٤،حديث ٣١٦٣ وصححه وأقره الذهبي، وصححه أحمد شاكر.

[3] ابن هشام: السيرة ٢/ ٨٣ ، والحديث في "الصحيحين" بلفظ مختلف، انظر الذي بعده.

[4] سورة الاحزاب: الآية٢٣.

[5] متفق عليه: صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة أحد ٥/ ٩٥، حديث ٤٠٤٩. صحيح مسلم : كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد ٣/ ١٥١٢، حديث ١٩٠٣.

موقف الرسول ﷺالباسل إزاء عمل التطويق:

فِي الوَقْتِ الَّذِي جَلَسَ فِيهِ بَعْض القَوم عَنِ القِتَال وَفرَّ آخَرونَ بَينَ الشِعَابِ بَعْدَما شَاعَ بَينَهمْ خَبر مَقْتَل النَّبِيّ ﷺ ، كَانَ النَّبيُّ ﷺ كَالليْثِ يُقاتِلُ بَينَ الصُفوفِ، وَكَانَ أولُ مَنْ عَرِفَ بِأَنَّ الرَسُولَ ﷺ حيٌّ هُوَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ فَنَادى فِي الْمُسْلِمِينَ يُبَشِرُهمْ فَأَمَرهُ الرَسُولُ ﷺ بِالسْكوتِ لِئَلا يَفْطَن لَهُ الْمُشْرِكُون [1].وظلَّ النَّبِيُّ ﷺ يُقَاتِل وَحولَهُ فِئَةٌ قَليلَةٌ مِنَ الصَحابَةِ رضوان الله عليهم صَمَدوا مَعهُ يُدَافِعونَ عَنْهُ ﷺ.وَقدْ تَفَطنَ الْمُشْرِكُونَ بِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حيٌّ لَمْ يُقتلْ فتكَاثَروا عَلَيْهِ يُرْيدونَ قَتْلَهُ. وَكَانَ حَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ تسعة من الصحابة سَبْعَةٌ مِنْ الْأَنصَارِ، واثنان من الْمُهَاجِرِينَ ، فَلَمَّا رَهِقُوهُ [2] قَالَ: « مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ- أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ-»، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، ثُمَّ رَهِقُوهُ أَيْضًا فَقَالَ: « مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ- أَوْ هُوَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ-»، فَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَلَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ حَتَّى قُتِلَ السَّبْعَةُ من الأنصار، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِصاحِبَيْهِ: « مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا» [3].

---

[1] حديث كعب بن مالك :"لما كان يوم أحد وصرنا إلى الشعب كنت أول من عرفته فقلت: هذا رسول الله ﷺ.فأشار إلى بيده أن اسكت، ثم ألبسني لامته، ولبس لأمتي، فلقد ضربت حتى جرحت عشرين جراحة أو قال بضعة وعشرين جرحًا كل من يضربني يحسبني رسول الله ﷺ . صحيح : رواه الطبراني في الكبير ١٩/ ١٠٠، حديث ٢٠٠،رواه الهيثمي في المجمع: ٦/ ١٦١،حديث ١٠٠٧٧ ، ورواه الطبراني في الأوسط ورجال الأوسط ثقات.

[2] أي: قربوا منه – صلى الله عليه وسلم –.

[3] صحيح: أخرجه مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أُحُد ٣/ ١٤١٥، حديث ١٧٨٩. وكان هذا الدفاع من هؤلاء الأنصاريين السبعة عن النبي ﷺ لحبهم الشديد له – صلى الله عليه وسلم – أولاً وايثاره على أنفسهم، ثم لما عاهدوه عليه الصلاة والسلام عند بيعة العقبة وأنهم يمنعونه مما يمنعون منه أنفسهم ونساءهم وأبناءهم.

وقول النبي ﷺ"مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا" قال النووي رحمه الله: الرواية المشهورة فيه (ما أنصفنا) بإسكان الفاء، و

وأَخذَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْعُوا أَصْحَابَه لِلعَودَةِ إِلى القِتَالِ وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ [١] وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ [٢] وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾[٣] .

وكان طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ مِمَنْ ثَبَتَ معَ النَّبِيِّ ﷺ ، وَدَافَع عَنهُ حَتَّى شُلَّتْ يَدهُ ﷺ كَانَ يَقِي بِهَا النَّبِيّ ﷺ[٤]. وَكَانَ مِمَنْ ثَبتَ أَيضًا معَ النَّبِيِّ ﷺ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ ، وَكَانَ رَامياً مَاهراً لا تَكادْ رَمْيَتهُ تُخطئ، فتَلَ له النَّبِيّ ﷺ كِنَانَتَهُ [٥] وَجعلَ يَقولُ لَهُ: « ارْمِ فِدَاكَ أبي وَأُمِّي» [٦].وفي ذلك يقول عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ﷺ : ما سمعت النَّبِيَّ ﷺ يَجْمَعُ أَبَوَيْهِ لِأَحَدٍ غَيْرَ سَعْدٍ [٧]. وقال سعد ﷺ : جَمَعَ لِي النَّبِيُّ ﷺ أَبَوَيْهِ يَوْمَ أُحُد[٨].

(أصحابنا) منصوب مفعول به، هكذا ضبطه جماهير العلماء من المتقدمين والمتأخرين، ومعناه: ما أنصفت قريش الأنصار، لكون القريشيين لم يخرجا للقتال، بل خرجت الأنصار واحدًا بعد واحد، وذكر القاضي وغيره أن بعضهم رواه (ما أنصفَنا) بفتح الفاء، والمراد على هذا: الذين فرُّوا من القتال، فإنهم لم ينصفوا لفرارهم. النووي: شرح صحيح مسلم ١٢/ ١٤٨.

[١] تصعدون: تهربون في بطون الأوديه والشعاب.

[٢] تلون: ولا يلتفت بعضكم إلى بعض هربًا من عدوكم.

[٣]سورة آل عمران: الآية١٥٣.

يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ: أي والرسول يناديكم من خلفكم، إليّ عباد الله، إليّ عباد الله.

[٤]صحيح: أخرجه البخاري : كتاب المغازي، باب {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢)} ٥/٩٧، حديث ٤٠٦٣.

[٥]نثل كنانته: أي نثر كنانته واستخرج ما بها من السهام، والكنانة: جُعبة السهام.

[٦]متفق عليه: أخرجه البخاري : كتاب المغازي، باب {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢)} ٥/٩٧، حديث ٤٠٥٥.صحيح مسلم :كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه ٤/١٨٧٦، حديث ٢٤١١.

[٧] صحيح : أخرجه البخاري : كتاب المغازي، باب {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢)} ٥/٩٧، حديث ٤٠٥٨.

[٨]متفق عليه: أخرجه البخاري : كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب سعد بن أبي وقاص ٥/٢٢، حديث ٣٧٢٥.صحيح مسلم :كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه ٤/١٨٧٦، حديث ٢٤١٢.

أبو طَلْحَةَ الأنصاري ﷺ يدافع عن النَّبِي ﷺ:

كان أبو طَلْحَةَ زَيْدِ بْنِ سَهْلِ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ ممن ثبت مع النَّبِي ﷺ يدافع عنه ،كان مُجَوِّبٌ على النبي ﷺ بِحَجَفَةٍ لَهُ[1]،وَكَانَ أبو طَلْحَةَ رَجُلًا رَامِيًا شَدِيدَ النَّزْعِ[2] كَسَرَ يَوْمَئِذٍ قَوْسَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، وَكَانَ الرَّجُلُ يَمُرُّ مَعَهُ جَعْبَةٌ مِنْ النَّبْلِ فَيَقُولُ له النَّبِيّ ﷺ : انْثُرْهَا لِأَبِي طَلْحَةَ، وكان النَّبِي ﷺ يشرف برأسه لِيَنْظُرَ إلى الْقَوْمِ، فَيَقُولُ له أبو طَلْحَةَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَا تُشْرِفْ يُصِيبُكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ[3].

وكان يَتَتَرَّسُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِتُرْسٍ وَاحِدٍ،[4] فكان كلما رَمَى رَمْيَةً رَفَعَ النَبِيُّ ﷺ بصره ينظر إلى أين وقع السهم، فيَدْفَعُ أَبُو طَلْحَةَ صَدْرَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَكَذَا لَا يُصِيبُكَ سَهْمٌ[5].

---

[1] مُجوِّبٌ عليه بحَجَفَة: أي مُترس عليه بترس، ليقيه من ضربات المشركين، فالحجفة: الترس.

[2] شديد النزع: أي شديد رمي السهم.

[3] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}، ٥/٩٧، حديث ٤٠٦٤.صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب غزوة النساء مع الرجال ٣/١٤٤٣، حديث ١٨١١.ومعنى نحري دون نحرك: أي: أفديك بنفسي.

[4] إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير إبراهيم بن إسحاق الطالقاني، اخرجه احمد في مسنده :٢١/٣١٢، حديث ١٣٨٠٠.

[5] صحيح: أخرجه البخاري : كتاب الجهاد والسير، باب المجنِّ ومن يتَّرس بترس واحد ٤/٣٨، حديث ٢٩٠٢.

أحرج ساعة في حياة الرسول ﷺ:

وَعَلَى الرَغْم مِنْ اسْتِبْسَال الصَحَابَة فِي الدِفَاعِ عَنِ الرَسُولِ ﷺ ، فَقَدْ شُجَّ وَجْه رَسُولِ اللهِ ﷺ وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ [١] وهشمت الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ [٢].وبينما ظَنَّ بَعْض الصَحابَة أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَدْ قُتل، إِذْ بِالنَّبيِّ ﷺ يَطْلَع عَلَيْهِمْ بَينَ السَّعْدَين [٣]عَرِفَهُ الصَحابَة –رضوان الله عليهم– بِتَكَفُّئِهِ إِذَا مَشَى [٤]يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما –: فَفَرِحَ به الصحابة حَتَّى كَأَنَّهُم لَمْ يُصِبْهم شيء فَرَقِيَ النبي ﷺ نَحْوَهم وَهُوَ يَقُولُ: « اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَى قَوْمٍ دَمَّوْا وَجْهَ رَسُولِهِ»، وَيقُولُ مَرَّةً أُخْرَى: « اللهُمَّ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَعْلُونَا» [٥].

وَجَعلَ النَّبيُّ ﷺ يَقولُ: « اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَى قَوْمٍ فَعَلُوا هذا بنبِيِّهِ»، وهو حينئذ يُشِيرُ إِلى رَبَاعِيَتِهِ ويقول: « اشْتَدَّ غَضَبُ الله عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ الله فِي سَبِيلِ الله » [٦]. كَمَا كَانَ النَّبيُّ ﷺ يَسْلُتُ عَنْ نَفْسِهِ الدَّمَ وَيَقُولُ: « كَيفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلى الله»، فَأَنْزَلَ الله – عَزَّ وَجَــلَّ–:

---

[١]هي السنُّ التي تلي الثنية من كل جانب وللإنسان أربع رباعيات. النووي: شرح صحيح مسلم ١٢/ ١٤٨.

[٢]متفق عليه: أخرجه البخاري : كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد، ١٠١/٥، حديث ٤٠٧٥.صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد ١٤١٦/٣، حديث ١٧٩٠. والبيضة: واقي الرأس الذي يلبسه المحارب.

[٣]اسم مكان. والله أعلم.

[٤]التكفؤ: التمايل إلى قدام.

[٥]صحيح: أخرجه الامام أحمد في مسنده ٣٦٩/٤، حديث ٢٦٠٩. الحاكم: المستدرك ٢/ ٣٢٤ ، حديث ٣١٦٣وصححه وأقره الذهبي، وصححه الشيخ أحمد شاكر.

[٦]متفق عليه: أخرجه البخاري كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي ﷺ من الجراح يوم أحد، ١٠١/٥، حديث ٤٠٧٣. صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب اشتداد غضب الله علي من قتله رسول الله ﷺ١٤١٧/٣ ، حديث ١٧٩٣.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [1][2] .وعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قال: كَأَنِّي أَنْظُرُ إلى النَّبِي ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: « اللهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» [3]. ثُمَّ أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَصْعَد عَلَى صَخْرَةٍ [4] فَلَمْ يَسْتَطِعْ [5]فَأَقْعَدَ تَحْتَهُ طَلْحَةَ فَصَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى اسْتَوَى عَلَى الصَّخْرَةِ فَقَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ «أَوْجَبَ طَلْحَةُ»[6].ثم أخذت فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَغْسِلُ الدَّمَ[7] وَعَلِيُّ بن أبي طَالِبٍ يَسْكُبُ عَلَيْهَا بِالْمِجَنِّ، فَلَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ الْمَاءَ لَا يَزِيدُ الدَّمَ إِلَّا كَثْرَةً، أَخَذَتْ قِطْعَةَ حَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهُ حَتَّى صَارَ رَمَادًا ثُمَّ أَلْصَقَتْهُ بِالْجُرْحِ فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ [8].

---

[1] سورة آل عمران: الآية١٢٨.

[2] صحيح: أخرجه مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد ١٤١٧/٣، حديث ١٧٩١.

[3] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الانبياء: باب { أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم } ١٧٥/٤، حديث ٣٤٧٧.

صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد ١٤١٧/٣ ، حديث ١٧٩٢.

قال الدكتور أكرم العمري: لقد استبعد الرسول ﷺأن يوفق الله من آذوه بهذه الصورة – فقال النبي ﷺ: "كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ ... " – فأخبره الله سبحانه بأن ذلك ليس ببعيد إن أراد الله هدايتهم –فأنزل عليه: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ} – فقال عليه الصلاة والسلام لما طمع بإسلامهم "رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون" . العمري: السيرة النبوية الصحيحة ٢/ ٣٨٨.

[4] لِيَجْلِسَ عَلَيْهَا.

[5] من شدة ما فيه من إصابات وإرهاق شديد.

[6] حسن: أخرجه الترمذي في الجامع الصحيح سنن الترمذي : كتاب المناقب، باب مناقب أبي محمد طلحة بن بن عبيد الله – رضي الله عنه ٦٤٣/٥، حديث ٣٧٣٨ . حسنه الألباني في "صحيح الجامع" . ومعنى قوله: "أَوْجَبَ طَلْحَةُ" أي: أوجب لنفسه الجنة. والله أعلم.

[7] عن وجه أبيها ﷺ.

[8] متفق عليه: أخرجه البخاري كتاب: المغازي، باب: ما أصاب النبي ﷺمن الجراح يوم أحد، ١٠١/٥، حديث ٤٠٧٥.صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد١٤١٦/٣ ، حديث ١٧٩٠.

جبريل وميكائيل ينزلان للدفاع عن النبي ﷺ:

لَمَّا حَدثَ هَذَا لِلنَّبِيِّ ﷺ وَكَادَ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، وَقدْ تكَفلَ اللهُ تَعَالَى بِعصْمَتِه مِنَ النَّاسِ ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (١) أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ يُدَافِعَانِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَيَمْنَعَانِهِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قال: لقد رَأَيْتُ يوم أُحُدٍ عَنْ يَمْينِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَنْ يَسَارِهِ رَجُلَيْنِ عَلَيهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، يُقَاتِلانِ عَنْهُ كَأَشَدِ القِتَالِ، مَا رَأَيْتُهُمَا قَبْلُ وَلَا بَعْدُ -يعني جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - (٢).

مقتل أسد الله حمزة ﷺ:

وَفِي تِلْكَ المَعْمَعة كَانَ هُنَاكَ رَجلٌ لَهُ هَدفٌ آخرْ غَيرَ الَّذِي جَاءَ مِنْ أَجْلِهِ الطَرفَان، فَهوَ لا يشغله مَنْ يَنْتَصرْ، المُسْلِمونَ أَمِ الْمُشْرِكُونَ ، ولا يهمه ذلك الأمر كثيرًا، إِنَمَّا كُلُّ الَّذِي يشغله هَو التَحرر مِنَ الرِقِّ وَأَنْ يَنْفكَ مِنْ قُيودِ العُبودِيةِ. وَهَذا الرَجُلُ هُوَ وَحشيٌّ ﷺ الَّذِي أَسْلَم بَعدَ ذَلِكَ وَحَسُنَ إِسْلامُهُ.

وَلِنَترُكهُ يَقُصُّ عَلَيْنَا تَفاصِيلَ مَا حَدثَ بِنَفْسِهِ ﷺ :

يقول وحشيٌّ ﷺ : إِنَّ حَمْزَةَ قَتَلَ طُعَيْمَةَ ابْنَ عَدِيّ بن الْخِيَارِ بِبَدْرٍ، فَقَالَ لِي مَوْلَايَ جُبَيْرُ بن مُطْعِمٍ: إِنْ قَتَلْتَ حَمْزَةَ بِعَمّي فَأَنْتَ حُرٌّ، قَالَ: فَلَمَّا أَنْ خَرَجَ النَّاسُ عَامَ عَيْنَيْنِ - وَعَيْنَيْنِ جَبَلٌ بِحِيَالِ أُحُدٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ وَادٍ - خَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ إِلى الْقِتَالِ فَلَمَّا أَنْ اصطَفُّوا لِلْقِتَالِ خَرَجَ سِبَاعٌ فَقَالَ: هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ؟ فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بن عبد الْمُطَّلِبِ

---

(١) سورة المائدة: الآية٦٧.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب اللباس، باب الثياب البيض ١٤٩/٧، حديث ٥٨٢٦. صحيح مسلم مسلم : كتاب الفضائل، باب في قتال جبريل وميكائيل عن النبي ﷺ يوم أحد ١٨٠٢/٤، حديث ٢٣٠٦.

فَقَالَ: يَا سِبَاعُ يَا ابْنَ أُمِّ أَنْمَارٍ مُقَطِّعَةِ الْبُظُورِ أَتُحَادُّ اللهَ وَرَسُولَهُ؟ ثُمَّ شَدَّ عَلَيْهِ فَكَانَ كَأَمْسِ الذَّاهِبِ [1] قَالَ: وَمَكَنْتُ لِحَمْزَةَ تَحْتَ صخْرَةٍ فَلَمَّا دَنَا مِنِّي رَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي فَأَضَعُهَا فِي ثُنَّتِهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ وَرِكَيهِ [2] قال النبي ﷺ: « رَأَيْتُ الْمَلاَئِكَةَ تُغَسِّلُ حُمْزَةَ بن عَبْدِ الْمُطَّلِب » [3].

دور النساء في المعركة:

عن أنس ﷺ قال: وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَائِشَةَ بنتَ أبي بَكْرٍ وَأُمَّ سُلَيْمٍ وَإِنَّهُمَا لَمُشَمِّرَتَانِ أَرَى خَدَمَ سُوقِهِمَا [4] تُنْقِزَانِ الْقِرَبَ [5] عَلَى مُتُونِهِمَا [6] تُفْرِغَانِهِ فِي أَفْوَاهِ الْقَوْمِ [7].

---

[1] كأمس الذاهب: كناية عن قتله، أي: صيَّره عدمًا.

[2] صحيح: أخرجه البخاري : كتاب المغازي، باب قتل حمزة بن عبد المطلب - رضي الله عنه - ٥/١٠٠، حديث ٤٠٧٢.

يقول وحشيٌ - رضي الله عنه -: فَلَمَّا رَجَعَ النَّاسُ رَجَعْتُ مَعَهُمْ فَأَقَمْتُ بِمَكَّةَ حَتَّى فَشا فِيهَا الْإِسْلَامُ، ثُمَّ خَرَجْتُ إِلى الطَّائِفِ فَأَرْسَلُوا إِلى رَسُولِ اللهِ ﷺ رَسُولاً، فَقِيلَ لِي: إِنَّهُ لَا يَهِيجُ الرُّسُلَ - أي: لا ينالهم منه إزعاج - قَالَ: فَخَرَجْتُ مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَلَمَّا رَآنِي قَالَ: "آنتَ وَحْشِي؟ "، قُلْتُ: نَعَم، قَالَ: "أَنْتَ قَتَلْتَ حَمْزَةَ؟ "، قُلْتُ: قَدْ كَانَ مِنَ الْأَمْرِ مَا بَلَغَكَ قَالَ: "فَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَن تُغَيِّبَ وَجْهَكَ عَنِّي؟ "، قَالَ: فَخَرَجْتُ، فَلَمَّا قُبِض رَسُولُ اللهِ ﷺ فَخَرَجَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ، قُلْتُ: لأَخْرُجَنَّ إِلى مُسَيْلِمَةَ لَعَلِّي أَقْتُلُهُ فَأُكَافِئَ بِهِ حَمْزَةَ, قَالَ: فخَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ قَالَ: فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي ثَلْمَةِ جِدَارٍ كَأَنَّهُ جَمَلٌ أَوْرَقُ ثَائِرُ الرَّأْسِ، قَالَ: فَرَمَيْتُهُ بِحَرْبَتِي فَأَضَعُهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ، قَالَ: وَوَثَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى هَامَتِهِ.

يقول عبد الله بن عُمَرَ -رضي الله عنهما-: فَقَالَتْ جَارِيَةٌ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ: وَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَتَلَهُ الْعبد الْأَسْوَدُ.

قوله: (في ثلمة جدار) أي: في خلل جدار.

قوله: (كأنه جمل أورق) الجمل الأورق الذي لونه رمادي وكان لون مسيلمة كذلك من غبار الحرب.

قوله: (ثائر الرأس) أي: شعره مُنتفش.

[3] حسنه الالباني في صحيح الجامع الصغير ١/٦٥٢، حديث ٣٤٦٣.

[4] خدم سوقهما: أي الخلاخيل.

[5] تُنقزان: النقز: الوثب والقفز، كناية عن سرعة السير.

[6] متن الشيء: أعلاه, يقال: متن الجبل أي أعلاه.

[7] متفق عليه: أخرجه البخاري : كتاب المغازي، باب {إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى

وقَالَ عُمَرُ بن الخطاب ﷺ: أن أُمَّ سَلِيطٍ كَانَتْ تُزْفِرُ لَهم الْقِرَبَ يَوْمَ أُحُدٍ [1].

عدد من قتل من المسلمين في هذه المعركة:

عَنْ الْبَرَاءِ بن عازب ﷺ أنه أُصِيبَ من المسلمين في هذه المعركة سَبْعُونَ قَتِيلًا [2].وعن أبي بن كَعْبٍ ﷺ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أُصِيبَ مِنْ الْأَنْصَارِ أَرْبَعَةٌ وَسِتُّونَ رَجُلاً، وَمِنْ الْمُهَاجِرِينَ سِتَّةٌ منهمْ حَمْزَةُ، فَمَثَّلُوا بِهِمْ [3].وقيل: قتل من الْمُشْرِكِينَ اثْنَانِ وَعِشْرُونَ رجلاً [4].

بعد انتهاء المعركة:

وَبَعدَ انْتِهَاءِ القِتَالِ وَانْصِرَافِ كُلِ فَرِيقٍ إِلَى مُعَسْكَرِهِ ،أَنْزَلَ اللهُ ﷻ النُعاسَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ تَهْدِئَةً لِرَوعِهِمْ، وَرَاحةً لأَجْسَادِهِمْ مِنْ عَناءِ القِتَالِ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ [5].

اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢)} ٥/٩٧، حديث٤٠٦٤. صحيح مسلم : كتاب: الجهاد والسير، باب غزوة النساء مع الرجال ٣/١٤٤٣، حديث ١٨١١.

[1]صحيح: أخرجه البخاري : كتاب المغازي، باب ذكر أم سليط ٥/١٠٠، حديث ٤٠٧١. وتُزفر: أي تحمل.

[2]«...أَنْ لاَ تَبْرَحُوا، فَأَبَوْا، فَلَمَّا أَبَوْا صُرِفَ وُجُوهُهُمْ، فَأُصِيبَ سَبْعُونَ قَتِيلًا،...»صحيح البخاري: كتاب المغازي باب غزوة احد ٥/٩٤، حديث ٤٠٤٣.

[3]صحيح: الجامع الصحيح سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن, باب سورة النحل٥/٢٩٩،حديث٣١٢٩،وقال: هذا حديث حسن غريب. الحاكم : المستدرك ٢/٤٨٤، حديث ٣٦٦٧. وقال هذا صحيح الاسناد ولم يخرجاه . وصححه الألباني في "صحيح سنن الترمذي".

[4]ابن هشام: السيرة ٢/ ١٢٩.

[5]سورة آل عمران: الآية١٥٤.

عَنْ أبي طَلْحَةَ ﷺ قَالَ: كُنْتُ فِيمَنْ تَغَشَّاهُ النُّعَاسُ يَوْمَ أُحُدٍ حَتَّى سَقَطَ سَيْفِي مِنْ يَدِي مِرَارًا يَسْقُطُ وَآخُذُهُ وَيَسْقُطُ فَآخُذُهُ[1].

وبعد ذلك أشرف أَبُو سُفْيَانَ بن حرب ونادى على الْمُسْلِمِينَ فَقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ قال رَسُولُ الله ﷺ: « لا تجِيبُوهُ»، فقَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أبي قُحَافَةَ؟ -يعني أبا بكر- قال رَسُولُ الله ﷺ : « لا تجِيبُوهُ»، فقال: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ؟ فَقَالَ: أَمَّا هَؤُلَاءِ لو كانوا أحياءً لأجابوا، فلم يملَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ فقَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ الله أَبْقَى الله عليك ما يخزيك، قال أَبُو سُفْيَانَ: اعْلُ هُبَلُ، فَقَالَ النبي ﷺ : « أجِيبُوهُ»، قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: « قُولُوا الله أَعْلَى وَأَجَلُّ»، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: لنا الْعُزَّى وَلَا عُزَّى لَكُمْ، فَقَالَ النبي ﷺ : « أجِيبُوهُ»، قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: « قُولُوا الله مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ»، قَالَ أبو سُفْيَانَ: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ وَالْحَرْبُ سِجَالٌ [2]، فَقَالَ عُمَرُ: لَا سَوَاءً، قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: إِنَّكُمْ لَتَزْعُمُونَ ذَلِكَ، لَقَدْ خِبْنَا إِذَنْ وَخَسِرْنَا، ثُمَّ قَالَ أبو سُفْيَانَ: أَمَا إِنَّكُمْ سَوْفَ تَجِدُونَ فِي قَتْلَاكُمْ مُثْلًا [3]،وَلَمْ يَكُنْ ذَاكَ عَنْ رَأْيِ سَرَاتِنَا [4]،ثُمَّ أَدْرَكَتْهُ حَمِيَّةُ الْجَاهِلِيَّةِ فَقَالَ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَانَ ذَاكَ وَلَمْ نَكْرَهْهُ [5].

---

[1] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب {ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا}،٥/٩٩، حديث ٤٠٦٨. صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب غزوة النساء مع الرجال ٣/١٤٤٣، حديث ١٨١١.

[2] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة أحد٥/٩٤، حديث ٤٠٤٣.

[3] مثلاً: أي تمثيلاً بالقتلى.

[4] السراة: الأشراف والكبراء، أي لم يكن ذلك التمثيل بالقتلى عن رأي ورضيً من كبرائنا.

[5] صحيح: أخرجه الامام أحمد ٤/٣٧٠، حديث٢٦٠٩. أي: قد كان ذلك التمثيل بالجثث ليس عن أمرنا ولكنا لم نكرهه.

النبي ﷺ يتفقد الشهداء، ثم يأمر بدفنهم:

عَنْ أَنَسِ بن مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَرَّ عَلَى حَمْزَةَ وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ، فَقَالَ: « لَوْلَا أَنْ تَجِدَ صَفِيَّةُ فِي نَفْسِهَا لَتَرَكْتُهُ حَتَّى تَأْكُلَهُ الْعَافِيَةُ [1] حَتَّى يُحْشَرَ مِنْ بُطُونِهَا» ثم دعا بنمرة فكفنه فيها فكانت إذا مُدَّت على رأسه بدت رجلاه وإذا مدت على رجله بدا رأسه، وَقَلَّتْ الثِّيَابُ وَكَثُرَتْ الْقَتْلَى فَكَانَ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ وَالثَّلَاثَةُ يُكَفَّنُونَ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ، ثُمَّ يُدْفَنُونَ فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ، فَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَسْأَلُ عنهم: « أَيُّهُمْ أَكْثَرُ قُرْآنًا» فَيُقَدِّمُهُ إلى الْقِبْلَةِ [2].

وعَنْ أَنَسٍ أيضًا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِحَمْزَةَ وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْ الشُّهَدَاءِ غَيْرِهِ[3].وعَنْ جَابِرِ بن عبد الله ﷺ قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: « أَيُّهُمْ أَكثرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ؟ » فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ وَقَالَ: « أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ، وَلَمْ يُغَسَّلُوا وَلَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِمْ[4].

وعَن خَبَّابِ بن الأرت ﷺ قَالَ: هَاجَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ نَبْتَغِي وَجْهَ الله فَوَجَبَ أَجْرُنَا عَلَى الله فَمِنَّا مَنْ مَضَى أَوْ ذَهَبَ لَمْ يَأْكُلْ مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا كَانَ مِنْهُمْ

---

[1] العافية: قال الخطابي: هي السباع والطير التي تقع على الجيف فتأكلها. "عون المعبود" ٨/ ٢٨٥.

[2] صحيح: أخرجه أبو داود في سننه : كتاب الجنائز، باب في الشهيد يُغسل٥/٥٦ ، حديث (٣١٣٦). والترمذي في سننه : كتاب الجنائز، باب ما جاء في قتلى أحد وذكره حمزة ٣/٣٣٥، حديث(١٠١٦). وصححه الألباني "صحيح سنن الترمذي".

[3] حسن: أخرجه أبو داود : كتاب الجنائز، باب في الشهيد يغسل٥/٥٧، حديث ٣١٣٧ وصححه الألباني "صحيح سنن أبي داود".

[4] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد ٢/ ٩١، حديث ١٣٤٣. وفي رواية للبخاري أيضًا قال جابر: فكفن أبي وعمي في نمرة واحدة.
وقد تقدم أن النبي – صلى الله عليه وسلم – صلى على حمزة – رضي الله عنه – والظاهر –والله أعلم– كما قال بعض العلماء منهم ابن القيم – رحمه الله – أن النبي ﷺ مخير بين الصلاة على الشهداء وعدم الصلاة.

مُصْعَبُ بن عُمَيْرٍ قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ فَلَمْ يَتْرُكْ إِلَّا نَمِرَةً [1] كُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ خَرَجَتْ رِجْلَاهُ، وَإِذَا غُطِّيَ بِهَا رِجْلَاهُ خَرَجَ رَأْسُهُ، فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: « غَطُّوا بِهَا رَأْسَهُ وَاجْعَلُوا عَلَى رِجْلَيهِ الْإِذْخِرَ»، أَوْ قَالَ: « أَلْقُوا عَلَى رِجْلَيْهِ مِنْ الْإِذْخِرِ» [2].

وقَالَ جابر ﷺ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ جَاءَتْ عَمَّتِي بِأبي لِتَدْفِنَهُ في مَقَابِرِنَا، فَنَادَى مُنَادِي رَسُولِ الله ﷺ رُدُّوا الْقَتْلَى إلى مَضَاجِعِهِمْ [3].

حُزْن النبي ﷺ على الشهداء:

عَنْ جَابِرِ بن عبد الله ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابُ أُحُدٍ: « أَمَا وَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي غُودِرْتُ مَعَ أَصْحَابِ نُحْض الْجَبَلِ» [4].

النبي ﷺ يثني علي ربه:

وَلَمَّا انْصَرفَ العَدُو مِنَ المَيْدَانِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « اسْتَوُوا حَتَّى أُثْنِيَ عَلَى رَبِّي – عَزَّ وَجَلَّ–» فَصَارُوا خَلْفَهُ صُفُوفًا، فَقَالَ: « اللهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ اللّهمَّ لَا قَابِضَ لِمَا بَسَطْتَ، وَلَا بَاسِطَ لِمَا قَبَضْتَ، وَلَا هَادِيَ لِمَا أَضْلَلْتَ، وَلَا مُضِلَّ لِمَنْ هَدَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُقَرِّبَ لِمَا بَاعَدْتَ، وَلَا مُبَاعِدَ لِمَا قَرَّبْتَ،

---

[1] النَّمِرة: نوع من الكساء.

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب من قتل من المسلمين يوم أحد ١٠٣/٥، حديث ٤٠٨٢. صحيح مسلم : كتاب الجنائز، باب في كفن الميت ٦٤٩/٢، حديث ٩٤٠. والإذخر: حشيش معروف طيب الرائحة.

[3] صحيح: أخرجه الترمذي في سننه : كتاب الجهاد، باب في دفن القتيل في مقتله ٢١٥/٤، حديث١٧١٧. صححه الألباني "صحيح سنن الترمذي".

[4] صحيح: أخرجه الامام أحمد ٢٧٠/٢٣، حديث ١٥٠٢٥.
نحض الجبل: سفح الجبل، والمعنى: لوددت أني قتلت معهم، وهذا من شدة حزنه عليهم ﷺ.

اللَّهمَّ ابْسُطْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِكَ، وَرَحْمَتِكَ، وَفَضْلِكَ، وَرِزْقِكَ، اللَّهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّعِيمَ الْمُقِيمَ الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ، اللَّهمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْأَمْنَ يَوْمَ الْخَوْفِ، اللَّهمَّ إِنِّي عَائِذٌ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا أَعْطَيْتَنَا، وَشَرِّ مَا مَنَعْتَنَا، اللَّهمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا، وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ وَاجْعَلْنَا مِنْ الرَّاشِدِينَ، اللَّهمَّ تَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ وَأَحْيِنَا مُسْلِمِينَ، وَأَلْحِقْنَا بِالصَّالِحِينَ غَيْرَ خَزَايَا وَلَا مَفْتُونِينَ، اللَّهمَّ قَاتِلْ الْكَفَرَةَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ رُسُلَكَ، وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِكَ، وَاجْعَلْ عَلَيْهِمْ رِجْزَكَ وَعَذَابَكَ إِلَهَ الْحَقِّ آمين» [1].وعَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يَقُولُ يَوْمَ أُحُدٍ: « اللهُمَّ إِنَّكَ إِنْ تَشَأْ لَا تُعبد في الْأَرْضِ» [2].

وَقالَ النَّبيُّ ﷺ : « اللهُمَّ الْعَنْ أَبَا سُفْيَانَ، اللَّهمَّ الْعَنْ الْحَارِثَ بن هِشَامٍ، اللَّهمَّ الْعَنْ صَفْوَانَ بن أُمَيَّةَ» فَنَزَلَتْ: ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [3] . فَتَابَ الله عَلَيْهِمْ فَحَسُنَ إِسْلَامُهُمْ [4]. وَلَقَدْ عَفَا اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- عَنِ الْمُؤمِنِينَ الَّذِينَ فَرّوا يومَ أُحُدٍ فَأَنْزَلَ: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[5].وَرَبطَ اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- مِنْ جَأْشِ الْمُسْلِمِينَ فَقالَ: ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ

---

[1]صحيح: أخرجه أحمد ٢٤٦/٢٤،حديث ١٥٤٩٢. الحاكم : المستدرك ٢٦/٣،حديث ٤٣٠٨. وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في تخريج "فقه السيرة" (٢٦٩).

[2]صحيح: أخرجه مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو ١٣٦٣/٣، حديث ١٧٤٣.

[3]سورة آل عمران: الآية١٢٨.

[4]صحيح: أخرجه البخاري : كتاب المغازي ،باب ليس لك من الأمر شيء،٩٩/٥، حديث ٤٠٦٩.اخرجه الترمذي في سننه: كتاب التفسير، باب ومن سورة آل عمران ،٢٢٧/٥،حديث(٣٠٠٤).

[5]سورة آل عمران: الآية١٥٥.

النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾[1].

وَبعدَ أَنْ رَجعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى المَدْينَةِ مَرَّ بِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي دِينَارٍ، وَقَدْ أُصِيبَ زَوْجُهَا وَأَخُوهَا وَأَبُوهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِأُحُدٍ، فَلَمَّا نُعُوا لَهَا، قَالَتْ: فَمَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالُوا:خَيْرًا يَا أُمَّ فُلَانٍ، هُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ كَمَا تُحِبِّينَ، قَالَتْ: أَرُونِيهِ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: فَأُشِيرَ لَهَا إِلَيْهِ، حَتَّى إِذَا رَأَتْهُ قَالَتْ: كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ! تُرِيدُ صَغِيرَةً[2].

وعَنْ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قال: مر رَسُولُ الله بنسَاءِ عبد الْأَشْهَلِ يَبْكِينَ هَلْكَاهُنَّ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : « لَكِنَّ حَمْزَةَ لَا بَوَاكِيَ لَهُ"، فَجَاءَ نِسَاءُ الْأَنْصَارِ يَبْكِينَ حَمْزَةَ، فَاسْتَيْقَظَ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: "ويحَهُنَّ مَا انْقَلَبْنَ [3]بَعْدُ؟ مُرُوهُنَّ فَلْيَنْقَلِبْنَ، وَلَا يَبْكِينَ عَلَى هَالِكٍ بَعْدَ الْيَوْمِ" [4].

الآيات التي نزلت بشأن غزوة أحد:

وَلقدْ نَزَلتْ فِي مَوضوعِ غَزْوةِ أُحُدٍ وَمعْرَكَتِهَا ثَمَانٍ وَخَمْسُونَ آيَةً مِنْ سُورَةِ آل عِمْران تَبْدَأ بِذِكْرِ المَراحِلِ الأولَى لِلمَعْرَكةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى:﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾[5] .

---

[1] سورة آل عمران: الآيتان١٣٩ـ ١٤٠.

[2] حسن: أخرجه ابن هشام في "السيرة" ٢/ ٩٩، عن ابن إسحاق بسند حسن إلى سعد بن أبي وقاص – رضي الله عنه –.

[3] أي: ما رجعن إلى بيوتهن.

[4] صحيح: أخرجه أحمد ٩/ ٤٧٧،حديث ٥٦٦٦. سنن ابن ماجه : كتاب الجنائز، باب ما جاء في البكاء على الميت ١/٥٠٧، حديث ١٥٩١ وصححه الألباني .

[5] سورة آل عمران: الآية١٢١.

وَنزَلَتْ آيَاتِ القُرآنِ تَمْسَحُ جِرَاحَاتِ الْمُسْلِمِينَ وآلامِهِمْ وَتُعْطِيهِمْ جُرْعَات كَبْيرَة مِنَ التَرْبِيَةِ الإِيْمَانِيَةِ، وَهِيَ تُسَجِل مَشَاهِد مُتَعَدِدَة مِنْ هَذِه الغَزْوَة وَالدَرْس، مِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1] . وَمِنْهَا: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاسِ[2] .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[3] .وَقَوْلُهُ: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَداءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[4] .وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ [5].وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾[6] .وَقَوْلُهُ: ﴿وَما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتاباً مُؤَجَّلًا﴾ [7] .وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَما تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ ما لا يَرْجُونَ﴾ [8]. وَتقدمْ فِي النِهايَةِ تَعْليقَاً جَامِعاً عَلَى نَتَائِج المَعْرَكَةِ وَالحِكْمَةِ الَّتِي أَرَادَهَا اللهُ مِنْ جَرّائِها، فِي قَولِه تَعَالَى: ﴿ما كانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلى ما أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَما كانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا

---

[1] سورة آل عمران: الآية١٣٩.
[2] سورة آل عمران: الآية١٤٠.
[3] سورة آل عمران: الآية١٤٢.
[4] سورة آل عمران:الآية١٤٠.
[5] سورة آل عمران: الآية١٤٣.
[6] سورة آل عمران: الآية١٤٤.
[7] سورة آل عمران: الآية١٤٥.
[8] سورة آل عمران: الآية١٠٤.

فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[1] .

وَاجهَ المُسْلِمونَ عِندَ عَودَتِهِمْ إِلَى الْمَدِينَةِ اليَهودَ الشَامِتِينَ، وَالْمُنَافِقِينَ المُرجِفينَ، وَكَانُوا يُواجِهونَ فِي أَطْرافِهَا الأَعْرَاب الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ تَطَلَعُوا بِشَراهَةٍ إِلَى ثِمَارِ الْمَدِينَةِ وَخَيرَاتِهَا. لَقَدْ كَانَ التَحَرك السَرِيْع وَالدَقِيق مِنْ أَجلِ اسْتِعَادَةِ مَواقِعَ المُسْلِمينَ وَمَكَانَتِهِمْ ضُرورِيّاً لِلرَدِّ عَلَى كُلِّ الأَخْطارِ وَالاحْتِمالاتِ السِلْبِيَةِ. وَمِنْ هَذَا المَنْطَلَقِ كَانَ أَمْرُ النَّبِيِّ ﷺ أَصْحابَه أَنْ يَخْرُجوا- رَغْمَ كُلْ مَا أَصَابَهُمْ- لِمُطَارَدَةِ جَيْشِ قُرَيْشٍ إِلى حَمْرَاءِ الْأَسَدِ فِي غَزْوَةٍ اقْتَصَرَتْ عَلَى مَنْ شَهِدَ أُحُداً دُونَ غَيرِهِمْ [2].

الرسول ﷺ يقوم بمناورة عسكرية في حمراء الأسد:

لَمْ يَلْبَثْ الرَسُولُ ﷺ فِي اليَومِ التَالِي أَنْ قَامَ بِمُنَاوَرةٍ عَسْكَرِيةٍ لِمُلاحَقةِ الْمُشْرِكِينَ فِي غَزْوَةِ حَمْرَاءِ الْأَسَدِ وَكَانَ يَهْدِفُ لِتَحقيقِ مَجْموعَةٍ مِنَ المَقَاصِد المُهِمَةِ مِنْهَا:

١- ألاَّ يَكُون آخِرَ مَا تَنْطَوي عَلَيْهِ نُفوس الَّذِينَ خَرَجُوا يَومَ أُحُدٍ هَوَ الشُعور بِالهَزِيمَة.

٢- إِعْلامهُمْ أَنَّ لَهُمْ الكَّرَة عَلَى أَعْدَائِهِمْ مَتَى نَفَضُوا عَنْهُمْ الضُعْف وَالفَشَل وَاسْتَجَابُوا لِدَعْوَةِ اللهِ وَرسولِهِ.

٣- تَجْرِئَة الصَحَابَة عَلَى قِتَالِ أَعْدَائِهِمْ.

٣- إِعْلاَمِهِمْ أَنَّ مَا أَصَابَهُمْ فِي ذَلِكَ اليوم إِنَّما هُوَ مِحْنَةً وَابْتِلاءً اقْتَضَتهَا إِرَادَةُ اللهِ وَحِكْمَتَه وَأَنهُم أَقْوِياء، وَأَنَّ خُصومَهُمْ الغَالِبِينَ فِي الظَاهِر ضُعَفَاء [3].

---

[1] سورة آل عمران: الآية ١٧٩.

[2] صحيح البخاري : كتاب المغازي :بَاب { الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ }٥/١٠٢،حديث (٤٠٧٧).

[3] قطب، سيد: في ظلال القرآن١/٥١٩.

كَمَا أَنَّ فِي خُروجِ النَّبيِّ ﷺ إِلَى حَمْرَاءِ الْأَسَدِ إِشَارَةً نَبَوِيَة إِلَى أَهَمِيَة اسْتِعْمَالِ الحَرب النَفْسِيَة للتأثير عَلَى مَعْنَوِيَاتِ الخُصومِ، حَيْثُ خَرجَ ﷺ بِجُنودِهِ إِلَى حَمْرَاءِ الْأَسَدِ ، وَمَكثَ فِيهَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَأَمرَ بِإِيقَادِ النِّيرَانِ فَكَانَتْ تُشَاهَد مِنْ مَكَانٍ بَعْيدٍ وَمَلأَتْ الأَرْجَاءَ بِأَنْوَارِهَا، حَتَّى خُيِّلَ لِقُرَيْشٍ أَنَّ جَيْش الْمُسْلِمِينَ ذُو عَدَدٍ كَبْيرٍ لا طَاقَةَ لَهُمْ بِه فَانْصَرَفُوا، وَقَدْ مَلأَ الرُعْبُ أَفْئِدَتَهُمْ [1]. قَالَ ابْنُ سَعْدٍ: (وَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَصْحَابِهِ حَتَّى عَسْكَرُوا بِحَمْرَاءَ الْأَسَدِ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُوقِدُونَ تِلْكَ اللَّيَالِي خَمْسَمِائَةِ نَارٍ حَتَّى تُرَى مِنَ الْمَكَانِ الْبَعِيدِ، وَذَهَبَ صَوْتُ مُعَسْكَرِهِمْ وَنِيرَانِهِمْ فِي كُلِّ وَجْهٍ فَكَبَتَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِذَلِكَ عَدُوَّهُمْ) [2].

مواقف بطولية شامخة :

بَعْدَ هَذَا الْمُلَخص لأحْدَاثِ مَعْرَكَةِ أُحُدٍ ، نَذْكُرُ بَعْض النَمَاذِجْ الفَرِيْدَة مِنَ الَّذِينَ شَارَكُوا فِي هَذِه المَعْرَكَةِ وَسَجلُوا بُطولاتٍ فِي تَارِيخِ الإِيمَانِ تَجَاوزَ فِيهَا النَصْر وَالهَزِيمَة لا تُفَرِق بَيْنَهُمَا إِلاَّ لَحْظَةً مِنَ الزَمَانِ، مِنْهُمْ :

عمرو بن أُقَيش يدخل الجنة وما صلى لله صلاة:

عنْ أَبي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنّ عَمْرَو بن أُقَيْشٍ كَانَ لَهُ رِبًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَرِهَ أَنْ يُسْلِمَ حَتَّى يَأْخُذَهُ، فَجَاءَ يَوْمُ أُحُدٍ، فَقَالَ: أَيْنَ بنو عَمِّي؟ قَالُوا: بِأُحُدٍ، قَالَ: أَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا: بِأُحُدٍ، قَالَ: فَأَيْنَ فُلَانٌ؟ قَالُوا: بِأُحُدٍ، فَلَبِسَ لَأْمَتَهُ، وَرَكِبَ فَرَسَهُ، ثُمَّ تَوَجَّهَ قِبَلَهُمْ، فَلَمَّا رَآهُ الْمُسْلِمُونَ قَالُوا: إِلَيْكَ عَنَّا يَا عَمْرُو، قَالَ: إِنِّي قَدْ آمَنْتُ، فَقَاتَلَ حَتَّى

---

[1] أبو فارس، محمد عبد القادر: غزوة أحد، ص٥١.

[2] ابن سيد الناس: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير٢/٥٤.

جُرِحَ، فَحُمِلَ إِلَى أَهْلِهِ جَرِيحًا، فَجَاءَهُ سَعْدُ بن مُعَاذٍ، فَقَالَ لِأُخْتِهِ: سَلِيهِ حَمِيَّةً لِقَوْمِكَ، أَوْ غَضَبًا لَهُمْ، أَمْ غَضَبًا لِلَّهِ؟ فَقَالَ: بَلْ غَضَبًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، فَمَاتَ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَا صَلَّى للهِ صَلَاةً [1].

عبد الله بن حرام ﷺ تظله الملائكة بأجنحتها، ويكلمه الله من غير حجاب:

عَنْ جَابِرِ بن عبد الله ﷺ قَالَ: لَمَّا حَضرَ أُحُدٌ دَعَانِي أبي مِنْ اللَّيْلِ فَقَالَ: مَا أُرَانِي إِلَّا مَقْتُولًا فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِنِّي لَا أَتْرُكُ بَعْدِي أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ غَيرَ نَفْسِ رَسُولِ الله ﷺ ، فَإِنَّ عَلَيَّ دَيْنًا فَاقْضِ وَاسْتَوْصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْرًا، فَأَصْبَحْنَا فَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ وَدُفِنَ مَعَهُ آخَرُ فِي قَبْرٍ ثُمَّ لَمْ تَطِبْ نَفْسِي أَنْ أَتْرُكَهُ مَعَ الآخَرِ، فَاسْتَخْرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ فَإِذَا هُوَ كَيَوْمِ وَضَعْتُهُ هُنَيَّةً غَيْرَ أُذُنِهِ [2].وعن جَابِر أيضًا قَالَ: لما كان يوم أحد جِيءَ بِأبي مُسجىً وقَدْ مُثِّلَ بِهِ، قال: فأردتُ أن أرفع الثوب فَنَهَانِي قَوْمِي، ثُمَّ أردت أن أرفع الثوب فنَهَانِي قَوْمِي، فرفعه رَسُولُ الله ﷺ أو أمر به فَرُفِعَ، فَسَمِعَ صوْتَ باكية أو صَائِحَةٍ فَقَالَ: « مَنْ هَذِهِ؟ "، فَقَالُوا: بنت عَمْرٍو أَوْ أُخْتُ عَمْرٍو فقَالَ: « ولِمَ تَبْكِي؟ فَمَا زَالَتْ الْمَلَائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رُفِعَ "[3].

وعنه أيضًا قال: لَقِيَنِي رَسولُ الله ﷺ فَقَالَ لِي: « يَا جَابِرُ مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟ "

---

[1] حسن: أخرجه أبو داود : كتاب الجهاد، باب فيمن يسلم ويقتل في مكانه في سبيل الله ٤/١٩٠ ، حديث٢٥٣٧ وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح سنن أبي داود".

[2] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب هل يُخرج الميت من القبر أو اللحد لعلة؟٢/٩٣، حديث ١٣٥١.

[3] متفق عليه: أخرجه البخاري : كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت ٢/٨١، حديث ١٢٩٣. صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة, باب من فضائل عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر رضي الله تعالى عنهما ٤/١٩١٧، حديث ٢٤٧١.

قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله اسْتُشْهِدَ أَبِي، قُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ، وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا قَالَ: "أَفَلَا أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ الله بِهِ أَبَاكَ؟ " قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قَالَ: "مَا كَلَّمَ الله أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَأَحْيَا أَبَاكَ فَكَلَّمَهُ كِفَاحًا فَقَالَ: يَا عَبدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلَ فِيكَ ثَانِيَةً، قَالَ الرَّبُّ عزوجل: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُم إِلَيهَا لَا يُرجَعُونَ، قَالَ: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الْأَيَةُ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ (١)(٢).

حنظلةُ تُغسله الملائكة:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ عِنْدَ قَتْلِ حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي عَامِرٍ بَعْدَ أَنْ الْتَقَى هُوَ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ حِينَ عَلَاهُ شَدَّادُ بْنُ الأَسْوَدِ، بِالسَّيْفِ فَقَتَلَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " إِنَّ صَاحِبَكُمْ حَنْظَلَةَ تُغَسِّلُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَسَلُوا صَاحِبَتَهُ(٣) عنه"، فَقَالَتْ: إِنَّهُ خَرَجَ لَمَّا سَمِعَ الْهَائِعَةَ (٤) وَهُوَ جُنُبٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :" لِذَلِكَ غَسَّلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ " (٥).وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « رَأَيْتُ المَلاَئِكَةَ تُغَسِّلُ حُمْزَةَ بن عَبْدِ المُطَّلِب وَحَنْظَلَةَ بْنَ الرَّاهِبِ " (٦).

---

(١)سورة آل عمران: الآية ١٦٩.

(٢)حسن: الجامع الصحيح سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن, باب سورة آل عمران ٥/ ٢٣٠، حديث ٣٠١٠. وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، لا نعرفه. إلا من حديث موسى بن إبراهيم وحسنه الشيخ الألباني في "صحيح سنن الترمذي".

(٣)صَاحِبَتَهُ: زوجته.

(٤)الْهَائِعَةَ: هِيَ الصَّوْتُ الشَّدِيدُ.

(٥)حسن: الحاكم : المستدرك ٣/ ٢٢٥،حديث٤٩١٧. وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي، وأخرجه البيهقي في "السنن" ٤/ ٢٢،حديث ٦٨١٤.

(٦)حسن: أخرجه الطبراني في "الكبير" عن ابن عباس – رضي الله عنه – , وحسنه الالباني في صحيح الجامع الصغير١/ ٦٥٢، حديث ٣٤٦٣.

عمرو بن الجموح يطأُ برجله في الجنة:

كَانَ عَمْرَو بْنَ الْجَمُوحِ رضي الله عنه رَجُلًا أَعْرَجَ شَدِيدَ الْعَرَجِ، وَكَانَ لَهُ بَنُونَ أَرْبَعَةٌ، يَشْهَدُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَشَاهِدَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أَرَادُوا حَبْسَهُ، وَقَالُوا لَهُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ: قَدْ عَذَرَكَ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ: إِنَّ بَنِيَّ يُرِيدُونَ أَنْ يَحْبِسُونِي عَنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَالْخُرُوجِ مَعَكَ فِيهِ، فو الله إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَطَأَ بِعَرْجَتِي هَذِهِ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ عَذَرَكَ اللَّهُ فَلَا جِهَادَ عَلَيْكَ، وَقَالَ لِبَنِيهِ: مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَمْنَعُوهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ فَخَرَجَ مَعَهُ فَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ(١).

وعن أبي قتادة قال: جاء عَمْرُو بن الْجَمُوحِ رضي الله عنه إلى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ إِنْ قَاتَلْتُ فِي سَبِيلِ الله حَتَّى أُقْتَلَ أَمْشِي بِرِجْلِي هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الْجَنَّةِ؟ فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: « نَعَم"، فَقُتِلُوا يَوْمَ أُحُدٍ هُوَ وَابْنُ أَخِيهِ وَمَوْلىً لَهُمْ، فَمَرَّ عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ فَقَالَ: « كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكَ تَمْشِي بِرِجْلِكَ هَذِهِ صَحِيحَةً فِي الْجَنَّةِ"، فَأَمَرَ رَسُولُ الله بِهِمَا وَبِمَوْلَاهُمَا فَجُعِلُوا فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ (٢).

عبد الله بن جحش رضي الله عنه يتمنى الشهادة في سبيل الله فينالها:

عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَحْشٍ، قَالَ يَوْمَ أُحُدٍ: أَلَا تَأْتِي نَدْعُو اللَّهَ، فَخَلَوْا فِي نَاحِيَةٍ، فَدَعَا سَعْدٌ فَقَالَ: يَا رَبِّ إِذَا لَقِينَا الْقَوْمَ غَدًا، فَلَقِّنِي رَجُلًا شَدِيدًا بَأْسُهُ شَدِيدًا حَرْدُهُ، فَأُقَاتِلُهُ فِيكَ وَيُقَاتِلُنِي، ثُمَّ ارْزُقْنِي عَلَيْهِ الظَّفَرَ حَتَّى أَقْتُلَهُ، وَآخُذَ سَلَبَهُ، فَقَامَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ ثُمَّ، قَالَ: اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي غَدًا رَجُلًا شَدِيدًا

---

(١) صحيح: أخرجه ابن هشام في "السيرة" عن ابن إسحاق ٢/ ٩١، وصححه الألباني في تخريج "فقه السيرة" للغزالي ١/ ٢٦٧.

(٢) صحيح: أخرجه الامام احمد في مسنده ٣٧/ ٢٤٧، حديث (٢٢٥٥٣)، وصححه أحمد شاكر.

حَرْدُهُ، شَدِيدًا بَأْسُهُ، أُقَاتِلُهُ فِيكَ وَيُقَاتِلُنَي، ثُمَّ يَأْخُذُنِي فَيَجْدَعُ [1] أَنْفِي وَأُذُنِي، فَإِذَا لَقِيتُكَ غَدًا قُلْتَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ فِيمَ جُدِعَ أَنْفُكَ وَأُذُنُكَ؟ فَأَقُولُ: فِيكَ وَفِي رَسُولِكَ، فَيَقُولُ: صَدَقْتَ. قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ: يَا بُنَيَّ كَانَتْ «دَعْوَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ خَيْرًا مِنْ دَعْوَتِي، لَقَدْ رَأَيْتُهُ آخِرَ النَّهَارِ، وَإِنَّ أُذُنَهُ وَأَنْفَهُ لَمُعَلَّقَانِ فِي خَيْطٍ»[2].

---

[1] يجدع: أي يقطع.

[2] صحيح: أخرجه الحاكم في المستدرك ٢ / ٨٦،حديث ٢٤٠٩. وقال: صحيح على شرطهما لولا إرساله، ووافقه الذهبي، وصححه موصولاً من حديث إسحاق بن سعد، والبيهقي في "السنن" ٦/ ٥٠١، حديث ١٢٧٦٩.

المبحث الثاني

المستفاد من أحداث غزوة أحد

المستفاد من الآيات التي نزلت بشأن غزوة أحد :

١- إحساس المؤمن بأنه هو الأعلى :

يجب على المؤمنين أن يحسوا الإحساس الكامل بأنهم الأعلون على غيرهم من الكافرين مهما بلغت قوة أعدائهم، ومهما بلغ عليهم التضييق والحبس، فإن الأسد يبقى أسداً في شكله وإحساسه وإن كان مقيداً حبيساً. قال تعالى:﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾[١] .

٢- التمييز بين المؤمنين والمنافقين :

إن ما أصاب المسلمين في أحد من جرح وقتل فبأذن الله تعالى وقضاءه وقدره، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٢]، وبموجب سنته في الأسباب والمسببات، وله الحكمة في ذلك كله . ان من حكمة ما أصاب المسلمين في أحد إظهار التمايز بين المؤمنين والمنافقين، لأن مداولة الأيام وتعاقب الشدة والرخاء محك لا يخطئ .قال تعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [٣] .

---

[١] سورة آل عمران ، الآية ١٣٩.
[٢] سورة آل عمران ، الآية ١٦٦.
[٣] سورة آل عمران ، الآية ١٧٩.

٣- الذنوب سبب المصائب:

بعض المؤمنين فروا وانهزموا يوم أحد وقد حملهم على الزلل بالتولي عن القتال بسبب ما اكتسبوه من الذنوب والتي منها مخالفة الرماة لأمر رسول الله ﷺ،قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ (١) . فالمعاصي سبب كل عناء وطريق كل شقاء وما حلت في ديار إلا أهلكتها ولا فشت في مجتمعات إلا دمرتها وأزالتها وما أهلك الله تعالى أمه إلا بذنب وما نجى وما فاز من فاز إلا بتوبة وطاعة.

٤- موت القائد لا يوقف الجهاد في سبيل الله:

فلا بد من الثبات وإن قُتِلَ القائد. قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (٢) .

٥- الآجال مفروغ منها:

فلا يزيد في عمر الإنسان جبنٌ ولا فرار من مواجهة الأعداء، ولا ينقص من عمر الإنسان إقدامه ومجاهدته للأعداء. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾(٣).

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٥٥.

(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٤٤.

(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٤٥.

٦- تحميل النفس وليس الغير سوء ما وقع ويقع:

حددّ الله الجهة التي تُلام عند حلول النكبة والمصيبة وهي أنفسنا؛ فلا يجوز شرعاً أن نبرىء أنفسنا مما يقع علينا من النكبات والمصائب ونلقي اللوم والمسؤولية على غيرها، قال تعالى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) .

٧- يجب النظر إلى الماضي للعبرة والاتعاظ لا للحزن والبكاء:

عندما يصدر منا خطأ أو غفلة أو تقصير، يجب أن لا نقول :لو فعلنا كذا لكان كذا على وجه التفجع والحزن ورد المُقّدر، فإن لو تفتح عمل الشيطان، وإنما علينا التأمل بالمصيبة والاتعاظ من دروسها ومعرفة إسباب ما وقع لنتقي ذلك في المستقبل، فإن وقائع الحياة والتجارب تعلم الإنسان ما لا يعلمه الكتاب، وإن كان التعليم باهظاً . قال تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(٢) .

٨- الدعاء بالاستغفار من الذنوب:

يجب أن يقدم الدعاء بالاستغفار من الذنوب على طلب تثبيت الأقدام أمام العدو. قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾(٣) .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٦٥.
(٢) سورة آل عمران ، الآية ١٥٣.
(٣) سورة آل عمران ، الآية ١٤٧.

٩- خطورة إيثار الدنيا على الآخرة :

أن مما يُفقد الأمة عون الله ونصره وتأييده، هو إيثارها الدنيا على الآخرة قال ابن مسعود رضي الله عنه : " ما كنت أرى أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا حتى نزل فينا يوم أحد ﴿مِنكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ . وقال ابن عباس – رضي الله عنه –: لما هزم الله المشركين يوم أحد، قال الرماة : " أدركوا الناس ونبي الله، لا يسبقوكم إلى الغنائم، فتكون لهم دونكم "، وقال بعضهم : " لا نبرح حتى يأذن لنا النبي ﷺ"، فنزلت: ﴿مِنكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾.وفي ذلك درس عظيم يبين خطورة حب الدنيا، وأن التعلق بها قد يتسلل إلى قلوب أهل الإيمان والصلاح، وربما خفي عليهم ذلك، فآثروها على ما عند الله، مما يوجب على المرء أن يتفقد نفسه ويحاسبها، وأن يزيل كل ما من شأنه أن يحول بينه وبين الاستجابة لأوامر الله ونواهيه .

المستفاد من طلب بعض الفتيان المشاركة في الجهاد مع النبي ﷺ:

نلحظ أن المجتمع الإسلامي يضج بالحركة، ويسعى للشهادة شيبًا، وشبابًا، وحتى الفتيان يقبلون على الموت ببسالة، ورغبة في الشهادة، تبعث على الدهشة، دون أن يجبرهم قانون التجنيد، أو تدفع بهم قيادة إلى ميدان القتال، وهذا يدل على أثر المنهج النبوي الكريم في تربية شرائح الأمة المتعددة على حب الآخرة والترفع عن أمور الدنيا.

المستفاد من خبر حنظلة بن عامر وقتاله في أحد :

١- حرص حنظلة القوي على مقارعة أعداء الله الذي يتمثل في سرعة خروجه إلى الميدان، الأمر الذي لم يتمكن معه من غسل الجنابة.

٢- شجاعته الفائقة تظهر في تصديه لقائد المشركين أبي سفيان بن حرب والقائد غالبًا يكون حوله من يحميه، وهو فارس وحنظلة راجل.

٣- تشريف رباني كريم في نزول الملائكة لتغسيل حنظلة بمياه المزن في صحاف الفضة.

٤- معجزة نبوية في إخبار الصحابة عما قامت به الملائكة من تغسيل، حيث رأى ﷺ الملائكة وهي تغسل ولم ير الصحابة ذلك[١].

٥- إذا كان الشهيد جنبًا، غسل، كما غسلت الملائكة حنظلة بن أبي عامر[٢].

المستفاد من إشاعة مقتل النبي محمد ﷺ في غزوة أحد :

من الحِكم الباهرة من هذه الغزوة إشاعة قتل النبي محمد ﷺ فيها، كي يتنبه المسلمون إلى الحقيقة التي ينبغي أن يوطنوا أنفسهم عليها، وهي قول الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾[٣]، فلا يرتدوا على أعقابهم أو يضعفوا ويتراجعوا، إذا وجدوا رسول الله ﷺ قد اختفى من بينهم، أو تُوفي أو قتِل، ومن أجل ذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ

---

[١] الحميدي : التاريخ الإسلامي ١٢٩/٥، ١٣٠.
[٢] ابن القيم : زاد المعاد ١٧٩/٣.
[٣] سورة الزمر، الآية ٣٠.

عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ ﴾[1]. ولقد بان أثر هذه الحكمة يوم وفاة رسول الله ﷺ بالفعل، فكانت هذه الشائعة في يوم أحد وما نزل بسببها من القرآن، هي التي أيقظت المسلمين ونبهتهم، فودعوا رسول الله ﷺ بقلوبهم الحزينة، ثم رجعوا إلى الأمانة التي تركها لهم فقاموا بها أقوياء أشداء..

المستفاد من رحمة النبي محمد ﷺ في غزوة أحد :

ومن العِبر الهامة من غزوة أحد : رحمة النبي ﷺ، فكان ﷺ رحيما بأصحابه، فلو كان فظا غليظا ما التفت حوله القلوب والمشاعر، فالناس في حاجة إلى رفق ورحمة، وقلب يشعر بهمومهم وآلامهم، ويشفق عليهم، وهكذا كان رسول الله ﷺ، فلم يعنف الرماة الذين خالفوا أمره، ولم يخرجهم من الصف، بل قابل ضعفهم وخطأهم برفق وحكمة وعفو، قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[2]، بل إن رحمته ﷺ شملت في هذه المعركة الكافرين والذين آذوه وأرادوا قتله، فقال ﷺ وهو يمسح الدم عن وجهه بعد إصابته يوم أحد: (كيف يفلح قوم شجوا وجه نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم إلى الله، اللّهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون).. فكان من نتيجة ذلك أن أبا سفيان في أُحُد يقود المشركين، وشعاره: " اعلُ هُبل"، وفي فتح مكة يقول :"لا إله إلا الله"، ووحشي يقتل حمزة في أحد، ثم يُسلم ويقتل مُدعي النبوة مسيلمة

---

[1] سورة آل عمران، الآية ١٤٤.

[2] سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

الكذاب بعد ذلك ..

الأحكام الفقهية المستفادة من غزوة أحد :

١- أن الجهادَ يلزمُ الشُّروع فيه، حتى إن مَنْ لَبِسَ لأْمَتَه وَشَرَعَ في أسْبَابِهِ، وتأَهَّبَ لِلخُروج، ليس له أن يَرْجِعَ عن الخروج حتى يُقاتِلَ عدوَّه.

٢- لا يَجِبُ علي المسلمين إذا طَرَقَهُمْ عدوُّهم في ديارهم الخروجُ إليه، بل يجوزُ لهم أن يلزمُوا دِيارهم، ويُقاتلوهم فيها إذا كانَ ذلك أنصرَ لهم علي عدوِّهم، كما أشار به رسولُ الله ﷺ عليهم يومَ أُحُد.

٣- جوازُ الغزوِ بالنساء، والاستعانةُ بِهِنَّ في الجهاد.

٤- جوازُ الانغماس في العدو، كما انغمسَ أنسُ بنُ النضر وغيرُه.

٥- أن الإمَامَ إذا أصابته جِراحة صلى بهم قاعداً، وصلُّوا وراءه قعوداً، كما فَعَلَ رسولُ الله ﷺ في هذِهِ الغزوة، واستمرت علي ذلك سُنَّته إلى حين وفاته.

٦- جوازُ دعاءِ الرجل أن يُقتَلَ في سَبيل الله، وتمنيه ذلك، وليس هذا من تمنى الموت عنه، كما قال عبد الله بن جحش: اللهُم لقِّنى من المشركين رجلاً عظيماً كفره، شديداً حَردُه، فأقاتله، فيقتلنى فيك،. ويسلبني، ثم يجدَع أنفي وأُذنى، فإذا لقيتُكَ، فقلتَ: يا عبدَ اللهِ بن جحش، فيم جُدِعْتَ ؟ قلت: فيك يا رَبِّ.

٧- أن المسلِمَ إذا قتل نفسه، فهو من أهل النار، لقوله ﷺ في قُزْمَانَ الذي أبلي يومَ أُحُدٍ بلاءً شديداً، فلما اشتدَّت بِهِ الجِراحُ، نَحَرَ نفسه، فقال ﷺ : "هُوَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ".

٨- أن السُّنَّةَ في الشهيدِ أنه لا يُغَسَّل، ولا يُصلى عليه، ولا يُكَفَّن في غير ثيابه، بل يُدفَن فيها بدمه وكُلومه، إلا أن يُسْلَبَهَا، فيكفَّنَ في غيرها.

٩- السُّنَّة في الشهداء أن يُدفنوا في مصَارِعهم، ولا يُنقلوا إلى مكان آخر، فإن قوماً من الصحابة نقلوا قتلاهم إلى المدينة، فنادى منادى رسول اللهِ ﷺ بالأمرِ بَردِّ القتلى إلى مصارعهم، قال جابر: بينا أنا في النَّظَّارَةِ، إذ جاءت عمَّتى بأبي وخالي عَادَلَتْهُمَا علي ناضِح، فدخَلَتْ بهما المدينة، لنَدْفِنَهُمَا في مقابرنا، وجاء رجل يُنادى: ألا إنَّ رَسُولَ الله ﷺ يَأْمُرُكُم أن تَرْجِعُوا بِالقَتْلى، فَتَدْفِنُوهَا في مَصَارِعِهَا حَيْثُ قُتِلَتْ. قال: فرجعنَا بِهِمَا، فدفنَّاهما في القتلي حيثُ قُتِلا، فبينا أنا في خلافةِ معاويةَ بنِ أبي سُفيان، إذ جاءني رجلٌ، فقال: يا جابرُ؛ واللهِ لقد أثار أَبَاكَ عُمَّالُ معاويَة فبدا، فخَرجَ طائفة منه، قال: فأتيتُه، فوجدتُه علي النحو الذي تركتُه لم يتَغيَّرْ منهُ شيء. قال: فواريتُه، فصارت سُنَّة في الشهداء أن يُدْفَنُوا في مصارِعهم.

١٠ـ ومنها: جوازُ دفن الرجلينِ أو الثلاثة في القبر الواحد، فإنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يَدْفِنُ الرجلين والثلاثة في القبر، ويقول: "أيُّهم أكْثَرُ أخذاً لِلقُرآنِ، فإذا أشارُوا إلى رَجُلٍ، قَدَّمه في اللحد".

١١ـ أن شهيدَ المعركة لا يُصلى عليه، لأن رسول الله ﷺ لم يُصَلِّ علي شُهدَاء أُحُد، ولم يُعرف عنه أنه صلى علي أحد ممن استشهد معه في مغازيه، وكذلك خلفاؤُه الراشِدُون، ونوابُهم مِن بعدهم.أن مَن عذره الله في التخلف عن الجهاد لمرض أو عرج، يجوز له الخروجُ إليه، وإن لم يجب عليه، كما خرج عمرُو بن الجموح، وهو أعرج.

١٢ـ أن المسلمين إذا قَتَلُوا واحداً منهم في الجهاد يظنُّونه كافراً، فعلى الإمام ديتُه مِن بيتِ المالِ، لأن رسولَ الله ﷺ أراد أن يَدِيَ اليمانَ أبا حُذيفة، فامتنع حُذيفَةُ من أخذ الدية، وتصدَّقَ بها على المسلمين))[1].

---

[1] ابن قيم الجوزية: زاد المعاد ١٩٦/٣.

الفصل الرابع

غزوة الخندق (الاحزاب)

تمهيد

وَقَعتْ هَذِه الغَزْوَة فِي شَوالْ مِنَ السَنَةِ الخَامِسَةِ لِلهِجْرَةِ، وَسُمْيَتْ بِغَزْوةِ الخَنْدقْ لأجْلِ الخَنْدَقِ الَّذِي حُفِرَ حَولَ المَدينَةِ بِأَمْرِ النَّبيِّ ﷺ، وَأَمَا تَسْمِيتَهَا بِغَزوَةِ الأَحْزابِ فَلِلاجْتِماعِ طَوائِف مِنَ المُشْرِكِينَ عَلَى حَرْبِ المُسْلِمينَ، وَهمْ قُرَيْش وَغَطَفَان وَآخَرونَ مِنْ قَبائِل العَرَبِ وَاليَهودِ وَمنْ تَبِعَهمْ، وَلِغَرْض التَعَرفْ عَلَى أَسْبابَهَا وَأَحْدَاثَهَا وَالدُروسِ المُسْتَفادَةِ مِنْهَا فَقدْ قَسَمْنَا هَذا الفَصْل إِلَى مَبْحَثِينِ وَكَما يَأتِي :

المَبْحَثْ الأَوَل: أَحْدَاث غَزْوَةِ الأَحْزَابِ .

المَبْحَثْ الثَانِي: المُسْتَفاد مِنْ غَزْوةِ الأَحْزَابِ .

المبحث الأول

أحداث غزوة الأحـزاب

أسباب غزوة الأحزاب :

جَرتْ غَزْوَة الأحْزابِ عَلَى أَثَرِ فَشَلِ قُرَيْش فِي مُحَاوَلَتهَا تَأمِينِ طُرقِ تِجَارَتِها معَ بِلادِ الشَّامِ إِذْ أَنَّه عَلَى الرُغْمِ مِنْ خَسَائِرِ المُسْلِمينَ الكَبيرَة فِي مَعْرَكَة أُحُدٍ، فَإِنَها لَمْ تَكُنْ حَاسِمَةٍ وَلَمْ تُؤمِّنْ الطَرِيقَ التِجَارِيَّ بَينَ مَكَّةَ وَالشَّامِ[1]. كَمَا أَنَّ ازْدِيَاد وَعُنْف النَشَاطِ الإسْلامِي فِي الغَزَواتِ وَالسَّرايَا العَديْدَة الَّتِي جَرتْ بَعدَ مَعْركَةِ أُحُدٍ، عَمِلَ عَلَى إِنْهَاءِ الأَثَرِ السِّلْبِي لِهذِه المَعْرَكَةِ سَوَاءٌ فِي المَدينَةِ أَو فِي البَوادِي [2]. وَلِذَلكَ فَإِنَّ قُرَيْشاً عَادتْ مِنْ جَديدٍ إِلَى التَفْكِيرِ بِإِعْدَادِ حَمْلَةٍ عَسْكَرِيَةٍ ضَخْمَةٍ تَأمَلْ أَنْ تَحْسِم بِهَا الأُمُور، وَتَقْضِي نِهَائِيّاً عَلَى الوُجودِ الإسْلامِي، وَبِالتَالِي عَلَى الأخْطَارِ الَّتِي تُهَدد مُصَالِحَها [3].

قريش تسعى إلى عقد تحالفات :

كَانَ زُعَمَاء قُرَيْش يُدْرِكُونَ أَنَّ قوةَ المُسْلِمينَ قَدْ تَنامَتْ كَثْيراً، وَأَنَّ قَوَتَهمْ الذَاتِيَةَ لَمْ تَعْدَ وَحْدَهَا قَادِرَةً عَلَى تَحْقِيقِ الهَدَفِ المَنْشودِ، وَلِذَلكَ فَإِنَهمْ سَعَوا إِلَى عَقْدِ تَحَالُفَات عَديدَة مِنْ أَجْلِ تَجْميعِ القِوَى الحَاقِدَةَ وَالقَادِرَة عَلَى تَحْقِيقِ مَا يَأمَلُون. وَقَدْ وَاتَتهمْ الفُرْصَة حِيْنَما إِتَصلَ بِهمْ زُعَمَاء يَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ المَوتُورِينَ مِنْ مَقرْ إِقَامَتِهمْ الجَديدْ فِي خَيْبَر، دَاعِينَ قُرَيْشاً إِلَى حَرْبِ المُسْلِمينَ. وَقدْ أَتَى وَفْدٌ مِنْهُمُ إلى مَكَّةَ سَلَّامُ بْنُ أَبِي

---

[1] نضرة النعيم في اخلاق الرسول الكريم ١/٣٢٣.

[2] ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٣٩٣ .

[3] ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٣٩٣ من رواية موسى بن عقبة دون إسناد.

الحُقَيْق و حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ مِنْ زُعَماء بَنِي النَّضِيرِ ، فتَعَاقَدوا معَ قُرَيْش عَلَى المُشَارَكَةِ فِي قِتَالِ المُسْلِمينَ، بَعْدَ أَنْ شَهِدُوا أَنَّ الشِرْك خَيرٌ مِنَ الإسْلامِ وَقدْ نَزَلتْ فِي حَقِهِمْ الآيَة الكَرِيمَة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هؤُلاءِ أَهْدى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [1]، ثُمَّ خَرَجُوا مِنْ مَكَّةَ إِلَى نَجْدٍ فَحَالَفُوا غَطَفَانَ عَلَى حَرْبِ المُسْلِمينَ، بَعدَ أَنْ وَعَدوهمْ بِنصْفِ تَمْرِ خَيْبَرَ [2]. أَمَّا قُرَيْش فَقدْ نَجحتْ فِي تَجْمِيعِ حُلَفَائِها مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ وكِنَانَةَ وأَهْلِ تِهَامَةَ والْأَحَابِيشَ [3].

النبي ﷺ يستشير اصحابه :

لَمَّا بَلَغَ المُسْلِمينَ خَبَرَ تَجَمُعْ المُشْرِكِينَ لِغَزوِهمْ وَمُهَاجَمَةِ المَدينَةِ ، بَدَأَ الرَسُولُ ﷺ بِاسْتِشَارَةِ أَصْحَابِه فِيمَا يَنْبَغِي عَمَلُهُ لِمُوَاجَهةِ الخَطَرِ الدَاهِمْ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ سَلْمَانَ الْفَارِسِيَّ بِحَفْرِ الخَنْدَق شَمَالَ الْمَدِينَةِ بَينَ حَرَّتَي «وَاقِمْ وَالْوَبَرَةُ» ، وَالاعْتِمَادِ فِي الجِهاتِ الأُخْرَى مِنَ المَدِينَةِ عَلَى حَصَانَتِهَا وَعَلَى مَا يُحِيطُ بِهَا مِنَ الحَرّاتِ الَّتِي يَصْعُب اخْتِراقَهَا [4]. وَلَمْ يَعْتَرِضْ أَحَدْ عَلَى الاقْتِراحِ الَّذِي كَانَ يُهَيِّئ حَاجِزاً يَمْنَعْ الالْتِحَامِ المُبَاشِر معَ قُواتِ الأَحْزَاب، كَمَا يَمْنَعُهَا مِنْ اقْتِحَامِ المَدِينَةِ [5]، وَفِي الوَقْتِ نَفْسِه يُوَفِر

---

[1] سورة النساء: الآية ٥١، واورد الطبري آراء العلماء في سبب نزول الآية، وخلص إلى القول بأن أولى الأقوال بالصحة قول من قال بأن ذلك خبر من الله جل ثناؤه عن جماعة من أهل الكتاب من يهود. وجائز أنهم الذين سماهم ابن عباس، أو أن يكون حييّا وآخر معه إما كعبا وإما غيره (تفسير الطبري ٧/ ١٣٤-١٣٦) ، وذكر آخرون أنه كعب بن الأشرف .

[2] الواقدي: المغازي ٢/ ٤٤٣. خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ١/ ٦٣٥.

[3] البيهقي: دلائل النبوة ٣/ ٣٩٩. ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٣٩٣. ابن هشام:السيرة ٢/ ٢١٩- ٢٢٠.

[4] ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٣٩٣. وانظر: الواقدي: المغازي ٢/ ٤٤٥ بدون إسناد، ابن هشام: السيرة ٢/ ٢٢٤.

[5] ابن سعد: الطبقات ٢/ ٦٦- ٦٧.

لِلمُسْلِمينَ فُرْصَةً جَيِّدَةً لِلدِفَاعِ، وَلِتَكْبيدِ الغُزَاةِ الكَثْيرِ مِنَ الخَسَائِرِ البَشَرِيَة، وَذَلِكَ بِالتَصَدي لَهُمْ عِنْدَ مُحَاوَلَةِ اقْتِحَام الخَنْدَق، وَبِرَشْقِهِمْ بِالسِهَامِ مِنْ وَراءِ التَحْصينَاتِ.

الرسول ﷺ يشارك أصحابه في حفر الخندق :

تَوَلَى المُسْلِمونَ مُهِمَة حَفْر الخَنْدَق بِسُرْعَة مُذْهِلَة، لَمْ تَتجَاوَزْ سِتَّةَ أَيَّامٍ ، وَظَلَّ النَّبيُّ ﷺ يَعْمَل وَيَحْمِل التُراب عَلَى كَتِفِهِ الشَريفِ حَتَّى غَطَى التُرابُ بَطْنَهُ ﷺ .

يقول الْبَرَاءُ رضي الله عنه : لَمَّا كانَ يَوْمُ الْأَحْزابِ وَخَنْدَقَ رَسُولُ الله ﷺ رَأَيْتُهُ يَنْقُلُ مِنْ تُرابِ الْخَنْدَقِ حَتَّى وارَى [1] عَنِّي الْغُبارُ جِلْدَةَ بَطْنِهِ [2]. وَظَلَّ الصَحابَة رِضوانَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ يَعْمَلونَ معه ﷺ وَيَنْقُلُونَ التُّرَابَ عَلَى مُتُونِهِمْ [3]وَهمْ يَرْتَجِزونَ [4] بِمَا تَقدمَ مِن أَشْعَارٍ حَتَّى فَرَغُوا مِنْ حَفْرِ الخَنْدَق قَبْلَ وُصولِ المُشْرِكِينَ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ[5].

فَكانَ النَّبيُّ ﷺ يَعْمَل وَهُوَ يَقول، تَسْلِيَةً لَهُمْ لِيُهَوِن عَلَيْهِمْ مَا هُمْ فِيهِ مِنْ شِدَةٍ وَبَلاءٍ وَجوعٍ: « اللهُمَّ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةْ، فاغْفِرْ لِلْأَنْصارِ والْمُهاجِرَةْ»، فيقولون مُجِيبِينَ لَهُ:

---

[1] وارى: أي حجب من كثرته.

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري : كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب٥/ ١١٠، حديث٤١٠٦. صحيح مسلم :كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق٣/ ١٤٣٠، حديث١٨٠٣.

[3] أي: على أكتافهم.

[4] متفق عليه: أخرجه البخاري : كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب١٠٨/٥ ، حديث٤١٠٠. صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق، واللفظ للبخاري١٤٣١/٣ ، حديث١٨٠٥.

[5] سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الخَنْدَقِ، فَإِذَا المُهَاجِرُونَ، وَالأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ،... صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب١٠٧/٥ ، حديث٤٠٩٩.

نَحْنُ الَّذِينَ بايَعُوا مُحَمَّدَا عَلَى الجِهادِ ما بَقِينَا أَبَدَا [1]

ويَقُولُ أيضًا ﷺ:

اللهُمَّ لَوْلا أَنْتَ ما اهْتَدَيْنا وَلا تَصَدَّقْنا وَلا صَلَّيْنا
فَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنا وَثَبِّتْ الْأَقْدامَ إنْ لاقَيْنا
إنَّ الْأُلَى قَدْ بَغَوْا عَلَيْنا وَإنْ أَرادُوا فِتْنَةً أَبَيْنا

ثُمَّ يرفع صَوْتَهُ ويقول: أبينا أبينا ويمد صوته بِآخِرِهَا[2].

وَقَدْ أَدَى هَذَا كُلَهُ إِلَى جَعْلِ أَصْحَابِه يَتَفَانونَ فِي العَمَل وَلا يُغَادِر أَحَدَهمْ مَوقِعَه لِقَضاءِ حَاجِياتِه إلاَّ بَعدَ اسْتِئْذَانِ الرَسُولِ ﷺ وَمَا أَنْ يَنْتَهي حَتَّى يَعُود عَلَى جَنَاحِ السُرْعَةِ لإتْمَامِ مَا كُلِفَ بِه إيْمَانَاً وَاحْتِسَاباً، وَفِي هَؤلاءِ العَامِلينَ نَزلَتْ كَلِماتِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[3].

كَانَ لِتَقْسِيمِ العَملِ وَإِسْهَامِ الرَسُولِ ﷺ فِيهِ إِلَى جَانِبْ أَصْحَابه رِضوانَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ اجْمَعِين، وَالإيْمَان العَمِيق الَّذِي كَانَ يَدْفَع المُسْلِمينَ إِلَى بَذْلِ كُلِ طَاقَاتِهِمْ لإنْجَازِ الخُطَّةِ الدِفَاعِيَّة، وَشُعورِهِمْ بِعِظَمِ الخَطَرِ المُحْدِق بِهِمْ، إِنْ هُوجِمَتْ المَدِينَة

---

[1] متفق عليه أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب٥/١٠٧ ، حديث٤٠٩٩.
صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق، واللفظ للبخاري٣/١٤٣١ ، حديث١٨٠٥.

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري : كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب٥/١٠٩، حديث٤١٠٤.
صحيح مسلم :كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب وهي الخندق٣/١٤٣٠، حديث١٨٠٣.

[3] سورة النور: الآية ٦٢. ابن هشام ص ٢١٢- ٢١٣ الطبري ٢/ ٥٦٦- ٥٦٨.

قَبْلَ أَنْ يَنْجِزَ حَفْرَ الخَنْدَق، فَضْلاً عَنْ تَأْمِيلِ الرَسُولِ ﷺ جُنْدِه بِالنَصْرِ القَرِيبِ فِي الأَرْضِ وَبِالأَجْرِ العَرِيضِ فِي السَمَاءِ. كَانَ لِهَذِه الأُمُورِ جَمِيعَاً الأَثَرْ الحَاسِمْ فِي تَمْكِين المُسْلِمِينَ مِنْ حَفْرِ الخَنْدَقِ قَبْلَ أَنْ يَدْهَمَهم الْأَعْدَاءِ.. لَقَدْ كَانَ لِهذَا التَبَسُّط فِي ذَلِكَ الوَقتِ أَثَرهُ فِي التَخْفِيفِ عَنِ الصَحابَةِ مِمَّا يُعانُونَه نَتِيجَةً لِلظُرُوفِ الصَعْبَة الَّتِي يَعْيشُونَها، كَمَا كَانَ لَهُ أَثَرهُ فِي بَعْثِ الهِمَّةِ وَالنَشاطِ بِإِنْجَازِ العَمَلِ الَّذِي كُلِّفُوا بِإِتْمَامِه، قَبْلَ وُصولِ عَدُوِهِمْ [1].

من دلائل نبوة الرسول ﷺ أثناء حفر الخندق:

ظَهَرتْ خِلالِ مَرْحَلةِ حَفْرِ الخَنْدَق مُعْجِزَاتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ مِنْهَا:

أَوَلاً : تَكْثِير الطَعَامْ الَّذِي أَعَدَّهُ الصَحَابِي جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه لِلرَسُولِ ﷺ وَيَحْكِي لَنَا جَابِرِ رضي الله عنه مُعْجِزَةً عَجِيبَةً لِلنَبِيِّ ﷺ فِي هَذَا المَوقِفْ.

يقول جَابِرِ رضي الله عنه : لَمَّا حُفِرَ الْخَنْدَقُ رَأَيْتُ بِالنَّبِيّ ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا [2] ، فانْكَفَأْتُ إلى امْرَأَتِي فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِرَسُولِ الله ﷺ خَمَصًا شَدِيدًا فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جِرابًا فِيهِ صاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنا بُهَيْمَةٌ داجِنٌ [3] فَذَبَحْتُها، وَطَحَنَتْ الشَّعِيرَ، فَفَرَغَتْ إلى فَراغِي [4]، وَقَطَّعْتُها في بُرْمَتِها [5] ، ثُمَّ وَلَّيْتُ إلى رَسُولِ الله ﷺ فَقالَتْ: لا تَفْضَحْنِي بِرَسُولِ الله ﷺ وَبِمَنْ مَعَهُ فَجِئْتُهُ فَسارَرْتُهُ فَقُلْتُ: يا رَسُولَ الله ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنا وَطَحَنَّا صاعًا مِنْ شَعِيرٍ كانَ عِنْدَنا، فَتَعالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ، فَصاحَ النَّبِيُّ ﷺ

---

[1] الرشيد، محمد : القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ ص/٤٨٣.

[2] خمصًا: أي جوعًا.

[3] أي سمينة.

[4] أي ففرغت من طحن الشعير حين فرغت من ذبح البهيمة.

[5] البرمة: القدر التي تُطبخ فيه.

فَقالَ: « يا أَهْلَ الْخَنْدَقِ إِنَّ جابِرًا سُورًا [1] فَحَيَّ هَلًا بِهلّكُمْ [2]» ، فَقالَ رَسُولُ الله : « لا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتكُم، وَلا تَخْبِزُنَّ عَجِينكُم حَتَّى أَجِيءَ»، فَجِئْتُ وَجاءَ رَسُول الله ﷺ يَقْدُمُ النّاسَ حَتَّى جِئْتُ امْرَأَتِي، فَقالَتْ: بِكَ وَبِكَ [3] ، قَدْ فَعَلْتُ الَّذي قُلْتِ فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِينًا فَبَصَقَ فِيهِ وَبارَكَ ثُمَّ عَمَدَ إِلى بُرْمَتِنا فَبَصَقَ وَبارَكَ، ثُمَّ قالَ: ادْعُ خابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعِي، واقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ، وَلا تُنْزِلُوها، وَهُمْ أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِالله لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وانْحَرَفُوا [4] وإِنَّ بُرْمَتَنا. لَتَغِطُّ كَما هِيَ وإِنَّ عَجِينَنا لَيُخْبَزُ كَما هُوَ[5].

لَقَدْ جَاءتْ هَذِه المُعْجِزَة لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي وَقْتِها، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَالصَحَابَةِ رضي الله عنهم كَانُوا فِي أَشَدِّ الحَاجَةِ إِلَى الطَعَامِ حَتَّى يَسْتَطِيعُوا مُوَاصَلَةِ العَمَل فِي الحُفْرَ ثُمَّ مُوَاجَهَةِ المُشْرِكِينَ بَعدَ ذَلِكَ، حَيثُ كَانُوا قَدْ أَوْشَكُوا عَلَى الهَلاكِ مِنْ شِدَّةِ الجُوعِ وَعَدمْ وُجُودِ الطَّعَامِ. فَقَدْ لَبَثُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ لا يَأْكُلُونَ و لَا يَذُوقُونَ ذواقًا، حَتَّى إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَرْبِطُ عَلَى بَطْنِهِ حَجَرًا مِنْ شِدَّةِ الجُوعِ [6]. وَحَتَّى إِنَّهُمْ مِنْ شِدَّةِ الجُوعِ وَعَدمْ وَجود شَيْئًا يَأْكُلوهُ كَانُوا يَأْكُلُونَ الطَّعَامِ المُنْتِن الَّذِي تَغَيَرتْ رَائِحَتَه وَلَونَهُ. يَقول أَنَس بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه :كانوا يُؤْتَوْنَ بِمِلْءِ كَفِّي مِنْ الشَّعِيرِ فَيُصْنَعُ لَهُمْ بِإِهالَةٍ سَنِخَةٍ [7] تُوضَعُ

---

[1] السُور: كلمة حبشية معناها الضيف.

[2] أي: هلموا مسرعين.

[3] أي: تعاتبه على ما فعل، وأن الطعام لن يكفي هذا العدد.

[4] أي: ذهبوا.

[5] متفق عليه: أخرجه البخاري : كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب٥/١٠٨ ، حديث٤١٠٢. صحيح مسلم : كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه إلى دار من يثق برضاه٣/١٦٠٩ ، حديث٢٠٣٨.

[6] صحيح: أخرجه البخاري : كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب٥/١٠٨ ، حديث٤١٠١.

[7] الإهالة: الدهن أو الزيت أو السمن ونحو ذلك، وسنخة: أي تغير طعمها ولونها من قدمها.

بَيْنَ يَدَيْ الْقَوْمِ والْقَوْمُ جِياعٌ وَهِيَ بَشِعَةٌ فِي الْحَلْقِ وَلَهَا رِيحٌ مُنْتِنٌ[1].

ثانيا: إِخْبَارَهُ لِعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ وَهوَ يَعْمَل مَعَهُمْ بِأَمْرٍ غَيْبِي يَتَعَلّق بِقَتْلِهِ ﷺ[2] . عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ لِعَمَّارٍ، حِينَ جَعَلَ يَحْفِرُ الْخَنْدَقَ، وَجَعَلَ يَمْسَحُ رَأْسَهُ، وَيَقُولُ: بُؤْسَ ابْنِ سُمَيَّةَ «تَقْتُلُكَ فِئَةٌ بَاغِيَةٌ».

ثالثاً : قِيَامُهُ ﷺ بِتَفْتِيتْ صَخْرَةٍ عَظِيمَةٍ عَجِزَ الصَحَابَة عَنْ كَسْرِهَا: قامَ رَسُولُ الله ﷺ وَأَخَذَ الْمِعْوَلَ، وَوَضَعَ رِدَاءَهُ ناحِيَةَ الْخَنْدَقِ، وَقالَ: « تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»، فَنَدَرَ ثُلُثُ الْحَجَرِ، وَسَلْمانُ الْفارِسِيُّ قائِمٌ يَنْظُرُ فَبَرَقَ مَعَ ضَرْبَةِ رَسُولِ الله ﷺ بَرْقَةٌ، ثُمَّ ضَرَبَ الثّانِيَةَ، وَقالَ: « تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»، فَنَدَرَ الثُّلُثُ الْآخَرُ، فَبَرَقَتْ بَرْقَةٌ، فَرَآها سَلْمانُ، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ، وَقالَ: « تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"، فَنَدَرَ[3] الثُّلُثُ الْباقِي، وَخَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ فَأَخَذَ رِداءَهُ وَجَلَسَ، فقالَ سَلْمانُ: يا رَسُولَ الله رَأَيْتُكَ حِينَ ضَرَبْتَ ما تَضْرِبُ ضَرْبَةً إِلّا كانَتْ مَعَها بَرْقَةٌ؟! قالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: « يا سَلْمانُ رَأَيْتَ ذَلِكَ؟ »، فَقالَ: إِي والَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ يا رَسُولَ الله، قالَ: « فَإِنِّي حِينَ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الْأُولَى، رُفِعَتْ لِي مَدائِنُ كِسْرَى وَما حَوْلَها، وَمَدائِنُ كَثِيرَةٌ، حَتَّى رَأَيْتُها بِعَيْنَيَّ»، قالَ

---

[1] صحيح: أخرجه البخاري : كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب٥/١٠٨ ، حديث٤١٠١.

[2] وكان قتله ﷺ في صفين. حديث صحيح : اخرجه مسلم : كتاب الفتن واشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء ٤/٢٢٣٥،حديث٢٩١٥.

[3] ندر: أي سقط.

لَهُ مَنْ حَضَرَهُ مِنْ أَصْحابِهِ: يا رَسُولَ الله ادْعُ الله أَن يَفْتَحَها عَلَيْنا، وَيُغَنِّمَنا دِيَارَهُم، وَيُخَرِّبَ بِأَيْدِينا بِلادَهُمْ، فَدَعا رَسُولُ الله ﷺ بِذَلِكَ، « ثُمَّ ضَرَبْتُ الضَّرْبَةَ الثّانِيَةَ فَرُفِعَتْ لِي مَدائِنُ قَيصَرَ وَما حَوْلَها، حَتَّى رَأَيْتُها بِعَيْنَيَّ»، قالُوا: يا رَسُولَ الله ادْعُ الله أَنْ يَفْتَحَها عَلَينا، وَيُغَنِّمَنا دِيارَهُمْ، وَيُخَرِّبَ بِأَيْدِينا بِلادَهُمْ، فَدَعا رَسُولُ الله ﷺ بِذَلِكَ، « ثُمَّ ضَرَبْتُ الثّالِثَةَ، فَرُفِعَتْ لِي مَدائِنُ الْحَبَشَةِ، وَما حَوْلَها مِنْ الْقُرَى، حَتَّى رَأَيْتُها بِعَينَيَّ»، قالَ رَسُولُ الله ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: « دَعُوا الْحَبَشَةَ ما وَدَعُوكُمْ، واتْرُكُوا التُّرْكَ ما تَرَكُوكُمْ» [1].وَكَانَ جَوابُ الْمُؤمِنينَ كَما حَكَى القُرآن الكَرِيم قَوْلَهُمْ: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزابَ قالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَما زادَهُمْ إِلَّا إِيماناً وَتَسْلِيماً﴾[2] .

---

[1] حسن: أخرجه الامام أحمد في مسنده ٣٨/ ٢٢٧، والنسائي في سننه : كتاب الجهاد، باب غزوة الترك والحبشة٦/٤٣،حديث (٣١٧٦) وحسنه الألباني .

[2] سورة الأحزاب: الآية ٢٢.

تحركت قوات الأحزاب نحو المدينة:

تَحَرَكَتْ قُوَاتِ «الأحْزابِ» نَحوَ المَدِينَةِ، فَنزَلَتْ قُرَيْش « بِمُجْتَمَعِ الْأَسْيَالِ» مِنْ رُومَةَ بَيْنَ الْجُرُفِ وَزَغَابَةَ فِي عَشَرَةِ آلَافٍ مِنْ أَحَابِيشِهِمْ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ وَأَهْلِ تِهَامَةَ، وَأَقْبَلَتْ غَطَفَانُ وَمَنْ تَبِعَهُـمْ مِنْ أَهْلِ نَجْـدٍ حَتَّى نَزَلُـوا « بِذَنَبِ نَقَمَى » [1] إِلَى جَانِبِ أُحُدٍ[2]. لَقَدْ أَذْهَلَتهمْ المُفَاجَأة ، إِذْ لَمْ يَكُنْ بِحسْبَانِهِمْ أَنْ يَتَخِذِ الرَسُوَل ﷺ مِثْلَ هَذِه الخِطَّةِ الدِفَاعِيَّةِ ، وَقَالُوا : هَذِهِ الْمَكِيدَةُ، مَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَصْنَعُهَا وَلَا تَكِيدُهَا[3].

فَاضْطَرُوا إِلَى النُّزُولِ خَارِجَ الخَنْدَقِ عَسَى أَنْ يَعْثَروا عَلَى ثَغْرَةٍ يُمْكِنُهمْ النَفَاذ مِنْهَا. أَمَّا الْمُسْلِمونَ فَقَدْ عَسْكَرَ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى سَفْحِ جبل سَلْعٍ وَجَعَلَ سَلْعًا خَلْفَ ظَهْرِهِ [4]، وَوُجُوهِهِمْ إِلَى الخَنْدَقِ الَّذِي يَفْصِلُ بَينَهُمْ وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ [5]،وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَوْمَئِذٍ ثَلَاثَةُ آلَافٍ مقاتل[6]، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ[7].

---

[1] مَوضِع من أَعْرَاض الْمَدِينَة.

[2] الدرة الثمينة في أخبار المدينة ٧٨/١.المقريزي :امتاع الاسماع ٣٧٣/٨. سيرة ابن هشام ٢٢٠/٢. السيرة النبوية لابن كثير ١٩٧/٣ .وذكر السيوطي أسماء القبائل النجدية التي شاركت في هذا التجمع وهم غطفان وبنو سليم وبنو أسد وفزارة وأشجع وبنو مرة. انظر: السيرة النبوية الصحيحة ٤٢٠/٢ نقلا عن الخصائص الكبرى ١/ ٥٦٥.

[3] الواقدي: المغازي ٢/ ٤٧٠.

[4] ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢/ ٦٦.

[5] العمري: السيرة النبوية الصحيحة٢/ ٤٢٥.

[6] المقريزي : امتاع الأسماع ٢٢٩/١. الواقدي : المغازي ٤٥٣/٢.

[7] ابن سيد الناس : عيون الأثر في فنون المغازي ٨٦/٢.

النبي ﷺ يأمر بوضع ذراري المسلمين في حصن بني حارثة:

ثُمَّ أَمَرَ النَّبيُّ ﷺ بِوَضْعِ النِسَاءِ وَالأَطْفَالِ فِي حِصْنِ بَنِي حَارِثَةَ ، وَكَانَ مِنْ احْرَزْ حُصُونِ المَدِينَةِ [1]، حَتَّى يَكُونُوا فِي مَأمَنٍ مِنْ خَطَرِ الأَعْدَاءِ، وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ ﷺ لأن حِمَايَةِ الذَّرَارِيَ وَالنِّسَاءَ والصِّبْيَانِ لَهَا أَثَر فَعَّال عَلَى مَعْنَوِيَات المُقَاتِلِينَ؛ لأَنَّ الجُنْدِي إِذَا إِطْمَأَنَّ عَلَى زَوْجِه وَأَبْنَائِه يَكُون مُرْتَاح الْبَالِ هَادِئ الأَعْصَاب، فَلاَ يَشْغل تَفْكِيْره أَمْر مِنْ أُمُورِ الحَيَاةِ، يُسَخِّرُ كُلْ إِمْكَانِيَاتِه وَقُدرَاتِه العَقْلِيَة وَالجَسَدِيَة لِلإِبْدَاعِ فِي القِتَال، أَمَّا إِذَا كَانَ الأَمْر بِعَكْسِ ذَلِكَ فَإِنَّ أَمْر الجُنْدِي يَضْطَرِبْ وَمَعْنَوِيَاتِه تَضْعَفْ وَيَسْتَولِي عَلَيْهِ القَلَق، مِمَا يَكُون لَهُ أَثَر فِي تَراجُعِه عَنِ القِتَال؛ وَبِذَلِكَ تَنْزِل الكَارِثَة بِالجَمْيع [2].وَبَقِي الأَطْفَال كُلّهُمْ معَ النِسَاءِ .. عَنْ عبد الله بن الزُّبَيْرِ قالَ: كُنْتُ أَنا وَعُمَرُ بن أبي سَلَمَةَ يَوْمَ الخَنْدَقِ مَعَ النِّسْوَةِ فِي أُطُمٍ [3] حَسّانَ فَكانَ يُطَأْطِئُ لِي مَرَّةً فَأَنْظُرُ، وَأُطَأْطِئُ لَهُ مَرَّةً فَيَنْظُرُ [4]. أَمَّا مَنْ بَلَغَ الخَامِسَةَ عَشَرَ فَلاَ يُسْمَحْ لَهُ بِالبَقاءِ فِي الحُصْنِ مِثْل عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ الَّذِي كَانَ يَتَحرّقْ لِلقِتَالِ يَومَ أُحُد .. لَكِنَ النَّبيَّ ﷺ رَدَّه .. يَقولُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه: (إِنَّ النَّبيَّ ﷺ عَرَضَهُ يَوْمَ أُحُدٍ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَلَمْ يُجِزْهُ، وَعَرَضَهُ يَوْمَ الخَنْدَقِ، وَهُوَ ابْنُ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، فَأَجَازَهُ) [5]، وَسمَحَ لَهُ بِالقِتَالِ وَالمُشَارَكَةِ بِالمَعْرَكَةِ .

---

[1] الهيثمي: مجمع الزوائد ٦/ ١٣٣، الطبري: تاريخ الامم والملوك ٢/ ٩٥. البيهقي : دلائل النبوة ٣/٤٤١.

[2] أبو فارس، محمد عبد القادر :غزوة الأحزاب ص٩٨.

[3] الأُطُم: الحصين، وجمعها آطام.

[4] متفق عليه: أخرجه البخاري : كتاب "فضائل الصحابة" باب مناقب الزبير بن العوام٥/٢١ ، حديث ٣٧٢٠. صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحاح ، باب فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما٤/١٨٧٩ ، حديث ٢٤١٦. وكان عُمْر عبد الله بن الزبير حينها يقرب من خمس سنوات حيث ولد في العام الأوّل من الهجرة.

[5] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب٥/١٠٧ ، حديث٤٠٩٧.

تقسيم الصحابة إلى دوريات للحراسة:

قَسَّمَ النَّبيُّ ﷺ أَصْحَابَه إِلَى دَورِيَاتٍ لِحراسَةِ المَدِينَةِ تَطوف فِيهَا عَلَى الدَوَام وَتُظْهِر التكْبير لإِشْعَار المُشْرِكِينَ بِوجُودِهِمْ وَاسْتِعْدَادَهُمْ وَيَقَظَتِهِمْ [1]. وَكَانَ المُشْرِكُونَ قَدْ أَخَذوا يَدُورُونَ حَوْلَ الخَنْدَق غِضَابَاً ، يَتحَسَسونَ نُقْطَةً ضَعْيفَةً ؛ لِيَنْحدِرُوا مِنْهَا ، وَأَخذَ المُسْلِمونَ يَتطَلعونَ إِلَى جَولاتِ المُشْرِكينَ ، يَرْشُقونَهمْ بِالنَبْلِ ، حَتَّى لا يَجْتَرِئوا عَلَى الاقْتِرَابِ مَنْهُم ، وقُتِلَ مِنَ المُشْرِكِينَ عَمْرُو بْنُ عَبْدِ وُدٍّ قَتَلَهُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه[2]،عِنْدَ مُحَاوَلَتِه اقْتِحَام الخَنْدَق. وَكَانَتْ هُنَاكَ مَجْمُوعَةً مِنَ الأَنْصَارِ تَقومُ بِحرَاسَةِ النَّبيِّ ﷺ فِي كُلِ لَيْلَةٍ عَلَى رَأْسِهم عَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ رضي الله عنه [3]. وَكَانَتَ كَلِمَةُ السِّر الَّتِي يَعْرِفْ بِهَا المُؤمِنونَ بَعْضُهمْ بَعْضاً مَتَى مَا دُهِمُوا ليلًا مِنْ قِبَلْ الوَثَنِينَ .. أَو اليَهُود .. قَالَ ﷺ لأَصْحَابِه:(إِنْ بَيَّتَكُمْ الْعَدُوُّ فَقُولُوا: « حم، لَا يُنْصَرُونَ ») [4].

تزايد محاولات المشركين لاقتحام الخندق:

تَزايَدتْ مُحَاوَلاتِ المُشْرِكِينَ لاقْتِحَامِ الخَنْدقِ، وَأَصْبَحتْ خَيْل المُشْرِكِينَ تَطُوفُ بِأَعْدَادٍ كَبْيرَةٍ كُلَّ لَيْلَةٍ حَوْلَ الخَنْدَق حَتَّى الصَباحِ، وَلَكِنَهمْ حَاوَلُوا اقْتِحَامَهُ ، فَأَمْطَرَهُمْ المُسْلِمونَ بِوابِلٍ مِنَ السِهَامِ فَرَدُوهُمْ.

---

[1] ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢/ ٦٧ .

[2] حديث حسن : الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ٣٢٦/١. أخرجه الحاكم في المستدرك :٣٤/٣، حديث ٤٣٢٨ واسناد هذا المغازي صحيح على شرط الشيخين .

[3] المقريزي : امتاع الأسماع ٢٣٤/١. الواقدي : المغازي ١٨٣/١.

[4] صحيح : قال الالباني في سنن الترمذيُّ:١٩٧/٤،حديث (١٦٨٢) . اسناده صحيح : قال الارناؤوط في سنن أبي داود:٢٣٨/٤، حديث (٢٥٩٧). وأخرجه الحاكم في المستدرك : ٢/ ١١٧،حديث(٢٥١٢).

عَنْ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قالَ: لَمَّا كانَ يَوْمُ الْخَنْدَقِ وَرَجُلٌ يَتَتَرَّسُ جَعَلَ يَقُولُ بِالتُّرْسِ هَكَذا، فَوَضَعَهُ فَوْقَ أَنْفِهِ، ثُمَّ يَقُولُ [١]: هَكَذا يُسَفِّلُهُ بَعْدُ [٢]، قالَ: فَأَهْوَيْتُ إلى كِنانَتِي فَأَخْرَجْتُ مِنْها سَهْمًا مُدَمَّا [٣] فَوَضَعْتُهُ في كَبِدِ الْقَوْسِ، فَلَمَّا قالَ هَكَذا يُسَفِّلُ التُّرْسَ، رَمَيْتُ، فَما نَسِيتُ وَقْعَ الْقِدْحِ [٤] عَلَى كَذا وَكَذا مِنْ التُّرْسِ، قالَ: وَسَقَطَ، فَقالَ: بِرِجْلِهِ، فَضَحِكَ نَبِيُّ الله ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَواجِذُهُ، لِفِعْلِ الرَّجُلِ [٥].

وَلَمْ تَنْقَطِعْ هَجَمَاتُ الْمُشْرِكِينَ عَلَى الخَنْدَق فِي مُحَاوَلاتٍ شَرِسَةٍ لاقْتِحَامِه، حَتَّى إِنَّ النَّبيَّ ﷺ وَأَصْحَابِه لَمْ يَتَمَكَنوا مِنْ أَداءِ صَلاةِ العَصْرِ فِي أَحَدِ الأَيَامِ حَتَّى غَرِبَتْ الشَمْس، مِنْ شِدَةِ انْشِغَالِهِمْ فِي صَدِّ الْمُشْرِكِينَ عَنِ الخَنْدَق.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ ، أَنَّ عُمَرَ بن الْخَطّابِ ﷺ جاءَ يَوْمَ الخَنْدَقِ بَعْدَ ما غَرَبَتْ الشَّمْسُ فَجَعَلَ يَسُبُّ كُفّارَ قُرَيْشٍ، قالَ: يا رَسُولَ الله ما كِدْتُ أُصَلِّي الْعَصرَ حَتَّى كادَتْ الشَّمْسُ تَغْرُبُ، قالَ النَّبِي ﷺ : « واللهِ ما صَلَّيْتُهَا»، فَقُمْنا إلى بُطْحانَ فَتَوَضَّأَ لِلصلاةِ، وَتَوَضَّأْنا لَها، فَصلَّى الْعَصرَ بَعْدَ ما غَرَبَتْ الشَّمْسُ، ثُمَّ صلَّى بَعْدَها الْمَغْرِبَ[٦].فَقَام النَّبيُّ ﷺ بِالدُعاءِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ. عَنْ عَلِيّ بن أبي طالب ﷺ قالَ: لَمَّا

---

[١] يقول: أي يشير.

[٢] يسفله: أي ينزل به لأسفل ليحمي أسفله، فهو يرفعه تارة فوق أنفه ليحمي أعلاه، وتارة لأسفل ليحمي أسفله.

[٣] السهم المدمى: الذي أصابه الدم فحصل في لونه سواد وحمرة مما رمى به العدو، ويطلق على ما تكرر به الرمي، والرماة يتبركون به. (نهاية).

[٤] القدح -بكسر القاف وسكون الدال-: عود السهم.

[٥] صحيح: أخرجه الامام أحمد في مسنده : حديث (١٦٢٠)، وصححه الشيخ أحمد محمد شاكر.

[٦] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب من صلى بالناس جماعة بعد ذهاب الوقت١/١٢٢ ، حديث ٥٩٦. صحيح مسلم : كتاب المساجد مواضع الصلاة، باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطي هي صلاة العصر ١/٤٣٨ ، حديث ٦٣١.
ولم تكن صلاة الخوف قد شرعت بعد.

كانَ يَوْمُ الْأَحزابِ، قالَ رَسُولُ الله ﷺ : « مَلَأَ الله بُيُوتَهُمْ وَقُبُورَهُمْ نارًا، شَغَلُونا عَنْ الصَّلاةِ الْوُسْطَى حَتَّى غابَتْ الشَّمْسُ» [1].

صفية تقتل يهودياً من بني قريظة :

عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ – قَالَ عُرْوَةُ: وَسَمِعْتُهَا تَقُولُ: «أَنَا أَوَّلُ امْرَأَةٍ قَتَلَتْ رَجُلًا كُنْتُ فِي فَارِعِ حِصْنِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ، وَكَانَ حَسَّانُ مَعَنَا فِي النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ حِينَ خَنْدَقَ النَّبِيُّ ﷺ » ، قَالَتْ صَفِيَّةُ: « فَمَرَّ بِنَا رَجُلٌ مَنْ يهُودَ فَجَعَلَ يُطِيفُ بِالْحِصْنِ، فَقُلْتُ لِحَسَّانَ: إِنَّ هَذَا الْيَهُودِيَّ بِالْحِصْنِ كَمَا تَرَى وَلَا آمَنُهُ أَنْ يَدُلَّ عَلَى عَوْرَاتِنَا، وَقَدْ شُغِلَ عَنَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابُهُ فَقُمْ إِلَيْهِ فَاقْتُلْهُ، فَقَالَ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكِ يَا بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتِ مَا أَنَا بِصَاحِبِ هَذَا ». قَالَتْ صَفِيَّةُ: « فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ وَلَمْ أَرَ عِنْدَهُ شَيْئًا احْتَجَزْتُ[2] وَأَخَذْتُ عَمُودًا مِنَ الْحِصْنِ، ثُمَّ نَزَلْتُ مِنَ الْحِصْنِ إِلَيْهِ فَضَرَبْتُهُ بِالْعَمُودِ حَتَّى قَتَلْتُهُ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى الْحِصْنِ، فَقُلْتُ: يَا حَسَّانُ، انْزِلْ فَاسْتَلِبْهُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَسْلُبَهُ إِلَّا أَنَّهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: مَا لِي بِسَلَبِهِ مِنْ حَاجَةٍ [3].

بنو قريظة تفكر في نقض العهد بينها وبين المسلمين:

ظَهَرتْ فُلولُ الْمُشْرِكِينَ، الَّذِينَ تَحَزَّبُوا لِمُحَارَبَةِ اللهِ وَرسُولِهِ، وَالصَدِّ عَنْ سَبيلِ اللهِ.فَالتَفوا حَولَ المَدِينَةِ وَحَاصَروهَا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَلمَّا رَأتْ يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَةَ ذَلِكَ،

---

[1] متفق عليه: أخرجه البخاري : كتاب الدعوات، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة٤/٤٣، حديث٢٩٣١. صحيح مسلم :كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب: التغليظ في تفويت صلاة العصر١/٤٣٦ ، حديث ٦٢٧.

[2] أي شددت وسطي.

[3] أخرجه الحاكم في المستدرك : ٤/٥٦، حديث ٦٨٦٧.وقال «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ» .

تَيَقَنوا أَنَّ الْمُسْلِمِينَ -بأي حالٍ- لَنْ يَفْلِتوا مِنْ هَذِه القُوَّة الهَائِلَة وَأَنَّهُم سَيُقْضَى عَلَيْهِمْ لا مَحَالَة، ففكَّروا في نَقْضِ العَهْدِ الَّذِي بَيْنَهمْ وَبينَ الْمُسْلِمِينَ ، وَمُسَاعَدَةِ الْأَحْزابِ لِلقَضاءِ عَلَيْهِمْ. وَفِعْلاً نَقَضَ يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَة العَهْد، وَأَصْبَحُوا عَلَى اسْتِعْدَاد لِمُعَاوَنَة الْأَحْزابِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ[1].

رسول الله ﷺ يستجلي موقف بني قريظة:

كَانَ الْمُسْلِمونَ يَخْشَونَ غَدْرَ يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَة الَّذِينِ يَسْكُنونَ فِي العَوالِي فِي الْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ لِلمَدِينَةِ عَلَى وَادِي مَهْزُورٍ ، فَكَانَ مَوْقِعَهمْ يُمَكِنَهمْ مِنْ إِيقَاعِ ضَرْبَةٍ بِالْمُسْلِمِينَ مِنَ الخَلْفِ [2]. فَيَقَعْ الْمُسْلِمونَ حِينَئِذٍ بَينَ نَارَينِ، اليَهُودَ خَلْف خُطوطِهِمْ، وَالْأَحْزابِ بِأَعْدَادِهِمْ الهَائِلَةِ مِنْ أَمَامِهِمْ.

وَبعدَ أَنْ كَثُرَتْ القَرائِنْ الدَالَةِ عَلَى نَقْضِ يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَة لِلعَهْدِ، طَلَبَ رَسُولُ اللهِ فَارِساً مِنْ أَصْحَابِه ، يَتَطوّعْ لِلذِهَابِ حَيْثُ حِصْنِ بَنِي قُرَيْظَة ، كَيْ يُقَدِمْ تَقْرِيراً عَنْ آخِرِ تَحَرُّكَاتِهِمْ ، وَهَلْ بَدَأوا تَنْفِيذِ مُؤامرتِهِمْ معَ قُرَيْش وَغَطَفان ، هَلْ بَدَأوا التَحَرُك العَسْكَرِي لِلضَرْبِ مِنَ الخَلْفِ ..هَبَّ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ ﷺ مُلَبِياً نِدَاءِ النَّبِيِّ ﷺ . حَمَلَ رُوحَهُ وَسَيْفَهُ وَانْطَلَقَ كَالسَهْمِ نَحوَ يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَة لِيَتأكَدَ مِنْ صِحَةِ هَذَا الخَبَرَ.عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ الْأَحْزابِ: « مَنْ يَأْتِينا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟ »، فَقالَ الزُّبَيْرُ: أَنا، ثُمَّ قالَ: « مَنْ يَأْتِينا بِخَبَرِ الْقَوْمِ؟ »، فَقالَ الزُّبَيْرُ: أَنا، ثُمَّ قالَ: « لِكُلِّ نَبِيٍ حَوارِيٌّ، وإِنَّ حَوارِيَّ الزُّبَيْرُ» [3].

---

[1] الأغصان الندية شرح الخلاصة البهية بترتيب أحداث السيرة النبوية ١/ ٢٩٠.

[2] العمري : السيرة النبوية الصحيحة ٢/ ٤٢٧.

[3] متفق عليه: أخرجه البخاري :كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب٥/ ١١١، حديث ٤١١٣.
صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل طلحة والزبير٤/ ١٨٧٩ ، حديث ٢٤١٥.

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيرِ ﷺ، قالَ: كُنْتُ يَوْمَ الْأَحْزابِ جُعِلْتُ أَنا وَعُمَرُ بن أبي سَلَمَةَ في النِّساءِ، فَنَظَرْتُ فَإِذا أَنا بِالزُّبَيرِ عَلَى فَرَسِهِ يَخْتَلِفُ إلى بني قُرَيْظَةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا، فَلَمّا رَجَعْتُ، قُلْتُ: يا أَبَتِ رَأَيْتُكَ تَخْتَلِفُ، قالَ: أَوَ هَلْ رَأَيْتَنِي يَا بنيَّ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قالَ: كانَ رَسُولُ الله ﷺ قالَ: « مَنْ يَأْتِ بني قُرَيْظَةَ فَيَأْتِينِي بِخَبَرِهِم؟ »، فانْطَلَقْتُ، فَلَمّا رَجَعْتُ جَمَعَ لِي رَسُولُ الله أَبَوَيْهِ، فَقالَ: « فِدَاكَ أبي وَأُمِّي»[1].

لَقدْ أَدّى الزُّبَيرِ عَمَلًا بُطولِياً ، وَأَخبرَ النَّبيُّ ﷺ بِأَنَّ بَنِي قُرَيْظَةَ قَدْ نَقَضُوا العَهْد وَمَا زَالُوا عَلَى خَيانَتِهِمْ ، ثُمَّ أَرْسَلَ النَّبيُّ ﷺ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ[2] إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَوَجَداهُمَا قَدْ نَقَضُوا العَهْد وَمَزَقُوا الصَحِيفَة، إِلّا بَنِي سَعْفَة مِنْهُمْ[3].

اسْتَقْبَل النَّبيُّ ﷺ غَدْرَ يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَة بِالثَباتِ وَالحَزْمِ وَاسْتِخْدَامِ كُلّ الوَسَائِل الَّتِي مِنْ شَأَنِهَا أَنْ تُقَوي رُوح المُؤْمِنينَ وَتصدع جبهات المعتدين، فَأَرْسَلَ النَّبيُّ ﷺ فِي الوَقْت نفسه سَلَمَةَ بْنِ أَسْلَمَ في مِائَتَيْ رَجُلٍ ، وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ في ثَلَاثَمِائَةِ رَجُلٍ يَحْرُسُونَ الْمَدِينَةَ وَيُظْهِرُونَ التَّكْبِيرَ ليرهبوا يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَة [4]، وَفِي هَذِه الأَثْنَاء اسْتَعَدتْ بَنْو قُرَيْظَةَ لِلمُشَارَكَةِ معَ الْأَحْزابِ ، فَأَرْسَلتْ إِلَى جُيوشِهَا عِشْرِينَ بَعْيرًا كَانَتْ مُحملَةً تَمْرًا، وَشَعْيراً، وَتِيناً لتمدهم بها وتقويهم على البقاء إِلاَّ أَنَهَا أَصْبَحَتْ غَنيمَةً لِلْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ اسْتَطَاعُوا مُصَادَرَتِهَا وَأَتَوا بِهَا إِلَى النَّبيِّ ﷺ[5].

---

[1] متفق عليه: أخرجه البخاري : كتاب "فضائل الصحابة" باب مناقب الزبير بن العوام٥/٢١ ، حديث ٣٧٢٠. صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحاح باب فضائل طلحة والزبير – رضي الله عنهما -٤/١٨٧٩ ، حديث ٢٤١٦.

[2] المقريزي : امتاع الاسماع ١/٢٣٢.

[3] نضرة النعيم في اخلاق الرسول الكريم ١/٣٢٦.

[4] ابن سعد: الطبقات الكبرى ٢/ ٦٧ .

[5] السيرة الحلبية ٢/٤٣٢، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ٣/٥٦.مرويات غزوة الخندق١/٣٢٣.

بلوغ القلوب الحناجر:

زَادَتْ جُيُوشِ الْأَحْزابِ فِي تَشْدِيد الحِصَارِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بَعْدَ انْضِمَامِ يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَةَ إِلَيْهَا، واشْتَدَ الكَرْبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، وَتَأَزَم المَوْقِفْ، وَقدْ تَحدثَ القُرْآنِ الْكَرِيمِ عَنْ حَالَةِ الحَرجِ وَالتَدَهْورِ الَّتِي أَصَابَتْ الْمُسْلِمِينَ وَوصَفَ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ الْمُسْلِمونَ مِنْ جَزَعٍ وَخَوفٍ، وَفَزَعٍ فِي تِلْكَ المِحْنَةِ الرَهِيبَةِ أَصْدَق وَصْفٍ، حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ أي: الْأَحْزاب ، ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ أي: بنو قُرَيْظَةَ ، ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ مِنْ شِدَّةِ الخَوْفِ وَالفَزَعِ، ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾[1]الظُّنُون السيئَة، والخَوفْ مِنْ الْمُشْرِكينَ، وَأَنَّ اللهَ لَنْ يَنْصُرَ دِينَهُ، ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [2]بِالخَوْفِ وَالجُوعِ والقَلَقِ الَّذِي عَاشُوهُ، فَكَانَ هَذَا ابْتِلاء وَاخْتِبَار لِلْمُسْلِمِينَ ، لِيَتَبَيَنَّ الخَبِيث مِنَ الطَيِّبِ. وَحَدثَ مَا أَرَادَهُ اللهُ ﷻ، فَأَمَّا المُؤمِنونَ فَسُرعَانَ مَا تَنَبَهُوا وَظَهرَ إِيمَانِهِمْ وَثِقَتَهمْ بِاللهِ ﷻ ،وَقَالُوا: ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ مِنَ الابْتِلاءِ وَالامْتِحَانِ الَّذِي يَعْقِبه النَصْر، ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [3].

انسحاب المنافقون من الجيش:

أَمَّا المُنَافِقُونَ فَقَدْ انْسَحَبوا مِنَ الجَيْشِ، وَزَاد خَوفَهمْ حَتّى قَالَ مُعَتِّبُ بْنُ قُشَيْرٍ، أَخُو بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ: كَانَ مُحَمَّدٌ يَعِدُنَا أَنْ نَأْكُلَ كُنُوزَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَأَحَدُنَا لَا

---

[1] سورة الاحزاب : الآية ١٠.

[2] سورة الاحزاب : الآية ١١.

[3] سورة الاحزاب : الآية ٢٢.

يَأْمَنُ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الْغَائِطِ [1]،وَاسْتَأْذَنَ بَعْضُ بَنِي حَارِثَةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الذِّهَابِ إِلَى الْمَدِينَةِ[2]، وقَالُوا: بُيُوتُنَا مَخْلِيَّةٌ، نَخْشَى عَلَيْهَا السَّرِقَةَ[3]، وَفِي هَذَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ۞ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ [4]وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾[5].

الرسول ﷺ يشاور السعدان في مصالحة قبيلة غطفان:

تَحْتَ ضَغْطِ الظُّروفِ الشَّدِيْدَةِ الَّتِي حَاصَرتْ الْمُسْلِمِينَ فِي نَواحٍ عَديدَةٍ ، رَأى النَّبيُّ ﷺ أَنْ يُصَالِح قَبيلَةِ غَطَفَانَ حَتَّى يَنْصَرِفَا بِقَوْمِهِمَا فِي مَقَابِل أَنْ يُعْطِيْهِمْ ثُلُثَ ثِمَارِ الْمَدِينَةِ لِتَلكَ السَنَةِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنَا عَاصِمُ بْنُ عُمَرَ بْنِ قَتَادَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ بَعَثَ إِلَى عُيَيْنَةَ بْنِ حصن والحارث بن عوف، وَهُمَا قَائِدَا غَطَفَانَ. فَأَعْطَاهُمَا ثُلُثَ ثِمَارِ الْمَدِينَةِ عَلَى أَنْ يَرْجِعَا وَمَنْ مَعَهُمَا عَنْ رَسُولِ اللَّه ﷺ وَأَصْحَابُهُ، فَجَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمُ الصُّلْحُ، حَتَّى كَتَبُوا الْكِتَابَ، وَلَمْ تَقَعِ الشَّهَادَةُ، وَلَا عَزِيمَةُ الصُّلْحِ إِلَّا الْمُرَاوَضَةُ، وَفِي ذَلِكَ فَفَعَلَا.

---

[1]السهيلي: الروض الآنف ٣١٥/٤. المقريزي : امتاع الاسماع ٣٧٣/٨. ابن هشام : السيرة ٥٢٢/١.ابن كثير:السيرة النبوية٢٠١/٣.

[2]ابن القيم: زاد المعاد ٢٤٣/٣.

[3]البيهقي: دلائل النبوة ٤٣٣/٣.

[4]قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: عَوْرَةٌ، أَيْ مُعْوَرَةٌ لِلْعَدُوّ وَضَائِعَةٌ؛ وَجَمْعُهَا: عَوْرَاتٌ قَالَ النّابِغَةُ الذّبْيَانِيّ:
مَتَى تَلْقَهُمْ لَا تَلْقَ لِلْبَيْتِ عَوْرَةً ... ولا الجار مخروما وَلَا الْأَمْرَ ضَائِعًا. انظر، السهيلي :الروض الآنف٣١٧/٤.

[5] سورة الأحزاب :الآية رقم ١٢-١٣.

فَلَمَّا أَرَادَ رَسُولُ اللَّه ﷺ أَنْ يَفْعَلَ، بَعَثَ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، وَسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، وَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُمَا، وَاسْتَشَارَهُمَا فِيهِ، فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللَّه أَمْرٌ تُحِبُّهُ فَنَصْنَعُهُ، أَوْ شَيْءٌ أَمَرَكَ اللَّه بِهِ لَا بُدَّ لَنَا مِنْ عَمِلٍ بِهِ، أَمْ شَيْءٌ تَصْنَعُهُ لَنَا؟ فَقَالَ ﷺ : لَا بَلْ لَكُمْ، واللَّه مَا أَصْنَعُ ذَلِكَ إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ الْعَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَكَالَبُوكُمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَكْسِرَ عَنْكُمْ شَوْكَتَهُمْ. فَقَالَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: يَا رَسُولَ اللَّه قَدْ كُنَّا نَحْنُ وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَى الشِّرْكِ بِاللهِ، وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ لَا نَعْبُدُ اللَّه وَلَا نَعْرِفُهُ، وَهُمْ لَا يَطْمَعُونَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا ثَمَرَةً إِلَّا قِرًى، أَوْ شِرَاءً فَحِينَ أَكْرَمَنَا اللَّه بِالْإِسْلَامِ، وَهَدَانَا لَهُ، وَأَعَزَّنَا بِكَ، نُعْطِيهِمْ أَمْوَالَنَا! مالنا بهذا حاجة. فو الله لَا نُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ، حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَأَنْتَ وَذَاكَ. فَتَنَاوَلَ سَعْدٌ الصَّحِيفَةَ، فَمَحَاهَا، ثُمَّ قَالَ: لِيَجْهَدُوا عَلَيْنَا[1] .

ضعف معنويات قوات الأحزاب :

حَيثُ أَنَّ أَهْدَافْ المُشَارِكِينَ فِي قُواتِ الْأَحْزابِ مِنَ المُشْرِكينَ لَمْ تَكُنْ وَاحِدَة، فَقَدَ نَجَمَ عَنْ طُولِ فَتْرَة الحِصَارِ ، حُصُول ضِعْفٍ حَادٍّ فِي مَعْنَوِيَاتِ المُشَارِكِينَ فِي الحَرْبِ. وَرُغْم ذَلِكَ فَقَدْ كَانَتْ خَسَائِرْ الطَرَفَينِ مَحْدودَة ،اسْتُشْهدَ ثَمَانِيَة مِنْ المُسْلِمِينَ[2] . وَقُتِلَ أَرْبَعَةً مِنْ المُشْرِكينَ[1] .

---

[1] البيهقي : دلائل النبوة ٣/ ٤٣١. المقريزي : امتاع الاسماع ١/ ٢٤٠. الصحيح من أحاديث السيرة النبوية ١/ ٣١٧.ابن هشام : السيرة ٢/ ٢٢٣.

[2]من روآية ابن إسحاق (ابن هشام- السيرة ٣/ ٢٥٣) معلّقا، الواقدي- المغازي ٢/ ٤٩٥- ٤٩٦، وقد ذكرا الأسماء والانتماء والعدد، وانظر: ابن سعد- الطبقات ٢/ ٧٠. وَأَنَسُ بْنُ أَوْسِ بْنِ عَتِيكِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ الْأَعْلَمِ بْنِ زَعُورَاءَ بْنِ جُشَمِ بْنِ عَبْدِ الْأَشْهَلِ، قَتَلَهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، رَمَاهُ بِسَهْمٍ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ سَهْلٍ الْأَشْهَلِيّ، رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ بنى عويف فقتله.وَمِنْ بَنِي سَلِمَةَ: الطُّفَيْلُ بْنُ النُّعْمَانِ. قَتَلَهُ وَحْشِيّ، وَكَانَ وَحْشِيّ يَقُولُ:

وَقَدْ وَردَتْ فِي كُتُبِ السِّيَرْ وَالمَغَازِي مَرْوِيَات لَا تَثْبُتُ مِنَ النَاحِيَةِ الحَدِيْثِيَةِ عَنْ دَورْ نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ فِي تَخْذِيلِ الأَحْزَابِ وَشَّقِ صُفوفِهِمْ، وإِلقَاءِ الشُكوكِ بَينَهمْ، وَخِدَاعِه لَهُمْ وَهيَ عَلَى كُلِّ حَال، لا تَتَنَافَى- إِنْ تَأكَدَ حُصُولها - معَ قَواعِدْ السِّيَاسَة الشَّرْعِيَّة ذلك أَنَّ الْحَرْبَ خَدْعَةٌ[٢]

شدة تضرع الرسول ﷺ :

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ كَثِيرَ التَضرُعِ وَالدُعَاءِ وَالاسْتِعَانَةِ بِاللهِ، وَخُصوصَاً فِي مَغَازِيهِ، وَعِنْدَمَا اشْتَدَّ الكَرْبُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَكْثَر مِمَّا سَبَق حَتَّى بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا اسْتَمَرَّ النَّبِيُّ ﷺ فِي دُعَائِهِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ والْأَحْزابِ.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى ﷺ قال: دَعا رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ الْأَحْزابِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَقالَ: « اللهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتابِ، سَرِيعَ الْحِسابِ، اللّهمَّ اهْزِمْ الْأَحْزابَ، اللّهمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ» [٣].فَاسْتَجَابَ اللَّهُ ﷻ دُعَاءَ نَبِيِّهِ ﷺ عَلَيْهِمْ، فَأَرْسِلَ عَلَيْهِمْ ريحًا شديدًا فخَلَعَتْ خِيامُهُمْ ، وكَفَأَتْ قُدُورَهُمْ، وأَطْفَأَتِ نِيرَانِهِمْ ، وَأَرْسَلَ الْمَلَائِكَةَ فَزَلزَلَتهمْ وَأَلقَتْ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْب وَالخَوف.وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا

أَكْرَمَ اللهُ بِحَرْبَتِي حَمْزَةَ وَالطُّفَيْلَ، وَثَعْلَبَةُ بْنُ غَنَمَةَ بْنِ عَدِيّ بْنِ نَابِي، قَتَلَهُ هُبَيْرَةُ بْنُ أَبِي وَهْبٍ الْمَخْزُومِيّ. وَمِنْ بَنِي دِينَارٍ: كَعْبُ بْنُ زَيْدٍ، وَكَانَ قَدْ أُرْتُثَّ يَوْمَ بِئْرِ مَعُونَةَ فَصَحّ حَتّى قُتِلَ فِي الْخَنْدَقِ، قَتَلَهُ ضِرَارُ بْنُ الْخَطّابِ.

[١]ابن هشام: السيرة ٢/ ٢٢٤، ابن سعد: الطبقات ٢/ ٦٨، وانظر: الطبري: تاريخ ٣/ ٤٨. ابن هشام: السيرة ٢/ ٢٢٤، ابن سعد: الطبقات ٢/ ٦٨، وانظر: الطبري: تاريخ ٣/ ٤٨.

[٢]ابن هشام: السيرة ٢/ ٢٢٩- ٢٣٠، الواقدي: المغازي ٢/ ٤٨١- ٢، ابن كثير: البداية ٤/ ١١٣.

[٣] متفق عليه: أخرجه البخاري : كتاب الدعوات، باب الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة٤/٤٤، حديث ٢٩٣٣. صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب استحباب الدعاء بالنصر عند لقاء العدو٣/١٣٦٢، حديث ١٧٤٢.

وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [1].فَلَمْ تَتحمل الْأَحْزاب جُنُود اللهِ ﷻ ، وَلَمْ يَسْتَطِيعوا مُوَاجَهَتَها، فَأَسْرَعُوا بِالتَجَهُزِ لِلرَحِيلِ.

رسول الله ﷺ يأمر حذيفة بتحري انصراف الأحزاب:

كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُتَابِعُ أَمْرَ الْأَحْزابِ، وَأَحبَّ أَنْ يَتَحرَى عَمَّا حَدثَ عَنْ قُربْ فَقالَ: أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ [2]. فَاسْتَعْمَلَ ﷺ أُسْلوب التَرْغِيبْ، وَكَرَرهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ، وَعِنْدَمَا لَمْ يُجْدِ هَذَا الأُسْلُوب لَجَأَ إِلَى أُسْلُوبِ الْجَزْمِ والْحَزْمُ فِي الأَمْرِ ، فَعَينَ وَاحدًا بِنَفْسِهِ فَقالَ: « قُمْ يَا حُذَيْفَةُ، فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ » [3].

وَيُحَدِثُنَا حُذَيْفَة نَفْسَهُ عَنِ الْمُهِمَة الَّتِي كُلِفَ بِهَا: فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قالَ: « اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَلا تَذْعَرْهُم عَلَيَّ» [4]، فَلَمّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّما أَمْشِي فِي حَمَّامٍ[5] حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبا سُفْيانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ [6]، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ : « وَلا تَذْعَرْهُم عَلَيَّ»، وَلَوْ رَمَيتُهُ لَأَصَبْتُهُ، فَرَجَعْتُ وَأَنا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمّامِ، فَلَمّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَفَرَغْتُ، قُرِرْتُ [7]، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ فَضْلِ عَباءَةٍ

---

[1] سورة الاحزاب : الآية ٩.

[2] مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب (٣/ ١٤١٤) رقم ١٧٨٨.

[3] مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب رقم ١٧٨٨.

[4] لا تذعرهم عليَّ: أي لا تُهيجهم عليَّ.

[5] أمشي في حمام: في جوٍّ دافئ.

[6] أي: يدفئه ويدنيه منها.

[7] أي: شعرتُ بالبرد، أي أنه لما ذهب لقضاء مهمته التي أرسله النبي ﷺ من أجلها لم يشعر بالبرد بل شعر بدفءٍ تام، ولم يشعر بالريح الشديدة كبقية القوم، فلما قضى مهمته، عاد إليه البرد الذي يجده الناس.
قال النوويّ -رحمه الله-: وهذه من معجزات النبي ﷺاهـ "شرح مسلم" ١٢/ ١٤٦.

كانَتْ عَلَيهِ يُصَلِّي فِيها، فَلَم أَزَلْ نائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ، فَلَمّا أَصْبَحْتُ قالَ: « قُمْ يا نَوْمانُ! » [1] وَفِي رِوايَة: قَالَ حُذَيْفَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عُصْبَةٌ تُوقِدُ النَّارَ قَدْ صَبَّ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْبَرْدِ مِثْلَ الَّذِي صَبَّ عَلَيْنَا، وَلَكِنَّا نَرْجُو مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُو [2].وَبِذَلِكَ تَفَرَقتْ جُموعُ الْأَحْزابِ وَهَزَمَهمْ اللهُ ﷻ وَحْدهُ: ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [3]. وَانْفكَ الحِصَارْ الَّذِي دَامَ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً [4]، بِفَضْلٍ بِفَضْلٍ مِنَ اللهِ ﷻ . وَلِذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: « لا إِلَهَ إِلّا الله وَحْدَهُ أَعَزَّ جُنْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَغَلَبَ الْأَحْزابَ وَحْدَهُ، فَلا شَيءَ بَعْدَهُ» [5].

لَقَدْ بَذَلتْ قُرَيْش وَمَنْ حَالَفَها أَقْصَى طَاقَاتِهُمْ مِنْ أَجْلِ القَضَاءِ عَلَى الدَعْوَةِ الإِسْلامِيَّةِ وَاسْتِئْصَالِ شَأفَةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَكِنَّ اللهَ تَعَالَى رَدَّهُمْ خَائِبِينَ. وَقَدْ تَرَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ الفَشَلْ آثَار خَطِيرَةٍ تَمَثَّلَتْ فِي تَغَيْرْ مِيزَانِ القُوى لِصَالِح الْمُسْلِمِينَ ، وَذَلِكَ مَا عَبَّرَ عَنْهُ الرَسُول ﷺ بِقَوْلِه: « الْآنَ نَغْزُوهُم، وَلا يَغْزُونَنا نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ" [6].

إِنَّ مَعْرَكَةِ الْأَحْزابِ لَمْ تَكُنْ مَعْرَكَة خَسَائِر، وَإِنَّمّا هِيَ مَعْرَكَة عَقِيدَة وَإِيْمَانْ، فَقَتْلَى الفَرِيقَينِ مِنَ الْمُؤمِنينَّ وَالكُفَار يُعَدُّونَ عَلَى الأَصَابِعْ، وَمَعَ هَذِه الْحَقِيقَةِ فَهِيَ مِنْ أَهمِ المَعَارِكْ فِي تَارِيخِ الإِسْلامِ فَلَقَدْ كَانتْ اِبْتِلاءً كَامِلاً وَامْتِحَانَاً دَقِيقَاً وَتَمْيِيزَاً بَينَ

---

[1] صحيح: أخرجه مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب٣/ ١٤١٤ ، حديث ١٧٨٨ .

[2] الهيثمي: كشف الأستار عن زوائد البزار٢/ ٣٣٥-٣٣٦.

[3] سورة الاحزاب : الآية ٢٥.

[4] ذكر ذلك ابن سعد في "الطبقات" ٢/ ٧٣ بإسناد رجاله ثقات إلى سعيد بن المسيب مرسلًا، ومراسيله قوية.

[5] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب٥/ ١١١ ، حديث ٤١١٤.

صحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع٤/ ٢٠٨٩ ، حديث ٢٧٢٤.

[6] صحيح: أخرجه البخاري :كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب٥/ ١١٠،حديث ٤١١٠.

المُؤمِنينَ وَالمُنَافِقينَ، فَلقَدْ اشْتَرَكَ الجَميع فِي الشُعورِ بِالكَرْبِ، وَلَمْ يَخْتَلِفْ الشُعورِ مِنْ قَلْبٍ إلى قلب، وَإنَمَا الَّذِي اخْتَلَف هُوَ اِسْتِجَابَة تِلْكَ القُلوب وظَنّهَا بِاللَّهِ ، وَسُلوكِهَا فِي الشِدَّةِ، وَيَقينَها بِالنَصْرِ، وَاطْمِئنَانِهَا وَقْتَ الزِلْزالِ.

لَقَدْ كَانَتْ فِي الشَكلْ وَالمَظْهَر ،غَزْوَة قُرَشِيَّةٌ غَطَفَانِيّةٌ ، إلَّا أَنَّهَا فِي أَهْدَافِهَا البَعْيدَةِ وَمَرامِيهَا العَمْيقَة هِيَ غَزْوَة يَهُودِيَّة لَحْماً وَدَماً، فَاليَدْ الحَقِيقِيَة الَّتِي تَكْمُن وَرَاء هَذِه الحَمْلَة المُخِيفَة المُوَجَهَة لإبَادَةِ المُسْلِمِينَ إبَادَةً كَامِلَةً هِيَ يَدٌ يَهُودِيَّة .

نتائج غزوة الأحزاب:

لَقَدْ كَانتْ غَزْوَة الْأَحْزابِ مِنَ الغَزَواتِ الهَامَّةِ الَّتِي خَاضَهَا المُسْلِمونَ ضِدَّ أَعْدَائِهِمْ وَحَقَقوا فَيهَا نَتَائِجَ مُهِمَة مِنْهَا:

١-انْتِصَارِ المُسْلِمِينَ، وَانْهِزَامِ أَعْدَائِهِمْ، وَتَفَرُقِهِمْ، وَرُجُوعِهِمْ مَدْحُورِينَ بِغَيظِهِمْ قَدْ خَابَتْ أَمَانِيهِمْ وَآمَالَهُمْ.

٢- تَغَيرْ المَوقِفْ لِصَالِحِ المُسْلِمِينَ، فَانْقَلَبُوا مِنْ مَوقِفْ الدِفَاعِ إلَى الهُجومِ، وَقَدْ أَشَارَ إلَى ذَلِكَ النَّبيُّ ﷺ حَيْثُ قَالَ: « الْآنَ نَغْزُوهُم، وَلا يَغْزُونَنا نَحْنُ نَسِيرُ إلَيْهِمْ ».

٣- كَشَفتْ هَذِه الغَزْوَة يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَة وَحِقْدِهِمْ عَلَى المُسْلِمِينَ وَتَرَبُصْ الدَوَائِرِ بِهِمْ، فَقَدْ نَقَضُوا عَهْدَهُمْ مَعَ النَّبيِّ ﷺ فِي أَحْلَكِ الظُرُوفِ وَأَصْعَبَهَا.

٤- كَشَفتْ غَزْوَة الْأَحْزابِ حَقِيقَة صِدْقِ إيْمَانِ المُسْلِمِينَ وَحَقِيقَة المُنَافِقِينَ وَحَقِيقَة يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَة، فَكَانَ الابْتِلاءِ بِغَزْوَةِ الْأَحْزابِ تَمْحِيصاً لِلْمُسْلِمِينَ وَإظْهَارِ حَقِيقَة المُنَافِقِينَ وَاليَهودِ.

٥-كَانَتْ غَزْوة بَنِي قُرَيْظَة نَتِيجَة مِنْ نَتَائِجِ غَزْوَة الْأَحْزابِ ، حَيْثُ تَمَّ فِيهَا مُحَاسَبَةِ يَهُودَ بَنِي قُرَيْظَة الَّذِينَ نَقَضُوا العَهْدَ مَعَ النَّبيِّ ﷺ فِي أَحْلَكِ الظُرُوفِ وَأَقْسَاهَا

المبحث الثاني

المستفاد من أحداث غزوة الأحزاب

المستفاد من وعد الله ونصره في يوم الخندق :

أن المؤمن لا تزيده الكروب والشدائد إلا إيماناً ويقيناً، فهذا رسول الله ﷺ في هذا الظرف القاسي والشديد، والصحابة في حصار وجوع، وخوف شديد يضرب الصخرة، ويبشرهم بكنوز كسرى، ودخول المدائن، وفتح اليمن، الله أكبر! إن زراعة الأمل في مثل هذا الظرف ليدل على مدى ثقة رسول الله ﷺ بوعد الله ونصره ورباطة الجأش والطمأنينة الكبيرة، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾[1].

المستفاد من تكالب الكفار على المسلمين في غزوة الأحزاب

الكفر كله ملة واحدة، والخيانة والغدر من طبع وخلق اليهود، هذا ما أظهرته بوضوح غزوة الأحزاب، فقد تكالب الكفر على المسلمين، واتفق واتحد كفار قريش واليهود ضد الإسلام، وقاد أبو سفيان أضخمَ جيش شهدته جزيرة العرب، للقضاء على الإسلام والمسلمين، إضافة إلى العدو الداخلي من يهود بني قريظة، الذين نقضوا العهد وانضموا إلى قريش، فجاء الكفر جملة واحدة كما وصفهم الرسول ﷺ : (إن العرب قد كالبتكم (اشتدوا عليكم) ورمتكم عن قوس واحدة

---

[1] سورة الأحزاب ، الآية ٢٢ .

فاليهود وضعوا أيديهم في يد المشركين رغم اختلاف عقائدهم ومناهجهم، ووافق المشركون على هذا التحالف، فالكفر كله ملة واحدة، والأمثلة في التاريخ وواقعنا المعاصر على ذلك أكثر من أن تحصى، وعلى المسلمين أن يفقهوا ذلك جيدا، وليس أدل على ذلك من اتحاد اليهود والنصارى في حرب المسلمين مع شدة كراهية اليهود للنصارى، وشدة كراهية النصارى لليهود، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾[1]، ومع ذلك فعند حرب الإسلام تذوب هذه الفوارق والعداوات، وتبقى الرغبة المشتركة في محاولة هدم الإسلام والقضاء على أهله، قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [2]،وقال: وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾[3] .

الدروس التي استفاد منها الصحابة في غزوة الأحزاب :

من خلال غزوة الأحزاب تعلم الصحابة التفاؤل والأمل، فبالرغم من كل تلك الظروف العصيبة الشديدة التي أحاطت بالمسلمين، من حصار جماعي من مختلف قبائل العرب واليهود، وبجيش يبلغ عشرة آلاف مقاتل، ومن جوع وخوف، وشدة برد، ومعاناة شديدة في حفر الخندق، لم ييأس المسلمون، ولم يفقدوا ثقتهم بوعد الله ونصره، بل ازدادوا إيمانا ويقينا، قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا

---

[1] سورة البقرة ، الآية رقم ١١٣ .
[2] سورة البقرة ، الآية رقم ١٢٠ .
[3] سورة البقرة ، الآية رقم ٢١٧ .

وَتَسْلِيمًا ﴾[1] .

فكان ﷺ يعدهم ويبشرهم بفتح الشام وفارس واليمن. رغم ما هم فيه من شدة وألم، فعن البراء بن عازب قال: (أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق، قال وعرض لنا فيه صخرة لم تأخذ فيها المعاول، فشكوناها إلى رسول الله ﷺ، فجاء فأخذ المعول ثم قال: باسم الله، فضرب ضربة، فكسر ثلث الحجر، وقال : الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا، ثم قال : باسم الله، وضرب أخرى، فكسر ثلث الحجر، فقال : الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر المدائن، وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا، ثم قال : باسم الله، وضرب ضربة أخرى، فقلع بقية الحجر، فقال : الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا)

ففي أحلك المواقف وأشدها كان النبي ﷺ يربي أصحابه على الثقة واليقين بموعود الله، وعلى التفاؤل والأمل، وعدم اليأس والاستكانة للكافرين، وهذا درس هام من دروس غزوة الأحزاب..ولقد حرص الرسول ﷺ في هذه الغزوة وغيرها من غزوات، على أن يؤكد لصحابته وللمسلمين من بعدهم، أن النصر من عند الله وحده، فالأحزاب التي تجاوزت عشرة آلاف مقاتل، لم تُهزم بالقتال من المسلمين رغم تضحياتهم، ولم تُهزم بعبقرية المواجهة ودقة التخطيط، وإنما هُزِمت بالله وحده، وما يسرَّه الله من أسباب وسخره من جنود، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾[2].

---

[1] سورة الأحزاب ، الآية ٢٢.

[2] سورة الأحزاب ، الآية ٩ .

فإذا أراد الله نصر المؤمنين، فلا ضرر عليهم إذا خذلتهم الدنيا بأسرها، أو تحالف عليهم الكفر وأهله، قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1] .

ومن ثم أكد النبي ﷺهذا المعنى، فقال: (.. لا إله إلا الله، أعز جنده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده ..)،وبذلك يعلمنا رسول الله ﷺ أن المسلم حينما تصيبه شدة أو كربة فإنه يلجأ أولا إلى الله، ويستعين بالله، فالفرج منه، والنصر من عنده سبحانه..

المستفاد من مسألة الدعاء في غزوة الأحزاب :

الدعاء سلاح هام في أيدي المسلمين، فالأسباب إذا كانت قليلة يعوضها ويَفضل عليها التضرع إلي الله، والتوكل علي الله، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[2]، وقال: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[3]،وهذا لا يتعارض مع الأخذ بالأسباب البشرية للنصر، فقد تعامل رسول الله ﷺ في هذه الغزوة مع سنة الأخذ بالأسباب، فبذل جهده لتفريق الأحزاب، وفك الحصار، والحفر، وغير ذلك..، إلا أنه ﷺ يعلمنا سنة الأخذ بالأسباب، مع ضرورة الالتجاء إلى الله، وأهمية الدعاء، وطلب النصر من الله ..

---

[1] سورة ال عمران ، الآية ١٦٠.

[2] سورة غافر ، الآية ٦٠.

[3] سورة الطلاق ، الآية ٣.

المستفاد من حديث القرآن عن المنافقين:

المنافقون أصحاب مصالح واهواء ليس لهم قرار واضح ولا قاعدة ثابتة تراهم مع المؤمنين تارة ومع الكافرين تارات رسل فساد وأصل كل بلية وهزيمة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾[1] ولاء المنافقين للكافرين، ولو عاشوا بين ظهراني المسلمين، وقلوبهم مع أعداء الدين، وإن كانوا بألسنتهم وأجسامهم وعدادهم في المسلمين، يخشون الدوائر فيسارعون للولاء والمودة للكافرين، ويسيئون الظن بأمتهم فيرتمون في أحضان أعدائهم ويزعمون إبقاء أياد عند الكافرين تحسباً لظفرهم بالمسلمين، قال تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾[2]، المنافقون هم الأعداء الحقيقيون للمسلمين وهم الذين خططوا لأعظم نكبات المسلمين، هم رسل الفساد وعقارب النفاق ، قال تعالى: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾[3].ولقد تكفل القرآن الكريم بتصوير ذلك أدق التصوير فقد وجد هؤلاء في الكرب المزلزل، والشدة الآخذة بالخناق فرصة للكشف عن خبيئة نفوسهم، وهم آمنون من أن يلومهم أحد ؛ وفرصةً للتوهين والتخذيل وبث الشك والريبة في وعد الله ووعد رسوله، ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا

---

[1] سورة النساء : الآية ١٤١.

[2] سورة المائدة : الآية ٥٢.

[3] سورة المنافقون : الآية ٤.

وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا [1].

ومثل هؤلاء المنافقين والمرجفين قائمون في كل عصر ومصر، وموقفهم في الشدة هو موقف إخوانهم المنافقين هؤلاء؛ فهم نموذج مكرر في الأجيال والجماعات على مدار الزمان !﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا﴾ [2]، فهم يحرضون أهل المدينة على ترك الصفوف، والعودة إلى بيوتهم ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ يستأذنون بحجة أن بيوتهم مكشوفة للعدو . متروكة بلا حماية، وهنا يكشف القرآن عن الحقيقة، ويجردهم من العذر والحجة: ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ ويضبطهم متلبسين بالكذب والاحتيال والجبن والفرار: إن يُرِيدُونَ إلاَّ فِرَاراً.

وهؤلاء المنافقون من أنشط الناس عند الفتن وأكثرهم استعداداً لنقض العهود مما يوضح وهَنَ العقيدة، وخَوَرَ القلوب، والاستعدادَ للانسلاخ من الإسلام غير مبقين على شيء، ولا متجملين لشيء: ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا﴾ [3] ذلك كان شأنهم، والأعداء بعدُ خارجَ المدينة؛ ولم تقتحم عليهم بعد، فأما لو وقع واقتحمت عليهم المدينة من أطرافها . . ثم سئلوا الفتنة وطلبت إليهم الردة عن دينهم لآتوها سراعاً غير متلبثين، ولا مترددين إلا قليلا من الوقت. ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْئُولًا﴾ [4].

---

[1] سورة الأحزاب ، الآية ١٢ .
[2] سورة الأحزاب : الآية ١٣.
[3] سورة الأحزاب : الآية ١٤.
[4] سورة الأحزاب : الآية ١٥.

ثم يبين لهم سبحانه أن الفرار لا يدفع أمر الله ولا يطيل العمر قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾[1] .ويرسم القرآن للمنافقين صورة تثير الاحتقار لهم، صورة للجبن والانزواء، والفزع والهلع. (في ساعة الشدة) . والانتفاشِ وسلاطة اللسان (عند الرخاء) . والشحِ على الخير والضن ببذل أي جهد فيه . والجزع والاضطراب (عند توهم الخطر من بعيد).

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا (١٩) يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾[2].

مثيرة للسخرية تلك الصورة المنافقين بعد أن يذهب الخوف ويجيء الأمن:﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ خرجوا من الجحور، وارتفعت أصواتهم بعد الارتعاش، وانتفخت أوداجهم بالعظمة، وانتفشوا بعد الانزواء، وادعوا في غير حياء، ماشاء لهم الادعاء، من البلاء في القتال والفضل في الأعمال، والشجاعة والاستبسال.﴿ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرًا﴾ لقد نافق أقوام بسبب إرجافهم وتخذيلهم ونعى القرآنُ عليهم ذلك فكيف لو

---

[1] سورة الأحزاب : الآية ١٦-١٧.

[2] سورة الأحزاب : الآيتان ١٨-٢٠.

ناصروا قريشاً وأحلافها . . . . إنها الردة ولو كان صاحبها متعلقاً بأستار الكعبة.

المستفاد من الأدب الحماسي في المعركة :

إذا أردنا أن نؤسس جيشًا، ونبني أُمةً، – وقد قال الله تعالى : " وأعدوا " – فإن من تمام الإعدادِ تربيةَ الجنود على الأدب الإسلامي الجهادي، والشعر العربي الحماسي، وأناشيد الشجاعة، ومقالات الإباء، وقصص البطولة .. و"حرض المؤمنين "! .وفي هذه الغزوة، وقد بدأ الحصار، وزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتتطايرت الظنون والشكوك، وساحت الأضاليل والأباطيل – نرى الرسول القائد يثَّبت جنده ويربط على قلوبهم ويشد على أيديهم مستخدمًا في ذلك القصيدة الحماسية والطرفة الظريفة، والترنيمة اللطيفة .ومثل هذا أيضًا، يدلل على قدرة الرسول القائد في الجمع بين الجد والترويح عن النفس، لاسيما في كربة الحرب وشدة الضنك.. هذا، وإنشاد الأناشيد والأشعار الجهادية في ثنايا المحن دائمًا تحقق عدة فوائد، أهمها :

(١) الترويح عن الجنود ..

(٢) إلهاب مشاعر المسلمين بشكل إيجابي نحو العقيدة .

(٣) تقوية الصلة بين الجنود وقاداتهم، فضلاً عن الجنود وبعضهم .

المستفاد من مشاورة النبي محمد ﷺ لأصحابه يوم الخندق :

إن الشورى ثمرة ناضجة من ثمرات الإسلام، نراها – أي الشورى – ماثلة حية في أحداث السيرة في ظلال النبوة وتحت قبة الوحي وبين يدي الرسول الصادق

المصدوق، لتتوكد فريضة الشورى- تلك الفريضة الغائبة المجهولة – في نفوس المسلمين، حكامًا ومحكومين، ولنعرف أن جو الاستبداد ضَيِّقٌ لا يتسع، وهَمٌ لا ينفرج، والجور والعسف لا يصنع عقولاً إنما يصنع أقفية.

ورُفعت إلى حضرة النبي ﷺ التقريرات الاستخباراتية، التي تفيد بتحرك جيوش التحالف صوب المدينة، فاسْتَشَارَ الصّحَابَةَ، ما العمل ؟ وهو النبي المصطفى الذي يتنزل الوحي عليه من السماء .. فأشار عليه سلمان الفارسي بحفر خَنْدَقٍ يَحُولُ بَيْنَ الْعَدُوّ وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ، وهي حيلة دفاعية يستخدمها الفرس، والحكمة ضالة المؤمن فأنى وجدها فهو أحق الناس بها وطفق الناس يهتفون بسلمان، افتخارنًا به، وسرورًا بفكرته، فقال المهاجرون : سَلْمَانُ مِنّا ؛ وَقَالَتْ الأنْصَارُ : سَلْمَانُ مِنّا؛ فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ سَلْمَانُ مِنّا أَهْلَ الْبَيْتِ [1].

وهو الرد المعهود من القيادة الإسلامية التي شرعت في تكريم أصحاب الإبتكارات وأصحاب الإختراعات . لقد نال سلمان هذه المرتبة الشرفية، واستحق هذا الوسام النبوي الرفيع؛ لأنه أعمل عقله في خدمة الإسلام، واخترع وابتكر، وأبدع ما ينفع المسلمين، وفكر، وفكر، وفكر، ولم ينخذل ولم يتضعضع، فكان من زمرة آل البيت الأماجد .

وانظر .. كيف تهيج العقول وتستوي على سوقها، فتَنتج وتبدع في جو الشورى، وبيئةِ الحوار بين الراعي والرعية، وتُربةِ التفاهم بين القائد وجنده ! هذه هي سمة البيئة الشورية في المجتمعات؛ بيئة جاذبة للعقول، تحتضن أصحاب المواهب والأفكار . وليست بيئة طاردة للعقول قاتلة للفهوم .

---

[1] ابن هشام : السيرة النبوية١/ ٧٠.

المستفاد من خبر قتل صفية يهودياً من بني قريظة :

يستفاد من خبر قتل صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ يهوديًا من بني قريظة أراد أن يستطلع وضع الحصن الذي فيه نساء المسلمين وأطفالهم ولم تجد فيه من يدافع عنها، دليل للمرأة في الدفاع عن نفسها إن لم تجد من يدافع عنها [١].

المستفاد من استشارة رسول الله ﷺ للسعدان :

وفي استشارة رسول الله ﷺ للصحابة يبين لنا أسلوبه في القيادة، وحرصه على فرض الشورى في كل أمر عسكري يتصل بالجماعة، فالأمر شورى ولا ينفرد به فرد حتى ولو كان هذا الفرد رسول الله ﷺ ، ما دام الأمر في دائرة الاجتهاد ولم ينزل به وحي [٢].

إن موقف الصحابة من هذا الصلح يحمل في طياته ثلاثة معانٍ:

أ- أنه يؤكد شجاعة المسلمين الأدبية في إبداء الرأي، والمشورة في أي أمر يخص الجماعة، إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

ب- أنه يكشف عن جوهر المسلمين وعن حقيقة اتصالهم بالله ورسوله وبالإسلام.

ج- أنه يبين ما تمتلئ به الروح المعنوية لدى المسلمين من قدرة على مواجهة المواقف الحرجة بالصبر، والرغبة القوية في قهر العدو، مهما كثر عدده وعتاده أو تعدد حلفاؤه [٣].

---

[١] زيدان،عبد الكريم :المستفاد من قصص القرآن٢/٢٤٦.

[٢] الصلابي : السيرة النبوية ٣/٣٣٦.

[٣] الرشيد، محمد : القيادة العسكرية في عهد الرسول ﷺ، ص٤١٤. الصلابي : السيرة النبوية ٣/٣٣٦.

د- الحكمة في استشاراته ﷺ في هذا الصلح لكي يطمئن إلى مدى ما يتمتع به أصحابه من القوة المعنوية والاعتماد على نصر الله وتوفيقه على الرغم من ذلك الذي فوجئوا به من اجتماع أشتات المشركين عليهم في كثرة ساحقة، إلى جانب خذلان بني قريظة للمسلمين ونقض مواثيقهم معهم.

وأما الدلالة التشريعية في هذه الاستشارة، فهي محصورة في مجرد مشروعية مبدأ الشورى في كل ما لا نص فيه. وهي بعد ذلك لا تحمل أي دلالة على جواز صرف المسلمين أعداءهم عن ديارهم إذا ما اقتحموها، باقتطاع شيء من أرضهم أو خيراتهم لهم. إذ إن مما هو متفق عليه في أصول الشريعة الإسلامية أن الذي يحتج به من تصرفاته ﷺ إنما هو أقواله، وأفعاله التي قام بها، ثم لم يرد اعتراض عليها من الله في كتابة العزيز.

وفي قبول الرسول ﷺ رأي الصحابة في رفض هذا الصلح يدل على أن القائد الناجح هو الذي يربط بينه وبين جنده رباط الثقة، حيث يعرف قدرهم ويدركون قدره، ويحترم رأيهم ويحترمون رأيه، ومصالحة النبي ﷺ مع قائدي غطفان تعد من باب السياسة الشرعية التي تراعي فيها المصالح والمفاسد حسب ما تراه القيادة الرشيدة للأمة[1].

وليس في هذه الاستشارة دليل على جواز دفع المسلمين الجزية إلى أعدائهم. أما إذ ألجئوا إلى اقتطاع جزء من أموالهم فعليهم التربص بأعدائهم لاسترداد حقهم المسلوب.

---

(١) المصدر نفسه .

المستفاد من أخذ الرسول بخطة الخندق:

لقد كانت خطة الرسول ﷺ في الخندق متطورة، ومتقدمة، حيث شرع بالأخذ بالأساليب الجديدة في القتال، ولم يكن حفر الخندق من الأمور المعروفة لدى العرب في حروبهم، بل كان الأخذ بهذا الأسلوب غريبًا عنهم، وبهذا يكون الرسول ﷺ هو أول من استعمل الخندق في الحروب في تاريخ العرب والمسلمين، فقد كان هذا الخندق مفاجأة مذهلة لأعداء الإسلام، وأبطل خطتهم التي رسموها، وكان من عوامل تحقيق هذه المفاجأة ما قام به المسلمون من إتقان رفيع لسرية الخطة وسرعة إنجازها، وكان هذا الأسلوب الجديد في القتال له أثر في إضعاف معنويات الأحزاب وتشتيت قواتهم.

المستفاد من استعمال رسول الله ﷺ اسلوب الترغيب والترهيب عندما أمر حذيفة بتحري انصراف الأحزاب:

استعمل الرسول ﷺ أسلوب الترغيب، وكرره ثلاث مرات، وعندما لم يُجْدِ هذا الأسلوب لجأ إلى أسلوب الجزم والحزم في الأمر، فعين واحدًا بنفسه فقال: «قم يا حذيفة فائتنا بخبر القوم، ولا تذعرهم عليَّ» [1].

وفي هذا معنى تربوي وهو أن القيادة الناجحة هي التي توجه جنودها إلى أهدافها عن طريق الترغيب والتشجيع، ولا تلجأ إلى الأمر والحزم إلا عند الضرورة[2].

---

[1] صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب (٣/ ١٤١٤) رقم ١٧٨٨.
[2] الصلابي : السيرة النبوية٣/ ٣٤٠.

المستفاد من قصة حذيفة بن اليمان :

ويؤخذ من قصة حذيفة دروس وعبر منها:

١ - معرفة رسول الله ﷺ بمعادن الرجال، حيث اختار حذيفة ليقوم بمهمة التجسس على الأحزاب، وأن معدن حذيفة معدن ثمين فهو شجاع، ولا يقوم بهذه الأعمال إلا من كان ذا شجاعة نادرة، وهو بالإضافة إلى ذلك لبق ذكي خفيف الحركة، سريع التخلص من المآزق الحرجة.

٢ - الانضباط العسكري الذي يتحلى به حذيفة: لقد مرت فرصة سانحة يقتل فيها قائد الأحزاب وهمَّ بذلك، ولكنه ذكر أمر الرسول ﷺ ألا يذعرهم، وأن مهمته الإتيان بخبرهم، فنزع سهمه من قوسه [١].

٣ - كرامات الأولياء: إن ما حدث لحذيفة بن اليمان عندما سار لمعرفة خبر الأحزاب في جو بارد ماطر شديد الريح، وإذا به لا يشعر بهذا الجو البارد، ويمشي وكأنما يمشي في حمام، وتلازمه هذه الحالة مدة بقائه بين الأحزاب وحتى عاد إلى معسكر المسلمين؛ لا شك هذه كرامة يمنُّ الله بها على عباده المؤمنين [٢].

٤ - وتستوقفنا سرعة البديهة لدى الصحابي الكريم، وقد دخل في القوم، كما في رواية الزرقاني، وقال أبو سفيان: ليأخذ كل رجل منكم بيد جليسه، قال حذيفة: فضربت بيدي على يد الذي على يميني فقلت: من أنت؟ قال: معاوية بن أبي سفيان، ثم ضربت بيدي على يد الذي عن شمالي، فقلت: من أنت؟ قال: عمرو بن العاص [٣]. وهكذا بدرهم بالمسألة حتى لا يتيح لهم فرصة ليسألوه، وبهذا تخلص

---

[١] الغضبان : فقه السيرة النبوية، ص٥٠٥، أبو فارس،محمد عبد القادر :السيرة النبوية، ص٣٦٧.

[٢] أبو فارس،محمد عبد القادر :السيرة النبوية، ص٣٦٧.

[٣] الزرقاني، محمد بن عبد الباقي : شرح المواهب اللدنية، دار المعرفة، بيروت ج٢، ص١٢٠.

من هذا المأزق الحرج الذي ربما كان أودى بحياته [1].

المستفاد من دور المرأة المسلمة في الغزوة :

ظهر دور المرأة المسلمة في مشاركة المسلمين في جهادهم، فعندما اشتغل المسلمون بحفر الخندق تركوا أعمالهم، وبعدت عنهم أرزاقهم، وقل عنهم القوت، وأصاب الناس جوع وحرمان حتى كان رسول الله ﷺ والمسلمون معه يشدون على بطونهم الحجارة من شدة الجوع، فكانت المرأة المسلمة تعين المسلمين بإعداد ما قدرت عليه من الطعام [2].

جواز تأخير الصلاة لعذر القتال:

قال ﷺ : «ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم نارًا، كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس» [3]. وقد استدل طائفة من العلماء بهذا الحديث على كون الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، كما هو منصوص عليه، وألزم القاضي الماوردي مذهب الشافعي بهذا لصحة الحديث، وقد استدل طائفة من العلماء بهذا الصنيع على جواز تأخير الصلاة لعذر القتال كما هو مذهب مكحول والأوزاعي [4].

---

[1] الشامي،صالح أحمد : من معين السيرة، ص٢٩٣.

[2] كركر، عصمة الدين : المرأة في العهد النبوي، ص١٧٥.

[3] البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق٥/ ١١٠، حديث ٤١١١.

[4] حوى،سعيد : الأساس في السنة ٢/ ٦٨٢.

الفصل الخامس

موقف الرسول ﷺ من يهود المدينة

تمهيد:

كَانَ يَسْكِن فِي المَدِينَةِ وَضواحِيهَا وَفِي أَطْرَافِهَا يَهُود بَنِي قَيْنُقَاعِ وَيَهُود بَنِي النَّضِيرِ وَيَهُود بَنِي قُرَيْظَةَ. وَهَذِه المَجْموعَاتِ اليَهُودِيَة مِنْ أَوَائِل قَبَائِل الْيَهُود فِي المَدِينَةِ، وَقدْ وَادَعهمْ الرَسُولُ ﷺ بَعدَ قُدومِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَكَانَ مِنْ بُنودِ مُعَاهَدَتِه أَو مُوَادَعَتِه مَعَهُمْ أَنْ لا يُعينُوا عَلَيْهِ أَحداً، وأَنَّهُ إِنْ دَهَمهُ عَدُّو نَصَروهُ، وَأَنْ يَكون بَيْنَهُمْ سَلامٌ لا عَدَاء، وَلَكِنَ اليَهُود نَقَضُّوا مُعَاهَدَتَهمْ معَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَامُوا بِأَعْمَالٍ عَدَائِيَة ضِدَّ المُسْلِمينَ وَتَحَرُشَاتٍ بِهِمْ لا تَتَفِق وَبُنُود المُعَاهَدَة مَعَهُمْ، فَكَانَ ذَلِكَ سَبَباً لِغَزْوِهِمْ فِي حُصونِهم وَإِخْرَاجِهمْ مِنَ الْمَدِينَةِ وَقَتْل بَعْضِهِم، وَنَذْكُر فِيمَا يَلي مَا جَرَى بَيْنَ الرَسُولِ ﷺ وَبَين هَؤُلاء الْيَهُود فِي ثَلاثِ أَبْحَاثٍ مُتَتَالِيَة ثُمَّ نَخْتِم هَذَا الفَصْل بَمَبْحَثٍ رَابِعٍ لِبَيَان المُسْتَفَاد مِنْ ذَلِكَ، وَهُمْ عَلَى التَوَالِي :ـ

المَبْحَثْ الأَوَّل : غَزْوَةَ بَنِي قَيْنُقَاعِ.

المَبْحَثْ الثَّانِي : غَزْوَةَ بَنِي النَّضِيرِ.

المَبْحَثْ الثَّالِث : غَزْوَةَ بَنِي قُرَيْظَةَ.

المَبْحَثْ الرَّابِع: المُسْتَفَاد مِنْ مَوقِف الرَسُولِ ﷺ مِنْ يَهُود الْمَدِينَةِ .

المبحث الأول

غـزوة بني قينقـاع

أسبابها :

وقعت غَزْوَةَ بَنِي قَيْنُقَاعٍ يَوْمَ السَّبْتِ (١٥شَوَال ٢ه /١٠نيسان ٦٢٣م) بَعْدَ مَعْرَكَةِ بَدْرٍ [١]؛ إِذْ لَمْ يَلْتَزِمْ يَهُود بَنِي قَيْنُقَاعٍ بِالْمُعَاهَدَة الَّتِي أَبْرَمَهَا الرَسُولُ ﷺ مَعَهُمْ، وَلَمْ يُوفُوا بِالتِزَامَاتِهِمْ الَّتِي حَدَدتْهَا، وَوَقَفُوا مِنَ الرَسُولِ ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ مَوَاقِفَ عَدَائِيَة، فَأَظْهَروا الغَضَبْ وَالحَسَدْ عِنْدَمَا انْتَصَر الْمُسْلِمُونَ فِي بَدْرٍ، وَجَاهَرُوا بِعَدَاوَتِهِمْ لِلمُسْلِمِينَ [٢] ، وَقدْ جَمعهم النَّبِيُّ ﷺ فِي سُوقِهِمْ بالْمَدِينَةِ وَنَصَحهمْ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلامِ، وَحَذَرهُمْ أَنْ يُصِيبَهمْ مَا أَصَابَ قُرَيْشاً فِي بَدْرٍ [٣] ، غَيرَ أَنَّهُمْ وَاجَهُوا النَّبِيّ ﷺ بِالتَحَدِيّ وَالتَهْديد رَغْم مَا يَفْتَرِض أَنْ يَلْتَزِمُوا بِه مِنَ الطَاعَةِ وَالمُتَابَعَةِ لِبُنُود المُعَاهَدَة الَّتِي جَعَلَتهُمْ تَحْتَ رِئَاسَتِه، فَقدْ جَابَهُوه بِقَوْلِهِمْ: « يَا مُحَمَّدُ ، لَا يَغُرَّنَّكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنَّكَ قَتَلْتَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا أَغْمَارًا لَا يَعْرِفُونَ الْقِتَالَ ،

---

[١] كَانَتْ غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ وَهُمْ طَائِفَةٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَأْسِ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مِنْ وَقْعَةِ بَدْرٍ. رواه الحاكم في المستدرك ٢/٥٢٥،حديث(٣٧٩٧).وقال «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ».

[٢] ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٣٣٢. ابن هشام : السيرة ١/ ٥٥٢-٥٥٣.

[٣] عن ابن عباسٍ، قال: لما أصابَ رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – قريشاً يومَ بدرٍ وقدم المدينةَ جمعَ اليهودَ في سوقِ بني قَيْنُقَاع، فقال: "يا معشرَ يهودَ، أسلِموا قَبلَ أن يُصِيبَكُم مثلُ ما أصابَ قُريشاً" قالوا: يا محمدُ، لا يَغُرَّنَّكَ من نفسِك أنك قتلتَ نَفَراً من قريشٍ كانوا أغْماراً لا يعرفون القتالَ، إنك لو قاتلْتَنا لعَرَفْتَ أنا نحن الناس، وأنك لم تَلْقَ مثلَنا، فأنزلَ اللهُ في ذلك: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ} قرأ مُصَرِّفٌ إلى قوله {فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} {وَأُخْرَى كَافِرَةٌ} (سورة آل عمران: ١٣). انظر: سنن ابي داؤد ٤/٦١٦، حديث (٣٠٠١).

إِنَّكَ لَوْ قَاتَلْتَنَا لَعَرَفْتَ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ وَأَنَّكَ لَمْ تَلْقَ مِثْلَنَا [1].وَتُعدْ هَذِه الغَزْوَة أول صِدَامْ عَسْكَرِي بَينَ المُسْلِمينَ وَالْيَهُودِ .

أخذ بَنِي قَيْنُقَاعٍ يتحينون الفرصة السانحة لمصادمة المسلمين، حتى جاءتهم فرصتهم الحقيرة الدنيئة عندما قَدِمَتْ امرأة مسلمة بِجَلَبٍ [2] لَهَا، فَبَاعَتْهُ بِسُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، وَجَلَسَتْ إِلَى صَائِغٍ بِهَا، فَجَعَلُوا يُرِيدُونَهَا عَلَى كَشْفِ وَجْهِهَا، فَأَبَتْ، فَعَمِدَ الصَّائِغُ إِلَى طَرَفِ ثَوْبِهَا فَعَقَدَهُ إِلَى ظَهْرِهَا، فَلَمَّا قَامَتْ انْكَشَفَتْ سَوْأَتُهَا، فَضَحِكُوا بِهَا، فَصَاحَتْ. فَوَثَبَ رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الصَّائِغِ فَقَتَلَهُ، وَكَانَ يَهُودِيًّا، وَشَدَّتْ الْيَهُودُ عَلَى الْمُسْلِمِ فَقَتَلُوهُ، فَاسْتَصْرَخَ أَهْلُ الْمُسْلِمِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْيَهُودِ، فَغَضِبَ الْمُسْلِمُونَ، فَوَقَعَ الشَّرُّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ بَنِي قَيْنُقَاعَ[3].

وَهَكَذا تَحَدَّى بَنُو قَيْنُقَاعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَرَاحَةً، سَوَاءٌ فِي أَقْوَالِهِمْ وَحَرْبِهِمْ النَفْسِيَّة، أَو فِي مَوَاقِفِهِمْ وَتَصَرُفَاتِهِمْ المُعَادِيَة، وَنَبَذُوا العَهْدَ بَيْنَهم وَبَينَهُ، فَحُقَّ عَلَيهِ أَنْ يُحَارِبَهُمْ.

حصار النبيﷺ والمسلمين بني قينقاع :

حِينَ عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهَذَا الحَادِثْ سَارَ إِلَيْهِمْ عَلَى رَأْسِ جَيْشٍ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَكَانَ الَّذِي حَمَلَ لِوَاءُ الْمُسْلِمِينَ يَومَئِذٍ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، واسْتَخْلَفَ ﷺ عَلَى الْمَدِينَة أَبَا لبَابَة بن عبد الْمُنْذر العمري [4]، وَحِينَ

---

[1] وردت عن طريق ابن إسحاق، انظر: ابن هشام: السيرة ١/ ٥٥٢ .

[2] الجلب: كل ما يجلب إلى السوق ليباع فيها.

[3] ابن هشام: السيرة ٢/ ٤٨.

[4] تفسير الطبري ١١/ ٢٣٨.

سَارَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَبذَ إليْهِمْ العَهْد كَمَا أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾[1]. وَحِينَ عَلِمَ اليَهُود بِمَقْدِمِهِ ﷺ تَحَصَنُوا فِي حُصُونِهِمْ، فَحَاصَرَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ فِي حِصْنِهِمْ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً أَشَدّ الْحِصَارِ حَتّى قَذَفَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ الرّعْبَ وَاضْطَرّوا لِلنُزولِ عَلَى حُكْمِه ﷺ، فَقَدْ فَاجَأَهُمْ ﷺ بِأَسْلوبِ الحِصَارِ، فَأَرْبَكَهُمْ وَأَوقَعَهمْ فِي حَيْرَةٍ مِنْ أَمْرِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَطَعَ عَنْهمْ كُلَّ مَدَد وَجمدَ حَرَكَتهُمْ، فَعَاشُوا فِي سِجْن مِمَا جَعَلَهُم فِي النِهَايَة يَيْأَسُون مِنْ المُقَاوَمَة وَالصَبْر، فَبَعْدَ أَنْ كَانُوا يُهَدِدونَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَبِأَنَهمْ قَومٌ يَخْتَلِفُونَ بَأساً وَشِدَّة عَنْ مُشْرِكِي قُرَيْش، إِذَا بِهِمْ يَضْطَرُونَ لِلنُزُولِ عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ[2]،فَأَمَرَ بِهِمْ فَرُبِطُوا فَكَانُوا يُكَتّفُونَ كِتَافًا ، وَاسْتَعْمَلَ رسول الله ﷺ عَلَى كِتَافِهِمُ الْمُنْذِرَ بْنَ قُدَامَةَ السَّلَمِيَّ الأوسي [3].

ما فعله ﷺببني قينقاع:

أَمرَ ﷺبِفَرزِ أَمْوَالَهُمْ الَّتِي صَارَتْ غَنِيمَةً لِلمُسْلِمِينَ حَيْثُ خَمَّسَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَوَزَعَ البَاقِي عَلَى المُقَاتِلِينَ.أَمَّا الرِجَال فَقَدْ طَلَبَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي ابْنُ سَلُولَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَمُّنَ عَلَيْهِمْ ؛ لأَنَهُمْ حُلَفَاؤُهُ، فَأَجَابَهُ النَّبِيُّ ﷺإِلَى طَلَبِه وَأَمرَ بِإِجْلَائِهِمْ من الْمَدِينَةِ والذي تولى إِجْلَائِهِمْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ فلحقوا بِأَذْرِعَاتِ الشَّامِ. وكان عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ حَلِيْفَاً لبَنِي قَيْنُقَاعٍ فَلَمَا صَدرَ مِنْهُمْ مَا صَدرَ تَبرأ مِنْ حِلْفِهِمْ وَقَالَ

---

[1] سورة الأنفال، الآية ٥٨ .

[2] أبو فارس،محمد عبد القادر: الصراع مع اليهود١/١٤٤.

[3] الشقاري، عبد الله : اليهود في السنة المطهرة١/٢٨٠. تفاصيل حصارهم وإجلائهم ثابتة في المصادر بروايات صحيحة · صحيح البخاري: ٥/ ٨٨ (حديث ٤٠٢٨). صحيح مسلم :٣/ ١٣٨٧حديث ١٧٦٦ . ابن هشام: السيرة ٢/ ٤٩.

لِرَسُولِ اللهِ ﷺ : يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى اللهِ مِنْ حِلْفِ يَهُود وَوَلائِهِمْ، وَلا أُوَالِي إِلاّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَقَالَ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي: أَما أَنا فَلا أَبْرَأُ مِنْ وَلاءِ يَهُود، فَإِنِّي لا بُدَّ لِي مِنْهُمْ، إِنِّي رَجُل أَخَاف الدَوَائِر [1]، وَلَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي مُوَالاةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي ابْنُ سَلُولَ لِلْيَهُودِ ، وَبَرَاءَة عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ مِنْهُمْ قُرْآناً، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾[2].

وَهَكَذا خَرج بَنِي قَيْنُقَاعٍ مِنَ الْمَدِينَةِ صَاغِرِينَ قَدْ أَلقَوا سِلاحَهُمْ وَتَرَكُوا أَمْوَالَهُمْ غَنِيمَةً لِلمُسْلِمِينَ، وَهُمْ كَانُوا مِنْ أَشْجَعْ يَهُود الْمَدِينَةِ ، وَأَشَدَّهُمْ بَأْساً، وَأَكْثَرَهُمْ عَدَداً وَعِدَةً؛ وَلِذَلكَ لاذَتْ القَبَائِل الْيَهُودِية بِالصَمْت وَالهُدوءِ فَتْرَةً مِنَ الزَمَنِ بَعْدَ هَذَا العِقَابَ الرَادِع، وَسَيْطَر الرُعْبُ عَلَى قُلوبِهِمْ وَخَضَدت شَوْكَتَهَا [3].

---

[1] المحرر الوجيز لابن عطية ٢/٢٠٣.

[2] سورة المائدة، الآيتان ٥١ – ٥٢.

[3] أبو فارس، محمد عبد القادر: الصراع مع اليهود١/١٤٩.

المبحث الثاني

غزوة بني النضير

اسبابها :

ذُعِرَ الْيَهُودُ فِي الْمَدِينَةِ عَلَى أَثَرِ إِجْلاءِ بَنِي قَيْنُقَاعٍ ، وَلَكِنَّ الهَزِيمَةَ الَّتِي حَلَّتْ بِالْمُسْلِمِينَ فِي أُحُدٍ، وَالكَارِثَة الَّتِي أَصَابَتْ أَصْحَاب الرَجِيعِ وَبِئْرِ مَعُونَةَ ؛ أَزَالَتْ الهَلَع مِنْ قُلوبِهِمْ، وَأَحْيَتْ لَدَيْهِمْ الأَمَلَ بِالقَضَاءِ عَلَى الدَوْلَةِ الإِسْلامِيَة، وَشَارَكَهُمْ الْمُشْرِكُونَ وَالْمُنَافقونَ فِي ذَلِكَ، فَعَادُوا إِلَى أَسَالِيبِ الدَّسِ وَالخِدَاعِ، وَشَرَعُوا فِي تَخْزِينِ السِّلاحِ وَالعَتَادِ فِي حُصُونِهِمْ تَمْهِيداً لِلانْقِضَاضِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَدَولَتِهِمْ، ثُمَّ قَرَروا القَضَاء عَلَى الرَسُولِ ﷺ بِالقَتْلِ ، فِي مُحَاوَلَتَيْنِ الأُوْلَى مُحَاوَلَةِ يَهُود بَنِي النَّضِيرِ لِقَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ، بَعْدَ مَعْرَكَةِ بَدْرٍ الكُبْرَى بِمُواطَأَةٍ وَدَعْمٍ مِنْ قُرَيْش لاسْتِدْرَاجِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَتْلِه غِيلَة بِالخَنَاجِر مِنْ قِبَلِ ثَلاثَةٍ مِنْ أَحْبَارِهِمْ [1]. وَالثَّانِيَة مُحَاوَلَة يَهُود بَنِي النَّضِيرِ فِي أَعْقَاب مَأسَاةِ سِريَّة الرَّجِيعِ، وَإِقْدَام عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ عَلَى قَتْلِ رَجُلَيْنِ مُعَاهِدِينِ خَطَأً، فَقَدْ اسْتَعَانَ النَّبِيُّ ﷺ بِيَهُودِ مِنْ أَجْلِ جَمعِ الدِيَّةِ، وَقَدْ هَمَّ اليَهُود بِقَتْلِه غِيلَة بِإِلقَاءِ حَجرٍ عَلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ إِلَى جِدَارٍ لَهُمْ، فَأَعْلَمَهُ الوَحِي بِذَلِكَ فَانْصَرفَ عَنْهُمْ بِسُرْعَةٍ رَاجِعاً إِلَى الْمَدِينَةِ [2]، فَكَانَ ذَلِكَ نِعْمَةً عَظِيمَةً مِنَ اللهِ بِهَا عَلَى نَبِيهِ وَأُمَتِه، أَنْ يَكْشِفَ لِنَبِيهِ الْكَرِيمِ هَذِه المُؤَامَرَة الدَنِيئَة، وَيُحْبِط تَخْطِيطَهُمْ وَيُخَيِّب فَأْلَهُمْ، قَالَ تَعَالَى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ

---

[1] نضرة النعيم في مكارم الرسول الكريم ١/٣١٦.

[2] امتاع الاسماع ١/١٨٨. إنارة الدجى في مغازي خير الورى١/٣٢٩، الاغصان الندية شرح الخلاصة البهية ١/٢٦٤. السهيلي : الروض الآنف ٤/٣٦٨. العمري : السيرة النبوية الصحيحة ١/٣٠٧.

يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

إنذار بني النضير بالجلاء وحصارهم:

نَزَلَتْ سُورَة الحَشْر فِي بَنِي النَّضِيرِ وَفِي ذَلِكَ يَقُول عَزَّ وَجَلّ: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ دِيارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ما ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الْأَبْصارِ﴾[1] .

أَمَّا عَنِ الحِصَار فَقَدْ صَحَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ حَاصَرهُمْ وَطَالَبَهُمْ بِأَنْ يُعَاهِدُوهُ كَشَرطْ لِتَأْمِينِهِمْ فَقَالَ ﷺ لَهُمْ: « إِنَّكُمْ وَاللَّهِ لَا تَأْمَنُونَ عِنْدِي إِلَّا بِعَهْدٍ تُعَاهِدُونِي عَلَيْهِ"، فَأَبَوْا أَنْ يُعْطُوهُ عَهْدًا، فَقَاتَلَهُمْ يَوْمَهُمْ ذَلِكَ هو والمسلمون، ثُمَّ غَدَا الْغَدُ عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ ثُمَّ غَدَا الْغَدُ عَلَى بَنِي قُرَيْظَةَ بالخيل والْكَتَائِبِ، وَتَرَكَ بَنِي النَّضِيرِ وَدَعَاهُمْ إِلَى أَنْ يُعَاهِدُوهُ، فَعَاهَدُوهُ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ، وَغَدَا عَلَى بَنِي النَّضِيرِ بِالْكَتَائِبِ، فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى نَزَلُوا عَلَى الْجَلَاءِ وَعَلَى أَنَّ لَهُمْ مَا أَقَلَّتْ الإِبِلْ إلّا الْحَلْقَة – السِّلَاح – فَجَاءَتْ بَنُو النَضِير وَاحْتَمَلُوا مَا أَقَلَّتِ الْإِبِلُ مِنْ أَمْتِعَتِهِمْ، وَأَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ، وَخَشَبِهَا ، فَكَانُوا يُخْرِبُونَ بَيُوتِهِمْ فَيَهْدِمُونَهَا، فَيَحْمِلُونَ مَا وافَقَهُمْ مِنْ خَشَبِهَا»[2] .

---

[1] سورة الحشر: الآية ٢.

لقد سجلت معظم كتب السيرة النبوية خبر إنذار النبي ﷺ لبني النضير بالجلاء خلال عشرة أيام دون أسانيد ، كما سجلت موقف المنافقين وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول وتحريضهم لليهود على التمرد وعدم الجلاء ووعدهم بالنصر بروايات ضعيفة لا تصلح للاحتجاج بها. الواقدي: مغازي ١/ ٣٦٣- ٣٧٠، ابن هشام:السيرة ١/ ٥٦٣. ابن سعد: الطبقات ٢/ ٢٩. البيهقي: دلائل النبوة ٣/ ١٨٣. ابن سيد الناس: عيون الأثر ٢/ ٧٠ .ابن كثير: البداية والنهاية ٥/ ٥٣٤.

[2] الصنعاني: المصنف ٥/ ٣٥٨- ٣٦١.

وَقَدْ ثَبتَ بِنَصِّ القُرْآنِ الْكَرِيمِ [1] وَالحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَرِيفِ [2] أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمرَ بِتَحْرِيقِ وَقَطْعِ بَعْضِ نَخْلِ بَنِي النَّضِيرِ خِلالِ الحِصَارِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ما قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوها قائِمَةً عَلى أُصُولِها فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفاسِقِينَ﴾[3] .

وَقَدْ خَرجَ يَهُود بَنِي النَّضِيرِ إِلَى خَيْبَر، وَمِنْهمْ مَنْ سَارَ إِلَى الشَّامِ [4]، وَقَدْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ اثْنَان وَلِذَلِكَ فَإِنَّهُمَا أَحْرَزَا أَمْوَالَهُمَا [5]. أَمَا بَاقِي أَمْوَالَهُمْ وَبَسَاتِينِهِمْ فَكَانَتْ نَفْلاً لِلرَسُولِ ﷺ [6] ، كَانَ يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ مِنْهَا نَفَقة سَنَة، وَيَجْعلُ الفَاضِل عِدَّة فِي سَبِيلِ اللهِ [7]. أَمَّا أَرْضُهمْ فَقَدْ قَسَّمَها بَيْنَ المُهَاجِرِينَ خَاصَّةً، وَأَعْطَى اثْنَيْنِ مِنَ الأَنْصَارِ

---

[1] سورة الحشر: الآية ٥.

[2] صحيح البخاري: ٦/ ١٤٧ ، حديث (٤٨٨٢). صحيح البخاري: ٦/ ١٤٧ ، حديث (٤٨٨٤).

[3] سورة الحشر: الآية ٥.

[4] عبد الرزاق الصنعاني: المصنف ٥/ ٣٥٨- ٣٦١ بإسناد صحيح. ابن هشام: السيرة ٢/ ١٩١، برواية ابن إسحاق معلّقا.

[5] وهما يامين بن عمر بن كعب، وأبو سعد بن وهب، انظر: ابن هشام: السيرة ٢/ ١٩٢.

[6] عن أَبَي سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ قَالَ نَزَلَ أَهْلُ قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- إِلَى سَعْدٍ فَأَتَاهُ عَلَى حِمَارٍ فَلَمَّا دَنَا قَرِيبًا مِنَ الْمَسْجِدِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- لِلأَنْصَارِ « قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ - أَوْ خَيْرِكُمْ ». ثُمَّ قَالَ « إِنَّ هَؤُلاَءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ ». قَالَ تَقْتُلُ مُقَاتِلَتَهُمْ وَتَسْبِى ذُرِّيَّتَهُمْ. قَالَ فَقَالَ النَّبِىُّ -صلى الله عليه وسلم- « قَضَيْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ - وَرُبَّمَا قَالَ - قَضَيْتَ بِحُكْمِ الْمَلِكِ ». وَلَمْ يَذْكُرِ ابْنُ الْمُثَنَّى وَرُبَّمَا قَالَ « قَضَيْتَ بِحُكْمِ الْمَلِكِ ».صحيح مسلم : ٣/ ١٣٨٨ ،حديث(١٧٦٨)

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ أُصِيبَ سَعْدٌ يَوْمَ الْخَنْدَقِ رَمَاهُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُقَالُ لَهُ ابْنُ الْعَرِقَةِ. رَمَاهُ فِي الأَكْحَلِ فَضَرَبَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- خَيْمَةً فِي الْمَسْجِدِ يَعُودُهُ مِنْ قَرِيبٍ فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- مِنَ الْخَنْدَقِ وَضَعَ السِّلاَحَ فَاغْتَسَلَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ مِنَ الْغُبَارِ فَقَالَ وَضَعْتَ السِّلاَحَ وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ اخْرُجْ إِلَيْهِمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « فَأَيْنَ ». فَأَشَارَ إِلَى بَنِى قُرَيْظَةَ فَقَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَرَدَّ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- الْحُكْمَ فِيهِمْ إِلَى سَعْدٍ قَالَ فَإِنِّى أَحْكُمُ فِيهِمْ أَنْ تُقْتَلَ الْمُقَاتِلَةُ وَأَنْ تُسْبَى الذُّرِّيَّةُ وَالنِّسَاءُ وَتُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ. صحيح مسلم : ٣/ ١٣٩٠ ،حديث (١٧٦٩).

[7] عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَانَتْ أَمْوَالُ بَنِي النَّضِيرِ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِمَّا لَمْ يُوجِفْ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ بِخَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ فَكَانَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاصَّةً يُنْفِقُ عَلَى أَهْلِهِ مِنْهَا نَفَقَةَ سَنَتِهِ ثُمَّ يَجْعَلُ مَا بَقِيَ فِي السِّلَاحِ وَالْكُرَاعِ عُدَّةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ. صحيح البخاري : بَاب قَوْلُهُ { مَا أَفَاءَ اللَّهُ

لِفِقْرِهِمَا[1] .

لَمْ يَتَوَقَفْ حِقْد يَهُود بَنِي النَّضِيرِ وَكَيْدِهِمْ لِلإسلامِ بِإجْلائِهِمْ وَتَخْلِيصِ الْمَدِينَةِ وَمَا حَولَهَا مِنْ شُرُورِهِمْ، فَقَدْ ثَبتَ أَنَّهُمْ سَاهَمُوا فِي التَحْرِيضِ عَلَى تَجْمِيعِ الأَحْزابِ فِي مُوَاجَهةِ الإسْلامِ وَالكَيْدِ لَهُ فَكَانَتْ غَزْوَة الخَنْدَقْ [2] .

عَلَى رَسُولِهِ }٦/١٤٧،(حديث ٤٨٨٥) .

[1] حدَّثنا محمدُ بن داودَ بنِ سفيانَ، حدَّثنا عبدُ الرزّاقِ، أخبرنا معمرٌ، عن الزهريِّ، عن عبدِ الرحمن بن كعب بن مالكٍ عن رجل من أصحابِ النبيِّ – صلَّى الله عليه وسلم –: أن كفارَ قريشٍ كتبُوا إلى ابن أُبَيٍّ ومَن كان معه يعبُد الأوثانَ من الأوسِ والخزرجِ، ورسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – يومئذٍ بالمدينة قبلَ وقعةِ بدرٍ: إنكم آوَيتُم صاحبَنا، وإنا نُقسِم باللهِ لَتُقاتِلُنَّهُ أو لَتُخرِجُنَّهُ أو لنَسِيرَنَّ إليكم بأجمَعِنا حتى نقتلَ مقاتلتكم ونستبيح نساءكم، فلما بلغَ ذلك عبدَ الله بن أبيّ ومَن كان معه من عَبَدةِ الأوثانِ، اجتمعوا لقتالِ النبيِّ – صلَّى الله عليه وسلم –، فلما بلغ ذلك النبيَّ – صلَّى الله عليه وسلم – لقيهم فقال: "لَقدْ بَلغَ وعيدُ قُريشٍ منكم المبَالغ، ما كانت تكِيدُكم بأكْثرَ مِمَّا تريدُون أن تكيدُوا بِهِ أنفُسَكم، تريدُون أن تُقاتلوا أبنَاءَكم وإخوانَكم" فلما سمعُوا ذلك من النبيَّ – صلَّى الله عليه وسلم – تفرَّقوا، فبلغ ذلك كفارَ قريشٍ، فكتبت كفارُ قريشٍ بعد وقعةِ بدرٍ إلى اليهود: إنكم أهلُ الحَلْقَةِ والحُصُونِ، وإنكم لَتُقاتِلُنَّ صاحبَنا أو لنَفْعلَنَّ كذا وكذا، ولا يحولُ بيننا وبين خَدَم نسائكم شيء –وهي الخلاخيل– فلما بلغَ كتابُهم النبيَّ – صلَّى الله عليه وسلم – أجْمعَتْ بنو النَّضير بالغَدْرِ: فأرسَلُوا إلى رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلم –: اخرُج إلينا في ثلاثين رجلاً من أصحابك، وليخرج منا ثلاثون حِبْراً، حتى نلتقي بمكان المُنصَف فيسمعوا منك، فإن صدَّقُوك وآمنوا بك آمنّا بك، فقصَّ خبرهم، فلما كان الغَدُ غدا عليهم رسولُ الله – صلَّى الله عليه وسلم – بالكتائبِ فحَصَرهم، فقال لهم: "إنكم واللهِ لا تأمَنُون عِندي إلا بعَهْدٍ تُعَاهِدوني عليه) فأبَوا أن يعطُوه عهداً، فقاتَلَهم يومَهم ذلك، ثم غدا الغدَ على بني قُريظةَ بالكتائبِ، وتَرك بني النَّضيرِ، ودعاهم إلى أن يعاهِدوه، فعاهَدوه: فانصرف عنهم، وغدا على بني النضيرِ بالكتائبِ، فقاتلهم حتى نزلوا على الجَلاَء، فجَلَتْ بنو النضيرِ واحتَمَلُوا ما أقَلَّتِ الإبلُ من أمتعتِهم وأبواب بيوتهم وخشبِها، فكان نخلُ بني النضير لِرسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلم – خاصةً، أعطاه الله إياها وخَصَّه بها، فقال: {وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ} [الحشر: ٦] يقول: بغيرِ قتالٍ، فأعطى النبيُّ – صلَّى الله عليه وسلم – أكثرَها للمهاجرين، وقَسَمها بينهم، وقسم منها لرجلين من الأنصار كانا ذوي حاجةٍ، لم يقسِم لأحدٍ من الأنصارِ غيرِهما، وبقي منها صدقةُ رسولِ الله – صلَّى الله عليه وسلم – التي في أيدي بني فاطمةَ رضي الله عنها. اسناده صحيح : رواه ابو داؤد في سننه : ٤/٦١٨،حديث(٣٠٠٤).

[2] يرد ذكر مقتل سلام بن أبي الحقيق في غزوة خيبر لأنه حرّض الأحزاب. وقد أورد ابن هشام في السيرة أسماء اليهود الذين ساهموا في ذلك التحريض، بإسناد منقطع، وانظر: الصنعاني: المصنف ٥/ ٣٦٨– ٣٧٣.

المبحث الثالث

غزوة بني قريظـة

سبب هذه الغزوة :

كَانَ نَقْض بَنِي قُرَيْظَةَ لِوَثِيقَةِ العَهْدِ الَّتِي أَبْرَمُوهَا معَ الرَسُولِ ﷺ عِنْدَ حِصَارِ قُوَاتِ الأَحْزَاب لِلْمَدِينَةِ في غَزْوَةَ الخندق وَإِصْرَارِهِمْ عَلَى خِيَانَةِ اللهِ وَرسولهِ ﷺ وَالمُسْلِمِينَ، وَتَعْرِيْضِهِمْ أَمنْ وَسَلامَةِ المُسْلِمِينَ وَدَولَتِهِمْ لِلخَطَرِ، الْسَبَبْ فِي هَذِه الغَزْوَةِ، فَقَدْ أَمرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى نَبِيهُ ﷺ بِقِتَالِهِمْ بَعْدَ انْسِحابِ الأحْزَاب وَانْتِهاءِ الحِصَار وَالخَطَر وَعَودَتِهِ بِالمُسْلِمِينَ مِنَ الخَنْدَقِ وَوَضعِهِمْ السِّلاح [1] .

النبي ﷺ يأمر أصحابه بالتوجه إلى ديار بني قريظة:

وَقدْ وَقعتْ الغَزْوَة فِي أَوَّلِ ذِي الحِجَّةِ سَنَة ٥ هـ [2] . حَيْثُ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابِه بِالتَوَجهِ إِلَى دِيَار بَنِي قُرَيْظَةَ وَمُحَاصَرتِهِمْ، وَبِأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِيُزَلزِلَ حُصُونِهِمْ وَيُلْقِي فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْب [3] ، وَطَلَبَ إِلَيهِمْ:

---

[1] عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْخَنْدَقِ وَوَضَعَ السِّلَاحَ وَاغْتَسَلَ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَام فَقَالَ قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ قَالَ فَإِلَى أَيْنَ قَالَ هَا هُنَا وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ بَاب مَرْجِعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْأَحْزَابِ وَمَخْرَجِهِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ وَمُحَاصَرَتِهِ إِيَّاهُمْ. صحيح البخاري : بَاب مَرْجِعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْأَحْزَابِ وَمَخْرَجِهِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ وَمُحَاصَرَتِهِ إِيَّاهُمْ ٥/١١١،حديث (٤١١٧).

[2] البيهقي : دلائل النبوة ٥/٤٦٩. المقريزي : امتاع الاسماع١/٢٤٤. ابن سيد الناس: عيون الأثر ٢/ ١٠٨.

[3] عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْغُبَارِ سَاطِعًا فِي زُقَاقِ بَنِي غَنْمٍ مَوْكِبَ جِبْرِيلَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ حِينَ سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ . صحيح البخاري : بَاب مَرْجِعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْأَحْزَابِ وَمَخْرَجِهِ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ وَمُحَاصَرَتِهِ إِيَّاهُمْ ٥/١١١،حديث (٤١١٨).

«ألّا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ » [1] . كَمَا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ بِنَفْسِه إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ واسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ [2] ، وَبَعثَ عَلِيّاً عَلَى الْمُقَدِمَة بِرَايَتِه [3] . وَكَانَ عَـدَدْ جَيْش الْمُسْلِمينَ ثَلاثَةَ آلافِ رَجُـلٍ مَعَهُـمْ سِتَّةٌ وَثَـلاثُونَ فَرَسًا [4]. وَاخْتَلَفتْ الْمَصَادِرَ فِي تَحْدِيدِ مُدَّةِ حِصَارِ بَنِي قُرَيْظَةَ ، وَأَقْوَى الأدِلَة تُبِين أَنَّهُ كَانَ خَمْسةً وَعِشْرِينَ لَيْلَةً [5].

بنو قريظة يستشيرون أبا لبابة :

أَرَادَ بَنِي قُرَيْظَةَ ، بَعْدَ أَنْ اشْتَدَّ عَلَيْهِمْ الحِصَار، أَنْ يَسْتَسْلِمُوا وَيَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاسْتَشَارُوا الصَحَابِيَّ أَبَا لُبَابَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُنْذِرِ ، وَكَانَ حَلِيْفاً لَهُمْ، فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ بِأَنْ ذَلِكَ يَعْنِي ذَبْحِهِمْ[6].

حكم سعد بن معاذ في بني قريظة :

ونزل يَهُود بَنِي قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ سَيِّدُ الْأَوْسِ أَمَلاً فِي أَنْ يَرْأَفَ بِهِمْ بِسببِ الحِلْف القَدْيمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْأَوْسِ. وَقَدْ قَضَى سَعْدٌ فِيهِمْ أَنْ « تُقْتَلَ

---

[1] صحيح البخاري: ابواب صلاة الخوف ، باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء ، ٢/١٥، حديث (٩٤٦).

[2] ابن هشام: السيرة ٢/ ٢٣٤. العمري : السيرة النبوية الصحيحة ١/٣١٤. المقريزي : امتاع الاسماع١/٢٤٤. الدرر في اختصار المغازي والسير١/١٧٨.

[3] ابن هشام: السيرة ٢/ ٢٣٤. ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٤١٣. المقريزي : امتاع الاسماع١/٢٤٥. الدرر في اختصار المغازي والسير١/١٧٨.

[4] ابن سعد: الطبقات ٣/ ٧٤. ابن سيد الناس: عيون الأثر ٢/ ١٠٨ دون إسناد.

[5] ابن حزم: جوامع السيرة، ص ١٩٣. المقريزي : امتاع الاسماع١/٢٤٤.

[6] وقد ندم أبو لبابة على ذلك وربط نفسه إلى إحدى سواري المسجد النبوي حتى قبلت توبته. العمري : السيرة النبوية الصحيحة ١/٣١٥.

مُقَاتِلَتُهُمْ، وَتُسْبَى ذَرَارِيُّهُمْ، وَتُقْسَمَ أَمْوَالُهُمْ »[1] ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « قَضَيْتَ بِحُكْمِ اللهِ »[2].

وَقَدْ نَفذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حُكْمِ اللهِ فِيهِمْ، وَكَانُوا أَرْبَعِمِائَة مُقَاتِلٍ[3]. وَلَمْ يَقْتُلْ مِنْ نِسَائِهِمْ إِلّا امْرَأَةً وَاحِدَةً كَانتْ قَدْ قَتَلتْ أَحدْ الصَحَابَة حِينَ أَلقَتْ عَلَيْهِ رَحَى مِنْ أَعْلَى الْحِصْنِ، أَمَا الْغِلْمَانُ الَّذِينَ لَمْ يَبْلغُوا الحُلُمْ فَقَدْ أُطْلِقَ سَرَاحَهمْ[4]. ثُمَّ شَرعَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ فِي تَقْسِيمِ أَمْوَالُهُمْ وَذَرَارِيُّهُمْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ[5]. وَإِلَى ذَلِكَ يُشِيرُ القُرْآن الْكَرِيمِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيارَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ وَأَرْضاً لَمْ تَطَؤُها وَكانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً﴾[6].

---

[1] رواه احمد في مسنده : ٢٦/٤٢، حديث (٢٥٠٩٧). وحسنه الشيخ الالباني في السلسلة الصحيحة ١٤٣/١، حديث ٦٧.

[2] صحيح البخاري: كتاب المغازي ، باب مرجع النبي صلى الله عليه و سلم من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم، ١١٢/٥، حديث (٤١٢١).

[3] فصل ابن حجر في فتح الباري: ٧/ ٤١٤ في اختلاف المرويات بشأن عددهم والتي تراوحت بين ٤٠٠-٩٠٠ وقد نجا ثلاثة منهم اعتنقوا الإسلام، كما نجا بنو سعفه منهم بسبب التزامهم بالعهد في غزوة الخندق.

[4] نضرة النعيم في مكارم الرسول الكريم ١/ ٣٢٩. ابن هشام: السيرة ٢/ ٢٤٢.

[5] حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سَعْدٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الْخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ نَزَلَ أَهْلُ قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى سَعْدٍ فَأَتَى عَلَى حِمَارٍ فَلَمَّا دَنَا مِنْ الْمَسْجِدِ قَالَ لِلْأَنْصَارِ قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ أَوْ خَيْرِكُمْ فَقَالَ هَؤُلَاءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ فَقَالَ تَقْتُلُ مُقَاتِلَتَهُمْ وَتَسْبِي ذَرَارِيَّهُمْ قَالَ قَضَيْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ وَرُبَّمَا قَالَ بِحُكْمِ الْمَلِكِ. صحيح البخاري: كتاب المغازي ، باب مرجع النبي صلى الله عليه و سلم من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة ومحاصرته إياهم، ١١٢/٥، حديث (٤١٢١).

[6] سورة الأحزاب: الآية ٢٧.

المبحث الرابع

المستفاد من موقف الرسول ﷺ من يهود المدينة

ستر وجه المرأة :

ذكرنا أن سبب غزوة بني قينقاع هو محاولة اليهود إجبار المرأة المسلمة على كشف وجهها ؛ وذلك عندما دخلت سوقهم من اجل بيع بضاعة جلبتها معها، ويدل ذلك على أن الحجاب الذي شرعه الإسلام للمرأة يشمل الوجه أيضاً، ومن الأدلة على وجوب ستر المرأة وجهها وبقية جسمها عن الرجال الأجانب، ما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها، في باب ما يلبس المحرم من الثياب.

قالت: «لا تلثّم- أي المرأة- ولا تتبرقع ولا تلبس ثوبا بورس ولا زعفران» . ومثله ما رواه مالك في الموطأ عن نافع أن عبد الله بن عمر كان يقول: «لا تنتقب المرأة المحرمة ولا تلبس القفازين» . فما معنى نهي المرأة عن أن تتبرقع أو تنتقب أثناء الإحرام بالحج، ولماذا كان هذا النهي خاصا بالمرأة دون الرجل؟ لا شك أن النهي فرع عما كانت تفعله المرأة المسلمة إذ ذاك من الانتقاب وإسدال البرقع على وجهها، فاقتضى الحكم استثناء ذلك في الحج.ومنه ما رواه مسلم وغيره من حديث فاطمة بنت قيس أنها لما طلقها زوجها، فبت طلاقها، أمرها رسول الله ﷺ أن تعتدّ في بيت أم شريك، ثم أرسل إليها أن بيت أم شريك يغشاه أصحابي (أي أصحاب الرسول ﷺ)، فاعتدي في بيت ابن عمك ابن أم مكتوم، فإنه ضرير البصر وإنك إذا وضعت خمارك لم يرك.أما من حيث الدليل على حرمة نظر الرجل إلى ذلك منها، فقد وردت بذلك أحاديث كثيرة أيضا.

فمن ذلك ما رواه أحمد وأبو داود والترمذي عن بريرة قالت: قال رسول الله ﷺ لعلي:«يا علي لا تتبع النظرة النظرة، فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة»، ومن ذلك ما رواه البخاري عن ابن عباس أن النّبي ﷺ أردف الفضل بن العباس يوم النحر خلفه- وفيه قصة المرأة الخثعمية الوضيئة- فطفق الفضل ينظر إليها، فأخذ النّبي ﷺ بذقن الفضل فحوّل وجهه عن النظر إليها.

فأنت ترى أنه قد اجتمع في هذه الأحاديث نهيان: نهي المرأة عن كشف وجهها أو شيء مما سواه أمام الأجانب، ونهي الرجل عن النظر إلى ذلك منها. وفي ذلك دلالة وافية متكاملة على أن وجه المرأة عورة في حق الأجانب عنها إلا في حالات خاصة مستثناة كضرورة التطبب والتعلم والشهادة ونحو ذلك.

على أن من أئمة المذاهب من ذهب إلى أن الوجه والكفين من المرأة ليسا بعورة، فلا يجب سترهما وحملوا ما سبق من الأحاديث الدالة على خلاف ذلك على الندب دون الوجوب، غير أن الجميع اتفقوا على أنه لا يجوز النظر إلى شيء من جسم المرأة بشهوة، وعلى أنه يجب على المرأة أن تستر وجهها إذا عمّ الفسق وأصبح أكثر الذين ينظرون إليها فسّاقا يتأملونها بنظرات محرمة[1].

المستفاد من الآيات التي نزلت بشأن غزوة بني النضير:

أ- الرعب جند من جند الله: قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللهِ فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ

[1] البوطي : فقه السيرة، ص ١٦٩.

بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِّ اللهَ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[١].

أحاط يهود بني النضير بجميع الأسباب المادية التي كانت متوفرة لهم، مثل : القوة، والمنعة في حصونهم، وحسبوا لكل شيء حسابه، لكن الهزيمة جاءتهم من مكان اطمأنوا إليه وهو أنفسهم، فإذا الرعب[٢] يأتي من داخلهم، وإذا بهم ينهارون في أسرع لحظة، لذلك يجب على كل إنسان عاقل أن يعتبر بهذه الغزوة، وأن يعرف أن الله هو المتصرف في الأمور، وأنه لا تقف أمام قدرته العظيمة لا الأسباب ولا المسببات، فهو القادر على كل شيء، فعلى الناس أن يؤمنوا به تعالى ويصلحوا أمرهم، فإذا اتبعوا أمر الله أصلح الله لهم كل شيء، وأخرج أعداءهم من حيث لم يحتسبوا، وأقرب شاهد واقعي لذلك هو إجلاء بني النضير، وهي عبرة فليُعتبر بها، والسعيد من اعتبر بغيره[٣].

ب- يجوز إتلاف الشجر لضرورة الحرب: لما نزل رسول الله ﷺ بجيشه وحاصر بني النضير تحصنوا منه في الحصون، فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخل والتحريق فيها، فنادوه: يا محمد، قد كنت تنهى عن الفساد وتعيبه على من صنعه، فما بال قطع النخل وتحريقها؟[٤] فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ﴾[٥]، والواضح أن الأصل هو عدم قطع

---

[١] سورة الحشر : الآيتان ٢- ٤.

[٢] الرعب : هو الخوف الذي يرعب الصدر أي يملؤه.

[٣] آل عابد، محمد بكر : حديث القرآن عن غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم١/ ٢٧١.

[٤] تفسير الطبري٢٢/ ٥١٠.

[٥] سورة الحشر : الآية ٥.

الشجر وعدم تخريب البناء؛ لأن الهدف من الحرب ليس إيذاء الرعية، ولكن دفع أذى الراعي الظالم. أما إذا تبين أن قطع الشجر وهدم البناء توجبه ضرورة حربية لا مناص منها كأن يستتر العدو به ويتخذه وسيلة لإيذاء جيش المؤمنين، فإنه لا مناص من قطع الأشجار وهدم البناء كما فعل النبي ﷺ .[1].

ج- حكم الفيء: بيَّن سبحانه وتعالى حكم الأموال التي أخذها المسلمون من بني النضير بعد أن تم إجلاؤهم، فقال تعالى: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2].

وبيَّن سبحانه وتعالى أن الأموال التي عادت إلى المسلمين من بني النضير قد تفضل بها عليهم بدون قتال، فلم يركضوا عليه خيلاً، ولم يُسرعوا إليه ركباً، فحكمه ليس كحكم الغنيمة التي أعطاهم الله أربعة أخماسها، واستبقى خمسها لله وللرسول ولذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، كما حكم الله في غنائم بدر، وإنما حُكم هذا الفيء كله لله وللرسول ولذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، يتصرف الرسول به في هذه الوجوه [3].

إن الحكمة من هذا التوزيع للفيء كي لا يكون تداول المال محصورًا فيما بين طبقة الأغنياء فقط . إن سياسة الشريعة الإسلامية في شؤون المال، قائمة في جملتها على تحقيق هذا المبدأ، وهي تبغي من ورائه إقامة مجتمع عادل تتقارب فيه طبقات الناس وفئاتهم ويقضى فيه على أسباب الثغرات التي قد تظهر فيما بينها، والتي قد تؤثر على سير العدالة وتطبيقها.

---

[1] أبو زهرة، الشيخ محمد : خاتم النبيين ﷺ ٢/٢٦٩.

[2] سورة الحشر : الآية ٦.

[3] طقوش : السيرة النبوية، ص٣٣٩.

د ـ جبن اليهود: يصف الله تعالى اليهود والمنافقين بالجبن، فهم لايقدرون على مقاتلتكم إلا كائنين بالخنادق والدروب، فهم يتسترون وراء تحصيناتهم، وتحسبهم مجتمعين وقلوبهم متفرقة لا ألفة بينها، قال تعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾[1].

ه ـ فضل المهاجرين والمهاجرين: بينت الآيات الكريمة في سورة الحشر فضل المهاجرين على غيرهم، فهم لهم الدرجة الأولى، فقد اشتملت الآيات على أوصافهم الجميلة، وشهد الله لهم بالصدق، قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾[2]،كما أوضحت الآيات فضل الأنصار، وقد وصفهم الله بهذه الصفات، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[3].

---

[1] سورة الحشر: الآية ١٤.

[2] سورة الحشر: الآية ٨.

[3] سورة الحشر: الآية ٩.

المستفاد من استجابة النبيﷺ لطلب رأس النفاق بإجلاء يهود بني قينقاع:

يظهر في هذا الخبر فقه النبي ﷺ السياسي في تعامله مع ابن سلول حيث لبى طلبه، فلعل هذا الموقف يغسل قلبه، ويزيل الغشاوة عنه فتتم هدايته، فقال له: هم لك، ولعل الذين يسيرون وراء زعامة ابن أبي يصلحون بصلاحه فيتماسك الصف، ويلتحم فلا يتأثر من كيد أعداء الإسلام [1].

وهناك بُعد آخر حيث حرص ﷺ أن يتفادى حدوث فتنة في مجتمع المؤمنين، حيث إن بعض الأنصار حديثو عهد بالإسلام، ويخشى أن يؤثر فيهم رأس المنافقين عبد الله بن أبي لسمعته الكبيرة فيهم [2] ، ولذلك سلك ﷺ معه أسلوب المداراة والصبر عليه وعلى إساءته تجنبا للفتنة وإظهارًا لحقيقة الرجل من خلال تصرفاته ومواقفه عند من يجهلها، ومن ثم يفر الناس من حوله ولا يتعاطفون معه، وقد حقق هذا الأسلوب نجاحًا باهرًا، فقد ظهرت حقيقة ابن سلول لجميع الناس حتى أقرب الناس إليه ومنهم ولده عبد الله، فكانوا بعدها إذا تكلم أسكتوه، وتضايقوا من كلامه [3]، بل أرادوا قتله.

---

[1] الغضبان:المنهج الحركي للسيرة النبوية، ص٢٤٧.

[2] الحميدي: التاريخ الإسلامي مواقف وعبر٥/٣٢.

[3] أبو فارس،محمد عبد القادر: الصراع مع اليهود١/١٤٨.

المسلم يقع في الإثم ولكنه يسارع في التوبة:

رأينا كيف أن أبا لبابة عندما استشاره بنو قريظة في مسألة نزولهم على حكم رسول الله ﷺ فأشار إلى حلقه ـ يريد الذبح ـ وأنه سرعان ما أقر بذنبه واعترف به وبادر إلى العقوبة الذاتية التلقائية، دون انتظار التحقيق وتوقيع العقوبة الواجبة، إنها صورة تطبيقية لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [1].

إنها صورة فريدة لتوقيع العقوبة من الإنسان نفسه على نفسه ... ولا يفعل ذلك إلا أهل الإيمان، وما ذلك إلا من آثار الإيمان العميق الراسخ، الذي لا يرضى لصاحبه أن يخالطه إثم أو فسوق. وقد فرح الصحابة وفرح النبي ﷺ نفسه، بتوبة الله على أبي لبابة، وتسابقوا إلى تهنئته حتى كانت أم سلمة زوجة النبي ﷺهي التي بادرت بالتهنئة بعد الإذن فبشرته بقبول الله توبته [2].

وقد أنزل الله تعالى في أبي لبابة قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [3]. ونزل في توبته قوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[4][5].

---

[1] سورة النساء: الآية ١٧.

[2] صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص٢٦١.

[3] سورة الانفال: الآية ٢٧.

[4] سورة التوبة: الآية ١٠٢.

[5] ابن هشام: السيرة النبوية ٢/٥٥٤.

المستفاد من اختلاف الصحابة في فهم كلام رسول الله ﷺ: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة»:

في اختلاف الصحابة في فهم كلام رسول الله ﷺ: «لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» [1]، فبعضهم فهم منه المراد الاستعجال، فصلى العصر لما دخل وقته، وبعضهم أخذ بالظاهر فلم يصل إلا في بني قريظة، ولم يعنف النبي ﷺ أحدًا منهم أو عاتبه، ففي ذلك دلالة هامة على أصل من الأصول الشرعية الكبرى وهو تقرير مبدأ الخلاف في مسائل الفروع، واعتبار كل من المتخالفين معذورًا ومثابًا، كما أن فيه تقريرًا لمبدأ الاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية، وفيه ما يدل على أن استئصال الخلاف في مسائل الفروع التي تنبع من دلالات ظنية أمر لا يمكن أن يتصور أو يتم [2].

إن السعي في محاولة القضاء على الخلاف في مسائل الفروع، معاندة للحكمة الربانية والتدبير الإلهي في تشريعه، عدا أنه ضرب من العبث الباطل، إذ كيف تضمن انتزاع الخلاف في مسألة ما دام دليلها ظنيًّا محتملاً؟ ... ولو أمكن ذلك أن يتم في عصرنا، لكان أولى العصور به عصر رسول الله ﷺ، ولكان أولى الناس بألا يختلفوا هم أصحابه، فما بالهم اختلفوا مع ذلك كما رأيت؟ [3]

وفي الحديث السابق من الفقه أنه لا يعاب على من أخذ بظاهر حديث نبوي أو آية من كتاب الله، كما لا يعاب من استنبط من النص معنى يخصه، وفيه أيضا أن

---

[1] صحيح البخاري: ابواب صلاة الخوف :باب صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء (٣/ ١٥) حديث ٩٤٦.

[2] البوطي : فقه السيرة النبوية ،ص٢٢٦.

[3] المصدر نفسه .

المختلفين في الفروع من المجتهدين لا إثم على المخطئ، فقد قال ﷺ: « إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ »[1].

وحاصل ما وقع أن بعض الصحابة حملوا النهي على حقيقته، ولم يبالوا بخروج الوقت وقت الصلاة توجيهًا لهذا النهي الخاص على النهي العام عن تأخير الصلاة عن وقتها[2].

[1] صحيح البخاري : بَاب أَجْرِ الْحَاكِمِ إِذَا اجْتَهَدَ فَأَصَابَ أَوْ أَخْطَأَ، ١٠٨/٩، حديث (٧٣٥٢).
[2] عبد الكريم زيدان : المستفاد من قصص القرآن ٢/ ٢٨٦.

الفصل السادس

صلح الحديبيــة

تمهيد :

وَقَّعَ الرَسُولُ ﷺ فِي السَّنَة السَّادِسَة لِلهِجْرَة صُلْحاً معَ قُرَيْش، وَقدْ أَرْسَى هَذَا الصُلْح أُسُسْ العِلاقَاتِ السِلْمِيَّةِ بَينَ المُسْلِمينَ وَقُرَيْش وَأَفْسَحَ المَجَال أَمَام القَبَائِل العَرَبِية وَأَبْنَائِها لِلتَحَالُف معَ المُسْلِمينَ أَو الدِخولِ فِي الإسْلامِ دُونَ خَوفٍ مِنْ غَضَب قُرَيْشٍ أَو مُعَارَضَتَها، كَما إِنَّ تَوقيع قُرَيْش لِصُلحِ الْحُدَيْبِيَةِ [1] معَ الرَسُولِ ﷺ كَانَ يَعْنِي اعْتِرَافِها الرَسْمِي بِأَنَّ دَولَةَ المَدِينَةِ تُشَكِلُ كِيَانَاً سِيَاسِيَاً مُسَاوِيَاً لَهَا فِي المَكَانَةِ، وَمِنْ ثُمَّ فَإِنَّ مِنْ حَقِ القَبَائِل العَرَبِيَةِ أَنْ تَتَعامَل مَعَه كَمَا تَتَعامَل مَعَهَا عَلَى قَدَمِ المُسَاوَاة، وَلِلحَدِيْثِ عَنْ هَذَا الصُلحِ ، وَعَنْ أَسْبَابَه وَالأَحْدَاثِ الَّتِي سَبَقَتْ تَوقِيعَهُ فَقدْ قَسمنَا هَذَا الفَصْل إِلَى مَبْحَثِينِ وَكَما يَأْتِي :

المَبْحَثْ الأَوّل : أَحْدَاث صُلْح الْحُدَيْبِيَةِ .

المَبْحَثْ الثَّانِي : المُسْتَفَاد مِنْ أَحْدَاث صُلْح الْحُدَيْبِيَةِ .

---

[1] الحديبية : اسم بئر تقع على بعد اثنين وعشرين كيلو مترًا إلى الشمال الغربي من مكة.

المبحث الأول

أحداث صلح الحديبية

كَانَ العَرَب قَبْلَ الإسْلامِ يُقَدِّسُونَ مَكَّةَ، وَهِيَ لَيْسَتْ مُلْكاً لِقُرَيْشٍ، بَلْ هِيَ تُرَاث أَبِيهِمْ إِسْمَاعِيل، وَلِهَذَا فَلَيْسَ مِنْ حَقّ قُرَيْش أَنْ تَمْنَعْ مَنْ تَشَاء مِنْ زِيَارَتِهَا وَتَسْمَح لِمَنْ تَشْاء، وَبِذَلِكَ يَكُون مِنْ حَقِ الرَسُولِ ﷺ وَالمُسْلِمينَ زِيَارَةِ الكَعْبَة، وَلا يَحُقُّ لِقُرَيْشٍ أَنْ تَمْنَعَهُمْ .

وَضَعَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ هُنَاكَ ثَلاثَة احْتِمالاتٍ قَدْ يُوَاجِه أَحدهَا، وَهِيَ :

الاحتمال الأول : أَنْ تَمْنَعَه قُرَيْش بِالقُوَةِ مِنْ دُخُول مَكَّةَ وَزِيَارَة الكَعْبَة، نَظراً لِمَا بَيْنَهُ وَبَينَها مِنْ عَدَاوَةٍ، لَكِنَّ قُرَيْشَاً أَعْقَل مِنْ أَنْ تُقْدِمَ عَلَى مِثْلِ هَذَا التَصَرُفِ لِسَبَبِينِ :

١ـ لأنَّ هَذَا العَمَلْ سَيُثِيرْ حَفِيظَة العَرَب ضِدَّهَا، وَيُحْدِث شِقَاقَاً بَيْنَهَا وَبَينَ القَبائِلْ المُعَادِيَة لِلإسْلامِ، وَيَصُبُ هَذَا ـ إِنْ حَصَل ـ فِي صَالِحِ القَضِيَّة الإسْلامِيَّة .

٢ـ لَقَدْ أَثْبتتْ الدَولَة الإسْلامِيَة حُضُورِهَا كَطَرفٍ سِيَاسِي في الجزيرة العربية، وأوقعت الرعب في قلوب القبائل، ولا بد لقريش من أن تأخذ ذلك في الحسبان، فلا تجازف بخوض حرب معها .

الاحتمال الثاني : أَنْ تَسْمَح قُرَيْش لِرَسُولِ اللهِ وَأَصْحَابِه بِدُخولِ مَكَّةَ، وَلَكِنَّ هَذَا أَمرٌ تَأبَاه كَرَامَتهَا، بِالإضَافَة إِلَى ذَلِكَ لَنْ يَضْمنْ عَدمْ وُقوعِ حَوَادِث عِنْدَمَا يُشَاهِدْ الرَجُل قَاتِل أَبْيِهِ وَأَخيهِ يَنْعَمُ بِالأَمْنِ وَالاطْمِئْنَانِ فِي بَلَدِهِ، وَلَنْ يَكونَ ذَلِكَ فِي صَالِحِ قُرَيْشٍ ؛ لأَنَّهُ سَيُشيع بَينَ العَربِ أَنَّ قُرَيْشَاً تَقْتُل فِي الحَرَم مَنْ أَتَى لِتَعْظِيمِ الكَعْبَةِ .

الاحتمال الثالث : أَنْ تَعْرِضْ قُرَيْش عَلَى الرَسُولِ ﷺ الرُجُوع مِنْ دُونِ دُخُولِ

مَكَّةَ، وَهُوَ فِي هَذِه الحَال لَنْ يَعُودَ إلاّ بِشُروطٍ يَرْضَاهَا، وَسَتَبذِلْ لَهُ قُرَيْش مَا يُرِيد خَشْيَةً مِنَ الوُقُوعِ فِي أَحَدِ الاحْتِمالَيْنِ السَّابِقَيْنِ .

وَمَهْمَا يَكُنْ مِنْ أَمْرٍ، فَإنَّ أَي الاحْتِمَالاتِ الثَلاثَة وَقع فَهُوَ مِنَ النَاحِيَة السِيَاسِيَّة يَصُبُ فِي مَصْلَحَةِ المُسْلِمِينَ[1] .

خروج الرسول ﷺ لأداء العمرة :

خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْم الِاثْنَيْنِ مِنْ (ذِيْ القَعْدَةِ ٦ه/ آذار ٦٢٨م)[2] مِنَ الْمَدِينَةِ مُتَوَجِهاً مَعَ أَصْحَابِه إِلَى مَكَّةَ لأَدَاءِ العُمْرَةِ[3]، لا يُرِيدُ حَرْباً، وَكَانَ قَدْ رَأى رُؤيَا أَنَّهُ دَخلَ مَكَّةَ مَعَهمْ مُحْرِماً مُؤدِياً للعُمْرَة، وَقدْ سَاقَ مَعهُ الْهَدْيَ[4] سَبْعِينَ بَدَنَةً[5]،مُعَظِّماً لِلبَيتِ الحَرَامِ، مُقَدِساً لَهُ، وَهَكَذا فَقَدْ خَرجَ النَّبِيُّ ﷺ بِأَصْحَابِه مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَبَلغَ عَدَدهُمْ أَلْفاً وأَرْبَعمِائَة رَجُلٍ [6]، حَمَلُوا مَعَهُمْ سِلاحَهُم تَوَقُعاً لِشَرِ

---

[1] قلعه جي، محمد رواس : قراءة سياسية للسيرة النبوية، ص٢١٤.

[2] أجمع أهل العلم على تاريخها بلا خلاف. وقد رواه الزهري وموسى بن عاقبة وقتادة، كما في دلائل النبوة للبيهقي ٣/ ٩١. النووي:المجموع ٧/ ٧٨.

[3] وعَنْ قَتَادَةَ قال: سَأَلْتُ أَنَسًا ﷺ كَمْ اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: أَرْبَعٌ عُمْرَةُ الْحُدَيْبِيَةِ فِي ذِي الْقَعْدَةِ حَيْثُ صَدَّهُ الْمُشْرِكُونَ ... متفق عليه: أخرجه البخاري : ابواب العمرة، باب كم اعتمر النبي – صلى الله عليه وسلم – ٣/٣ ، حديث ١٧٧٨. صحيح مسلم : كتاب الحج، باب بيان عدد عُمَر النبي – صلى الله عليه وسلم – وزمانهن .٢/٩١٦، حديث ١٢٥٣.

[4] الهدي: ما يُهدى من النعم إلى الحرم تقربًا إلى الله عزّ وجلّ، ويكون الهدي من بهيمة الأنعام وهي الإبل والبقر والغنم، وتقليد الهدي: هو أن يعلق في عنقها نعلين، أو يضع عليها شيئًا من صوف ونحوه علامة لها أنها من الهدي، والتقليد عام للبقر والغنم والإبل، أما الإشعار: هو أن يكشط جلد البدنة حتى يسيل الدم، ثم يسلته، ويكون ذلك في الجانب الأيمن لسنمة البعير، والإشعار خاص بالإبل فقط دون البقر والغنم.

[5] صحيح : صحيح مسلم : كتاب الحج ، باب الاشتراك في الهدي ٢/٩٥٥، حديث (١٣١٨) .

[6] ورد ذكر هذا العدد في أحاديث صحيحة بصحيح البخاري، عن نفر من الصحابة رضوان الله عليهم، ممن شهدوا مع النبي – صلى الله عليه وسلم – هذا المشهد، منهم جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – وفي رواية أخرى عن جابر: أنهم كانوا ألفًا وخمسمائة. وعن عبد الله بن أبي أوفى أنهم كانوا ألفًا وثلاث مائة.انظر:

قُرَيْش [1]. وَكَانُوا مُسْتَعدينَ لِلقِتَالِ [2].

صَـلَّى النَّبِيُّ ﷺ وَالمُسْلِمونَ بِـذِي الْحُلَيْفَةِ [3]، وأهلّـوا مَعهُ مُحْرِمـينَ بِالعُمْـرَةِ وَبَعثَ النَّبِيُّ ﷺ بِالصَحابِيِّ بُسْرَ بْنَ سُفْيَانَ الْخُزَاعِيّ عَيْنَاً إِلَى مَكَّةَ لِيَأْتِيهِ بِأَخْبَارِ قُرَيْشٍ وَردودِ فِعْلِهَا [4].

وَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ بَعدَ وُصولِهِ الرَوْحَاء سِريَّةً جَعلَ عَلَيْهَا أَبَا قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيُّ – وَلَمْ يَكُنْ مُحْرِمَاً بِالعُمْرَة– فِي جَمْع مِنَ الصَحَابَةِ إِلَى سَاحِلْ البَحْرِ الأَحْمَرِ بَعدَ أَنْ عَلِمَ بِوجودِ تَجَمُعْ لِلمُشْرِكِينَ فِي «غَيْقَةَ» ، وَخَشْيَةَ أَنْ يُبَاغِتُوا المُسْلِمينَ، فَلَمْ يَلقوا كَيْدَاً وَيَظْهَر أَنَهُمْ أَخَذَوا طَرِيقِ السَّاحِلِ لِتَأمينِهِ، إِذْ لَمْ يَلْتَحِقُوا بِرَكْبِ النَّبِيّ ﷺ إِلّا فِي « السُّقْيَا » [5].

"صحيح البخاري" كتاب: المغازي، باب غزوة الحديبية ١٢٢/٥،حديث(٤١٥٠) .ورجح ابن القيم رحمه الله في "زاد المعاد" ٣/ ٣٧٩، قول من قال أنهم ألف وأربعمائة, لأنه قول الأكثر حيث قال: والقلب إلى ذلك أميل، وهو قول البراء بن عازب، ومعقل بن يسار، وسلمة بن الأكوع في أصح الروايتين، وقول المسيب بن حَزْن. اهـ.

وقال ابن حجر رحمه الله: والجمع بين هذا الاختلاف أنهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة، فمن قال ألفًا وخمسمائة جبر الكسر، ومن قال ألفًا وأربعمائة ألغاه، ويؤيده قوله في الرواية الثالثة من حديث البراء: ألفًا وأربعمائة أو أكثر، اهـ.

[1]صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ١٢٦/٥، حديث٤١٧٩.

[2] مما يدل على أن الصحابة رضوان الله عليهم خرجوا متسلحين ما رواه البخاري (٤١٧٩): أنه لما بلغ النبي – صلى الله عليه وسلم – أن قريشًا جمعوا له المجموع لقتاله استشار الصحابة في قتالهم أو عدم قتالهم، وهذا يدل على أنهم كانوا مستعدين للقتال في أي وقت.

[3]ذو الحليفة هو ميقات أهل المدينة الذي يُحرمون من عنده، وهو الذي يُسمى الآن بـ (أبيار عليّ)، وتبعد عن المدينة أحد عشر كيلو مترًا، وبينها وبين مكة أربعمائة وأربعة وستون كيلو مترًا تقريبًا.

[4] ابن هشام: السيرة ٢/ ٣٠٨.

[5] فتح الباري: ابن حجر٢٧/٤ ، والسقيا موضع يبعد ١٨٠ كيلا من المدينة في الطريق إلى مكة. العمري : السيرة النبوية الصحيحة ٤٣٦/٢.

النبي ﷺ يستشير اصحابه :

حِينَ وَصَلَ الْمُسْلِمونَ عَسفانْ [١]جَاءَهُمْ بُسْرَ بْنَ سُفْيَانَ الْخُزَاعِيّ بِأَخْبَارِ اسْتِعدَادَاتِ قُرَيْشٍ وَتَجْمِيعِهَا الجُموعِ لِصَدِّ الْمُسْلِمينَ عَنْ دُخولِ مَكَّةَ، وَإِرْسَالِهَا طَلائِع مِنَ الفُرْسَانِ إِلَى «كُرَاعَ الْغَمِيمِ» [٢]. وَحِينَ اسْتَشَارَ الرَسُولُ ﷺ أَصْحَابِه فِي الأَمْرِ [٣]، أَشَارَ عَلَيهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيق بِالتَوجُهِ إِلى مَكَّةَ لأَدَاءِ العُمْرَةِ والطَوافِ بِالبَيتِ وَقَالَ: « فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ » [٤]، فَقَـالَ النَّبيُّ ﷺ: « امْضُـوا عَلَى اسْمِ الله »[٥]. وَقدْ صَلّى النَّبِيُّ ﷺ بِأَصْحَابِه فِي عَسَفانِ صَلاةِ الخَوفِ [٦].

النبي ﷺ يغير الطريق وينزل بالحديبية :

لَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنَّ قُرَيْشَاً قَدْ خَرَجَتْ تَعْتَرِضْ طَرِيقَهُ وَتَنْصِب كَمْيناً لَهُ وَلأَصْحَابِه بِقِيَادَة خَالِدِ بن الْوَلِيدِ ، وَهُوَ لَمْ يُقَرِرْ المُصَادَمَة، رَأى رَسُولُ اللهِ ﷺ أن يُغَيِّر طَرِيقِ الجَيْشِ الإِسْلامِيِّ تَفَادِيَاً لِلصِدَامِ مَع المُشْرِكِينَ ثُمَّ سَلكَ بِهِمْ طَرِيقًا وَعْرًا عِبْرَ ثَنِيَّةِ المُرَارِ إِلى الْحُدَيْبِيَةِ مُتَجَنباً الاصْطِدَامِ بِخَيَّالَةِ قُرَيْشٍ [٧].

---

[١] عسفان: منهلة من مناهل الطَّرِيق بَين الْجحْفَة وَمَكَّة، وَقيل: هِيَ بَين المسجدين، وَهِي من مَكَّة على مرحلَتَيْن، وَقيل غير ذَلِك. أنظر: ابن هشام: السيرة ٢/ ٣٠٩.

[٢] كرَاع الغميم: مَوضِع بِنَاحِيَة الْحجاز بَين مَكَّة وَالْمَدينَة، وَهُوَ وَاد أَمَام عسفان بِثَمَانِيَة أَمْيَال. أنظر: ابن هشام: السيرة ٣/ ٣٠٩.

[٣] ابن حجر: فتح الباري٥/ ٣٣٤.

[٤] المصدر نفسه .

[٥] صحيح البخاري : كتاب المغازي ، باب غزوة الحديبية ١٢٦/٥، حديث (٤١٧٨).

[٦] نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم١/ ٣٣٥.

[٧]ابن هشام: السيرة ٢/ ٣١٠.

حابس الفيل :

وَتقدمَ النَّبِيُّ ﷺ بِالمُسْلِمينَ حَتَّى إِذَا اقْتَرَبُوا مِنْ الْحُدَيْبِيَةِ بَرَكَتْ نَاقَتَهُ فَقَالُوا: « خَلَأَتْ الْقَصْوَاءُ [١]» فَقالَ ﷺ :« مَا خَلَأَتْ الْقَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ وَلَكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ »[٢] . ثُمَّ قَالَ: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ الله إِلَّا أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا » [٣] . عَدَلَ الرَسُولُ ﷺ عَنِ الطَرِيقِ المُتَّجِه إِلَى مَكَّةَ، وَسَارَ بِأَصْحَابِه حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَةِ عَلَى بِئْرٍ قَلِيلِ المَاءِ، فَلَمَّا اشْتَكَى المُسْلِمونَ الْعَطَشُ ، انْتَزَعَ ﷺ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ أَمَرَهُم أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ [٤]،قَالَ: فَمَا زَالَ يَجِيشُ لَهُمْ بِالرِّيِّ، حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ [٥]وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ مُعْجِزَاتِه ﷺ .

الوفود النبوية إلى قريش :

عَمِلَ الرَسُولُ ﷺ عَلَى إِبْلاغِ رِسَالَةٍ وَاضِحَةٍ لِزُعَماءِ قُرَيْشٍ تَضَمَنتْ أَنَّهُ لَمْ يَأتِ لِحَربِهِمْ أَو حَربِ غَيرِهِمْ، وَإِنَّمَا جَاءَ بِقَصدِ الاعْتِمارِ وَتَعْظِيمِ البَيتِ العَتِيقِ وَتَكْرِيمِهِ وَزِيارَتِه وَالطَوافِ بِه[٦]. وَقدْ بَيّنَ الرَسُول هَذِه الوَجْهَةِ لِعَدَدٍ مِنَ الرِجَالِ المُحَايدينَ

---

[١] خلأت القصواء: خلأت أي بركت من غير علَّة، والقصواء: اسم ناقة رسول الله ﷺ، وقيل كان طرف أذنها مقطوعًا، والقصو: قطع طرف الأذن، وقيل: إنها كانت لا تُسبق فقيل لها القصواء لأنها بلغت من السبق أقصاه. " فتح الباري لأبن حجر " ٥/ ٣٣٥.

[٢] حبسها حابس الفيل: قال ابن حجر: أي حبسها الله عزّ وجلّ عن دخول مكة كما حبس الفيل عن دخولها، ومناسبة ذكرها أن الصحابة لو دخلوا مكة على تلك الصورة وصدهم قريش عن ذلك لوقع بينهم قتال قد يفضي إلى سفك الدماء ونهب الأموال كما لو قُدر دخول الفيل وأصحابه مكة. اهـ. أي: قيل أبرهه الأشرم الذي كان يريد هدم الكعبة.

[٣] صحيح البخاري : كتاب الشروط، باب الشروط والمصالحة، ٣/١٩٣، حديث٢٧٣١ .

[٤] المصدر نفسه .

[٥] صحيح ابن حبان : كتاب السير١١/٢١٨،حديث(٤٨٧٢).

[٦] مجموعة من المختصين: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ١/٣٣٦.

أَحْيَانَاً، وَبِوَاسِطَةِ رُسُلٍ أَرْسَلَهمْ لِهَذَا الغَرَضِ كَذَلِكَ وَحِينَ وَفِدَ عَلَيهِ بُدَيْلُ بن وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ وَبَيّنَ لَهُ أَنَّ قُرَيْشَاً تَعْتَزِمْ صَدَّ الْمُسْلِمين عَنْ دُخُولِ مَكَّةَ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ وَلَكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ وَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ نَهِكَتْهُم الْحَرْبُ وَأَضَرَّتْ بِهِم فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتُهُمْ [1]مُدَّةً وَيُخَلُّوا بَينِي وَبَيْنَ النَّاسِ فَإِنْ أَظْهَرْ فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا وَإِلَّا فَقَدْ جَمُّوا [2] وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي [3]وَلَيُنْفِذَنَّ اللهُ أَمْرَهُ»[4].

فَقَالَ بُدَيْلٌ: سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ. وَقدْ نَقلَ بُدَيْلُ الْخُزَاعِيُّ ذَلِكَ لِقُرَيْشٍ فَاتَّهَمُوهُ وَخَاطَبُوهُ بِمَا يَكْرَه، وَقَالُوا: « وَإِنْ كَانَ جَاءَ وَلَا يُرِيدُ قِتَالًا، فَوَ اللَّهِ لَا يَدْخُلُهَا عَلَيْنَا عَنْوَةً أَبَدًا، وَلَا تَحَدَّثَ بِذَلِكَ عَنَّا الْعَرَبُ » [5] . فَبَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خِرَاشَ بن أُمَيَّةَ الْخُزَاعِيَّ إِلى مَكَّةَ- وَهُوَ يَقْصِدْ بَيَان مَوقِفَهُ أَمَامَ النَّاسِ جَمِيعَاً- وَحَمَلَهُ عَلَى جَمَلٍ لَهُ يُقَالُ لَهُ: الثَّعْلَبُ، فَلَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ عَقَرَتْ بِهِ قُرَيْشٌ [6]،وَأَرَادُوا قَتْلَ خِرَاشٍ فَمَنَعَهُم الْأَحَابِيشُ[7]،حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَدَعَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه لِيَبْعَثَهُ إِلى مَكَّةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي أَخَافُ قُرَيْشًا عَلَى نَفْسِي، وَلَيْسَ بِهَا مِنْ بني عَدِيٍّ أَحَدٌ يَمْنَعُنِي، وَقَدْ عَرَفَتْ قُرَيْشٌ عَدَاوَتِي إِيَّاهَا وَغِلْظَتِي عَلَيْهَا، وَلَكِنْ أَدُلُّكَ عَلَى رَجُلٍ هُوَ

---

[1] ماددتهم: أي جعلت بيني وبينهم مدة بترك الحرب.

[2] جَمُّوا: أي استراحوا، والمعنى الذي أراده النبي – صلى الله عليه وسلم – أن تترك قريش القتال فإن أرادوا الدخول في الإسلام بعد ذلك دخلوا وإن لم يدخلوا استراحوا فترة من القتال.

[3] حتى تنفرد سالفتي: أراد أنه يقاتل حتى ينفرد وحده في قتالهم، أي: إن لي من القوة بالله والحول به ما يقتضي أن أقاتل عن دينه ولو انفردت. " فتح الباري لأبن حجر " ١٦٦/١ بتصرف.

[4] صحيح البخاري : كتاب الشروط، باب الشروط والمصالحة، ١٩٤/٣، حديث٢٧٣٢.

[5] ابن هشام : السيرة النبوية ٢/ ٣١١.

[6] أي: عقرت الجمل، قتلوه.

[7] الأحابيش: هم بنو الهون بن خزيمة بن مدركة، وبنو الحارث بن عبد مناة ابن كنانة، وبنو المصطلق بن خزاعة، كانوا تحالفوا مع قريش، قيل تحت جبل يقال له: الحبش أسفل مكة، وقيل: سمُّوا بذلك لتحبشهم، أي: تجمعهم، والتحبش: التجمع.

أَعَزُّ مِنِّي [1]عُثْمَانَ بن عَفَّانَ[2].

النبي ﷺ يرسل عثمان بن عفان إلى مكة :

دَعَا رَسُولُ الله ﷺ عُثْمَانَ بن عَفَّانَ ﷺ فَقَالَ: «اذْهَبْ إِلَى قُرَيْشٍ فَخَبِرْهُمْ أَنَّا لَمْ نأتِ لِحَرْبٍ، وَأَنَّمَا جِئْنَا زُوَارًا لِهَذَا الْبَيْتِ، مُعَظِّمِينَ لِحُرْمَتِهِ»[3]. فَخَرَجَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ، وَلَقِيَهُ أَبَانُ بن سَعِيدِ بن الْعَاصِ، فَنَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ، وَحَمَلَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَرَدِفَ خَلْفَهُ، وَأَجَارَهُ حَتَّى بَلَّغَ رِسَالَةَ رَسُولِ الله ﷺ ، فَانْطَلَقَ عُثْمَانُ حَتَّى أَتَى أَبَا سُفْيَانَ وَعُظَمَاءَ قُرَيْشٍ، فَبَلَّغَهُمْ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ ، مَا أَرْسَلَهُ بِهِ، فَقَالُوا لِعُثْمَانَ: إِنْ شِئْتَ أَنْ تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فَطُفْ بِهِ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ حَتَّى يَطُوفَ بِهِ رَسُولُ الله ﷺ ، فَاحْتَبَسَتْهُ قُرَيْشٌ عِنْدَهَا، فَبَلَغَ رَسُولَ الله ﷺ وَالْمُسْلِمِينَ أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ [4].

بيعة الرضوان:

دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَصْحَابَهُ إِلَى البَيْعَةِ تَحْتَ شَجَرَة سَمُرَة ، فَبَايعُوهُ جَمِيعًا عَلَى الْمَوْتِ [5] سِوَى الْجَدّ بْنِ قَيْسٍ وَكَانَ مِنْ الْمُنَافِقِينَ [6]، وَكَانَ أَوّلَ مَنْ بَايَعَ من

---

[1] أعز مني: أي له ناس وقوم يمنعونه من غدر قريش.

[2] إسناده حسن: أخرجه أحمد في مسنده ٣١/٢١٦، حديث(١٨٩١٠).

[3] إلواقدي: المغازي٢/٦٠٠.

[4] إسناده حسن: أخرجه أحمد في مسنده ٣١/٢١٧، حديث(١٨٩١٠)، بإسناد حسن، وأصل الحديث عند البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط والمصالحة، ٣/١٩٣، حديث٢٧٣١.

[5] عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ قُلْتُ لِسَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ بَايَعْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ قَالَ عَلَى الْمَوْتِ. أنظر: صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية ٥/١٢٥، حديث(٤١٦٩).

[6] عن جابر بن عبد الله قال : لم نبايع رسول الله صلى الله عليه و سلم على الموت إنما بايعناه على أن لا نفر.رواه الترمذي في سننه ٤/١٥٠،حديث (١٥٩٤) قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح ،قال الشيخ

الصَّحَابَة أَبُو سِنَانٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ وَهْبٍ الْأَسَدِيُّ [1] وتَابَعَهُ الصَّحَابَة يُبايِعُونَ النَّبِيَّ ﷺ على بَيْعَتِهِ فَأَثْنَى عَلَيْهِم النَّبِيُّ ﷺ وَقَالَ: «أَنْتُمْ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ » [2] وَقَالَ ﷺ أَيْضاً: « لَا يَدْخُلُ النَّارَ، إِنْ شَاءَ اللهُ، مِنْ أَصْحَابِ الشَّجَرَةِ أَحَدٌ، الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَهَا » [3] .

وَلَمَّا كَانَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ قَدْ حُبِسَ فِي مَكَّةَ ، فَقَدْ أَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى يَدِهِ اليُمْنَى وَقَالَ: «هَذِه يَدُ عُثْمَانَ » ، فَضَرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، وَقَالَ: «هَذِهِ لعُثْمَانَ » [4] وَبِذَلِكَ فَقَدْ عَدَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي المُبَايِعين تَحْتَ الشَّجَرَةِ. وَقَبْلَ أَنْ تَتَطَوَرْ الأُمُوُر وَتَتَأَزَمْ، عَادَ عُثْمَانَ إِلَى مُعَسْكَرِ المُسْلِمينَ بَعْدَ بَيْعَةِ الرِضْوَان هَذِه مُبَاشَرَةً. وَقدْ عُرِفَتْ البَيْعَة بِذَلِكَ لأنَّ اللهَ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّهُ رَضِيَ عَنِ المُبَايِعينَ فِيهَا فقال جَلَّ جَلالُهُ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ ما فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً* وَمَغانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَها وَكانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ [5].

رسل قريش إلى النبي محمد ﷺ :

أَرْسَلَتْ قُرَيْش عَدَداً مِنَ المَبْعوثينَ لِلتَفَاوضِ معَ الرَسُولِ ﷺبَعدَ سفَارةِ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ ، فَقَدْ أَرْسَلوا عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيُّ ، وَقَبلَ أَنْ يُبَاشِر عُرْوَةُ مَا عَهِدَتْ بِه إليهِ قُرَيْش، وَرَغْبَةً مِنهُ فِي مَنعِ تِكْرَارِ مَا حَصَلَ معَ بُدَيْلُ قَبلَهُ مِنْ تَعْنيفِ وَسُوءِ المَقالَةِ، أَوضَحَ لَهُمْ مَوقِفَهُ مِنْهُمْ وَأَقَرُّوا لَهُ بِأَنَّهُ غَير مُتَهَم لَدَيهِمْ، ثُمَّ أَوضَحَ لَهُمْ أَنَّ مَا

الألباني : صحيح.

[1] ابن حجر- الإصابة ط/ ٩٥- ٩٦ من حديث الشعبي، وقال: وأخرجه ابن منده من طريق عاصم عن ذر بن حبيش، وصححها.

[2] ابن حجر: فتح الباري ٧/٤٤٣.

[3] صحيح: صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة ٤/ ١٩٤٢ حديث(٢٤٩٦) .

[4] صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة ، باب مناقب عثمان بن عفان٥/ ١٥، حديث(٣٦٩٨) .

[5] سورة الفتح: الآيتان ١٨- ١٩.

عَرَضَهُ عَلَيهِمْ مُحَمَّد ﷺهُوَ أَمر رَشَد دَعَاهُمْ إِلَى قُبولِهِ، فَوَافَقوا عَلَى رَأيَهُ، وَعِندَمَا وَصلَ عُرْوَة إِلَى الرَسُولِ ﷺ ، قَالَ لَهُ مثل مَا قَالَ لبُدَيْلُ فَأَجَابَهُ عُرْوَةُ : « أَيْ مُحَمَّدُ ، أَرَأَيْتَ إِنْ اسْتَأصَلْتَ قَوْمَكَ؟ هَلْ سَمِعْتَ بِأَحَدٍ مِنْ الْعَرَبِ اجْتَاحَ أَهْلَهُ قَبْلَكَ؟[1].. وَلاحَظَ عُرْوَةُ مَبْلَغ تَعْظِيمِ المُسلمِينَ لِلرَسُولِ ﷺ وَحُبِهمْ لَهُ وَتَفانيهمْ فِي طَاعَتِهِ، فَلمَا رَجعَ إِلَى مَكَّةَ، قَالَ لِقُرَيْشٍ: «أَيْ قَوْمِ وَاللهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا، وَاللهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ» [2].

وَبَعثَتْ قُرَيْش بَعْدَ ذَلِكَ سَيِّدُ الْأَحَابِيشِ ، الْحُلَيْسَ بْنَ عَلْقَمَةَ الكِنَانيّ ، فَلَمّا اقْتَرَبَ مِنْ مُعَسْكَر المُسْلِمينَ وَرَآهُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: « إِنَّ هَذَا مِنْ قَوْمٍ يَتَأَلَّهُونَ، فَابْعَثُوا الْهَدْيَ فِي وَجْهِهِ حَتَّى يَرَاهُ » [3]، كَمَا أَمرَ المُسْلِمينَ أَنْ يُلَبُّوا، فَلَمَّا رَأى الْحُلَيْسَ الهَدْي فِي قَلائِدِه، وَسَمعَ تَلبِيَة المُسْلِمينَ عَادَ أَدْرَاجِه قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ ، وَذَلِكَ إِعْظَامَاً لِمَا رَأى، وَقَالَ لِقُرَيْشٍ: « رَأَيْتُ الْبُدْنَ قَدْ قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ وَمَا أَرَى أَنْ يُصَدُّوا عَنِ الْبَيْتِ » [4]، فَكَانَ جَوَابَهُمْ عَلَيهِ أَنْ طَلَبُوا مِنهُ السُكوتَ وَاتَهَموهُ بِالجَهْلِ[5]، وَقدْ أَنْكَرَ الْحُلَيْسَ عَلَيهِمْ مَوقِفِهِمْ وَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ وَاللَّهِ مَا عَلَى هَذَا حَالَفْنَاكُم وَلَا عَلَى هَذَا عَاهَدْنَاكُم، أَيُصَدُّ عَنْ بَيْتِ اللَّهِ مَنْ جَاءَهُ مُعَظِّمًا لَهُ؟ وَالَّذِي نَفْسُ الْحُلَيْسِ بِيَدِهِ لَتُخَلُّنَّ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَبَيْنَ مَا جَاءَ لَهُ أَوْ لَأَنْفِرَنَّ بِالْأَحَابِيشِ

---

[1] صحيح البخاري: كتاب الشروط، باب الشروط والمصالحة، ٣/١٩٤، حديث٢٧٣٢.

[2] إسناده صحيح على شرط الشيخين: أخرجه أحمد في مسنده: ٣١/٢٤٧ ، حديث(١٨٩٢٨).

[3] السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة ٢/٣٢٨.

[4] صحيح البخاري: كتاب الشروط، باب الشروط والمصالحة، ٣/١٩٥، حديث٢٧٣٢.

[5] مجموعة من المختصين: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ١/٣٣٨.

نَفْرَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ» ، فَقَالوا لَهُ: « مَهْ كُفَّ عَنَّا حَتَّى نَأْخُذَ لِأَنْفُسِنَا مَا نَرْضَى بِهِ » [١].

لَقَدْ أَخَذتْ جَبْهَة قُرَيْش تَتَدَاعَى أَمَام قُوَة الحَقِّ الصَامِدَة، وَكَذَلِك فَقَدْ انْهَارَتْ حُجَة قُرَيْش فِي جَمْعِهَا لِلعَرَبِ ضِدَّ النَّبِيّ ﷺ[٢].

لَقَدْ نَجحَ النَّبِيُّ ﷺ بِحِكْمَتِهِ وَذَكَائِه نَجَاحاً عَظِيماً، بِاسْتِخْدام الأَسَاليبَ الإِعْلامِيَّة وَالدُبْلومَاسِيَّة المُتَعَدِدَة لِلحُصُولِ عَلَى الغَايَةِ المَنْشودَةِ، وَهِيَ تَفْتِيتْ جَبْهَةِ قُرَيْشٍ الدَاخِلِيَّه، وَإِيْقَاعِ الهَزِيمَة فِي نُفُوسِهِمْ، وَإِبْعَادِ حُلَفَائِهِمْ عَنْهُمْ وَإِنَّ هَذِهِ النَتِيجَة لَتُعَدُ بِحَقٍ نَصَرَاً سَاحِقَاً حَقَقَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الجَبَهَاتِ السِيَاسِيَة وَالإِعْلامِيَّة وَالعَسْكَرِيَّة[٣].

توجه قريش إلى الصلح :

رَأَتْ قُرَيْش أَنَّ الصُّلْح معَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْفَعْ لَهَا، عَلَى أَنْ يَرْجِع النَّبِيّ ﷺ والمُسْلِمونَ وَلا يَدْخُلوا مَكَّة لِلعُمْرَة، لأَنَّ عَاقِبَةَ الدُخولِ فِي حَرْبٍ معَ النَّبِيِّ مَجْهولَةً، فَقَدْ لا يَتَحقق النَصر لَهُمْ، لا سِيمَا وَقَدْ تَأَكَدَ لَدَيْهِمْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَا جَاءَ لِقِتَالِهِمْ، فَدَعَوا سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو وَقَالوا لَهُ : ائْتِ مُحَمَّدًا فَصَالِحْهُ ، وَلاَ يَكُونُ فِي صُلْحِهِ إِلاَّ أَنْ يَرْجِعَ عَنَّا عَامَهُ هَذَا ، فَوَاللَّهِ لاَ تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّهُ دَخَلَهَا عَلَيْنَا عَنْوَةً أَبَدًا[٤].

---

[١] ابن كثير: السيرة النبوية ٣/٣١٦.

[٢] الصلابي : السيرة النبوية ٢/ ٨١٧.

[٣] حجازي، سليم : منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية، دار المنارة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ص١٤٥.

[٤] إسناده حسن: أخرجه أحمد في مسنده ٣١/٢١٧، حديث(١٨٩٣٠) .

إبرام معاهدة الصلح :

تَفَاءَلَ النَّبِيُّ ﷺ بِقُدومِ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو قَائِلاً لأصْحَابِهِ: « لَقَدْ سَهُلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ »[1]، وَقَالَ ﷺ « قَدْ أَرَادَ الْقَوْمُ الصُّلْحَ حِينَ بَعَثُوا هَذَا الرَّجُلَ »[2].

وَبَدَأَ الرَسُولُ ﷺ يُمْلِي شُروط الصُلْح، وعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو كَاتِبَ الصَّحِيفَةَ، وَأَرادَ النَّبِيُّ ﷺ إِعْطاءِ عَقدْ الصُلْح صِبْغَةً إِسْلامِيَّةً فَقَالَ النَّبِيُّ: "بِسْم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، فاعترض سُهَيلٌ قائلا: « أَمَّا الرَّحْمَنُ فَوَ اللهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ وَلَكِنْ اكْتُبْ: بِاسْمِكَ اللَّهمَّ كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ » ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: وَاللهِ لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهمَّ ، ثم اعترض سُهَيل على عبارة « مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله » الَّتِي وَردَتْ فِي صَدرِ الصَّحِيفَةَ قَائِلاً: « وَاللهِ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ الله مَا صَدَدْنَاكَ عَنْ الْبَيْتِ، وَلَا قَاتَلْنَاكَ، وَلَكِنْ اكْتُبْ مُحَمَّدُ بن عبد الله » فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : "وَاللهِ إِنِّي لَرَسُولُ الله وَإِنْ كَذَّبْتُمُونِي اكْتُبْ مُحَمَّدُ بن عبد الله"[3] وَحِينَ أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُثَبِّت فِي صَحْيفة الصُّلْح عِبَارَة « عَلَى أَنْ تُخَلُّوا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْبَيتِ فَنَطُوفَ بِهِ» إِعْتَرَضَ سُهَيل قَائِلاً: « وَاللهِ لَا تَتَحَدَّثُ الْعَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا ضُغْطَةً ، وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ عَامُ قَابِلٍ، خَرَجْنَا عَنْكَ، فَتَدْخُلُهَا بِأَصْحَابِكَ، وَأَقَمْتَ فِيهِمْ ثَلَاثًا مَعَكَ سِلَاحُ الرَّاكِبِ لَا تَدْخُلْهَا بِغَيْرِ السُّيُوفِ فِي الْقُرُبِ»[4] ، فَوَافَقَ النَّبِيُّ ﷺعَلَى ذَلِكَ ، ثَمَّ قَالَ سُهَيْلِ: « وَعَلَى أَنْ لاَ يَأْتِيَكَ مِنَّا رَجُلٌ ، وَإِنْ كَانَ عَلَى

---

[1] صحيح البخاري: كتاب الشروط، باب الشروط والمصالحة، ٣/١٩٥، حديث٢٧٣٢.

[2] ابن هشام: السيرة ٢/ ٣١٦.

[3] وفي رواية: أن النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم – أَمَرَ عَلِيًّا أَنْ يَمْحَاهَا، فَقَالَ عَلِيٌّ: لَا وَاللهِ لَا أَمْحَاهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم –: "أَرِنِي مَكَانَهَا"، فَأَرَاهُ مَكَانَهَا فَمَحَاهَا، وَكَتَبَ: ابْنُ عبد الله.
أخرجه البخاري: كتاب الصلح ، بَابٌ: كَيْفَ يُكْتَبُ هَذَا: مَا صَالَحَ فُلاَنُ بْنُ فُلاَنٍ، ٣/١٨٤، حديث٢٦٩٩.
صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب الحديبية.٣/١٤٠٩،حديث (١٧٨٣).

[4] اسناده حسن :رواه الامام أحمد في مسنده ٣١/٢١٨، حديث (١٨٩١٠).

دِينِكَ ، إِلاَّ رَدَدْتَهُ إِلَيْنَا» فَقَالَ الْمُسْلِمونَ: سُبْحَانَ الله كَيْفَ يُرَدُّ إلى الْمُشْرِكِينَ، وَقَدْ جَاءَ مُسْلِمًا؟ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ دَخَلَ أبو جَنْدَلِ بن سُهَيْلِ بن عَمْرٍو يَرْسُفُ [1] فِي قُيُودِهِ، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ حَتَّى رَمَى بنفْسِهِ بَيْنَ أَظْهُرِ الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ لسُهَيْلٌ: هَذَا يَا مُحَمَّدُ أَوَّلُ مَا أُقَاضِيكَ عَلَيْهِ أَنْ تَرُدَّهُ إِلَيَّ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ :"إِنَّا لَمْ نَقْضِ الْكِتَابَ بَعْدُ ، فقال سُهَيل: « وَاللهِ إِذًا لَمْ أُصَالِحْكَ عَلَى شَيءٍ أَبَدًا » [2]، وَقَدْ حَاوَلَ النَّبِيُّ ﷺ اسْتِثْنَاءِ أَبَا جَنْدَلِ مِنَ الشَرْطِ غيرَ أَنَّ سُهَيْلاً أَصَرَّ عَلَى مَوقِفِه رُغْمَ مُوَافَقَةِ مِكْرَزٌ بْنِ حَفْصٍ عَلَى طَلَبِ النَّبِيُّ ﷺ، فَلَمْ يَجِدْ النَّبِيُّ ﷺ إِزَاء إِصْرَارِ سُهَيْلِ بُدًّا مِنْ إِعَادَتِهِ إِلَيهِ [3] .

وَقَدْ تَمَّ الاتِفَاقِ فِي الصُلْحِ بَعْدَ ذَلِكَ« عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ عَشْرَ سِنِينَ يَأْمَنُ فِيهِنَّ النَّاسُ وَعَلَى أَنَّ بَيْنَنَا عَيْبَةً مَكْفُوفَةً[4]وَأَنَّهُ لاَ إِسْلاَلَ وَلاَ إِغْلاَلَ[5][6]،أَنَّهُ مَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ وَمَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ[7] ،وَأَنَّك تَرْجِعُ عَنّا عَامَك هَذَا، فَلَا تَدْخُلُ عَلَيْنَا مَكّةَ، وَأَنَّهُ إذَا كَانَ عَامُ قَابِلٍ، قَابِلٍ، خَرَجْنَا عَنْك فَدَخَلْتهَا بِأَصْحَابِك، فَأَقَمْتَ بِهَا ثَلَاثًا، مَعَك سِلَاحُ الرّاكِبِ، السّيُوفُ فِي الْقُرُبِ[8].

---

[1] يرسف: أي يمشي مشيًا بطيئًا بسبب القيد.

[2] صحيح البخاري : كتاب الشروط، باب الشروط والمصالحة، ٣/١٩٣، حديث٢٧٣٢.

[3] مجموعة من المختصين: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ١/٣٣٩.

[4] العيبة هنا مثل: والمعنى أن بيننا صدورًا سليمة في المحافظة على العهد الذي عقدناه بيننا, وقد يشبه صدر الإنسان الذي هو مستودع سره .

[5] لا أسلال ولا أغلال: تعني الأسلال من السلة وهي السرقة، والأغلال أي الخيانة والمعنى العام: أن بعضنا يأمن بعضًا في نفسه وماله فلا يتعرض لدمه ولا لماله.

[6] رواه ابو داؤد في سننه ٣/٤١،حديث (٢٧٦٨).وقال الالباني حديث حسن.

[7] رواه البيهقي في سننه الكبرى ٩/٢٣٣،حديث (١٩٣٣١).

[8] أغمادها.

نص معاهدة الصلح :

تَمَّ عَقدْ هَذِه المُعَاهَدَةِ وَكَانَتْ صِيَاغَتها مِنْ عِدَّة بُنودٍ جَاءَتْ عَلَى الشَكْلِ التَالِي:

١- بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ.

٢- هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو .

٣- وَاصْطَلَحَا عَلَى وَضْعِ الْحَرْبِ على النَّاسِ عَشْرَ سِنِينَ ، يَأْمَنُ فِيهِنَّ النَّاسُ وَيَكُفُّ بَعْضُهُمْ عَنْ بَعْضٍ.

٤- وَعَلَى أَنَّهُ مَنْ قَدِمَ مَكَّةَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ حَاجًّا ، أَوْ مُعْتَمِرًا ، أَوْ يَبْتَغِي مِنْ فَضْلِ اللهِ ، فَهُوَ آمِنٌ عَلَى دَمِهِ وَمَالِهِ ، وَمَنْ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ قُرَيْشٍ مُجْتَازًا إِلَى مِصْرَ وَإِلَى الشَّامِ ، يَبْتَغِي مِنْ فَضْلِ اللهِ ، فَهُوَ آمِنٌ عَلَى دَمِهِ وَمَالِهِ.

٥- عَلَى أَنَّهُ مَنْ أَتَى مُحَمَّدًا مِنْ قُرَيْشٍ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهِ رَدَّهُ عَلَيْهِمْ، وَمَنْ جَاءَ قُرَيْشًا مِمَّنْ مَعَ مُحَمَّدٍ لَمْ يَرُدُّوهُ عَلَيْهِ.

٦- وَإِنَّ بَيْنَنَا عَيْبَةً مَكْفُوفَةً، وَأَنَّهُ لَا إِسْلَالَ وَلَا إِغْلَالَ .

٧- وَأَنَّهُ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ فِيهِ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ فِيهِ.

٨- وَأَنَّك تَرْجِعُ عَنَّا عَامَك هَذَا، فَلَا تَدْخُلُ عَلَيْنَا مَكَّةَ، وَأَنَّهُ إِذَا كَانَ عَامُ قَابِلٍ، خَرَجْنَا عَنْك فَدَخَلْتهَا بِأَصْحَابِك، فَأَقَمْتَ بِهَا ثَلَاثًا، مَعَك سِلَاحُ الرَّاكِبِ، السُّيُوفُ فِي الْقُرُبِ، لَا تدخلها بغيرها.

٩- أَشْهَد عَلَى الصُّلْحِ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَرِجَال مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

فَمِنَ الْمُسْلِمِينَ: أَبُو بَكْرٍ الصّدّيق ، وعُمَرَ بْنَ الْخَطّابِ ، وعَبْدِ الرّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، و عَبْدُ اللهِ بْنُ سُهَيْلِ بْنَ عَمْرٍو ، وسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقّاصٍ ، ومُحَمَّدُ بْنُ سَلَمَةَ ، وعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَاتَبِ الْمُعَاهَدَةِ رَضِيَ الله عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وَمِنَ الْمُشْرِكِينَ: مِكْرَزَ بْنَ حَفْصٍ ، وسُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو [1] .

كيف تلقى المسلمون معاهدة الصلح :

لَقَدْ تَذَمَّرَ كَثِير مِنَ الصَحَابَةِ مِنْ أَغْلَبْ شُّرُوطِ هَذَا الصُّلْح، وَخُصُوصَاً مِنَ التَعْدِيلاتِ الَّتِي أَحْدَثَهَا سُهَيْلِ بن عَمْرٍو فِيهَا وَأَصَرَّ عَلَيْهَا، فَقَدْ امْتَنَعَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَنْ مَحُو عِبَارَةِ «رَسُولِ اللهِ» الَّتِي كَانَتْ قَدْ وَرَدتْ فِي دِيبَاجَةِ العَقدِ فِي بَادِئ الأَمْرِ [2]، وَغَضِبَ الْمُسْلِمونَ لِشَرطِ رَدِّ الْمُسْلِمينَ لإِخْوَانِهِمْ الَّذِينَ يَفرونَ مِنَ مَكَّةَ إِلَى الْمُعَسْكَرِ الإِسْلامِيِّ بِغَيرِ إِذْنِ أَولِيَائِهِمْ، وَسَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ: «يَا رَسُولِ اللهِ تَكْتُب هَذَا؟ فقال ﷺ:« نَعَمْ إِنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهِمْ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ سَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ فَرَجًا وَمَخْرَجًا »[3].

---

[1] الديك، محمد :المعاهدات في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، دار الفرقان للنشر والتوزيع, الطبعة الثانية، ١٩٩٧م، ص٢٧١.

[2] في رواية: أن النَّبِيَّ – صلى الله عليه وسلم – أَمَرَ عَلِيًّا أَنْ يَمْحَاهَا، فَقَالَ عَلِيٌّ: لَا وَاللهِ لَا أَمْحَاهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله – صلى الله عليه وسلم –: "أَرِنِي مَكَانَهَا"، فَأَرَاهُ مَكَانَهَا فَمَحَاهَا، وَكَتَبَ: ابْنُ عبد الله،لا يستدل من ذلك على معرفته صلّى الله عليه وسلّم القراءة والكتابة فإن معرفة رسم هاتين الكلمتين ومحوه لهما أو معرفته رسم اسمه صلّى الله عليه وسلّم مما يتكرر كتابته أمامه كثيرا من قبل كتابه، لا يخرجه عن كونه أميّا كما وصفه القرآن الكريم، وذهب الجمهور إلى أن المقصود من قوله «كتب» بمعنى أمر بالكتابة انظر: ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٥٠٤ (حديث ٤٢٥١) .

[3] صحيح : صحيح مسلم- باب صلح الحديبية ، ٣/ ١٤١١، حديث(١٧٨٤) .

وَلَقَدْ ظَهرَ الغَضَبُ الشَديدُ عَلَى عُمَرَ بْنَ الْخَطّابِ بِسَببِ مَا تَضَمنتَهُ شُروطِ الصُّلْحِ الَّتِي تُصَور أَنَّهَا مُهينَة وَأَنَها لا تَعْكِس مَوقِفَاً صَلْبَاً فِي الدِفَاعِ عَنِ الحَقِّ، وَلِنَستَمِعْ مِنْ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُ إلى رَدَةِ فِعْلِه حِينَذَاك، قَالَ: «فَأَتَيْتُ نَبِيَّ الله ﷺ ، فَقُلْتُ: أَلَسْتَ نَبِيَّ الله حَقًّا؟ قَالَ: "بَلَى"، قُلْتُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُوُّنَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: "بَلَى"، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدَّنِيَّةَ فِي دِيننَا إِذًا؟ قَالَ: "إِنِّي رَسُولُ الله وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي"، قُلْتُ: أَوَ لَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: "بَلَى فَأخبرْتُكَ أَنَّا نَأْتِيهِ الْعَامَ"، قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: "فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَّوِّفٌ بِهِ» [1]. وَلَمَا أَعَادَ عُمَرَ رَضِيَ الله عَنْهُ الكَلام معَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ الله عَنْهُ بِمِثلِ مَا كَلَمَ النَّبِيّ ﷺ، قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: «يَا عُمَر: إِنَّهُ لَرَسُولُ اللهِ ﷺ وَلَيسَ يَعْصِي رَبَّهُ وَهُوَ نَاصِرُهُ، فَاسْتَمْسِكْ بِغَرْزِهِ، فَوَ اللهِ إِنَّهُ عَلَى الْحَقِّ» [2].وَلَمْ يَكُنْ المُسْلِمونَ يَشُكّونَ فِي أَنَّهمْ سَيَدخُلونَ مَكَّةَ وَيَطوفونَ بِالبَيتِ العَتيقِ كَمَا سَبَقَ وَأَعْلَمَهمْ النَّبِيُ ﷺ، فَلَمَا جَرَى صُّلْح الْحُدَيْبِيَةِ عَلَى الشُّرُوطِ الَّتِي تَضَمَنَها، فَإِنَّهُمْ تَألَمُوا وَسَاوَرتْ بَعْضَهمْ الشُكُوك «حَتَّى كَادُوا أَنْ يَهْلَكُوا» وَخُصوصَاً حِينَ أُعيدَ أَخُوهُمْ أَبُو جَنْدَلٍ وَهوَ يَسْتَنجِد بِهِمْ قَائِلاً: يَا مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ ، أَتَرُدُّونَنِي إِلَى أَهْلِ الشِّرْكِ ، فَيَفْتِنُونِي فِي دِينِي» وَالرَسُولُ ﷺ يَقُولُ: « يَا أَبَا جَنْدَلٍ اصْبِرْ وَاحْتَسِبْ ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَاعِلٌ لَكَ وَلِمَنْ مَعَكَ

---

[1] السيوطي: الخصائص الكبرى ١/ ٤٠١.

[2] صحيح البخاري : كتاب الشروط، باب الشروط والمصالحة، ١٩٦/٣، حديث٢٧٣١٢.وفيه أن عمر- رضي الله عنه- تكلم أولا مع أبي بكر- رضي الله عنه- ثم أعاد الكلام مع النبي صلّى الله عليه وسلّم، وفيه قوله: يا عمر الزم غرزه (أي تمسك بأمره) حيث كان فإني أشهد أنه رسول الله قال عمر: وأنا أشهد» ... كما نقل قول عمر- رضي الله عنه-: «ما زلت أصوم وأتصدق وأعتق من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ حتى رجوت أن يكون خيرا، ويرى ابن حجر أن «جميع ما صدر منه كان معذورا فيه بل هو مأجور لأنه مجتهد» فتح الباري ٥/ ٣٤٧.

مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ فَرَجًا وَمَخْرَجًا »[1].

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَمْشِي بِجانِب أَبِي جَنْدَلٍ يُغْرِيهِ بِأَبِيهِ وَيُقَرِب إليهِ سَيْفِه وَلَكِنَّ أَبَا جَنْدَلٍ لَمْ يَفْعَل، فَأُعِيدَ إِلَى الْمُشْرِكِينَ[2].وَلَمْ تَكُفْ قُرَيْش عَنِ التَحَرُشْ بِالْمُسْلِمِينَ خِلالِ مَرْحَلَةِ الْمُفَاوَضَاتِ وَكِتَابَةِ وَثِيْقَةِ الصُلْحِ بَلْ حَتَّى بَعدَ إِنْجَازِ ذَلكَ؛ وَرُبَمَّا كَانَ ذَلِكَ مِنْ أَسَالِيبِ الضَغْطِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ خِلالِ مَرْحَلَةِ الْمُفَاوَضَاتِ، وَقَدْ تكون التَحَرُشَاتِ الْمُتَأخِرَةِ بِسَبَبِ طَيْشِ شَبَابِهَا وتَهَوُرِهِمْ، غَير أَنَّ الْمُلاحَظْ هُوَ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَدْ احْتَمَلوا تِلْكَ التَحَرُشَاتِ بِصَبْرٍ وَجَلَدٍ، وَانْضِبَاطٍ دَقِيقٍ، مَع يَقَظَةٍ تَامَةٍ وَاسْتِعْدَاد. فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ الْمُزَنِيِّ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا ثَلاَثُونَ شَابًّا عَلَيْهِمُ السِّلاَحُ فَثَارُوا فِي وُجُوهِنَا فَدَعَا عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ فَأَخَذَ اللَّهُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُمْنَا إِلَيْهِمْ فَأَخَذْنَاهُمْ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :« هَلْ جِئْتُمْ فِي عَهْدِ أَحَدٍ أَوْ هَلْ جَعَلَ لَكُمْ أَحَدٌ أَمَانًا ». قَالُوا : اللَّهُمَّ لاَ فَخَلَّى سَبِيلَهُمْ[3] فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾[4].

تباطؤ المسلمين في الحلق والنحر ثم إسراعهم إليه:

وَحِينَمَا تَمَّ الصُّلْح وَأُبْرِمَ العَقْد، أَمرَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْ مَعهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَنْحَرُوا الْهَدْيَ و يَحْلِقُوا رُءُوسَهُمْ، وَكَرَرَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَاتٍ فَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِالاسْتِجَابَة لأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَذَلِكَ مَا يَعْكِسْ الحَالَةَ النَفْسِيَة الانْفِعَالِيَة الَّتِي قَاسَى مِنْهَا الْمُسْلِمُونَ

---

[1] اسناده حسن : رواه الامام أحمد في مسنده ٣١/٢١٨، حديث (١٨٩١٠).

[2] مجموعة من المختصين: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ١/٣٤٠.

[3] رواه الحاكم في مستدركه ٢/٥٠٠، حديث (٣٧١٦) .وقال :هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ.

[4] سورة الفتح: الآية٢٤.

حِينَذَاكَ بِسَبَبِ اسْتِفْزَازَاتِ قُرَيْشٍ المُتَكَرِرَة إِضَافَةً إِلَى تَصَورِهِمْ الخَاطِئ فِي أَنَّ شُروطَ الصُّلْح قَدْ تَضَمنَتْ إِجْحَافاً بِهِمْ، وَكَأَنَهُمْ كَانُوا يَأمَلونَّ الرُجوعَ عَنِ الصُّلْحِ.

قَامَ النَّبِيُّ ﷺبِمَشورَةِ مِنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِذَبْحِ الهَدْيَ وَحَلَقَ رَأسَهُ[1]، فَتَابَعَهُ المُسْلِمونَ عِنْدَ ذَلِكَ، « فَنَحَرُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا حَتَّى كَادَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا غَمًّا» [2] فَدَعَا لَهُمْ النَّبِيَّ ﷺ وَبِذَلِكَ تَحَلَلَ النَّبِيُّ ﷺوَمَنْ مَعهُ مِنَ المُسْلِمينَ مِنْ عُمْرَتِهِمْ، وَشَرعَ التَحَلُلَ لِلمُحْصِرَ وَأَنَّهُ لا يُلْزِمُهُ القَضَاء، ثُمَّ شَعَر النَّاسُ فِي التهيُّؤِ لِلعَودَةِ إِلَى المَدينَةِ، وَبَعدَ أَنْ أَقَامَ المُسْلِمونَ فِي الْحُدَيْبِيَةِ عشْرين يَوْمًا[3].

وَفِي طَرِيقِ عَوْدَةِ المُسْلِمينَ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ تَكَرَرتْ مُعْجِزَةِ النَّبِيّ ﷺ فِي تَكْثِيرِ الطَعَامِ وَالمَاءِ [4]، وَأُنْزِلَتْ سُورَة الفَتْح، وَكَانَ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ وَاقِفًا عِنْدَ كُرَاعِ الْغَمِيمِ فَاجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ ﴿إِنَّا فَتَحْنا لَكَ فَتْحاً مُبِيناً﴾ [5].فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَتْحٌ هُوَ؟ فَقَالَ :« إِىْ وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ إِنَّهُ لَفَتْحٌ »[6]. وَأَورَدَ

---

[1] عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مُعْتَمِرًا فَحَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ فَنَحَرَ هَدْيَهُ وَحَلَقَ رَأْسَهُ بِالْحُدَيْبِيَةِ وَقَاضَاهُمْ عَلَى أَنْ يَعْتَمِرَ الْعَامَ الْمُقْبِلَ وَلَا يَحْمِلَ سِلَاحًا عَلَيْهِمْ إِلَّا سُيُوفًا. انظر: صحيح البخاري: كتاب المغازي، باب عمرة القضاء ٣/ ١٨٥، حديث(٢٧٠١).

[2] البيهقي : السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي ٥/ ٢١٥، حديث (١٠٣٦٨).

[3] وقيل سبعة عشر يوما. ابن سعد: الطبقات الكبرى٢/ ٩٨.

[4] عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا ثُمَّ أَقْبَلَ النَّاسُ نَحْوَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَكُمْ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ لَيْسَ عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ بِهِ وَلَا نَشْرَبُ إِلَّا مَا فِي رَكْوَتِكَ قَالَ فَوَضَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فِي الرَّكْوَةِ فَجَعَلَ الْمَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ قَالَ فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا فَقُلْتُ لِجَابِرٍ كَمْ كُنْتُمْ يَوْمَئِذٍ قَالَ لَوْ كُنَّا مِائَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِائَةً. انظر: صحيح البخاري: كتاب المغازي ، بَاب غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَةِ ٥/ ١٢٢، حديث(٤١٥٢).

[5] سورة الفتح: الآية ١.

[6] رواه الحاكم في مستدركه ٢/ ٤٩٨، حديث (٣٧١١) .وقال :هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ

البُخَارِي بِرِوَايَةٍ صَحِيحَةٍ [1]قَالَ أَصْحَابُهُ هَنِيئًا مَرِيئًا فَمَا لَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِناتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَكانَ ذلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزاً عَظِيماً﴾[2]، فَانْقَلَبَتْ كَآبَةُ الْمُسْلِمِينَ وَحُزْنِهِمْ إلى فَرَحٍ وَحُبورٍ، وَأَدْرَكُوا أَنَّهُمْ لا يُمْكِنُهُمْ أَنْ يُحِيطُوا بِالأَسْبَابِ وَالنَّتَائِجِ، وَأَنَّ الخَيرَ كُلهُ هُوَ فِي التَسْلِيمِ لأَمْرِ اللهِ وَرَسولِهِ.

ردّ أبو بصير إلى قريش:

مَا أَنْ عَادَ الرَسُولُ ﷺ وَالمُسْلِمونَ إِلى الْمَدِينَةِ، حَتَّى جَاءَهُ أَبُو بَصِيرٍ مُسْلِماً فَارّاً مِنْ قُرَيْشٍ. وَقدْ أَرْسَلَتْ قُرَيْشٌ اثْنَيْنِ مِنْ رِجَالِهَا مُطَالِبَةً النَّبِيَّ ﷺ بِتَنْفِيذِ بُنودِ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ بِشَأنِه، فَسَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمَا، غَيرَ أَنَّ أَبَا بَصِيرٍ سُرْعَان مَا تَمكنَ مِنْ قَتْلِ أَحَدِ الرَّجُلَيْنِ وَهُمْ فِي طَرِيقِ العَودَةِ إِلَى مَكَّةَ، وَفَرَّ ثَانِيهِمَا إِلى الْمَدِينَةِ وَخَلفَه أَبُو بَصِيرٍ ، فَلَمَا انْتَهَى إِلَى الرَسُولِ ﷺ قال أبو بَصِيرٍ: « يَا نَبِي الله قَدْ وَاللهِ أَوْفَى الله ذِمَّتَكَ قَدْ رَدَدْتَنِي إِلَيْهِمْ، ثُمَّ أَنْجَانِي الله مِنْهُمْ»، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « وَيْلُ أُمِّهِ مِسْعَرَ حَرْبٍ لَوْ كَانَ لَهُ أَحَدٌ» [3]!.فَلَمَّا سَمِعَ أبو بَصِيرٍ مقالة النَّبِيِّ ﷺ عَرَفَ أَنَّهُ سَيَرُدُّهُ ثانية إلى قريش، فَخَرَجَ من الْمَدِينَةِ وحده حَتَّى أَتَى سِيفَ الْبَحْرِ [4].

يُخَرِّجَاهُ.

[1] صحيح البخاري: كتاب المغازي، بَاب غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَةِ٥/١٢٥، حديث(٤١٧١).

[2] سورة الفتح: الآية ٥.

[3] قول النبي – صلى الله عليه وسلم –: "ويل أمه": كلمة ذم تقولها العرب في المدح ولا يقصدون معنى ما فيها من ذم. وقوله: "مِسْعر حرب" أي: مشعل نار الحرب مما فعله من قتل الرجل، وقوله: "لو كان له أحد" أي: ينصره ويعاضده ويناصره، وفيه إشارة إليه بالفرار لئلا يرده إلى المشركين، ورمزٌ إلى من بلغه ذلك من المسلمين المستضعفين في مكة أن يلحقوا به. " فتح الباري لأبن حجر " ٥/٣٥٠ بتصرف.

[4] صحيح: أخرجه البخاري : كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ٣/١٩٧، حديث (٢٧٣٣).

فَهِمَ المُسْلِمونَ المُستَضْعَفونَ بِمَكَّةَ مِنْ مَقَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِأَبِي بِصَيْرٍ أَنَّهُ بِحَاجَةٍ إِلَى أَنْ يَدْعَمهُ إِخْوانَهُ مِنْ مُسْلِمي مَكَّةَ، فَأَخَذوا يَتَسَللونَ مِنْ مَكَّةَ فِرَاراً إِلَى أبي بَصِيرٍ عِنْدَ سِيفَ الْبَحْرِ ، وَكَانَ مِنْ بَيْنِ مَنْ لَحِقَ بِه أَبُو جَنْدَلِ بن سُهَيْلٍ بن عمرو وَآخَرونَ، حَتَّى اجْتَمعَتْ مَعهُ عُصْبَة كَبْيرَة، تَسَببتْ فِي نَكْبَةٍ كَبْيرَةٍ لِتِجارَةِ قُرَيْشٍ إِلَى الشَّامِ ، فَقَدَ تَعَرضُوا لِقَوافِلِ قُرَيْشٍ التِجَارِيَة، يَقْتُلونَ رِجَالِهَا وَحُرَاسِهَا وَيَسْتَولُونَ عَلَى أَمْوَالِهَا وَعِيرِهَا، فَاضْطَرَتْ قُرَيْشٌ إِلَى التَنازُلِ عَنِ البَنْدِ الخَاصِ بِإِعَادَةِ المُسْلِمينَ الفَارّينَ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى ذَوِيهِمْ، وَكَتَبتْ تَسْتَنجِدْ بِالنَّبِيِّ ﷺ « تُنَاشِدُهُ بِاللهِ وَالرَّحِمِ لَمَّا أَرْسَلَ فَمَنْ أَتَاهُ فَهُوَ آمِنٌ فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِم » وَهُمْ بِنَاحِيَةِ الْعِيصِ ، فَاسْتَجَابُوا وَقَدِمُوا عَلَيهِ ﷺإِلَى المَدينَةِ [1]. وَبَعْدَ هَذَا الحَدَثْ وَبَعدَ أَنْ تَنَازَلتْ قُرَيْشٌ عَنْ شَرْطِ إِعَادَةِ مِنْ قُرَيْشٍ إِلَى ذَوِيهِمْ جَاءَ إِسْلامِ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ ، وعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، وَهَذَا عَزَّ مُعَسْكَرِ المُسْلِمينَ وَقُدْرَاتِهِ، وَخَذّلَ قُرَيْشاً وَأَحْرَجَهُمْ[2] .

وَلَقَدْ اقْتَصَرَ الرَسُولُ ﷺ فِي البِدايَةِ عَلى رَدِّ المُسْلِمينَ الفَارِّينَ مِنَّ الرِجَالِ بِموجِبِ بُنُودِ الصُلحِ، أَمَّا النِساءِ فَلَمْ يَرُدّهُنّ ، وَيَرْجِعْ السَبَبْ فِي ذَلِكَ إِمّا لِعَدَمْ دُخُولِهِنَّ فِي بُنودِ العَهْدِ أَصْلاً [3]، أَو لأنَّ القُرْآن قَدْ نَسَخَ مَا وَرَدَ بِحَقِهِنَ فِي العَقْدِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا جاءَكُمُ الْمُؤْمِناتُ مُهاجِراتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِناتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا

---

[1] المصدر نفسه .

[2] مجموعة من المختصين: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ١/٣٤٣.

[3] وقد ورد في نصوص البخاري: « أنه لا يأتيك منا رجل» انظر (صحيح البخاري: كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ٣/١٩٦، حديث ٢٧٣٢) ، وقد ورد أيضا نصّا آخر: « أنه لا يأتيك منا أحد» صحيح البخاري: كتاب الشروط، باب ما يجوز من الشروط في الإسلام والأحكام والمبايعة ٣/١٨٨،حديث ٢٧١١.

هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ ما أَنْفَقُوا وَلا جُناحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوافِرِ وَسْئَلُوا ما أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْئَلُوا ما أَنْفَقُوا ذلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1].

اسْتَمَرتْ هُدْنَةُ الْحُدَيْبِيَةِ نَحْوَ السَّبْعَةِ عَشْرَ أَو الثَّمَانِيَةَ عَشْرَ شَهْرًا ، قَبْلَ أَنْ تَنْقُضَ قُرَيْش الهُدْنَة حَيْثُ أَعَانَتْ حُلَفَاءَهَا بَنِي بَكْرٍ ضِدَّ خُزَاعَةَ حُلَفَاءِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى مَاءِ الْوَتِيرُ قُرْبَ مَكَّةَ ، مِمَّا كَانَ سَبباً فِي إِبْطَالِ الْمُعَاهَدَةِ وَمهدَ لَفَتْحِ مَكَّةَ.

[1] سورة الممتحنة: الآية ١٠.

المبحث الثاني

المستفاد من أحداث صلح الحديبية

المستفاد من تغيير النبي ﷺ لطريقه ونزوله بالحديبية :

الواضح أن هذه الحركة التي نفّذها رسول الله ﷺ من واقع تغيير طريقه، وهو لا يريد حرباً كما لا يريد العودة ؛ لم تكن خوفاً من المشركين وإنما لإرباك العدو وفرصة للنصر، ثم إن العودة إذا حصلت سوف تترك أثراً سيئاً على دعوته وأصحابه وسمعته في الجزيرة العربية، فالذي يخاف من عدوِّه لا يقترب من قاعدته، ثم إن اتخاذ الأدلة والتحول إلى الطرق الآمنة دلالة على وعي القيادة التي تُبعد الجيش عن الوقوع في المخاطر والمهالك وتتجنب الدروب التي تجعله خاضعاً لتحركات العدو وهجماته[1].

لماذا اقتضت الحكمة الإلهية ألا يكون قتال بين المسلمين والمشركين من أهل مكة في هذه الغزوة بالذات:

إن الله سبحانه وتعالى، جلت قدرته، وعزت عظمته، قضى ألا يكون قتال بين المسلمين والمشركين من أهل مكة في هذه الغزوة بالذات؛ لحكم ظهرت فيما بعد منها:

١ – دخول المسلمين بالقوة يعني أن تحدث مذابح، وتزهق أرواح كثيرة، وتسفك

---

[1] أبو فارس، محمد: السيرة النبوية، ص٣٧٤. خطاب، محمود شيت : الرسول القائد، ص١٨٧. الصلابي : السيرة النبوية١/ ٦٦٠.

دماء غزيرة من الطرفين، وهذا أمر لا يرضاه الباري سبحانه، وكان لمصلحة الفريقين المؤمنين والمشركين.

٢- إن من المحتمل أن ينال الأذى والقتل والتشريد على أيدي المؤمنين بعض المستضعفين من إخوانهم من المسلمين في مكة، وهذا فيه ما فيه من المعرة التي لا يليق بمسلم أن يقع فيها وأمر لا يرضاه الله تعالى، قال سبحانه: ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [١].

٣ـ إن الذين كانوا أعداء بالأمس هم من سيحملون الإسلام إلى العالم، وسيكون الفتح على أيديهم حاملين راية الإسلام رحمة للعالمين.

المستفاد من بروك ناقة النبي ﷺ في منطقة الحديبية :

كل شيء في هذا الكون يسير بأمر الله ومشيئته، ولا يخرج في سيره عن مشيئته وإرادته، فتأمل في ناقة رسول الله ﷺ أين بركت، وكيف كره الصحابة بروكها وحاولوا إنهاضها لتستمر في سيرها فيستمروا في سيرهم إلى البيت العتيق مهما كانت النتائج، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد غير ذلك[٢].

وقد استنبط ابن حجر العسقلاني -رحمه الله- فائدة جليلة من قوله ﷺ: «حبسها حابس الفيل»[٣] فقال: وفي هذه القصة جواز التشبيه من الجهة العامة وإن اختلفت

---

[١] سورة الفتح: الآية ٢٥.

[٢] باشميل، محمد احمد: صلح الحديبية، ص٤٣.

[٣] ابن حجر: فتح الباري ٥/٣٣٦.

الجهة الخاصة؛ لأن أصحاب الفيل كانوا على باطل محض، وأصحاب هذه الناقة كانوا على حق محض، لكن جاء التشبيه من جهة إرادة الله منع الحرم مطلقًا [1].

المستفاد من مجاراة رسول الله ﷺ لقريش أثناء عقد صلح الحديبية :

رأينا أن مندوب قريش في معاهدة صلح الحديبية أصرّ على كتابة باسمك اللّٰهم، بدلاً عن بسم الله الرحمن الرحيم، وأن يكتب أسم النبي ﷺ وأسم أبيه دون ذكر محمد رسول الله، فوافق رسول الله ﷺ حتى أنه أمر علي بن أبي طالب بمحو ما كتبه من بسم الله الرحمن الرحيم، ومحمد رسول الله، وان يكتب بدلهما ما أراده مندوب قريش سهيل، أي باسمك اللّٰهم، وهذا ما قضى عليه محمد بن عبد الله، ولا شك أن هذه المجاراة لرغبات سهيل كانت ضرورية لإتمام عقد الصلح الذي فيه مصلحة كبيرة للمسلمين، يهون معها مجاراتهم فيما طلبوه، وهي شيء لا يغير من الحقيقة شيئاً، وهي أن محمداً هو رسول الله حقاً، وإن أنكر المشركون . وعلى هذا فعلى قيادة المسلمين الاستهداء بمسلك رسول الله ﷺ في مجاراته بطلبات المشركين ؛ لتحقيق الصلح الذي فيه مصلحة للمسلمين، فيجاروا خصومهم بتلبية بعض مطالبهم ورغباتهم في سبيل مصالح مؤكدة للمسلمين وإيجاد المجال المريح لنشر دعوتهم [2].

---

[1] المصدر نفسه .

[2] زيدان،عبد الكريم :المستفاد من قصص القرآن٢/٣٦٢.

المستفاد من قبول الرسول ﷺ عقد معاهدة صلح الحديبية :

لقد ضاقت صدور بعض المسلمين، أو كثير منهم من صلح الحديبية لما ظنوه من إجحاف في حقوقهم، وتجاوز عليها، ومن مهانة حلت بهم في منعهم من أداء العمرة في عامهم ذلك . ومرد ذلك أنهم لم يمتد نظرهم إلى مستقبل هذه المعاهدة. معاهدة الصلح مع قريش. وإيقاف الحرب معها لمدة عشرة سنوات، وما يترتب على ذلك من مصالح مؤكدة للإسلام، وهذا هو ما لاحظه رسول الله ﷺ وحمله على عقد تلك المعاهدة، التي نزل القرآن بشأنها، وجعلها فتحاً مبيناً للمسلمين.

وعلى هذا إذا رأت قيادة المسلمين إتباع سياسة معينة، أو عقد مهادنة مع خصومها لما يُرى من أن هذه المهادنة، أو السياسة تحقق مصالح عظيمة دلت القرائن والحسابات الصحيحة على احتمال تحققها احتمالا راجحاً، فعلى جمهورها في هذه الحالة أن لا يعارضوا قيادتهم فيها في سلوك هذه السياسة ما دام الشرع يبيحها ولا يمنعها[1].

المستفاد من قصة أبي جندل وأبي بصير :

كان من بنود صلح الحديبية أن من جاء محمداً ﷺ من قريش مسلماً من غير إذن وليه ردّه النبي ﷺ إلى قريش، ولم يقبله في صفوف المسلمين في المدينة، وعلى أساس هذا البند أو الشرط لم يقبل النبي ﷺ أبا جندل عندما جاء يرسف بقيوده، فألقى بنفسه بين يدي النبي ﷺ، ولم يفرغ بعد من كتابة بنود المعاهدة، وطلب سهيل ردَّ ابنه أبا جندل إلى قريش حسب بنود المعاهدة المتفق عليها شفهياً، ولكن لم تكتب بعد،

---

[1] المصدر نفسه ٢/٣٦٣.

فرده النبي ﷺ، وقال له : (يا أبا جندل اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ....) وحصل أن انفلت من قريش رجل من المسلمين هو أبو بصير، ثم انفلت أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة، فصاروا يغيرون على قوافل قريش السائرة إلى الشام، فيقتلون حراسها ويأخذون أموالها، فأرسلت قريش تطلب من رسول الله قبول أولئك المسلمين المنفلتين منها، وعدم ردهم إلى قريش، لتتخلص منهم ومن تعرضهم لقوافل قريش، فأرسل النبي ﷺ إليهم، فقدموا عليه في المدينة [1].

ويستفاد من قصة أبي جندل وأبي بصير أنه يسع الفرد المسلم غير المرتبط بجماعة ما لا يسع الجماعة ولا عضواً فيها، بمعنى أن الفرد المسلم السائب غير المرتبط له أن يعمل من الأعمال المباحة له شرعاً ومنها ما فيه ضرر على المشركين يستحقونه، بينما لا يجوز للجماعة المسلمة ولا عضواً فيها أن يفعل ما يفعله المسلم السائب وإن كان العمل بذاته جائزاً [2].

المستفاد من تكليف المشرك بشر بن سفيان استطلاع أخبار مكة :

طلب النبي ﷺ لما اقترب من مكان الحديبية، رجلاً يستطلع له أخبار مكة، وتحركاتها، وردود فعلها، ويرصد كل ما يهم المسلمين في مثل هذه الظروف، وحتى تنجح مهمة الاستطلاع هذه، وجب أن تكون غير ملفتة للنظر، ولذلك اقتضى أن يقوم بها رجل مشرك لا يرتاب به أحدٌ إن رآه في مكان لا يجدرُ أن يكون فيه رجل

---

[1] المباركفوري: الرحيق المختوم، ص٣٥١ وما بعدها .

[2] زيدان،عبد الكريم :المستفاد من قصص القرآن٢/٣٦٩.

مسلم، لطبيعة ما يدور في ذلك المكان من أمور عسكرية، فأختار النبي ﷺ بشر بن سفيان للمواصفات التي تمتع بها، ويُفهم من هذا الأمر جواز الاستعانة بغير المسلمين في القضايا السلمية كإرساله عينا على الأعداء أو استعارة أسلحة منهم وما شابه ذلك، لأنها تتيح لهم فرص اختراق العدو بطريقة أسهل وأيسر، بعد أن يتم التأكد من صلاحية مثل هؤلاء لمثل هذه المهام، أو ربطهم بما يكفل أداءهم المهمة على وجه صحيح، مع الاحتفاظ بأعلى درجات الحذر في الأحوال كلها [1].

الدلالات والأحكام الفقهية التي حفلت بها غزوة الحديبية :

١- جواز عقد الهدنة بين المسلمين وأعدائهم مدة معلومة، سواء على غير مال يأخذونه منهم أو بعوض يأخذونه منهم . أما الوضع الأول، فلأن هدنة الحديبية كانت كذلك، وأما الوضع الثاني، فيؤخذ على القياس ؛ لأن الهدنة إذا جازت بدون عوض فهي بعوض أقرب وأوجه، أما إذا كانت الهدنة على مال يبذله المسلمون، فهو غير جائز عند جمهور المسلمين لِما فيه من الصَّغار لهم ؛ ولأنه لم يثبت بالدليل في الكتاب والسنة، إلا إذا دعت الضرورة القصوى في حال الخوف من الهلاك أو الوقوع في الأسر، كما لا يجوز للأسير فداء نفسه بالمال .

٢ـ أختُلف في مدة الهدنة التي تتعدى عشر سنين، بين الجواز إذا رأى الإمام أن في ذلك مصلحة للمسلمين، وبين عدم الجواز . وحجة هؤلاء أن خطر الصلح هو الأصل لدليل آية القتال، وقد ورد التحديد بالعشر في غزوة الحديبية، فجعلت الإباحة في هذا المقدار متحققة، وبقيت الزيادة على الأصل وهو الحظر.

---

[1] نوري، موفق سالم : فقه السيرة النبوية، ص ٣٢٤.

٣ـ رسم عروة بن مسعود الثقفي صورة حية تبين مدى محبة اصحاب رسول الله ﷺ من دون محبة له، وهي الأثر الذي يستحوذ على القلب، كما تدل على أن التبرك بآثار رسول الله ﷺ أمر مندوب ومشروع . فعندما أجتمع هذا الرجل مع الرسول ﷺ ؛ راح يراقب تحركات أصحابه، ولما عاد إلى مكة، قال لزعماء قريش:" فو الله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة، إلا وقعت في كفِّ رجلٍ منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده.

المستفاد من التحلل من العمرة ومشورة أم سلمة رضي الله عنها:

١- كان رأي أم سلمة سديدًا ومباركًا، حيث فهمت رضي الله عنها وعن الصحابة أنه وقع في أنفسهم أن يكون النبي ﷺ أمرهم بالتحلل أخذًا بالرخصة في حقهم، وأنه يستمر على الإحرام أخذًا بالعزيمة، في حق نفسه، فأشارت على النبي ﷺ أن يتحلل لينتفي عنهم هذا الاحتمال، وعرف النبي ﷺ صواب ما أشارت به ففعله، فلما رأى الصحابة ذلك بادروا إلى فعل ما أمرهم به، فلم يبق بعد ذلك غاية تنتظر، فكان ذلك رأيًا سديدًا ومشورةً مباركةً، وفي ذلك دليل على استحسان مشاورة المرأة الفاضلة ما دامت ذات فكرة صائبة ورأي سديد[١]. كما أنه لا فرق في الإسلام بين أن تأتي المشورة من رجل أو امرأة طالما أنها مشورة صائبة، وهذا عين التكريم للمرأة التي يزعم أعداء الإسلام أنه غمطها حقها وتجاهل وجودها، وهل هناك اعتراف واحترام لرأي المرأة أكثر من أن تشير على نبي مرسل ويعمل النبي ﷺ

[١] النحوي، عدنان : ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية، ص١٦١.

بمشورتها لحل مشكلة اصطدم بها وأغضبته[1].

٢- أهمية القدوة العملية، فقد دعا رسول الله ﷺ إلى أمر وكرره ثلاث مرات، وفيهم كبار الصحابة وشيوخهم، ومع ذلك لم يستجب أحد لدعوته، فلما قدم رسول الله ﷺ على الخطوة العملية التي أشارت بها أم سلمة تحقق المراد، فالقدوة العملية في مثل هذه المواقف أجدى وأنفع[2].

٣- حكم الإحصار في العمرة والحج: دلَّ عمل الرسول ﷺ بعد الفراغ من أمر الصلح، من التحلل والنحر والحلق، على أن المحصر يجوز له أن يتحلل، وذلك بأن يذبح شاة، حيث أحصر أو ما يقوم مقامها، ويحلق ثم ينوي التحلل مما كان قد أهل به، سواء كان حجًّا أو عمرة، كما دل على أن المتحلل لا يلزم بقضاء الحج أو العمرة إذا كان متطوعًا، وخالف الحنفية فرأوا أن القضاء بعد المباشرة واجب، بدليل أن جميع الذين خرجوا معه ﷺ في صلح الحديبية خرجوا معه في عمرة القضاء إلا من توفي أو استُشهد منهم في غزوة خيبر[3].

ما الذي استفاده المسلمون بعد صلح الحديبية :

١- لقد اعترفت قريش بحق المسلمين في زيارة الكعبة وأداء العمرة فيها، إلا أنها اشترطت عدم أدائها في ذلك العام، وأدائها في العام المقبل، وقد تم للمسلمين ما أرادوا، فقام الرسول ﷺ في السنة التالية بأداء العمرة، ومعه جميع المسلمين الذين

---

[1] الديك، محمد :المعاهدات في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، ص٢٧٣.

[2] الوكيل، محمد السيد : تأملات في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ص٢١١.

[3] البوطي: فقه السيرة، ص٢٤٣.

صحبوه في أثناء صلح الحديبية، فضلا عن مسلمين آخرين رغبوا في أدائها، فكان عدد المسلمين الذين أدوا العمرة الألفين ، وقد مكثوا في مكة ثلاثة أيام أدوا خلالها مناسك العمرة وأذن بلال لصلاة الظهر فوق ظهر الكعبة، ثم عادوا إلى المدينة بعد أن ظهروا لأهل مكة ما هم عليه من قوة ونظام وتماسك [1].

٢- أثبتت الأحداث أن الشرط الذي تخوف المسلمون منه في صلح الحديبية قد عمل لمصلحة المسلمين وعلى خلاف ما أرادت قريش، وذلك لأن المسلمين الذين لجأوا إلى الرسولﷺ فرفض قبولهم وردهم إلى قريش مثل أبي بصير، فإنهم لم يلبثوا أن هربوا من مكة وشكلوا قوة بلغ تعداد أفرادها حوالي السبعين رجلا فكانوا قد ضيقوا على قريش، ولا يظفرون بأحد إلا قتلوه، ولا تمر عير إلا اقتطعوها حتى أحرقوا قريشاً [2] لذا فقد كتبت قريش إلى رسول الله ﷺ أن يضم هؤلاء الأفراد إليه إذ لا حاجة بها إليهم.

٣- إن توقيع قريش لصلح الحديبية مع الرسولﷺ كان يعني اعترافها الرسمي بأن دولة المدينة تشكل كياناً سياسياً مساوياً لها في المكانة، ومن ثم فإن من حق القبائل العربية أن تتعامل معه كما تتعامل معها على قدم المساواة، لذا فإن قبيلة خزاعة قد بادرت فور توقيع الصلح إلى الدخول في "عقد محمد وعهده"[3]أي التحالف معه، ثم لم يلبث أن دخل معظم أفرادها في الإسلام[4].

---

[1] الملاح : الوسيط في السيرة النبوية ، ص٢٦٢.

[2] الواقدي: المغازي٢/٦٢٧.

[3]ابن هشام : السيرة النبوية٢/٣١٨.

[4] الواقدي: المغازي٢/٦٢٩.

الفصل السابع

غزوة خيبـــر

تمهيد:

لقد أَصْبَحَتْ خَيْبَرَ مَصْدر خَطَر كَبْير عَلَى المُسْلِمينَ وَدَولَتَهمْ النَامِيَة بعد اجْلاء بَنِي النَّضِيرِ عَنِ المَدينَةِ وَنُزُولِ زُعَمَائِهمْ فِي خَيْبَرَ وَرَغْبتَهمْ العَارِمَة فِي اسْتِعَادَةِ دِيَارِهمْ وَمَوَاقِعهمْ وَمَصَالِحهمْ فِي المَدينَةِ وقيامهم بِدَورٍ بَارِز فِي تَجْميع الأَحْزَاب وَحَشْدِهمْ ضد المُسْلِمينَ، بَلْ إِنَهُمْ أَنْفَقُوا أَمْوَالَهمْ، واسْتَغَلوا عَلاقاتَهم معَ يَهود بَنْي قُرَيْظَة مِنْ أَجلْ نُصْرَة الأَحْزَاب، لِذَلِكَ قَرَّرَ رَسُولِ اللهِﷺ غَزْوَهُم وَمِنْ أَجْلِ التَعَرفِ على أهم أَحْدَاث غَزْوَة خَيْبَر ومَا تَمَخَضَ عَنْهَا فَقدْ قَسَّمْنَا هَذَا الفَصْلِ إلى مَبْحَثَيْنِ مُسْتَقِلينِ .

المَبْحَثْ الأَوَل :أَحْدَاث غَزْوَة خَيْبَر .

المَبْحَثْ الثَّانِي :المُسْتَفادِ مِنْ أَحْدَاث غَزْوَة خَيْبَر .

المبحث الاول

أحداث غــزوة خيبر

وعد الله لأهل الحديبية بفتح خيبر:

تَفَرغَ المُسْلِمونَ بَعدَ صُلحْ الْحُدَيْبِيَةِ لِتَصفيةِ خَطَرِ يَهُود خَيْبَرَ الَّذِي أَصْبَح يُهَدِدُ أَمْنَ المُسْلِمينَ، وَلَقَدْ تَضمنتْ سُورة الفَتْح الَّتِي نَزَلتْ بَعدَ الْحُدَيْبِيَةِ وَعْداً إلهيّاً بِفَتْحِ خَيْبر وَحيازَةِ أَمْوَالِهَا غَنْيمَةً، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٩) وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (٢٠) وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا)﴾[1].

فَأَرَادَ المُنَافِقونَ الَّذِينَ تَخَلَفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْحُدَيْبِيَةِ أَنْ يَخْرُجُوا مَعَهُ إِلَى خَيْبَرْ، لما علموا ما بها مِنْ مَغَانِمَ وَأَمْوَال كَثِيرَة، فَمَنَعَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الخُروجِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ عن الْحُدَيْبِيَةِ ﴿إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا﴾ أي: إلى خيبر، ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ أي: يُريدونَ أَنْ يُبَدِلُوا كَلَامَ اللَّهِ لَمَا وَعَدوهُ بِأَنَّ المَغَانِمَ سَتكُونُ لِمَنْ شَهِدَ الْحُدَيْبِيَةِ وَبَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ -كَمَا تَقدمَ فِي الآياتِ- ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أَيْ: قَالَ بِأَنَّ المَغَانِمَ سَتكونُ لأَهْلِ الْحُدَيْبِيَةِ ، ﴿ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ أي: أن

---

[1] سورة الفتح: الآيات ١٨ - ٢١.

نُشْرِكُكُمْ فِي الْمَغَانِمَ ، ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [1]

أي: لَيْسَ الأمْر كَمَا زَعَمُوا، وَلَكِنْ لا فَهْمَ لَهُمْ [2].

النبي ﷺ يسير إلى خيبر:

تَفَرغَ الْمُسْلِمونَ بَعدَ صلح الْحُدَيْبِيَةِ لتصفية خَطَرْ يَهُود خَيْبَر الَّذِي أَصْبَحَ يُهَدِدْ أَمْنَ الْمُسْلِمينَ، وَقدْ سَارَ الجَيْش إِلَى خَيْبَر فِي الْمُحَرَّمِ مِنَ السَّنَة السَّابِعَة لِلهِجْرَةِ عَلَى أَرْجَحِ الأقَوالِ [3] رُغْمَ الخِلافِ بَيْنَ مُؤلِفي كُتُب السِّيرَةِ والمَغَازي حَوْلَ ذَلِكَ [4] .

وَقادَ الرَسُولُ ﷺ جَيْشَ الْمُسْلِمينَ وكان عَدَدُهُ أَلْفًا وَخَمْسَ مِائَةٍ، فِيهِمْ ثَلَاثُ مِائَةِ فَارِسٍ [5]، فَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى خَيْبَر لَيْلاً [6]، وَاسْتَخْلَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى المَدينَةِ

---

[1] سورة الفتح : الآية ١٥ .

[2] مختصر تفسير ابن كثير٢/ ٣٤٤.

[3]قال بذلك ابن إسحاق، انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٣٢٨، ابن حجر:فتح الباري ٧/ ٤٦٤.

[4]يكمن مرد الخلاف في الأصل إلى الاختلاف في تحديد بداية السنة الهجرية الأولى فقد احتسب بعضهم الأشهر بين محرم وربيع الأول وهو شهر الهجرة مما نجم عن احتساب إضافة سنة واحدة كاملة الى تواريخ الحوادث بسبب أن السنة الهلالية الشرعية تبدأ من المحرم، ومنهم من امتنع عن ذلك واهملها معتبرا ربيع الأول بداية التقويم، وبذلك فإنه أسقط تسعة أشهر من تاريخ الحوادث، وفي هذه المناسبة ذهب كل من الزهري ومالك إلى أن خيبر وقعت في المحرم من السنة السادسة (ابن عساكر: تاريخ دمشق ١/ ٣٣) في حين ذهب محمد بن سعد إلى أنها وقعت في جمادى الأولى سنة ٧ هـ (الطبقات ٢/ ١٠٦) في حين اعتبرها شيخه الواقدي في صفر أو ربيع الأول السنة السابعة (المغازي ٢/ ٦٣٤) .

[5] روى هذا الحديث أبو داود في سننه : كتاب الخراج والإمارة والفيء ،باب في حكم ارض خيبر ٤/٦٢٨، حديث(٣٠١٥)، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله، ولكن ضعفه في موضع آخر برقم (٢٧٣٦)، قال أبو داود: وأرى الوهم في حديث مُجَمِّع أنه قال: ثلاث مئة فارس، وكانوا مئتي فارس.

[6] متفق عليه: أخرجه البخاري : كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر،٥/ ١٣٠،حديث(٤١٩٦).صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب غزوة خيبر، من حديث سلمة بن الأكوع - رضي الله عنه - ٣/١٤٢٧،حديث(١٨٠٢).

سِباع بن عُرْفُطة [1]، وَلَمْ يَغِبْ عَنِ الْمُشَارَكَةِ فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ بَيْعَةِ الرِضْوانِ فِي الْحُدَيْبِيَةِ سِوَى جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ[2] .

وعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: لَمَّا غزَا رَسُولُ الله ﷺ خَيْبَرَ أَشْرَفَ النَّاسُ عَلَى وَادٍ فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ الله أَكْبَرُ، الله أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا الله، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ :"ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُم، إِنكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ"، وَأَنَا خَلْفَ دَابَّةِ رَسُولِ الله ﷺ فَسَمِعَنِي وَأَنَا أَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، فَقَالَ لِي: "يَا عبد الله بن قَيسٍ"، قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله قَالَ: "أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَلِمَةٍ مِنْ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ؟ "، قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ الله فَدَاكَ أبي وَأُمِّي، قَالَ: "لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ" [3].

وصول جيش المسلمين إلى مشارف خيبر:

وَعِنْدَمَا وَصَلَ جَيْشِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مَشَارِفْ خَيْبَرَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لأصْحَابِه: قِفُوا. ثُمَّ قَالَ: « اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظْلَلْنَ وَرَبَّ الأَرَضِينِ السَّبْعِ وَمَا أَقْلَلْنَ وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضْلَلْنَ وَرَبَّ الرِّيَاحِ وَمَا ذَرَيْنَ فَإِنَّا نَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ وَخَيْرَ أَهْلِهَا وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ أَهْلِهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا »، اقْدِموا بِاسْمِ اللَّهِ ، وَكَانَ يَقُولُهَا لِكُلِ قَرْيَةً دَخَلَهَا[4].

---

[1] إسناده قوي: أخرجه أحمد في مسنده: ١٤/ ٢٢٦،حديث ٨٥٥٢ وقال شعيب الأرنؤوط: وإسناده قوي.

[2]أبو داود- السنن، كتاب الخراج والفيء والأمارة ٣/ ٤١٣، الحاكم- المستدرك، ٢/ ١٣١، وكان غياب جابر بعذر مشروع (ابن هشام- السيرة النبوية ٣/ ٤٦٧) .

[3] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر، ٥/١٣٣،حديث(٤٢٠٥).صحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر،٤/٢٠٧٦،حديث (٢٧٠٤).

[4] رواه الحاكم في مستدركه (٢/١١٠)،حديث(٢٤٨٨) وقال هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ

وَلَمَّا أَدْرَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اللَّيْلِ أمَرَ الجَيْش بِالنَوم عَلَى مَشَارِفْ خَيْبَر، ثُمَّ اسْتَيْقَظُوا مُبَكِرِينَ، وَضَرَبُوا خِيَامَهُمْ وَمُعَسْكَرِهِمْ بِوَادِي الرَّجِيعِ، وَهُوَ وَادٍ بَيْنَ خَيْبَرَ وَغَطَفَانَ حَتَّى يَقْطَعُوا المَدَدْ عَنْ يَهود خَيْبَر مِنْ قَبِيلَة غَطَفَان[1].

يَقُولُ أَنَسُ بن مَالِك ﷺ: فَصَلَّيْنَا عِنْدَهَا صَلَاةَ الْغَدَاةِ بِغَلَسٍ، فَرَكِبَ النَبِيُّ ﷺ، وَرَكِبَ أبو طَلْحَةَ، وَأَنَا رَدِيفُ أبي طَلْحَةَ، فَأَجْرَى نَبِي الله ﷺ في زُقَاقِ خَيْبَرَ، وَإِنَّ رُكْبَتِي لَتَمَسُّ فَخِذَ نَبِيِّ الله ﷺ، وانحَسَرَ الْإِزَارُ عَنْ فَخِذِ نبي الله، وإِنِّي لأرى بَيَاضَ فَخِذِ نَبِيِّ الله ﷺ.

يَقُولُ أَنَس: فَأَتَيْنَاهُمْ حِينَ بَزَغَتِ الشَّمْسُ ، وقد أَخْرَجُوا مَوَاشِيَهُمْ، وَخَرَجُوا بِفُئُوسِهِمْ ، وَمَكَاتِلِهِمْ[2]، وَمُرُورِهِمْ [3]، فَقَالُوا: مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ [4]، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ قَالَهَا ثَلَاثَ مَرات[5].فَلَمَّا رَأى أَهْلَ خَيْبَر جَيْشَ الْمُسْلِمِينَ هَرَبُوا إلى حُصُونِهِمْ، فَتَحَصَنُوا بِهَا. وَصَدقَ اللهُ إِذْ يَقولُ: ﴿ لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ [6].

وأقره الذهبي.

[1] عن مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، والمسور بْنِ مَخْرَمَةَ، قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ فِي ذِي الْحِجَّةِ فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى سَارَ إِلَى خَيْبَرَ فِي الْمُحَرَّمِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالرَّجِيعِ- وَادٍ بَيْنَ خَيْبَرَ وَغَطَفَانَ- فَتَخَوَّفَ أَنْ تَمُدَّهُمْ غَطَفَانُ، فَبَاتَ بِهِ حَتَّى أَصْبَحَ فَغَدَا إِلَيْهِمْ. إسناده حسن: أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٤/ ١٩٦، ١٩٧، وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيق "زاد المعاد": رجاله ثقات.

[2] المكاتل: جمع مِكتل- بكسر الميم -وهو القُفة.

[3] المرور: جمع مَرّ -بفتح الميم- وهي المساحي.

[4] الخميس: هو الجيش، وسمي خميسًا, لأنه خمسة أقسام ميمنة وميسرة ومقدمة ومؤخرة وقلب.

[5] متفق عليه أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة خيبر،٥/ ١٣١،حديث(٤١٩٧).صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب غزوة خيبر ٣/ ١٤٢٦،حديث ١٣٦٥.

[6] سورة الحشر: الآية ١٤.

اليهود يهربون إلى حصونهم :

هَرَبَ اليَهُود إلى حُصونِهِمْ وَحَاصَرهُمْ المُسْلِمونَ، وَقدْ وَاجهَ المُسْلِمونَ مُقَاوَمةً شَديدَةً وَصُعوبَةً كَبيرَةً عِندَ فَتْحِ بَعضِ هَذِهِ الحُصونِ، وكَانتْ خَيْبَر مُنْقَسِمَة إلى شَّطْرِين ، شَّطْرٍ فِيهَا خَمْسَةِ حُصونْ:

١ – حِصْن نَاعِم.

٢ – حِصْن الصَّعْبِ بْنِ مُعَاذٍ .

٣– حِصْن قَلْعَةِ الزُّبَيْرِ.

٤ – حِصْن أُبيٍّ.

٥ – حِصْن نَزَار.

وَالحُصون الثَّلاثَّة الأولَى مِنْهَا تَقَعْ فِي مِنْطَقَة يُقَال لَهَا: (النَّطَاةِ) وأَمَّا الحِصْنَان الآخَرَان فَيَقَعان فِي مِنْطَقةٍ تُسَمَى بالشَّقِّ.

أما الشَّطْرِ الثَّانِي ، ويعرف بالْكَتِيبَةِ، ففيه ثَلاثَة حُصونٍ فَقَطْ:

١ – حِصْن الْقَمُوصِ (وَكانَ حِصْن بَنِى أَبِى الْحُقَيْقِ مِنْ بَنِى النَّضِيرِ).

٢ – حِصْن الْوَطِيحِ.

٣ – حِصْن السُّلَالِمِ.

وَفِي خَيْبَر حُصون وَقِلاعْ غَيرَ هَذِه الثَمانِيَة، إلاّ أَنَهَا كَانَتْ صَغيرَة لا تَبْلُغ إِلَى دَرَجَةِ هَذهِ القِلاعْ فِي مَناعَتِها وَقُوتِهَا [1].

---

[1] المباركفوري : الرحيق المختوم ص٣٧٦.

المسلمون يفتحون حصار ناعم :

حَاصَر النَّبِيّ ﷺ حُصونِ يَهود خَيْبَر ، فكانَ أولُ الحُصونِ حِصْن نَاعِم، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ أَعْطَى اللِّوَاءَ أَبا بَكْر الصديق ﷺ، فَانْصَرَفَ وَلَمْ يُفْتَحْ لَهُ، ثُمَّ أَخَذَهُ مِنْ الْغَدِ، فَخَرَجَ وَلَمْ يُفْتَحْ لَهُ، وَأَصَابَ النَّاسَ يَوْمَئِذٍ شِدَّةٌ وَجَهْدٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "إِنِّي دَافِعٌ اللِّوَاءَ غَدًا إلى رَجُلٍ يُحِبُّهُ الله وَرَسُولُهُ وَيُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ لَا يَرْجِعُ حَتَّى يُفْتَحَ لَهُ"، فَبِات الصحابة وأنفسهم طَيِّبَةٌ أَنَّ الْفَتْحَ غَدًا، فَلَمَّا أَنْ أَصبَحَ رَسُولُ الله ﷺ صَلَّى الْغَدَاةَ، ثُمَّ قَامَ قَائِمًا فَدَعَا بِاللِّوَاءِ وَالنَّاسُ عَلَى مَصَافِّهِمْ، فَدَعَا عَلِيًّا وَهُوَ أَرْمَدُ [1]، فَتَفَلَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَفَعَ إِلَيْهِ اللِّوَاءَ وَفُتِحَ لَهُ [2].

وكَانَ عَلِيُّ بن أبي طَالِبٍ ﷺقد تَخَلَّفَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي خَيْبَرَ لمرض عينه، فَقَالَ: أَنَا أَتَخَلَّفُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ؟ فَلَحِقَ بِهِ [3].وعن سَهْل بن سَعْد ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: "لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ الله عَلَى يَدَيْهِ يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ الله وَرَسُولُهُ"، قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُم أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ الله ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: "أَيْنَ عَلِيُّ بن أبي طَالِبٍ؟"، فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ الله يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: "فَأَرْسَلُوا إِلَيهِ"، فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ الله ﷺ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ

---

[1] الرمد: مرض العين.

[2] صحيح: أخرجه أحمد في مسنده: ٣٨/ ٩٨،حديث ٢٢٩٩٣. الحاكم :المستدرك ٣/ ٤٠،حديث ٤٣٤٢. الهيثمي في "مجمع الزوائد" ٦/ ١٥٠، حديث ١٠٢٠١صححه الحاكم، ووافقه الذهبي والهيثمي. وذكر الواقدي في مغازيه ٢/ ٦٥٧ أن حصن ناعم فتح بعد عشرة أيام، ولكن هذه الرواية تبين أنه فتح بعد ثلاثة أيام فقط.

[3] متفق عليه: أخرجه البخاري : كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر، ٥/ ١٣٤،حديث(٤٢٠٩).صحيح: أخرجه مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد،٣/ ١٤٣٣،حديث(١٨٠٧).

عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ الله أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: "انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيهِمْ مِنْ حَقِّ الله فِيهِ، فَوَالله لَأَنْ يَهْدِيَ الله بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ"[1].وعن سلمة بن الأكوع ﷺ قال: خَرَجْنَا إلى خَيبَرَ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ، فَجَعَلَ عَمِّي عَامِرٌ يَرْتَجِزُ بِالْقَوْمِ:

تَالله لَوْلَا الله مَا اهْتَدَيْنَا ... وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا

وَنَحْنُ عَنْ فَضْلِكَ مَا اسْتَغْنَيْنَا ... فَثَبِّتْ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا

وَأَنْزِلَنْ سَكِينَةً عَلَيْنَا

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "مَنْ هَذَا؟ "، قَالَ: أَنَا عَامِرٌ، قَالَ: "غَفَرَ لَكَ رَبُّكَ"، قَالَ: وَمَا اسْتَغْفَرَ رَسُولُ الله ﷺ لِإِنْسَانٍ يَخُصُّهُ إِلَّا اسْتُشْهِدَ، قَالَ: فَنَادَى عُمَرُ بن الْخَطَّابِ وَهُوَ عَلَى جَمَلٍ لَهُ يَا نَبِي الله لَوْلَا مَا مَتَّعْتَنَا بِعَامِرٍ، قَالَ: فَلَمَّا قَدِمْنَا خَيْبَرَ قَالَ خَرَجَ مَلِكُهُمْ مَرْحَبٌ يَخْطِرُ بِسَيْفِهِ، وَيَقُولُ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ ... شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ

إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَت تَلَهَّبُ

قَالَ: وَبَرَزَ لَهُ عَمِّي عَامِرٌ، فَقَالَ:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي عَامِرٌ ... شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُغَامِرٌ

قَالَ: فَاخْتَلَفَا ضَرْبَتَيْنِ فَوَقَعَ سَيْفُ مَرْحَبٍ فِي تُرْسِ عَامِرٍ، وَذَهَبَ عَامِرٌ يَسْفُلُ

---

[1] متفق عليه أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة خيبر،٥/١٣٤،حديث(٤٢١٠).صحيح مسلم : كتاب "فضائل الصحابة" باب فضائل علي - رضي الله عنه -٤/١٨٧٢،حديث(٢٤٠٦). وحُمْر النعم: هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء.

لَـهُ[1]، فَرَجَعَ سَيْفُهُ عَلَى نَفْسِهِ فَقَطَعَ أَكْحَلَهُ، فَكَانَتْ فِيهَا نَفْسُهُ[2].

قَالَ سَلَمَةُ: فَخَرَجْتُ فَإِذَا نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُونَ: بَطَلَ عَمَلُ عَامِرٍ قَتَلَ نَفْسَهُ، قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِي ﷺ وَأَنَا أَبْكِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله بَطَلَ عَمَلُ عَامِرٍ؟ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "مَنْ قَالَ ذَلِكَ؟"، قَالَ: قُلْتُ: نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِكَ، قَالَ: "كَذَبَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ بَلْ لَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ"، ثُمَّ أَرْسَلَنِي إِلى عَلِيٍّ وَهُوَ أَرْمَدُ، فَقَالَ: "لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ أَوْ يُحِبُّهُ الله وَرَسُولُهُ"، قَالَ: فَأَتَيْتُ عَلِيًّا فَجِئْتُ بِهِ أَقُودُهُ وَهُوَ أَرْمَدُ، حَتَّى أَتَيْتُ بِهِ رَسُولَ الله ﷺ ، فَبَسَقَ فِي عَينَيهِ فَبَرَأَ، وَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، وَخَرَجَ مَرْحَبٌ، فَقَالَ:قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ ... شَاكِي السِّلَاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ

إِذَا الْحُرُوبُ أَقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

فَقَالَ عَلِيٌّ:

أَنَا الذِي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيْدَرَهْ ... كَلَيثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ الْمَنْظَرَهْ

أُوفِيهِمُ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

قَالَ: فَضَرَبَ رَأْسَ مَرْحَبٍ فَقَتَلَهُ، ثُمَّ كَانَ الْفَتْحُ عَلَى يَدَيْهِ[3]

وَقدْ اسْتُشهِدَ فِي حِصَار حِصْن نَاعِم مَحْمُودِ بْنِ مَسْلَمَةَ الذي ألقى عليه مَرْحَبِ اليهودي رَحَاً مِنْ أَعْلَى الحِصْن[4]، وَهَكَذا تَمَّ فَتح حِصْن نَاعِم بَعْدَ أَنْ اسْتَمرَّ حِصَارَهُ عَشرَةَ أيامٍ، وَكَانَ لِذَلِكَ أَثَرهُ السِلبيّ فِي هُبوطِ مَعْنَوياتِ اليَهْودِ.

---

[1] يسفل له: أي يضربه من أسفل.

[2] أي: قُتل.

[3] صحيح: أخرجه مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب غزوة ذي قرد،٣/١٤٣٣،حديث(١٨٠٧).

[4] سيرة ابن هشام: ٢/ ٣٣١.

تصالح النبي – صلى الله عليه وسلم – مع أهل خيبر:

عن عبد الله بن عمر ﷺأَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمَّا ظَهَرَ عَلَى خَيبَرَ أَرَادَ إِخْرَاجَ الْيَهُودِ مِنْهَا، وَكَانَتْ الْأَرْضُ حِينَ ظُهِرَ عَلَيْهَا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ، فَأَرَادَ إِخْرَاجَ الْيَهُودِ مِنْهَا، فَسَأَلَتْ الْيَهُودُ رَسُولَ الله ﷺ أَنْ يُقِرَّهُمْ بِهَا عَلَى أَنْ يَكْفُوا عَمَلَهَا، وَلَهُمْ نِصْفُ الثَّمَرِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ : "نُقِرُّكُمْ بِهَا عَلَى ذَلِكَ مَا شِئْنَا" (١).

فكان الصلح مع يهود خيبر مشروطًا بإخراجهم إذا شاء المسلمون ذلك.

ولذلك أخرجهم عُمَرُ ﷺفي إمارته وقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ الله – ﷺ

كَانَ عَامَلَ يَهُودَ خَيْبَرَ عَلَى أَنَّا نُخْرِجُهُمْ إِذَا شِئْنَا، ومَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ فَلْيَلْحَقْ بِهِ، وإِنِّي مُخْرِجٌ يَهُودَ، فَأَخْرَجَهُمْ (٢).

وَكانَ سَببْ إِخْرَاجِهِمْ أَنَّهُمْ اعتَدَوا عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ عِنْدَمَا ذَهبَ إلى مَالِهِ هناك ليلاً، فقَامَ عُمَرُ – رضي الله عنه – خَطِيبًا فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ عَامَلَ أهل خَيبَرَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ، وَقَالَ: نُقِرُّكُمْ مَا أَقَرَّكُمْ الله وَإِنَّ عبد الله بن عُمَرَ خَرَجَ إلى مَالِهِ هُنَاكَ فَعُدِيَ عَلَيْهِ مِنْ اللَّيْلِ فَفُدِعَتْ يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ (٣)، وَلَيْسَ لَنَا هُنَاكَ عَدُوٌّ غَيْرَهُمْ، هُمْ عَدُوُّنَا وَتُهْمَتُنَا، وَقَدْ رَأَيْتُ إِجْلَاءَهُمْ، فَلَمَّا أَجْمَعَ عُمَرُ عَلَى ذَلِكَ أَتَاهُ أَحَدُ بني أبي الْحُقَيْقِ، فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَتُخْرِجُنَا وَقَدْ أَقَرَّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ وَعَامَلَنَا عَلَى الْأَمْوَالِ

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري : كتاب: فرض الخمس، باب: ما كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه ٤/٩٥،حديث(٣١٥٢). صحيح مسلم : كتاب المساقاة، باب المساقاة والمعاملة بجزء من التمر والزرع ٣/١١٨٦،حديث(١٥٥١).

(٢) صحيح: أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب ما جاء في حكم أرض خيبر،٤/٦٢٢، حديث(٣٠٠٧) وقال الألباني : حسن صحيح.

(٣) الفدع: هو زوال المفصل. وأخرج البخاري حديثًا معلقًا: أنهم ألقوه من فوق بيت ففدعوا يديه.

وَشَرَطَ ذَلِكَ لَنَا؟ فَقَالَ عُمَرُ: أَظَنَنْتَ أَنِّي نَسِيتُ قَوْلَ رَسُولِ الله ﷺ : "كَيفَ بِكَ إِذَا أُخْرِجْتَ مِنْ خَيبَرَ تَعْدُو بِكَ قَلُوصُكَ لَيلَةً بَعْدَ لَيْلَةٍ" (١)، فَقَالَ: كَانَتْ هَذِهِ هُزَيْلَةً مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ (٢)، فقَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ الله، فَأَجْلَاهُمْ عُمَرُ، وَأَعْطَاهُمْ قِيمَةَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ الثَّمَرِ مَالًا وَإِبِلًا وَعُرُوضًا مِنْ أَقْتَابٍ وَحِبَالٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ (٣).

وكان النبي ﷺ قد صالح أهل خيبر على أَنْ لَا يَكْتُمُوا وَلَا يُغَيِّبُوا شَيئًا، فَإِنْ فَعَلُوا فَلَا ذِمَّةَ لَهُمْ وَلَا عَهْدَ، فَغَيَّبُوا مَسْكًا لِحُيَيٍّ بن أَخْطَبَ، وَقَدْ كَانَ قُتِلَ قَبْلَ خَيْبَرَ، كَانَ احْتَمَلَهُ مَعَهُ يَوْمَ بني النَّضِيرِ حِينَ أُجْلِيَتْ النَّضِيرُ، فِيهِ حُلِيُّهُمْ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِسَعْيَةَ (٤): "أَيْنَ مَسْكُ حُيَيٍّ بن أَخْطَبَ؟ "، قَالَ: أَذْهَبَتْهُ الْحُرُوبُ وَالنَّفَقَاتُ، فَوَجَدُوا الْمَسْكَ، فَقَتَلَ رسول الله ﷺ ابْنَ أَبِي الْحُقَيقِ وَسَبَى نِسَاءَهُمْ وَذَرَارِيَّهُمْ (٥).

تقسيم النبي ﷺ غنائم خيبر:

لَمَّا أَفَاءَ الله عَلَى رَسُولِهِ ﷺ خَيْبَرَ قَسَمَهَا عَلَى ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَسِتَّمِائَةِ سَهْمًا، فَكَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلِلْمُسْلِمِينَ النِّصْفُ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ أَلْفٌ وَثَمَانِمِائَةِ سَهْمٍ، لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَهْمٌ كَسَهْمِ أَحَدِ الْمُسْلِمِينَ(٦)، وَهُوَ مَا غَنِمَهُ الْمُسْلِمونَ مِنْ مِنْطقتي الشِّقِّ وَالنَّطَاةَ وَمَا أُحِيزَ مَعَهُمَا، وَعَزَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ النِّصْفَ

---

(١) القلوص -بفتح القاف-: الناقة الصابرة على السير، وقيل: الشابة، وفي ذلك إشارة من النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى إخراجهم من خيبر وكان ذلك من إخباره بالغيبيات قبل وقوعها.

(٢) هزيلة: تصغير هزل، وهو ضد الجد.

(٣) صحيح: أخرجه البخاري : كتاب: الشروط، باب: إذا اشترط في المزارعة إذا شئت أخرجتك٣/ ١٩٢،حديث(٢٧٣٠).

(٤) عم حيي بن أخطب.

(٥) حسن: أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب ما جاء في حكم أرض خيبر،٤/ ٦٢٠، حديث(٣٠٠٦) وحسنه الألباني.

(٦) ابن القيم : زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/ ٢٩١.

الْآخَرَ، وَهُوَ أَلْفٌ وَثَمَانِمِائَةِ سَهْمٍ لِنَوَائِبِهِ وَمَا يَنْزِلُ بِهِ مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ ، وَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ لِهَذَا القِسْم مَا حَازَهُ الْمُسْلِمونَ مِنْ حُصُونِ: الْوَطِيحَ، وَالْكُتَيْبَةَ، والسُّلالم وَتَوَابِعَها[1].

قال البيهقي رحمه الله:

قَالَ البيهقي: وَهَذَا لِأَنَّ خَيْبَرَ فُتِحَ شَطْرُهَا عَنْوَةً وَشَطْرُهَا صُلْحًا، فَقَسَمَ مَا فُتِحَ عَنْوَةً بَيْنَ أَهْلِ الْخُمُسِ وَالْغَانِمِينَ، وَعَزَلَ مَا فُتِحَ صُلْحًا لِنَوَائِبِهِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ[2].

قال ابن القيم رحمه الله:

فَالصَّوَابُ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ أَنَّهَا فُتِحَتْ عَنْوَةً، وَالْإِمَامُ مُخَيَّرٌ فِي أَرْضِ الْعَنْوَةِ بَيْنَ قَسْمِهَا وَوَقْفِهَا، أَوْ قَسْمِ بَعْضِهَا وَوَقْفِ الْبَعْضِ، وَقَدْ فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأَنْوَاعَ الثَّلَاثَةَ، فَقَسَمَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرَ وَلَمْ يَقْسِمْ مَكَّةَ، وَقَسَمَ شَطْرَ خَيْبَرَ وَتَرَكَ شَطْرَهَا، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَقْرِيرُ كَوْنِ مَكَّةَ فُتِحَتْ عَنْوَةً بِمَا لَا مَدْفَعَ لَهُ [3].عَنْ ابْنِ عُمَرَ

---

[1] ورد هذا التقسيم في عدة أحاديث- صحيحة، صححها العلامة محمَّد ناصر الدين الألباني، أخرجها أبو داود في سننه، انظر: "سنن أبي داود"، كتاب: الخراج والإمارة والفيء، باب: ما جاء في حكم أرض خيبر.

[2] ابن القيم : زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/ ٢٩١.

[3] ابن القيم : زاد المعاد في هدي خير العباد ٣/ ٢٩٢. قلت: والأدلة ترجح كلام بن القيم رحمه الله من أنها فتحت عَنوة، وذلك لما رواه أبو داود أن رسول الله ﷺ غزا خيبر، فأصبناها عَنوة، وصححه الألباني وقد وردت أحاديث تفيد بأن بعضها فُتح عنوة وبعضها فتح صلحًا انظر: "سنن أبي داود" : ٣٠٠٩ - حدَّثنا داودُ بن معاذ، حدَّثنا عبد الوارث (ح) وحدَّثنا يعقوبُ بن إبراهيمَ وزيادُ بن أيوبَ، أن إسماعيلَ بن إبراهيمَ، حدَّثهم، عن عبد العزيز بن صُهَيبٍ عن أنس بن مالك: أن رسول الله - صلَّى الله عليه وسلم - غزا خيبرَ فأصبناها عَنْوَةً، فجُمِعَ السبْيُ .

٣٠١٧ - حدَثنا محمدُ بن يحيى بن فارسٍ، حدَّثنا عبدُ الله بن محمد، عن جُوَيريةَ، عن مالكٍ، عن الزهريِّ أن

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَسَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَيْبَرَ لِلْفَرَسِ سَهْمَيْنِ وَلِلرَّاجِلِ[1] سَهْمًا قَالَ فَسَّرَهُ نَافِعٌ فَقَالَ إِذَا كَانَ مَعَ الرَّجُلِ فَرَسٌ فَلَهُ ثَلَاثَةُ أَسْهُمٍ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فَرَسٌ فَلَهُ سَهْمٌ[2].

وَقَدْ أَسْهمَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَهْلِ السَّفِينَةِ مِنْ مُهَاجِرة الْحَبَشَةِ الَّذِينَ حَضَرُوا بَعدَ الفَتْح، جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابِه، وَلَمْ يَقْسِمْ لِأَحَدٍ لَمْ يَشْهَدْ الْفَتْحَ غَيْرَهم [3].

وَأَعْطَى النَّبِيُّ ﷺ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ مِنْ سَهْمَ ذِي الْقُرْبَى ، وَلَمْ يَقْسِمْ لِبَنِي عَبْدِ شَمْسٍ وَلَا لِبَنِي نَوْفَلٍ مِنْ ذَلِكَ السَهْم [4].

عن جُبَيرِ بن مُطْعِمٍ ﷺ قَالَ: فلَمَّا كَاد يَوْمُ خَيْبَرَ وَضَعَ رَسُولُ الله ﷺ سَهْمَ ذِي الْقُرْبَى في بني هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ، وَتَرَكَ بني نَوْفَلٍ وَبَنِي عبد شَمْسٍ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَعُثْمَانُ بن عَفَّانَ حَتَّى أَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله هَؤُلَاءِ بنو هَاشِمٍ لَا نُنْكِرُ فَضلَهُمْ لِلْمَوْضِعِ الَّذِي وَضَعَكَ الله بِهِ مِنْهُمْ، فَمَا بَالُ إِخْوَانِنَا بني الْمُطَّلِبِ أَعْطَيْتَهُمْ وَتَرَكْتَنَا وَقَرَابَتُنَا وَاحِدَةٌ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "إِنَّا وَبَنُو الْمُطَّلِبِ لَا نَفْتَرِقُ في جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ، وَإِنَّمَا نَحْنُ وَهُمْ شَيْءٌ وَاحِدٌ"، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ ﷺ [5].

سعيد بن المُسيَّب أخبره: أن رسول الله – صلَّى الله عليه وسلم – افتتح بعض خيبر عنوةً .

[1] الراجل: الذي يقاتل على رجله بلا فرس.

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر، ٥/١٣٦،حديث(٤٢٢٨).صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب كيفية قسمة الغنيمة بين الحاضرين ٣/١٣٨٣،حديث(١٧٦٢).

[3] صحيح: أخرجه البخاري ، كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر٥/١٣٨،حديث(٤٢٣٣).

[4] تُقَسَّم غنيمة المسلمين إلى خمسة أخماس: أربعة منها توزع على المقاتلين، وخمس لله ورسوله ويقسم خمسة أسهم، توزع على من ذكرهم الله في هذه الآية: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ} [الأنفال: ٤١].

[5] صحيح: أخرجه البخاري : كتاب: فرض الخمس، باب: ومن الدليل على أن الخمس للإمام وأنه يعطي بعض قرابته دون بعض، ما قسم النبي – صلى الله عليه وسلم – بني المطلب وبني هاشم من خُمس خيبر٤/٩١، حديث(٣١٤٠). وأبو داود في سننه : كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في بيان مواضع قسم

قال ابن كثير رحمه الله:

وأما سَهْمَ ذَوي الْقُرْبَى فَإِنَّهُ يُصْرَفْ إلى بَنْي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ، لأن بَنِي الْمُطَّلِبِ آزَرُوا بَنْي هَاشِمٍ فِي الجَاهِلِيَة وَفِي أَوَلِ الإِسْلامِ، وَدَخَلوا مَعَهُمْ فِى الشِّعْبِ غَضَباً لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وحماية له: مسلمهم طَاعَةً للهِ وَلِرَسُولِهِ، وَكَافِرِهِمْ حَمِيَّةً للعشيرة وَأَنَفَةً وَطَاعةً لأبْي طَالبْ عَمَّ رَسُولِ اللهِ، وَأَمَّا بَنُو عبد شَمْسٍ و بَنُو نَوْفَلٍ – وَإِنْ كَانُوا أَبْنَاءَ عَمِهِمْ– فَلَمْ يُوَافِقوهُمْ عَلَى ذَلِكَ، بَلْ حَارَبُوهمْ وَنَابَذوهُمْ، وَمَالؤوا بُطُونُ قُرَيْشٍ عَلَى حَرْبِ الرَسُولِ [1].وقد وَأعْطَى النَّبِيُّ ﷺ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ عُمَيراً مِنَ الغَنْيمَةِ وَلَمْ يُسهم لَهُ [2]. يقول عُمَيْرٌ مَوْلَى آبي اللَّحْمِ[3]: شَهِدْتُ خَيْبَرَ مَعَ سَادَتِي، فَكَلَّمُوا فِيَّ رَسُولَ الله ﷺ [4]، فَأَمَرَ بِي، فَقُلِّدْتُ سَيْفًا، فَإِذَا أَنَا أَجُرُّهُ [5]، فَأُخْبِرَ أَنِّي مَمْلُوكٌ، فَأَمَرَ لِي بِشَيءٍ مِنْ خُرْثِيِّ [6]الْمَتَاعِ [7].

وَيَرويْ أَبُو هُرَيْرَةَ قِصْةً لَهُ معَ أبان بن سَعِيدِ بن الْعَاصِ فَيَقولُ ﷺ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَبَانَ بن سَعِيدِ بن الْعَاصِ عَلَى سَرِيَّةٍ مِنْ الْمَدِينَةِ قِبَلَ نَجْدٍ، فَقَدِمَ أَبَانُ بن سَعِيدٍ

الخمس وسهم ذي القربى، واللفظ له.٤/٥٩٦، حديث(٢٩٨٠).

[1] مختصر تفسير ابن كثير: ٢/ ١٠٧.

[2] لم يُسْهم له: أي لم يعطه سهمًا معلومًا كبقية الجيش، وإنما أعطاه شيئًا من الغنيمة ترضية له، وهذا هو حكم العبد المملوك في الشريعة الإِسلامية أنه إذا قاتل مع المسلمين لا يسهم له كبقية الجنود، وإنما يعطى من الغنيمة ما يراه الأمير.

[3] قال وكيع: كان لا يأكل اللحم. اهـ. فلذلك سمي آبي اللحم.

[4] أي: في شأني وحقي بما هو مدح لي. "عون المعبود" ٧/ ٢٨٦.

[5] فإذا أنا أجُرُّه: أي أسحب السيف على الأرض من صغر سنين. عون المعبود" ٧/ ٢٨٦.

[6] خُرثَى المتاع: أي أثاث البيت كالقدر وغيره. عون المعبود" ٧/ ٢٨٦.

[7] صحيح: أخرجه أبو داود : كتاب الجهاد، باب في المرأة والعبد يُحذيان من الغنيمة،٤/٣٦٣، حديث(٢٧٣٠). اخرجه الترمذي في سننه: كتاب السير، باب هل يُسهم للعبد؟٤/١٢٧،حديث(١٥٥٧).مسند الامام احمد ٣٦/ ٢٧٠،حديث ٢١٩٤٠، وصححه الالباني.

وَأَصْحَابُهُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ بِخَيْبَرَ بَعْدَ أَنْ فَتَحَهَا، وإِنَّ حُزُمَ [١] خَيْلِهِمْ لِيفٌ، فَقَالَ أَبَانُ: اقْسِم لَنَا يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ أبو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ لَا تَقْسِمْ لَهُمْ يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ أَبَانُ: أَنْتَ بِهَا يَا وَبْرُ تَحَدَّرُ عَلَيْنَا مِنْ رَأْسِ ضَالٍ [٢]! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "اجْلِسْ يَا أَبَانُ"، وَلَمْ يَقْسِمْ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ [٣].وَكَانَتْ ثِمَار خَيْبَر كَثِيرَةً جِداً، حَتَّى إِنَّ عَبدُ اللهِ بِنْ رَوَاحَةَ ﷺ قَدَرُهَا بِأَربَعِينَ أَلْفَ وَسْقٍ.

تقدم أن النبي ﷺ صَالحَ أَهْلَ خَيبَرَ على نِصْفَ ما يَخْرُجْ مِنْ ثِمَارَهَا، فَلَمَّا كَانَ حِينَ يُصْرَمُ النَّخْلُ [٤]، بَعَثَ إِلَيْهِم النبي ﷺ عبد الله بن رَوَاحَةَ فَحَزَرَ عَلَيهِمْ النَّخْلَ [٥]، فَقَالَ: فِي ذِهْ كَذَا وَكَذَا، فقَالُوا: أَكْثَرْتَ عَلَيْنَا يَا ابْنَ رَوَاحَةَ، فَقَالَ ابن رواحة: فَأَنَا أَلِي حَزْرَ النَّخْلِ وَأُعْطِيكُمْ نِصْفَ الَّذِي قُلْتُ [٦]، قَالُوا: هَذَا الْحَقُّ وَبِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، قَدْ رَضِينَا أَنْ نَأْخُذَهُ بِالَّذِي قُلْتَ [٧].فلما قال لهم ابْنُ رَوَاحَةَ ذلك أَخَذُوا الثَّمَرَ وَعَلَيْهِمْ عِشْرُونَ أَلْفَ وَسْقٍ [٨].وَلِكَثرةِ ثِمَارِ خَيبَر، وَمَا أَخَذَه المُسْلِمونَ مِنْهَا،

---

[١] حُزُم: جمع حزام، وهو ما يُشَدُّ به الوسط.

[٢] فقال أبان: أنت بها، أي: أنت تقول بهذا، يا وَبْرُ. عن أبي حاتم أن العرب يُسمى كل دابة من حشرات الجبال وَبْرًا، وقيل هي دابة صغيرة كالهرة وحشية، تَحَدَّر علينا: أي تهجم علينا بغتة، من رأس ضال: قال ابن دقيق العيد: الضال هو السدر البري. اهـ والمعنى تنزل علينا من رأس شجر السدر.

[٣] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة خيبر،١٣٨/٥،حديث(٤٢٣٨). أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الجهاد، باب في من جاء بعد الغنيمة لا سهم له، واللفظ له ٣٥٦/٤،حديث(٢٧٢٣).

[٤] يصرم النخل: أي يقطع.

[٥] الحزر: التقدير.

[٦] المعنى: أنهم لما قالوا له: أكثرت علينا، واتهموه بالظلم وأن الثمار أقل من ذلك، فلو أعطوه عشرين ألف وَسْق وهو نصف ما قدَّره ابن رواحة سيتبقى لهم أقل من ذلك، فقال لهم ابن رواحة إذن أعطيكم أنا عشرين ألف وسق وآخذ ما تبقى.

[٧] صحيح: أخرجه أبو داود ، كتاب البيوع، باب في المساقاة، ٢٨٧/٥،حديث(٣٤١٠).اخرجه ابن ماجه : كتاب الزكاة، باب خرص النخل والعنب،٥٨٢/١، حديث(١٨٢٠) وصححه الألباني.

[٨] صحيح: أخرجه أبو داود في سننه: كتاب البيوع، باب في الخرص،٢٩٠/٥، حديث(٣٤١٥) وصححه الألباني.

كَانَ فِي ذَلكَ تَوسِعَة عَلَى المُسْلمينَ وإغناءً لَهُمْ، حتى إن عبد الله بن عُمَرَ ﷺيقول: مَا شَبِعْنَا حَتَّى فَتَحْنَا خَيْبَرَ [1]وقالت عَائِشَةَ – رضي الله عنها –: لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ، قُلْنَا: الآنَ نَشْبَعُ مِنْ التَّمْرِ[2].

وَلَمَّا وَسَّعَ اللهُ عَلى المُهَاجِرينَ وَأَخَذُوا مِنْ غَنَائِمْ خَيْبَر، رَدَّ المُهَاجِرُونَ إلى الْأَنْصَارِ مَنَائِحَهُمْ الَّتِي كَانُوا مَنَحُوهُمْ إياها حِينَ هَاجَروا مِنْ مَكَّةَ، حتى إن النَّبِيَّ ﷺ قد ردَّ عِذَاقًا [3]على أُمِّ سُلَيْمٍ كان قد أَعْطَاهُنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّ أَيْمَنَ ، فَردَّ عَلَى عَلَى أُم سُلَيْمٍ عِذاقَهَا، وأعْطَى أُمَّ أَيْمَنَ مَكَانَهُنَّ مِنْ حَائِطِهِ [4].

تحريم لحوم الحُمُر الأهلية[5]:

عَنْ سَلَمَةَ بن الْأَكْوَعِ ﷺقَالَ: فَلَمَّا أَمْسَى النَّاسُ مَسَاءَ الْيَوْمِ الَّذِي فُتِحَتْ عَلَيْهِمْ أَوْقَدُوا نِيرَانًا كَثِيرَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "مَا هَذِهِ النِّيرَانُ؟ عَلَى أَيِّ شَيءٍ تُوقِدُونَ؟ "، قَالُوا: عَلَى لَحْمٍ، قَالَ:"عَلَى أَيِّ لَحْمٍ؟ "، قَالُوا: لَحْمِ حُمُرِ الْإِنْسِيَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : "أَهْرِيقُوهَا وَاكْسِرُوهَا"، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله أَوْ نُهَرِيقُهَا وَنَغْسِلُهَا؟ قَالَ: "أَوْ ذَاكَ" [6].

---

[1] صحيح: أخرجه البخاري ، كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر٥/ ١٤٠،حديث(٤٢٤٣).

[2] صحيح: أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر ٥/ ١٤٠،حديث(٤٢٤٢).

[3] العذاق: جمع عذق، وهو عرجون النخل.

[4] متفق عليه: أخرجه البخاري : كتاب الهبة، باب فضل المنيحة، ٣/ ١٦٥،حديث(٢٦٣٠).صحيح مسلم : : كتاب الجهاد والسير، باب رد المهاجرين إلى الأنصار منائحهم من الشجر والتمر حين استغنوا عنها بالفتوح،
٣/ ١٣٩١،حديث(١٧٧١).

[5] الحمر الأهلية، ويقال الإنسية: هي الحمر المستأنسة التي تعيش في البيوت، وهي غير الحمر الوحشية.

[6] متفق عليه: أخرجه البخاري : كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر،٥/ ١٣٠،حديث(٤١٩٦).صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب غزوة خيبر، من حديث سلمة بن الأكوع – رضي الله عنه –

وعَنْ أَنَسِ بن مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ جَاءَهُ جَاءٍ، فَقَالَ: أُكِلَتْ الْحُمُرُ، فَسَكَتَ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: أُكِلَت الْحُمُرُ، فَسَكَتَ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: أُفْنِيَتْ الْحُمُرُ، فَأَمَرَ مُنَادِيًا فَنَادَى فِي النَّاسِ: إِنَّ الله وَرَسُولَهُ يَنْهَيَانِكُم عَنْ لُحُومِ الْحُمُرِ الْأَهْلِيَّةِ، فَأُكْفِئَتْ الْقُدُورُ، وَإِنَّهَا لَتَفُورُ بِاللَّحْمِ (١).

قدوم جعفر بن أبي طالب، ومن معه من مهاجري الحبشة:

عَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري ﷺقَالَ: بَلَغَنَا مَخْرَجُ النبي ﷺ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ(٢)، فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ أَنَا وَأَخَوَانِ لِي أَنَا أَصْغَرُهُمَا أَحَدُهُمَا أبو بُرْدَةَ وَالْآخَرُ أبو رُهْمٍ، إِمَّا قَالَ: بِضْعًا، وَإِمَّا قَالَ: ثَلَاثَةً وَخَمْسِينَ أَوْ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلًا مِنْ قَوْمِي، فَرَكِبْنَا سَفِينَةً، فَأَلْقَتْنَا سَفِينَتُنَا إلى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ، فَوَافَقْنَا جَعْفَرَ بن أبي طَالِبٍ، فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعًا، فَوَافَقْنَا النبي ﷺحِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ (٣).وعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري ﷺقَالَ: قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ أَنْ افْتَتَحَ خَيْبَرَ، فَقَسَمَ لَنَا، وَلَمْ يَقْسِمْ لِأَحَدٍ لَمْ يَشْهَدْ الْفَتْحَ غَيْرَنَا (٤).

١٤٢٧/٣،حديث(١٨٠٢).

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري : كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر، ١٣١/٥،حديث(٤١٩٩).صحيح مسلم : كتاب الصيد والذبائح، باب تحريم أكل لحم الحمر الإنسية١٥٤٠/٣،حديث (١٩٤٠).

(٢) أي: بلغنا مبعثه، وكان النبي – صلى الله عليه وسلم – حينها بمكة.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري ، كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر، ١٣٧/٥،حديث(٤٢٣٠). صحيح مسلم : كتاب "فضائل الصحابة" باب من فضائل جعفر بن أبي طالب ١٩٤٦/٤،حديث(٢٥٠٢).

(٤) صحيح: أخرجه البخاري ، كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر١٣٨/٥،حديث(٤٢٣٣).

قصة زواج رسول الله ﷺ من صفية بنت حُيِيِّ بن أخطب:

عَنْ أَنَسِ بن مَالِكٍ ﷺ في قصة خيبر، قَالَ: فَأَصَبْنَاهَا عَنْوَةً فَجُمِعَ السَّبْيُ فَجَاءَ دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِي الله أَعْطِنِي جَارِيَةً مِنْ السَّبْيِ، قَالَ: "اذْهَبْ فَخُذْ جَارِيَةً"، فَأَخَذَ صَفِيَّةَ بنتَ حُيَيٍّ، فَجَاءَ رَجُلٌ إلى النَّبِي ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِي الله أَعْطَيْتَ دِحْيَةَ صَفِيَّةَ بنتَ حُيَيٍّ سَيِّدَةَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ، لَا تَصْلُحُ إِلَّا لَكَ، قَالَ: "ادْعُوهُ بِهَا"، فَجَاءَ بِهَا، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: "خُذْ جَارِيَةً مِنْ السَّبْيِ غَيْرَهَا"، قَالَ: فَأَعْتَقَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَتَزَوَّجَهَا، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالطَّرِيقِ جَهَّزَتْهَا لَهُ أُمُّ سُلَيْمٍ، فَأَهْدَتْهَا لَهُ مِنْ اللَّيْلِ، فَأَصْبَحَ النَّبِيُّ ﷺ عَرُوسًا، فَقَالَ: "مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيءٌ فَلْيَجِئْ بِهِ"، وَبَسَطَ نِطَعًا فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالتَّمْرِ، وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالسَّمْنِ، قَالَ: وَأَحْسِبُهُ قَدْ ذَكَرَ السَّوِيقَ، قَالَ: فَحَاسُوا حَيْسًا، فَكَانَتْ وَلِيمَةَ رَسُولِ الله ﷺ[1].

وعن أنس أيضًا قال: أَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ خَيْبَرَ وَالْمَدِينَةِ ثَلَاثَ لَيَالٍ يُبْنَى عَلَيْهِ بِصَفِيَّةَ، فَدَعَوْتُ الْمُسْلِمِينَ إِلَى وَلِيمَتِهِ، وَمَا كَانَ فِيهَا مِنْ خُبْزٍ وَلَا لَحْمٍ، وَمَا كَانَ فِيهَا إِلَّا أَنْ أَمَرَ بِلَالًا بِالْأَنْطَاعِ فَبُسِطَتْ، فَأَلْقَى عَلَيْهَا التَّمْرَ، وَالْأَقِطَ، وَالسَّمْنَ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُهُ، قَالُوا: إِنْ حَجَبَهَا فَهِيَ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِنْ لَمْ يَحْجُبْهَا فَهِيَ مِمَّا مَلَكَتْ يَمِينُهُ، فَلَمَّا ارْتَحَلَ وَطَّأَ لَهَا خَلْفَهُ وَمَدَّ الْحِجَابَ [2].ويقول أنس ﷺ: قَدِمْنَا خَيْبَرَ، فَلَمَّا فَتَحَ الله عَلَيْهِ الْحِصْنَ،

---

[1] متفق عليه: أخرجه البخاري : كتاب: الصلاة، باب: ما يذكر في الفخذ، ١/ ٨٣،حديث(٣٧١). صحيح مسلم :كتاب النكاح، باب فضيلة إعتاقه أمة ثم يتزوجها.٣/ ١٠٤٣،حديث(١٣٦٥).

[2] صحيح: أخرجه البخاري ، كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر٥/ ١٣٥،حديث(٤٢١٣).

ذُكِرَ لَهُ جَمَالُ صفِيَّةَ بنتِ حُيَيِّ بن أَخْطَبَ، وَقَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا، وَكَانَتْ عَرُوسًا، فَاصْطَفَاهَا النَّبِيُّ ﷺ لِنَفْسِهِ فَخَرَجَ بِهَا حَتَّى بَلَغْنَا سَدَّ الصَّهْبَاءِ حَلَّتْ، فَبَنَى بِهَا رَسُولُ الله ﷺ ثُمَّ صَنَعَ حَيسًا فِي نِطَعٍ صَغِيرٍ، ثُمَّ قَالَ لِي: "آذِنْ مَنْ حَوْلَكَ"، فَكَانَتْ تِلْكَ وَلِيمَتَهُ عَلَى صَفِيَّةَ، ثُمَّ خَرَجْنَا إِلى الْمَدِينَةِ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُحَوِّي لَهَا وَرَاءَهُ بِعَبَاءَةٍ، ثُمَّ يَجْلِسُ عِنْدَ بَعِيرِهِ، فَيَضَعُ رُكْبَتَهُ، وَتَضَعُ صَفِيَّةُ رِجْلَهَا عَلَى رُكْبَتِهِ حَتَّى تَرْكَبَ [1]، وجَعَلَ النبي ﷺعِتْقَهَا صَدَاقَهَا [2].

يهودية تهدي لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شاة مسمومة :

قَامَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ الْحَارِثِ، امْرَأَةُ سَلَّامِ بْنِ مِشْكَمٍ، بإهداءِ شَاةً مَصْلِيَّةً [3] إِلى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَدْ سَأَلَتْ أَيَّ عُضْوٍ مِنْ الشَّاةِ أَحَبُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَقِيلَ لَهَا: الذِّرَاعُ، فَأَكْثَرَتْ فِيهَا مِنْ السُّمِّ، ثُمَّ سَمَّتْ سَائِرَ الشَّاةِ، ثُمَّ جَاءَتْ بِهَا، فَلَمَّا وَضَعَتْهَا بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَنَاوَلَ الذِّرَاعَ، فَلَاكَ مِنْهَا مُضْغَةً، فَلَمْ يُسِغْهَا، وَمَعَهُ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا كَمَا أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّا بِشْرٌ فَأَسَاغَهَا[4]، وَأَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَفَظَهَا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ هَذَا الْعَظْمَ لَيُخْبِرُنِي أَنَّهُ مَسْمُومٌ[5]، فَقَالَ رَسُولُ الله : "اجْمَعُوا لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ الْيَهُودِ"، فَجُمِعُوا لَهُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: "إِنِّي سَائِلُكُمْ عَنْ شَيءٍ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْهُ؟ "، فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، فَقَالَ لَهُمْ

---

[1] صحيح: أخرجه البخاري : كتاب المغازي، باب غزوة خيبر٥/ ١٣٥،حديث(٤٢١١).

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري : كتاب المغازي، باب غزوة خيبر،٥/ ١٣٢،حديث(٤٢٠٠).صحيح مسلم : كتاب النكاح، باب فضيلة إعتاقه أمه ثم يتزوجها٢/ ١٠٤٥، حديث(١٣٦٥).

[3] مصلية : مشوية .

[4] أساغها: بلعها.

[5] سيرة ابن هشام: السيرة النبوية ٢/ ٣٣٨.

رَسُولُ الله ﷺ: "مَنْ أَبُوكُم؟ "، قَالُوا: أَبُونَا فُلَانٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "كَذَبْتُمْ، بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ"، فَقَالُوا: صدَقْتَ وَبَرِرْتَ، فَقَالَ: "هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟ "، فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، وَإِنْ كَذَبْنَاكَ عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِينَا، قَالَ لَهُم رَسُولُ الله ﷺ: "مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟ "، فَقَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا ثُمَّ تَخْلُفُونَنَا فِيهَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﷺ: "اخْسَئُوا فِيهَا وَاللهِ لَا نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا"، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: "فَهَلْ أَنْتُم صَادِقِيَّ عَنْ شَيءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟ "، قَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: "هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سَمًّا؟ "، فَقَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَ: "مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟ "، فَقَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَذَّابًا نَسْتَرِيحُ مِنْكَ، وإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ [1].

وعَنْ أَنسِ بن مَالِكٍ رضي الله عنه أَن النبي ﷺ سَأَلَهَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَتْ: أَرَدْتُ لِأَقْتُلَكَ، فَقَالَ: "مَا كَانَ الله لِيُسَلِّطَكِ عَلَيَّ"، قَالَ أنس: فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ [2] رَسُولِ الله ﷺ [3].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَكَلَ مِنْهَا وَأَكَلَ الْقَوْمُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: "ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ فَإِنَّهَا أَخْبَرَتْنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ" [4].فرفض النبي قتلها في أول الأمر -كما تقدم- ثم إن بِشْرَ بن الْبَرَاءِ بن مَعْرُورٍ مات عن جرَّاء ما أكل من السم، فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ الله ﷺ

---

[1] صحيح: أخرجه البخاري ، كتاب: الطب، باب: ما يُذكر في سُمِّ النبي - صلى الله عليه وسلم - ١٣٩/٧،حديث(٥٧٧٧).

[2] لَهَوَات: جمع لهاة، وهي اللحمة الحمراء المعلقة في أصل الحنك، كأنه بقي للسم علامة في فم النبي - صلى الله عليه وسلم -.

[3] متفق عليه: أخرجه البخاري : كتاب: الهبة، باب: قبول الهدية من المشركين١٦٣/٣،حديث(٢٦١٧).صحيح مسلم : كتاب السلام، باب السَّم،حديث١٧٢١/٤،حديث(٢١٩٠).

[4] صحيح: أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الديات، باب فيمن سقى رجلاً سمًا أو أطعمه فمات أيقاد منه؟٥٦٦/٦ ، حديث(٤٥١٢) وصححه الألباني "صحيح السنن".

فَقُتِلَتْ به [1].وكان هذا السم من أسباب مرض النبي ﷺ مرض الوفاة.

المبحث الثاني

المستفاد من أحداث غزوة خيبر

المستفاد من إعطاء الرسول ﷺالراية إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

رأينا أن النبي ﷺ أعطى الراية ـ راية القتال ـ إلى علي رضي الله عنه ، وعلل ذلك : بأن الله سيفتح على يديه ، أي يفتح عليه حصن يهود خيبر، فيكون ذلك مفتاح النصر وخذلان اليهود ، ويقتضي هذا الفتح قدرة رضي الله عنه وصلاحيته ن ليكون سبباً للفتح الذي يأتي به الله تعالى . وعلى هذا ينبغي لقيادة المسلمين أن تقسم المناصب فتعطي كل واحد من الأعمال ماهو قادر عليه ومتمكناً منه كل حسب اختصاصه وكفاءته ، وهذا هو نهج الرسول ﷺ وخلفاؤه من بعده ، فقد أعطى ﷺ القيادة في بعث السرايا إلى خالد بن الوليد منذ أن اسلم ، وكذلك فعل أبو بكر مع خالد ، وأيضاً فإن كل إنسان ميسر لما خلق له . وفي بعض الأحيان قد تتحقق مصلحة العمل الإسلامي على يد العضو المرجوح ؛ لكونه معروفاً في هذا المكان ، أو له منزلة عند أهل المكان كأن يكون ابن عشيرة ، ونحو ذلك من المرجحات في اسناد العمل له مع وجود من هو أولى بالعمل منه ، وهذا الجواز في اسناد العمل للمفضول مع وجود الفاضل ، مشروط بتحقق الحد الأدنى من الصفات والشروط المطلوبة لذلك العمل [2].

---

[1] صحيح: أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الديات، باب فيمن سقى رجلاً سمًا أو أطعمه فمات أيقاد منه؟٦/٥٦٥ ، حديث(٤٥١١) وصححه الألباني "صحيح السنن".

[2] زيدان ، عبد الكريم :المستفاد من قصص القرآن٢/٣٧٧.

المستفاد من ابقاء اليهود في خيبر لزراعتها ورعاية شجرها:

أن خيبر كانت واسعة الأطراف وفيها من الحدائق والمزارع ما يحتاج للأيدي الكثيرة التي مارست أشغال الزراعة والفلاحة، ولم يكن من العرب من مارس ذلك إلا النزر اليسير. وفوق ذلك لم يرض الرسول أن يترك من أنصاره من يستوطن هذه الأرض ويعمل بها لاحتياجه إليهم في الأعمال الحربية، ولم يكن في الإمكان ترك هذه الأرض الخصبة بورا لا تنتج زرعا ولا ثمرا والدولة الإسلامية الناشئة كانت في أشد الحاجة إلى الأموال الكثيرة، فلم يكن بد من الإبقاء على اليهود ليعملوا في هذه الأرض وينتجوا منها الزرع والثمر، ولذا كانت شروط الصلح التي عقدت بين الطرفين في مصلحة المسلمين أكثر منها في جانب المغلوبين، وما دامت شوكة اليهود في الحجاز قد انكسرت فليس ما يخشى من وجود يهود خيبر في أراضيهم[1].

المستفاد من خطة الرسول ﷺ في الاستيلاء على حصون اليهود:

كانت خطة الرسول ﷺ في الاستيلاء على حصون اليهود المنيعة في خيبر تتلخص بمشاغلة بعضها بقوات صغيرة، وتركيز الهجوم على حصن واحد بقواته الرئيسية حتى يتم له الاستيلاء على الحصن ثم ينتقل بهجومه المركز إلى حصن آخر، كما أنه قسم قواته إلى أقسام بالنسبة إلى قبائلها وبطونها، وجعل لكل قسم قائدا حتى

---

[1] ولفنسون ، اسرائيل :تاريخ اليهود ، ص١٦٩.

يشتد التنافس بين القوات ولكي يقوم بعضها بالمشاغلة بينما يأخذ الباقي قسطا من الراحة ليستأنف القتال مرتاحا عند الحاجة. إن هذه الخطة تتفق مع أحدث الخطط العسكرية الحديثة في قتال المدن والأحراش، ولو أنه قام بالقتال بأسلوب الكر والفر أو بأسلوب الصفوف في مثل هذا الموقف لما كتب للمسلمين النصر [1] .

المستفاد من استنفار الرسول ﷺ في غزوة خيبر الراغبين في الجهاد فقط بدون الغنائم:

استنفر الرسول ﷺ في غزوة خيبر الراغبين لها في الجهاد فحسب دون الغنائم. ذلك أن يهود خيبر كانوا أقوى الطوائف اليهودية بأسا وأعظمها دربة على القتال، ولذلك وقفت شبه الجزيرة كلها متطلعة إلى هذه الغزوة. وكان كثيرون يتوقعون أن تدور الدائرة على المسلمين [2].وكان النبي ﷺ يدرك أنه لو فشل أمام خيبر فسيتغير ميزان القوى من جديد وربما حدثت نكسة أعادت لأعدائه قوتهم وحماستهم لقتاله، وحالت دون إتمام الوحدة التي يعمل لها النبي ويسعى إليها، لذلك كان يريد جيشا مؤمنا بأهدافه مقدرا للظروف.. يريد سيوفا تحركها قوة النفس لا جشعها، وكان جيش محمد كما أراده، قليلا بعدده كثيرا بإيمان رجاله وثبات نفوسهم وتصميمهم على الوصول لأهدافهم[3].

---

[1] شيت خطاب، الرسول القائد ص ٢٠٨- ٢٠٩.

[2] ولفنسون ، اسرائيل :تاريخ اليهود ، ص١٦٢.

[3] الشريف ، احمد ابراهيم : مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول ، ص٤٩٥.

المستفاد من زواج رسول الله ﷺ من صفية بنت حيي بن أخطب:

وكان زواج رسول الله ﷺ بصفية فيه حكمة عظيمة، فهو لم يرد بزواجه منها قضاء شهوة، أو إشباعًا لغريزة، كما يزعم الأفاكون، وإنما أراد إعزازها وتكريمها، وصيانتها من أن تفترش لرجل لا يعرف لها شرفها ونسبها في قومها، وهذا إلى ما فيه من العزاء لها، قد قتل أبوها من قبل، وزوجها وكثير من قومها، ولم يكن هناك أجمل مما صنعه الرسول معها، كما أن فيه رباط المصاهرة بين النبي واليهود عسى أن يكون هذا ما يخفف من عدائهم للإسلام والانضواء تحت لوائه والحد من مكرهم وسعيهم بالفساد[1].

المستفاد من جعل رسول الله ﷺ هدفه أول الأمر السيطرة على الطريق الواصل بين خيبر وغطفان:

جعل الرسول ﷺهدفه أول الأمر السيطرة على الطريق الواصل بين خيبر وغطفان ليحول بين هؤلاء وبين أن يمدوا حلفاءهم في خيبر. وكان بنو غطفان، لدى سماعهم بتوجه الرسول إلى خيبر، قد خرجوا ليساندوا اليهود ضده لقاء نصف ثمار خيبر لذلك العام، فاضطرهم الرسول ﷺ للعودة إلى ديارهم بعد أن أوهمهم أن

---

[1] الصلابي : السيرة النبوية ٣/٤٩٨.

هجومه متجه إليهم، ومن ثم انفرد بخيبر وباغتها فجرا حيث كان أهلوها ورجالها قد خرجوا إلى مزارعهم بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوا الرسول ﷺيقود جيش المسلمين تمالكهم الخوف ونادوا «محمد والخميس» وهربوا لائذين بحصونهم، وهيؤوا أنفسهم لحصار طويل، فنادى الرسول ﷺملقيا مزيدا من الرعب في قلوبهم: «الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين» [1] .

بعض الأحكام الفقهية المتعلقة بالغزوة:

وردت في غزوة خيبر أحكام شرعية كثيرة منها:

١- تحريم أكل لحوم الحمر الأنسية: عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ نهى يوم خيبر عن لحوم الحمر الأهلية[2] .

٢- حرمة وطء السبايا الحوامل: قال رسول الله ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسق ماءه زرع غيره» [3] .

٣- حرمة وطء السبايا غير الحوامل قبل استبراء الرحم: قال رسول الله ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يقع على امرأة من السبي حتى يستبرئها» [4] .

والاستبراء إنما يكون بأن تطهر من حيضة واحدة فقط، ولا تجب عليها العدة

---

[1] ابن كثير : السيرة النبوية ٣/٣٧١. الصلابي : السيرة النبوية ١/٦٩٩. الغضبان : المنهج الحركي للسيرة النبوية ٣/٦٢.

[2] أبن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد٣/٣٠٥. أخرجه البخاري ، كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر، ٥/١٣٥،حديث(٤٢١٥).

[3] رواه الطبراني في معجمه الكبير:٥/٢٦، حديث (٤٤٨٢).

[4] محمد المباركفوري ، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ١٠/١٧٣.

وإن كانت متزوجة من كافر سواء مات أو بقي حيًّا؛ لأن العدة وفاء الزوج الميت وحداد عليه، ولا يحد على الكافر كما علمت[1].

٤- حرمة ربا الفضل: عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ استعمل رجلا على خيبر، فجاءه بتمر جنيب فقال رسول الله ﷺ: «كل تمر خيبر هكذا؟» فقال: لا والله يا رسول الله، إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين والثلاثة، فقال: «لا تفعل بِعِ الجمع بالدراهم، ثم ابتع بالدراهم جنيبًا»[2]. فالتفاضل مع اتحاد الجنس هو ربا الفضل، إذ اشترى صاعًا بأكثر من صاع، فالزيادة هنا هي الربا، وهذا محرم، كما رأيت إذ نهى النبي ﷺ عن ذلك وأرشد إلى الحل السليم بأن يبيع ما لديه من تمر ثم يشتري بما لديه من نقود ما يشتهي من تمر؛ لأن الحاجة قد تدفع صاحبها إلى قبول الربا[3].

٥- حرمة بيع الذهب بالذهب العين، وتبر الفضة بالورق العين: روى عن عبادة بن الصامت أنه قال: نهانا رسول الله يوم خيبر أن نبيع أو نبتاع تبر الذهب بالذهب العين، وتبر الفضة بالورق العين، وقال «ابتاعوا تبر الذهب بالورق والعين، وتبر الفضة بالذهب والعين»[4]. والمراد من الحديث: أن يباع الذهب بالذهب مثلاً بمثل والفضة بالفضة مثلاً بمثل، بلا زيادة ولا نقص، وعندما يقابل الذهب بالفضة لا تشترط المماثلة، كما هو معلوم وثابت في الصحاح[5].

---

[1] أبو فارس،محمد عبد القادر: الصراع مع اليهود ٣/ ١٣٤.

[2] صحيح: أخرجه البخاري ، كتاب: المغازي، باب: استعمال النبي - صلى الله عليه وسلم - على أهل خيبر ٥/ ١٤٠،حديث(٤٢٤٤، ٤٢٤٥).

[3] أبو فارس،محمد عبد القادر: الصراع مع اليهود٣/ ١٣٤.

[4] ابن هشام : السيرة النبوية ٢/ ٣٣٢.

[5] فيض الله،محمد فوزي: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ، ص٣٢١.

٦- مشروعية المساقاة والمزارعة: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أعطى النبي ﷺ خيبر لليهود أن يعملوها ويزرعوها، ولهم شطر ما يخرج منها[١].

وقد تساءل بعض الباحثين: لِمَ جاءت أحكام هذه البيوع في خيبر وما الحكمة من ذلك؟ وأجاب الشيخ محمد أبو زهرة على هذا فقال: إن فتح خيبر كان فتحًا جديدًا بالنسبة للعلاقات المالية التي يجري في ظلها التبادل المالي، فكانت فيها شرعية المزارعة والمساقاة ولم تكن تجري كثيرًا في يثرب[٢].

٧- حل أكل لحوم الخيل: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله ﷺ يوم خيبر عن أكل لحوم الحمر، ورخص في الخيل[٣].

٨- تحريم المتعة: عن علي رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ نهى عن متعة النساء يوم خيبر[٤].

٩- نَهَى رسول الله ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ عَنْ أَكْلِ الثُّومِ[٥].

١٠- مشاركة المرأة في غزوة خيبر: روت أمية بنت أبي الصلت عن امرأة من بني غفار قالت: أتيت رسول الله ﷺ في نسوة من بني غفار فقلن: يا رسول الله قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا -وهو السير إلى خيبر- فنداوي الجرحى ونعين

---

[١] البخاري، كتاب المغازي، بَاب مُعَامَلَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْلَ خَيْبَرَ، ٥/١٤٠،حديث ٤٢٤٨.

[٢] أبو زهرة، الشيخ محمد : خاتم النبيين ﷺ٣/٨٢١. أبو فارس، محمد عبد القادر: الصراع مع اليهود ٣/١٣٦.

[٣] البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ٥/١٣٦، حديث ٤٢١٩.

[٤] متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر، ٥/١٣٥، حديث(٤٢١٦).صحيح مسلم : كتاب النكاح، باب نكاح المتعة،٢/١٠٢٧،حديث(١٤٠٧).

[٥] متفق عليه: أخرجه البخاري ، كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر، ٥/١٣٥،حديث(٤٢١٥).صحيح مسلم : كتاب المساجد، باب نهى من أكل ثومًا أو بصلاً أو كراثًا أو نحوها مما له من رائحة كريهة عن حضور المسجد حتى تذهب تلك الريح وإخراجه من المسجد،١/٣٩٣،حديث(٥٦١).النهي عن أكل الثوم للكراهة لا للتحريم، وعلل النبي - صلى الله عليه وسلم - هذا بأن ريحها يؤذي الناس كما يؤذي الملائكة أيضًا.

المسلمين بما استطعنا، فقال: على بركة الله، قالت: فخرجنا معه، قالت: فوالله لنزل رسول الله ﷺ إلى الصبح ونزلت عن حقيبة رحله، قالت: وإذا بها دم مني وكانت أول حيضة حضتها، قالت: فتقبضت إلى الناقة واستحييت، فلما رأى رسول الله ﷺ ما بي ورأى الدم قال: «ما لك؟ لعلك نفست؟» قالت: قلت: نعم؟ قال: «فأصلحي من نفسك ثم خذي إناء من ماء فاطرحي فيه ملحا ثم اغسلي ما أصاب الحقيبة من الدم، ثم عودي لمركبك» قالت: فلما فتح الله خيبر رضخ لنا من الفيء، وأخذ هذه القلادة التي ترين في عنقي فأعطانيها وعلقها بيده في عنقي، فوالله لا تفارقني أبدًا[1] ، وكانت في عنقها حتى ماتت، ثم أوصت أن تدفن معها، قالت: وكانت لا تطهر من حيضها، إلا جعلت في طهرها ملحًا، وأوصت به أن يجعل في غسلها حين ماتت[2] . وهي صورة حية أمام كل فتاة مسلمة، تحرص على أن تشارك في أجر الجهاد مع المسلمين[3] .

وهكذا كانت حياة الرسول ﷺ تعليمًا وتربية للأمة في السلم والحرب على معاني العقيدة وحقيقة العبادة، وهذا غيض من فيض وجزء من كل. هذا وقد أحدث فتح خيبر وفدك ووادي القرى وتيماء دويًّا هائلاً في الجزيرة العربية ، أما القبائل العربية الأخرى المناصرة لقريش فقد جنحت إلى مسالمة المسلمين وموادعتهم بعد أن أدركت عدم جدوى استمرارها في عدائهم، مما فتح الباب واسعًا لنشر الإسلام في أرجاء الجزيرة العربية، بعد أن تعززت مكانة المسلمين في أعين أعدائهم إلى جانب ما تحقق له من خير وتعزيز لوضعهم الاقتصادي[4] .

---

[1] ابن كثير: البداية والنهاية٦/٣١٢.

[2] ابن هشام : السيرة النبوية ٢/٣٤٣.

[3] الغضبان،منير محمد : فقه السيرة النبوية ، ص٥٣٤.

[4] الصلابي : فقه السيرة النبوية ١/٧١٣.

الفصل الثامن

دعوة الملوك والأمراء

تمهيد:

لَمْ يَكْتَفِ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِمَا حَقَقَهُ بَعْدَ صُلْحِ الحُدَيْبِيَة معَ قُرَيْش وَمَا تَلا ذَلِكَ مِنْ إِخْضَاعِ يَهُود شَمال الحِجَاز فِي خَيْبَر وَوَادِي القُرَى وَتَيمَاء وَفدَك إِلَى السِّيَادَةِ الإِسْلامِيَّة ،بَلْ عَمَدَ إِلَى نَشْرِ الإِسْلامِ خَارِج حُدودِ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَة، وَقَدْ عَبَّرَ عَلَيهِ الصَلاةِ وَالسَّلامِ عَنْ هَذَا المَنْهَج قَوْلاً وَعَمَلاً مِنْ خِلالِ إِرْسَالِهِ عَدَداً مِنَ الرُسُلِ وَالمَبْعُوثِينَ إِلَى أُمَرَاءِ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَةِ وَإِلَى مُلُوكِ العَالَمِ المُعَاصِر خَارِج الجَزْيرَةِ العَرَبِيَة. وَقَدْ حَقَقَتْ هَذِه السِّيَاسَةِ إِلَى ابْتِكَارِ أُسْلوبٍ جَديدٍ فِي التَعامُل الدُّوَلِي لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُه العَرَب وَلا غَيرِهِمْ مِنَ الشُعوبِ مِنْ قَبْلُ، وَأَضْحتْ لِلدَولَةِ الإِسْلامِيَّةِ مَكَانَتها وَقُوَتَها عَلَى المَسْرَحِ السِّيَاسِي الدَاخِلي ، وَفَرَضَتْ وُجودَهَا عَلَى السَّاحَةِ السِّيَاسِّيَة الدَّولِيَةِ . وَسَتَتناوَل فِي هَذا الفَصْل أَهَم الكُتبْ الَّتِي ارْسَلَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى المُلوكِ وَالأُمَرَاءِ وَالمُسْتَفادِ مِنْهَا فِي مَبْحَثَيْنِ مُتَتَالِيينِ وَكَمَا يَلِي :

المَبْحَث الأَوَل : مُكَاتَبَةِ المُلوك وَالأُمَرَاء.

المبحث الثاني : المُسْتَفاد مِنْ رَسَائِل رَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى المُلوك وَالأُمَرَاء.

المبحث الأول

مكاتبة الملوك والأمراء

أَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رُسُلَهُ إِلى المُلوكِ وَالأُمَرَاءِ المُحِيطينَ بِالجَزيرَةِ غَرَّة المُحَرَّم سَنَة سَبْعٍ مِنَ الهِجْرَةِ قَبْلَ الخُروجِ إِلَى خَيْبَر بَأيَامٍ[1]، دَعَاهُمْ فِيهَا إِلَى الإِسْلامِ[2] وَرَغَّبَهمْ وَرَهَّبهمْ ، وَفِيمَا يَلي نُصوصِ هَذِه الكُتُب ، وَبَعْض مَا تَمَخَضتْ عَنهُ:

١ - الكتاب إلى النجاشي ملك الحبشة :

وَهَذَا النَّجَاشِيّ اسْمُهُ أَصْحَمَة بِنْ الأبْجَر، كَتَبَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ .

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى النَّجَاشِيِّ الْأَصْحَمِ مَلِكِ الْحَبَشَةِ أَسْلِمْ أَنْتَ فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مريم الْبَتُولِ الطَّيِّبَةِ الْحَصِينَةِ، فَحَمَلَتْ بِعِيسَى فَخَلَقَهُ اللَّهُ مِنْ رُوحِهِ وَنَفَخَهُ، كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْمُوَالَاةِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَأَنْ تَتْبَعَنِي وَتُؤْمِنَ بِالَّذِي جَاءَنِي، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَإِنِّي أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَدْ بَلَّغْتُ

---

[1] المنصورفوري: رحمة للعالمين ١/ ١٧١.

[2] عَنْ أَنَسِ بن مالك - رضي الله عنه - أَنَّ نَبِيَّ الله - صلى الله عليه وسلم - كَتَبَ إلى كِسْرَى وإِلَى قَيصَرَ وإِلَى النَّجَاشِيِّ وإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ يَدْعُوهُمْ إلى الله تَعَالَى. صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب كُتُب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى ملوك الكفار، يدعوهم إلى الله - عز وجل - حديث(١٧٧٤).

وَنَصَحْتُ فَاقْبَلُوا نَصِيحَتِي، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى[1] .

فَقَالَ النَّجَاشِيُّ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ أَنَّهُ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي يَنْتَظِرُهُ أَهْلُ الْكِتَابِ، وَأَنَّ بِشَارَةَ مُوسَى بِرَاكِبِ الْحِمَارِ كَبِشَارَةِ عِيسَى بِرَاكِبِ الْجَمَلِ، وَأَنَّ الْعِيَانَ لَيْسَ بِأَشْفَى مِنَ الْخَبَرِ، ثُمَّ كَتَبَ النَّجَاشِيُّ جَوَابَ كِتَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ مِنَ النَّجَاشِيِّ أصحمة سَلَامٌ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَمَّا بَعْدُ: فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِيمَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ عِيسَى، فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ عِيسَى لَا يَزِيدُ عَلَى مَا ذَكَرْتَ ثُفْرُوقًا إِنَّهُ كَمَا ذَكَرْتَ، وَقَدْ عَرَفْنَا مَا بُعِثْتَ بِهِ إِلَيْنَا، وَقَدْ قَرَّبْنَا ابْنَ عَمِّكَ وَأَصْحَابَهُ فَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَادِقًا مُصَدَّقًا، وَقَدْ بَايَعْتُكَ وَبَايَعْتُ ابْنَ عَمِّكَ، وَأَسْلَمْتُ عَلَى يَدَيْهِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ "[2].

٢ـ الكتاب إلى المقوقس ملك مصر:

وكَتَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُقَوْقَسِ، جُرَيْجُ بْنُ مِينَاءَ مَلِكُ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ وعَظِيمِ الْقِبْطِ:

«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى المقوقس عَظِيمِ الْقِبْطِ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْقِبْطِ ﴿يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [3]".

---

[1] ابن القيم :زاد المعاد ٣/ ٦٠١.

[2] ابن القيم :زاد المعاد ٣/ ٦٠٢.

[3] سورة آل عمران: الآية ٦٤.

وَبَعَثَ بِهِ مَعَ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ: إِنَّهُ كَانَ قَبْلَكَ رَجُلٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ الرَّبُّ الْأَعْلَى فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى، فَانْتَقَمَ بِهِ ثُمَّ انْتَقَمَ مِنْهُ، فَاعْتَبِرْ بِغَيْرِكَ وَلَا يَعْتَبِرْ غَيْرُكَ بِكَ. فَقَالَ: إِنَّ لَنَا دِينًا لَنْ نَدَعَهُ إِلَّا لِمَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، فَقَالَ حاطب: نَدْعُوكَ إِلَى دِينِ اللَّهِ، وَهُوَ الْإِسْلَامُ الْكَافِي بِهِ اللَّهُ فَقَدْ مَا سِوَاهُ، إِنَّ هَذَا النَّبِيَّ دَعَا النَّاسَ، فَكَانَ أَشَدَّهُمْ عَلَيْهِ قُرَيْشٌ، وَأَعْدَاهُمْ لَهُ الْيَهُودُ، وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ النَّصَارَى، وَلَعَمْرِي مَا بِشَارَةُ مُوسَى بِعِيسَى إِلَّا كَبِشَارَةِ عِيسَى بِمُحَمَّدٍ، وَمَا دُعَاؤُنَا إِيَّاكَ إِلَى الْقُرْآنِ إِلَّا كَدُعَائِكَ أَهْلَ التَّوْرَاةِ إِلَى الْإِنْجِيلِ وَكُلُّ نَبِيٍّ أَدْرَكَ قَوْمًا فَهُمْ مِنْ أُمَّتِهِ، فَالْحَقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يُطِيعُوهُ وَأَنْتَ مِمَّنْ أَدْرَكَهُ هَذَا النَّبِيُّ، وَلَسْنَا نَنْهَاكَ عَنْ دِينِ الْمَسِيحِ، وَلَكِنَّا نَأْمُرُكَ بِهِ. فَقَالَ المقوقس: إِنِّي قَدْ نَظَرْتُ فِي أَمْرِ هَذَا النَّبِيِّ فَوَجَدْتُهُ لَا يَأْمُرُ بِمَزْهُودٍ فِيهِ، وَلَا يَنْهَى عَنْ مَرْغُوبٍ فِيهِ، وَلَمْ أَجِدْهُ بِالسَّاحِرِ الضَّالِّ، وَلَا الْكَاهِنِ الْكَاذِبِ، وَوُجِدَتْ مَعَهُ آيَةُ النُّبُوَّةِ بِإِخْرَاجِ الْخَبْءِ، وَالْإِخْبَارِ بِالنَّجْوَى، وَسَأَنْظُرُ. وَأَخَذَ كِتَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَهُ فِي حُقٍّ مِنْ عَاجٍ وَخَتَمَ عَلَيْهِ وَدَفَعَهُ إِلَى جَارِيَةٍ لَهُ، ثُمَّ دَعَا كَاتِبًا لَهُ يَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ فَكَتَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مِنَ المقوقس عَظِيمِ الْقِبْطِ سَلَامٌ عَلَيْكَ، أَمَّا بَعْدُ: فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ فِيهِ وَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ نَبِيًّا بَقِيَ، وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنَّهُ يَخْرُجُ بِالشَّامِ، وَقَدْ أَكْرَمْتُ رَسُولَكَ وَبَعَثْتُ إِلَيْكَ بِجَارِيَتَيْنِ لَهُمَا مَكَانٌ فِي الْقِبْطِ عَظِيمٌ، وَبِكِسْوَةٍ، وَأَهْدَيْتُ إِلَيْكَ بَغْلَةً لِتَرْكَبَهَا، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ. وَلَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا، وَلَمْ يُسْلِمْ، وَالْجَارِيَتَانِ مارية وسيرين وَالْبَغْلَةُ دُلْدُلُ بَقِيَتْ إِلَى زَمَنِ معاوية[1].

---

[1] ابن القيم :زاد المعاد ٣/٦٠٣.

٣-الكتاب إلى كسرى ملك فارس :

كَتَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى كِسْرَى مَلِكْ فَارِس:

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ الله إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِسَ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، وَآمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَن مُحَمَّد عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَدْعُوكَ بِدُعَايَة اللَّهِ، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً لِأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ.

أَسْلِمْ تَسْلَمْ فإِنْ أَبَيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمَ الْمَجُوسِ » [١] .واخْتَارَ لِحَمْلِ هَذَا الكِتَاب عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْفَعَهُ إِلَى عَظِيمِ الْبَحْرَيْنِ[٢] فَدَفَعَهُ عَظِيمُ الْبَحْرَيْنِ إِلَى كِسْرَى فَلَمَّا قَرَأَهُ مَزَّقَهُ ، فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ [٣].

٤ـ الكتاب إلى قيصر ملك الروم :

أَرْسَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابَهُ إلى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ واخْتَارَ لِحَمْلِ هَذَا الكِتَاب دِحْيَةَ بْنِ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيّ ، وَلَمَّا وَصلَ هِرَقْلَ كِتابُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْسَلَ إلى أبي سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ - وَكَانَ لا يَزَال عَلَى الشِّرْكِ - في رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا تِجَارًا بِالشَّأْمِ فِي الْمُدَّة الَّتِي كَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ[٤] ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ [٥]، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ

---

[١] المواهب اللدنية بالمنح المحمدية١/٥٤٢.

[٢] وهو ملك البحرين المنذر بن ساوى.

[٣] صحيح البخاري: كتاب العلم ، باب قول المتحدث حدثنا١/٢٤، حديث ٦٤.

[٤] في المدة التي مادَّ فيها أبا سفيان أي: في الهدنة وهي هدنة الحديبية.

[٥] إيلياء: اسم مدينة ومعناه بيت الله.

عُظَمَاءُ الرُّومِ ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أبو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ: أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا، فَقَالَ: أَدْنُوهُ مِنِّي وَقَرِّبُوا أَصحَابَهُ فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ، فَوَاللهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَى كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ، ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ: كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ، قَالَ: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنكُم أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ فَقُلْتُ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ، قَالَ: أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ قُلْتُ: بَلْ يَزِيدُونَ، قَالَ: فَهَلْ يَرْتَدُّ أحدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قُلْتُ: لَا، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا. قَالَ: وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، قَالَ: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟ قُلْتُ: الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ، قَالَ: مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ قُلْتُ: يَقُولُ: اعْبُدُوا الله وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيئًا وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالصِّلَةِ، فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ: قُلْ لَهُ: سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا، وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنكُمْ هَذَا الْقَوْلَ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ، لَقُلْتُ: رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، قُلْتُ: فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ، قُلْتُ: رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا، فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى الله، وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّ

ضُعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ، وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَم يَنْقُصُونَ فَذَكَرْتَ أَنَّهُم يَزِيدُونَ وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ، وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ، وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ، فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ[1]، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ، ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ - صلى الله عليه وسلم - الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ، فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ: "بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عبد الله وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ[2]،﴿قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[3] ".

قَالَ أبو سُفْيَانَ: فَلَمَّا قَالَ مَا قَالَ وَفَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ كَثُرَ عِنْدَهُ الصَّخَبُ وَارْتَفَعَتْ الْأَصْوَاتُ وَأُخْرِجْنَا، فَقُلْتُ لأصحابي حِينَ أُخْرِجْنَا: لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أبي كَبْشَةَ[4]إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بني الْأَصْفَرِ، فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللهُ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ.

---

[1] لتجشمت لقاءه: لتكلفت لقاءه.

[2] الأريسيون: الفلاحون وكان أغلب الروم يعملون بالزراعة.

[3] سورة آل عمران: الآية ٦٤.

[4] أبو كبشة: أحد أجداد النبي نسبه أبو سفيان إليه.

وَكَانَ ابْنُ النَّاظُورِ صَاحِبُ إِيلِيَاءَ وَهِرَقْلَ سُقُفًّا عَلَى نَصَارَى الشَّأْمِ يُحَدِّثُ أَنَّ هِرَقْلَ حِينَ قَدِمَ إِيلِيَاءَ، أَصْبَحَ يَوْمًا خَبِيثَ النَّفْسِ، فَقَالَ بَعْضُ بَطَارِقَتِهِ: قَدْ اسْتَنْكَرْنَا هَيْئَتَكَ، قَالَ ابْنُ النَّاظُورِ: وَكَانَ هِرَقْلُ حَزَّاءً [1] يَنْظُرُ فِي النُّجُومِ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ سَأَلُوهُ: إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ حِينَ نَظَرْتُ فِي النُّجُومِ مَلِكَ الْخِتَانِ قَدْ ظَهَرَ فَمَنْ يَخْتَتِنُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟ قَالُوا: لَيْسَ يَخْتَتِنُ إِلَّا الْيَهُودُ فَلَا يُهِمَّنَّكَ شَأْنُهُمْ وَاكْتُبْ إِلَى مَدَايِنِ مُلْكِكَ فَيَقْتُلُوا مَنْ فِيهِمْ مِنَ الْيَهُودِ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى أَمْرِهِمْ أُتِيَ هِرَقْلُ بِرَجُلٍ أَرْسَلَ بِهِ مَلِكُ غَسَّانَ يُخْبِرُ عَنْ خَبَرِ رَسُولِ الله - صلى الله عليه وسلم - فَلَمَّا اسْتَخْبَرَهُ هِرَقْلُ، قَالَ: اذْهَبُوا فَانْظُرُوا أَمُخْتَتِنٍ هُوَ أَمْ لَا؟ فَنَظَرُوا إِلَيْهِ فَحَدَّثُوهُ أَنَّهُ مُخْتَتِنٌ، وَسَأَلَهُ عَنِ الْعَرَبِ، فَقَالَ: هُمْ يَخْتَتِنُونَ، فَقَالَ هِرَقْلُ: هَذَا مُلْكُ هَذِهِ الْأُمَّةِ قَدْ ظَهَرَ، ثُمَّ كَتَبَ هِرَقْلُ إِلَى صَاحِبٍ لَهُ بِرُومِيَةَ وَكَانَ نَظِيرَهُ فِي الْعِلْمِ وَسَارَ هِرَقْلُ إِلَى حِمْصَ فَلَمْ يَرِمْ حِمْصَ حَتَّى أَتَاهُ كِتَابٌ مِنْ صَاحِبِهِ يُوَافِقُ رَأْيَ هِرَقْلَ عَلَى خُرُوجِ النَّبِيِّ وَأَنَّهُ نَبِيٌّ فَأَذِنَ هِرَقْلُ لِعُظَمَاءِ الرُّومِ فِي دَسْكَرَةٍ [2] لَهُ بِحِمْصَ ثُمَّ أَمَرَ بِأَبْوَابِهَا فَغُلِّقَتْ، ثُمَّ اطَّلَعَ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرُّشْدِ وَأَنْ يَثْبُتَ مُلْكُكُمْ فَتُبَايِعُوا هَذا النَّبِيَّ، فَحَاصُوا [3] حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلى الأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِّقَتْ، فَلَمَّا رَأَى هِرَقْلُ نَفْرَتَهُمْ وَأَيِسَ مِنَ الْإِيمَانِ، قَالَ: رُدُّوهُمْ عَلَيَّ، وَقَالَ: إِنِّي قُلْتُ مَقَالَتِي آنِفًا أَخْتَبِرُ بِهَا شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ فَقَدْ رَأَيْتُ، فَسَجَدُوا لَهُ وَرَضُوا عَنْهُ فَكَانَ ذَلِكَ آخِرَ شَأْنِ هِرَقْلَ [4].

---

[1] حزاء: كاهن.

[2] الدسكرة: بناء على هيئة القصر، وهي كلمة ليست عربية.

[3] حاصوا: أي نفروا كالحمر.

[4] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب رقم (٥)،١/ ١٠حديث(٧). صحيح مسلم :كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام،٣/١٣٩٣،حديث (١٧٧٣).

وعَنْ أَنَسٍ – رضي الله عنه – قَالَ: لَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَكْتُبَ إلى الرُّومِ قِيلَ لَهُ إِنَّهُمْ لَنْ يَقْرَءُوا كِتَابَكَ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَخْتُومًا، فَاتَّخَذَ خَاتَمًا مِنْ فِضَّةٍ وَنَقْشُهُ مُحَمَّد رَسُولُ الله، فَكَأَنَّمَا أَنْظُرُ إلى بَيَاضِهِ في يَدِهِ [1].

وَكَانَ نَقْشُ الْخَاتَمِ ثَلَاثَةَ أَسْطُرٍ، مُحَمَّد سَطْرٌ، وَرَسُولُ سَطْرٌ، وَاللهِ سَطْرٌ[2] .

٥-الكتاب إلى المنذر بن ساوى:

وكَتَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ ساوى حاكم الْبَحْرَيْنِ كِتَابًا يَدْعُوهُ فِيهِ إِلَى الْإِسْلَامِ وبَعَثَ إِلَيهِ الْعَلَاءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ بِذَلكَ الكِتَابِ ، فَكَتَبَ الْمُنْذِرِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَّا بَعْدُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَإِنِّي قَرَأْتُ كِتَابَكَ عَلَى أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَحَبَّ الْإِسْلَامَ وَأَعْجَبَهُ، وَدَخَلَ فِيهِ وَمِنْهُمْ مَنْ كَرِهَهُ وَبِأَرْضِي مَجُوسٌ وَيَهُودُ، فَأَحْدِثْ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ أَمْرَكَ[3]، فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَى، سَلَامٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّاغَيْرُهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أُذَكِّرُكَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ مَنْ يَنْصَحْ فَإِنَّمَا يَنْصَحُ لِنَفْسِهِ، وَإِنَّهُ مَنْ يُطِعْ رُسُلِي وَيَتَّبِعْ أَمْرَهُمْ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ نَصَحَ لَهُمْ فَقَدْ نَصَحَ لِي، وَإِنَّ رُسُلِي قَدْ أَثْنَوْا عَلَيْكَ خَيْرًا، وَإِنِّي قَدْ شَفَعْتُكَ فِي قَوْمِكَ، فَاتْرُكْ لِلْمُسْلِمِينَ مَا أَسْلَمُوا عَلَيْهِ، وَعَفَوْتُ عَنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَإِنَّكَ مَهْمَا

---

[1] صحيح: أخرجه البخاري :كتاب اللباس، باب اتخاذ الخاتم ليختم به الشيء، أو ليكتب به إلى أهل الكتاب وغيرهم٧/١٥٧،حديث(٥٨٧٥).

[2] صحيح: أخرجه البخاري : كتاب اللباس، باب هل يُجعل نقش الخاتم ثلاثة أسطر. ٧/١٥٨،حديث(٥٨٧٨).

[3] محمد الانصاري: المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي٢/٢٨٠.

تُصْلِحْ فَلَنْ نَعْزِلَكَ عَنْ عَمَلِكَ، وَمَنْ أَقَامَ عَلَى يَهُودِيَّةٍ أَوْ مَجُوسِيَّةٍ فَعَلَيْهِ الْجِزْيَةُ»)[1].

٦ـ الكتاب إلى هَوذة بن علي صاحب اليمامة:

وَكَتَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى هَوْذَةَ بْنِ عَلِيٍّ صَاحِبِ الْيَمَامَةِ :

"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ، إِلَى هَوْذَةَ بْنِ عَلِيٍّ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، اعْلَمْ أَنَّ دِينِي سَيَظْهَرُ إِلَى مُنْتَهَى الْخُفِّ وَالْحَافِرِ، فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَجْعَلْ لَك مَا تَحْتَ يَدَيْك"واخْتَارَ لِحَمْلِ هَذَا الكِتَاب سَلِيطُ بْنُ عَمْرٍو الْعَامِرِيّ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ سليط بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَخْتُومًا أَنْزَلَهُ وَحَيَّاهُ وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، فَرَدَّ عَلَيْهِ رَدًّا دُونَ رَدٍّ، وَكَتَبَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا أَحْسَنَ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ وَأَجْمَلَهُ، وَالْعَرَبُ تَهَابُ مَكَانِي، فَاجْعَلْ إِلَيَّ بَعْضَ الْأَمْرِ أَتْبَعْكَ، وَأَجَازَ سليطا بِجَائِزَةٍ، وَكَسَاهُ أَثْوَابًا مِنْ نَسْجِ هَجَرٍ، فَقَدِمَ بِذَلِكَ كُلِّهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ وَقَرَأَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَابَهُ فَقَالَ: («لَوْ سَأَلَنِي سَيَابَةً مِنَ الْأَرْضِ مَا فَعَلْتَ بَادَ وَبَادَ مَا فِي يَدَيْهِ») .

فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْفَتْحِ، جَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بِأَنَّ هوذة قَدْ مَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: («أَمَا إِنَّ الْيَمَامَةَ سَيَخْرُجُ بِهَا كَذَّابٌ يَتَنَبَّأُ يُقْتَلُ بَعْدِي " فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ يَقْتُلُهُ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَنْتَ وَأَصْحَابُكَ») فَكَانَ كَذَلِكَ[2].

---

[1] محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي ١/١٤٦.

[2] ابن القيم : زاد المعاد ٣/٦٠٧ـ٦٠٨.

٧ـ الكتاب إلى الحارث بن أبي شمر الغساني صاحب دمشق:

كَتَبَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شِمْرٍ سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى وَآمَنَ بِاللَّهِ وَصَدَّقَ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، يَبْقَى لَكَ مُلْكُكَ»[١]. واخْتَارَ لِحَمْلِ هَذَا الكِتَاب شُجَاعِ بْنِ وَهْبٍ الْأَسْدِيّ، وَلَمَّا أَبْلَغَهُ الكِتَاب رَمَى بِه وَقَالَ : مَنْ يَنْزِعْ مُلْكِي مِنِّيّ ؟ أَنا سَائِرٌ إِلَيهِ ، وَلَمْ يُسْلِم . وَاسْتَأْذَن قَيْصَر فِي حَربِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَثَنَاهُ عَنْ عَزْمِه، فَأَجَازَ الْحَارِثِ شُجَاعِ بْنِ وَهْبٍ بِالكُسْوَةِ وَالنَفَقَةِ، وَرَدَّهُ بِالحُسْنَى[٢].

٨ـ الكتاب إلى ملك عُمان :

كَتَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كِتَاباً إِلَى مَلِكْ عُمَانَ جَيْفَرٍ، وَأَخِيهِ عَبْد ابْنَيْ الْجُلُنْدَى، وَنَصُهُ:

بسم الله الرحمن الرحيم، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولُ اللَّهِ، إِلَى جَيْفَرٍ، وَعَبْدِ ابْنَيْ الْجُلُنْدَى، السَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكُمَا بِدَاعِيَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمَا تَسْلَمَا، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، لِأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا، وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَإِنَّكُمَا إِنْ أَقْرَرْتُمَا بِالْإِسْلَامِ، وَلَّيْتُكُمَا، وَإِنْ أَبَيْتُمَا أَنْ تُقِرَّا بِالْإِسْلَامِ، فَإِنَّ مُلْكَكُمَا زَائِلٌ ، وَخَيْلِي تَحُلُّ بِسَاحَتِكُمَا، وَتَظْهَرُ نُبُوَّتِي عَلَى مُلْكِكُمَا "[٣].واخْتَارَ لِحَمْلِ هَذَا الكِتَاب عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ عمرو: فَخَرَجْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى عُمَانَ فَلَمَّا قَدِمْتُهَا، عَمَدْتُ إِلَى عبد،

---

[١] القسطلاني : المواهب اللدنية بالمنح المحمدية١/ ٥٥٠.

[٢] المباركفوري : الرحيق المختوم ص٣٦٧.

[٣] محمد حميد الله : مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي ١/ ١٦٢.

وَكَانَ أَحْلَمَ الرَّجُلَيْنِ وَأَسْهَلَهُمَا خُلُقًا، فَقُلْتُ: إِنِّي رَسُولُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْكَ وَإِلَى أَخِيكَ، فَقَالَ: أَخِي الْمُقَدَّمُ عَلَيَّ بِالسِّنِّ وَالْمُلْكِ، وَأَنَا أُوصِلُكَ إِلَيْهِ حَتَّى يَقْرَأَ كِتَابَكَ، ثُمَّ قَالَ: وَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ؟ قُلْتُ: أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَتَخْلَعَ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِهِ، وَتَشْهَدُ أَنَّ محمدا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: يَا عمرو إِنَّكَ ابْنُ سَيِّدِ قَوْمِكَ فَكَيْفَ صَنَعَ أَبُوكُ، فَإِنَّ لَنَا فِيهِ قُدْوَةً؟ قُلْتُ مَاتَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَوَدِدْتُ أَنَّهُ كَانَ أَسْلَمَ وَصَدَّقَ بِهِ، وَقَدْ كُنْتُ أَنَا عَلَى مِثْلِ رَأْيِهِ حَتَّى هَدَانِي اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ، قَالَ: فَمَتَى تَبِعْتَهُ؟ قُلْتُ: قَرِيبًا فَسَأَلَنِي أَيْنَ كَانَ إِسْلَامُكَ؟ قُلْتُ: عِنْدَ النَّجَاشِيِّ، وَأَخْبَرْتُهُ أَنَّ النَّجَاشِيَّ قَدْ أَسْلَمَ، قَالَ: فَكَيْفَ صَنَعَ قَوْمُهُ بِمُلْكِهِ؟ فَقُلْتُ: أَقَرُّوهُ وَاتَّبَعُوهُ، قَالَ: وَالْأَسَاقِفَةُ وَالرُّهْبَانُ تَبِعُوهُ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: انْظُرْ يَا عمرو مَا تَقُولُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ خَصْلَةٍ فِي رَجُلٍ أَفْضَحَ لَهُ مِنَ الْكَذِبِ، قُلْتُهُ: مَا كَذَبْتُ وَمَا نَسْتَحِلُّهُ فِي دِينِنَا، ثُمَّ قَالَ: مَا أَرَى هرقل عَلِمَ بِإِسْلَامِ النَّجَاشِيِّ، قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: بِأَيِّ شَيْءٍ عَلِمْتَ ذَلِكَ؟

قُلْتُ: كَانَ النَّجَاشِيُّ يُخْرِجُ لَهُ خَرْجًا فَلَمَّا أَسْلَمَ وَصَدَّقَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: لَا وَاللَّهِ، لَوْ سَأَلَنِي دِرْهَمًا وَاحِدًا مَا أَعْطَيْتُهُ، فَبَلَغَ هرقل قَوْلُهُ، فَقَالَ لَهُ: يَنَّاقُ أَخُوهُ: أَتَدَعُ عَبْدَكَ لَا يُخْرِجُ لَكَ خَرْجًا وَيَدِينُ دِينًا مُحْدَثًا؟ قَالَ هرقل: رَجُلٌ رَغِبَ فِي دِينٍ فَاخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ مَا أَصْنَعُ بِهِ وَاللَّهِ لَوْلَا الضَّنُّ بِمُلْكِي لَصَنَعْتُ كَمَا صَنَعَ، قَالَ: انْظُرْ مَا تَقُولُ يَا عمرو، قُلْتُ: وَاللَّهِ صَدَقْتُكَ.

قَالَ عبد: فَأَخْبِرْنِي مَا الَّذِي يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ؟ قُلْتُ: يَأْمُرُ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيَنْهَى عَنْ مَعْصِيَتِهِ، وَيَأْمُرُ بِالْبِرِّ وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَيَنْهَى عَنِ الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ وَعَنِ الزِّنَى وَعَنِ الْخَمْرِ وَعَنْ عِبَادَةِ الْحَجَرِ وَالْوَثَنِ وَالصَّلِيبِ. قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ لَوْ كَانَ أَخِي يُتَابِعُنِي عَلَيْهِ لَرَكِبْنَا حَتَّى نُؤْمِنَ بِمُحَمَّدٍ وَنُصَدِّقَ بِهِ، وَلَكِنْ

أَخِي أَضَنُّ بِمُلْكِهِ مِنْ أَنْ يَدَعَهُ وَيَصِيرَ ذَنَبًا، قُلْتُ: إِنَّهُ إِنْ أَسْلَمَ، مَلَّكَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى قَوْمِهِ فَأَخَذَ الصَّدَقَةَ مِنْ غَنِيِّهِمْ، فَرَدَّهَا عَلَى فَقِيرِهِمْ. قَالَ: إِنَّ هَذَا لَخُلُقٌ حَسَنٌ وَمَا الصَّدَقَةُ؟ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الصَّدَقَاتِ فِي الْأَمْوَالِ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْإِبِلِ.

قَالَ يَا عمرو: وَتُؤْخَذُ مَنْ سَوَائِمِ مَوَاشِينَا الَّتِي تَرْعَى الشَّجَرَ وَتَرِدُ الْمِيَاهَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أُرَى قَوْمِي فِي بُعْدِ دَارِهِمْ وَكَثْرَةِ عَدَدِهِمْ يُطِيعُونَ بِهَذَا، قَالَ: فَمَكَثْتُ بِبَابِهِ أَيَّامًا وَهُوَ يَصِلُ إِلَى أَخِيهِ، فَيُخْبِرُهُ كُلَّ خَبَرِي، ثُمَّ إِنَّهُ دَعَانِي يَوْمًا، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَأَخَذَ أَعْوَانُهُ بِضَبُعَيَّ، فَقَالَ: دَعُوهُ، فَأُرْسِلْتُ فَذَهَبْتُ لِأَجْلِسَ فَأَبَوْا أَنْ يَدْعُوَنِي أَجْلِسَ فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: تَكَلَّمْ بِحَاجَتِكَ فَدَفَعْتُ إِلَيْهِ الْكِتَابَ مَخْتُومًا فَفَضَّ خَاتَمَهُ وَقَرَأَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى آخِرِهِ ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى أَخِيهِ فَقَرَأَهُ مِثْلَ قِرَاءَتِهِ، إِلَّا أَنِّي رَأَيْتُ أَخَاهُ أَرَقَّ مِنْهُ، قَالَ: أَلَا تُخْبِرُنِي عَنْ قُرَيْشٍ كَيْفَ صَنَعَتْ؟ فَقُلْتُ: تَبِعُوهُ إِمَّا رَاغِبٌ فِي الدِّينِ وَإِمَّا مَقْهُورٌ بِالسَّيْفِ. قَالَ وَمَنْ مَعَهُ؟ قُلْتُ: النَّاسُ قَدْ رَغِبُوا فِي الْإِسْلَامِ، وَاخْتَارُوهُ عَلَى غَيْرِهِ وَعَرَفُوا بِعُقُولِهِمْ مَعَ هُدَى اللَّهِ إِيَّاهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي ضَلَالٍ، فَمَا أَعْلَمُ أَحَدًا بَقِيَ غَيْرَكَ فِي هَذِهِ الْحَرَجَةِ، وَأَنْتَ إِنْ لَمْ تُسْلِمِ الْيَوْمَ وَتَتَّبِعْهُ يُوطِئْكَ الْخَيْلَ، وَيُبِيدُ خَضْرَاءَكَ، فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَيَسْتَعْمِلْكَ عَلَى قَوْمِكَ، وَلَا تَدْخُلْ عَلَيْكَ الْخَيْلُ وَالرِّجَالُ. قَالَ: دَعْنِي يَوْمِي هَذَا وَارْجِعْ إِلَيَّ غَدًا .

فَرَجَعْتُ إِلَى أَخِيهِ، فَقَالَ: يَا عمرو إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُسْلِمَ إِنْ لَمْ يَضِنَّ بِمُلْكِهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ الْغَدُ أَتَيْتُ إِلَيْهِ فَأَبَى أَنْ يَأْذَنَ لِي فَانْصَرَفْتُ إِلَى أَخِيهِ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي لَمْ أَصِلْ إِلَيْهِ، فَأَوْصَلَنِي إِلَيْهِ فَقَالَ: إِنِّي فَكَّرْتُ فِيمَا دَعَوْتَنِي إِلَيْهِ، فَإِذَا أَنَا أَضْعَفُ الْعَرَبِ إِنْ مَلَّكْتُ رَجُلًا مَا فِي يَدِي وَهُوَ لَا تَبْلُغُ خَيْلُهُ هَاهُنَا، وَإِنْ بَلَغَتْ خَيْلُهُ أَلْفَتْ قِتَالًا لَيْسَ كَقِتَالِ مَنْ لَاقَى. قُلْتُ: وَأَنَا خَارِجٌ غَدًا، فَلَمَّا أَيْقَنَ بِمَخْرَجِي، خَلَا بِهِ أَخُوهُ، فَقَالَ: مَا نَحْنُ

فِيمَا قَدْ ظَهَرَ عَلَيْهِ، وَكُلُّ مَنْ أَرْسَلَ إِلَيْهِ قَدْ أَجَابَهُ، فَأَصْبَحَ فَأَرْسَلَ إِلَيَّ فَأَجَابَ إِلَى الْإِسْلَامِ هُوَ وَأَخُوهُ جَمِيعًا وَصَدَّقَا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَلَّيَا بَيْنِي وَبَيْنَ الصَّدَقَةِ وَبَيْنَ الْحُكْمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَكَانَا لِي عَوْنًا عَلَى مَنْ خَالَفَنِي[1].

المبحث الثاني

المستفاد من رسائل رسول الله ﷺ إلى الملوك والأمراء

١- نلاحظ أن جميع كتب الرسول ﷺ التي أرسلها إلى الملوك والرؤساء يفتتحها ﷺ بالبسملة، والبسملة آية من كتاب الله تبارك وتعالى، وفي تصدير الكتاب بها أمور مهمة، كاستحباب بدء الكتب ببسم الله الرحمن الرحيم اقتداء برسولنا محمد ﷺ ، فقد واظب عليها في كتبه صلى الله عليه وسلم، كما فيها جواز كتابة آية من القرآن الكريم في كتاب، وإن كان هذا الكتاب موجهًا إلى الكافرين، وفيها جواز قراءة الكافر لآية أو أكثر من القرآن الكريم؛ لأن كتب رسول الله ﷺ تضمنت البسملة وغيرها، وفيها جواز قراءة الجنب لآية أو أكثر من القرآن الكريم؛ لأن هذا الكافر الذي أرسلت إليه الرسالة تضمنت البسملة وغيرها لا يحترز من الجنابة والنجاسة، فيقرأ الرسالة التي اشتملت على آيات من القرآن الكريم وهو جنب.

٢- جميع الرسائل كانت تهدف إلى الدعوة إلى الإسلام ، وبذلك خرجت الدعوة الإسلامية بهذه الوسيلة من نطاق الجزيرة العربية إلى آفاق العالم الأوسع .

٣- اختار رسول الله ﷺ اللغة العربية كلغة مخاطبة مع اختلاف أسلوب التخاطب وصياغته ، كان هناك الحديث بالرفق واللين ، وكانت هناك الشدة والحزن ، فإن المتكبرين لا يعرفون أسلوب الرفق ، ويعدون ذلك عجزاً من

---

[1] ابن طولون :إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ١/ ١٠٠.

المخاطب ، لذا اختار رسول الله ﷺ هذه الاساليب ليدل بذلك على حكمته وبلاغته فبينما نجده يخاطب النجاشي بقوله (...وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَالْمُوَالَاةِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَأَنْ تَتْبَعَنِي وَتُؤْمِنَ بِالَّذِي جَاءَنِي، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَإِنِّي أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَدْ بَلَّغْتُ وَنَصَحْتُ فَاقْبَلُوا نَصِيحَتِي...) .نجده عليه السلام يخاطب كسرى بأسلوب آخر فيه من رحمة المؤمن وشفقته ، وكذلك من عزته وقوته ، فقال : (من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، وَآمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَشَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَن مُحَمَّد عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَدْعُوكَ بِدُعَايَة اللَّهِ، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً لِأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا...)[1].

٤- مشروعية إرسال السفراء المسلمين إلى زعماء الكفر؛ لأن كل كتاب كان يكتبه الرسول ﷺ يكلف رجلاً من المسلمين يحمله إلى المرسَل إليه.

٥- مشروعية الكتابة إلى الكفار في أمر الدين والدنيا.

٦- ينبغي أن يكتب في الكتاب اسم المرسل والمرسل إليه وموضوع الكتاب وهو واحد في جميع الكتب ويتلخص في دعوتهم إلى الإسلام.

٧- عدم بدء الكافر بتحية الإسلام، وهي السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛ لأن النبي ﷺ لم يطرح السلام في كتبه على ملك من ملوك الكفر بل كان يصدر كتبه بقوله: السلام على من اتبع الهدى، أي آمن بالإسلام، ويؤخذ من هذا عدم جواز مخاطبة الكافر بتحية الإسلام.

٨- اتخاذ الخاتم: فقد كان رسول الله ﷺ يختم رسائله بعد كتابته بخاتمه، وقد كتب عليه ثلاث كلمات:

الله

[1] المهيري: الموسوعة في سماحة الإسلام ، ص١١٣.

رسول
محمد [1]

فعن أنس رضي الله عنه قال: لما أراد النبي ﷺ أن يكتب إلى الروم قيل له: إنهم لا يقرؤون كتابًا إلا أن يكون مختومًا، فاتخذ خاتمًا من فضة، فكأني أنظر إلى بياضه في يده، ونقش فيه محمد رسول الله[2].

٩- تقدير الرجال:

لما أسلم باذان بن ساسان وكان أميرًا على اليمن لم يعزله رسول الله ﷺ، بل أبقاه أميرًا عليها بعد إسلامه، حين رأى فيه الإداري الناجح والحاكم المناسب، مما يدلل على أن الرسول ﷺ يقدر الكفاءات في الرجال ويضع الرجل المناسب في المكان المناسب، ومن الجدير بالذكر أن الرسول ﷺ قد ولى ولده شهرًا أميرًا على اليمن بعد موته[3].

١٠- جواز أخذ الجزية من المجوس:

وهذا الحكم استخرج من كتاب النبي ﷺ الذي أرسله إلى المنذر بن ساوي يحدد فيه الموقف من اليهود والمجوس، إذ ورد فيه: (ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية) [4].

وقد ذهب ابن القيم مع طائفة من العلماء إلى جواز أخذ الجزية من كل إنسان

---

[1] أبو فارس، محمد عبد القادر : غزوة الحديبية ، ص٢٣٩، ٢٤٠.

[2] صحيح البخاري، كتاب العلم ، باب ما يذكر في المناولة وكتاب أهل العلم بالعلم إلى البلدان،١/٢٤، حديث (٦٥).

[3] أبو فارس، محمد عبد القادر : غزوة الحديبية ، ص٢٤٢.

[4] المصدر نفسه.

يبذلها سواء أكان كتابيًا أم غير كتابي كعبدة الأوثان من العرب وغيرهم، فقد جاء في زاد المعاد (وقد قالت طائفة في الأمم كلها إذا بذلوا الجزية، قبلت منهم، أهل الكتابين بالقرآن، والمجوس بالسنة، ومن عداهم ملحق بهم؛ لأن المجوس أهل شرك لا كتاب لهم، فأخذها منهم دليل على أخذها من جميع المشركين، وإنما لم يأخذها ﷺ من عبدة الأوثان من العرب؛ لأنهم أسلموا قبل نزول آية الجزية، فإنها نزلت بعد تبوك[1].

١١- جواز أخذ هدية الكافر:

فقد أرسل المقوقس عظيم القبط حاكم مصر -مع سفير رسول الله حاطب بن أبي بلتعة- وهو كافر هدية تشتمل على جاريتين وكسوة للرسول ﷺ وبغلة يركبها، فقبلها رسول الله ﷺ وإحدى هاتين الجاريتين مارية القبطية[2].

نتائج إرسال الكتب إلى الملوك والأمراء:

أظهر الرسول ﷺ في سياسته الخارجية دراية سياسية فاقت التصور، وأصبحت مثالا لمن جاء بعده من الخلفاء، كما أظهر ﷺ قوة وشجاعة فائقتين، فلو كان غير رسول الله ﷺ لخشي عاقبة ذلك الأمر، لا سيما أن بعض هذه الكتب قد أرسلت إلى ملوك أقوياء على تخوم بلاده كهرقل وكسرى والمقوقس، ولكن حرص رسول الله وعزيمته على إبلاغ دعوة الله، وإيمانه المطلق بتأييد الله سبحانه وتعالى، كل ذلك دفعه لأن يقدم على ما أقدم عليه وقد حققت هذه السياسة النتائج الآتية:

أ- وطد الرسول ﷺ بهذه السياسة أسلوبًا جديدًا في التعامل الدولي لم تكن تعرفه

---

[1] أبن قيم الجوزية: زاد المعاد في هدي خير العباد٥/٨٣.الصلابي : السيرة النبوية ١/٧٢١.

[2] أبو فارس، محمد عبد القادر : غزوة الحديبية ، ص٢٤٣.

البشرية من قبل.

ب- أصبحت الدولة الإسلامية لها مكانتها وقوتها وفرضت وجودها على الخريطة الدولية لذلك الزمان.

ج- كشف للرسول ﷺ نوايا الملوك والأمراء وسياستهم نحوه وحكمهم على دعوته.

د- كانت مكاتبة الملوك خارج جزيرة العرب تعبيرًا عمليًّا على عالمية الدعوة الإسلامية، تلك العالمية التي أوضحتها آيات نزلت في العهد المكي مثل قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾[1].

[1] سورة الانبياء: الآية ١٠٧.

الفصل التاسع

عمرة القضاء

تمهيد :

لَقَدْ كَانَ قِيامِ النَّبِي ﷺ بِأَدَاءِ مَنَاسِكْ عُمْرَة القَضَاء[1] عَلَى تِلكَ الصُورَة المَهْيبَة الَّتِي دَخَلَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابَهُ مَكَّةَ ، وَالَّتِي لاتَزَال حَتَّى تِلْكَ السَنَةِ تَحْتَ سُلْطَانِ المُشْرِكِينَ ، أَوَل نَصْرٍ مَعْنَوِي عَظِيمٍ تُسَجِلُهُ الدَّعْوَةِ الإِسْلامِيَة عَلَى بَاطِلِ المُشْرِكِينَ الَّذِينَ ظَلُّوا يُحَارِبُونَهَا طِوَالَ عِشْرِينَ عَامَاً .وَمِنْ أَجْلِ التَّعَرُفِ عَلَى أَخْبَارِ عُمْرَةِ القَضَاءِ والمُسْتَفَادِ مِنْهَا فَقَدْ قَسَّمْنَا هَذَا الفَصْل إِلَى مَبْحَثَيْنِ وَعَلَى النَحْوِ التَّالِي :

المَبْحَث الأَوَل : أَخْبَار عُمْرَة القَضَاءِ .

المَبْحَث الثَّانِي : المُسْتَفَادِ مِنْ أَخْبَار عُمْرَة القَضَاءِ .

---

[1] وسميت عمرة القضيَّة؛ لأنها كانت قضاءً عن عمرة الحديبية، أو لأنها وقعت حسب المقاضات – أي: المصالحة التي وقعت في الحديبية. وسميت عمرة الصلح لأنه اتُفِق عليها في صلح الحديبية.وسميت عمرة القصاص لأن هذه الآية نزلت فيها: {الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ} [البقرة: ١٩٤].

المبحث الأول

عمـرة القضـاء

قَالَ الْحَاكِمُ :تَوَاتَرَتِ الْأَخْبَارُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا هَلَّ ذُو الْقَعْدَةِ مِنَ السَنَةِ السَّابِعَةِ لِلهِجْرَةِ ،أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَعْتَمِرُوا قَضَاءَ عُمْرَتِهِمْ وَأَنْ لَا يَتَخَلَّفَ مِنْهُمْ أَحَدٌ شَهِدَ الْحُدَيْبِيَةَ فَخَرَجُوا إِلَّا مَنِ اسْتُشْهِدَ وَخَرَجَ مَعَهُ آخَرُونَ مُعْتَمِرِينَ فَكَانَتْ عُدَّتُهُمْ أَلْفَيْنِ سِوَى النِّسَاءِ وَالصِّبْيانِ[1] .

وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ عُوَيْفَ بْنَ الْأَضْبَطِ الدّيلِيّ، أو أَبَا رُهْمٍ الْغِفَارِيّ، وسَاقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتِّينَ بَدَنَةً. وَجعلَ عَلَيهَا نَاجِيَةُ بْنُ جُنْدُبٍ الْأَسْلَمِيّ، وَأَحْرَمَ لِلعُمْرَة مِنْ ذِي الْحُلَيْفَةِ، وَلَبَّى، وَلَبَّى الْمُسْلِمونَ مَعهُ ، وَخرجَ مُسْتَعِداً بِالسِّلاحِ وَالْمُقَاتِلَةِ ،خَشْيَة أَنْ يَقعْ مِنْ قُرَيْش غَدْر، فَلَمَّا بَلَغَ يَأْجَجَ وَضَعَ الْأَدَاةَ كُلَّهَا الْجَفَ وَالْمِجَانَّ وَالرِّمَاحَ وَالنَّبْلَ، وَخَلَّفَ عَلَيْهِا أَوْسَ بْنَ خَوْلِيٍّ الْأَنْصَارِيَّ فِي مِائَتَيْ رَجُلٍ، وَدَخَلَ بِسِلَاحِ الرَّاكِبِ : السُّيُوفُ فِي الْقُرُبِ[2].

تحرك الرسول ﷺ وأصحابه الكرام من المدينة :

وَقدْ اتَّجَهَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَصْحَابَه الكِرَام مِنَ المَدْينَةِ بِاتِجَاه مَكَّةَ المُكَرَمَةِ فِي مَوكِبٍ مَهْيب يَشُّق طَرِيقَه عِبْرَ القُرَى وَالبَوَادِي، وَكَانَ كُلَّمَا مَرَّ المَوكِب النَّبوي بِمَنَازِل قَومٍ مِنَ الَّذِينَ يَسْكُنُونَ عَلَى جَانِبَي الطَّرِيقِ بَينَ مَكَّةَ وَالمَدينَة خَرَجُوا وَشَاهَدُوا مَنْظَراً لَمْ يَأْلَفُوهُ مِنْ قَبلُ، حَيثُ المُسْلِمونَ بِزِي وَاحِد مِنَ الإحْرَامِ، وَهُمْ يَرْفَعُونَ أَصْوَاتِهِمْ

---

[1] ابن حجر: فتح الباري٧/ ٥٠٠. ابن حزم: جوامع السيرة ص ٢١٩.

[2] ابن كثير: السيرة النبوية ٣/ ٤٣٥، ابن سيد الناس : عيون الأثر ٢/ ١٩٢، البيهقي:دلائل النبوة ٤/ ٣١٤.

بِالتَّلْبِيةِ، وَيَسوقُونَ هَدْيَهُم فِي عَلامَاتِه وَقَلائِدِه، فِي مَظْهَرٍ بَهِيٍّ لَمْ تَشْهَدْ المَنْطَقَة لَهُ مَثِيلاً[1].

الرسول ﷺ وأصحابه الكرام يؤدون شعائر العمرة :

وَخَرَجَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رَاحِلَتِهِ الْقَصْوَاءِ، وَالْمُسْلِمُونَ مُتَوَشِّحُونَ السُّيُوفَ مُحْدِقُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يُلَبُّونَ

وخَرجَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى جَبلِ قُعَيْقِعَانَ ـ الجَبَل الَّذِي فِي شِمَالِ الكَعْبَةِ ـ لِيَرَوا المُسلِمينَ، وَقَدْ قَالُوا فِيمَا بَينَهمْ : إِنَّهُ يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ وَفْدٌ وَهَنَهُمْ حُمَّى يَثْرِبَ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَرْمُلُوا الْأَشْوَاطَ الثَّلَاثَةَ وَأَنْ يَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ وَلَمْ يَمْنَعْهُ أَنْ يَأْمُرَهُمْ أَنْ يَرْمُلُوا الْأَشْوَاطَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِبْقَاءُ عَلَيْهِمْ ،وإِنَّمَا أَمَرَهُمْ بِذَلِكَ لِيَرَى الْمُشْرِكِينَ قُوَّتَهُ ودَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ مِنَ الثَّنِيَّةِ الَّتِي تُطْلِعُهُ عَلَى الْحَجُونِ ـ وَقَدْ صُفَّ الْمُشْرِكُونَ يَنْظُرونَ إليهِ ـ فَلَمْ يَزَلْ يُلَبِّي حَتَّى اسْتَلَمَ الرُّكْنَ بِمِحْجَنِهِ، ثُمَّ طَافَ، وطافَ المُسْلِمونَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بِنْ رَوَاحَةَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْتَجِزْ مُتَوَشِحاً بِالسَّيفِ :

خلو بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ

قَدْ أَنْزَلَ الْقُرْآنُ فِي تَنْزِيلِهِ

بِأَنَّ خَيْرَ الْقَتْلِ فِي سَبِيلِهِ[2].

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ يَا ابْنَ رَوَاحَةَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي حَرَمِ

---

[1] حجازي، سليم : منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية، ص٣١٠.

[2] رواه ابن حبان في صحيحه١٠ / ٣٧٩،حديث(٤٥٢١)وعلق عليه: حديث صحيح، رجاله ثقات على شرط الشيخين.

اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَقُولُ الشِّعْرَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَلِّ عَنْهُ فَلَهُوَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ[1]. ورَمَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمونَ ثَلاَثَةَ أَشْوَاطٍ فَلَمَّا رَآهُمْ الْمُشْرِكُونَ قالوا : هَؤُلاَءِ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّ الْحُمَّى قَدْ وَهَنَتْهُمْ هَؤُلاَءِ أَجْلَدُ مِنْ كَذَا وَكَذَا[2].

ولَمَّا فَرِغَ مِنَ الطَّوَافُ سَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ، فَلَمَّا فَرِغَ مِنَ السَّعْيِّ، وَقَدْ وَقَفَ الْهَدْيُ عَنْدَ الْمَرْوَةِ، وَقَالَ: «هَذَا الْمَنْحَرُ وَكُلُّ فِجَاجِ مَكَّةَ مَنْحَرٌ»[3] فَنَحَرَ عِنْدَ الْمَرْوَةِ وَحَلَقَ هُنَاكَ، وَكَذَلِكَ فَعَلَ الْمُسْلِمُونَ، ثُمَّ بَعثَ نَاسًا إِلَى أَصْحَابِهِمْ بِبَطْنِ يَأْجَجَ لِيُقِيمُوا على السِّلَاحِ، وَيَأْتِيَ الْآخَرُونَ فَيَقْضُوا نُسُكَهُمْ فَفَعَلُوا[4].

وأقام رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ ثَلاثاً ،فَلَمَّا أَصْبَحَ مِنَ اليَومِ الرَابِعْ أَتَوْا عَلِيًّا فَقَالُوا: قُلْ لِصَاحِبِكَ اخْرُجْ عَنَّا فَقَدْ مَضَى الْأَجَلُ[5] ،فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونزل بِسَرِف فأقام بها[6].وَقَدْ نَزَلَ فِي عُمْرَةِ القَضَاءِ هَذِه قَولُه تَعَالَى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخافُونَ فَعَلِمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلِكَ فَتْحاً قَرِيباً﴾[7] .

---

[1] رواه الترمذي في سننه ٥ / ١٣٩،حديث(٢٨٤٧)وعلق عليه: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

[2] صحيح مسلم : كتاب الحج، باب استحباب الرمل في الطواف ٢/٩٢٣، حديث١٢٦٦.

[3] روى أبو داؤد في سننه الحديث التالي :« وَكُلُّ عَرَفَةَ مَوْقِفٌ وَكُلُّ مِنًى مَنْحَرٌ وَكُلُّ فِجَاجِ مَكَّةَ مَنْحَرٌ وَكُلُّ جَمْعٍ مَوْقِفٌ » ٢/٢٦٩،حديث (٢٣٢٦)،وقال الالباني حديث صحيح.

[4] علي القاري :مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٦/٢٦٢٩.

[5] صحيح البخاري : كتاب الصلح ، باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان وفلان بن فلان وإن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه٣/١٨٥، حديث٢٧٠٠.

[6] المباركفوري: الرحيق المختوم ص٣٩٢.

[7] سورة الفتح: الآية ٢٧.

التحاق بنت حمزة بن عبد المطلب بركب المسلمين:

لَقَدْ تَغَيرَتْ النُفوس وَالعُقول بِتَأثِير الإسْلام تَغَيُراً عَظيماً، فَعَادَتِ البِنْت -الَّتِي كَانَ يَتَعَير بِهَا أَشْرَاف العَرَب، وَجَرَت عَادَةِ وَأدِهَا فِي بَعْضِ القَبائِل فِرَاراً مِنَ العَارِ، وَزُهْداً فِي البَنَاتِ- حَبيبَة يَتَنَافَسْ فِي تَرْبِيَتَها المُسْلِمونَ، وَكَانُوا سَوَاسِيَة، لا يَرْجِعْ بَعْضُهمْ عَلَى بَعْضٍ إلاّ بِفَضْلٍ أَو حَقْ[1] ، وَلَمَّا أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الخُرُوج مِنْ مَكَّةَ تَبِعَتْهُمْ ابْنَةُ حَمْزَةَ ، تُنَادِي، يَا عَمِّ يَا عَمِّ فَتَنَاوَلَهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَخَذَ بِيَدِهَا وَقَالَ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَام دُونَكِ ابْنَةَ عَمِّكِ حَمَلَتْهَا فَاخْتَصَمَ فِيهَا عَلِيٌّ وَزَيْدٌ وَجَعْفَرٌ فَقَالَ عَلِيٌّ أَنَا أَحَقُّ بِهَا وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّي وَقَالَ جَعْفَرٌ ابْنَةُ عَمِّي وَخَالَتُهَا تَحْتِي وَقَالَ زَيْدٌ ابْنَةُ أَخِي فَقَضَى بِهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِخَالَتِهَا وَقَالَ الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ وَقَالَ لِعَلِيٍّ أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ وَقَالَ لِجَعْفَرٍ أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي وَقَالَ لِزَيْدٍ أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلَانَا[2] .

زواج النبي ﷺ من أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث:

فِي هَذِه العُمْرَةِ تَزَوَّجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ الْعَامِرِيَّةِ[3]، وكان النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ بَعَثَ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ إِلَى مَيْمُونَةَ لِيَخْطُبَهَا لَهُ فَجَعَلَتْ أَمْرَهَا إِلَى الْعَبَّاسِ وَكَانَتْ أُخْتُهَا أُمُّ الْفَضْلِ تَحْتَهُ فَزَوَّجَهُ إِيَّاهَا فَبَنَى بِهَا بِسَرِفَ وَقَدَّرَ اللَّهُ أَنَّهَا مَاتَتْ بَعْدَ ذَلِكَ بِسَرِفَ[4] .

---

(1) الندوي، أبو الحسن : السيرة النبوية ص٣٢١.

(2) صحيح البخاري : كتاب الصلح ، باب الصُّلْحِ مَعَ الْمُشْرِكِينَ٣/١٨٥، حديث٢٧٠٠.

(3) صحيح البخاري : كتاب المغازي، باب عمرة القضاء ٥/١٤٢، حديث ٤٢٥٩.

(4) ابن حجر: فتح الباري٧/ ٥١٠.

المبحث الثاني

المستفاد من عمرة القضاء

١-جاءت هذه العمرة تصديقاً للوعد الإلهي بدخول المسجد الحرام قال تعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[١].

٢-شكلت هذه العمرة خطوة تمهيدية للفتح المبين الذي تحقق بعدها.

٣-استحباب الاضطباع ، والهرولة في طواف الأشواط الثلاثة الاولى ؛ اتباعا لرسول الله ﷺ ، وإنما يستحب ذلك في طواف يعقبه سعي، غير أن شيئاً من ذلك لا يستحب للمرأة .

٤-الإجتهاد في إظهار معالم القوة والبأس في حياة المسلمين حتى يرهبوا عدوهم.

٥ـ التزام الصدق في التعهدات والمواثيق ، وهو ما أظهره رسول الله ﷺ في عمرته هذه ، فقد نصَّ الاتفاق السابق بين الطرفين على المكوث في مكة ثلاثة أيام وحسب ، غير أن رسول الله ﷺ أحبَّ البقاء في مكة أكثر من ذلك ، إلا أن المشركين لم يأذنوا له ، فخرج من مكة فعلاً على موجب الإتفاق المبرم بين الفريقين ، وذلك خلق اسلامي رفيع يجب أن يسري في معاملات المسلمين مع أية جهة كانت ، استجابة لأمر الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾[٢]. كما أن الوفاء

---

[١] سورة الفتح : الآية ٢٧.

[٢] سورة المائدة : الآية ١.

بالتعهدات والصدق فيها ، من أساليب الدعوة في التعامل مع الآخرين ، من المسلمين أو غيرهم .

المستفاد من اداء الرسول ﷺ واصحابه عمرة القضاء بهذه الصورة المهيبة:

قصد رسول الله ﷺ بهذه الطريقة التي فعلها عند دخوله المسجد الحرام وهي الاضطباع والهرولة، ورفع الأصوات بالتلبية، أن يرهب قريشًا، وأن يظهر لها قوة المسلمين وعزيمتهم وتمسكهم بدينهم، ومناعة جبهتهم، وقد أثر هذا الأسلوب في نفوس المشركين[1]، وبهذا الأسلوب النبوي الكريم أغاظ الرسول ﷺ المشركين وكايدهم .

لقد كان قيام النبي ﷺ بأداء مناسك العمرة على تلك الصورة المهيبة التي دخل بها النبي ﷺ وأصحابه مكة ، والتي لاتزال حتى تلك السنة تحت سلطان المشركين ، اول نصر معنوي عظيم تسجله الدعوة الإسلامية على باطل المشركين الذين ظلوا يحاربونها طوال عشرين عاماً .فقد كان ﷺ يتقرب إلى الله بمكايدتهم وإغاظتهم، ففي غزوة أحد أذن ﷺ لأبي دجانة أن يمشي متبخترًا أمام المشركين لإظهار عزة المؤمن؛ ولأن ذلك يغيظ المشركين، وزيادة في إغاظتهم كان يلبس العصابة الحمراء دون أن ينكر الرسول ﷺ ذلك. وفي غزوة الحديبية ساق رسول الله ﷺ في الهدي جمل أبي جهل الذي غنمه في بدر، ليراه المشركون فيزدادوا غيظًا حين يذكرون مصارع قتلاهم وذل أسراهم، وها هو ذا ﷺ يأمر المسلمين في عمرة القضاء بإظهار التجلد والهرولة لإغاظتهم ومكايدتهم ورد كيدهم في نحورهم[2] . فهذه حرب نفسية شنها

---

[1] حجازي، سليم : منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية، ص٣١٥.
[2] أبو فارس ، محمد: صلح الحديبية ، ص٢٨٢.

رسول الله ﷺ على المشركين وقد أتت أكلها، ولقد أقام الرسول في مكة ثلاثة أيام، ومعه المسلمون يرفعون راية التوحيد، ويطوفون بالبيت العتيق، ويرفعون الأذان ويقيمون الصلاة ويصلي بهم رسول الله ﷺ الصلوات الخمس في جماعة، وكان بلال بن رباح بصوته الندي يرفع الأذان من على ظهر الكعبة، فكان وقعه على المشركين كالصاعقة[1]. ولم ينس ﷺ مجموعة الحراسة التي كانت تحرس الأسلحة والعتاد بأن يرسل من يقوم بمهمتهم ممن طاف وسعى مكانهم، ويأتي هؤلاء ليؤدوا النسك، فقد كان ﷺ يتعامل مع نفوس يدرك حقيقة شوقها لبيت الله الحرام، وما جاءت للمرة الثانية وقطعت هذه المسافة الشاسعة إلا لتنال هذا الشرف، وتبل هذا الظمأ، فتطوف مع الطائفين وتسعى مع الساعين، فعمل ﷺ على مراعاة النفوس، وساعدها ولبى مطالبها من أجل إصلاحها والرقي بها، إنه من منهج النبوة في التربية[2].

المستفاد من قصة بنت حمزة بن عبد المطلب :

١- الخالة بمنزلة الأم.

٢- الخالة تقدم على غيرها في الحضانة إذا لم يوجد الأبوان.

٣- تزكية رسول الله ﷺ لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ووصفه له بقوله: أشبهت خَلْقي وخُلُقي.

٤- منقبة علي: تأمل قوله ﷺ : أنت مني وأنا منك، والمعنى أنت مني وأنا منك في النسب والصهر والسابقة والمحبة.

٥- منقبة زيد بن حارثة: يقول له الرسول: أنت أخونا ومولانا؛ لأنه كان أخًا

---

[1] المصدر نفسه ، ص٢٧٠.

[2] المصدر نفسه ، ص٢٧٧.

لحمزة بن عبد المطلب، فقد آخى الرسول ﷺ بينهما، وهو باجتهاده يريد أن يكون عليه ما على الأخ الشقيق من واجبات، والواجب هنا يكون وليًّا على بنت حمزة رضي الله عنه.

٦- الخالة تقدم على العمة في الحضانة: لقد حكم النبي ﷺ إلى زوجة جعفر بالحضانة وعمتها صفية بنت عبد المطلب حية موجودة.

٧- زواج المرأة لا يسقط حقها في الحضانة: فقد حكم الرسول ﷺ بالحضانة لخالة بنت حمزة وهي متزوجة من جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه.

٨- لا بد من موافقة الزوج على حضانة زوجته لابنة أختها؛ لأن الزوجة محتسبة لمصلحته ومنفعته، والحضانة قد تفوت هذه المصلحة جزئيًا، فلا بد من استئذانه، ونلاحظ هنا أن جعفر بن أبي طالب قد طالب بحضانة بنت عمه حمزة لخالتها وهي زوجة له، فدل على رضاه بذلك.

٩-إن الطفل إذا رضع مع عمه يصبح أخًا له في الرضاعة، وتصبح بناته كلها بنات أخيه في الرضاعة، فيحرم عليه نكاحهن[1].

[1] الصلابي: السيرة النبوية ١/٧٢٧. أبو فارس ، محمد: صلح الحديبية ، ص٢٨٧.

الفصل العاشر

غـزوة مؤتـــة

تمهيد :

تُعْتَبر هَذِه المَعْرَكَة مِنْ أَهَمِ المَعَارِك الَّتِي وَقَعَتْ بَيْنَ المُسْلِمينَ وَبينَ النَصَارَى الصَلِيبيينَ مِنْ عَرَبٍ وَعَجَم؛ لأَنَّهَا أَوَل صِدَام مُسَلَح ذِي بَالٍ بَيْنَ الفَرِيقَيْنِ، وَأَثرتْ تَلكِ المَعْرَكةِ عَلَى مُسْتَقبلِ الدَّولَةِ الرُومَانِيَة، فَقدْ كَانتْ مُقَدِمَةً لِفَتحِ بِلادِ الشَّامِ وَتَحْرِيرِهَا مِنَ الرُّومَانِ. وَنَسْتَطِيْع أَنْ نَقُول إِنَّ تِلْكَ الغَزْوَةِ هِيَّ خُطْوَة عَمَلِيَةً قَامَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ لِلقَضَاءِ عَلَى دَولَةِ الرُّومِ المُتَجَبِرةِ فِي بِلادِ الشَّامِ. وَمِنْ أَجْلِ التَعَرُفِ عَنْ اسْبَابِ هَذَهِ الغَزْوَةِ وَاهَمْ احْدَاثَها وَالدُرُوسِ المُسْتَفَادَةِ مِنْهَا فَقدْ قَسَّمْنَا هَذَا الفَصْلِ إلى مَبْحَثَيْنِ مُسْتَقِلين .

المَبْحَثْ الأوَل :أَحْدَاث غَزْوَة مُؤتَة .

المَبْحَثْ الثَّانِي :المُسْتَفادِ مِنْ أَحْدَاث غَزْوَة مُؤتَة .

المبحث الأول

أحداث غزوة مؤتة

اسبابها :

١- تَأْدِيب شُرَحْبِيلُ بْنُ عَمْرِو الْغَسّانِيّ عَامِل هِرَقْل [١]فِي الْقُسْطَنْطِينِيَّة عَلَى بُصْرَى لاعْتِدَاءِه عَلَى الْحَارِثَ بْنَ عُمَيْرٍ الْأَزْدِيّ مَبْعُوث رَسُولِ اللهِ ﷺ حِينَ حَمَلَ لَهُ رِسَالَةَ الرَّسُولِ ﷺ وَقَتْلِه غَدْرَاً رغْمَ أَنَّ العُرْف الجَارِي هُوَ أَنَّ الرُّسُلْ لا تُقْتَل [٢].

٢- بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَعْبَ بْنَ عُمَيْرٍ الْغِفَارِيَّ فِي خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلا، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى ذَاتِ أَطْلاحٍ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، فَوَجَدُوا جَمْعًا مِنْ جَمْعِهِمْ كَثِيرًا، فَدَعَوْهُمْ إِلَى الإِسْلامِ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ، وَرَشَقُوهُمْ بِالنَّبْلِ. فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاتَلُوهُمْ أَشَدَّ الْقِتَالِ حَتَّى قُتِلُوا، وَأَفْلَتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ جَرِيحٌ فِي الْقَتْلَى، فَلَمَّا بَرَدَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ تَحَامَلَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ[٣] .

٣- قِيام نَصَارى الشَّام بِزَعَامَةِ الإمْبِرَاطوريَّة الرُّومانِيَة بِالاعْتِدَاءاتِ عَلَى مَنْ يَعْتَنِقْ الإسْلام أَو يُفكر بِذَلكَ، فَقدْ قَتَلُوا وَالِي مَعَانَ حِينَ أَسْلَمَ، وَقَتل وَالِي الشَّام مَنْ أَسْلَمَ مِنْ عَرَبِ الشَّامِ [٤].

كَانَتْ هَذِه الأَحْدَاثِ المُؤَلِمَةِ وَبِخَاصَةً مَقْتَلْ سَفِير رَسُولِ اللهِﷺ الْحَارِثَ بْنَ

---

[١] هرقل : امبراطور الروم وعاصمة ملكه القسطنطينية .

[٢] الواقدي: المغازي ٢/ ٧٥٥ . ابن سعد: الطبقات ٢/ ١٧ . ابن حجر : فتح الباري٧/ ٥١١.

[٣] ابن سيد الناس: عيون الاثر ١٩٦/٢.

[٤] أبو زهرة، الشيخ محمد : خاتم النبيين ﷺ، ٨٤٦/٣.

عُمَيْرٍ الْأَزْدِيّ ، مُحَرِكَةً لِنُفوسِ المُسْلِمينَ، وَبَاعِثاً لِيَضَعُوا حَدّاً لِهذِه التَصَرُفاتِ النَصْرَانيَّةِ العُدوانِيَةِ، وَيَثْأَرُوا لإِخْوَانِهِمْ فِي العَقِيدَةِ الَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤهُمْ بِغَيرِ حَقٍ إِلاَّ أَنْ يَقُولُوا رَبُنَا اللهُ وَنَبِينَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ (١). كَمَا أَنَّ تَأديبَ عَربِ الشَّامِ التَابِعينَ لِلدَولةِ الرُّومَانِيَة وَالَّذِينَ دَأبُوا عَلى اسْتِفْزَازِ المُسْلِمينَ وَتَحَديهِمْ وَارتِكَابِ الجَرَائِم ضِدَّ دُعَاتِهِمْ أَصْبحَ هَدَفَاً مُهِمَّاً، لأنَّ تَحْقِيقِ هَذَا الهَدف مَعْنَاهُ فَرْض هَيْبَةِ الدَّولَة الإِسْلامِيَة فِي تِلكَ المَناطِقْ بِحَيث لا تَتكرر مِثْل هَذِه الجَرَائِم فِي المُسْتَقبَل، وَبِحيثْ يَأمَن الدُعَاة المُسْلِمونَ عَلَى أَنْفُسَهم وَيَأمَنْ التُجَار المُتَرَدِدونَ بَينَ الشَّامِ وَالمَدينَةِ مِنْ كُلِّ أَذَى يَحُولُ دُونَ وُصُولِ السِّلَع الضُرورِيَّةِ إِلَى المَدينَةِ (٢).

رسول الله ﷺ يستنفر أصحابه للحرب :

وَلِتَحقيقِ هَذَا الغَرض اسْتَنْفرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَيْشَاً قِوَامُهُ ثَلَاثَةُ آلَافٍ مُقَاتِلٍ فِي جُمَادَى الْأُولَى مِنَ السَنَةِ الثَّامِنَةِ للهِجْرَةِ بَعْدَ عَوْدَتِه بِمنِ اعْتَمَرَ مَعهُ مِنَ المُسْلِمينَ عُمْرَةِ القَضَاءِ بِخَمْسَةِ أَشْهُر (٣) . وَعَسْكَرُ الجيش بِالجُرْفِ عَلَى بُعْدِ عِدَةِ امْيَالٍ مِنَ المَدْينَةِ .

تعيين قادة الجيش :

اتَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذِه الغَزْوَةِ إِجْرَاءً احْتِيَاطِيّاً لِلمَرَةِ الأولَى، حَيثُ وَلّى عَدَداً مِنَ الأُمَراءِ بِالتَرتيبِ، مِمَّا دَلَّلَ عَلى جَوازْ تَعْليق الإِمَارَة بِشَرْط. فَقدْ عَيَّنَ زَيْدَ بن حَارِثَةَ

---

(١) أبو فارس، محمد : الصراع مع الصليبين، ص٢٠.

(٢) سالم، عبد الرحمن أحمد: المسلمون والروم في عصر النبوة ، ص٨٩.

(٣)ابن إسحاق بإسناد حسن الى عروة الذي أرسله، ابن هشام: السيرة ٢/ ٣٧٣، ابن سعد: الطبقات ٢/ ١٢٨، ابن حجر: فتح الباري ٧/ ٥١٠.

ﷺقائدًا للجيش وقَالَ: إِنْ قُتِلَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ بن أبي طالب، وَإِنْ قُتِلَ جَعْفَرٌ فَعبد الله بن رَوَاحَةَ [1].. وَالرَاجِحْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ توقعَ أَنْ تَحَفْ بِالسِّرِيَةِ الأَخْطَار بِسَبب بُعْدِ المَسَافَةِ، وَجَهْلِهِمْ بِالمَنْطقَةِ الَّتِي وُجِهُوا إليهَا، وَعَدمْ حُصُول تَجْرُبَةً سَابِقَةً فِي الاحْتِكَاكِ بِقُواتِ الإمبرَاطوريةِ البيزَنْطيَة وَحُلَفَائِهَا مِنَ القَبَائِل العَرَبيَةِ فِي بِلادِ الشَّامِ» [2].

المسلمون يودعون الجيش :

وَدَّعَ المُسْلِمونَ فِي المَدينَةِ إِخْوَانَهُمْ المُشَارِكينَ فِي الجَيْشِ، والأُمَرَاء الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ لِهذِهِ المُهِمَةِ، وَحِينَئِذٍ بَكَى أَحَدْ أُمَرَاءِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَقَالُوا :مَا يُبْكِيكَ يَا بْنَ رَوَاحَةَ؟ فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ مَا بِي حُبُّ الدُّنْيَا وَلَا صَبَابَةٌ بِكُمْ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَذْكُرُ فِيهَا النَّارَ﴿ وَإِنْ مِنكُمْ إِلَّا وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا﴾ [3].

فَلَسْتُ أَدْرِي كَيْفَ لِي بِالصَّدَرِ بَعْدَ الْوُرُودِ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: صَحِبَكُمْ اللَّهُ وَدَفَعَ عَنْكُمْ، وَرَدَّكُمْ إِلَيْنَا صَالِحِينَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ:

لَكِنَّنِي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً ... وضربة ذَات فرغ[4]تَقْذِفُ الزَّبَدا

أَوْ طَعْنَةً بِيَدَيْ حَرَّانَ مُجْهِزَةً ... بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبِدَا

---

[1] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المغازي, باب غزوة مؤتة٥/١٤٣،حديث(٤٢٦١).

[2] نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم١/٣٥٩.

[3] سورة مريم : الآية ٧١.

[4] ذات فرغ :ذات سعة .

حَتَّى يُقَالَ إِذَا مَرُّوا عَلَى جَدَثِي[1] ... أَرْشَدَهُ اللَّهُ مِنْ غَازٍ وَقَدْ رَشَدَا[2]

ثُمَّ خَرجَ القَوم ، وَخَرجَ رَسُولُ اللهِ مُشَيعاً لَهُمْ حَتَّى بَلغَ ثَنْيَة الوَدَاعِ ، فَوَقفَ وَوَدَّعَهُمْ[3]

تحرك الجيش الاسلامي إلى معان:

وَتَحَركَ الجَيْش حَتَّى وَصَلَ إلى مَعَانَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ وَأَناخَ فِيهَا، وَبَلغَ المُسْلِمونَ أَنَّ هِرْقَلْ قَدْ نَزَلَ بِأرضِ البَلقَاءِ فِي مَائَتي أَلْفَ مُقَاتلٍ نِصْفهمْ مِنَ الرُّومِ وَنِصْفهمْ مِنْ نَصَارَى العَرَب مِنْ قَبَائِل لَخْمٍ وَجُذَامٍ وَقُضَاعَة[4] .

المجلس الاستشاري بمعان:

لَمْ يَكُنِ المُسْلِمونَ أَدْخَلُوا فِي حِسَابِهمْ لَقَاء مِثْلَ هَذَا الجَيْشِ العَرَمْرمْ، الَّذِي بُوغِتُوا بِهِ فِي هَذِهِ الأرضِ البَعْيدَةِ- وَهَلْ يَهْجِم جَيشْ صَغْير، قِوَامُه ثَلَاثَةُ آلَافِ مُقَاتِلٍ فَحَسبْ، عَلَى جَيْشٍ كَبيرٍ عَرَمْرمْ، مِثلَ البَحْرِ الخِضَمْ، قِوَامُه مَائَتا أَلْفَ مُقَاتلٍ؟ حَارَ المُسْلِمونَ[5] ، وأَقَامُوا فِي مَعَانَ لَيْلَتَيْنِ يَنْظُرُونَ فِي أَمْرِهِمْ، وَقَالُوا: نَكْتُبُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَنُخْبِرُهُ بِعَدَدِ عَدُوِّنَا فَإِمَّا أَنْ يُمِدَّنَا بِالرِّجَالِ، وَإِمَّا أَنْ يَأْمُرَنَا بِأَمْرِهِ فَنَمْضِيَ لَهُ[6].

---

[1] جدثي: قبري.

[2] رواه ابن إسحاق بإسناد حسن إلى عروة: ابن هشام: السيرة النبوية ٢/ ٣٧٤ .

[3] حسن المالكي : إنارة الدجى في مغازي خير الورى ١/ ٥٥٩.

[4] ابن هشام: السيرة ٢/ ٣٧٥. ابن حزم: جوامع السيرة ص٢٢٠- ٢٢٢.

[5] المباركفوري: الرحيق المختوم ص٣٩٥.

[6] ابن القيم : زاد المعاد ٣/ ٣٣٧.

ولكن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ حَسَم المَوقِفْ بِقَولِهِ: (يَا قَوْمِ وَاللَّهِ إِنَّ الَّتِي تَكْرَهُونَ لَلَّتِي خَرَجْتُمْ تَطْلُبُونَ الشَّهَادَةُ، وَمَا نُقَاتِلُ النَّاسَ بِعَدَدٍ وَلَا قُوَّةٍ وَلَا كَثْرَةٍ، مَا نُقَاتِلُهُمْ إِلَّا بِهَذَا الدِّينِ الَّذِي أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِهِ، فَانْطَلِقُوا فَإِنَّمَا هِيَ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ، إِمَّا ظُهُورٌ وَإِمَّا شَهَادَةٌ)[1]، فَألهَبتْ كَلِمَاتُه مَشَاعِرَ المُجَاهِدينَ، وَانْدَفَعَ زَيْدَ بن حَارِثَةَ بِالنَّاسِ إِلَى مِنطَقَةِ مُؤتَة جَنوبِ الكَرَكْ يَسْير حَيثُ آثَرَ الاصْطِدامِ بِالرُّومِ هُناكَ، فَكَانَتْ مَلْحَمةً سَجلَ فِيهَا القَّادَة بُطولاتٍ عَظيمَةٍ [2].

الجيش الإسلامي يتحرك نحو العدو:

وَحِينَئِذٍ بَعْدَ أَنْ قَضَى الجَيْش الإسْلامِيِّ لَيْلَتَيْنِ في مَعَانَ ، تَحَرَّكُوا إِلَى أَرْضِ العَدُوِّ، حَتَّى لَقِيَتْهُمْ جُمُوعُ هِرَقْلَ مِنَ الرُّومِ وَالْعَرَبِ بِقَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الْبَلْقَاءِ يُقَالُ لَهَا مَشَارِفُ، ثُمّ دَنَا الْعَدُوّ، وَانْحَازَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى قَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا مُؤْتَةُ، فَالْتَقَى النّاسُ عِنْدَهَا، فَتَعَبّأَ لَهُمْ الْمُسْلِمُونَ، فَجَعَلُوا عَلَى مَيْمَنَتِهِمْ رَجُلًا مِنْ بَنِي عَذْرَة، يُقَالُ لَهُ: قُطْبَةَ بْنَ قَتَادَةَ الْعُذْرِيَّ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهِمْ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ عُبَايَةُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيّ[3].

بداية القتال، وتناوب القواد:

وَهُنَاكَ فِي مُؤتَة التَقَى الفَرِيقَانِ، وَبَدَأ القِتَال المَرِير، ثَلَاثَةُ آلَافٍ رَجُلٍ يُوَاجِهونَ هَجَمات مَائَتي أَلْفَ مُقَاتِلٍ. مَعْرَكَة عَجيبَة تُشَاهِدَها الدُّنْيَا بِالدَّهْشَةِ وَالحِيرَةِ، وَلكنْ

---

[1] ابن كثير ،ألبداية والنهاية ٦/٤١٦.

[2] العمري : السيرة النبوية الصحيحة٢/٤٦٨.

[3] السهيلي : الروض الآنف ٧/١٤.

إِذَا هَبتْ رُيح الإيمانِ جَاءَتْ بِالعَجَائِبِ. قَاتَلَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ بِرَايَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِضَرَاوَةٍ بَالِغَةٍ، وَبَسَالَةٍ لا يُوجَدْ لَهَا نَظْير إلاّ فِي أَمْثَالِه مِنْ أَبْطَالِ الإِسْلامِ، فَلَمْ يَزْل يُقَاتِل وَيُقَاتِل حَتَّى شَاطَ [1] فِي رِمَاحِ الْقَوْمِ.

وَحِينَئِذٍ أَخذَ الرَّايَة جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، وَطَفِقَ يُقَاتِلُ قِتَالاً مُنْقَطِع النَّظْير ، حَتَّى إِذَا أَرْهَقَه القِتَال اقْتَحَمَ عَنْ فَرَسِهِ الشَّقْرَاءَ فَعَقَرَهَا ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّى قَطِعَتْ يَمِينُهُ، فَأَخَذَ الرَّايَة بِشِمَالِهِ ، وَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَّى قَطِعَتْ شِمَالُهُ ، فَاحْتَضَنَها بِعَضُدَيْهِ ، فَلَمْ يَزَلْ رَافِعاً إِيَّاهَا حَتَّى قُتِلَ. وَيُقَالُ: إنَّ رُّومِياً ضَرَبَهُ ضَرْبَةً، فَقَطَعَتهُ نِصْفَيْنِ. وأَثَابَهُ اللَّهُ بِجناحَيْهِ جَنَاحَيْنِ فِي الْجَنَّةِ يَطِيرُ بِهِمَا حَيْثُ شَاءَ، وَلِذَلِكَ سُّمِيَّ: بِجَعْفَرِ الطَّيار، وَبِجَعْفَرِ ذِي الْجَنَاحَيْنِ. وكَانَ ابْنُ عُمَرَ - رضي الله عنه - إِذَا حَيَّا ابْنَ جَعْفَرٍ قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا ابْنَ ذِي الْجَنَاحَيْنِ[2].

عن ابْنِ عُمَرَ ﷺأَنَّهُ وَقَفَ عَلَى جَعْفَرٍ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ قَتِيلٌ، قال: فَعَدَدْتُ بِهِ خَمْسِينَ بَيْنَ طَعْنَةٍ وَضَرْبَةٍ لَيْسَ مِنْهَا شَيْء في دُبُرِهِ - يَعْنِي: في ظَهْرِهِ [3].وفي رواية أن ابن عمر قال: فَالْتَمَسْنَا مَا في جَسَدِهِ بِضْعًا وَتِسْعِينَ مِنْ طَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ[4].والظاهر هنا -والله أعلم- أَنَّ الْعَدَدَ ليس بمَفْهُوم؛ وإنما أراد ابن عمر - رضي الله عنه - أن يُكنّى عن كثرة الطعنات أو« لبَيَان فَرْطِ شَجَاعَتِهِ وَإِقْدَامِهِ» [5].

وَلَمَّا قُتِلَ جَعْفَرٌ أَخَذَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ الرَّايَةَ، ثُمَّ تَقَدَّمَ بِهَا، وَهُوَ عَلَى فَرَسِهِ، فَجَعَلَ يَسْتَنْزِلُ نَفْسَهُ، وَيَتَرَدَّدُ بَعْضَ التَّرَدُّدِ، ثُمَّ قَالَ:

---

[1] يُقَال شاط الرجل: إذا سَالَ دَمه فَهَلَك.

[2] صحيح: أخرجه البخاري : كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة٥/ ٢٠،حديث(٣٧٠٩).

[3] صحيح: أخرجه البخاري : كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة٥/ ١٤٣،حديث(٤٢٦٠).

[4] صحيح: أخرجه البخاري : كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة٥/ ١٤٣،حديث(٤٢٦١).

[5] ابن حجر : فتح الباري ٧/ ٥١٢.

أَقْسَمْتُ يَا نَفْسُ لَتَنْزِلِنَّهْ ... لَتَنْزِلِنَّ أَوْ لَتُكْرَهِنَّهْ

إِنْ أَجْلَبَ النَّاسُ[1] وَشَدُّوا الرَّنَّه[2]... مَا لِي أَرَاكِ تَكْرَهِينَ الْجَنَّهْ

قَدْ طَالَ مَا قَدْ كُنْتِ مُطْمَئِنَّهْ ... هَلْ أَنْتِ إِلَّا نُطْفَةٌ[3] فِي شَنَّهْ[4]

وَقَالَ أَيْضًا:

يَا نَفْسُ إِلَّا تُقْتَلِي تَمُوتِي ... هَذَا حِمَامُ الْمَوْتِ قَدْ صَلِيتْ

وَمَا تَمَنَّيْتِ فَقَدْ أُعْطِيتُ ... إِنْ تَفْعَلِي فِعْلَهُمَا هُدِيتُ

يُرِيدُ صَاحِبَيْهِ: زَيْدًا وَجَعْفَرًا، ثُمَّ نَزَلَ. فَلَمَّا نَزَلَ أَتَاهُ ابْنُ عَمٍّ لَهُ بِعَرْقٍ[5] مِنْ لَحْمٍ فَقَالَ: شُدَّ بِهَذَا صُلْبَكَ، فَإِنَّكَ قَدْ لَقِيتُ فِي أَيَّامِكَ هَذِهِ مَا لَقِيتُ، فَأَخَذَهُ مِنْ يَدِهِ ثُمَّ انْتَهَسَ[6] مِنْهُ نَهْسَةً، ثُمَّ سَمِعَ الْحَطْمَةَ[7] فِي نَاحِيَةِ النَّاسِ، فَقَالَ:

وَأَنْتَ فِي الدُّنْيَا! ثُمَّ أَلْقَاهُ مِنْ يَدِهِ، ثُمَّ أَخَذَ سَيْفَهُ فَتَقَدَّمَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ[8].

الراية إلى سيف من سيوف الله:

وَحِينَئِذٍ تَقَدَمَ رَجُلٌ من بَنِي الْعَجْلَانِ ـ اسمه ثَابِتُ بْنُ أَقْرَمَ ـ فَأَخَذَ الرَّايَةَ وقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ اصْطَلِحُوا عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ، قَالُوا: أَنْتَ، قَالَ: مَا أَنَا بِفَاعِلٍ.

---

(١) أجلب الْقَوْم: صاحوا واجتمعوا.

(٢) الرنة: صَوت تَرْجِيع شبه الْبكاء.

(٣) النُّطْفَة: المَاء الْقَلِيل الصافي.

(٤) الشنة: السقاء الْبَالِي، أَي فيوشك أَن تهراق النُّطْفَة أَو ينخرق السقاء، ضرب ذَلِك مثلا لنَفسِهِ فِي جسده.

(٥) الْعرق: الْعظم الَّذِي عَلَيْهِ بعض لحم.

(٦) انتهس: أَخذ مِنْهُ بفمه يَسِيرا.

(٧) الحطمة: زحام النَّاس وحطم بَعضهم بَعْضًا.

(٨) سنده صحيح: ابن هشام :السيرة النبوية ٢/ ٣٨٠.

فَاصْطَلَحَ النَّاسُ عَلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ [1] فَلَمَّا أَخَذَ الرَّايَةَ قَاتَلَ قِتَالاً مَرِيراً ، فَقَدْ رَوَى البُخَارِي عن خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ قال: لَقَدْ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلَّا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَةٌ [2] . وفي لفظ آخر: سَمِعْتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ يَقُولُ لَقَدْ لَقَدْ دُقَّ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ وَصَبَرَتْ فِي يَدِي صَفِيحَةٌ لِي يَمَانِيَة [3] .

قال ابن حجر – رحمه الله –:وَهَذَا الْحَدِيث يَقْتَضِي أَنَّ الْمُسْلِمِينَ قَتَلُوا مِنْ الْمُشْرِكِينَ كَثِيرًا. اهـ [4]. وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺيوم مُؤتَة مُخْبِرًا بَالوَحْيِّ ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ يَأْتِيَ إلى النَّاسِ الخَبَرُ مِنْ سَاحَةِ القِتَالِ، فَقَالَ: أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ، حَتَّى أَخَذَ الرَّايَةَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ الله حَتَّى فَتَحَ الله عَلَيْهِمْ [5].

خالد وخطة الانسحاب الرائعة :

أَصْبَحَتِ الخِطَة الأَسَاسِيَّة المَنوطَة بِخَالِد فِي تِلْكَ السَّاعَة العَصِيبَة مِنَّ القِتَالِ، أن ينقذ المسلمين من الهلاك الجماعي، فَبَعْدَ أَنْ قَدَرَ المَوقِفْ وَاحْتِمَالاتِه المُخْتَلِفَة قدرًا دقيقًا، وَدَرسَ ظُرُوفِ المَعْرَكَةِ دَرْساً وَافِيَاً وَتَوقعَ نَتَائِجَهَا، اقْتَنعَ بَأَنَّ الانْسِحَاب بِأَقَلْ خَسَارَةٍ مُمْكِنَةٍ هُوَ الحَلْ الأَفْضَلْ، فَقُوَة العَدُوِّ تَبْلُغ (٦٦) ضِعْفَاً لِقُوَةِ المُسْلِمِينَ، فَلَمْ يَبْقَ أَمامَ هَؤُلاءِ إِلاَّ الانْسِحَاب المُنَظَم وَعَلَى هَذَا الأَسَاسِ وَضَعَ خَالِدْ الخطة التالية:

أ- الحَيْلولَة بَيْنَ جَيشِ الرُّومِ وَجَيشِ المُسْلِمِينَ لِكَي يَضْمن جَيشِ المُسْلِمِينَ

---

[1] المصدر نفسه.

[2] صحيح البخاري: باب غزوة مؤتة من أرض الشام ٥/ ١٤٤،حديث(٤٢٦٥).

[3] صحيح البخاري: باب غزوة مؤتة من أرض الشام ٥/ ١٤٤،حديث(٤٢٦٦).

[4] ابن حجر : فتح الباري ٧/ ٥١٦.

[5] صحيح البخاري: باب غزوة مؤتة من أرض الشام ٥/ ١٤٣،حديث(٤٢٦٢).

سَلامة الانسحاب .

ب- لِبلوغِ هَذَا الهَدَف، لا بُدَّ مِنْ تَضْليلِ العَدُوَّ بِإيهَامِهِ أَنَّ مَدَداً وَردَ إلى جَيشِ المُسْلِمينَ فَيُخَفِفْ مِنْ ضَغْطِهِ وَهَجَمَاتِه، وَيَتَمَكَن المُسْلِمونَ مِنَ الانْسِحَاب، وَصَمدَ خَالِد حَتَّى المَسَاءِ عَمَلاً بِهَذِه الخِطَة، وَغيرَّ فِي ظَلامِ اللَّيلِ مَرَاكِزَ المُقَاتِلينَ فِي جَيشه، فَاسْتَبدَلَ المَيمَنَة بِالمَيْسَرَة، وَمُقدمَة القَّلْب بِالمُؤَخِرَة، وَفِي أَثْنَاء عَمَليةِ الاسْتِبْدَال اصْطَنَعَ ضَجَّةً صَاخِبَةً وَجَلَبَةً قَوِيَة، ثُمَّ حَمَلَ عَلَى العَدُوِّ، عِنْدَ الفَجْرِ، بِهَجَمَاتٍ سَريعَةٍ مُتَتَالِيةٍ وَقَوِيَةٍ لِيُدخِلَ فِي رَوعِه أَنَّ إمْدَادَاتٍ كَثيرَةٍ وَصَلَتْ إلَى المُسْلِمينَ [1].

نهاية المعركة :

مَا كَادَ يَطْلَع الصَبَاح حَتَّى وَجدَ الرُومان أَنْفُسَهمْ أَمَامَ جَيشٍ جَديدٍ فَأَنكَرُوا مِنَ المُسلِمينَ مَا كَانُوا يَعْرِفُونَهُ طَوَال ايَامِ القِتَالِ السِتَةِ ، وَنَجَحتْ الخِطَة؛ إذْ بَدَا لِلعَدوِ صَبَاحَاً أَنَّ الوُجُوهِ وَالرَّايَاتِ الَّتِي تُوَاجِهُهُ جَدْيدَةً لَمْ يَرَهَا مِنْ قَبْلُ، وَأَنَّ المُسْلِمينَ يَقُومونَ بِهَجَمَاتٍ عَنيفَةٍ، فَأَيْقَنَ أَنَّهُمْ تَلَقَوا إمْدَادَاتٍ، وَأَنَّ جَيْشَاً جَدْيداً نَزلَ إلَى المَيْدانِ، وَكَانَ البَلاءُ الحَسنُ الَّذِي أَبْلاهُ المُسْلمونَ قَدْ فَتَ فِي عَضُدْ الرُّوم وُحُلَفائِهِمْ، فَأَدْرَكُوا أَنَّ إحْرَاز نَصْر حَاسِم وَنِهَائِي عَلَى المُسْلِمينَ أَمر مُسْتَحيل، فَتَخَاذَلُوا وَتَقَاعَسُوا عَنْ مُتَابَعةِ الهُجُومِ، وَضعْف نَشَاطَهمْ وانْدِفَاعِهِمْ، فَخَفَ الضَغطْ عَنْ جَيْشِ المُسْلِمينَ، وَانْتَهزَ خَالد الفُرْصَة فَبَاشَر الانْسِحَاب، وَكَانَتْ عَمليَة التَرَاجُع الَّتِي قَامَ بِهَا خالد في أَثْنَاء مَعْرَكةِ (مُؤتة) مِنْ أَكْثَرِ العَمَلياتِ فِي التَاريخِ العَسْكَرِي مَهَارَةً وَنَجَاحَاً، بَلْ إنَّهَا تَتَفِق وَتَتَلائَم معَ التَكْتيكِ الحَدْيثِ لِلانْسِحَابِ، فَقَدْ عَمدَ خَالدْ إلى سَحْبِ الجَنَاحينِ بِحمَايةِ القَلبِ، وَلَمَّا أَصْبحَ الجَنَاحانِ بِمَنأى عَنِ العَدُوِّ،

[1] الصلابي : السيرة النبوية ١/ ٧٣٧.

وَفِي مَأمنْ مِنهُ، عَمدَ إِلَى سَحْبِ القَلْبِ بِحمَايةِ الجَنَاحَينَ، إِلَى أَنْ تَمكنَ وَضَمنَ سَلامَة الانْسِحَابِ كُلِيّاً ،وَيُمْكِن القَول إنَّ خَالِدَاً بِخُطَتِه تِلكَ، قَدْ أَنْقَذَ اللهُ المُسْلِمينَ بِه مِنْ هَزْيمَةٍ مَاحِقَةٍ وَقَتلٍ مُحَقَقٍ، وَأَنَّ انْسِحَابَهُ كَانَ قِمَةِ النَصْر بِالنِسْبَةِ إِلَى ظُروفِ المَعْرَكَةِ، حَيثُ يَكُونُ الانْسِحَابِ فِي ظُروفِ مُمَاثِلَةِ أَصْعبْ حَرَكات القِتَال، بَلْ أَجْدَاهَا وَأَنْفَعَهَا [1].وَهَكَذَا انْحَازَ العَدُوُّ إِلَى بِلادِهِ، وَلَمْ يُفكِرْ فِي القِّيَام بُمُطَارَدةِ المُسْلِمينَ، وَنجحَ المُسْلِمونَ فِي الانْحِيازِ سَالِمِينَ. ولمَّا أَقْبَلَ أَصْحَابُ مُؤْتَةَ تَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ مَعَهُ فَجَعَلُوا يَحْثُونَ عَلَيْهِمُ التُّرَابَ وَيَقُولُونَ: يَا فُرَّارُ فَرَرْتُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَيْسُوا بِالْفُرَّارِ، وَلَكِنَّهُمُ الْكُرَّارُ إِنْ شَاءَ اللهُ[2].

[1] سويد، ياسين : معارك خالد بن الوليد، ص١٧٥.

[2] البيهقي : دلائل النبوة ٤/ ٣٧٤.

المبحث الثاني

المستفاد من أحداث غزوة مؤتة

١- دلت توصية النبي ﷺ، على أنه يجوز للخليفة أو الحاكم أن يعلق إمارة أحد الناس بشرط، وأن يولّي المسلمين عدة أمراء بالترتيب، كما فعل النبي ﷺ في تولية زيد بن حارثة ثم جعفر بن أبي طالب ثم عبد الله بن رواحة، وتنعقد ولاية الكل في ذلك مرتبة[١].

٢- دلت توصية الرسول ﷺ أيضا، على جواز التأمر في الحرب بغير تأمير[٢].

٣- يدل نعي النبي ﷺ للقادة الثلاثة على أن الله تعالى قد طوى الأرض لرسوله ﷺ، فأضحى يرى من شأن المسلمين الذين يقاتلون على مشارف الشام، ما حدث أصحابه به، وهي من جملة المعجزات الكثيرة التي أكرمه الله بها.

٤- لا يتنافى ذرفه ﷺ للدموع وهو يُخبر أصحابه في المدينة باستشهاد القادة مع الرضى بقضاء الله تعالى وقدره فإن العين لتدمع والقلب ليحزن- كما قال عليه الصلاة والسلام- وتلك رقة طبيعية ورحمة فطر الله الإنسان عليها[٣].

---

[١] : ابن حجر: فتح الباري ٧/٥١٣.

[٢] كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري ١١/٢٩٣.

[٣] المرجع نفسه .

المستفاد من إكرام النبي ﷺ لآل جعفر بن أبي طالب :

لَمَّا أُصِيبَ جَعْفَرٌ وَأَصْحَابُهُ، دَخَلَ عَلِيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ عَجَنْتُ عَجِينَهُمْ وَغَسَلَتُ بَنِيَّ وَدَهَنْتُهُمْ وَنَظَّفْتُهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ائْتِينِي بِبَنِي جَعْفَرٍ» قَالَتْ: فَأَتَيْتُهُ بِهِمْ فَشَمَّهُمْ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بِأَبِي وَأُمِّي مَا يُبْكِيكَ؟ أَبَلَغَكَ شَيْءٌ عَنْ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، أُصِيبُوا هَذَا الْيَوْمَ» قَالَتْ: فَقُمْتُ أَصِيحُ وَاجْتَمَعَ إِلَى النِّسَاءِ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ: «لَا تُغْفِلُوا آلَ جَعْفَرٍ مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا لَهُمْ طَعَامًا، فَإِنَّهُمْ قَدْ شُغِلُوا بِأَمْرِ صَاحِبِهِمْ»[1].

وتلحظ في هذا الخبر عدة أمور منها:

١- جواز بكاء المرأة على زوجها المتوفى: أُخذ هذا من فعل أسماء بنت عميس رضي الله عنها حينما نعى النبي ﷺ زوجها ومن معه، فبكت وصاحت، فلم ينكر عليها النبي ﷺ ولم ينهها عن ذلك، ولو كان ممنوعًا لنهاها عن ذلك، والبكاء الذي نهى عنه الإسلام هو ما كان سائدًا عند أهل الجاهلية من النواح واللطم وشق الجيوب، والتبرم بقضاء الله وقدره، وما إلى ذلك مما يكون سببًا في معصية الخالق سبحانه.

٢- استحباب صنع الطعام لأهل الميت: وقد ندب الرسول ﷺ الناس أن يصنعوا طعامًا لآل جعفر، فَعنْ عبد الله بن جَعْفَرٍ - رضي الله عنهما - قَالَ: لما جاء نعي جعفر، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ "اصْنَعُوا لِآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا، فَإِنَّهُ قَدْ أَتَاهُمْ ما يشغلهم

---

[1] رواه الطبراني في معجمه الكبير : ٢٤/١٤٣، حديث (٣٨٠).

- أو أَمْرٌ شَغَلَهُمْ" [1].

وهذا فيه مواساة لأهل المتوفى وتخفيف مصابهم، وفي الوقت نفسه تكافل بينهم وهذه السنة خالفتها بعض الشعوب الإسلامية، وأصبح أهل الميت يصنعون الطعام للقادمين، وهذا أمر قبيح ينبغي أن يبتعد عنه المسلمون [2]. هذا وقد نهى رسول الله ﷺ عن البكاء بعد ثلاث، فقد دخل على أسماء وقال لها: «لا تبكوا على أخي بعد اليوم، ادعوا لي بني أخي» فجيء بهم كأنهم أفرخ، فدعا بالحلاق فحلق لهم رؤوسهم ثم قال: «أما محمد فشبيه عمنا أبي طالب، وأما عبد الله فشبيه خلقي وخلقي»، ثم أخذ بيمين عبد الله وقال: «اللّهم اخلف جعفرًا في أهله وبارك لعبد الله في صفقة يمينه» قالها ثلاثا [3]. ولما ذكرت له أمهم يتمهم وضعفهم قال لها: «العيلة تخافين عليهم، وأنا وليهم في الدنيا والآخرة» [4]. وهذا منهج نبوي كريم خطه رسول الله ﷺ لرعـاية وتكريم أبناء الشهداء لكي تسير الأمة على نهجه الميمون [5].

٣- زواج أبي بكر الصديق من أسماء بنت عميس: وبعد أن انقضت عدة أسماء بنت عميس خطبها أبو بكر الصديق ﷺ فتزوجها، وولدت له محمد بن أبي بكر، وبعدما توفي الصديق تزوجها بعده علي بن أبي طالب، وولدت له أولادًا ﷺ وعنها وعنهم أجمعين.وقد ذكر ابن كثير أن أسماء بنت عميس رثت زوجها جعفر بن أبي

---

[1] صحيح: أخرجه أبو داود (٣١٣٢)، كتاب: الجنائز، باب: في صنعة الطعام لأهل الميت، ابن ماجه (١٦١٠)، كتاب: الجنائز، باب: في الطعام يبعث لأهل الميت، وحسنه الألباني في "صحيح السنن".

[2] أبو فارس، محمد : الصراع مع الصليبين ، ص٦٨.

[3] أبو شهبة ،محمد: السيرة النبوية٢/ ٤٣٠.

[4] رواه الطبراني في معجمه الكبير : ٢/ ١٠٥، حديث (١٤٦١).

[5] أبو شهبة ،محمد: السيرة النبوية٢/ ٤٣٠.

طالب بقصيدة تقول فيها:

فآليت لا تنفك نفسي حزينة ... عليك ولا ينفك جلدي أغبرا

فلله عينا من رأى مثله فتى ... أكر وأحمر في الهياج وأصبرا [1]

المستفاد من موقف أهل المدينة من الجيش:

لما دنا الجيش من حول المدينة، بدأ الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون: يا فرار، أفررتم في سبيل الله، ويقول رسول الله ﷺ : ليسوا بالفرار، ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى.

إن الإنسان ليعجب من هذه التربية النبوية التي صنعت من الأطفال الصغار، رجالاً وأبطالاً، يرون العودة من المعركة دون شهادة في سبيل الله، فرارًا من سبيل الله، لا يكافئون عليه إلا بحثو التراب في وجوههم [2].

المستفاد من موقف الصحابي ثابت بن أقرم العجلاني في غزوة مؤتة :

عندما أخذ الصحابي الجليل ثابت بن أقرم العجلاني اللواء بعد استشهاد عبد الله بن رواحة آخر الأمراء، وذلك أداء منه للواجب؛ لأن وقوع الراية معناه هزيمة الجيش، ثم نادى المسلمين أن يختاروا لهم قائدًا، وفي زحمة الأحداث قالوا: أنت، قال: ما أنا بفاعل .. فاصطلح الناس على خالد. وفي رواية أن ثابتًا مشى باللواء إلى خالد، فقال خالد: لا آخذه منك، أنت أحق به فقال: والله ما أخذته إلا لك.

---

[1] الصلابي : السيرة النبوية ١/ ٧٤٠.

[2] فيض الله،محمد فوزي: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة ، ص٣٥٨.

إن مضمون كلتا الروايتين واحدٌ، أن ثابتًا جمع المسلمين أولاً وأعطى القوس باريها، فأعطى الراية أبا سليمان خالد بن الوليد [1] ، ولم يقبل قول المسلمين: أنت أميرنا، ذلك أنه يرى فيهم من هو أكفأ منه لهذا العمل، وحينما يتولى العمل من ليس له بأهل، فإن الفساد متوقع، والعمل حينما يكون لله تعالى، لا يكون فيه أثر لحب الشهرة، أو حظ النفس. إن ثابتًا لم يكن عاجزًا عن قيادة المسلمين، وهو ممن حضر بدرًا، ولكنه رأى من الظلم أن يتولى عملاً وفي المسلمين من هو أجدر به منه، حتى ولو لم يمضِ على إسلامه أكثر من ثلاثة أشهر؛ لأن الغاية هي السعي لتنفيذ أوامر الله على الوجه الأحسن والطريقة الأمثل [2].

إن كثيرًا ممن يتزعمون قيادة الدعوة الإسلامية اليوم يضعون العراقيل أمام الطاقات الجديدة، والقدرات الفذة خوفًا على مكانتهم القيادية، وامتيازاتهم الشخصية، وأطماعهم الدنيوية، فعلى أولئك القادة أن يتعظوا من هذا الدرس البليغ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

المستفاد من موقف النبي ﷺ في حماية القادة والأمراء:

قال عوف بن مالك الأشجعي ﷺ : خرجت مع زيد بن حارثة في غزوة مؤتة ورافقني مدديّ من اليمن [3]... ومضينا فلقينا جموع الروم، فيهم رجل على فرس له أشقر عليه سرج مذهب وله سلاح مذهب، فجعل الرومي يضرب بالمسلمين، فقعد له المددي خلف صخرة فمر به الرومي فعرقب فرسه بسيفه، وفر الرومي،

---

[1] الحميدي ، عبد العزيز : التاريخ الإسلامي مواقف وعبر٧/ ١٢٤.

[2] الشامي: من معين السيرة ، ص٣٧٦.

[3] مددي أي جاء مددا، وفي رواية: رجل من حمير.

فعلاه بسيفه فقتله وحاز فرسه وسلاحه، فلما فتح الله للمسلمين، بعث إليه خالد بن الوليد فأخذ منه بعض السلب، قال عوف: فأتيت خالدًا، وقلت له: أما علمت أن رسول الله ﷺ قضى بالسلب للقاتل؟ قال: بلى، ولكني استكثرته قلت: لتردنها إليه أو لأعرفنكها عند رسول الله ﷺ ، فأبى أن يرد عليه. قال عوف: فاجتمعنا عند رسول الله فقصصت عليه قصة المددي، وما فعل خالد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا خالد ما حملك على ما صنعت؟» قال: استكثرته فقال: «رد عليه الذي أخذت منه». قال عوف: فقلت: دونكها يا خالد، ألم أوف لك؟ فقال رسول الله ﷺ : «وما ذلك؟» فأخبرته قال: فغضب رسول الله ﷺ وقال: «لا تعطه يا خالد لا تعطه يا خالد هل أنتم تاركون لي أمرائي ؟ إنما أنا مثلكم ومثلهم كمثل رجل استرعى إبلا أو غنما فرعاها ثم تحين سقيها فأوردها حوضا فشرعت فيه فشربت صفوه وتركت كدره فصفوه لكم وكدره عليهم »[1]. هذا موقف عظيم من النبي ﷺ في حماية القادة والأمراء من أن يتعرضوا للإهانة بسبب الأخطاء التي قد تقع منهم، فهم بشر معرضون للخطأ، فينبغي السعي في إصلاح خطئهم من غير تنقص ولا إهانة، فخالد حين يمنع ذلك المجاهد سلبه لم يقصد الإساءة إليه، وإنما اجتهد فغلَّب جانب المصلحة العامة، حيث استكثر ذلك السلب على فرد واحد، ورأى أنه إذا دخل في الغنيمة العامة نفع عددًا أكبر من المجاهدين، وعوف بن مالك أدى مهمته في الإنكار على خالد، ثم رفع الأمر إلى رسول الله ﷺ حينما لم يقبل خالد قوله، وكان المفترض أن تكون مهمته قد انتهت بذلك؛ لأنه والحال هذه قد دخل في أمر من أوامر الإصلاح، وقد تم الإصلاح على يديه، ولكنه تجاوز هذه المهمة حيث حول القضية من قضية إصلاحية إلى قضية شخصية، فأظهر شيئًا من التشفي من

---

[1] صحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير ، باب استحقاق القاتل سلب القتيل ٣/١٣٧٣، حديث (١٧٥٣).

خالد، ولم يقره النبي ﷺ على ذلك، بل أنكر عليه إنكارًا شديدًا وبيَّن حق الولاة على جنودهم، وكون النبي ﷺ أمر خالدًا بعدم رد السلب على صاحبه لا يعني أن حق ذلك المجاهد قد ضاع؛ لأنه لا يمكن أن يأخذ رسول الله ﷺ إنسانًا بجريرة غيره، فلا بد أن ذلك المجاهد قد حصل منه الرضا، إما بتعويض عن ذلك السلب أو بتنازل منه أو غير ذلك فيما لا يذكر تفصيله في الخبر [1].

إن الأمة التي لا تقدر رجالها ولا تحترمهم لا يمكن أن يقوم فيها نظام، إن التربية النبوية استطاعت بناء هذه الأمة بناء سليمًا، وما أحرى المسلمين اليوم أن يكون كل إنسان في مكانه، وأن يحترم ويقدر بمقدار ما يقدم لهذا الدين، ويبقى الجميع بعد ذلك في الإطار العام الذي وصف الله به المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَّرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [2] وفي قوله ﷺ : «هل أنتم تاركون لي أمرائي» وسام آخر يضاف إلى خالد رضي الله عنه حيث عد من أمراء الرسول ﷺ ، وهذا من المنهاج النبوي الكريم في تقدير الرجال [3].

دور الإيمان في المعركة :

توقف الجيش الإسلامي في معان يناقش كثرة جيش العدو، وكانت المقاييس المادية لا تشجعهم على خوض المعركة، ومع ذلك تابعوا طريقهم ودخلوا بمقاييس

---

[1] الحميدي ، عبد العزيز : التاريخ الإسلامي مواقف وعبر٧/ ١٣٠.

[2] سورة المائدة : الآية ٥٤.

[3] الشامي: من معين السيرة ، ص٣٧٨.

إيمانية، فهم خرجوا يطلبون الشهادة فلماذا إذن يفرون مما خرجوا لطلبه. قال زيد بن أرقم: كنت يتيمًا لعبد الله بن رواحة في حجره، فخرج بي في سفره ذلك مردفي على حقيبة رحله، فوالله إنه ليسير ليلة إذ سمعته ينشد أبياتًا منها:

وجاء المسلمون وغادروني ... بأرض الشام مشتهى الثواء

ﷺفلما سمعتها منه بكيت، قال: فخفقني بالدرة، وقال: وما عليك يا لكع أن يرزقني الله الشهادة وترجع بين شعبتي الرحل [1].

إن التأمل بعمق في غزوة مؤتة يساعدنا في معالجة الهزيمة النفسية والروحية التي تمر بها الأمة، وإقامة الحجة على القائلين بأن سبب هزيمتنا التفوق التكنولوجي لدى الأعداء. لقد سجل ابن كثير رأيه في هذه المعركة وقال: (... هذا عظيم جدا أن يقاتل جيشان متعاديان في الدين، أحدهما وهو الفئة التي تقاتل في سبيل الله عدتها ثلاثة آلاف، وأخرى كافرة وعدتها مائتا ألف مقاتل، من الروم مائة ألف، ومن نصارى العرب مائة ألف، يتبارزون ويتصاولون ثم مع هذا كله لا يقتل من المسلمين إلا اثنا عشر رجلا، وقد قتل من المشركين خلق كثير، هذا خالد وحده يقول: لقد اندقَّت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقى في يدي إلا صفيحة يمانية، فماذا ترى قد قتل بهذه الأسياف كلها؟ دع غيره من الأبطال والشجعان من حملة القرآن، وقد تحكموا في عبدة الصلبان عليهم لعائن الرحمن في ذلك الزمان وفي كل أوان ...) [2].

---

[1] ابن هشام : السيرة النبوية ٢/٣٧٧.

[2] ابن كثير : البداية والنهاية ٣/٤٨٩.

الفصل الحادي عشر
غــزوة فتــح مكــة

تمهيد :

لَقدْ أَصْبحَ المُسْلِمونَ قِوَى عُظْمَى فِي جَزيرَةِ العَرَب بَعْدَ فَتْحِ مَكَة، وَتَحَققتْ أُمنِيةُ الرَسُولُ ﷺ بِدخولِ قُرَيْشٍ فِي الإسْلامِ، وَبَرزَتْ قُوَةً كُبْرَى فِي الجَزْيرَةِ العَرَبيَة لا يَسْتَطيعْ أَي تَجَمُع قَبَلِي الوُقوف فِي وَجْهِهَا، وَهِيَ مُؤهَلَة لِتَوحيدِ العَرَبِ تَحْتَ رَايَةِ الإسْلامِ ثُمَّ الانْطِلاقِ إلى الأقْطارِ المُجَاورَةِ، لإخْرَاجِ العِبَاد مِنْ عِبَادَةِ العِبَادِ إلى عِبَادَةِ رَبِ العباد وَمِنْ جَورِ الأدْيَان إلى عَدْلِ الإسْلامِ وَمِنْ ضِيقِ الدُنْيَا إلى سِعَتِهَا وَإزَالَةِ الظُلمِ وَالطُغْيَانِ عَنِ العِبَادِ وَالبِلادِ. وَمِنْ أَجْلِ التَعرفِ عَنْ أَسْبَابِ غَزْوَة فَتْحِ مَكَّةَ وَأَهَمْ أَحْدَاثِهَا والدُروسِ المُسْتَفَادَة مِنْهَا فَقدْ قَسَّمنَا هَذَا الفَصْلِ إلى مَبْحَثَينِ مُتَتَاليينِ وَعَلَى النَحوِ التَالي :

المَبْحَث الأول : أَحَدَاث غَزْوَة فَتْحِ مَكَّةَ .

المَبْحَث الثاني : المُسْتَفاد مِنْ أَحَدَاث غَزْوَة فَتْحِ مَكَّةَ .

المبحث الاول

احداث غزوة فتح مكة

اسباب الغزوة:

كَانَ فِى صُلْحِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ أَنَّهُ مَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِى عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ وَمَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِى عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ فتَوَاثَبَتْ خُزَاعَةُ فَقَالُوا نَحْنُ نَدْخُلُ فِى عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ وَتَوَاثَبَتْ بَنُو بَكْرٍ فَقَالُوا نَحْنُ نَدْخُلُ فِى عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ فَمَكَثُوا فِى تِلْكِ الْهُدْنَةِ نَحْوَ السَّبْعَةِ أَوِ الثَّمَانِيَةِ عَشَرَ شَهْرًا ثُمَّ إِنَّ بَنِى بَكْرٍ الَّذِينَ كَانُوا دَخَلُوا فِى عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ وَثَبُوا عَلَى خُزَاعَةَ الَّذِينَ دَخَلُوا فِى عَقْدِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَعَهْدِهِ لَيْلاً بِمَاءٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ الْوَتِيرُ قَرِيبٍ مِنْ مَكَّةَ فَقَالَتْ قُرَيْشٌ مَا يَعْلَمُ بِنَا مُحَمَّدٌ وَهَذَا اللَّيْلُ وَمَا يَرَانَا أَحَدٌ فَأَعَانُوهُمْ عَلَيْهِمْ بِالْكُرَاعِ وَالسِّلاَحِ فَقَاتَلُوهُمْ مَعَهُمْ لِلضِّغْنِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَإِنَّ عَمْرَو بْنَ سَالِمٍ رَكِبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عِنْدَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ خُزَاعَةَ وَبَنِى بَكْرٍ بِالْوَتِيرِ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يُخْبِرُهُ الْخَبَرَ وَقَدْ قَالَ أَبْيَاتَ شِعْرٍ فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَنْشَدَهُ إِيَّاهَا

اللَّهُمَّ إِنِّى نَاشِدٌ مُحَمَّدَا ... حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الأَتْلَدَا

كُنَّا وَالِدًا وَكُنْتَ وَلَدَا ... ثُمَّتَ أَسْلَمْنَا وَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا

فَانْصُرْ رَسُولَ اللَّهِ نَصْرًا أَعْتَدَا ... وَادْعُوا عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا

فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا ... إِنْ سِيمَ خَسْفًا وَجْهُهُ تَرَبَّدَا

فِى فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِى مُزْبِدَا ... إِنَّ قُرَيْشًا أَخْلَفُوكَ الْمَوْعِدَا

وَنَقَضُـــوا مِيثَاقَـــكَ الْمُؤَكَّـــدَا وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا
فَهُـــمْ أَذَلُّ وَأَقَـــلُّ عَـــدَدَا قَـدْ جَعَلُوا لِي بِكَـدَاءٍ مَرْصَـدَا
هُـــمْ بَيَّتُونَـــا بِـــالْوَتِيرِ هُجَّـــدَا فَقَتَلُونَـــا رُكَّعًـــا وَسُـــجَّدَا

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- :« نُصِرْتَ يَا عَمْرَو بْنَ سَالِمٍ ». فَمَا بَرِحَ حَتَّى مَرَّتْ عَنَانَةٌ فِي السَّمَاءِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- :« إِنَّ هَذِهِ السَّحَابَةَ لَتَسْتَهِلُّ بِنَصْرِ بَنِي كَعْبٍ »[1].ثُمَّ خَرَجَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ فِي نَفَرٍ مِنْ خُزَاعَةَ حَتَّى قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، فَأَخْبَرُوهُ بِمَا أُصِيبَ مِنْهُمْ، وَبِمُظَاهَرَةِ قُرَيْشٍ بَنِي بَكْرٍ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ انْصَرَفُوا رَاجِعِينَ إِلَى مَكَّةَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلنَّاسِ:كَأَنَّكُمْ بِأَبِي سُفْيَانَ قَدْ جَاءَكُمْ لِيَشُدَّ الْعَقْدَ، وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ. وَمَضَى بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ وَأَصْحَابُهُ حَتَّى لَقُوا أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ بِعُسْفَانَ، قَدْ بَعَثَتْهُ قُرَيْشٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِيَشُدَّ الْعَقْدَ، وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ، وَقَدْ رَهِبُوا الَّذِي صَنَعُوا. فَلَمَّا لَقِيَ أَبُو سُفْيَانَ بُدَيْلِ بْنَ وَرْقَاءَ، قَالَ: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتُ يَا بُدَيْلُ؟وَظَنَّ أَنَّهُ قَدْ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: تَسَيَّرْتُ فِي خُزَاعَةَ فِي هَذَا السَّاحِلِ، وَفِي بَطْنِ هَذَا الْوَادِي، قَالَ: أَوَ مَا جِئْتُ مُحَمَّدًا؟ قَالَ: لَا، فَلَمَّا رَاحَ بُدَيْلٍ إِلَى مَكَّةَ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: لَئِنْ جَاءَ بُدَيْلٍ الْمَدِينَةَ لَقَدْ عَلَفَ بِهَا النَّوَى، فَأَتَى مَبْرَكَ رَاحِلَتِهِ، فَأَخَذَ مِنْ بَعْرِهَا فَفَتَّهُ، فَرَأَى فِيهِ النَّوَى، فَقَالَ: أَحْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَ بُدَيْلٍ مُحَمَّدًا[2].

---

[1] سنده قوي، مشهور :رواه البيهقي في سننه الكبرى٩/٢٣٣،حديث(١٩٣٣١).
[2] ابن هشام : السيرة النبوية ٢/٣٩٧.

رسول الله ﷺ يعتزم فتح مكة وتأديب كفارها:

أمام نَقْض قُرَيْش للعُهودِ والمَوَاثيقِ مَع المُسْلِمينَ فَقدْ عَزَم رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى فَتْحِ مَكَّةَ وَتَأْدِيبِ كُفَارِهَا، وَقَدْ سَاعَدَهُ عَلَى ذَلِكَ العَزْم -بَعْدَ تَوفِيقِ اللهِ- عِدَةِ أَسْبَابٍ مِنْهَا:

١- قَوَةَ جَبْهَةِ المُسْلِمينَ الدَاخِليَة فِي المَدِينَة وَتَمَاسُكِهَا بَعْدَ أَنْ تَخَلَصَتْ الدَوْلَة الإِسْلامِيَة مِنْ غَدْرِ اليَهُودِ، وَتَمَّ القَضَاء عَلَى يَهُودِ بَنْي قَيْنُقَاع، وَبَنِي النَضْير، وَبَني قُرَيظَة، وَيَهُودِ خَيْبَر.

٢- ضَعْف جَبْهَة الأعْدَاء فِي الدَاخْل ،وَخُصُوصَاً بَعْدَ أَنْ فَقَدَ المُنَافِقُونَ الرُكْن الرَكينْ لَهُمْ (يَهُودْ المَدينَة) .

٣- اهْتِمَام رَسُول اللهِ ﷺ بِتَطْويرِ القُوَة العَسْكَرِيَة، وَإِرْسَالِ السَّرَايا فِي فَتْرَةِ الصُّلْحِ؛ وَبِذَلِكَ أَصْبَحَتْ مُتَفَوِقَة عَلَى قُوَةِ مُشْرِكِي قُرَيْش مِنْ حَيْثُ العَدَدِ وَالعُدَةِ وَالروحِ المَعْنَوِيَةِ.

٤- القُوَةَ الاقْتِصَادِيَة لِلدَوْلَةِ الإِسْلامِيَة بَعْدَ أَنْ فَتَحَ المُسْلِمونَ خَيْبَر وَغَنِمُوا مِنْهَا أَمْوَالاً كَثِيرَة.

٥- انْتِشَارِ الإِسْلام فِي القَبَائِل المُجَاوِرَةِ لِلمَدِينَةِ، وَهَذَا يُطَمْئِن القِيَادَة حِينَ تَتَخِذْ قَرَارَهَا العَسْكَرِي بِنَقْلِ قُوَاتِهَا وَمُهَاجَمَةِ أَعْدَائِهَا،

٦- قِيَام السَبَب الجَوهَرِي لِغَزْو مَكَّةَ، وَهُوَ نَقْضُ قُرَيْش لِلعَهْدِ وَالعَقْدِ [١].

---

[١] أبو فارس،محمد عبد القادر: السيرة النبوية ، ص٤٠١.

تهيؤ النبي ﷺ لغزو قريش وإخفاء قصده:

وَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَه بِالتَجهز وَالاسْتِعْدَادِ لِلغَزْوِ غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يُسَمّ وُجْهَتَهُ، وَحَرَصَ عَلَى ضَمَانِ السِّرِيَّةِ التَّامَّةِ فِي هَذَا المَجَال، وَسَأَلَ رَبَّهُ قَائِلاً: « اللَّهمّ خُذْ الْعُيُونَ وَالْأَخْبَارَ عَنْ قُرَيْشٍ حَتَّى نَبْغَتَهَا [1] فِي بِلَادِهَا » [2]. وَبَدأَتْ الاسْتِعْدَادَاتِ لِحَشْدِ القُوَّةِ الإسْلامِيَة القُصْوَى المُسْتَطاعَة، وَكَانَ لا بُدَّ مِنْ أَنْ يُعْلِمَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ بِأَنَّهُ سَائِرٌ إِلى مَكَّةَ، ثُمَّ اسْتَنْفَرَ القَبَائِلَ الَّتِي تَقْطُنْ قُرْبَ المَدينَةِ: سُلَيْماً، و أَشْجَعَ و مُزَيْنَةُ وأَسْلَمْ و غِفَاراً ، فَمِنْهُمْ مَنْ التَحَقَ بِالجَيْشِ الإسْلامِيّ فِي المَدينَةِ، وَمِنْهمْ مَنِ التَحَقَ بِالمُسْلِمينَ فِي الطَرِيقِ إِلى مَكَّةَ [3]،وَقَدْ ارْتَفَعتْ مَعْنَوياتِ المُسْلِمينَ كَثِيراً، وكان حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ يُلْقِي شِعْرَهُ الَّذِي يُذَّكِر فِيهِ بِمُصَابِ خُزَاعَةَ ، وَنَقْضِ المُشْرِكِينَ لِلعَهْدِ، وَيُحَرِض المُسْلِمينَ عَلَى القِتَالِ [4]قَالَ حَسَّانُ:

عَنَانِي[5] وَلَمْ أَشْهَدْ بِبَطْحَاءِ مَكَّةٍ ... رِجَالُ بَنِي كَعْبٍ تُخَزُّ رِقَابُهَا

بِأَيْدِي رِجَالٍ لَمْ يَسُلُّوا سُيُوفَهُمْ ... وَقَتْلَى كَثِيرٌ لَمْ تُجَنَّ ثِيَابُهَا [6]

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَنَالَنَّ نُصْرَتِي ... سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو وَخَزْهَا وَعُقَابُهَا

وَصَفْوَانُ عَوْدٌ[1] حَنَّ مِنْ شُفْرِ اسْتِهِ... فَهَذَا أَوَانُ الْحَرْبِ شُدَّ عِصَابُهَا

---

[1] هُوَ من البغتة، وَهُوَ الْفجأَة، يُقَال: بغته الْأَمر وفجأه: إِذا جَاءَ وَلم يعلم بِهِ.

[2] ابن كثير: البداية ٦/ ٥٢٥ بإسناد صحيح عن طريق محمد بن جعفر عن عروة عن عائشة- رضي الله عنها-، وأورده ابن هشام: السيرة ٢/ ٣٩٧ بإسناد حسن من حديث الزهري عن عروة عن المسور.

[3] ابن هشام: السيرة ٢النبوية/ ٣٩٩ بإسناد حسن لذاته، الواقدي:المغازي ٢/ ٨٠١.ابن سعد :الطبقات الكبرى٢/ ١٣٤.

[4] ابن كثير: البداية ٦/ ٥٢٧، ابن هشام: السيرة ٢/ ٣٩٨.

[5] عناني: أهمني.

[6] لم تجن ثِيَابهَا: لم تستر. يُرِيد أَنهم قتلوا وَلم يدفنوا.

فَلَا تَأْمَنَنَّا يَا بن أُمِّ مُجَالِدٍ ... إِذَا اُحْتُلِبَتْ صَرْفًا[٢] وَأَعْصَلَ[٣] نَابُهَا

ولاَ تَجْزَعُوا مِنَّا فَإِنَّ سُيُوفَنَا ... لَهَا وَقْعَةٌ بِالْمَوْتِ يُفْتَحُ بَابُهَا

وبلغ عدد جيش الْمُسْلِمِينَ عَشَرَةِ آلَافٍ مُقَاتِلْ [٤]،وَأَوْعَبَ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ ، فَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ أَحَدٌ[٥] ، وهذا يدل على مدى تعاظم قوات المسلمين خلال فترة السنة ونصف التي أعقبت صلح الحديبية[٦].

قصة الصحابي حاطب بن أبي بلتعة:

التَزَمَ الصَحَابَة بِالسِّرِيَّةِ التَّامَّةِ وُحِجِبَتْ الأَخْبَار تَمَامَاً عَنْ قُرَيْش بِمَّا يَعْكِسْ مَدَى الضَبْط وَالرَبْط وَالالْتِزَام الدَقْيِق بَأَوَامرِ القِيَادَةِ، وَالتَقويمِ السَّليمِ لِلمَصْلَحَةِ الإِسْلامِيَةِ العُلْيَا. وَكَانَ الاسْتِثْنَاء الوَحْيد فِي هَذَا المَجَالِ المُحَاوَلَة الفَاشِلَة الَّتِي أَقْدَمَ عَلَيهَا الصَحَابِي البَدْرِي حَاطِب ابْن أَبِي بَلْتَعَةَ. حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ قَالَ أَخْبَرَنِي الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَنَّهُ سَمِعَ عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي رَافِعٍ يَقُولُ سَمِعْتُ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا وَالزُّبَيْرَ وَالْمِقْدَادَ فَقَالَ انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً مَعَهَا كِتَابٌ فَخُذُوا مِنْهَا قَالَ فَانْطَلَقْنَا تَعَادَى بِنَا خَيْلُنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ قُلْنَا لَهَا أَخْرِجِي

---

[١] الْعود: المسن من الْإِبِل.

[٢] الصّرْف: اللَّبن الْخَالِص هُنَا.

[٣] وأعصل: أَعْوَج، والعصل: اعوجاج الْأَسْنَان.

[٤] الواقدي: المغازي ٢/ ٨٠١.

[٥] سنده صحيح :رواه الطبراني في معجمه الكبير ١١/٨،حديث(٧٢٦٤).

[٦] العمري: السيرة النبوية الصحيحة ٢/ ٤٧٤.

الْكِتَابَ قَالَتْ مَا مَعِي كِتَابٌ فَقُلْنَا لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ قَالَ فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا فَأَتَيْنَا بِهِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا فِيهِ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ بِمَكَّةَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ يُخْبِرُهُمْ بِبَعْضِ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا حَاطِبُ مَا هَذَا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقًا فِي قُرَيْشٍ يَقُولُ كُنْتُ حَلِيفًا وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ مَنْ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنْ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَادًا عَنْ دِينِي وَلَا رِضًا بِالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِسْلَامِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ فَقَالَ عُمَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ فَقَالَ إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْرًا فَقَالَ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ[1] فَأَنْزَلَ اللَّهُ السُّورَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ وَقَالَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ[2].

---

[1] صحيح البخاري: كتاب المغازي، بَاب غَزْوَةِ الْفَتْحِ ٥ / ١٤٥، حديث(٤٢٧٤).

[2] صحيح البخاري: كتاب المغازي، بَاب فَضْلُ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا ٥ / ٧٧، حديث(٣٩٨٣).

الجيش الاسلامي يتحرك نحو مكة :

أَعَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَيْشاً لَمْ تَشْهَدْ الجَزِيرَة العَرَبيّة لَهُ مَثيلاً مِنْ قَبْلُ ، وَسَارَ هَذَا الجَيْش بِاتِجَاهِ مَكَّةَ ، وَحَتَّى يُمَوِّه عَلَى الحَمْلَةِ أَرْسَلَ أَبَا قَتَادَةَ الْحَارِثُ بْنُ رِبْعِيٍّ إِلَى إِضَمْ[1] فِي ثَمَانِيَةَ رِجَالٍ لِيُوهِمَ الْقُرَشِيِّينَ أَنَّهُ تَوَجَّهَ إِلى تِلْكَ النَاحِيَةِ ، وَلْيُفَاجِئَهُم عَلَى غَيْرِ اسْتِعْدَادٍ مِنْهُمْ لِحَرْبِهِ[2].

بَدَأَتْ قُوات الفَتْح مَسيرَتَها المُظَفَرَة مِنَ الْمَدِينَةِ لِعَشْرٍ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَة ثَمَانٍ مِنَ الْهِجْرَةِ ، بَعْدَ أَنِ اسْتَخْلَفَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبَا رُهْمٍ كُلْثُومَ بْنَ حُصَيْنٍ الْغِفَارِيَّ [3]، وَسَارَ بِمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى مَكَّةَ، يَصُومُ وَيَصُومُونَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكَدِيدَ، وَهُوَ مَا بَيْنَ عُسْفَانَ وَقُدَيْدٍ، أَفْطَرَ وَأَفْطَرَ الْمُسْلِمُونَ مَعَهُ، فَلَمْ يَصُمْ "[4].

رسول الله ﷺ يفطر على راحلته:

عَنْ جَابِرِ بن عبد الله ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَرَجَ عَامَ الْفَتحِ إلى مَكَّةَ فِي رَمَضانَ، فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ كُرَاعَ الْغَمِيمِ، فَصَامَ النَّاسُ، ثُمَّ دَعَا بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ، فَرَفَعَهُ حَتَّى نَظَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ ثُمَّ شَرِبَ، فَقِيلَ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ: إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ صَامَ، فَقَالَ: "أُولَئِكَ الْعُصَاةُ، أُولَئِكَ الْعُصَاةُ". وفي رواية: أنه قِيلَ للنبى ﷺ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ شَقَّ عَلَيْهِمْ

---

[1] أضم : ماء يطؤه الطريق بين مكة واليمامة عند السُّمينة ، وقيل ذو إضم جوف هناك به ماء ، وإضم وادٍ بجبال تهامة وهو الوادي الذي فيه المدينة الذي تجتمع فيه الوديان الثلاثة : بطحان وقناة والعقيق ، على ثلاثة بُرد منها . الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت : معجم البلدان ١/ ٢١٥.

[2] ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢/ ١٣٢.

[3] سنده صحيح :رواه الطبراني في معجمه الكبير ١١/٨،حديث(٧٢٦٤).

[4] إسناده صحيح على شرط الشيخين :رواه احمد في مسنده : ٥/ ٢٠٧ ،حديث (٣٠٨٩).

الصِّيَامُ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُونَ فِيمَا فَعَلْتَ، فَدَعَا بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ بَعْدَ الْعَصرِ [1]. ولَمْ يَزَلْ النبي ﷺ مُفْطِرًا حَتَّى انْسَلَخَ الشَّهْرُ [2].

وعن أنس: لَمَّا اسْتَوَى النَّبِي ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ دَعَا بِإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ أَوْ مَاءٍ عَلَى رَاحَتِهِ أَوْ رَاحِلَتِهِ، ثُمَّ نَظَرَ إلى النَّاسِ، فَقَالَ الْمُفْطِرُونَ لِلصُّوَّامِ: أَفْطِرُوا[3].

أبو سفيان بن حرب بين يدي رسول الله ﷺ:

أَمَرَ النَّبِي ﷺ أَصْحَابَهُ فَأَوْقَدُوا عَشَرَةَ آلَافِ نَارٍ وَلَمْ يَبْلُغْ قُرَيْشًا مَسِيرُهُ وَهُمْ مُغْتَمُّونَ لِمَا يَخَافُونَ مِنْ غَزْوِهِ إِيَّاهُمْ فَبَعَثُوا أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ يَتَحَسَّبُ الْأَخْبَارَ وَقَالُوا: إِنْ لَقِيتَ مُحَمَّدًا فَخُذْ لَنَا مِنْهُ أَمَانًا[4].وقد خَرَجَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ ، وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ، وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ يَتَحَسَّسُونَ وَيَنْتَظِرُونَ هَلْ يَجِدُونَ خَبَرًا أَوْ يَسْمَعُونَ بِهِ ، وَقَدْ كَانَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ أَتَى رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ ، وَقَدْ كَانَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ قَدْ لَقِيَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فِيمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَالْتَمَسَا الدُّخُولَ عَلَيْهِ ، فَكَلَّمَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ فِيهِمَا ، فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللهِ ، ابْنُ عَمِّكَ وَابْنُ عَمَّتِكَ وَصِهْرُكَ . قَالَ : لاَ حَاجَةَ لِي بِهِمَا ، أَمَّا ابْنُ عَمِّي فَهَتَكَ عِرْضِي ، وَأَمَّا ابْنُ عَمَّتِي وَصِهْرِي ، فَهُوَ الَّذِي قَالَ لِي بِمَكَّةَ مَا قَالَ . فَلَمَّا أُخْرِجَ إِلَيْهِمَا بِذَلِكَ ، وَمَعَ أَبِي سُفْيَانَ بُنَيٌّ لَهُ ، فَقَالَ : وَاللَّهِ لَيَأْذَنَنَّ لِي ، أَوْ لآخُذَنَّ بِيَدِ ابْنَيَّ هَذَا ، ثُمَّ لَنَذْهَبَنَّ فِي

---

[1] صحيح: أخرجه مسلم : كتاب الصيام، باب جواز الفطر في شهر رمضان للمسافر في غيرمعصية٢/٧٨٥، حديث(١١١٤).كُراع الغميم: تبعد عن المدينة ٣٠١ كم وعن مكة ٨٦ كم.

[2] صحيح: أخرجه البخاري : كتاب المغازي، باب غزوة الفتح في رمضان،٥/١٤٥،حديث(٤٢٧٥).

[3] صحيح: أخرجه البخاري ، كتاب: المغازي، باب: غزوة الفتح في رمضان٥/١٤٦،حديث(٤٢٧٧).

[4] ابن سعد: الطبقات الكبرى٢/١٣٥.

الأَرْضِ حَتَّى نَمُوتَ عَطَشًا وَجُوعًا ،فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَقَّ لَهُمْا ، ثُمَّ أَذِنَ لَهُمْا فَدَخَلاَ وَأَسْلَمَا ، فَلَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ قَالَ الْعَبَّاسُ : وَاصَبَاحَ قُرَيْشٍ ، وَاللَّهِ لَئِنْ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ عَنْوَةً قَبْلَ أَنْ يَسْتَأْمِنُوهُ ، إِنَّهُ لَهَلاَكُ قُرَيْشٍ إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ قَالَ : فَجَلَسْتُ عَلَى بَغْلَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمِ الْبَيْضَاءِ ، فَخَرَجْتُ عَلَيْهَا حَتَّى جِئْتُ الأَرَاكَ فَقُلْتُ : لَعَلِّي أَلْقَى بَعْضَ الْحَطَّابَةِ ، أَوْ صَاحِبَ لَبَنٍ ، أَوْ ذَا حَاجَةٍ يَأْتِي مَكَّةَ ، فَيُخْبِرُهُمْ بِمَكَانِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَخْرُجُوا إِلَيْهِ ، فَيَسْتَأْمِنُوهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا عَلَيْهِمْ عَنْوَةً . قَالَ : فَوَاللَّهِ ، إِنِّي لأَسِيرُ عَلَيْهَا ، وأَلْتَمِسُ مَا خَرَجْتُ لَهُ إِذْ سَمِعْتُ كَلاَمَ أَبِي سُفْيَانَ ، وَبُدَيْلِ بْنِ وَرْقَاءَ وَهُمَا يَتَرَاجَعَانِ ، وَأَبُو سُفْيَانَ يَقُولُ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ نِيرَانًا وَلاَ عَسْكَرًا قَالَ : يَقُولُ بُدَيْلٌ : هَذِهِ وَاللَّهِ نِيرَانُ خُزَاعَةَ حَمَشَتْهَا الْحَرْبُ . قَالَ : يَقُولُ أَبُو سُفْيَانَ : خُزَاعَةُ ، وَاللَّهِ أَذَلُّ وأَلأَمُ مِنْ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ نِيرَانُهَا وَعَسْكَرُهَا . قَالَ: فَعَرَفْتُ صَوْتَهُ ، فَقُلْتُ : يَا أَبَا حَنْظَلَةَ ، فَعَرَفَ صَوْتِي ، فَقَالَ أَبُو الْفَضْلِ فَقُلْتُ : نَعَمْ .

قَالَ مَالَكَ: فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي . فَقُلْتُ : وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ ، هَذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّاسِ وَاصَبَاحَ قُرَيْشٍ وَاللَّهِ قَالَ : فَمَا الْحِيلَةُ ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ؟ قَالَ : قُلْتُ : وَاللَّهِ لَئِنْ ظَفَرَ بِكَ لَيَضْرِبَنَّ عُنُقَكَ ، فَارْكَبْ مَعِي هَذِهِ الْبَغْلَةَ حَتَّى آتِيَ بِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْتَأْمِنَهُ لَكَ، قَالَ : فَرَكِبَ خَلْفِي وَرَجَعَ صَاحِبَاهُ ، فَحَرَّكْتُ بِهِ كُلَّمَا مَرَرْتُ بِنَارٍ مِنْ نِيرَانِ الْمُسْلِمِينَ قَالُوا : مَنْ هَذَا ؟ فَإِذَا رَأَوْا بَغْلَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا : عَمُّ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى بَغْلَتِهِ حَتَّى مَرَرْتُ بِنَارِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا ؟ وَقَامَ إِلَيَّ ، فَلَمَّا رَأَى أَبَا سُفْيَانَ عَلَى عَجُزِ الْبَغْلَةِ ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ عَدُوُّ اللهِ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي

أَمْكَنَ مِنْكَ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلاَ عَهْدٍ ،ثُمَّ خَرَجَ يَشْتَدُّ نَحْوَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَكَضَتِ الْبَغْلَةُ ، فَسَبَقَتْهُ بِمَا تَسْبِقُ الدَّابَّةُ الْبَطِيءُ الرَّجُلَ الْبَطِيءَ ، فَاقْتَحَمْتُ عَنِ الْبَغْلَةِ ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَخَلَ عُمَرُ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ ، هَذَا أَبُو سُفْيَانَ قَدْ أَمْكَنَ اللَّهُ مِنْهُ بِغَيْرِ عَقْدٍ وَلاَ عَهْدٍ ، فَدَعْنِي فَلأَضْرِبَ عُنُقَهُ . قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنِّي أَجَرْتُهُ ، ثُمَّ جَلَسْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخَذْتُ بِرَأْسِهِ فَقُلْتُ : لاَ وَاللَّهِ لاَ يُنَاجِيهِ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ دُونِي ، فَلَمَّا أَكْثَرَ عُمَرُ فِي شَأْنِهِ قُلْتُ : مَهْلاً يَا عُمَرُ ، أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كَانَ مِنْ رِجَالِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ مَا قُلْتُ هَذَا ، وَلَكِنَّكَ عَرَفْتَ أَنَّهُ رَجُلٌ مِنْ رِجَالِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ قَالَ : مَهْلاً يَا عَبَّاسُ ، فَوَاللَّهِ لإِسْلاَمُكَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِسْلاَمِ الْخَطَّابِ لَوْ أَسْلَمَ ، وَمَا بِي إِلاَّ أَنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ إِسْلاَمَكَ كَانَ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِسْلاَمِ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : اذْهَبْ بِهِ إِلَى رَحْلِكَ يَا عَبَّاسُ ، فَإِذَا أَصْبَحَ فَائْتِنِي بِهِ . فَذَهَبْتُ بِهِ إِلَى رَحْلِي فَبَاتَ عِنْدِي ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَوْتُ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ؟ قَالَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، مَا أَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ ، وَاللَّهِ لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنْ لَوْ كَانَ مَعَ اللهِ غَيْرُهُ لَقَدْ أَغْنَى عَنِّي شَيْئًا قَالَ : وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ ، أَلَمْ يَأْنِ لَكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ ؟ قَالَ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، مَا أَحْلَمَكَ وَأَكْرَمَكَ وَأَوْصَلَكَ هَذِهِ ، وَاللَّهِ كَانَ فِي نَفْسِي مِنْهَا شَيْءٌ حَتَّى الآنَ . قَالَ الْعَبَّاسُ : وَيْحَكَ يَا أَبَا سُفْيَانَ أَسْلِمْ ، وَاشْهَدْ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ قَبْلَ أَنْ تُضْرَبَ عُنُقُكَ ،قَالَ : فَشَهِدَ بِشَهَادَةِ الْحَقِّ وَأَسْلَمَ . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللهِ ، إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ هَذَا الْفَخْرَ ، فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئًا قَالَ : نَعَمْ مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ

دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ . فَلَمَّا ذَهَبَ لِيَنْصَرِفَ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا عَبَّاسُ ، احْبِسْهُ بِمَضِيقِ الْوَادِي عِنْدَ خَطْمِ الْجَبَلِ ، حَتَّى تَمُرَّ بِهِ جُنُودُ اللهِ فَيَرَاهَا . قَالَ : فَخَرَجْتُ بِهِ حَتَّى حَبَسْتُهُ حَيْثُ أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أَحْبِسَهُ قَالَ : وَمَرَّتْ بِهِ الْقَبَائِلُ عَلَى رَايَاتِهَا كُلَّمَا مَرَّتْ قَبِيلَةٌ قَالَ : مَنْ هَؤُلاَءِ ؟ فَأَقُولُ : سُلَيْمٌ . فَيَقُولُ : مَالِي وَلِسُلَيْمٍ ؟ قَالَ : ثُمَّ تَمُرُّ الْقَبِيلَةُ قَالَ : مَنْ هَؤُلاَءِ ؟ فَأَقُولُ : مُزَيْنَةُ فَيَقُولُ : مَا لِي وَلِمُزَيْنَةَ ؟ حَتَّى تَعَدَّتِ الْقَبَائِلُ لاَ تَمُرُّ قَبِيلَةٌ إِلاَّ قَالَ : مَنْ هَؤُلاَءِ ؟ فَأَقُولُ: بَنُو فُلاَنٍ . فَيَقُولُ : مَالِي وَلِبَنِي فُلاَنٍ . حَتَّى مَرَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْخَضْرَاءِ كَتِيبَةٌ فِيهَا الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ لاَ يَرَى مِنْهُمْ إِلاَّ الْحَدَقَ ، قَالَ : سُبْحَانَ اللهِ مَنْ هَؤُلاَءِ يَا عَبَّاسُ ؟ قُلْتُ : هَذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ . قَالَ : مَا لأَحَدٍ بِهَؤُلاَءِ قِبَلٌ وَلاَ طَاقَةٌ ، وَاللَّهِ يَا أَبَا الْفَضْلِ ، لَقَدْ أَصْبَحَ مِلْكَ ابْنِ أَخِيكَ الْغَدَاةَ عَظِيمًا . قُلْتُ : يَا أَبَا سُفْيَانَ ، إِنَّهَا النُّبُوَّةُ . قَالَ : فَنَعَمْ إِذَنْ ، قُلْتُ : النَّجَاءُ إِلَى قَوْمِكَ . قَالَ : فَخَرَجَ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، هَذَا مُحَمَّدٌ قَدْ جَاءَكُمْ بِمَا لاَ قِبَلَ لَكُمْ بِهِ ، فَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ امْرَأَتُهُ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ ، فَأَخَذَتْ بِشَارِبِهِ ، فَقَالَتْ : اقْتُلُوا الدَّسَمَ الأَحْمَسَ، فَبِئْسَ مِنْ طَلِيعَةِ قَوْمٍ . قَالَ : وَيْحَكُمْ ، لاَ تَغُرَّنَّكُمْ هَذِهِ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ، فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ مَا لاَ قِبَلَ لَكُمْ بِهِ ، مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ ، فَهُوَ آمِنٌ قَالُوا : وَيْلَكَ وَمَا تُغْنِي عَنَّا دَارُكَ قَالَ : وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ إِلَى دُورِهِمْ وَإِلَى الْمَسْجِدِ[1].

[1] سنده صحيح :رواه الطبراني في معجمه الكبير ٨/ ١١،حديث(٧٢٦٤).

رسول الله ﷺ يستعد لدخول مكة :

جَهْزَ النَّبِيُّ ﷺ جَيْشَهُ اسْتِعْدَادًا لِدُخولِ مَكَّةَ، فَقَسَّمَ الجَيْشَ وَجعلَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ عَلَى الْمُجَنِّبَةِ الْيُمْنَى وَالزُّبَيْرَ بنَ الْعَوَّامِ عَلَى الْمُجَنِّبَةِ الْيُسْرَى، وجعل أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ عَلَى الرَجَالَة فِي بَطْنِ الْوَادِي[1].ثُمَّ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ يَجْمعْ لَهُ الْأَنْصَارَ، فَجَاءُوا يُهَرْوِلُونَ، فَقَالَ النبي ﷺ: "يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ هَلْ تَرَوْنَ أَوْبَاشَ قُرَيْشٍ [2]؟ "، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: "انْظُرُوا إِذَا لَقِيتُمُوهُمْ غَدًا أَنْ تَحْصُدُوهُمْ حَصْدًا"، ثُمَّ قَالَ بِيَدِه -أَيْ: أَشارَ- وَوَضَعَ يَمِينَهُ عَلَى شِمَالِهِ [3].ثُمَّ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ أَنْ يَأْخُذَ بَطْنَ الْوَادِي أَسْفَلَ مَكَّةَ [4]، وَقَام بِتَوزيعِ الزُّبَيْرَ بنَ الْعَوَّامِ و أَبَا عُبَيْدَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - [5].وسار النَّبِي ﷺ ناحية كَدَاءٍ [6] الَّتِي بِأَعْلَى مَكَّةَ [7]، وَوَاعَدهُمْ أَنْ يُوافُوهُ عِنْدَ جَبَلِ الصَّفَا ، وَقَالَ: "مَوْعِدُكُمْ الصَّفَا"[8]. يقول أبو هريرة رضي الله عنه فَانْطَلَقْنَا، فَمَا شَاءَ أَحَدٌ مِنَّا[9] أَنْ يَقْتُلَ أَحَدًا إِلَّا قَتَلَهُ، وَمَا أَحَدٌ مِنْهُمْ يُوَجِّهُ

---

[1] أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ فَبَعَثَ الزُّبَيْرَ عَلَى إِحْدَى الْمُجَنِّبَتَيْنِ وَبَعَثَ خَالِدًا عَلَى الْمُجَنِّبَةِ الأُخْرَى وَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَى الْحُسَّرِ فَأَخَذُوا بَطْنَ الْوَادِى. صحيح مسلم:٣ / ١٤٠٥ ،حديث(١٧٨٠).

[2] أوباش قريش: أي جموع قريش.

[3] صحيح: أخرجه مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة٣/١٤٠٥، حديث(١٧٨٠).

[4] صحيح: التخريج السابق.

[5] صحيح: أخرجه أبو داود : كتاب الخراج والفيء والامارة، باب ما جاء في خبر مكة،٤/٦٣٥،حديث (٣٠٢٤)وصححه الألباني.

[6] كَداء: جبل بأعلى مكة.

[7] صحيح: أخرجه البخاري : كتاب المغازي، باب دخول النبي - صلى الله عليه وسلم - من أعلى مكة،٥/١٤٩،حديث(٤٢٩٠).

[8] (موعدكم الصفا) :يعني قال هذا لخالد ومن معه الذين أخذوا أسفل من بطن الوادي وأخذ هو صلى الله عليه وسلم ومن معه أعلى مكة.

[9] فما شاء أحد منا الخ) أي لا يدفع أحد منهم عن نفسه.

إِلَيْنَا شَيْئًا [1].

الرسول ﷺ يَدْخُل المسجد الحرام:

دَخَلَ النبي ﷺ مَكَّةَ فاتحًا منتصرًا دون أدنى مقاومة تُذكر، وَكان على رَأْسِهِ الْمِغْفَرُ[2]، وكانت رَايَةَ النبي ﷺ حين دخوله سَوْدَاءَ، وَلِوَاؤُهُ أَبْيَضُ [3]، ودخل النبي النبي ﷺ من أعلى مَكَّةَ عَلَى نَاقَتِهِ، وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ يُرَجِّعُ [4]. وكان مُرْدِفًا أُسَامَةَ بن زَيْدٍ، وَمَعَهُ بِلَالٌ، وَمَعَهُ عُثْمَانُ بن طَلْحَةَ مِنْ الْحَجَبَةِ [5]،حَتَّى أَنَاخَ النبي ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، فَأَمَرَ عثمان بن طلحة أَنْ يَأْتِيَ بِمِفْتَاحِ الْبَيْتِ، فَدَخَلَ رَسُولُ الله ﷺ وَمَعَهُ أُسَامَةُ وَبِلَالٌ وَعُثْمَانُ بن طلحة، فَمَكَثَ فِيهَا نَهَارًا طَوِيلاً، ثُمَّ خَرَجَ، فَاسْتَبَقَ النَّاسُ، وَكَانَ عبد الله بن عُمَرَ رضي الله عنه أَوَّلَ مَنْ دَخَلَ، فَوَجَدَ بِلَالًا وَرَاءَ الْبَابِ قَائِمًا، فَسَأَلَهُ: أَيْنَ صَلَّى رَسُولُ الله ﷺ ؟ قَالَ جَعَلَ عَمُودَيْنِ عَنْ يَسَارِهِ وَعَمُودًا عَنْ يَمِينِهِ وَثَلَاثَةَ أَعْمِدَةٍ وَرَاءَهُ – وَكَانَ الْبَيْتُ يَوْمَئِذٍ عَلَى سِتَّةِ أَعْمِدَةٍ – ثُمَّ صَلَّى.[6].وَعَنْ عُمَر

---

[1] صحيح: أخرجه مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة٣/١٤٠٥، حديث(١٧٨٠).

[2] صحيح: أخرجه البخاري : كتاب المغازي، باب أين ركز النبي الراية يوم الفتح،٥/١٤٨،حديث(٤٢٨٦).

المغفر: واقي الرأس، الذي يلبسه الفرسان في الحروب.

[3] صحيح: أخرجه ابن ماجه في سننه : كتاب الجهاد، باب الرايات والألوية، ٢/٩٤١، حديث(٢٨١٨) وحسنه الالباني.

[4] متفق عليه: أخرجه البخاري : كتاب المغازي، باب أين ركز النبي – صلى الله عليه وسلم – الراية يوم الفتح،٥/١٤٧،حديث(٤٢٨١).صحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب ذكر قراءة النبي – صلى الله عليه وسلم – سورة الفتح يوم فتح مكة١/٥٤٧، حديث(٧٩٤).الترجيع: ترديد الحرف في الحلق.

[5] الحجبة: الذين معهم مفتاح الكعبة.

[6] متفق عليه: أخرجه البخاري : كتاب الجهاد والسير، باب الردف على الحمار،٤/٥٦ ،حديث(٢٩٨٨). صحيح مسلم: كتاب الحج، باب استحباب دخول الكعبة للحاج وغيره، والصلاة فيها، والدعاء في نواحيها كلها٢/٩٦٦، حديث(١٣٢٩).

ﷺ أَنَّهُ صَلَّى ركْعَتَيْنِ [1]. وَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ بالدَعَاء في نَوَاحِيها كُلِّهَا [2]،ثُمَّ أَتَى الْكَعْبَةَ فَأَخَذَ بِعِضَادَتَيِ الْبَابِ فَقَالَ مَا تَقُولُونَ وَمَا تَظُنُّونَ؟ ، فَقَالُوا: نَقُولُ أَخٌ وَابْنُ عَمٍّ حَلِيمٌ رَحِيمٌ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقُولُ كَمَا قَالَ يُوسُفُ ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [3]، قَالَ: فَخَرَجُوا كَأَنَّمَا نُشِرُوا مِنَ الْقُبُورِ فَدَخَلُوا فِي الْإِسْلَامِ[4].

الرَّسُول ﷺ يأمر بتطهير المسجد الحرام من الاصنام:

وأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِتَحْطيمِ الأَصْنَامِ، وَتَطْهِيرِ البَيْتِ الحَرَامِ مِنْهَا، وَشَارَكَ هُوَ بِنَفْسِهِ فِي ذَلِكَ، وَكانَ حَوْلَ الْبَيْتِ سِتُّونَ وَثَلَاثُ مِائَةِ صنم، فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ، وَيَقُولُ: "جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ، جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيد" [5].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَتَى عَلَى صَنَمٍ إِلَى جَنْبِ الْبَيْتِ، كَانُوا يَعْبُدُونَهُ وَفِي يَدِه قَوْسٌ، وَهُوَ آخِذٌ بِسِيَةِ الْقَوْسِ [6]، فَلَمَّا أَتَى عَلَى الصَّنَمِ جَعَلَ يَطْعُنُهُ فِي عَيْنِهِ، عَيْنِهِ، وَيَقُولُ: "جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ " [7].

---

[1] صحيح: أخرجه أبو داود : كتاب المناسك، باب الصلاة في الكعبة،٣/٣٧٢،حديث(٢٠٢٦)، وصححه الألباني.

[2] متفق عليه: أخرجه البخاري : كتاب المغازي، باب أين ركز النبي – صلى الله عليه وسلم – الراية يوم الفتح،٥/١٤٨ ،حديث(٤٢٨٨).صحيح مسلم: كتاب الحج، باب استحباب دخول الكعبة٢/٩٦٨ ، حديث(١٣٣٠).

[3] سورة يوسف :الآية ٩٢.

[4] سنده صحيح :رواه الطحاوي في شرح معاني الآثار ٣ / ٣٢٥،حديث(٥٤٥٤).

[5] متفق عليه :أخرجه البخارى: كتاب المغازي، باب أين ركز النبي – صلى الله عليه وسلم – الراية يوم الفتح،٥/١٤٨،حديث(٤٢٨٧).صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب إزالة الأصنام من حول الكعبة٣/ ١٤٠٨، حديث (١٧٨١).

[6] سِيَة القوس: أي طرفه.

[7] صحيح: أخرجه مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة٣/١٤٠٥، حديث(١٧٨٠).

وَفِي رِوَايَة: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النَّبِيَّ ﷺ جَعَلَ يَطْعَنُهَا وَهَوَ يَقُولُ: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[1]،﴿ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾[2][3].

عَنْ جَابِرِ بن عبد الله، قَالَ : دَخَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مَكَّةَ ، وَفِي الْبَيْتِ وَحَوْلَ الْبَيْتِ ثَلاَثُ مِئَةٍ وَسِتُّونَ صَنَمًا ، تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ ، قَالَ : فَأَمَرَ بِهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَكُبَّتْ كُلُّهَا لِوُجُوهِهَا ، ثُمَّ قَالَ: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[4]، ثُمَّ دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الْبَيْتَ ، فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ، فَرَأَى فِيهِ تِمْثَالَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ، وَقَدْ جَعَلُوا فِي يَدِ إِبْرَاهِيمَ الأَزْلاَمَ يَسْتَقْسِمُ بِهَا[5].

الرَّسُول ﷺ يأمر بِطَمْسِ مَا بِالْبَيْتِ مِنْ صُوَرٍ:

قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : قَاتَلَهُمَ اللَّهُ ، مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَسْتَقْسِمُ بِالأَزْلاَمِ ، ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِزَعْفَرَانٍ ، فَلَطَّخَهُ بِتِلْكَ

---

[1] سورة الاسراء :الآية ٨١.

[2] سورة سبأ :الآية ٤٩.

[3] متفق عليه: أخرجه البخارى: كتاب تفسير القرآن، بَابُ {وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا}،٦/٨٦،حديث(٤٧٢٠). صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب إزالة الأصنام من حول الكعبة٣/ ١٤٠٨، حديث (١٧٨١).

[4] سورة الاسراء :الآية ٨١.

[5] الأزلام: مفردها زلم، بفتح الزاي أو ضمها، وهي الرماح، فكان أهل الجاهلية إذا كان الواحد منهم مقبلاً على أمر مهم جاء برماح ثلاثة مكتوب على أحدها: (افعل)، والآخر (لاتفعل)، والثالث ليس عليه شيء، أو مكتوب على أحدها: (أمرني ربي)، والآخر (نهاني ربى)، والثالث ليس عليه شيء، ثم وضعها في شيء، ثم يمدُّ يده فيخرج أحدها، فإذا خرج سهم الأمر، فعله، وإذا خرج سهم النهي، تركه، وإن طلع الفارغ، أعاد، والاستقسام: مأخوذ من طلب القَسْم من هذه الأزلام.

التَّمَاثِيلِ[1]. عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمَّا دخل مَكَّةَ أَبَى أَنْ يَدْخُلَ الْبَيْتَ وَفِيهِ الْآلِهَةُ، فَأَمَرَ بِهَا فَأُخْرِجَتْ، فَأُخرِجَ صُورَةُ إِبْرَاهِيمَ، وَإِسْمَاعِيلَ فِي أَيْدِيهِمَا مِنْ الْأَزْلَامِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "قَاتَلَهُم الله لَقَدْ عَلِمُوا مَا اسْتَقْسَمَا بِهَا قَطُّ" [2].

عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا نَزَلَ مَكَّةَ، وَاطْمَأَنَّ النَّاسُ، خَرَجَ حَتَّى جَاءَ الْبَيْتَ، فَطَافَ بِهِ سَبْعًا عَلَى رَاحِلَتِهِ، يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ بِمِحْجَنٍ [3]فِي يَدِهِ، فَلَمَّا قَضَى طَوَافَهُ، دَعَا عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ، فَأَخَذَ مِنْهُ مِفْتَاحَ الْكَعْبَةِ، فَفُتِحَتْ لَهُ، فَدَخَلَهَا، فَوَجَدَ فِيهَا حَمَامَةً مِنْ عِيدَانٍ، فَكَسَرَهَا بِيَدِهِ ثُمَّ طَرَحَهَا، ثُمَّ وَقَفَ عَلَى بَابِ الْكَعْبَةِ وَقَدْ اُسْتُكِفَّ لَهُ النَّاسُ [4] فِي الْمَسْجِدِ[5].

وعن جَابِر بن عبد الله ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ أَمَرَ عُمَرَ بن الْخَطَّاب ﷺ زَمَنَ الْفَتْحِ، وَهُوَ بِالْبَطْحَاءِ، أَنْ يَأْتِيَ الْكَعْبَةَ فَيَمْحُوَ كُلَّ صُورَةٍ فِيهَا، فلَمْ يَدْخُلْها النبي ﷺ حَتَّى مُحِيَتْ كُلُّ صُورَةٍ فِيهِا. وفي رواية: فَبَلَّ عُمَرُ ثَوْبًا وَمَحَاهَا بِهِ [6]. وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْبَيْتَ فَوَجَدَ فِيهِ صُورَةَ إِبْرَاهِيمَ، وَصُورَةَ مَرْيَمَ، فَقَالَ: "أَمَا لَهُمْ فَقَدْ سَمِعُوا أَنَّ الْمَلَائِكَةَ لَا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ صُورَةٌ، هَذَا إِبْرَاهِيمُ مُصَوَّرٌ فَمَا لَهُ يَسْتَقْسِمُ"[7] .

---

[1] حسن: أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ٤٠٣/٧، حديث (٣٦٩٠٥)، وحسنه ابن حجر في "المطالب العالية" ٤٦٩/١٧، حديث (٤٣٠٣).

[2] صحيح: أخرجه البخاري : كتاب المغازي، باب أين ركز النبي – صلى الله عليه وسلم – الراية يوم الفتح،١٤٨/٥ ،حديث(٤٢٨٨).

[3] المِحْجَن: عود مِعْوَجُّ الطرف، يمسكه الراكب للبعير في يده.

[4] استكفَّ الناس: أي: اجتمعوا.

[5] إسناده حسن: أخرجه ابن هشام في "السيرة" ٤١٢/٢،عن ابن إسحاق بإسناد حسن.

[6] صحيح: أخرجه أحمد في مسنده، ٤٠٩/٢٣، حديث ١٥٢٦١، وأبو داود : كتاب اللباس، باب في الصور،٢٣٣/٦،حديث (٤١٥٦)وصححه الألباني.

[7] صحيح: أخرجه البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا (١٢٥)} [النساء: ١٢٥]،١٣٩/٤،حديث(٣٣٥١).

. وَهَكَذا تَمَّ تَطْهِيرِ البَيتِ العَتيقِ مِنْ مَظَاهِرِ الوَثَنيَةِ وَأَوْضَارِ الجَاهِلِيَةِ، لِيَعُود كَمَا أَرادَ لَهُ اللهُ تَعَالَى وَكَمَا قَصدَ بِبنَائِه إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ، مَكَاناً لِعبَادَةِ اللهِ وَتَوحيدِهِ، وَلا شَكَّ أَنَّ تَطْهِيرِ البَيتِ مِنَ الأَصْنَامِ كَانَ أَكْبرْ ضَرْبَةً للوَثَنيَةِ فِي أَرْجَاءِ الجَزِيرَةِ العَرَبيَةِ حَيثُ كَانَتْ الكَعْبَةَ أَعْظَمْ مَرَاكِزَهَا [1].

النبي ﷺ يخطب الناس بعد الفتح:

عن عَمْرِو بن حُرَيْثٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَطَبَ النَّاسَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ، قد أرخى طرفيها بين كتفيه [2]. وعَنْ عبد الله بن عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَامَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَهُوَ عَلَى دَرَجِ الْكَعْبَةِ، فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ، فَقَالَ: "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ، أَلَا إِنَّ كُلَّ مَأْثُرَةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تذكر وتدعى من دَمٍ أو مال تَحْتَ قَدَمَيَّ، إِلَّا مَا كَانَ وِسِدَانَةِ الْبَيْتِ، ألا إن دية الخطإ شبه العمد، ما كان بالسوط والعصا مائة من الإبل، منها أربعون في بطونها أولادها" [3].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ خُزَاعَةَ قَتَلُوا رَجُلًا مِنْ بني لَيْثٍ، عَامَ فَتْحِ مَكَّةَ، بِقَتِيلٍ مِنْهُمْ قَتَلُوهُ، فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ رسول الله ﷺ فَرَكِبَ رَاحِلَتَهُ فَخَطَبَ، فَقَالَ: "إِنَّ الله حَبَسَ عَنْ مَكَّةَ الْفِيلَ، وَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ رَسُولَه وَالْمُؤْمِنِون، أَلَا وَإِنَّهَا لَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، أَلَا وَإِنَّهَا حَلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، أَلَا وَإِنَّهَا سَاعَتِي هَذِهِ حَرَامٌ،

---

[1] العمري :السيرة النبوية الصحيحة ٢/ ٤٨٣-٤٨٤.

[2] صحيح: أخرجه مسلم : كتاب الحج، باب جواز دخول مكة بغير إحرام٢/ ٩٩٠، حديث(١٣٥٩).

[3] حسن: أخرجه أبو داود : كتاب الديات، باب الدية كم هي؟٦/ ٦٠٦،حديث(٤٥٤٧). أخرجه ابن ماجه ماجه في سننه : كتاب الحدود، باب دية شبه العمد،٢/ ٨٧٨،حديث(٢٦٢٨).

لَا يُخْبط [1] شَوْكُهَا، وَلَا يُعْضَدُ شَجَرُهَا [2]، وَلَا تُلْتَقَطُ سَاقِطَتُهَا إِلَّا مُنْشِدٍ، ومَنْ قُتِلَ له قتيل فَهُوَ بِخَيْرِ النَّظَرَيْنِ [3])،فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ يقال له: أبو شاة، فَقَالَ: اكْتُبْ لِي يَا رَسُولَ الله، فَقَالَ: "اكْتُبُوا لِأَبِي شاة" [4].

وعَنْ أَبِي شُرَيْحٍ العدوي أن النَّبِيَّ ﷺ خطب يَوْمَ الغد من فَتْحِ مكة، فحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا الله وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلَا يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ الله ﷺ فِيهَا: فَقُولُوا له: إِنَّ الله قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ، وَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ" [5]. وقال النَّبِيُّ ﷺ: "لَا تُغْزَى هَذِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" [6].

وعن عبد الله بن مُطِيعٍ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ: "لَا يُقْتَلُ قُرَشِيٌّ صَبْرًا بَعْدَ هَذَا الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" [7].وعَنْ عبد الله بن عُمَرَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، فَقَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الله قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَعَاظُمَهَا بِآبَائِهَا، فَالنَّاسُ رَجُلَانِ: بَرٌّ تَقِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى الله وَفَاجِرٌ

---

[1] يخبط: أي يُضرب بالعصا ليقع.

[2] يُعضد: يقطع.

[3] بخير النظرين: أي إما أن يقبل الدية، وإما أن يُقاد من القاتل.

[4] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب كتابة العلم،١/٣٣،حديث(١١٢).صحيح مسلم: كتاب الحج، باب تحريم مكة٢/٩٨٨، حديث(١٣٥٥).

[5] متفق عليه: أخرجه البخاري : كتاب العلم، باب ليبلغ الشاهد الغائب،، حديث(١٠٤).صحيح مسلم: كتاب الحج، باب تحريم مكة٢/٩٨٧، حديث(١٣٥٤).

[6] صحيح: أخرجه الترمذي في سننه :كتاب السير، باب ما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم فتح مكة،٤/١٥٩، حديث (١٦١١) وقال: حسن صحيح.

[7] صحيح: أخرجه مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب لا يقتل قرشي صبرًا بعد الفتح٣/١٤٠٩، حديث(١٧٨٢).

شَقِيٌّ هَيِّنٌ عَلَى الله، وَالنَّاسُ بنو آدَمَ، وَخَلَقَ الله آدَمَ مِنْ تُرَابٍ، قَالَ الله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1] " [2].

وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺقَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ: "لَا هِجْرَةَ بعد الفتح، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرتُمْ فَانْفِرُوا"، ثم ساق ابن عباس خطبة النبي ﷺ بنحو حديث أبي هريرة في تحريم مكة وشجرها ونباتها، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ الله إِلَّا الْإِذْخِرَ، فَإِنَّهُ لِقَيْنِهِمْ [3]، وَلِبُيُوتِهِمْ، فَقَالَ النبي ﷺ : "إِلَّا الْإِذْخِرَ" [4].

وعَنْ جَابِرِ بن عبد الله ﷺأَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ عَامَ الْفَتْحِ وَهُوَ بِمَكَّةَ: "إِنَّ الله وَرَسُولَهُ حَرَّمَ بَيْعَ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ"، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ شُحُومَ الْمَيْتَةِ؟ فَإِنَّهَا يُطْلَى بِهَا السُّفُنُ، وَيُدْهَنُ بِهَا الْجُلُودُ، وَيَسْتَصْبِحُ بِهَا النَّاسُ[5]، فَقَالَ: "لَا هُوَ حَرَامٌ"، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ عِنْدَ ذَلِكَ: "قَاتَلَ الله الْيَهُودَ إِنَّ الله لَمَّا حَرَّمَ شُحُومَهَا جَمَلُوهُ[6] ، ثُمَّ بَاعُوهُ، فَأَكَلُوا ثَمَنَهُ" [7].

---

[1] سورة الحجرات :الآية ١٣.

[2] صحيح: أخرجه الترمذي في سننه: كتاب التفسير، باب سورة الحجرات,٣٨٩/٥، حديث(٣٢٧٠) وصححه الألباني.

[3] قينهم، بفتح القاف: الحداد والصائغ، وهم يحتاجون إليه في وقود النار.

[4] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب الإذخر والحشيش في القبر،٩٢/٢ ،حديث(١٣٤٩). صحيح مسلم: كتاب الحج، باب تحريم مكة، وفي رواية قال العباس: ولقبورهم٩٨٦/٢، حديث(١٣٥٣).

[5] يستصبح بها الناس: أي يوقدون بها مصابيحهم.

[6] جملوه: أي: أذابوه.

[7] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب بيع الميتة والأصنام،٨٤/٣ ،حديث (٢٢٣٦).صحيح مسلم: كتاب المساقاه, باب تحريم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام١٢٠٧/٣، حديث(١٥٨١).

اهدار دماء رجال من اكابر المجرمين:

لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ آمَنَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- النَّاسَ إِلاَّ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ وَامْرَأَتَيْنِ وَقَالَ :« اقْتُلُوهُمْ وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِى جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطَلٍ وَمِقْيَسُ بْنُ صُبَابَةَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِى سَرْحٍ ». فَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ خَطَلٍ فَأُدْرِكَ وَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ فَاسْتَبَقَ إِلَيْهِ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ وَعَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ فَسَبَقَ سَعِيدٌ عَمَّارًا وَكَانَ أَشَبَّ الرَّجُلَيْنِ فَقَتَلَهُ وَأَمَّا مِقْيَسُ بْنُ صُبَابَةَ فَأَدْرَكَهُ النَّاسُ فِى السُّوقِ فَقَتَلُوهُ وَأَمَّا عِكْرِمَةُ فَرَكِبَ الْبَحْرَ فَأَصَابَتْهُمْ عَاصِفٌ فَقَالَ أَصْحَابُ السَّفِينَةِ لأَهْلِ السَّفِينَةِ أَخْلِصُوا فَإِنَّ آلِهَتَكُمْ لاَ تُغْنِى عَنْكُمْ شَيْئًا هَا هُنَا قَالَ عِكْرِمَةُ : وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ يُنَجِّنِى فِى الْبَحْرِ إِلاَّ الإِخْلاَصُ لاَ يُنَجِّينِى فِى الْبَرِّ غَيْرُهُ اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَىَّ عَهْدًا إِنْ أَنْتَ عَافَيْتَنِى مِمَّا أَنَا فِيهِ أَنْ آتِىَ مُحَمَّدًا حَتَّى أَضَعَ يَدِى فِى يَدِهِ فَلأَجِدَنَّهُ عَفُوًّا كَرِيمًا قَالَ فَجَاءَ فَأَسْلَمَ وَأَمَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِى سَرْحٍ فَإِنَّهُ اخْتَفَى عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ فَلَمَّا دَعَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ جَاءَ بِهِ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ بَايِعْ عَبْدَ اللَّهِ قَالَ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلاَثًا كُلَّ ذَلِكَ يَأْبَى فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلاَثٍ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ :« أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حِينَ رَآنِى كَفَفْتُ يَدِى عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلُهُ؟ ». فَقَالُوا : مَا يُدْرِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فِى نَفْسِكَ هَلاَّ أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ قَالَ :« إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِى لِنَبِىٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الأَعْيُنِ »[1].

---

[1] صحيح: أخرجه أبو داود ، كتاب: الجهاد، باب: قتل الأسير، ولا يُعرض عليه الإسلام،٣١٨/٤،حديث(٢٦٨٣). والنسائي في سننه : كتاب المحاربة ، باب الحكم في المرتد،٤٤٣/٣، حديث(٣٥١٦) وصححه الألباني .

النبي ﷺ يُبايع أهل مكة:

عن الْأَسْوَدِ بن خلف ﷺ أنه رأى النَّبِيَّ ﷺ يُبَايِعُ النَّاسَ يَوْمَ الْفَتْحِ، قَالَ: جَلَسَ عِنْدَ قَرْنِ مَصْقَلَةَ [1]، فَبَايَعَ النَّاسَ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالشَّهَادَةِ [2].

وعن مُجَاشِعِ بن مسعود ﷺ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِأَخِي بَعْدَ الْفَتْحِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله جِئْتُكَ بِأَخِي لِتُبَايِعَهُ عَلَى الْهِجْرَةِ، قَالَ: "ذَهَبَ أَهْلُ الْهِجْرَةِ بِمَا فِيهَا"، فَقُلْتُ: عَلَى أَيِّ شَيءٍ تُبَايِعُهُ؟ قَالَ: "أُبَايِعُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْجِهَادِ" [3].

لَقَدْ كَانَ مِنْ أَثَرْ عَفُو النَّبِيِّ الشَامِلْ لأهْلِ مَكَّةَ أَنْ دَخلَ أَهْل مَكَّةَ رِجَالاً وَنِسَاءً وَأَحْرَاراً وَمَوالي فِي الإسْلامِ طَوَاعِيَةً واختياراً ، وَتَبِعَهُمْ مُعْظَمِ العَرَبْ فِي الدُخُولِ فِي الإسْلامِ ، وَقَدْ أَشَارِتْ سُورَة النَصْر إِلَى فَتْحِ مَكَّةَ وَدُخُولِ قُرَيْش وَغَيرَهُم فِي دِينِ اللهِ،قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا(٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [4].

---

[1] مكان في الكعبة.

[2] إسناده صحيح: أخرجه أحمد في مسنده ٢٤/١٦١، حديث (١٥٤٣١) بإسناد صحيح.

[3] متفق عليه أخرجه البخاري : كتاب المغازي، باب مقام النبي – صلى الله عليه وسلم – بمكة زمن الفتح،٥/١٥٢،حديث(٤٣٠٥، ٤٣٠٦). صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب المبايعة بعد فتح مكة٣/١٤٨٧، حديث(١٨٦٣).

[4] سورة النصر: الآيات ١.٣ .

بيعة النساء لرسول الله ﷺ:

لَمَّا فَرَغَ ﷺ مِنْ بَيْعَةِ الرِجَالِ، بَايَعَ النِسَاء عَلَى مَا جَاءَ فِي سُورَةِ المُمْتَحِنَة ، وَقَدْ تَضَمنَتْ ﴿ألّا يشركن بالله تعالى ولا يسرقن ولا يزنين ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصين الرسول في معروف﴾ [1].وَلَقَدْ خَشِيَ بَعْض الأَنْصَار أَنْ يَكُونَ الأَمَان الَّذِي مَنَحَه الرَسُول ﷺ لِقُرَيْش وَتَسامُحَه مَعَهُمْ دَلِيلاً عَلَى رَغْبَتِه فِي المُقَام بَيْنَ أَبْنَاءِ عَشِيرَتِه، فَأَخْبَرَه الوَحْي بِمَا قَالُوا فَخَاطَبَهُمْ قَائِلاً: « إِنِّى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ هَاجَرْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ وَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ » ، فَاعْتَذَروا إليهِ فَقَبِلَ اعْتِذَارَهُمْ [2].

السرايا والبعوث لهدم الاوثان:

بَثَّ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سَرَايَاهُ إِلَى الْأَوْثَانِ الَّتِي كَانَتْ حَوْلَ الْكَعْبَةِ، وَنَادَى مُنَادِيهِ بِمَكَّةَ: " «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَدَعْ فِي بَيْتِهِ صَنَمًا إِلَّا كَسَرَهُ» ".ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى الْعُزَّى، وَكَانَتْ بِنَخْلَةَ [3] ، وَكَانَتْ بَيْتًا يُعَظِّمُهُ هَذَا الْحَيُّ مِنْ قُرَيْشٍ وَكِنَانَةَ وَمُضَرَ كُلِّهَا، وَكَانَتْ سَدَنَتُهَا[4] وَحُجَّابُهَا بَنِي شَيْبَانَ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ حَلْفَاءِ بَنِي هَاشِمٍ، فَلَمَّا سَمِعَ صَاحِبُهَا السُّلَمِيُّ بِمَسِيرِ خَالِدٍ إِلَيْهَا، عَلَّقَ عَلَيْهَا سَيْفَهُ، وَأَسْنَدَ [5]فِي الْجَبَلِ الَّذِي هِيَ فِيهِ وَهُوَ يَقُولُ:

---

[1] سورة الممتحنة :الآية ١٢.

[2] صحيح مسلم: كتاب الجهاد والسير ، باب فتح مكة ٣/ ١٤٠٦ حديث ١٧٨٠.

[3]نخلة: اسم مكان, على بعد يومين من مكة.

[4]سدنتها: جمع سَدَن, وهو خادم بيت .....

[5]أسند: ارتفع وعلا.

أَيَا عُزَّ شُدِّي شِدَّةً لَا شَوَى لَهَا [1] ... عَلَى خَالِدٍ أَلْقِي الْقِنَاعَ وَشَمِّرِي

يَا عُزَّ إِنْ لَمْ تَقْتُلِي الْمَرْءَ خَالِدًا ... فَبُوئِي [2] بِإِثْمٍ عَاجِلٍ أَوْ تَنَصَّرِي

فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهَا خَالِدٌ هَدَمَهَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَكَانَتْ الْعُزَّى أَعْظَمْ آلِهَةِ قُرَيْشٍ [3].

ثُمَّ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم سَعْدَ بْنَ زَيْدٍ الْأَشْهَلِيَّ إِلَى مَنَاةَ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ، وَكَانَتْ بِالْمُشَلَّلِ لِلْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ وَغَسَّانَ فَخَرَجَ فِي عِشْرِينَ فَارِسًا حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهَا وَعَلَيْهَا سَادِنٌ فَقَالَ: السَّادِنُ: مَا تُرِيدُ؟ قَالَ: هَدْمَ مَنَاةَ، قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ، فَأَقْبَلَ سَعْدٌ يَمْشِي إِلَيْهَا وَتَخْرُجُ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ عُرْيَانَةٌ سَوْدَاءُ ثَائِرَةُ الرَّأْسِ تَدْعُو بِالْوَيْلِ وَتَضْرِبُ صَدْرَهَا، فَقَالَ: السَّادِنُ: مَنَاةُ دُونَكَ بَعْضَ غَضَبَاتِكِ وَيَضْرِبُهَا سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ الْأَشْهَلِيُّ وَقَتَلَهَا وَيُقْبِلُ إِلَى الصَّنَمِ مَعَهُ أَصْحَابُهُ فَهَدَمُوهُ وَلَمْ يَجِدُوا فِي خَزَانَتِهَا شَيْئًا وَانْصَرَفَ رَاجِعًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم وَكَانَ ذَلِكَ لِسِتٍّ بَقِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ.ثم بَعَثَ النَّبِيُّ صلّى الله عليه وسلم عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ إِلَى سُوَاعٍ صَنَمِ هُذَيْلٍ لِيَهْدِمَهُ قَالَ عَمْرٌو: فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَعِنْدَهُ السَّادِنُ فَقَالَ: مَا تُرِيدُ قُلْتُ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم أَنْ أَهْدِمَهُ قَالَ: لَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ قُلْتُ: لِمَ؟ قَالَ: تُمْنَعُ قُلْتُ: حَتَّى الْآنَ أَنْتَ فِي الْبَاطِلِ وَيْحَكَ وَهَلْ يَسْمَعُ أَوْ يُبْصِرُ قَالَ: فَدَنَوْتُ مِنْهُ فَكَسَرْتُهُ وَأَمَرْتُ أَصْحَابِي فَهَدَمُوا بَيْتَ خِزَانَتِهِ فَلَمْ يَجِدُوا فِيهِ شَيْئًا ثُمَّ قُلْتُ لِلسَّادِنِ: كَيْفَ رَأَيْتَ؟ قَالَ أَسْلَمْتُ لِلَّهِ [4].

وَلَمَّا رَجَعَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ مِنْ هَدْمِ الْعُزَّى بَعَثَه النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى

---

[1] لا شوى لها: أي: لا تبقى على شيء.

[2] بوئي: ارجعي.

[3] ابن هشام : السيرة النبوية ٢/٤٣٧.

[4] ابن سعد : الطبقات الكبرى ٢/١٤٦.

بَنِي جَذِيمَةَ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ فَلَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا أَسْلَمْنَا فَجَعَلُوا يَقُولُونَ صَبَأْنَا صَبَأْنَا فَجَعَلَ خَالِدٌ يَقْتُلُ مِنْهُمْ وَيَأْسِرُ وَدَفَعَ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمٌ أَمَرَ خَالِدٌ أَنْ يَقْتُلَ كُلُّ رَجُلٍ مِنَّا أَسِيرَهُ فَقُلْتُ وَاللَّهِ لَا أَقْتُلُ أَسِيرِي وَلَا يَقْتُلُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِي أَسِيرَهُ حَتَّى قَدِمْنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْنَاهُ فَرَفَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ مَرَّتَيْنِ[1].

وَكَانتْ بَنُو سُلَيْمٍ هُمْ الذِينَ قَتَلوا أَسْرَاهُمْ دُونَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَبعثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علياً فَوَدَى لهم قَتْلاهُمْ وَمَا ذَهَبَ مِنْهُمْ ، وَكانَ بَيْنَ خَالِدٍ وَبَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ كَلامٌ وَشَرٌ فِي ذَلكَ ، فَبَلغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: مَهْلًا يَا خَالِدُ، دَعْ عَنْكَ أَصْحَابِي، فَوَاللَّهِ لَوْ كَانَ لَكَ أُحُدٌ ذَهَبًا ثُمَّ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا أَدْرَكَتْ غَدْوَةَ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِي وَلَا رَوْحَتَهُ[2].

---

[1] صحيح: أخرجه البخاري : بَاب بَعْثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ٥/ ١٦٠، حديث(٤٣٣٩)

[2] وفي رواية :عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ.انظر: صحيح البخاري : كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي صلى الله عليه و سلم (لو كنت متخذا خليلا)٥/٨،حديث (٣٦٧٣).

المبحث الثاني

المستفاد من احداث غزوة فتح مكة

المستفاد من أسباب نجاح الرسول ﷺ في فتح مكة :

١- معرفة الرسول ﷺ بإمكانات قريش وقدراتها العسكرية ، في الوقت الذي كانت تجهل تطور قوة المسلمين الحقيقية ، بدليل أنها أقدمت على مساعدة حليفتها قبيلة بكر في قتالها ضد خزاعة حليفة الرسول ﷺ ؛ ما كان سبباً في اندحارها وفتح مكة.

٢- المحافظة على السرية التامة لوجهة التحرك ، وتحقيق مبدأ المفاجأة .

٣- لجوء الرسول ﷺ إلى الحرب النفسية لإرباك العدو.

٤- توزيع القوات من أجل الإستعداد الدائم لأي مواجهة مفاجئة ، وتفويت فرصة القتال على أهل مكة ، إن أرادوا ذلك ، فيضطرون إلى تشتيت وتبديد قواهم ، وإنما فعل الرسول ﷺ ذلك حقاً للدماء ما أمكن .

٥- كان الرسول ﷺ عندما وصل إلى مشارف مكة يقرأ سورة الفتح ، ويشكر الله على نصره وتأييده بعيداً عن نشوة النصر ومشاعر التكبر والتجبر، كما يفعل معظم القادة عادة ، ويضع رأسه تواضعاً لله ، وهذا يعني أنه كان مندمجاً في حال من العبودية التامة لله تعالى ، وهكذا ينبغي أن يكون المسلم في حال عبودية دائماً لله في كل أحواله ، في السراء والضراء ، والرخاء والشدة ، وعند الضعف والقوة .

٦- اتصف الرسول ﷺ عقب فتح مكة بسمو النفس ، وسماحة الخلق ،فأزداد

الناس إعجاباً به ، ذلك أن قواعد الحرب في الجاهلية في جزيرة العرب وخارجها ، قبل الإسلام ، كانت تجعل أهل البلد المفتوح في موضع الأسرى بيد القائد الفاتح ورجاله ، ولهم حق السلب والنهب والقتل حتى يصدر القائد المنتصر الأمر لجنوده بالتوقف عن ذلك ، فلما فتح الرسول ﷺ مكة ؛ تصرف وفقاً لشرائع الإسلام السمحة ، ودفعته إنسانيته أن يقول لأهل مكة إنكم لستم أسرى ولا عبيد ، وليست بلدكم ملكاً لي ، ولا مستباحاً من جنودي ، وأنه ليس ملكاً متغلباً ، فلا غلب ، ولا سيادة غالب على مغلوب ، إنما هو فتح القلوب للإسلام .

٧- عامل الرسول ﷺ الناس بعد أن دخل مكة فاتحاً على قدر عقولهم ، وكأنه إلى جانب نبوته كان مصلحاً اجتماعياً ، فهو يخاطب كل واحد بالأسلوب الذي يقنعه وبمنطقه ، كما حصل مع صفوان بن أُمية .

٨- منح الرسول ﷺ من لم يهتدِ من المشركين فسحة من الوقت مدتها أربعة أشهر حتى يناله الهدى ، وبعدها يجوز عليه القتل إن لم يهتد ، أما الرجل من أهل الكتاب ، فعليه الجزية والطاعة حتى يهتدي ، إن أراد الله به الخير. وقد طبق هذا المعنى في الطليق والطلقاء مع عدة نفر لم يشاؤوا أن يُسلموا عند الفتح ، منهم سهيل بن عمرو ، شيخ بني عامر بن لؤي .

المستفاد من معاملة رسول الله ﷺ لأبي سفيان يوم فتح مكة:

١ – عندما أصبح أبو سفيان رهينة بيد المسلمين، وأصبح رهن إشارة النبي ﷺ ، وهمَّ به عمر، وأجاره العباس، ثم جاء في صبيحة اليوم الثاني ليمثل بين يدي رسول الله ﷺ ، وكانت المفاجأة الصاعقة له بدل التوبيخ والتهديد والإذلال أن يدعى إلى

الإسلام، فتأثر بهذا الموقف واهتز كيانه؛ فلم يملك إلا أن يقول: بأبي أنت وأمي يا محمد، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! إنه يفدي رسول الله ﷺ بأبيه وأمه، ويثني عليه الخير كله: ما أحلمك وأكرمك وأوصلك! [1].

٢- وعندما قال العباس للنبي ﷺ: إن أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئًا قال النبي ﷺ: «نعم، من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» ففي تخصيص بيت أبي سفيان شيئًا يشبع ما تتطلع إليه نفس أبي سفيان، وفي هذا تثبيت له على الإسلام وتقوية لإيمانه [2] وكان هذا الأسلوب النبوي الكريم عاملا على امتصاص الحقد من قلب أبي سفيان، وبرهن له بأن المكانة التي كانت له عند قريش، لن تنتقص شيئا في الإسلام، إن هو أخلص له وبذل في سبيله [3] وهذا منهج نبوي كريم على العلماء والدعاة إلى الله أن يستوعبوه ويعملوا به في تعاملهم مع الناس.

٣- وفي قول رسول الله ﷺ لعمه العباس عن أبي سفيان: «احبسه بمضيق الوادي، حتى تمر به جنود الله فيراها» [4] ففعل العباس، وكان ﷺ يريد أن يشن حربًا نفسية للتأثير على معنويات قريش حتى يتسنى له القضاء على روح المقاومة عند زعيم مكة، وحتى يرى أبو سفيان بعيني رأسه مدى قوة ما وصل إليه الجيش الإسلامي من تسليح وتنظيم وحسن طاعة وانضباط؛ وبذلك تتحطم أي فكرة في نفوس المكيين يمكن أن تحملهم على مقاومة هذا الجيش المبارك إذا دخل مكة لتحريرها من براثن الشرك والوثنية [5] ، وبالفعل تم ما رسمه رسول الله ﷺ،

---

[1] عبد الكريم زيدان : المستفاد من قصص القرآن٢/ ٣٩٥.

[2] المصدر نفسه٢/ ٤٠٣.

[3] محمد رواس : قراءة سياسية للسيرة النبوية، ص٢٤٥.

[4] سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٣.

[5] محمد الرشيد : القيادة العسكرية في عهد الرسول، ص٤٤٧.

وأدرك أبو سفيان قوة المسلمين، وأنه لا قبل لقريش بهم، حتى إذا مرت به كتيبة المهاجرين والأنصار قال أبو سفيان: سبحان الله! يا عباس، من هؤلاء؟ قال: قلت: هذا رسول الله ﷺ في المهاجرين والأنصار، قال: ما لأحد بهؤلاء قِبَل ولا طاقة والله يا أبا الفضل، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما، قال: قلت: يا أبا سفيان، إنها النبوة، قال: نعم إذاً.... [1].

«إنها النبوة»؛ تلك هي الكلمة التي أدارتها الحكمة الإلهية على لسان العباس، حتى تصبح الرد الباقي إلى يوم القيامة على كل من يتوهم أو يوهم أن دعوة النبي ﷺ إنما كانت ابتغاء ملك أو زعامة، أو إحياء قومية أو عصبية، وهي كلمة جاءت عنوانًا لحياة رسول الله ﷺ من أولها إلى آخرها، فقد كانت ساعات عمره ومراحلها كلها دليلاً ناطقا على أنه بعث لتبليغ رسالة الله إلى الناس، لا لإشادة ملك لنفسه في الأرض [2].

المستفاد من أمر رسول الله ﷺ بإيقاد النيران يوم فتح مكة :

لقد تعمد النبي ﷺ شن الحرب النفسية على أعدائه أثناء سيره لفتح مكة، حيث أمر رسول الله ﷺ بإيقاد النيران فأوقدوا عشرة آلاف نار في ليلة واحدة حتى ملأت الأفق، فكان لمعسكرهم منظر مهيب كادت تنخلع قلوب القريشيين من شدة هوله [3]، وقد قصد النبي ﷺ من ذلك تحطيم نفسيات أعدائه والقضاء على معنوياتهم حتى لا يفكروا في أية مقاومة، وإجبارهم على الاستسلام لكي يتم له

---

[1] السيرة النبوية لابن هشام ٢/٤٠٤.
[2] البوطي : فقه السيرة النبوية ، ص٢٧٥.
[3] الصلابي : السيرة النبوية ١/٧٥٧.

تحقيق هدفه دون إراقة دماء، وبتطبيق هذا الأسلوب تم له صلى الله عليه وسلم ما أراد، ولقد كان اهتمام النبي ﷺ بمعنويات المقاتل ونفسيته سبقًا عسكريًّا؛ بدليل أن المدارس العسكرية التي جاءت فيما بعد جعلت هذا الأمر موضع العناية والاهتمام من الناحية العسكرية[1].

المستفاد من حركة السرايا التي أرسلها رسول الله ﷺ بعد فتح مكة :

ونستفيد من حركة السرايا التي أرسلها رسول الله ﷺ للقضاء على الأصنام والأوثان أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يومًا واحدًا، فإنها شعائر الكفر والشرك، وهي أعظم المنكرات، فلا يجوز الإقرار عليها مع القدرة ألبتة.

وهذا حكم المشاهد التي بنيت على القبور التي اتخذت أوثانًا وطواغيت تعبد من دون الله، والأحجار التي تقصد للتعظيم والتبرك والنذر والتقبيل، لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى أو أعظم شركا عندها وبها [2].

المستفاد من قصة حاطب بن أبي بلتعة :

١- لايجوز الاقتداء بعمل حاطب في العفو عمن يعمل عمله ، لان العفو عنه كان لعلة لم يعد يمكن تحققها في غيره بعد عصر الصحابة وهو كونه شهد بدراً . وهذا مافقهه الامام مالك إذ قال: يقتل الجاسوس المسلم ، مما يدل على أن إسلام

---

[1] محمد فرج : العبقرية العسكرية وغزوات الرسول، ص٥٦٥.

[2] بريك بن محمد بريك : السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة ، ص٣٠٢.

الجاسوس لا يعصمه ولا يقيه من عقوبة القتل لخطورة جرمه[١].

٢- يُتسامح مع فاعل الخير الكثير ما لا يتسامح مع غيره [٢].

٣- جواز تجريد المرأة وتكشيفها للحاجة والمصلحة العامة ، فإن علياً والمقداد رضي الله عنهما قالا للمرأة العجوز التي حملت كتاب حاطب ، وقد نفت ذلك أولاً: (لتخرجن الكتاب أو لنكشفنك) ، وإذا كان جائزاً تجريد المرأة لحاجتها إلى ذلك إذا دعت إليها ، فتجريدها لمصلحة الإسلام والمسلمين أولى[٣] . وإن كان ظاهر النص يشير أن علياً ﷺ قد هددها بذلك ولم يفعله .

الأحكام الفقهية المستنبطة من أحداث فتح مكة :

١- جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية؛ حيث صام الرسول في مسيرة الجيش من المدينة حتى بلغ كديدًا فأفطر [٤].

٢- صلى النبي ﷺ صلاة الضحى ثماني ركعات خفيفة واستدل قوم بهذا على أنها سنة مؤكدة[٥].

٣- قصر الصلاة الرباعية للمسافر، فقد أقام النبي بمكة تسعة عشر يوما يقصر الصلاة [٦].

---

[١]عبد الكريم زيدان : المستفاد من قصص القرآن ٢/ ٤٠٢.

[٢]المصدر نفسه .

[٣]ابن القيم : زاد المعاد ٣/ ٣٧٢.

[٤]مهدي رزق الله أحمد : السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص٥٧٤.

[٥]المصدر نفسه .

[٦]اكرم العمري : المجتمع المدني، ص١٨٥.

٤- تحريم نكاح المتعة إلى الأبد بعد إباحته لمدة ثلاث أيام [١]. ويرى الإمام النووي [٢] أنه وقع تحريمه وإباحته مرتين؛ إذ كان حلالاً قبل غزوة خيبر، فحرم يومها، ثم أبيح يوم الفتح، ثم حرم للمرة الثانية إلى الأبد. ويرى ابن القيم [٣] أن المتعة لم تحرم يوم خيبر، وإنما كان تحريمها فقط يوم الفتح، وله في هذا مناقشة طويلة عند كلامه عن الأحكام الفقهية المستنبطة من أحداث غزوة خيبر وغزوة الفتح، والمتفق عليه أنها حرمت إلى الأبد بعد الفتح [٤].

٥- قرر الرسول ﷺ أن الولد للفراش وللعاهر الحجر كما جاء ذلك في حديث ابن وليدة بن زمعة، فقد تنازع فيه سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن زمعة، فقضى فيه رسول الله لعبد الله بن زمعة لأنه ولد على فراش أبيه.

٦- وعدم جواز الوصية بأكثر من ثلث المال، كما في قصة سعد بن أبي وقاص حين مرضه بمكة واستشارة الرسول ﷺ في أن يوصي بأكثر من الثلث [٥].

---

[١] السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص٥٧٥.

[٢] النووي على شرح مسلم ١٦٩/٨، اعتمدت على فقه الأحكام على ما استخرجه الدكتور العمري في المجتمع المدني، والدكتور مهدي رزق الله في السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية.

[٣] ابن القيم : زاد المعاد ٤٠٣/٣.

[٤] السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص٥٧٥.

[٥] اكرم العمري : المجتمع المدني ، ص١٨٦.

الفصل الثاني عشر

غزوة حنين وحصار الطائف

تمهيد:

تُعدْ غَزْوَة حَنْين آخِرْ غَزَواتِ الرَسُولِ الكَرِيم ﷺ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ، حَيثُ لَمْ تُقِمْ بَعْدَهَا لِلوَثَنِيَةِ العَرَبِيَةِ قَائِمَةً، وَارتَفَعَ بَعْدَهَا عَلَمُ التَوحِيدِ عَالِيَاً فِي سَمَاءِ الجَزِيرَةِ العَرَبِيَةِ، وَتَهاوَتْ أَلوِيَة الشِّركِ، وَدَخَلَ العَرَبُ جَمِيعاً بَعدَ هَذِهِ الغَزْوَةِ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجَاً. وَقدْ جَمَعتْ هَذِهِ الغَزْوَةِ بَينَ الهَزِيمَةِ لِلمُسْلِمِينَ فِي بَادِئِ الأَمْرِ ثُمَّ كَانَتِ العَاقِبَةُ لَهُمْ النَصْرُ وَالظَفَرُ بِأَعْدَائِهِمْ. وَمِنْ أَجْلِ التَعَرُفِ عَلَى أَحْدَاثِ غَزْوَةِ حَنْين وَحِصَارِ الطَائِفِ وَالدُروسِ المُسْتَفَادَةِ مِنْهَا فَقدْ قَسمنَا هَذَا الفَصْل إِلَى مَبْحَثَيْنِ مُسْتَقِلَيْنِ وَكَمَا يَلِي :

المَبْحَثِ الأَوْل : أَحْدَاثِ غَزْوَةِ حَنْين وَحِصَارِ الطَائِفِ.

المَبْحَثِ الثَّانِي : المُسْتَفَادِ مِنْ أَحْدَاثِ غَزْوَةِ حَنْين وَحِصَارِ الطَائِفِ.

المبحث الأول

أحداث غزوة حنين وحصار الطائف

أسباب الغزوة :

تُعْتَبر قَبِيلَةِ هَوَازِن مِنْ قَبَائِلْ العَرَب الشَهْيرَة الَّتِي انْتَشَرَتْ بُطونِهَا فِي تِهامة على سَاحِلْ البَحْر الأَحْمَر ، وَكَانَتْ ثَقِيفٌ مِنْ أَبْرَزْ فُروعِهَا ، وَقدْ اسْتَقَرتْ فِي الطَائِفْ وَمَا حَولَهَا[1] ، وَلَمْ تَشْتَرِكْ هَوَازِن وَبُطونِهَا بَعدَ الهِجْرَة فِي دَائِرةِ الحَرْبِ وَالصِرَاعِ المُحْتَدِمْ بَينَ المُسْلِمينَ وَأَهْلِ مَكَّةَ ، وَلَعَلَّهَا ظَنَّتْ أَنَّ قُرَيْشَاً تَكْفِيهَا ، وَظَلَتْ تَرْقُبُ المَعَارِكَ الوَاحِدَةَ بَعْدَ الأُخْرَى مِنْ غَيرِ أَنْ تَدْخُلَ فِي شَيءٍ مِنْهَا ، وَلا رَيْبَ فِي أَنَّ ذَلِكَ عَكْس ضعف تقديرها لقوة المسلمين [2]. غَيْرَ أَنَّ الأُمُور إِنْجَلتْ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ ، فَقَدْ أَدْرَكَتْ هَوَازِن حَقِيقَةِ القُوَة المُتَعَاظِمَة لِلمُسْلِمينَ ، وَأَنَّ مَا دَارَ عَلَى مَكَّةَ قَدْ يَدورُ عَلَيهَا هِيَ الأُخْرَى ، لِذَا فَإِنَهَا رَاحَتْ تُعِدُّ العِدَةَ لِمُوَاجَهَةِ المُسْلِمينَ ، وَمَعَهَا فِي ذَلِكَ ثَقِيف وَبَنُو هِلال وَوَلُوا عَلَيْهِمْ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ النَّصْرِيِّ ، وَلَمْ يَحْضُرْهَا مِنْ هَوَازِنَ كَعْبٌ وَكِلَابٌ[3].

تعبأ قوى التحالف:

عَبَأَ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ قُوَاتَهُ البَالِغَة قُرَابَةَ عِشْرِينَ أَلفَ مُقَاتِلْ، وَرَاحَ يُشَجِعَهُمْ عَلَى الثَبَاتِ وَالإِسْتِبْسَالِ فِي القِتَالِ فِي خُطُواتٍ مُتَدَرِجَةٍ :

---

[1] ياقوت الحموي: معجم البلدان ، ج٢، ص١٧٣.

[2] أكرم العمري: السيرة النبوية الصحيحة ،ج٢، ص٤٩١.

[3] السيرة النبوية لأبي شهبة ٢/ ٤٦٧. ابن هشام: السيرة النبوية ٢/٤٣٨.

١- فَقَدْ خَطَبَ فِي جُنْدِهِ ، وَقَالَ : (إنّ مُحَمّدًا لَمْ يُقَاتِلْ قَطّ قَبْلَ هَذِهِ الْمَرّةِ، وَإِنّمَا كَانَ يَلْقَى قوما أَغْمَارًا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ فَيُنْصَرُ عَلَيْهِمْ) [١].

٢- حَشَّدَ نِسَاءِ الْمُقَاتِلِينَ وَأَطْفَالِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ خَلْفَهُمْ، مُعْتَقِدَاً بِأَنَّ الْمُقَاتِلَ إِذَا شَعَرَ وَهُوَ يُقَاتِل بِأَنَّ أَعَزّ مَا يَمْلِك وَرَاءَهُ ثَبتَ فِي القِتَالِ ، وَصَعبَ عَلَيهِ أَنْ يَلُوذْ بِالفِرَارِ وَيَترُكَهمْ للْعَدُوِّ. عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ افْتَتَحْنَا مَكَّةَ ثُمَّ إِنَّا غَزَوْنَا حُنَيْنًا فَجَاءَ الْمُشْرِكُونَ بِأَحْسَنِ صُفُوفٍ رَأَيْتُ - قَالَ - فَصُفَّتِ الْخَيْلُ ثُمَّ صُفَّتِ الْمُقَاتِلَةُ ثُمَّ صُفَّتِ النِّسَاءُ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ ثُمَّ صُفَّتِ الْغَنَمُ ثُمَّ صُفَّتِ النَّعَمُ [٢].

٣- الأخذ بِزِمَامِ الْمُبَادَرَةِ وَمُهَاجَمَةِ الْمُسْلِمِينَ؛ لأَنَّ فُرْصَةِ النَّصْرِ تكُونُ فِي الغَالبِ لِصَالِحِ الْمُهَاجِمْ، وَيَكونُ الْمُدَافِع فِي مَوقِفٍ ضَعيفٍ.

٤- أمر مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ قواته أَنْ يَكْسِرُوا جُفُونَ سُيُوفِهِمْ، ثُمَّ يَشُدُّوا شَدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ [٣]، وَالْمَعْروفِ أَنَّ مِنْ عَادَةِ العَرَبِ فِي حُروبِهِمْ أَنْ يَكْسِرُوا أَجْفَانِ سُيُوفِهِمْ قَبْلَ بَدْءِ القِتَالِ، وَهَذَا يَعْنِي إِصْرارِ الْمُقَاتِلْ عَلَى الثَبَاتِ أَمَامَ الخَصْمِ حَتَّى النَصْرِ أَو المَوتِ[٤] .

٥- اسْتَخْدَمَ مَالِكِ بْنِ عَوْفٍ سِلاحْ الحَرْب النَفْسِيَّة ضِدْ الْمُسْلِمينَ بِهَدَفِ بَثْ الخَوفْ فِي نُفوسِهِمْ، وَذَلِكَ مِنْ وَاقِعْ وَضعْ عَشَراتِ الآلافِ مِنَ الجِمالِ وَراء صُفوفِ جَيْشِهِ ، ثُمَّ أَرْكَبَ عَلَيْهَا النِسَاءَ، فَبَدَا وَكَأَنَّ هَذَا الجَيْش مِنَ الضَخَامَةِ مَا يُثَبِطْ عَزيمةِ الخَصْمِ [٥].

---

[١] الواقدي : المغازي ٣/٨٩٣.

[٢] صحيح مسلم : كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم٢/٧٣٣،حديث(١٠٥٩).

[٣] ابن هشام:السيرة النبوية ٢/٤٣٩.

[٤] الصلابي : السيرة النبوية ١/٧٨١.

[٥] غزوة حنين للشيخ محمد أحمد باشميل، ص١٢٨ - ١٣١.

خروج الرسول ﷺ إلى حنين :

لَمَّا سَمِعَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَزمِ هَوَازِنْ عَلَى حَربِهِ ؛ بَعَثَ إِلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ ابْن أَبِي حَدْرَدٍ الْأَسْلَمِيَّ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْخُلَ فِي النَّاسِ، فَيُقِيمَ فِيهِمْ حَتَّى يَعْلَمَ عِلْمَهُمْ، ثُمَّ يَأْتِيَهُ بِخَبَرِهِمْ. فَانْطَلَقَ ابْنُ أَبِي حَدْرَدٍ، فَدَخَلَ فِيهِمْ، فَأَقَامَ فِيهِمْ، حَتَّى سَمِعَ وَعَلِمَ مَا قَدْ أَجْمَعُوا لَهُ مِنْ حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَمِعَ مِنْ مَالِكٍ وَأَمْرِ هَوَازِنَ مَا هُمْ عَلَيْهِ. ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ[1].

خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ نَحْوَ حَنْين سَنَة ٨ه بِجَيْشِه المُكَونِ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا [2]، العَشَرَةِ آلَافٍ الذين فَتَحُوا مَكَّةَ، وأَلْفَانِ من الطُّلَقَاءِ، وَهُوَ أَكْبرْ جَيْش لِلمُسْلِمينَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَاسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﷺ عَتَّابَ بْنَ أَسِيدٍ عَلَى مَكَّةَ [3]. فَلَمَّا أَجْمَعَ رَسُولُ الله ﷺ السّيْرَ ذُكِرَ لَهُ أَنّ عِنْدَ صَفْوَانَ بن أُمَيَّةَ أَدْرَاعًا لَهُ وَسِلَاحًا- وكان صَفْوَانُ لا يزال مُشْرِكًا، فَقَالَ رسول الله ﷺ :« يَا صَفْوَانُ هَلْ عِنْدَكَ سِلاَحٌ ». قَالَ : عَارِيَةً أَمْ غَصْبًا. قَالَ :« بَلْ عَارِيَةً »، فَأَعَارَهُ مَا بَيْنَ الثَّلاَثِينَ إِلَى الأَرْبَعِينَ دِرْعًا[4].

ولما كَانَ عَشِيَّةً، جَاءَ رَجُلٌ فَارِسٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنِي انْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ حَتَّى طَلَعْتُ جَبَلَ كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا أَنَا بِهَوَازِنَ عَلَى بَكْرَةِ آبَائِهِمْ بِظُعُنِهِمْ وَنَعَمِهِمْ

---

[1] ابن هشام: السيرة النبوية ٢/ ٤٤٠.

[2] المصدر نفسه

[3] ابن القيم : زاد المعاد ٣/ ٤١١.

[4] صحيح: أخرجه أبو داود في سننه: كتاب البيوع، باب في تضمين العارية,٥/٤١٦،حديث (٣٥٦٣)وصححه الألباني .

وَشَائِهِمْ اجْتَمَعُوا إِلى حُنَيْنٍ، فَتَبَسَمَ رَسُولُ الله ﷺ ، وَقَالَ: "تِلْكَ غَنِيمَةُ الْمُسْلِمِينَ غَدًا إِنْ شَاءَ الله"، وَتَطَوعَ للحِرَاسَةِ تلك اللَّيْلَةِ أَنَسُ بن أبي مَرْثَدٍ الْغَنَوِيُّ[1].

قصة الشجرة ذات أنواط:

عن الْحَارِثِ بن مَالِك ﷺ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ وَنَحْنُ حَدِيثُو عَهْدٍ بِالْجَاهِلِيّةِ، قَالَ: فَسِرْنَا مَعَهُ إِلَى حُنَيْنٍ، قَالَ: وَكَانَتْ كُفّارُ قُرَيْشٍ وَمَنْ سِوَاهُمْ مِنْ الْعَرَبِ لَهُمْ شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ خَضرَاءُ، يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، يَأْتُونَهَا كُلّ سَنَةٍ، فَيُعَلّقُونَ أَسْلِحَتَهُمْ عَلَيْهَا، وَيَذْبَحُونَ عِنْدَهَا، وَيَعْكُفُونَ عَلَيْهَا يَوْمًا، قَالَ: فَرَأَيْنَا وَنَحْنُ نَسِيرُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ سِدْرَةً خَضرَاءَ عَظِيمَةً، قَالَ: فَنَادَيْنَا مِنْ جَنبَاتِ الطّرِيقِ: يَا رَسُولَ الله اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "اللهُ أَكْبَرُ، قُلْتُمْ وَالّذِي نَفْسُ مُحَمّدٍ بِيَدِهِ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى لِمُوسَى: ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[2] إِنّهَا السّنَنُ، لَتَرْكَبُنّ سُنَنَ من كَانَ قَبْلَكُم "[3].

الجيش الاسلامي يُبَاغَتْ بالرماة والمهاجين:

وَصَل الجَيْش الاسْلامِي إِلى حَنْين فِي مَسَاءِ العَاشِرْ مِنْ شَوَال[4].وَكانَ مَالِك بن عَوْف قَدْ سَبَقَهُمْ ، فَأَدْخَلَ جَيْشَهُ بِاللّيْلِ فِي ذَلِكَ الوَادِي ، وَفَرَّقَ كُمَنَاءَهُ فِي الطُّرُق

---

[1] صحيح: أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الجهاد، باب في فضل الحرس في سبيل الله عز وجل، ٤/١٥٥، حديث (٢٥٠١)وصححه الألباني.

[2] سورة الاعراف: الآية ١٣٨.

[3] صحيح: رواه ابن إسحاق بسند صحيح، "سيرة ابن هشام" ٢/ ٤٤٢،والحديث أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم،٤/٤٧٥، حديث(٢١٨٠) عن أبي واقد الليثي، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصحح اسناده الألباني رحمه الله .

[4] اكرم العمري : السيرة النبوية الصحيحة ٢/٤٩٥.

وَالمَدَاخِلْ والشِّعَابْ وَالأخبَاءِ وَالمَضَايِقِ ، وَاصْدَرَ إلَيْهِمْ أَمْرَهُ بِأَنْ يَرْشقُوا المُسْلِمينَ أَولَ مَا طَلَعُوا ، ثُمَّ يَشُدُّوا شَدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ[1].

وَبِالسَّحَر عَبَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَيْشَهُ ، وَعَقدَ الألوِيَةِ وَالرَايَاتِ ، وَفَرَّقَهَا عَلَى النَّاسِ فِي عِمَايَةِ الصُّبْح [2]اسْتَقْبَلَ المُسْلِمونَ وَادي حَنْين ، وَشَرَعُوا يَنْحَدِرونَ فِيهِ ، وَهُمْ لا يَدْرونَ بِوجودِ كُمَنَاءِ الْعَدُوِّ فِي مَضَايِقِ هَذَا الوَادِي ، فَبَينَا هُمْ يَنْحَطونَ إذا تُمْطِر عَلَيْهِمْ النِبَالْ، واذا كَتَائِبْ الْعَدُوِّ قَدْ شَدَّتْ عَلَيْهِمْ شَدَّةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَانْشَمرَ[3] المُسْلِمونَ رَاجِعِينَ، لَا يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَكَانَتْ هَزْيمَةً مُنْكَرَة ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ : لَا تَنْتَهِي هَزِيمَتُهُمْ دُونَ الْبَحْرِ وَصَرَخَ جَبَلَةُ بْنُ الْحَنْبَلِ: أَلَا بَطَلَ السّحْرُ الْيَوْمَ.حَتَّى قَالَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ : لَا تَنْتَهِي هَزِيمَتُهُمْ دُونَ الْبَحْرِ وَصَرَخَ جَبَلَةُ بْنُ الْحَنْبَلِ: أَلَا بَطَلَ السّحْرُ الْيَوْمَ[4].

وَانْحَازَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ الْيَمِينِ، ثُمَّ قَالَ: أَيْنَ أَيُّهَا النَّاسُ؟ هَلُمُّوا إلَيَّ، أَنَا رَسُولُ اللَّهِ، أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ[5].وَكَانَ الَّذِينَ ثَبَتُوا معَ النَّبِيّ ﷺ فِي أَولِ الأمْرِ لا يَتَعَدونَ المَائَة [6]،رَهْطًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ غَيْرَ كَثِيرٍ، كَثِيرٍ، ثَبَتَ مَعَهُ ﷺ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَمِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَابْنُهُ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ، وَرَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ،

---

[1] إسناده حسن: أخرجه أحمد في مسنده :٢٣/ ٢٧٤، حديث ١٥٠٢٧.

[2] عماية الصُّبْح: ظلامة قبل أَن يتَبَيَّن.

[3] انشمر النَّاس: انْفَضُّوا وانهزموا.

[4] ابن هشام: السيرة النبوية ٢/ ٤٤٤.

[5] إسناده حسن: أخرجه أحمد في مسنده :٢٣/ ٢٧٤، حديث ١٥٠٢٧.

[6] صحيح الإسناد: أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الجهاد، باب ما جاء في الثبات عند القتال،٤/ ٢٠٠،حديث (١٦٨٩)وصحح إسناده الألباني رحمه الله.

وَأَيْمَنُ بْنُ عُبَيْدٍ وَهُوَ ابْنُ أُمِّ أَيْمَنَ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ[1]، فلما دعاهم العباس، والنبي يدعوهم ويَقُولُ: "أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عبد الْمُطَّلِبْ، اللَّهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ"[2] وَكَانَ الَّذِينَ ثَبَتُوا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَولِ الأمْرِ لا يَتَعَدونَ المَائَةَ [3]،رَهْطًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَأَهْلِ بَيْتِهِ غَيْرَ كَثِيرٍ، ثَبَتَ مَعَهُ ﷺ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَمِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَابْنُهُ الْفَضْلُ بْنُ عَبَّاسٍ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ، وَرَبِيعَةُ بْنُ الْحَارِثِ، وَأَيْمَنُ بْنُ عُبَيْدٍ وَهُوَ ابْنُ أُمِّ أَيْمَنَ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ[4]، فَلَمَّا دَعَاهُم العَبَاسُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يدعوهم ويَقُولُ: "أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عبد الْمُطَّلِبْ، اللَّهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ" [5].

رجوع المسلمين واحتدام المعركة:

نادى رَسُولُ اللهِ ﷺ العَبَّاس قائلاً :"أَيْ عَبَّاسُ نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ [6] "، قَالَ عَبَّاسٌ وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا[7] فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ؟ قَالَ: فَوَاللهِ لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلَادِهَا[8]، فَقَالُوا: يَا لَبَّيْكَ، يَا لَبَّيْكَ، قَالَ: فَاقْتَتَلُوا وَالْكُفَّارَ، وَالدَّعْوَةُ فِي الْأَنْصَارِ، يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، يَا

---

[1] إسناده حسن: أخرجه أحمد في مسنده :٢٣/ ٢٧٤، حديث ١٥٠٢٧.

[2] صحيح: أخرجه مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين٣/ ١٤٠١،حديث (١٧٧٦).

[3] صحيح الإسناد: أخرجه الترمذي في سننه: كتاب الجهاد، باب ما جاء في الثبات عند القتال،٤/ ٢٠٠،حديث (١٦٨٩)وصحح إسناده الألباني رحمه الله.

[4] إسناده حسن: أخرجه أحمد في مسنده :٢٣/ ٢٧٤، حديث ١٥٠٢٧.

[5] صحيح: أخرجه مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين٣/ ١٤٠١،حديث (١٧٧٦).

[6] أصحاب السَّمُرَةِ: هم أصحاب البيعة تحت الشجرة, وكانت شجرة سمر.

[7] صيتا : قوي الصوت.

[8] لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها : أي عودهم لمكانتهم وإقبالهم إليه صلى الله عليه و سلم عطفة البقر على أولادها أي كان فيها انجذاب مثل ما في الأمات حين حنت على الأولاد.

مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: ثُمَّ قُصِرَتْ الدَّعْوَةُ عَلَى بني الْحَارِثِ بن الْخَزْرَجِ، فَقَالُوا: يَا بني الْحَارِثِ بن الخَزْرَجِ، يَا بني الْحَارِثِ بن الْخَزْرَجِ [1].وَاسْتَجَابَ اللهُ عزَّ وَجَلَ لِرَسُولِهِ، وَاجْتَمعَ الْمُسْلِمونَ مَرَةً أُخْرَى، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنْك تَشَأْ أَنْ لَا تُعبد بعد اليوم" [2]، ويقول: "أين أَيُّهَا النَّاسُ؟ هَلُمَّ إِلَيَّ، أَنَا رَسُولُ الله، أَنَا رَسُولُ الله، أَنَا مُحَمَّدُ بن عبد الله... " [3].

واسْتَعَادَ الْمُسْلِمونَ تَوازُنَهُمْ، وَنَظَمُوا صُفُوفَهمْ، وَتَجَالَدَ الفَرِيقَانِ مُجَالَدةً شَدِيدَةً ، فَنَظَرَ رَسُولُ الله ﷺ وَهُوَ عَلَى بَغْلَتِهِ كَالْمُتَطَاوِلِ عَلَيهَا إلى قِتَالِهِمْ، وَقَدْ اسْتَحَرَ واحْتَدمْ، وقَالَ: " الآنَ حَمِيَ الْوَطِيسُ[4]"، ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ مِنَ الأَرْضِ، الأَرْضِ، فَرَمَى بِهَا وُجُوهِ القَومِ وَقَالَ « شَاهَتِ[5] الْوُجُوهُ ». فَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْهُمْ إِنْسَانًا إِلاَّ مَلأَ عَيْنَيْهِ تُرَابًا بِتِلْكَ الْقَبْضَةِ[6]،قَالَ العَبَّاس: "فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلاً[7]، وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا " [8].

انكسار حدة العدو وهزيمته الساحقة:

وَمَا هِيَّ إلاّ سَاعَاتٍ قَلائِلْ ـ بَعْدَ رَمْيِّ القَبْضَة ـ حَتَّى انْهَزَمَ العَدُوُّ هَزيمَةً مُنْكَرَةً وَقُتِلَ مِنْ ثَقِيفٍ وَحْدَهُمْ نَحْوَ السَّبْعِينَ ، وَحازَ الْمُسْلِمونَ مَا كَانَ معَ العدوِ مِنْ مَالٍ

---

[1] صحيح: أخرجه مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين ١٣٩٨/٣،حديث(١٧٧٥).

[2] صحيح: أخرجه أحمد في مسنده : ١٩/ ٢٥٠، حديث (١٢٢٢٠).

[3] إسناده حسن: أخرجه أحمد في مسنده :٢٣/ ٢٧٤، حديث ١٥٠٢٧ .

[4] رواه الطبراني في معجمه :٧/ ٢٩٨، حديث ٧١٩١.

[5] شاهت :قبحت.

[6] صحيح: أخرجه مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين ١٤٠٢/٣،حديث(١٧٧٧).

[7] فَمَا زِلْتُ أَرَى حَدَّهُمْ كَلِيلاً :أي ما زلت أرى قوتهم ضعيفة.

[8] صحيح: أخرجه مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين ١٣٩٨/٣،حديث(١٧٧٥).

وَسِلاحٍ وَظُعُنٍ [1].وَفِي غَزْوَةِ حُنَين يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾[2].

حركة المطاردة :

وَلَمَّا انْهَزَم العَدُوُّ صَارَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ إِلَى الطَائِفِ ، وَطَائِفَةٌ إِلَى نَخْلَة ،وَطَائِفَةٌ إِلَى أَوْطَاس ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى أَوْطَاسٍ طَائِفَةً مِنَ المُطَارِدِينَ يَقودُهمْ أَبُو عَامِرٍ الأَشْعَرِيَّ ،فَتَنَاوَشَ الفَرِيقَانِ القِتَالَ قَلِيلاً ، ثُمَّ انْهَزَمَ جَيْش المُشْرِكِينَ ، وَفِي هَذِهِ المُنَاوَشَةِ قُتِلَ القائد أَبُو عَامِرٍ الأَشْعَرِيَّ [3].

وَطَارَدتْ طَائِفَةٌ أُخْرَى مِنْ فُرْسَانِ المُسْلِمِينَ فُلولِ المُشْرِكِينَ الَّذِينَ سَلَكُوا نَخْلَةَ ، فَأَدْرَكَتْ دُرَيْدِ بْنِ الصِّمَّةِ فَقَتَلَهُ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ رضي الله عنه [4]. وَأَمَّا مُعْظَمْ فُلولِ المُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَجَأوا إِلَى الطَائِفْ ، فَتَوَجَهَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِنَفْسِهِ بَعْدَ أَنْ جَمعَ الغَنَائِمْ.

غزوة الطائف:

خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم مِنْ حُنَيْنٍ يُرِيدُ الطَّائِفَ فِي شَوَال سَنَة ٨هـ، وَقَدَّمَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ، وَقَدْ كَانَتْ ثَقِيفٌ رَمَّوْا حِصْنَهُمْ وَأَدْخَلُوا فِيهِ مَا يُصْلِحُهُمْ لِسَنَةٍ، فَلَمَّا انْهَزَمُوا مِنْ أَوْطَاسٍ دَخَلُوا حِصْنَهُمْ وَأَغْلَقُوهُ عَلَيْهِمْ وَتَهَيَّأُوا

---

[1] المباركفوري : الرحيق المختوم ص٤٢٣.

[2] سورة التوبة :الآيتان ٢٥.٢٦.

[3] ابن هشام: السيرة النبوية ٢/ ٤٥٣.

[4] ابن حجر : فتح الباري ٨/ ٤٢، وقال ابن حجر: رواه البزار في مسند أنس بإسناد حسن.

لِلْقِتَالِ ، وَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم فَنَزَلَ قَرِيبًا مِنْ حِصْنِ الطَّائِفِ وَعَسْكَرَ هُنَاكَ[1]، فَرَمَوُا الْمُسْلِمِينَ بِالنَّبْلِ رَمْيًا شَدِيدًا كَأَنَّهُ رِجْلُ جَرَادٍ، حَتَّى أُصِيبَ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِجِرَاحَةٍ ، وَقُتِلَ مِنْهُمُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا فِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ ، وَرُمِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ يَوْمَئِذٍ فَانْدَمَلَ الْجُرْحُ ثُمَّ انْتَفَضَ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ فَمَاتَ مِنْهُ. فَارْتَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم إِلَى مَوْضِعِ مَسْجِدِ الطَّائِفِ الْيَوْمَ وَكَانَ مَعَهُ مِنْ نِسَائِهِ أُمُّ سَلَمَةَ وَزَيْنَبُ فَضَرَبَ لَهُمَا قُبَّتَيْنِ وَكَانَ يُصَلِّي بَيْنَ الْقُبَّتَيْنِ حِصَارَ الطَّائِفِ كُلَّهُ فَحَاصَرَهُمْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا[2] .

الأسلحة التي استعملها رسول الله ﷺ في حصار الطائف :

اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حِصَارِه لِلطَائِفْ أَسْلِحَةً جَدْيدَةً لَمْ يَسْبِقْ لَهُ أَنْ اسْتَعْمَلَهَا مِنْ قَبلُ، وَهَذِهِ الأَسْلِحَةِ هِيَّ:

١ – المنجنيق: فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ الرَسُولُ ﷺ اسْتَعْمَلَ هَذَا السِّلاحِ عِنْدَ حِصَارِهِ لِحْصنِ ثَقِيف بِالطَائِف، فَعَنْ ثَوْرِ بْنِ يَزِيدَ أَنَّ اَلنَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم نَصَبَ الْمَنْجَنِيقَ عَلَى أَهْلِ الطَّائِفِ[3].

وَالمَنْجَنِيقِ مِنْ أَسْلِحَةِ الحِصَارِ الثَّقِيلَةِ ذَاتِ التَأْثِيرِ الفَعَّالِ عَلَى مَنْ وُجِهَتْ إليه، فَبِحِجَارَتِه تُهْدَم الحُصون وَالأبْرَاجِ، وَبِقَنَابُلِهِ تُحْرَقْ الدُورُ والمُعَسْكَرَات، وَهَذَا النَّوعِ يَحْتَاج إلى عَدَدٍ مِنَ الجُنودِ فِي إدَارَتِه وَاسْتِخْدَامِه عِنْدَ القِتَالِ[4].

---

[1] البيهقي :دلائل النبوة ٥/١٦٢.

[2] ابن سعد :الطبقات الكبرى ٢/١٥٩.

[3] رواه الترمذي في سننه ٥/٩٤،حديث(٢٧٦٢)

[4] محمد فرج : المدرسة العسكرية الإسلامية، ص٤٠٧.

٢- الدبابة: وَمِنْ أَسْلِحَةِ الحصار الثقيلة التي استعملها الرسول ﷺ لأول مرة في حِصَارِ الطَّائِف: الدّبّابَةُ ؛ و الدّبّابَةُ عَلَى شَكْلِ بَيْتٍ صَغِيرٍ تَعْمَل مِنَ الخَشَبِ وَتُتَّخَذْ لِلوِقَايَةِ مِنْ سِهَامِ الأَعْدَاءِ، عِنْدَمَا يُرَاد نَقْض جِدَارِ الحُصْنِ، بِحَيثْ إِذَا دَخَلَهَا الجُنُود كَانَ سَقْفُهَا حِرْزَاً لَهُمْ مِنَ الرَمِي.

٣- الحسك الشائك: مِنْ الأَسْلِحَةِ الجَدِيدَةِ الَّتِي اسْتَعْمَلَهَا الرَّسُول ﷺ فِي حِصَارِه لأَهْلِ الطَائِفْ: الحَسَكْ الشَائِكْ؛ وَهُوَ مِنْ وَسَائِلْ الدِفَاعِ الثَّابِتَة، وَيَعْمَل مِنْ خَشَبَتَيْنِ تُسَمَرَانِ عَلَى هَيْئَةِ الصَلِيبِ، حَتَّى تَتَأَلَفْ مِنْهُمَا أَرْبَع شُعَب مُدَبَبَة، وَإِذَا رَمَى فِي الأَرْضِ بَقِيَتْ شُعْبَة مِنْهُ بَارِزَة تَتَعَثَر بِهَا أَقْدَام الخَيْل وَالمَشَاة، فَتَتَعَطَلْ حَرَكَةِ السَّيرِ السَّرِيعَةِ المَطْلوبَةِ فِي مَيْدَانِ القِتَالِ [١].

وأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقَطْعِ أَعْنَابِهِمْ وَتَحْرِيقِهَا فَقَطَعَ الْمُسْلِمُونَ قَطْعًا ذَرِيعًا ثُمَّ سَأَلُوهُ أَنْ يَدَعَهَا لِلَّهِ وَلِلرَّحِمِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَإِنِّي أَدَعُهَا لِلَّهِ وَلِلرَّحِمِ»[٢] وَنَادَى مُنَادِيَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «إِيُّمَا عَبْدٍ نَزَلَ مِنَ الْحِصْنِ وَخَرَجَ إِلَيْنَا فَهُوَ حُرٌّ» فَخَرَجَ مِنْهُمْ بِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْهُمْ أَبُو بَكْرَةَ نَزَلَ فِي بَكْرَةٍ فَقِيلَ أَبُو بَكْرَةَ ، فَأَعْتَقَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَدَفَعَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَمُونُهُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الطَّائِفِ مَشَقَّةً شَدِيدَةً وَلَمْ يُؤْذَنْ لِرَسُولِ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلم فِي فَتْحِ الطَّائِفِ وَاسْتَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَوْفَلَ بْنَ مُعَاوِيَةَ الدِّيلِيَّ فَقَالَ: «مَا تَرَى؟» فَقَالَ: ثَعْلَبٌ فِي جُحْرٍ إِنْ أَقَمْتَ عَلَيْهِ أَخَذْتَهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَضُرَّكَ فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ بِالرَّحِيلِ فَضَجَّ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ وَقَالُوا: نَرْحَلُ وَلَمْ يُفْتَحْ عَلَيْنَا الطَّائِفُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَاغْدُوا عَلَى الْقِتَالِ» فَغَدَوْا فَأَصَابَتِ الْمُسْلِمِينَ

---

[١] عبد الرؤوف عون : الفن الحربي في صدر الإسلام, ص ١٩٥.

[٢] ابن القيم :زاد المعاد ٣/ ٤٥٣.

جِرَاحَاتٌ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّا قَافِلُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ»[1] فَسُرُّوا بِذَلِكَ وَأَذْعَنُوا وَجَعَلُوا يَرْحَلُونَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ وَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ صَدَقَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ» فَلَمَّا ارْتَحَلُوا وَاسْتَقَلُّوا قَالَ: «قُولُوا آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ»[2] وَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ عَلَى ثَقِيفٍ، فَقَالَ: «اللَّهُم اهْدِ ثَقِيفًا [3]».

قسمة الغنائم بالجعرانة :

وَلَمَّا عَادَ رَسُّولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ رَفْعِ الحِصَارِ عَنِ الطَائِف؛ مَكَثَ بِالجْعْرَانَةِ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَة لا يُقَسِم الغَنَائِمْ، وَيَتَأنَى بِهَا، يَبْتَغِي أَنْ يَقْدِمْ عَلَيهِ وَفْدِ هَوَازِنْ تَائِبِينَ، فَيَحْرُزُوا مَا فَقَدُوا، وَلَكِنَهُ لَمْ يَجِئه أَحَدْ، فَبَدَأ بِقِسْمَةِ المَالِ، لِيُسْكِتَ المُتَطَلعينَ مِنْ رُؤسَاءِ القَبَائِلِ وَأَشْرَافِ مَكَّةَ، فَكَانَ المُؤَلَفَةِ قُلُوبُهُمْ أَولَ مَنْ أَعْطَى وَحَظِيَ بِالأنْصِبَةِ الجَزْلَةِ[4].

عَنْ رَافِعِ بن خَدِيجٍ رضي الله عنه قَالَ: قسم رَسُولُ الله ﷺ غنائم يوم حنين فأعطى أَبَا سُفْيَانَ بن حَرْبٍ، وَصَفْوَانَ بن أُمَيَّةَ، وَعُيَيْنَةَ بن حِصْنٍ، وَالْأَقْرَعَ بن حَابِسٍ، كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مِائَةً مِنْ الْإِبِلِ، وَأَعْطَي عَبَّاسَ بن مِرْدَاسٍ دُونَ ذَلِكَ، فَقَالَ عَبَّاسُ بن مِرْدَاسٍ:

أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعُبَيْدِ ... بَيْنَ عُيَيْنَةَ وَالْأَقْرَعِ

---

[1] صحيح البخاري: كتاب المغازي ، باب غزوة الطائف ٨/٣٣،حديث(٦٠٨٦).

[2] صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير ، باب ما يقول إذا رجع من الغزو٤/٧٧، حديث (٣٠٨٦).

[3] إسناده قوي على شرط مسلم: رواه احمد في مسنده : ٢٣/٥٠،حديث(١٤٧٠٢)

[4] المباركفوري: الرحيق المختوم ص٤٢٦.

فَمَا كَانَ بَدْرٌ وَلَا حَابِسٌ ... يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي الْمَجْمَعِ

وما كُنْتُ دُونَ امْرِئٍ مِنْهُمَا ... وَمَنْ تَخْفِضِ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعِ

فَأَتَمَّ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ مِائَةً [1]

وعَنْ جَابِرِ بن عبد الله ﷺ قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ الله ﷺ بِالْجِعْرَانَةِ مُنْصَرَفَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، وَفِي ثَوْبِ بِلَالٍ فِضَّةٌ، وَرَسُولُ الله ﷺ يَقْبِضُ مِنْهَا، يُعْطِي النَّاسَ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ اعْدِل، قَالَ: "ويلَكَ! وَمَن يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ لَقَدْ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ"، فَقَالَ عُمَرُ بن الْخَطَّابِ ﷺ:دَعْنِي يَا رَسُولَ الله فَأَقْتُلَ هَذَا الْمُنَافِقَ، فَقَالَ: "مَعَاذَ الله أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنِّي أَقْتُلُ أصحابي، إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّة" [2].

وعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قِسْمًا، أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ- وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بني تَمِيمٍ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله اعْدِلْ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: "وَيْلَكَ! وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ؟ قَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَعْدِلُ"، فَقَالَ عُمَرُ بن الخطاب: يَا رَسُولَ الله ائْذَنْ لِي فِيهِ أَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: "دَعْهُ فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُم صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِم، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُم، يَمْرُقُونَ مِنْ الإِسلام كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنْ الرَّمِيَّةِ، يُنْظَرُ إِلَى نَصْلِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيءٌ، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلَى رِصَافِهِ فَمَا يُوجَدُ فِيهِ شَيءٌ [3]، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلى نَضِيِّهِ وَهوَ قِدْحُهُ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ شَيءٌ [4]، ثُمَّ يُنْظَرُ إِلى قُذَذِهِ فَلَا يُوجَدُ فِيهِ

---

[1] صحيح: أخرجه مسلم : كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم٢/٧٣٧،حديث(١٠٦٠).

[2] صحيح: أخرجه مسلم : كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم٢/٧٤٠،حديث(١٠٦٣).

[3] النصل: هو حديد السهم، والرصاف: هو مدخل النصل من السهم.

[4] النضيُّ: عود السهم.

شَيءٌ [1]، قَدْ سَبَقَ الْفَرْثَ وَالدَّمَ[2]، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ، إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ أَوْ مِثْلُ الْبَضْعَةِ تَتَدَرْدَرُ [3]، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنْ النَّاسِ"، قَالَ أبو سَعِيدٍ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بن أبي طَالِبٍ ﷺ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، فَأَمَرَ بِذَلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ، فوجد، فَأُتِيَ بِهِ، حَتَّى نَظَرتُ إِلَيهِ عَلَى نَعْتِ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي نَعَتَ[4].

الانصار تَجِدُ على رسول الله :

وَهَذِه السِّيَاسَةِ لَمْ تُفْهَمْ أَولَ الأمْرِ، فَأُطْلِقتْ أَلسِنَةٌ شَتَى بِالاعْتِرَاضِ، وَكَانَ الأَنْصَارُ مِمَنْ وَقَعَتْ عَلَيهِمْ مَغَارِمْ هَذِهِ السِّيَاسَةِ، لَقَدْ حُرِمُوا جَمْيعاً أُعْطِيَةِ حُنَيْنٍ، وَهُمْ الَّذِينَ نُودُوا وَقْتَ الشِّدَةِ فَطَارُوا يُقَاتِلونَ مَع الرَسُولِ صلّى الله عليه وسلم حَتَّى تَبَدَل الفِرَارُ انْتِصَاراً، وَهَاهُمْ أُولاءِ يَرَونَ أَيْدِيَّ الفَارينَ مَلأى، وَأَمَّا هُمْ فَلَمْ يُمْنَحُوا شَيْئَاً قَطُّ[5].

وعَنْ عبد الله بن زَيْدٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمَّا فَتَحَ حُنَيْنًا قَسَمَ الْغَنَائِمَ، فَأَعْطَى الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبُهُمْ فَبَلَغَهُ أَنَّ الْأَنْصَارَ يُحِبُّونَ أَنْ يُصِيبُوا مَا أَصَابَ النَّاسُ فَقَامَ رَسُولُ الله ﷺ فَخَطَبَهُمْ فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَلَمْ

---

[1] القُذَذُ: هي ريش السهم. فشبَّه النبيُّ – صلى الله عليه وسلم – مروقهم وخروجهم من الدين بالسهم الذي يخرج بسرعة شديدة نحو الرميَّة.

[2] الفرث: الروث في الكرش، أي: أن السهم من شدة سرعته خرج من الناحية الأخرى ولم يصبه فرث ولا دم.

[3] البضعة –بفتح الباء–: القطعة عن اللحم، تتدردر: أي: تضطرب وتذهب وتجيء.

[4] متفق عليه. أخرجه البخاري : كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٤/٢٠٠ ،حديث (٣٦١٠). صحيح مسلم : كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم٢/٧٤١،حديث (١٠٦٤).

[5] الغزالي : فقه السيرة ١/٣٩٥.

أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمْ اللهُ بِي؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللهُ بِي؟ وَمُتَفَرِّقِينَ فَجَمَعَكُمْ اللهُ بِي؟ " وَهم يَقُولُونَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، فَقَالَ: "أَلَا تُجِيبُونِي؟ " فَقَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ، فَقَالَ: أَمَا إِنَّكُمْ لَوْ شِئْتُمْ أَنْ تَقُولُوا كَنَا وَكَذَا، وَكَانَ مِنْ الْأَمْرِ كَذَا وَكَذَا، أَلَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بالشَّاءِ وَالْإِبِلِ وَتَذْهَبُونَ بِرَسُولِ اللهِ إلى رِحَالِكُمْ، الْأَنْصارُ شِعَارٌ وَالنَّاسُ دِثَارٌ [1]، وَلَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنْ الْأَنْصَارِ وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ وَادِيًا وَشِعْبًا لَسَلَكْتُ وَادِيَ الْأَنْصَارِ وَشِعْبَهُمْ إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً [2]، فَاصْبِرُوا تَلْقَوْنِي عَلَى الْحَوْضِ[3].فَبَكَى الْقَوْمُ، حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺوَتَفَرَّقُوا [4].

قدوم وفد هوازن:

قَدِمَ وَفْدُ هَوَازِنَ بَالْجِعْرَانَةِ وَقَدْ أَسْلَمُوا فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا أَهْلٌ وَعَشِيرَةٌ قَدْ أَصَابَنَا مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ فَامْنُنْ عَلَيْنَا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكَ وَقَامَ خَطِيبُهُمْ زُهَيْرُ بْنُ صُرَدَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ اللَّوَاتِي فِي الْحَظَائِرِ مِنَ السَّبَايَا خَالَاتُكَ وَعَمَّاتُكَ وَحَوَاضِنُكَ اللَّاتِي كُنَّ يَكْفُلْنَكَ وَأَنْتَ خَيْرُ مَكْفُولٍ ثُمَّ أَنْشَدَهُ الْأَبْيَاتَ الْمَشْهُورَةَ أَوَلُهَا[5]: امْنُنْ عَلَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ فِي دَعَةٍ * فَإِنَّكَ الْمَرْءُ نَرْجُوهُ وَنَنْتَظِرُ

---

[1] الشعار: الثوب الذي يلي الجسد، والدثار: الثوب الذي يكون فوقه، ومعنى الحديث: الأنصار هم البطانة والخاصة والأصفياء وألصق بي من سائر الناس. الامام النووي : شرح صحيح مسلم ١٥٧/٧.

[2] ستلقون بعدي أثرة: أي: ستلقون ناسًا يؤثرون أنفسهم وذويهم على غيرهم.

[3] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب غزوة الطائف،١٥٧/٥،حديث(٤٣٣٠).صحيح مسلم : كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم٧٣٨/٢،حديث(١٠٦١).

والمؤلفة قلوبهم هم أناس قد أسلموا، حديثو عهد بكفر يعطون من الزكاة ليثبتوا على الإسلام ويحسن إسلامهم، أو كافر يعطى من المال رجاء أن يُسلم.

[4] اسناده حسن : رواه احمد في مسنده :١٨/ ٢٥٥،حديث(١١٧٣٠).

[5] ابن حجر : فتح الباري ٣٣/٨.

امْنُنْ عَلَى نِسْوَةٍ قَدْ كُنْتَ تَرْضَعُهَا * إِذْ فُوكَ تَمْلَؤُهُ مِنْ مَحْضِهَا الدِّرَرُ[1]

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: أَبْنَاؤُكُمْ وَنِسَاؤُكُمْ أَحَبُّ إِلَيْكُمْ أَمْ أَمْوَالُكُمْ؟ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، خَيَّرْتَنَا بَيْنَ أَمْوَالِنَا وَأَحْسَابِنَا، بَلْ تَرُدُّ إِلَيْنَا نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا، فَهُوَ أَحَبُّ إِلَيْنَا، فَقَالَ لَهُمْ: أَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ، وَإِذَا مَا أَنَا صَلَّيْتُ الظُّهْرَ بِالنَّاسِ، فَقُومُوا فَقُولُوا: إِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، وَبِالْمُسْلِمِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فِي أَبْنَائِنَا وَنِسَائِنَا، فَسَأُعْطِيكُمْ عِنْدَ ذَلِكَ، وَأَسْأَلُ لَكُمْ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ الظُّهْرَ، قَامُوا فتكَلَّمُوا بِالَّذِي أَمَرَهُمْ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَأَمَّا مَا كَانَ لِي وَلِبَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَهُوَ لَكُمْ. فَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ: وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَقَالَتْ الْأَنْصَارُ: وَمَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فَقَالَ الْأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ: أَمَّا أَنَا وَبَنُو تَمِيمٍ فَلَا. وَقَالَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ: أَمَا أَنَا وَبَنُو فَزَارَةَ فَلَا. وَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ: أَمَّا أَنَا وَبَنُو سُلَيْمٍ فَلَا. فَقَالَتْ بَنُو سُلَيْمٍ:

بَلَى، مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.فقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ لِبَنِي سُلَيْمٍ: وَهَّنْتُمُونِي[2].فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ" إنّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ قَدْ جَاءُوا مُسْلِمِينَ وَقَدْ كُنْتُ اسْتَأْنَيْتُ سَبْيَهُمْ وَقَدْ خَيّرْتُهُمْ فَلَمْ يَعْدِلُوا بِالْأَبْنَاءِ وَالنّسَاءِ شَيْئًا ، فَمَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْهُنّ شَيْءٌ فَطَابَتْ نَفْسُهُ بِأَنْ يَرُدّهُ فَسَبِيلُ ذَلِكَ وَمَنْ أَحَبّ أَنْ يَسْتَمْسِكَ بِحَقّهِ فَلْيَرُدّ عَلَيْهِمْ وَلَهُ بِكُلّ فَرِيضَةٍ سِتّ فَرَائِضَ مِنْ أَوّلِ مَا يَفِيءُ اللّهُ عَلَيْنَا[3] ، فَقَالَ النَّاسُ قَدْ طَيَّبْنَا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَهُمْ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّا لَا نَدْرِي مَنْ أَذِنَ مِنْكُمْ فِي ذَلِكَ مِمَّنْ

---

[1] ابن كثير : ألسيرة النبوية ١/ ٣٣٤.

[2] ابن هشام : السيرة النبوية ٢/ ٤٨٩.

[3] زاد المعاد ٣/ ٤٧٦.

لَمْ يَأْذَنْ فَارْجِعُوا حَتَّى يَرْفَعُوا إِلَيْنَا عُرَفَاؤُكُمْ أَمْرَكُمْ [1]، فَرَدّوا عَلَيْهِمْ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ أَحَدٌ غَيْرُ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ فَإِنَّهُ أَبَى أَنْ يَرُدّ عَجُوزًا صَارَتْ فِي يَدَيْهِ ثُمّ رَدّهَا بَعْدَ ذَلِكَ وَكَسَا رَسُولُ اللهِ ﷺ السّبْيَ قُبْطِيّةً قُبْطِيّةً[2].

المبحث الثاني

المستفاد من أحداث غزوة حنين وحصار الطائف

المستفاد من الآيات التي نزلت بشأن غزوة حنين :

قال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (٢٥) ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦) ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[3].

١- الكثرة قد تخدع أصحابها، فيتهاونون في توثيق صلتهم بالله ، فيفقدون بذلك أهم أسباب النصر.

٢- السكينة رداء ينزلها الله ليُثبت القلوب المضطربة المؤمنة الصابرة ويُهدىء الإنفعالات الثائرة.

٣- باب المغفرة مفتوح دائماً لمن يخطىء ثم يتوب ، والله يقبل التوبة من عباده

---

[1] صحيح: أخرجه البخاري : كتاب الوكالة ،بَاب إِذَا وَهَبَ شَيْئًا لِوَكِيلٍ أَوْ شَفِيعِ قَوْمٍ جَازَ ٣/١٠٠،حديث٢٣٠٨.

[2] زاد المعاد ٣/٤٧٦.

[3] سورة التوبة : الآيات ٢٥-٢٧.

ويوفق من شاء إليها .

أسباب هزيمة المسلمين في الجولة الأولى :

وقعت الهزيمة في الجولة الأولى لعدة أسباب منها:

١ - أن شيئًا من العجب تسرب إلى قلوب المسلمين، لما رأوا عددهم، فقد قال رجل منهم: لن نغلب اليوم من قلة، فشق ذلك على النبي ﷺ فكانت الهزيمة.

٢- خروج شبان ليس لديهم سلاح أو سلاح كافٍ، وإنما عندهم حماس وتسرع.

٣- أن عدد المشركين كان كثيرًا بلغ أكثر من ضعفي عدد المسلمين.

٤- أن مالك بن عوف سبق بجيشه إلى حنين فتهيأ هنالك ووضع الكمائن والرماة في مضايق الوادي وعلى جوانبه، وفاجأوا المسلمين، برميهم بالنبال وبالهجوم المباغت.

٥- كان العدو مهيأ ومنظما ومستعدا للقتال حال مواجهته لجيش المسلمين، فقد جاء المشركون بأحسن صفوف رُئيت: صف الخيل ثم المقاتلة ثم النساء من وراء ذلك ثم الغنم ثم النعم.

٦- وجود ضعاف الإيمان الذين أسلموا حديثًا في مكة، ففروا فانقلبت أولاهم على أخراهم، فكان ذلك سببا لوقوع الخلل وهزيمة غيرهم [١].

---

[١] عبد الكريم زيدان :المستفاد من قصص القرآن ٢/ ٤٠٩.

أسباب انتصار المسلمين في الجولة الثانية :

كانت عوامل النصر في حنين عدة أسباب منها:

١- ثبات الرسول في القتال وعدم تراجعه، مما جعل الجنود يثبتون ويستجيبون لنداء القائد الثابت.

٢- شجاعة القائد، فالرسول القائد لم يثبت في مكانه فحسب، بل تقدم نحو عدوه راكبًا بغلته، فطفق يركض ببغلته قِبَل الكفار والعباس آخذ بلجام البغلة يكفها ألا تسرع.

٣- ثبات قلة من المسلمين معه وحوله حتى جاء الذين تولوا وأكملوا المسيرة؛ مسيرة الثبات والبر والقتال حتى النصر.

٤- سرعة استجابة الفارِّين والتحاقهم بالقتال.

٥- وقوع الجيش المعادي في خطأ عسكري قاتل، وهو عدم الاستمرار في مطاردة الجيش الإسلامي بعد فراره، مما أعطى فرصة ثمينة للجيش الإسلامي ليلتقط أنفاسه ويعود إلى ساحة القتال ويستأنف القتال من جديد بقيادة القائد الثابت الشجاع رسول الله ﷺ.

٦- رمية الحصى، فقد أخذ النبي ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: «انهزموا ورب محمد» [١].

٧ - الاستعانة والاستغاثة بالله عز وجل، فقد كان الرسول يلح على الله في الدعاء بالنصر على الأعداء.

٨- إنزال الملائكة في الغزوة ومشاركتهم فيها، وقد سجل الله هذه المشاركة في

---

[١] شرح النووي صحيح مسلم ١٢/ ١١٦.

كتابه الكريم في سورة التوبة [1]:﴿وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

المستفاد من أمر النبي ﷺ بتحريق بساتين العنب والنخل في ضواحي الطائف :

يجوز لولي أمر المسلمين إتلاف أشجار العدو وزروعه في حالة الحرب إذا كان في هذا الإتلاف مصلحة وفائدة للمسلمين ، كإلقاء الرعب في قلوب العدو أو لإغاظته ، أو لضرورات نقل الجنود ، أو لتسهيل مراقبة العدو ونحو ذلك ، لأنه إذا جاز أو وجب إتلاف النفوس في الحروب المشروعة ، جاز ما دون ذلك من الإتلاف مما تقضي به ضرورات الحرب[2].

المستفاد من طلب بعض افراد الجيش من الذين كانوا حديثي عهد بالإسلام أن يُجعل لهم شجرة ذات أنواط :

عبّر طلب بعض الطلقاء من الذين كانوا حديثي عهد بالإسلام لرسول الله ﷺ بأن يُجعل لهم شجرة ذات أنواط ، عن عدم وضوح تصورهم للتوحيد الخالص رغم إسلامهم، ولكن النبي ﷺأوضح لهم ما في طلبهم من معاني الشرك، وحذرهم من ذلك، ولم يعاقبهم أو يعنفهم؛ لعلمه بحداثة عهدهم بالإسلام [3]، وقد سمح لهم الرسول ﷺ بالمشاركة في الجهاد؛ لأنه لا يشترط فيمن يخرج للجهاد أن يكون قد صحح اعتقاده تماما من غبش الجاهلية، وإنما الجهاد عمل صالح يثاب

---

[1] ابو فارس : السيرة النبوية ، ص٤٢٣.

[2] عبد الكريم زيدان :المستفاد من قصص القرآن ٢/ ٤٢٧.

[3] العمري : السيرة النبوية الصحيحة ٢/ ٤٩٧.

عليه فاعله، وإن قصر في بعض أمور الدين الأخرى، بل الجهاد مدرسة تربوية تعليمية يتعلم فيه المجاهدون كثيرًا من العقائد والأحكام والأخلاق؛ وذلك لما يتضمنه من السفر وكثرة اللقاءات التي يحصل فيها تجاذب الأحاديث وتلاقح الأفكار [1].

المستفاد من استعمال النبي ﷺ في حصاره للطائف أسلحة جديدة للقتال:

رأينا أن النبي ﷺ أمر جنده باستعمال المنجنيق لرمي المشركين في الطائف ، وكان هذا الاستعمال حصل لأول مرة من قبل المسلمين وفي حصار الطائف ، ولم تكن تعرفه العرب في حروبها ، وأيضاً استعملوا ما سمي بالدبابة ؛ لغرض الاقتراب من سور الطائف وإحداث ثقب فيه ، وعلى هذا ينبغي لولي امر المسلمين أن يعنى بتزويد جيشه بكل جديد من آلات الحرب حتى لا تتخلف عن مستوى قوة أي دولة ، وأن يأمر بتعلم طائفة من المسلمين العلوم الحديثة الضرورية لإنتاج وسائل الحرب وآلاته وأسلحته [2].

الأحكام المستنبطة من غزوة حنين والطائف:

١ – نزول الآية الكريمة: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [3] في يوم أوطاس لبيان حكم المسبيات المتزوجات، وقد فرق السبي بينهن وبين أزواجهن، فأوضحت الآية جواز وطئهن إذا انقضت عدتهن، لأن الفرقة تقع بينهن وبين أزواجهن الكفار بالسبي وتنقضي العدة بالوضع للحامل وبالحيض لغير

---

[1] الحميدي: التاريخ الإسلامي :٨/ ٦٢.

[2] عبد الكريم زيدان : المستفاد من قصص القرآن ٢/ ٤٢٧.

[3] سورة النساء : الآية ٢٤.

الحامل [1].

٢ – منع المخنثين خلقة من الدخول على النساء الأجنبيات: وكان ذلك مباحًا إذ لا حاجة للمخنث بالنساء، وكان سبب المنع ما رواه البخاري عن زينب بنت أبي سلمة عن أمها أم سلمة، دخل عليَّ النبي ﷺ وعندي مخنث فسمعته يقول لعبد الله بن أمية: يا عبد الله، أرأيت إن فتح الله عليك الطائف غدًا، فعليك بابنة غيلان؛ فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان، فقال النبي ﷺ: «لا يدخلن هؤلاء عليكم» [2].

وفي هذا المنع حرص النبي ﷺعلى سلامة أخلاق المجتمع الإسلامي.

٣ – النهي عن قصد قتل النساء والأطفال والشيوخ والأجراء ممن لا يشتركون في القتال ضد المسلمين: وقد ذكر ابن كثير أن رسول الله مر يوم حنين بامرأة قتلها خالد بن الوليد والناس متقصفون [3]عليها، فَقَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: " أَدْرِكْ خَالِدًا فَقُلْ لَهُ: إن رسول الله ينهاك أن تقتل وليدًا أو امرأة أو عسيفًا" [4].

٤ – تشريع العمرة من الجعرانة: أحرم النبي ﷺبعمرة من الجعرانة، وكان داخلا إلى مكة وهذه هي السنَّة لمن دخلها من طريق الطائف وما يليه، وأما ما يفعله كثير مما لا علم عندهم من الخروج من مكة إلى الجعرانة ليحرم منها بعمرة ثم يرجع إليها فهذا لم يفعله رسول الله ﷺ، ولا استحبه أحد من أهل العلم، وإنما يفعله عوام الناس زعموا أنه اقتداء بالنبي وغلطوا، فإنه إنما أحرم منها داخلا إلى مكة ولم يخرج

---

[1] العمري : السيرة النبوية الصحيحة ٢/ ٥٢٠.

[2] صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، (٥/ ١٥٦) حديث ٤٣٢٤.

[3] متقصفون: مجتمعون.

[4] ابن كثير :البداية والنهاية ٧/ ٤٣.

منها إلى الجعرانة ليحرم منها [1].

٥ - إرشاده للأعرابي بأن يصنع في العمرة ما يصنع في الحج:

قال يعلى بن منبه: جاء رجل إلى النبي ﷺوهو بالجعرانة وعليه جبة، وعليها خلوق [2] -أو قال: أثر صفرة- فقال: كيف تأمرني أصنع في عمرتي؟ قال: وأُنزل على النبي ﷺالوحي، فستر بثوب، وكان يعلى يقول: وددت أني أرى النبي ﷺوقد أنزل الوحي عليه، قال: فرفع عمر طرف الثوب عنه فنظرت إليه، فإذا له غطيط (قال) فلما سري عنه قال: «أين السائل عن العمرة؟ اغسل عنك الصفرة -أو قال: أثر الخلوق- واخلع عنك جبتك، واصنع في عمرتك ما أنت صانع في حجتك»[3].

٦ - من قتل قتيلاً فله سلبه: قال أبو قتادة: لما كان يوم حنين نظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلا من المشركين، وآخر من المشركين يختله من ورائه ليقتله، فأسرعت إلى الذي يختله فرفع ليضربني وأضرب يده فقطعتها، ثم أخذني فضمني ضمًّا شديدًا حتى تخوفت، ثم ترك فتحلل ودفعته ثم قتلته، وانهزم المسلمون وانهزمت معهم، فإذا بعمر بن الخطاب في الناس، فقلت له: ما شأن الناس؟ قال: أمر الله، ثم تراجع الناس إلى رسول الله، فقال رسول الله: «من أقام بينة على قتيل قتله، فله سلبه»، فقمت لألتمس بينة قتيلي فلم أر أحدًا يشهد لي فجلست، ثم بدا لي فذكرت أمره لرسول الله ﷺفقال رجل من جلسائه: سلاح هذا القتيل الذي يذكر عندي، فأرضه منه، فقال أبو بكر: كلا لا يعطه [4] أصيبغ من قريش ويدع [1] أسدًا

---

[1] ابن القيم: زاد المعاد ٣/ ٥٠٤.

[2] خلوق: طيب.

[3] صحيح السيرة النبوية، ص٥٧٨.

[4] لا يعطه: أي لا يعطي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وقوله أصيبغ: نوع من الطيور شبه له لعجزه وضعفه.

من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله، قال: فقام رسول الله ﷺفأداه إليَّ فاشتريت منه خرافًا [٢]، فكان أول مال تأثلته في الإسلام [٣].

ونلحظ في هذا الخبر أن أبا قتادة الأنصاري - رضي الله عنه - حرص على سلامة أخيه المسلم، وقتل ذلك الكافر بعد جهد عظيم، كما أن موقف الصديق - رضي الله عنه - فيه دلالة على حرصه على إحقاق الحق، والدفاع عنه، ودليل على رسوخ إيمانه وعمق يقينه وتقديره لرابطة الأخوة الإسلامية وأنها بمنزلة رفيعة بالنسبة له [٤].

٧ - النهي عن الغلول: أخذ النبي ﷺيوم حنين وبرة من سنام بعير من الغنائم، فجعلها بين إصبعيه ثم قال: «أيها الناس إنه لا يحل لي مما أفاء الله عليكم قدر هذه، إلا الخمس، والخمس مردود عليكم، فأدوا الخياط والمخيط، وإياكم والغلول، فإن الغلول عار، ونار، وشنار على أهله في الدنيا والآخرة» [٥].

ولما سمع الناس هذا الزجر بما فيه من وعيد من رسول الله ﷺ أشفقوا على أنفسهم وخافوا خوفا شديدًا فجاء أنصاري بكبة خيط من خيوط شعر، فقال: يا رسول الله، أخذت هذه الوبرة لأخيط بها برذعة بعير لي دبر، فقال له ﷺ :«أما حقي منها، وما كان لبني عبد المطلب فهو لك» ، فقال الأنصاري: أما إذا بلغ الأمر فيها

---

[١] يدع: يترك.

[٢] خرافا: أي بستانا أقام الثمر مقام الأصل.

[٣] صحيح البخاري، كتاب المغازي ، باب قول الله تعالى { يوم حنين إذ أعجبكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا
(٥/ ١٥٤) حديث ٤٣٢١.

[٤] الحميدي :التاريخ الإسلامي ٨/ ٢٦.

[٥] ابن كثير :البداية والنهاية ٧/ ٨٥.

ذلك فلا حاجة لي بها، فرمى بها من يده [1].

وأما عقيل بن أبي طالب فقد دخل على امرأته فاطمة بنت شيبة يوم حنين، وسيفه ملطخ دمًا، فقال لها: دونك هذه الإبرة تخيطين بها ثيابك، فدفعها إليها، فسمع المنادي يقول: من أخذ شيئًا فليرده، حتى الخياط والمخيط، فرجع عقيل فأخذ الإبرة من امرأته، فألقاها في الغنائم [2].

وهذا التشديد في النهي عن الغلول، وتبشيعه بهذه الصورة المرعبة، ولو كان في شيء تافه لا يلتفت إليه، يمثل معلما من أهم معالم المنهج النبوي في تربية الأفراد على ما ينبغي أن يكون عليه الفرد المسلم في حياته العملية، إيمانًا وأمانة، وفي التزام الأفراد بهذا التوجيه يتطهر المجتمع المسلم من رذيلة الخيانة، لأن التساهل في صغيرها يقود إلى كبيرها، والخيانة من أرذل الأخلاق الإنسانية التي لا تليق بالمجتمع المسلم [3].

٨ – وفاء نذر كان في الجاهلية:

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: لما قفلنا من حنين سأل عمر النبي ﷺ عن نذر كان نذره في الجاهلية اعتكافًا فأمره النبي ﷺ بوفائه [4].

---

[1] المصدر نفسه

[2] ابن هشام : السيرة النبوية ٢/ ٤٩٢.

[3] محمد رسول الله، صادق عرجون ٤/ ٣٨٧.

[4] صحيح البخاري: كتاب المغازي ، باب قول الله تعالى { يوم حنين إذ أعجبكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا
(٥/ ١٥٤)، حديث ٤٣٢٠.

الفصل الثالث عشر

غــزوة تبوك

تمهيد:

كَانَتْ غَزْوَة تَبُوكْ فِي رَجَب مِنَ العَامِ التَاسِعْ الهِجْرِي. وَتَبوكْ مَكَانْ مَعْرُوفْ يَقَعْ شَمَال الحِجَازْ يَنْتَصِف الطَرِيق بَيْنَ المَدْينَةِ وَدِمَشْقْ .وَكَانَ لِهَذِهِ الغَزْوَة أَعْظَمَ أَثَرٍ فِي بَسْطِ نُفوذِ المُسْلِمينَ وَتَقْوِيَتِه عَلَى جَزْيرَةِ العَرَبِ ، فَقدْ تَبَينَ لِلنَّاسِ أَنَّهُ لَيْسَ لأيَّ قُوَّةٍ مِنَ القُوَاتِ أَنْ تَعْيشَ فِي العَرَبِ سِوَى قُوَّةَ الإسْلامِ ، وَبَطَلَتْ بَقَايَا أَمَل وَأُمْنِيَة كَانَتْ تَتَحَرَكْ فِي قُلُوبِ بَقَايَا الجَاهِلِيينَ وَالمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا يَتَرَبَصونَ الدَوَائِرَ بِالمُسْلِمينَ ، وَكَانُوا قَدْ عَقَدُوا آمَالَهُمْ بِالرُومَانِ ، فَقَدْ اسْتَكَانُوا بَعْدَ هَذِهِ الغَزْوَةِ ، وَاسْتَسْلَمُوا لِلأَمْرِ الوَاقِعِ ، الَّذِي لَمْ يَجِدُوا عَنْهُ مَحْيدَاً وَلا مَنَاصَاً .وَمِنْ أَجْلِ التَعَرُفِ عَلَى أَسْبَابِ الغَزْوَةِ وَأَهَمِ أَحْدَاثِهَا فَقَدْ قَسَّمْنَا هَذَا الفَصْل إِلَى مَبْحَثَيْنِ وَعَلَى الْنَحْوِ التَالِي:ـ

المَبْحَث الأَوَل : خُلاصَةِ غَزْوَةِ تَبُوك وَأَحْدَاثِهَا .

المَبْحَث الثَّانِي : المُسْتَفَادِ مِنْ أَحْدَاثِ غَزْوَةِ تَبُوك .

المبحث الأول

خلاصة غـزوة تبـوك وأحداثها

اسباب غزوة تبوك :

كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ اسْتِجَابَة إِيْمَانِيَة لِفَرِيضَةِ الجِهَادِ حَيْثُ كَانَ الرومُ أَقْرَبُ النَّاسِ إلى دِيَارِ الإِسْلامِ وَلِذَلكَ فَإِنَّهُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِالدَعْوَةِ[1].وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾[2]، وَهَكَذَا، فَبَعْدَ القَضَاءِ عَلَى الوَثَنِيَةِ فِي جَزْيرَةِ العَرَبِ، وَإِجْلاءِ يَهُود مِنَ المَدينَةِ وَغَيْرِهَا، كَانَ عَلَى المُسْلِمينَ أَنْ يُقَاتِلُوا أَهْلَ الكِتَابِ مِنَ النَصَارَى الَّذِينَ كَانُوا يَقْطُنونَ عَلَى المَشَارِفِ الشَمَالِيَة الغَرِبِيَة مِنْ جَزْيرَةِ العَرَبِ، حَيْثُ كَانَتْ المَنْطَقَة الَّتِي تَوَجَهَ إليهَا الرَّسُول فِي هَذِهِ الغَزْوَةِ مِنْ دِيَارِ قُضَاعَةَ وَهِيَ خَاضِعَة لِسُلطَانِ الإِمْبِرَاطورِيَةِ البِيزَنْطِيةِ (الرُّوم) .

وَلِذَلِكَ فَلَيْسَ هُنَاكَ مَا يَدْعُو إِلَى البَحْثِ عَنِ الأَسْبَابِ المُبَاشِرَةِ لِهَذِهِ الغَزْوَةِ، كَمَا حَاوَلَ بَعْض المُؤَرِخِينَ المُسْلِمينَ حِينَ ذَكَرُوا أَنَّ هِرْقَلْ قَدْ جَمَعَ الجُموعِ [3] ، أَو كَمَا ذَكَرَ آخَرونَ أَنَّهُ قَدْ قَصَدَ مِنْهَا أَخْذَ الثَّأر لِقَتْلَى المُسْلِمينَ فِي مُؤتَة عَامَةً جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ خَاصَةً[4] ، أَو ادِعَاءِ البَعْضِ أَنَّهَا نَاجِمَةٌ عَنْ مَشُورَةِ يَهُود [5].

---

[1] يقول الحافظ ابن حجر «فعزم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على قتال الروم، لأنهم أقرب الناس إليه وأولى الناس بالدعوة لقربهم إلى الإسلام وأهله». ابن كثير: البداية والنهاية ٧/ ١٤٤ .

[2] سورة التوبة: الآية ١٢٣ . وانظر الطبري: التفسير ١٠/ ٦٤٢.

[3] ابن سعد: الطبقات ٢/ ١٦٥.

[4] اليعقوبي: التاريخ ٢/ ٦٧.

[5] ابن عساكر: تاريخ دمشق ١/ ١٦٧ – ١٦٨، والخبر في ذلك مرسل وضعيف.

الإعلان بالتهيؤ لقتال الرومان:

عن كَعْبِ بن مَالِكٍ ﷺقال: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ قَلَّمَا يُرِيدُ غَزْوَةً يَغْزُوهَا إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا، حَتَّى كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ، فَغَزَاهَا رَسُولُ الله ﷺ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاستَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا، وَمَفَازًا [1]، وَاسْتَقْبَلَ غَزْوَ عَدُوٍّ كَثِيرٍ، فَجَلَّى [2] لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ؛ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ عَدُوِّهِمْ، وَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ [3].

الرسول ﷺ يدعو أصحابه إلى الإنفاق للغزو:

لَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ ﷺالصَحَابَةَ إِلَى الإِنْفَاقِ عَلَى هَذِهِ الغَزْوَةِ نَظَراً لِكَثْرَةِ المُشَارِكِينَ فِيهَا، وَبُعدِ المَسَافَةِ الَّتِي كَانَ عَلَى الجَيْشِ أَنْ يَقْطَعَهَا، وَوَعدِ المُنْفِقِينَ بِعَظِيمِ الأَجْرِ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَسَارَعَ أَغْلَب الصَحَابَةِ إِلَى المُشَارَكَةِ فِي تَوْفِيرِ الأَمْوَالِ المَطْلوبَةِ كُلٌّ حَسَبَ مَقْدِرَتِهِ، اسْتِجَابَةً لِقَولِ النَّبِيِّ صلّى الله عليه وسلّم « مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ[4] فَلَهُ الْجَنَّةُ فَجَهَّزَهُ عُثْمَانُ بن عفان ﷺ[5] ، وقد تبرع عُثْمَانُ ﷺ من المال فقط فقط بِأَلْفِ دِينَارٍ، فَجاء بها فنثَرَهَا فِي حِجْرِ النَّبِيِّ ﷺ ، فجعل النَّبِيُّ ﷺ يُقَلِّبُهَا فِي حِجْرِهِ، وَيَقُولُ: "ما ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ، مَـا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ" [6].

---

[1] المفاز: الفلاة التي لا ماء فيها.

[2] جلَّى: أي: أوضح وبيَّن.

[3] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب من اراد غزوة فورى بغيرها. ٤٨/٤، حديث(٢٩٤٨).

[4] سُمي جيش العُسْرة للعُسْر والشدة التي كان عليها المسلمون حينها.

[5] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب الوصايا، باب إذا وقف أرضًا أو بئرًا واشترط لنفسه مثل دِلاء المسلمين. المسلمين. ١٣/٤، حديث(٢٧٧٨).

[6] حسن: أخرجه الترمذي في سننه : كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان – رضي الله عنه – ٦٧/٦، حديث

وساهم عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي تَحَمُّلِ قِسْطٍ مِنْ نَفَقَاتِ الجَيْشِ حِينَ قَدَّمَ نِصْفَ أَمْوَالِهِ حِينَذَاكَ وَبَلَغَتْ مُسَاهَمَتُهُ أَرْبَعِينَ أُوقِيَّةً مِنْ ذَهَبٍ[1] . كَمَا قَدَّمَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ مِائَةَ أُوقِيَّةٍ[2] ، وَلا شَكَّ فِي أَنَّ عَدَداً آخَرَ مِنَ الصَحَابَةِ قَدْ سَاهَمُوا فِي تَغْطِيَةِ بَقِيَةِ النَفَقَاتِ كُلٌّ عَلَى قَدَرِ طَاقَتِهِ، وَالدَلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ فُقَراءِ المُسْلِمِينَ قَدَمُوا مَا قَدِرُوا عَلَيهِ مِنَ النَفَقَةِ، رُغْمَ بَسَاطَتِهِ وَقِلَتِهِ، عَلَى اسْتِحيَاءٍ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَ أَحدهم بِصَاعٍ مِنْ تَمْرٍ، وَجَاءَ آخَرْ بِنِصفِ صَاعٍ مِنْهُ، مِمَا عَرَّضَهُمْ لِسُخْرِيَةِ وَلَمْزِ المُنَافِقِينَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى قَولُهُ الكَرِيمِ: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾

إعلان النفير العام:

أَعْلَنَ النَّبِيُّ ﷺ النَفْير العَام فَأَمَرَ النَّاس بِالتَهَيؤ لِغَزوِ الرُّوم، وَقدْ انْفَردَ الوَاقِدي بِذِكْرِ خَبرِ إِرْسَالِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى القَبَائِلِ يَسْتَنْفِرُهَا بِالخُروجِ مَع الجَيشِ الإِسْلامِي مِنَ المَدينَةِ إِلَى تَبُوك وَقدْ أَشَارَ القُرآن الكَرِيم إِلَى إِعْلانِ النَفِيرِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ما لَكُمْ إِذا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَياةِ الدُّنْيا مِنَ الْآخِرَةِ فَما مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[3] .

وَكَانَ النَفِير المُعْلَنْ أَمْراً وَاجِباً عَلَى الجَمِيعِ تَنْفِيذَهِ وَالالْتِزامِ بِهِ؛ فَقدْ طَالَبَهمْ القُرآن الكريم أن يَنْفُروا شَبَاباً وَشُيوخاً أَغْنِيَاءَ وَفُقَراءَ وَأَنْ يَكونْ جِهَادَهمْ جَمِيعاً بِالأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿انْفِرُوا خِفافاً وَثِقالًا وَجاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[4] .

حديث (٣٧٠١)وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وحسنه الألباني .

[1] تفسير الطبري ١١/ ٥٨٩.

[2] نضرة النعيم في مكارم الرسول ١/٣٨٧.

[3] سورة التوبة: الآية ٣٨.

[4] سورة التوبة: الآية ٤١.

الجيش الإسلامي إلى تبوك :

وَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مُتَوَجِهَاً إلى تَبُوك بِجَيْشٍ يَقْرُب مِنَ الثَّلَاثِينَ أَلْفِ مُقَاتِلٍ، [1]، مَعَهُمْ حَوَالِي عَشَرَةَ آلَافِ فَرَسٍ، وخلَّف على المَدْينَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ[2]، فَقَالَ عليٌّ للنَّبِيِّ ﷺ : أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِسَاءِ؟ قَالَ: "أَلَا تَرْضَى أَنْ تكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي [3].وكان خَرَوجَ النبي ﷺ إلى هذه الغزوة يَومَ الْخَمِيسِ حيث كَانَ ﷺ يُحِبُّ أَنْ يَخْرُجَ يَوْمَ الْخَمِيسِ فِي جَمْيعِ أَصْفَارِهِ [4].

يرحم الله أبا ذر :

لَمَّا سَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى تَبُوكَ جَعَلَ لَا يَزَالُ يَتَخَلَّفُ الرَّجُلُ فَيَقُولُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تَخَلَّفَ فُلَانٌ ، فَيَقُولُ: " دَعُوهُ ، إِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللَّهُ بِكُمْ ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاحَكُمُ اللَّهُ مِنْهُ " حَتَّى قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، تَخَلَّفَ أَبُو ذَرٍّ ، وَأَبْطَأَ بِهِ بَعِيرُهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " دَعُوهُ إِنْ يَكُ فِيهِ خَيْرٌ فَسَيُلْحِقُهُ اللَّهُ بِكُمْ ، وَإِنْ يَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَقَدْ أَرَاحَكُمُ اللَّهُ مِنْهُ " فَتَلَوَّمَ

---

[1] العمري: السيرة النبوية الصحيحة ٢/ ٥٣١، حيث قال: ويبدو أن أغلب المؤرخين يمليون إلى القول أنهم كانوا ثلاثين ألفًا. اهـ

[2] ذكر بعض أهل السير ومنهم ابن هشام أن النبي – صلى الله عليه وسلم – استعمل على المدينة محمد بن مسلمة الأنصاري، أو سباع بن عُرْفطة، واستخلف عليًّا على أهل بيته فقط، قلت: وهذا التفصيل لم يأت في رواية صحيحة، إنما الذي جاء في الصحيح أن النبي – صلى الله عليه وسلم – استعمل عليًا، وقول عليّ للنبي – صلى الله عليه وسلم –: أتُخلّفني في الصبيان والنساء، يوضح أنه – رضي الله عنه – كان على المدينة كلها وليس على أهل بيت النبي – صلى الله عليه وسلم – فقط. والله أعلم.

[3] متفق عليه: أخرجه البخاري : كتاب المغازي، باب غزوة العسرة،٣/٦ ، حديث(٤٤١٦).
صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة, باب من فضائل علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ١٨٧٠/٤،حديث ٢٤٠٤.

[4] صحيح: أخرجه البخاري : كتاب الجهاد والسير، باب مَن أراد غزوة فورَّى بغيرها ومَن أحب الخروج يوم الخميس.٤٨/٤، حديث(٢٩٥٠).

أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى بَعِيرِهِ فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا أَبْطَأَ عَلَيْهِ أَخَذَ مَتَاعَهُ فَجَعَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ ، فَخَرَجَ يَتْبَعُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَاشِيًا ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ مَنَازِلِهِ ، وَنَظَرَ نَاظِرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذَا رَجُلٌ يَمْشِي عَلَى الطَّرِيقِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " كُنْ أَبَا ذَرٍّ " فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ الْقَوْمُ ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هُوَ وَاللَّهِ أَبُو ذَرٍّ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " رَحِمَ اللَّهُ أَبَا ذَرٍّ يَمْشِي وَحْدَهُ ، وَيَمُوتُ وَحْدَهُ ، وَيُبْعَثُ وَحْدَهُ"[1].

قصة أبو خَيْثَمَةَ:

رَجَعَ أبو خَيْثَمَةَ ﷺ إِلَى أَهْلِهِ فِي يَوْمٍ حَارّ بَعْدَ أَن سَارَ رَسُولُ الله ﷺ أَيّامًا ، فَوَجَدَ امْرَأَتَيْنِ لَهُ فِي عَرِيشَيْنِ [2] لَهُمَا فِي حَائِطِهِ[3]، قَدْ رَشّتْ كُلّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عَرِيشَهَا، وَبَرّدَتْ لَهُ فِيهِ مَاءً، وَهَيّأَتْ لَهُ فِيهِ طَعَامًا، فَلَمّا دَخَلَ قَامَ عَلَى بَابِ الْعَرِيشِ، فَنَظَرَ إِلَى امْرَأَتَيْهِ وَمَا صَنَعَتَا لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ فِي الضّحّ[4] وَالرّيحِ وَالْحَرّ، وَأبو خَيْثَمَةَ فِي ظِلّ بَارِدٍ، وَطَعَامٍ مُهَيّأ، وَامْرَأَةٍ حَسْنَاءَ، فِي مَالِهِ مُقِيمٌ، مَا هَذَا بِالنّصَفِ، ثُمّ قَالَ: وَاللهِ لَا أَدْخُلُ عَرِيشَ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا حَتّى أَلْحَقَ بِرَسُولِ الله ﷺ، فَهَيّئَا لِي زَادًا، فَفَعَلَتَا، ثُمّ قَدّمَ نَاضِحَهُ[5] فَارْتَحَلَهُ، ثُمّ خَرَجَ فِي طَلَبِ رَسُولِ الله ﷺ حَتّى أَدْرَكَهُ حِينَ

---

[1] أخرجه الحاكم في مستدركه ٣/ ٥٢،حديث ٤٣٧٣ وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ وصححه ووافقه الذهبي، ولكنه قال: فيه إرسال، وابن كثير في "البداية والنهاية" ٧/ ١٥٩، وقال: إسناده حسن.

[2] العريش: شبيه الخيمة.

[3] حائطه: أي بستانه.

[4] الضّحّ: الشمس.

[5] ناضحه: أي جمله.

نَزَلَ تَبُوكَ، وَقَدْ كَانَ أَدْرَكَ أَبَا خَيثَمَةَ عُمَير بن وَهْبٍ الْجُمَحِي في الطّرِيقِ، يَطْلُبُ رَسُولَ الله ﷺ ، فَتَرَافَقَا، حَتّى إِذَا دَنَوَا مِنْ تَبُوكَ، قَالَ أبو خَيْثَمَةَ لِعُمَيْرِ بن وَهْبٍ: إنّ لي ذَنْبًا، فَلَا عَلَيْك أَنْ تَخَلّفَ عَنّي حَتّى آتِيَ رَسُولَ الله ﷺ، فَفَعَلَ حَتّى إذا دَنَا مِنْ رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ نَازِلٌ بِتَبُوكَ، قَالَ النّاسُ: هَذَا رَاكِبٌ عَلَى الطّرِيقِ مُقْبِلٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : "كُنْ أَبَا خَيثَمَةَ"، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ الله هُوَ وَاَللهِ أبو خَيْثَمَةَ، فَلَمّا أَنَاخَ أَقْبَلَ فَسَلّمَ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ ،فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: "أَوْلَى لَكَ [1] يَا أَبَا خَيثَمَة"، ثُمَّ أَخْبَرَ رَسُولَ الله ﷺ الْخَبَرَ؛ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ : "خَيرًا"، وَدَعَا لَهُ بِخَيرٍ [2].

معجزات لرسول الله ﷺ :

١- عَنْ أبي هُرَيْرَةَ أَوْ أبي سَعِيدٍ (شَكَّ الْأَعْمَشُ) قَالَ: لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا، فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: افْعَلُوا، قَالَ فَجَاءَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ وَلَكِنْ ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ ثُمَّ ادْعُ الله لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ لَعَلَّ الله أَنْ يَجْعَلَ في ذَلِكَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "نَعَمْ"، فَدَعَا بنطَعٍ فَبَسَطَهُ ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِم،قَالَ: فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ، وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَفِّ تَمْرٍ، وَيَجِيءُ الْآخَرُ بِكَسْرَةٍ، حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النِّطَعِ مِنْ ذَلِكَ شَيءٌ يَسِيرٌ، فَدَعَا رَسُولُ الله ﷺ عَلَيْهِ بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: خُذُوا في أَوْعِيَتِكُمْ، قَالَ: فَأَخَذُوا في أَوْعِيَتِهِمْ حَتَّى مَا تَرَكُوا في الْعَسْكَرِ وِعَاءً إِلَّا مَلَئُوهُ، قَالَ: فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا وَفَضَلَتْ فَضْلَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا الله وَأَنِّي رَسُولُ الله، لَا يَلْقَى الله بِهِمَا عبد غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنْ

---

[1] أَوْلَى لَكَ: كلمة فيها معنى التهديد، معناها: دنوت من الهلكة.

[2] ابن هشام: السيرة ٢/٥٢١ من رواية ابن إسحاق بلا سند، وله شاهد من حديث كعب بن مالك الطويل في "الصحيحين".

الْجَنَّةِ"[1].فَأَكَلَ الصَحَابَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَشَرِبُوا، بَعْدَ مَا نَالوه مِنْ جُوعٍ وَعَطَشٍ شَدِيدَيْنِ.

٢- أَخْبرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَصْحَابَه فِي تَبُوك بِأَنَّ رِيْحاً شَدِيدَةً سَتَهُبُ، وَأَمَرَهُمْ بِأَنْ يَحْتَاطُوا لأَنْفُسِهِمْ وَدَوَابِهِمْ فَلا يَخْرُجُوا حَتَّى لا تُؤذِيهِمْ، وَلِيَرْبِطُوا دَوَابَهُمْ حَتَّى لا تُؤذَى، وَتَحَقَقَ مَا أَخْبَرَ بِه رَسُولُ اللهِ ﷺ ، فَهَبتِ الرِّيحُ الشَّدِيدَةُ وَحَمَلتْ مَنْ قَامَ فِيهَا إِلَى مَكَانٍ بَعِيد[2] فقد رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحه بِإِسْنَادِهِ إِلى أَبِى حُمَيْدٍ قال: وَانْطَلَقْنَا حَتَّى قَدِمْنَا تَبُوكَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: سَتَهُبُّ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَلَا يَقُمْ فِيهَا أَحَدٌ فَمَنْ كَانَ لَهُ بَعِيرٌ فَلْيَشُدَّ عِقَالَهُ فَهَبَّتْ رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَقَامَ رَجُلٌ فَحَمَلَتْهُ الريح حَتَّى أَلْقَتْهُ بجبلى طئ[3].

قَالَ النَّوَوي فِي شَرْحِه عَلَى صَحِيح مُسْلِم مُعَقِباً عَلَى هَذَا الحَدْيْث: هَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ هَذِهِ الْمُعْجِزَةُ الظَّاهِرَةُ مِنْ إِخْبَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمُغِيبِ وَخَوْفِ الضَّرَرِ مِنَ الْقِيَامِ وَقْتَ الرِّيحِ[4].

٣- قال مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ : «إِنكُمْ سَتَأْتُونَ غَدًا إِنْ شَاءَ الله عَيْنَ تَبُوكَ، وَإِنكم لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ، فَمَنْ جَاءَهَا مِنكُمْ فَلَا يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئًا حَتَّى آتِيَ"، فَجِئْنَاهَا وَقَدْ سَبَقَنَا إِلَيْهَا رَجُلَانِ، وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشِّرَاكِ تَبِضُّ بِشَيءٍ مِنْ مَاءٍ، قَالَ: فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ الله ﷺ : "هَلْ مَسَسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيئًا؟ "، قَالَا: نَعَمْ، فَسَبَّهُمَا النَّبِي ﷺ ،وَقَالَ لَهُمَا: "مَا شَاءَ الله أَنْ يَقُولَ"، ثُمَّ غَرَفُوا بِأَيْدِيهِمْ مِنْ الْعَيْنِ قَلِيلًا قَلِيلًا حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيءٍ، وَغَسَلَ رَسُولُ الله ﷺ فِيهِ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ

---

[1] صحيح: أخرجه مسلم : كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين٣/١٤٠١،حديث (١٧٧٦).

[2] محمد عبدالقادر أبو فارس: الصراع مع الصليبيين، ص١٤١.

[3] صحيح مسلم٤/١٧٨٤ ، حديث (١٣٩٢).

[4] شرح النووي على صحيح مسلم ١٥/٤٢.

فِيهَا، فَجَرَتْ الْعَيْنُ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ -أَوْ قَالَ: غَزِيرٍ- حَتَّى اسْتَقَى النَّاسُ [1].

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ: « يُوشِكُ يَا مُعَاذُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى مَا هَا هُنَا قَدْ مُلِئَ جِنَانًا » [2]، لَقَدْ كَانَتْ مِنْطَقَةِ تَبُوك وَالوَادِي الَّذِي كَانَتْ فِيهِ العَين مِنْطَقَةً جَرْدَاء لِقِلَةِ الْمَاءِ، وَلَكِنَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَجْرَى عَلَى يَدِ رَسُولِه ﷺ بَرَكَةِ تَكْثِيرِ هَذَا المَاءِ حَتَّى أَصْبَحَ يَسْيلُ بِغَزَارَةٍ، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا آتيا لسد حاجة الجيش، بل أَخْبَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَنَّهُ سَيَسْتَمِرْ وَسَتكُون هُنَاكَ جِنَانٍ وَبَسَاتِين مَمْلُوءَةً بِالأَشْجَارِ المُثْمِرَة، وَلَقَدْ تَحَقَقَ مَا أَخْبَرَ بِه الرَّسُولُ ﷺ بَعدَ فَتْرَةً قَلِيْلَةً مِنَ الزَّمَنِ، وَمَا زَالتْ تَبُوك حَتَّى اليَّوم تَمْتَاز بِجِنَانِهَا وَبَسَاتِينَها وَنَخِيلَهَا وَثُمورِهَا، تَنْطِقْ بِصِدْقِ نُبُوَةِ الرَّسُولِ وَتَشْهَدْ بِأَنَّ الرَّسُول لا يَتكَلمْ إِلاَّ صِدْقًا، وَلا يُخْبِرْ إِلَّا حَقَاً، وَلا يُنَبِئ بِشَيءٍ إِلاَّ وَيَتَحَقَقْ [3].

هَذِهِ بَعْض المُعْجِزَات وَالكَرَامَاتِ الَّتِي أَظْهَرَهَا اللهُ عَلَى يَدِ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوك تَدُلُ عَلَى صِدْقِ نُبوَتِه وَرِسَالَتِه، وَتَدُلُ عَلَى رِفْعَةِ مَنْزِلَتِه وَتَكْرِيمِهِ عِنْدَ رَبِهِ.

---

[1] صحيح مسلم بشرح النووي (١٥/٤١), مختصر مسلم رقم ١٥٣٠.

[2] موطأ الإمام مالك ١/١٤٣، حديث(٣٢٨).

[3] محمد عبدالقادر أبو فارس: الصراع مع الصليبيين، ص١٤٢.

الجيش الإسلامي يصل تبوك :

وَصلَ المُسْلِمونَ إلى تَبُوك، وَأَورَدتْ المَصَادِر نَّص خُطْبَة النَّبِيُّ ﷺ فِي المُسْلِمينَ عِنْدَ ذَلِكَ [1] ، وَلَمْ يَقعْ قِتَال مَع الرُّومِ وَلا مَع القَبَائِل العَرَبيةِ المُتَنَصِرَة الَّتِي كَانَتْ تَحتَ سِيَادَتِهِمْ، وَمَكثَ النَّبِيُّ ﷺ بِجَيشِهِ عِشْرِينَ لَيْلَةٍ فِي تَبُوك قَبْلَ أَنْ يَعُود بِه إِلَى المَدِينَةِ [2].

أحداث حصلت في تبوك :

١- بَعَثَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى أُكَيْدِرِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةَ كَانَ مَلِكًا عَلَى دُومَةَ وَكَانَ نَصْرَانِيًّا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- لِخَالِدٍ :« إِنَّكَ سَتَجِدُهُ يَصِيدُ الْبَقَرَ ». فَخَرَجَ خَالِدٌ حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ حِصْنِهِ مَنْظَرَ الْعَيْنِ وَفِى لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ صَافِيَةٍ وَهُوَ عَلَى سَطْحٍ وَمَعَهُ امْرَأَتُهُ فَأَتَتِ الْبَقَرُ تَحُكُّ بِقُرُونِهَا بَابَ الْقَصْرِ فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ : هَلْ رَأَيْتَ مِثْلَ هَذَا قَطُّ؟ قَالَ : لاَ وَاللَّهِ قَالَتْ : فَمَنْ يَتْرُكُ مِثْلَ هَذَا قَالَ : لاَ أَحَدٌ فَنَزَلَ فَأَمَرَ بِفَرَسِهِ فَأُسْرِجَ وَرَكِبَ مَعَهُ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ فِيهِمْ أَخٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ حَسَّانُ فَخَرَجُوا مَعَهُ بِمَطَارِدِهِمْ فَتَلَقَّتْهُمْ خَيْلُ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَأَخَذَتْهُ وَقَتَلُوا أَخَاهُ حَسَّانَ وَكَانَ عَلَيْهِ قُبَاءُ دِيبَاجٍ مُخَوَّصٌ بِالذَّهَبِ فَاسْتَلَبَهُ إِيَّاهُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ فَبَعَثَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى

---

[1] لم تثبت هذه الخطبة من طريق صحيح رغم أن فقراتها مأخوذة من أحاديث أخرى بعضها صحيح وبعضها حسن، وقد أخرج الإمام أحمد في المسند ١٧/ ٤٢١ ، حديث (١١٣١٩)نص خطبة أخرى قصيرة في إسنادها مجهول، وكذلك فعل القاسم بن سلام في الأموال (ص/ ٢٥٥- ٢٥٦) ، كما أخرج الحافظ ابن كثير نص خطبة طويلة (البداية والنهاية ٧/ ١٦٩) في إسنادها أحد المتروكين. وقد رجح الدكتور العمري أن يكون بعض الرواة قد لفق هذه الخطبة من بعض الأحاديث الصحيحة المعروفة.

[2] أَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَبُوكَ عِشْرِينَ يَوْمًا يَقْصُرُ الصَّلَاةَ " رواه احمد في مسنده : ٢٢ / ٤٤ ،حديث(١٤١٣٩). علق عليه الشيخ شعيب الارناؤوط وقال :اسناده صحيح على شرط الشيخين.

الله عليه وسلم- قَبْلَ قُدُومِهِ عَلَيْهِ ثُمَّ إِنَّ خَالِدًا قَدِمَ بِالأُكَيْدِرِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَحَقَنَ لَهُ دَمَهُ وَصَالَحَهُ عَلَى الْجِزْيَةِ وَخَلَّى سَبِيلَهُ فَرَجَعَ إِلَى قَرْيَتِهِ[1].

٢- فِي تَبُوك أَهْدَى مَلِكُ أَيْلَةَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَغْـلَةً بَيْضَاءَ وَكَسَاهُ بُرْدًا [2]، وَقدْ صَالحَ عَلَى دَفْعِ الجِزْيَةِ لِلمُسْلِمينَ.

٣- أَورَدَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ [3] مَرْوِيَات تُشيرُ إِلَى حُصولِ مُرَاسَلةٍ بَينَ النَّبِيِّ ﷺ- وَهُوَ فِي تَبُوك- وَبَينَ هِرْقَلْ مَلِك الرُّوم، وَأَنَّ الأَخْيرِ أَرْسَلَ رَسُولاً مِنْ قَبيلَةِ تَنوخْ العَرَبيةِ لِيَتَعرفَ لَهُ عَلَى بَعضِ عَلامَاتِ النُّبوةِ عِندَ النَّبِيِّ ﷺ[4] .

٤ـ لَمَّا مَرَّ المُسلِمونَ فِي طَرِيقِ عَودَتِهِمْ مِنْ تَبُوك بِالْحِجْرِ [5]، قَالَ لَهُمْ أَنَّ النَّبِي : "لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ؛ أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا

---

[1] رواه البيهقي في سننه ١٨٧/٩،حديث(١٩١١٤).

[2] صحيح البخاري: ابواب الجزية والموادعة ، باب إذا وادع الإمام ملك القرية ٤/ ٩٨ حديث(٣١٦١) .

[3] رواه الامام أحمد في المسند ٤١٦/٢٤،حديث (١٥٦٥٥) بإسناد فيه سعيد بن أبي راشد وهو مقبول وقد تفرد به. وقال ابن كثير عن ذلك: هذا حديث غريب، وإسناده لا بأس به، تفرد به الإمام أحمد. (البداية والنهاية ٧/ ١٧٤) .

[4] كان دحية الكلبي قد حمل رسالة النبي صلّى الله عليه وسلّم إلى هرقل في أول السنة السابعة من الهجرة، فإذا صح هذا الخبر، فإن إرسال دحية الكلبي يكون للمرة الثانية، وقد أورد الإمام أحمد تفصيلات عن وصول الرجل التنوخي إلى تبوك وأن النبي صلّى الله عليه وسلّم عرض عليه الإسلام فامتنع بحجة أنه مكلف برسالة هرقل، ونقل التنوخي عن النبي ذكره لكتبه التي أرسلها إلى الملوك وكيف رد النبي صلّى الله عليه وسلّم على سؤال هرقل عن رسالته قال: «تدعوني إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، فأين النار؟، فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: «سبحان الله أين اللّيل إذا جاء النّهار؟» ، كما ذكر الرجل التنوخي اعتذار النبي صلّى الله عليه وسلّم له بأنهم في سفر وإلّا لمنحه جائزة، وأن عثمان ابن عفان قدم الجائزة نيابة عن النبي صلّى الله عليه وسلّم وهي «حلة صفورية» . ويذكر التنوخي بعد ذلك بأن النبي صلّى الله عليه وسلّم قد أنزله ضيفا على أحد أصحابه من الأنصار، فلما قام من المجلس ناداه الرسول صلّى الله عليه وسلّم، فلما وصل التنوخي إليه حل النبي صلّى الله عليه وسلّم حبوته عن ظهره وقال: «ههنا إمض كما أمرت له» ، قال التنوخي: فجلت في ظهره فإذا أنا بخاتم النبوة في موضع غضون الكتف مثل الحجمة الضخمة» أحمد- (المسند ٢٤/ ٤١٦) .

[5] الحِجْر: موضع ديار قوم ثمود.

أَصَابَهُمْ"، ثُمَّ تَقَنَّعَ رسول الله ﷺ بِرِدَائِهِ وَهُوَ عَلَى الرَّحْلِ. وفي رواية: ثُمَّ زَجَرَ فَأَسْرَعَ حَتَّى خَلَّفَهَا [1]. وَعَنْ عبد اللهْ بن عُمَرَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمَّا نَزَلَ الْحِجْرَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ أَمَرَهُمْ أَنْ لَا يَشْرَبُوا مِنْ بِئْرِهَا وَلَا يَسْتَفوا مِنْهَا، فَقَالُوا: قَدْ عَجَنَّا مِنْهَا وَاسْتَقَيْنَا؟ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَطْرَحُوا ذَلِكَ الْعَجِينَ وَيُهَرِيقُوا ذَلِكَ الْمَاءَ [2].

وفي رواية عَنِ ابْنِ عُمَرَ أيضًا أن رَسُولَ الله ﷺ أمرهم أن يُهَرِيقُوا مَا اسْتَقَوْا مِنْ بِئْرِهَا، وَأَنْ يَعْلِفُوا الْإِبِلَ الْعَجِينَ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَقُوا مِنْ الْبِئْرِ الَّتِي كَانَتْ تَرِدُهَا النَاقَةُ[3].

٥ـ حِينَ اشْتَكَى الْمُسْلِمونَ مَا أَصَابَ إِبِلَهمْ مِنَ التعبِ وَالجُهدِ دَعَا رَسُولُ اللهِ رَبهُ قَائِلاً: « اللهُمَّ احْمِلْ عَلَيْهَا فِي سَبِيلِكَ، إِنَّكَ تَحْمِلُ عَلَى الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ، وَعَلَى الرَّطْبِ وَالْيَابِسِ، فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ»[4] .

وإن الله تعالى- جل شأنه- اسْتَجَابَ لِدُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ فَنَشَطتْ الإِبِلْ حَتَّى وَصَلتْ بِهِمْ المَدينَةِ دُونَ أَنْ يَشْتكي أَحدٌ مِنْهَا [5] .

٦- وفي الطريق فُقدت نَاقَةُ النَّبِيِّ ﷺ ،فَقَالَ أَحد المنافقين -واسمه زيد بن اللُّصيت- وكان في رَحْل صحابي اسمه عُمَارَةُ بْنُ حَزْمٍ: أَلَيْسَ مُحَمَّدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَيُخْبِرُكُمْ عَنْ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

[1] متفق عليه: أخرجه البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء، باب {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا}، ١٤٩/٤، حديث(٣٣٨٠).صحيح مسلم : كتاب الزهد والرقائق، باب لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، إلاَّ أن تكونوا باكين ٢٢٨٥/٤،حديث ٢٩٨٠.

[2] صحيح: أخرجه البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء، باب {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا} [الأعراف: ٧٣].١٥٠/٤، حديث(٣٣٨٧).

[3] صحيح: أخرجه البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء، باب {وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا}.١٤٩/٤، حديث(٣٣٧٩).

[4] حديث صحيح :رواه أحمد في مسنده:٣٧٨/٣٩،حديث(٢٣٩٥٥).

[5] موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبّان ٣٥١/٥، بإسناد حسن. نضرة النعيم في مكارم الرسول ٣٩٣/١.

وَسَلَّمَ وَعُمَارَةُ عِنْدَهُ: إِنَّ رَجُلًا قَالَ: هَذَا مُحَمَّدٌ يُخْبِرُكُمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَيَزْعُمُ أَنَّهُ يُخْبِرُكُمْ بِأَمْرِ السَّمَاءِ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ، وَإِنِّي وَاَللَّهِ مَا أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ وَقَدْ دَلَّنِي اللَّهُ عَلَيْهَا، وَهِيَ فِي هَذَا الْوَادِي، فِي شِعْبِ كَذَا وَكَذَا، قَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا، فَانْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُونِي بِهَا، فَذَهَبُوا، فَجَاءُوا بِهَا. فَرَجَعَ عُمَارَةُ بْنُ حَزْمٍ إِلَى رَحْلِهِ، فَقَالَ: وَاَللَّهِ لَعَجَبٌ مِنْ شَيْءٍ حَدَّثَنَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آنِفًا، عَنْ مَقَالَةِ قَائِلٍ أَخْبَرَهُ اللَّهُ عَنْهُ بِكَذَا وَكَذَا، لِلَّذِي قَالَ زَيْدُ بْنُ لُصَيْتٍ، فَقَالَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ فِي رَحْلِ عُمَارَةَ وَلَمْ يَحْضُرْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: زَيْدٌ وَاَللَّهِ قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ قَبْلَ أَنْ تَأْتِيَ. فَأَقْبَلَ عُمَارَةُ عَلَى زَيْدٍ يَجَأُ فِي عُنُقِهِ [1]وَيَقُولُ: إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ فِي رَحْلِي لَدَاهِيَةً وَمَا أَشْعُرُ، أُخْرُجْ أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ مِنْ رَحْلِي، فَلَا تَصْحَبْنِي[2].

رجوع النبي ﷺ وجيشه إلى المدينة :

وَلَمَّا اقْتَرَبَ الجَيْش الإسْلامِي مِنَ المَدينَـةِ خَرجَ الصِّبْيَانُ إلى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعْ لاسْتِقْبَاله [3] ، وَمَعَهُمْ النِّسَاءُ والْوَلَائِدَ وَهُمْ يُرَدِدونَ الأناشيد .

كَانَ أَوْل مَا فَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺعِنْدَ دُخُولِهِ المَدينَةِ أَنْ صَلّى فِي مَسْجِدِهِ الشَرِيفِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ فَجَاءَهُ المُنَافِقُونَ الْمُتَخَلِّفُونَ فَطَفِقُوا يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ بِشَتَى الاعْذَارِ وَكَانُوا بِضْعَةً وَثَمَانِينَ رَجُلًا فَقَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَانِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى[4].

---

[1] يطعنه فِي عنقه .

[2] "سيرة ابن هشام" ٢/ ٥٢٣، من رواية ابن إسحاق بالإسناد السابق.

[3] حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ الزُّهْرِيِّ عَنْ السَّائِبِ أَذْكُرُ أَنِّي خَرَجْتُ مَعَ الصِّبْيَانِ نَتَلَقَّى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى ثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ مَقْدَمَهُ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ .انظر: صحيح البخاري:٦/٩،حديث(٤٤٢٧).

[4] صحيح البخاري: كتاب المغازي ، باب حديث كعب بن مالك ٦/٣، حديث(٤٤١٨).

أصناف المتخلفين عن غزوة تبوك :

الصنف الأول : الَّذِينَ أَمَرَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالبَقَاءِ فِي المَدِينَةِ ، وَهُمْ محمد بن مسلمة حَيثُ اسْتَخْلَفَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى المَدِينَةِ ، وَخَلَّفَ عَلَى أَهْلِهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه.

الصنف الثاني :المَعْذُورونَ أَي أَصْحَابِ الأَعْذَارِ كَالشُيوخِ وَالمَرْضَى وَالفُقَراءِ الَّذِينَ لا يَجِدونَ مَا يُنْفِقونَهُ لِلخُروجِ وَلا مَنْ يَحْمِلُهمْ إِلَى سَاحَةِ القِتَالِ.

الصنف الثالث :مُؤمِنُونَ تَخَلَفُوا كَسَلاً وَتَقْصِيراً وَعِصْيَانَاً وَهُمْ : أَبُو لُبَابَة وَأَصْحَابَه وَالثَلاثَةِ الَّذِينَ تَخَلَفُوا .

الصنف الرابع :المُنَافِقُونَ وَهُمْ الَّذِينَ تَخَلَفُوا عَنْ غَزْوَةِ تَبُوك لِنِفَاقِهِمْ وَعَدمِ إِيمَانِهِمْ.

أصحاب الأعذار:

عِنْدَمَا أَعْلَنَ الرَّسُولُ ﷺ النَفِير بَكَى الضُعَفَاءُ وَالعَجَزَة مِمَنْ أَقْعَدَهُمْ المَرَض أَوِ النَفَقَةِ شَوقًا لِلجِهَادِ وِتَحَرُجَاً مِنَ القُعُودِ حَتَّى نَزَلَ فِيهِمْ قُرآن: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩١) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [1].

---

[1] سورة التوبة : الآيتان ٩١-٩٢.

فَهَذَا عُلْبَةُ بْنُ زَيْدٍ أَحَد البَّكَائِينَ صَلَّى مِنَ اللَّيْلَ وبَكَى وَقَالَ: اللَّهمّ إِنَّكَ قَدْ أَمَرْتَ بِالْجِهَادِ وَرَغَّبْتَ فِيهِ، ثُمَّ لَمْ تَجْعَلْ عِنْدِي مَا أَتَقَوَّى بِهِ، وَلَمْ تَجْعَلْ فِي يَدِ رَسُولِكَ مَا يَحْمِلُنِي عَلَيْهِ، وَإِنِّي أَتَصَدَّقُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ بِكُلِّ مَظْلِمَةٍ أَصَابَنِي بِهَا فِي مَالٍ أَوْ جَسَدٍ أَوْ عِرْضٍ، فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ قَدْ غَفرَ لَهُ[1].

وهذا وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ نَتْرُكُهُ يُحَدِثُنَا عَنْ قِصَتِهِ:... عندما نَادَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةَ تَبُوكَ ،خَرَجْتُ إِلَى أَهْلِي فَأَقْبَلْتُ وَقَدْ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَجَعَلْتُ أُنَادِي أَلاَ مَنْ يَحْمِلُ رَجُلاً لَهُ سَهْمُهُ ؟ فَنَادَانِي شَيْخٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ : لَنَا سَهْمُهُ عَلَى أَنْ نَحْمِلَهُ عَقِبَهُ[2] وَطَعَامَهُ مَعَنَا ، فَقُلْتُ : نَعَمْ سِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللهِ ، فَخَرَجْتُ مَعَ خَيْرِ صَاحِبٍ لِي زَادَنِي حِمْلاَنًا عَلَى مَا شَارَطْتَ ، وَخَصَّنِي بِطَعَامٍ سِوَى مَا أَطْعَمَهُ مَعَهُ حَتَّى أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْنَا[3]فَأَصَابَنِي قَلاَئِصَ[4] فَسُقْتُهُنَّ حَتَّى أَتَيْتُهُ ، وَهُوَ فِي خبائِهِ ، فَدَعَوْتُهُ فَخَرَجَ فَقَعَدَ عَلَى حَقِيبَةٍ مِنْ حَقَائِبِ إِبِلِهِ ثُمَّ قَالَ : سُقْهُنَّ مُدْبِرَاتٍ فَسُقْتُهُنَّ مُدْبِرَاتٍ ، ثُمَّ قَالَ : سُقْهُنَّ مُقْبِلاَتٍ ، فَسُقْتُهُنَّ مُقْبِلاَتٍ ، فَقَالَ : مَا أَرَى قَلاَئِصَكَ إِلاَّ كِرَامًا قَالَ : قُلْتُ : إِنَّمَا هِيَ غَنِيمَتُكَ الَّتِي شَرَطْتُ لَكَ فَقَالَ : خُذْ قَلاَئِصَكَ يَا ابْنَ أَخِي فَغَيْرَ سَهْمِكَ أَرَدْنَا[5].

---

[1] وردت من طرق ضعيفة ولها شاهد صحيح وهي بالجملة تصلح للشاهد التاريخي، انظر: المجتمع المدني للعمري، ص٢٣٥.

[2] عقبة: أي بالتعاقب.

[3] كان واثلة بن الأسقع أحد أفراد سرية خالد بن الوليد في دومة الجندل.

[4] قلائص: إبل.

[5] رواه البيهقي في سننه : ٢٢/ ٨٠،حديث(١٩٦).

وَهَكَذَا تَنَازَلَ وَاثِلَةَ فِي بِدَايَةِ الأَمْرِ عَنْ غَنِيمَتِهِ لِيَكْسَبَ الغَنِيمَةَ الأُخْرَوِيَة، أَجْرَاً وَثَوَابَاً يَجِدهُ عِندَ اللهِ يومَ لِقَائِهِ، وَتَنازلَ الأَنْصَارِيُ عَنْ قِسمٍ كَبيرٍ مِنْ رَاحته لِيتَعاقبَ وَاثِلَة عَلَى رَاحِلَتِهِ وَيُقَدمْ لَهُ الطَعَامَ مَقَابِل سَهمْ آخَر هُوَ الأَجْرُ وَالثَواب.

وَجاء الأَشعريُّونَ يتقدمهم أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيّ يَطْلُبونَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَحْمِلَهُمْ عَلى إِبِلٍ لِيتَمَكَنُوا مِنَ الخُروجِ لِلجِهَادِ، فَلَمْ يَجِدْ مَا يَحْمِلَهُم عَلَيهِ حَتَّى مَضَى بَعْضَ الوَقْتِ فَحَصلَ لَهُمْ عَلَى ثَلاثَةٍ مِنَ الإِبِلْ[1].

إِنَّهَا صُورَةً مُؤثِرَةً لِلرَغْبَةِ الصَحيحَةِ فِي الجِهَادِ عَلَى عَهدِ رَسُولِ اللهِ، وَمَا كَانَ يَحسُّهُ صَادِقُو الإِيمَانِ مِنْ أَلَمٍ إِذَا مَا حَالَتْ ظُرُوفُهمْ المَادِيَّةِ بَينَهُمْ وَبَينَ القِيَامِ بِوَاجِبَاتِهِمْ، وَكَانَ هَؤلاءِ المعوزون وغيرهم ممن عذر الله لِمَرَضٍ أَو كِبَرِ سِنْ أَو غَيرِهِمَا يَسْيرُونَ بِقُلوبِهِمْ مَع المُجَاهِدِينَ[2]وَهُمْ الَّذِينَ عَنَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺعندما قال :"إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟ قَالَ: وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ حَبَسَهُمْ الْعُذْرُ [3].

المتخلفون عن غزوة تبوك كسلاً وعصياناً لا نفاقاً :

وَهَؤلاءِ قَومٌ تَخَلَفُوا كَسَلاً وَعِصْيَانَاً لا شَكَاً وَنِفَاقَاً ، وَلَكِنْ سُرْعَانَ مَا عَرِفُوا ذَنْبَهم ، فَنَدِمُوا وَتَابُوا إِلى اللهِ تَعَالَى فَتَابَ عَلَيْهِم ، قَالَ تَعَالَى :﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ

---

[1] اكرم العمري: المجتمع المدني، ص٢٣٦.

[2] ا مهدي رزق الله أحمد: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص٦١٨.

[3] متفق عليه: أخرجه البخاري : كتاب المغازي، باب نزول النبي – صلى الله عليه وسلم – بالحجر ٦/٨، حديث(٤٤٢٣).صحيح مسلم : كتاب الإمارة، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر ٣/١٥١٨،حديث ١٩١١.

رَّحِيمٌ﴾[1].

نَزَلَتْ هَذِه الآيةِ فِي عَشَرَةِ رَهْطٍ تَخَلَّفُوا عَنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَلَمَّا دَنَا الرَّسُولُ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ أَوْثَقَ سَبْعَةً مِنْهُمْ. وَقِيلَ: كَانُوا ثَمَانِيَةً مِنْهُمْ: كَرْدَمُ، وَمِرْدَاسُ، وَأَبُو قَيْسٍ، وَأَبُو لُبَابَةَ. وَقِيلَ: سَبْعَةٌ. وَقِيلَ: سِتَّةٌ أَوْثَقَ ثَلَاثَةٌ مِنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ بِسَوَارِي الْمَسْجِدِ، فِيهِمْ أَبُو لُبَابَةَ. وَقِيلَ: كَانُوا خَمْسَةً. وَقِيلَ: ثَلَاثَةً أَبُو لُبَابَةَ بْنُ عَبْدِ الْمُنْذِرِ، وَأَوْسُ بْنُ ثَعْلَبَةَ، وَوَدِيعَةُ بْنُ خِذَامٍ الْأَنْصَارِيُّ.وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي أَبِي لُبَابَةَ وَحْدَهُ. وَيَبْعُدُ ذَلِكَ مِنْ لَفْظِ وَآخَرُونَ، لِأَنَّهُ جَمْعٌ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَسْجِدَ حِينَ قَدِمَ فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، وَكَانَتْ عَادَتَهُ كُلَّمَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ، فَرَآهُمْ مُوَثَّقِينَ فَسَأَلَ عَنْهُمْ: فَذَكَرُوا أَنَّهُمْ أَقْسَمُوا لَا يَحُلُّونَ أَنْفُسَهُمْ حَتَّى يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هُوَ الَّذِي يَحُلُّهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَأَنَا أقسم أن لا أحلهم حتى أومر فِيهِمْ، رَغِبُوا عَنِّي، وَتَخَلَّفُوا عَنِ الْغَزْوِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ» فَنَزَلَتْ، فَأَطْلَقَهُمْ وَعَذَرَهُمْ.

وَفِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ الِاعْتِرَافُ: الْإِقْرَارُ بِالذَّنْبِ عَمَلًا صَالِحًا تَوْبَةً وَنَدَمًا، وَآخَرَ سَيِّئًا. أَيْ تَخَلُّفًا عَنْ هَذِهِ الْغَزَاةِ قَالَهُ: الطَّبَرِيُّ، أَوْ خُرُوجًا إِلَى الْجِهَادِ قَبْلُ. وَتَخَلُّفًا عَنْ هَذِهِ قَالَهُ: الْحَسَنُ وَغَيْرُهُ. أَوِ تَوْبَةً وَإِثْمًا قَالَهُ: الْكَلْبِيُّ.وَعَطْفُ أَحَدِهِمَا عَلَى الْآخَرِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَخْلُوطٌ وَمَخْلُوطٌ بِهِ، كَقَوْلِكَ:خَلَطْتُ الْمَاءَ وَاللَّبَنَ، وَهُوَ بِخِلَافِ خَلَطْتُ الْمَاءَ بِاللَّبَنِ، فَلَيْسَ فِيهِ إِلَّا أَنَّ الْمَاءَ خُلِطَ بِاللَّبَنِ، قَالَ مَعْنَاهُ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَمَتَى خلطت شيئا شيء صَدَقَ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنَّهُ مَخْلُوطٌ وَمَخْلُوطٌ بِهِ، مِنْ حَيْثُ مَدْلُولِيَّةُ الْخَلْطِ، لِأَنَّهَا أَمْرٌ نِسْبِيٌّ.

والِاعْتِرَافُ بِالذَّنْبِ دَلِيلٌ عَلَى التَّوْبَةِ، فَلِذَلِكَ قِيلَ: عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ.

---

[1] سورة التوبة : الآية ١٠٢.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: عَسَى مِنَ اللَّهِ وَاجِبٌ انْتَهَى. وَجَاءَ بِلَفْظِ عَسَى لِيَكُونَ الْمُؤْمِنُ عَلَى وَجَلٍ، إِذْ لَفْظَةُ عَسَى طَمَعٌ وَإِشْفَاقٌ، فَأُبْرِزَتِ التَّوْبَةُ فِي صُورَتِهِ، ثُمَّ خَتَمَ ذَلِكَ بِمَا دَلَّ عَلَى قَبُولِ التَّوْبَةِ وَذَلِكَ، صِفَةُ الْغُفْرَانِ وَالرَّحْمَةِ. وَهَذِهِ الْآيَةُ وَإِنْ نَزَلَتْ فِي نَاسٍ مَخْصُوصِينَ فَهِيَ عَامَّةٌ فِي الْأُمَّةِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ(١).

الثلاثة الذين خلفوا:

كَانَ الصَحَابَة الأنْصَار الثَلاثة: كَعْبُ ابْن مَالِك، وَمُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَهِلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ، أَبْرَزْ وَأَشْهَر المُتَخَلِفينَ وَهُمْ مِنَ المَشْهُودِ لَهُمْ بِالبَلاءِ فِي الإسْلامِ وَبِحُسْنِ إيْمَانِهِمْ(٢).

وَلَقَدْ أَقَرَّ الصَحَابَة الثَلاثَة الَّذِينَ تَخَلَفُوا بِأَنَهُمْ لا عُذْرَ لَهُمْ فِي تَخَلُفِهِمْ عَنِ الغَزْوَةِ، وَنَهَى النَّبِيُّ ﷺ المُسْلِمينَ عَنِ الكَلامِ مَعَهُمْ، وَأَمَرُوا بِاعْتِزَالِ نِسَائِهِمْ (٣) ، فَاجْتَنَبَهُمْ النَّاسُ خَمْسِينَ لَيْلَةً، وَضاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِما رَحُبَتْ (٤) وَاسْتَمرتْ المُقَاطَعَةُ حَتَّى نَزَل القُرآن يُعْلِنْ قُبُول تَوبَتِهِمْ فِي قَولِه تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذا ضاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِما رَحُبَتْ وَضاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٥).

---

(١) البحر المحيط في التفسير٥/٤٩٨.

(٢) ابن حجر: فتح الباري٨/١١٦، شرح حديث ٤٤١٨ . صحيح مسلم٤/ ٢١٢٠، (حديث ٢٧٦٩) .

(٣) أصدر النبي صلّى الله عليه وسلّم أمر اعتزالهم للنساء بعد مرور أربعين يوما من عودته إلى المدينة ومقاطعة المسلمين لهم، وقد نفذوا أمر النبي صلّى الله عليه وسلّم، واستأذنته زوجة هلال بن أمية في خدمته ذلك أنه شيخ كبير ضائع لا خادم له، فأذن لها واشترط عليها أن لا يقربها. ابن هشام: السيرة ٢/ ٥٣١.

(٤) حاول ملك الغساسنة النصراني أن يستغل الحالة التي كان عليها كعب بن مالك فكتب له رسالة مع أحد الأنباط دعاه فيها إلى الالتحاق به لمواساته، وقد أدرك كعب أن ذلك ابتلاء وامتحان من الله تعالى فقال: «قد بلغ بي ما وقعت منه أن طمع فيّ رجل من أهل الشرك» فأحرق الرسالة. ابن هشام: السيرة ٢/ ٥٣١.

(٥) سورة التوبة: الآية ١١٨ . ابن حجر: فتح الباري٨/١١٣-١١٦ .

المتخلفون عن غزوة تبوك نفاقاً :

لقد نجم النفاق في المدينة واستعلن بشأن هذه الغزوة، «وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحر، زهادة في الجهاد، وشكّا في الحق، وإرجافا برسول الله ﷺ»[1]، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿وَقالُوا لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ* فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزاءً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾[2] .

وَحِينَ عَرَضَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْجَدِّ بْنِ قَيْسٍ أَحَدِ بَنِي سَلِمَةَ الْمُشَارَكَة فِي جِهَادِ الرُّوم، اعْتَذَرَ عَنْ ذَلِكَ تَحتَ سِتَارِ الخَوفِ مِنَ الفِتْنَةِ بِسَبب شِدَّةِ وَلَعِهِ بِالنِساءِ وَقَالَ: « وَإِنِّي أَخْشَى إِنْ رَأَيْتُ نِسَاءَ بَنِي الْأَصْفَرِ أَلا أَصْبِرَ » ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺوَقَالَ: " قَدْ أَذِنْتُ لَكَ " ، وَفِيهِ نَزَلَتْ الآيَة: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ﴾[3].

وَكَانَ القُرآن قَدْ تَحَدثَ عَنْ أَعْذَارِهِمْ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لاتَّبَعُوكَ وَلَكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾[4]. فَقدْ بَيَنَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- مَوقِفْ المُنَافِقِينَ وَأَنَّهُمْ تَخَلَفُوا بِسَبَبِ بُعْدِ المَسَافَةِ وَشِدَّتِهَا، وَأَنَّهُ لَو كَانَ الَّذِي دَعَوتَهُمْ إِليهِ يا مُحَمَّد عَرَضَاً مِنْ أَعْرَاضِ الدنيا ونعيمها وَكَانَ السَّفَرُ سَهْلاً لاتَبَعُوكَ فِي الخُرُوجِ، وَلَكِنَهُمْ تَخَلَفُوا وَلَمْ يَخْرُجُوا، فالآية تَشْرَحْ وَتُوَضِحْ مُلابَسَاتِ مَوقِفَهُم قَبلَ الخُرُوجِ إِلى الغَزْوَةِ، وَأَسْبَابِ هَذَا المَوقِف، ثُمَّ حَكَى -سُبْحَانَهُ- مَا سَيَقُولُهُ هَؤلاءِ

---

[1] ابن هشام: السيرة ٣/ ٥١٧.

[2] سورة التوبة: الآيتان ٨١- ٨٢.

[3] سورة التوبة: الآية٤٩.

[4] سورة التوبة: الآية٤٢.

المُنَافِقُونَ بَعْدَ عَودَةِ المُؤمِنينَ مِنْ هَذِه الغَزْوَةِ: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ كَانَ نُزولِ هَذِه الآيةِ قَبلَ رُجوعِه ﷺ مِنْ تَبُوك. وَالمَعْنَى: وَسَيَحْلِفُ هَؤلاءِ المُنَافِقُونَ بِاللهِ -كَذِبَاً وَزُورَاً- قَائِلِينَ: لَو اسْتَطَعْنَا -أيها المؤمنون- أَنْ نَخْرجَ مَعَكُمْ لِلجِهَادِ فِي تَبُوك لَخَرَجْنَا، فَإِنَنَا لَمْ نَتَخَلَفْ عَنِ الخُروجِ مَعَكُمْ إِلاَّ مُضْطَرِينَ فَقَدْ كَانَتْ لَنَا أَعْذَارَنَا القَاهِرَة الَّتِي حَمَلَتنَا عَلَى التَخَلُفْ[1].

وقوله -سبحانه-: ﴿ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾. قال ابن عاشور: أَيْ يَحْلِفُونَ مُهْلِكِينَ أَنْفُسَهُمْ، أَيْ مَوْقِعِينَهَا فِي الْهَلَكِ. وَالْهَلَكُ: الْفَنَاءُ وَالْمَوْتُ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْأَضْرَارِ الْجَسِيمَةِ وَهُوَ الْمُنَاسِبُ هُنَا، أَيْ يَتَسَبَّبُونَ فِي ضَرِّ أَنْفُسِهِمْ بِالْأَيْمَانِ الْكَاذِبَةِ، وَهُوَ ضَرُّ الدُّنْيَا وَعَذَابُ الْآخِرَةِ. وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ تَعَمُّدَ الْيَمِينِ الْفَاجِرَةِ يُفْضِي إِلَى الْهَلَاكِ[2].

وقد أمر الله تعالى بعدم تصديق المنافقين والإعراض عنهم ووصفهم بأنهم رجس فقال تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْواهُمْ جَهَنَّمُ جَزاءً بِما كانُوا يَكْسِبُونَ* يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَرْضى عَنِ الْقَوْمِ الْفاسِقِينَ﴾[3] . وقد نهى الله تعالى عن قبول أعذار المنافقين، فقال في محكم التنزيل: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[4] . وقد منع

---

[1] محمد سيد طنطاوي : التفسير الوسيط ٦/ ٣٠٠.

[2] تفسير التحرير و التنوير ١٠/ ٢٠٩.

[3] سورة التوبة: الآيتان ٩٥- ٩٦.

[4] سورة التوبة: الآية ٩٤.

الله رسوله الصلاة على أمواتهم ،فنزل قوله تعالى: ﴿وَلا تُصَلِّ عَلى أَحَدٍ مِنْهُمْ ماتَ أَبَداً وَلا تَقُمْ عَلى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَماتُوا وَهُمْ فاسِقُونَ﴾[1].

ولم يقتصر النفاق على من نافق من أهل المدينة بل إنه امتد إلى البادية حولها، قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرابِ مُنافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلى عَذابٍ عَظِيمٍ﴾[2].

وحيث إن المنافقين من الأعراب، وهم أقسى قلوبا وأكثر جفوة وأقل علما بالأحكام والسنن، فإنهم أشد كفرا ونفاقا من منافقي أهل المدينة، كما وصفهم القرآن الكريم. ﴿الْأَعْرابُ أَشَدُّ كُفْراً وَنِفاقاً وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلى رَسُولِهِ﴾[3].

مسجد الضرار:

فِي أَثْنَاءِ عَودَةِ النَّبِيِّ ﷺ إِلى المَدْينَةِ رَاجِعَاً مِنْ تَبُوك نَزَلَتْ عَلَيهِ الآياتِ الآتِيةِ: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصاداً لِمَنْ حارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنا إِلَّا الْحُسْنى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ* لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[4].

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَاتِ، أَنَّهُ كَانَ بِالْمَدِينَةِ قَبْلَ مَقْدَمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهَا

---

[1] سورة التوبة: الآية ٨٤.

[2] سورة التوبة: الآية ١٠١.

[3] سورة التوبة: الآية ٩٧. تفسير الطبري ١١/ ٦٣٢.

[4] سورة التوبة: الآيتان ١٠٧ – ١٠٨. تفسير الطبري ١١/ ٦٧٥.

رَجُلٌ مِنَ الْخَزْرَجِ يُقَالُ لَهُ أَبُو عَامِرٍ الرَّاهِبُ، وَكَانَ قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَقَرَأَ عِلْمَ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَكَانَ فِيهِ عِبَادَةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَلَهُ شَرَفٌ فِي الْخَزْرَجِ كَبِيرٌ، فَلَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُهَاجِرًا إِلَى الْمَدِينَةِ وَاجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ وَصَارَتْ لِلْإِسْلَامِ كَلِمَةٌ عَالِيَةٌ وَأَظْهَرَهُمُ اللَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ، شَرِقَ اللَّعِينُ أَبُو عَامِرٍ بِرِيقِهِ وَبَارَزَ بِالْعَدَاوَةِ وَظَاهَرَ بِهَا، وَخَرَجَ فَارًّا إِلَى كُفَّارِ مكة من مشركي قريش، يمالئهم عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَاجْتَمَعُوا بِمَنْ وَافَقَهُمْ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ وَقَدِمُوا عَامَ أُحُدٍ، فَكَانَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ مَا كَانَ وَامْتَحَنَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَ، وَكَانَتِ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

وَكَانَ هَذَا الْفَاسِقُ قَدْ حَفَرَ حَفَائِرَ فِيمَا بَيْنَ الصَّفَّيْنِ، فَوَقَعَ فِي إِحْدَاهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وأصيب ذلك اليوم فجرح وَجْهِهِ وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ الْيُمْنَى السُّفْلَى وَشُجَّ رَأْسُهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وَتَقَدَّمَ أَبُو عَامِرٍ فِي أَوَّلِ الْمُبَارَزَةِ إِلَى قَوْمِهِ مِنَ الْأَنْصَارِ فَخَاطَبَهُمْ وَاسْتَمَالَهُمْ إِلَى نَصْرِهِ وَمُوَافَقَتِهِ، فَلَمَّا عَرَفُوا كَلَامَهُ قَالُوا: لَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِكَ عَيْنًا يَا فَاسِقُ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، وَنَالُوا مِنْهُ وَسَبُّوهُ فَرَجَعَ وَهُوَ يَقُولُ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَ قَوْمِي بَعْدِي شَرٌّ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ دَعَاهُ إِلَى اللَّهِ قَبْلَ فِرَارِهِ وَقَرَأَ عَلَيْهِ مِنَ الْقُرْآنِ، فَأَبَى أَنْ يُسْلِمَ وَتَمَرَّدَ، فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَمُوتَ بَعِيدًا طَرِيدًا فَنَالَتْهُ هَذِهِ الدَّعْوَةُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا فَرَغَ النَّاسُ مِنْ أُحُدٍ، وَرَأَى أَمْرَ الرَّسُولِ ﷺ فِي ارْتِفَاعٍ وَظُهُورٍ، ذَهَبَ إِلَى هِرَقْلَ مَلِكِ الرُّومِ يَسْتَنْصِرُهُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَوَعَدَهُ وَمَنَّاهُ وَأَقَامَ عِنْدَهُ، وَكَتَبَ إِلَى جَمَاعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ وَالرَّيْبِ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ أَنَّهُ سَيَقْدَمُ بِجَيْشٍ يُقَاتِلُ بِهِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَيَغْلِبُهُ وَيَرُدُّهُ عَمَّا هُوَ فِيهِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَتَّخِذُوا لَهُ مَعْقِلًا يَقْدَمُ عَلَيْهِمْ فِيهِ مَنْ يَقْدَمُ مِنْ عِنْدِهِ لِأَدَاءِ كُتُبِهِ وَيَكُونُ مَرْصَدًا لَهُ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ذَلِكَ.

فَشَرَعُوا فِي بِنَاءِ مَسْجِدٍ مُجَاوِرٍ لِمَسْجِدِ قُبَاءٍ فَبَنَوْهُ وَأَحْكَمُوهُ وَفَرَغُوا مِنْهُ قَبْلَ خُرُوجِ

رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى تَبُوكَ، وَجَاءُوا فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَأْتِيَ إِلَيْهِمْ فَيُصَلِّيَ في مسجدهم ليحتجوا بصلاته فِيهِ عَلَى تَقْرِيرِهِ وَإِثْبَاتِهِ، وَذَكَرُوا أَنَّهُمْ إِنَّمَا بَنَوْهُ لِلضُّعَفَاءِ مِنْهُمْ وَأَهْلِ الْعِلَّةِ فِي اللَّيْلَةِ الشَّاتِيَةِ، فَعَصَمَهُ اللَّهُ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ فَقَالَ: «إِنَّا عَلَى سَفَرٍ وَلَكِنْ إِذَا رَجَعْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ» فَلَمَّا قَفَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَاجِعًا إِلَى الْمَدِينَةِ مِنْ تَبُوكَ وَلَمْ يَبْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا يَوْمٌ أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ، نَزَلَ عَلَيهِ جبريل بِخَبَرِ مَسْجِدِ الضِّرَارِ وَمَا اعْتَمَدَهُ بَانُوهُ مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّفْرِيقِ بَيْنَ جَمَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي مَسْجِدِهِمْ مَسْجِدِ قُبَاءٍ الَّذِي أُسِسَ مِنْ أَولِ يُومٍ عَلَى التَّقْوَى. فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺإِلَى ذَلِكَ الْمَسْجِدِ مَنْ هَدَمَهُ قَبْلَ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ[1]. هَذَا مَا ذَكَرَهُ ابن كثير فِي سَبَبِ النُزولِ.

أَمَّا معْنَى الآياتِ الكَرِيماتِ: أَخْبَرَ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ البَاعِثَ لَهُمْ عَلَى بِنَاءِ المَسْجِدِ أَرْبَعَةَ أُمورٍ:

١- الضِرار لِغَيرِهِمْ، وَهُوَ المُضَارَةِ.

٢- الكُفْر بِاللهِ وَالمُبَاهَاةِ لأَهْلِ الإِسْلامِ، لأَنَّهُمْ أَرَادُوا بِبنَائِه تَقْوِيَة أَهْلِ النِفَاقِ.

٣ـ التَفْرِيق بَيْنَ المُؤْمِنِينَ ، لأَنَّهمْ أَرَادُوا ألاَّ يَحْضُروا مَسْجِدِ قُبَاءٍ فَتَقِل جَمَاعَة المُسْلِمينَ، وَفِي ذَلكِ مِنْ اخْتِلافِ الكَلِمةِ وَبُطْلانِ الألفة مَا لايَخْفَى.

٤- الإِرْصاد لِمَنْ حارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، أَي الإِعْدَادِ لأَجْلِ مَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ[2]

وَقَدْ خيَّب اللهُ -تَعَالَى- مَسْعَاهُمْ، وَأَبْطَلَ كَيْدَهُمْ بِأَنْ أَمرَ نَبيهُ ﷺبِهَدْمِهِ وَإِزَالَتِهِ.

وَقَولِه: ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنا إِلَّا الْحُسْنى﴾ ذَمٌ لَهُمْ عَلَى أَيْمَانِهِمْ الفَاجِرَةِ، وَأَقْوَالِهِمْ

---

[1] تفسير ابن كثير ٤/ ٢١١.

[2] المصدر نفسه ٤/ ٢١٢.

الكَاذِبَةِ؛ لِذَلِكَ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

ثُمَّ نَهَى اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ وَالمُؤمِنِينَ عَنِ الصَلاةِ فِي هَذَا المَسْجِد نَهْيَاً مُؤَكَداً، فَقَالَ سُبْحَانَه: ﴿لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ المُطَّهِّرِينَ﴾.

قال ابن عاشور: وقوله سبحانه: ﴿لا تَقُمْ فِيهِ أَبَداً﴾ المُرَاد بِالقِيَام الصَّلاة؛ لأنَّ أَوَلَهَا قِيَام، وَوَجْهُ النَّهْيِ عَنِ الصَّلَاةِ فِيهِ أَنَّ صَلَاةَ النَّبِيءِ ﷺفِيهِ تُكْسِبُهُ يُمْنًا وَبَرَكَةً فَلَا يَرَى المُسْلِمُونَ لِمَسْجِدِ قُبَاءَ مَزِيَّةً عَلَيْهِ؛ لِذَلِكَ أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺعَمَّارَ بْنَ يَاسِرٍ وَوَحْشِيًّا مَوْلَى المُطْعَمِ بْنِ عَدِيٍّ وَمَالِكَ بْنَ الدَّخْشَمِ وَمَعْنَ بْنَ عَدِيٍّ فَقَالَ: «انْطَلِقُوا إِلَى هَذَا المَسْجِدِ الظَّالِمِ أَهْلُهُ فَاهْدِمُوهُ وَحَرِّقُوهُ» ، فَفَعَلُوا[1] وقوله: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ﴾ احْتِرَاسٌ مِمَّا يَسْتَلْزِمُهُ النَّهْيُ عَنِ الصَّلَاةِ فِيهِ مِنْ إِضَاعَةِ عِبَادَةٍ فِي الْوَقْتِ الَّذِي رَغَّبُوهُ لِلصَّلَاةِ فِيهِ فَأَمَرَهُ اللَّهُ بِأَنْ يُصَلِّيَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الَّذِي دَعَوْهُ فِيهِ لِلصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِ الضِّرَارِ أَنْ يُصَلِّيَ فِي مَسْجِدِهِ أَوْ فِي مَسْجِدِ قُبَاءَ، لِئَلَّا يَكُونَ لِامْتِنَاعِهِ مِنَ الصَّلَاةِ مِنْ حُظُوظِ الشَّيْطَانِ أَنْ يَكُونَ صَرْفُهُ عَنْ صَلَاةٍ فِي وَقْتٍ دُعِيَ لِلصَّلَاةِ فِيهِ، وَهَذَا أَدَبٌ نَفْسَانِيٌّ عَظِيمٌ[2].

وَفِيهِ أَيْضًا دَفْعُ مَكِيدَةِ الْمُنَافِقِينَ أَنْ يَطْعَنُوا فِي الرَّسُولِ ﷺبِأَنَّهُ دُعِيَ إِلَى الصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِهِمْ فَامْتَنَعَ، فَقَوْلُهُ: أَحَقُّ وَإِنْ كَانَ اسْمَ تَفْضِيلٍ فَهُوَ مَسْلُوبُ الْمُفَاضَلَةِ لِأَنَّ النَّهْيَ عَنْ صَلَاتِهِ فِي مَسْجِدِ الضِّرَارِ أَزَالَ كَوْنَهُ حَقِيقًا بِصَلَاتِهِ فِيهِ أَصْلًا.

وَلَعَلَّ نُكْتَةَ الْإِتْيَانِ بِاسْمِ التَّفْضِيلِ أَنَّهُ تَهَكُّمٌ عَلَى الْمُنَافِقِينَ بِمُجَازَاتِهِمْ ظَاهِرًا فِي دَعْوَتِهِمُ النَّبِيءَ ﷺ لِلصَّلَاةِ فِيهِ بِأَنَّهُ وَإِنْ كَانَ حَقِيقًا بِصَلَاتِهِ بِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى

---

[1] نظر: التحرير والتنوير (١١/ ٣١).

[2] المصدر نفسه .

التَّقْوَى أَحَقُّ مِنْهُ، فَيُعْرَفُ مِنْ وَصْفِهِ بِأَنَّهُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى أَنَّ هَذَا أُسِّسَ عَلَى ضِدِّهَا.[1].

وقد رأى ابن عاشور أَنَّ الْمُرَاد بالْمَسْجِدُ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى التَّقْوى أَنَّهُ مَسْجِدَ هَذِهِ صِفَتُهُ لَا مَسْجِدًا وَاحِدًا مُعَيَّنًا، فَيَكُونُ هَذَا الْوَصْفُ كُلِّيًّا انْحَصَرَ فِي فَرْدَيْنِ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ وَمَسْجِدِ قُبَاءَ[2].

قوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ حَدَّثَنِا أَبُا أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ لَمَّا نَزَلَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَثْنَى عَلَيْكُمْ فِي الطُّهُورِ خَيْرًا، فَمَا طُهُورُكُمْ هَذَا؟» قَالُوا: نَتَوَضَّأُ لِلصَّلَاةِ، وَنَغْتَسِلُ مِنَ الْجَنَابَةِ، وَنَسْتَنْجِي بِالْمَاءِ " قَالَ: هُوَ ذَاكَ فَعَلَيْكُمْ بِهِ [3].

---

[1] المصدر نفسه .

[2] المصدر نفسه (١١/ ٣٢).

[3] رواه الحاكم في مستدركه : ٢/ ٣٦٥، حديث (٣٢٨٧).وقال «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ» وصححه الذهبي .

المبحث الثاني

المستفاد من أحداث غزوة تبوك

المستفاد من مسارعة الصحابة لبذل أموالهم في سبيل الله:

فهم المسلمون أن المال وسيلة، واستطاع أغنياء الصحابة أن يبرهنوا أن مالهم في خدمة هذا الدين، يدفعونه عن طواعية ورغبة، وإن تاريخ الأغنياء المسلمين تاريخ مشرف؛ لأن تاريخ المال في يد الرجال لا تاريخ الرجال تحت سيطرة المال، وكما كان الجهاد بالنفس، فكذلك هو بالمال، وإن الذين ربوا على أن يقدموا أنفسهم، تهون عليهم أموالهم في سبيل الله تعالى[1].

إن في مسارعة الموسرين من الصحابة إلى البذل والإنفاق دليلا على ما يفعله الإيمان في نفوس المؤمنين من مسارعة إلى فعل الخير، ومقاومة لأهواء النفس وغرائزها، مما تحتاج إليه كل أمة لضمان النصر على أعدائها، وخير ما يفعله المصلحون وزعماء النهضات هو غرس الدين في نفوس الناس غرسًا كريمًا[2].

المستفاد من غزوة تبوك في التمييز بين المؤمنين والمنافقين:

لقد كانت غزوة تبوك منذ بداية الإعداد لها مناسبة للتمييز بين المؤمنين والمنافقين، وضحت فيها الحواجز بين الطرفين، ولم يعد هناك أي مجال للتستر على المنافقين أو مجاملتهم، بل أصبحت مجابهتهم أمرًا ملحًّا بعد أن عملوا كل ما في وسعهم لمجابهة الرسول والدعوة، وتثبيط المسلمين عن الاستجابة للنفير الذي أعلنه الله تعالى

---

[1] الشامي : معين السيرة، ص٤٤٩.

[2] السباعي: السيرة النبوية دروس وعبر ، ص١٦١.

ورسوله ﷺ والذي نزل به القرآن الكريم، بل وأصبح الكشف عن نفاق المنافقين، وإيقافهم عند حدهم واجبًا شرعيًّا[1].

المستفاد من قصة ابو ذر الغفاري رضي الله عنه:

١- ما تعرض له أبو ذر الغفاري رضي الله عنه من الصعوبات والمخاطر التي نجاه الله منها وقواه بالصبر عليها، لقد بذل أبو ذر جهدًا كبيرًا في المشي على قدميه وهو يحمل متاعه على ظهره حتى لحق بالنبي ﷺ والمسلمين؛ لكي ينال شرف الجهاد في سبيل الله[2].

٢- وفي قوله ﷺ: «رحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده»، دلالة واضحة -وضوح الشمس في رابعة النهار- على صدق نبوة الرسول ﷺ؛ إذ الإخبار بأمور لا تقع ثم تقع بعد الإخبار يدل على معجزة وتكريم من الله لهذا الرسول ﷺ ، وهذه الوسيلة من إثبات النبوة كثيرة في السيرة النبوية الشريفة[3].

المستفاد من قصة ابو خيثمة رضي الله عنه:

١ـ المسلم صاحب ضمير حي:

فقد رأى أبو خيثمة رضي الله عنه ما أعدت له زوجتاه من الماء البارد والطعام مع الظل المبرد والإقامة، فتذكر رسول الله ﷺ وما هو فيه من التعرض للشمس والريح والحر، فأبصر وتذكر وتيقظ ضميره وحاسب نفسه، ثم عزم على الخروج، وخرج

---

[1] الصلابي : السيرة النبوية ١/ ٨١٥.

[2] محمد ابو فارس: الصراع مع الصليبيين، ص١٢٩، الحميدي : التاريخ الإسلامي ٨/ ١١٤.

[3] محمد ابو فارس : الصراع مع الصليبيين، ص١٢٩.

وحده يقطع الفيافي والقفار حتى التقى بعمير بن وهب الجمحي، ولعله كان قادما من مكة، فهذه الصورة تبين لنا مثلا من سلوك المتقين الذين تمر عليهم لحظات ضعف يعودون بعدها أقوى إيمانا مما كانوا عليه إذا تذكروا وراجعوا أنفسهم، وفي بيان ذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾[1].

وقد تذكر سريعا وخرج لعله يدرك ما فاته، وظل يشعر بالذنب حتى وصل إلى النبي ﷺ في تبوك وحصل على رضاه وسروره[2].

٢ـ معرفة الرسول بأصحابه وبمعادنهم:

إن قول الرسول ﷺ حينما قال له أصحابه: هذا راكب على الطريق مقبل: «كن أبا خيثمة»، فلما اقترب وعرفوه قالوا: يا رسول الله، هو –والله– أبو خيثمة، يدل على معرفة رسول الله ﷺ بأصحابه وأنه أعرفهم بمعادن رجاله، يعرف المستجيب من غيره، ويعرف التائب المنيب إلى ربه إذ زلت قدمه بسرعة رجوعه، ومعرفة خصال الرجال ومعادنهم تدل على معرفة واسعة، وخبرة مستوعبة فاحصة نتيجة التعامل والاحتكاك في ميادين الحياة المختلفة، فقد كان يخالط الجميع، يسمع منهم ويسمعهم ويسيرون معه، ويجاهدون تحت رايته[3].

٣ـ حزم أبي خيثمة وصبره ونفاذ عزيمته:

تأمل هذا القرار الذي اتخذه أبو خيثمة رضي الله عنه أن يلحق برسول الله ﷺ وحده، في

---

[1] سورة الأعراف: الآية ٢٠١.

[2] الحميدي: التاريخ الإسلامي ٨/١١١، ١١٢.

[3] محمد ابو فارس: الصراع مع الصليبيين، ص١٣٣.

هذه الرحلة المضنية، في هذه الصحراء القليلة الماء ذات الحر اللافح، لقد اتخذ هذا القرار الحازم ونفذه بدقة، فدل على قوة عزيمته وعنفوان إرادته وعلى جلده وصبره[1].

٤ـ عتاب القائد للجندي له أثره:

وصل أبو خيثمة معترفا بذنبه، يطرح السلاح على رسول الله ﷺ فعاتبه، ﷺ معاتبة تحمل في طياتها اللوم والتأنيب والتهديد، إذ قال له رسول الله ﷺ: «أولى لك يا أبا خيثمة» فهي كلمة فيها معنى التهديد، ومعناها: دنوت من الهلكة.

إنه مما لا شك فيه أن هذا الكلام كان له وقعه في نفس الجندي، إذ أوقفه على حقيقة ما ارتكب من الذنب.

وهذا منهج نبوي كريم في تعليم القادة عدم السكوت على أخطاء الجنود؛ لأن ذلك يضرهم ويلحق الضرر بغيرهم، بل عليهم أن يسعوا إلى تصويب الخطأ ومحاسبة مرتكبه وتقويمه، وبذلك يكونون معلمين ومرشدين ومربين[2].

المستفاد من وصايا رسول الله ﷺ للجيش عند مروره بحجر ثمود:

إن الله عز وجل ما قص علينا من أنباء الأمم الخالية، إلا لكي نأخذ منها العظة والاعتبار، فإذا شهدنا بأعيننا ديارهم التي نزل فيها سخط المولى عز وجل وعذابه الأليم، وجب أن تكون الموعظة أشد، والاعتبار أعمق، والخوف من سخط المولى – سبحانه– أبلغ، ولهذا تسجى النبي صلوات الله وسلامه عليه بثوبه لما مر بالديار

---

[1] المصدر نفسه، ص١٣٣، ١٣٤.

[2] المصدر نفسه، ص١٣٤.

الملعونة المسخوطة واستحث خطا راحلته[1] وقال لأصحابه: «لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين، حذرًا أن يصيبكم ما أصابهم»[2].وهذا منهج نبوي كريم في توجيه رسول الله ﷺ صحابته إلى الاعتبار بديار ثمود، وأن يتذكروا بها غضب الله على الذين كذبوا رسوله، وألا يغفلوا عن مواطن العظة برسومها الدارسة، وأطلالها القديمة، ونهاهم عن الانتفاع بشيء مما في ربوعها، حتى الماء لكيلا تفوت بذلك العبرة، وتخف الموعظة، بل أمرهم بالبكاء، وبالتباكي، تحقيقا للتأثر بعذاب الله، ولو أنهم مروا بها كما نمر نحن بآثار السابقين، لتعرضوا لسخط الله، فإن الغابرين شهدوا المعجزات ودلائل النبوة، وعاينوا العجائب، لكن قست قلوبهم فاستهانوا بها، وحق عليهم العذاب، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون من نقمة الله وغضبه.

المستفاد من قصة مسجد الضرار :

١ـ الكفر ملة واحدة:

وقد تبين هذا في موقف أبي عامر الراهب من الإسلام ومن المسلمين؛ إذ غضب غضبا شديدا، وتألم لهزيمة المشركين في بدر، فأعلن عداءه للرسول، وتوجه إلى عاصمة الشرك مكة يحث أهلها على قتال المسلمين، وخرج مقاتلا معهم في أحد، وحاول تفتيت الصف الإسلامي[3] وصدق الله تعالى عندما قال: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا

---

[1] محمد فوزي فيض الله: صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص٤٨٠.

[2] صحيح البخاري: كتاب الانبياء ، باب قول الله تعالى { وإلى ثمود أخاهم صالحا }٤/١٤٩، حديث ٣٣٨١.

[3] محمد ابو فارس : الصراع مع الصليبيين، ص١٧٩.

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾[1].

٢ـ محاولة التدليس على المسلمين:

حاول المنافقون أن يضفوا الشرعية على هذا البناء وأنه مسجد بنوه لأسباب مقنعة في الظاهر، ولكن لا حقيقة لها في نفوس أصحابها، فقد جاءوا يطلبون من الرسول ﷺ الصلاة في هذا البناء ليكون مسجدا قد باركه رسول الله ﷺ بالصلاة فيه، فإذا حدث هذا فقد استقر قرارهم في تحقيق أهدافهم، وهذا أسلوب ماكر خبيث قد ينطلي على كثير من الناس[2].

٣ـ فالله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين:

إن الباحث ليلاحظ مدى العناية الإلهية بالنبي ﷺ؛ فقد أطلعه الله -عز وجل- على أسرار هؤلاء المنافقين وما أرادوه من تأسيس هذا المسجد، فلولا إعلام الله لرسوله لما أدرك رسول الله حقيقة نواياهم، ولصلى في البناء فأضفى عليه الشرعية وأقبل الناس يصلون فيه لأن رسول الله ﷺ صلى فيه، وبذلك يحدث الاختلاط بين المنافقين وضعاف المسلمين فينفردون بهم وقد يؤثرون عليهم بالشائعات[3].

٤ـ العلاج النبوي الحاسم:

إن ما قام به الرسول ﷺ من الأمر بهدم مسجد الضرار هو التصرف الأمثل، وهذا منهج نبوي كريم سنه لقادة الأمة في القضاء على أي عمل يراد منه الإضرار بالمسلمين وتفريق كلمتهم، فالداء العضال لا يعالج بتسكينه والتخفيف منه، وإنما

---

[1] سورة الأنفال: الآية ٧٣.

[2] المصدر نفسه، ص١٨١.

[3] المصدر نفسه، ص١٨١.

يعالج بحسمه وإزالة آثاره، حتى لا يتجدد ظهوره بصورة أخرى، وإن الثمار العملية، التي لمسها المسلمون على إثر تطبيق الأمر النبوي الحازم لتدلنا على أن هذه المنهجية التي نهجها رسول الله ﷺ مع هذا المكر الخبيث، هي الطريقة المثلى لقمع حركة النفاق في المجتمع المسلم، فقد أصبح أمرهم بعد ذلك يتلاشى شيئا فشيئا حتى لم يبق منهم بعد لحاق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى إلا عدد قليل، ولم يعرف عنهم بعد تدمير مسجد الضرار أن قاموا بأعمال تخدم الهدف نفسه لعلمهم بنتائج العمل بعد انكشافهم[1].

٥ـ كل ما كان ظاهره مشروعا ويريد متخذوه الإضرار بالمؤمنين فهو ملحق بالمسجد الضرار.

المستفاد من قصة الثلاثة الذين خلفوا :

١ـ الصدق سفينة النجاة:

لقد أدرك كعب، وهلال، ومرارة -رضي الله عنهم- خطورة الكذب فعزموا على سلوك طريق الصراحة والصدق وإن عرضهم ذلك للتعب والمضايقات، ولكن كان أملهم بالله -تعالى- كبيرًا في أن يقبل توبتهم ثم يعودون إلى الصف الإسلامي أقوى مما كانوا عليه[2]، وما أجمل ختم رب العالمين توبته على كعب ومن معه بقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾.

---

[1] الحميدي: التاريخ الإسلامي ٨/ ١٣٠.
[2] المصدر نفسه ٨/ ١٣٨.

٢ـ الهجر التربوي وأثره في المجتمع:

إن الهجر التربوي له منافعه العظيمة في تربية المجتمع المسلم على الاستقامة ومنع أفراده من التورط في المخالفات التي تكون إما بترك شيء من الواجبات أو فعل شيء من المحرمات؛ لأن من توقع أنه إذا وقع في شيء من ذلك سيكون مهجورا من جميع أفراد المجتمع، فإنه لن يفكر في الإقدام على ذلك.

ولا يغيب عن البال أن تطبيق هذا الحكم يجب أن يتم في الظروف المشابهة لحياة المسلمين في العهد النبوي المدني، حيث توجد الدولة المهيمنة والمجتمع القوي، مع أمن الوقوع في الفتنة لمن طبق عليه هذا الحكم.

وهذا الهجر التربوي يختلف عن الهجر الذي يكون بين المسلمين على أمور الدنيا، فهذا دنيوي وذاك ديني، فالهجر الديني مطلب شرعي يثاب عليه فاعله، أما الهجر الدنيوي فإنه مكروه إلا إذا زاد عن ثلاثة أيام فإنه يكون محرما[١] لقول رسول الله ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالٍ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام» [٢]ولقوله ﷺ: «من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه»[٣].

٣ـ تنفيذ أوامر القيادة في المجتمع المسلم:

استجاب المجتمع المسلم كله لتنفيذ أمر المقاطعة والهجر الذي صدر من القائد الأعلى ﷺوامتنعوا جميعا عن الحديث مع هؤلاء الثلاثة، ووصف كعب لنا ذلك

---

[١]المصدر نفسه (١٣٩/٨).

[٢]صحيح البخاري: كتاب الادب ، باب الهجرة ٢١/٨، حديث (٦٠٧٧).

[٣]رواه الحاكم في مستدركه: ١٨٠/٤، حديث(٧٢٩٢) . وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ".

فقال:... فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا، حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق، ولا يكلمني أحد[1]... وقد أطلق كعب السلام على ابن عمه أبي قتادة فلم يرد عليه السلام، وناشده بالله مرارًا: هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت، مع أنه من أحب الناس إليه، لقد كان أبو قتادة في هذا الموقف موزع الفكر بين إجابة رجل حبيب إليه عزيز عليه، وبين تنفيذ أمر النبي ﷺبتطبيق الهجر التربوي، ولكن ليس هناك تردد بين الأمرين، فالذي أوحى به إيمان أبي قتادة هو تنفيذ أمر النبي ﷺ فظهر ذلك على سلوكه[2].

وقد بلغ الالتزام بالأمر النبوي في الهجر التربوي ذروته حين أمر رسول الله ﷺ الثلاثة الذين خلفوا باعتزال زوجاتهم حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا، فالتزم الجميع بذلك، واستأذنت زوجة هلال بن أمية -وكان شيخا طاعنا في السن لا يجد من يخدمه- فطلبت من الرسول ﷺأن يأذن لها أن تخدمه فأذن لها النبي ﷺبذلك شريطة ألا يقربها؛ فالتزمت رضي الله عنها[3].

٤ـ الولاء التام لله ورسوله:

كان العدو الصليبي يراقب ويرصد ويستغل الفرصة السانحة لكي يمزق الجبهة الداخلية ويشعل نار الفتنة بين المسلمين ليوهن البنيان ويقوض الأركان، ولذلك

---

[1] محمد ابو فارس : الصراع مع الصليبيين، ص١٩٥.

[2] الحميدي: التاريخ الإسلامي ٨/ ١٤٠.

[3] محمد ابو فارس : الصراع مع الصليبين، ص١٩٦.

استغل ملك غسان فرصة هجران المسلمين لكعب بن مالك ﷺ وعقوبة رسول الله ﷺله، بأن يرسل سفيره لكعب برسالة خاصة منه إليه يغريه فيها، تأمل قوله: قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة، فالحق بنا نواسك[1] . فكان تعليق كعب على هذه الرسالة: وهذا من البلاء أيضا، قد بلغ مني ما وقعت فيه أن طمع فيَّ رجال من أهل الشرك، ثم أحرق الرسالة[2] وهذا الموقف يدل على شدة ولاء كعب لله ورسوله وقوة إيمانه وعظمة نفسه، فقد أدرك أنها محنة جديدة أقسى من الأولى، فلا يرضيه أن يجيب ملك غسان بالسلب، أو يرمي بالكتاب ويمزقه، ولكنه رمى به في التنور ليصير رمادا، ويصير كل ما به دخانا يتبدد في الهواء، وخرج الرجل من محنته وهو أقوى ما يكون إيمانا، وأصفى ما يكون روحا، وأكرم ما يكون أخلاقا، فيالعظمة هذه النفوس المؤمنة الكبيرة[3] ! لقد مر كعب من فوق هذا الاختبار والابتلاء عزيزًا قويًا بإسلامه، لم يتأثر به ولا انزلق فيه[4] .

٥- توبة الله على العبد قيمة دينية يتطلع إليها الصادقون:

عندما نزلت الآيات الكريمة التي بينت توبة الله على هؤلاء الثلاثة كان ذلك اليوم من الأيام العظيمة عند المسلمين، ظهرت فيه الفرحة على وجه رسول الله ﷺحتى استنار كأنه قطعة قمر، وظهرت الفرحة على وجوه الصحابة -رضي الله عنهم- حتى صاروا يتلقون كعبًا وصاحبيه أفواجًا يهنئونهم بما تفضل الله به عليهم

---

[1] صحيح البخاري: كتاب المغازي ، باب حديث كعب بن مالك ٣/٦، حديث(٤٤١٨).

[2] الواقدي : المغازي ١٠٥١/٣، ١٠٥٢.

[3] ابو شهبة : السيرة النبوية ٥١٧/٢.

[4] البوطي : فقه السيرة ، ص٣٠٧.

من التوبة، وجاء كعب إلى النبي ﷺ ووجهه يبرق من السرور فقال له: أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك، وهذا يعني مقام التوبة وأنها أعظم من الدخول في الإسلام.

إن التوبة تعني عودة العبد إلى الدخول تحت رضوان الله تعالى الذي هو أعلى هدف ينشده المسلم، وبالتالي فإنه يحظى بحفظه -جل وعلا- في الدنيا وتكريمه في الآخرة، لقد كانت توبة كعب عظيمة عبر عنها بنزع ثوبيه -اللذين لا يملك يومئذ غيرهما- وإهدائهما لمن بشره[1] وعدم نسيان كعب لطلحة بن عبيد الله مصافحته وتهنئته له[2] وكذلك كانت فرحة صاحبيه عظيمة غير أن كعبا لم يذكر في هذا الخبر إلا ما جرى له[3] وقد جاء في رواية الواقدي: وكان الذي بشر هلال بن أمية بتوبته سعيد بن زيد قال: وخرجت إلى بني واقف فبشرته فسجد، قال سعيد: فما ظننته يرفع رأسه حتى تخرج نفسه[4].

٦ـ تشرع أنواع من العبادات شكرًا لله عند النعمة:

كانت فرحة كعب بن مالك بتوبة الله -سبحانه وتعالى- عليه لا تحدها حدود، ولا يتصورها مثل، وقد تفنن هو رضي الله عنه في التعبير عنها بجملة من العبادات منها:

أ- سجود الشكر: حينما سمع كعب البشارة بتوبة الله عليه خر ساجدًا من فوره شكرًا لله -تبارك وتعالى- فقد كان من عادة الصحابة رضي الله عنهم أن يسجدوا شكرًا لله -

---

[1] الحميدي: التاريخ الإسلامي ٨/ ١٤١.
[2] ابو شهبة : السيرة النبوية ٢/ ٥٨١.
[3] الحميدي: التاريخ الإسلامي ٨/ ١٤٢.
[4] الواقدي: المغازي ٣/ ١٠٥٤.

تعالى- كلما تجددت لهم نعمة أو انصرفت عنهم نقمة، وقد تعلموا ذلك من رسول الله ﷺ[1].

ب- مكافأة الذي يحمل البشرى: فقد نزع كعب ثوبيه اللذين كان يلبسهما، فكساهما الذي سمع صوته بالبشرى، وما كان يملك وقتئذ غيرهما، ثم استعار ثوبين فلبسهما، ولا شك أن هذا ضرب من الهبة المشروعة، فإن كان المبشر غنيا كان له هدية، وإن كان فقيرا كان له صدقة، وكلاهما إخراج المال شكرا لله -تعالى- على إنزاله الفرج[2].

ج- التصدق بالمال: فقد جعل كعب من توبته أن ينخلع من ماله صدقة لله تعالى، لكنه -عليه الصلاة والسلام- لم يتقبل منه التصدق بجميع ماله، وقال له: «أمسك عليك بعض مالك، فهو خير لك»، وكأنه يستشيره بذلك، فكانت المشورة بإمساك بعض ماله[3] وقد ثار الخلاف الفقهي فيمن نذر التصدق بجميع ماله، والصدقة مستحبة، والنذر واجب الوفاء، ولم يذهب كعب إلى النذر، وإنما استشار في الصدقة بكل المال، فأشار رسول الله ﷺ عليه بإمساك بعض ماله.

المستفاد من الآيات التي نزلت بشأن المنافقين في غزوة تبوك:

١ـ المنافقون يحلفون بالله كذباً : قال تعالى: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[4].

---

[1] محمد فوزي فيض الله: صور وعبر من الجهاد النبوي، ص٤٩٣.

[2] نفس المصدر، ص٤٩٣، محمد ابو فارس : الصراع مع الصليبيين، ص٢٠٢.

[3] محمد فوزي فيض الله : صور وعبر من الجهاد النبوي، ص٤٩٣.

[4] سورة التوبة : الآية ٤٢.

٢ـ المؤمن لا يستأذن في الجهاد بينما يستأذن المنافق في القعود عن الجهاد : قال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾[١].

٣ـ ترك المنافقون الاستعداد للجهاد دليل على إرادتهم التخلف عنه: قال تعالى:﴿ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴾[٢].

٤ـ التخلف عن الجهاد وقوع في الإثم العظيم : قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾[٣].

٥ـ لايُقبل إنفاق المنافق : قال تعالى: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾[٤].

٦ـ لا ينبغي الإعجاب بأموال المنافقين ولا أولادهم :قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾[٥].

٧ـ المتخلف عن غزوة تبوك لا يؤذن له بالإشتراك في غيرها: قال تعالى: ﴿فَإِنْ

---

[١] سورة التوبة : الآيتان ٤٤ـ٤٥.
[٢] سورة التوبة : الآية ٤٦.
[٣] سورة التوبة : الآية رقم٤٩.
[٤] سورة التوبة : الآية رقم ٥٣.
[٥] سورة التوبة : الآية رقم ٥٥.

رَجَعَكَ اللهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾[1].

٨ـ لايُصدق المنافق بعد ان ظهر كذبه ونفاقه: قال تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[2].

٩ـ يحلف المنافق ليرضى عنه المؤمن : قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَى عن الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[3].

١٠ـ لا فائدة من معاتبة المنافقين : قال تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ.

١١ـ المنافقون يسخرون من المؤمنين : قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[4].

١٢ـ المنافقون يقولون كلمة الكفر وينكرونها : قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَابًا

---

[1] سورة التوبة : الآية رقم ٨٣.
[2] سورة التوبة : الآية رقم ٩٤.
[3] سورة التوبة : الآية ٩٦.
[4] سورة التوبة : الآية ٧٩.

أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[1].

١٣ـ المنافق يرضي الناس ولا يرضي الله ورسوله : قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [2].

١٤ـ المنافقون ليسوا من المؤمنين : قال تعالى: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (٥٦) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴾[3].

---

[1] سورة التوبة : الآية ٧٤.

[2] سورة التوبة : الآية ٦٣.

[3] سورة التوبة : الآيتان ٥٦ـ٥٧.

الفصل الرابع عشر

حجة الوداع

تمهيد:

إنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابْ ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ مُنْتَهَاه ، وَلِكُلِّ سَفَرٍ مَهْمَا طَالَ مَحَطَّةٌ اخْيرَةٌ يَضَعُ فِيهَا المُسَافِرُ رحْلَهُ ، وَهَا هُوَ نبيُّنَا الكَرِيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَشعِر بِحِسِّه العَمِيقِ ، وَبِبَصِيرَتِهِ الَّتِي أَشْرَقَت بِنُورِ اللهِ سُبْحَانه : أَنَّ رِحْلَتَه اقْتَرَبَتْ مِنْ مَحَطَتِهَا الأَخْيرَة ، فأَحَبَّ أَنْ يُعَلِّم أُمَّتَهُ بِنَفْسِه فَرِيضَة الحَجِّ لِيَكونَ هَذَا دَرْساً عَمَلِيَّاً تَطْبِيقِيَّاً وَأَمْرَاً تَبْلِيغِيّاً ، فَكَمَا بَلَّغَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاسَ أمرَ الصَّلاة ، وَالزَّكَاةِ ، وَالصَّومِ ، كَانَ عَلَيهِ أَنْ يبلِّغهم أَمرَ الحَجِّ ، وَسَنَتناوَل فِي هَذا الفَصْل مُخْتَصَراً لِوَقَائِع حَجَّة الوَدَاع[1] وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْهَا فِي مَبْحَثَيْنِ مُسْتَقِلينِ وَعَلَى النَّحوِ التَّالِي:

المَبْحَث الأَوَل : مُخْتَصَر وَقَائِع حَجَّةِ الوَدَاع.

المَبْحَثِ الثَّانِي : المُسْتَفاد مِنْ حَجَّةِ الوَدَاع.

---

[1] وسميت بحجة الوداع ؛لقول رسول الله ﷺ فيها وهو يرمي جمرة العقبة : لِتَأْخُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ , فَإِنِّي لَا أَدْرِي , لَعَلِّي لَا أَحُجُّ بَعْدَ حَجَّتِي هَذِهِ. انظر : صحيح مسلم ٢/٩٤٣، حديث(١٢٩٧).

المبحث الاول

مختصر وقائع حجة الوداع

مختصر حجة الوداع[1]:

عِنْدَ حُلولِ شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ مِنَ السَّنَةِ العَاشِرَة لِلهِجْرَة أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي التَّجهزِ لِلحَجِّ ، وَأَذِنَ فِي النَّاسِ بِذَلكَ وَأَمَرَهُمْ بِالتَجهُزِ . فَجَاءَ المُسْلِمونَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ وَصَوبٍ ، مِنَ القُرَى وَالبَوَادِي ، وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَعهُ اكْثَرْ مِنْ مَائَة أَلفٍ قَاصِدينَ بَيتِ اللهِ الحَرامِ لأَدَاءِ الحَجِّ ، وَهُمْ يُلبُّونَ ويُكَبِّرُونَ وَيُهَلِلُونَ . وَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَكَّةَ فِي الْيَوْمُ الرَابِعْ مِنْ ذِي الْحَجَّةِ ، وَلَمَّا عَاينَ ﷺ الْكَعْبَةَ المُشَرَّفَة ، قال : « اللَّهُمَّ زِدْ هَذَا الْبَيْتَ تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا وَمَهَابَةً وَزِدْ مَنْ شَرَّفَهُ وَكَرَّمَهُ مِمَّنْ حَجَّهُ وَاعْتَمَرَهُ تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا وَبِرًّا »[2]، ثَمَّ طَافَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺبِالْكَعْبَةِ وَهُوَ رَاكِبٌ نَاقَتَهُ ، ثَمَّ سَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ،ثُمَّ خَرَجَ إِلَى مِنًى فِي الْيَوْم الثَّامِن مِنْ ذِي الْحِجَّة بعد أن أَحْرَمَ بِالحَجِّ ، وصَلَّى فِيهَا وَأَصْحَابَهُ الظُّهْرَ والْعَصْرَ والْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ و الْفَجْرَ، وَبَعدَ شُروقِ شَمْسِ الْيَوْمِ التَّاسِعِ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺوَأَصْحَابَهُ قَاصِدينَ عَرَفَات .

---

[1] اكرم العمري : السيرة النبوية ٢/٥٤٩-٥٥١. ابو شهبة : السيرة النبوية ٢/٥٦٧. عبد الكريم زيدان :المستفاد من قصص القرآن ٢/٥١٣.

[2] البيهقي : السنن الكبرى : ٥/٧٣، حديث (٩٤٨٠).

خطبة النبي ﷺ في عرفات :

وَفِي عَرَفَات خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هَذِه الجُموعِ مِنَ المُسْلِمينَ خُطْبَتهُ الجَامِعَة ، وَمِمَا جَاءَ فِيهَا قَولُهُ ﷺ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمّ قَالَ: أَيّهَا النّاسُ، اسْمَعُوا قَوْلِي، فَإِنّي لَا أَدْرِي لَعَلّي لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَبَدًا، أَيّهَا النّاسُ، إنّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إلَى أَنْ تَلْقَوْا رَبّكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، وَكَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا، وَإِنّكُمْ سَتَلْقَوْنَ رَبّكُمْ، فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، وَقَدْ بَلّغْت، فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةٌ فَلِيُؤَدّهَا إلَى مَنْ ائْتَمَنَهُ عَلَيْهَا، وَإِنّ كُلّ رِبًا موضوع، ولكن لكم رؤوس أَمْوَالِكُمْ، لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ[1].

« أَلاَ كُلُّ شَىْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَىَّ مَوْضُوعٌ وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِى بَنِى سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ فَاتَّقُوا اللَّهَ فِى النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لاَ يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ. فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ. وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّى فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ ». قَالُوا نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ. فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ « اللَّهُمَّ اشْهَدِ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ». ثَلاَثَ مَرَّاتٍ[2].

« أَلاَ إِنَّ كُلَّ رِبًا مِنْ رِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ لَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ

---

[1] ابن هشام :السيرة النبوية ٢/٦٠٣.

[2] صحيح مسلم: ٢/٨٨٦، حديث (١٢١٨).

تُظْلَمُونَ أَلاَ وَإِنَّ كُلَّ دَمٍ مِنْ دَمِ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ دَمٍ أَضَعُ مِنْهَا دَمَ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ كَانَ مُسْتَرْضَعًا فِي بَنِي لَيْثٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ اللَّهُمَّ قَدْ بَلَّغْتُ ». قَالُوا : نَعَمْ ثَلاَثًا قَالَ :« اللَّهُمَّ اشْهَدْ ». ثَلاَثَ مَرَّاتٍ[1].

إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبَدَ بِأَرْضِكُمْ، وَلَكِنَّهُ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا تَحَاوَرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَاحْذَرُوا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا: كِتَابَ اللهِ، وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ، إِنَّ كُلَّ مُسْلِمٍ أَخُو الْمُسْلِمِ، الْمُسْلِمُونَ إِخْوَةٌ، وَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ مِنْ مَالِ أَخِيهِ إِلَّا مَا أَعْطَاهُ عَنْ طِيبِ نَفْسٍ، وَلَا تَظْلِمُوا ولَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ[2].

اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ، فَإِنَّهُنَّ عِنْدَكُمْ عَوَانٍ ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ، فَإِنْ فَعَلْنَ ، فَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ ، فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً[3].

يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى[4].

---

(1) البيهقي : السنن الكبرى ٥/٢٧٥، حديث (١٠٧٧١). رواه ابو داؤد في سننه ٣/٢٤٩،حديث(٣٣٣٦).وقال الالباني :حديث صحيح.

(2) البيهقي : دلائل النبوة ٥/٤٤٩.

(3) رواه ابن ماجه في سننه : ٣/٥٧،حديث (١٨٥١). وقال الالباني :حديث حسن .

(4) اسناده صحيح : رواه احمد في مسنده : ٣٨/٤٧٤،حديث (٣٣٤٨٩).

ما نزل من القرآن في يوم عرفه:

رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ عَنْ آيَة﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ أَنَّهَا أُنْزِلَتْ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاقِفٌ بِعَرَفَةَ[1]. وَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ بَكَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقِيلَ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ بَعْدَ الْكَمَالِ إِلَّا النُّقْصَانُ[2].

من خطبته ﷺ يوم النحر في منى :

وَفِي يَوْمُ النَّحْرِ بِمِنَىً خَطَبَ عَلَيْهِ السَّلامُ خُطْبَة أُخْرَى ، وَمِمَا جَاءَ فِيهَا قَوْلُهُ:« أَيُّ شَهْرٍ هَذَا ؟ ». قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ :« أَلَيْسَ ذُو الْحِجَّةِ ». قُلْنَا : بَلَى قَالَ :« فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟ ». قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ :« أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ ». قُلْنَا : بَلَى قَالَ :« فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ ». قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ :« أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ ». قُلْنَا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ :« فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ ». قَالَ مُحَمَّدٌ وَأَحْسِبُهُ قَالَ :« وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ فَلاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلاَّلاً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ أَلاَ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلَّغُهُ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ »[3].

---

[1] صحيح البخاري : كتاب المغازي ، باب حجة الوادع ١٧٧/٥، حديث(٤٤٠٧).

[2] ابن كثير : السيرة النبوية ٤٢٧/٤.

[3] صحيح البخاري : كتاب المغازي ، باب حجة الوادع ٦١٩/٢، حديث (١٦٥٢).

خطبة ثالثة لرسول الله ﷺ :

وخَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ السَّلامُ خُطْبَة أُخْرَى في مِنَىً أَوْسَطِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، وَهُوَ يَوْمُ النَّفْرِ الْأَوَّل، وَهِيَ تَأكيد لِبَعْضِ مَا جَاءَ فِي خُطْبَتي عَرَفَه وَيَومَ النَّحْرِ بِمِنىً ، وَالواقِعْ أَنَّ تِكْرَارِ الخُطَبْ فِي حَجَّةِ الوَدَاع كَانَ أَمْراً لابُدَّ مِنْهُ لِحَاجَةِ المُسْلِمينَ ، وَلأنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَسَّ بِأنَّ حُجَّتَهُ هَذِهِ هِيَ الأخيرَة ، بَلْ وَصَرحَ بِذَلكَ ﷺ فَكَانَ مِنْ شَفَقَتِهِ بِأمَتِه أَنْ كَرَّرَ عَلَيهِم خُطَبَهُ تَأكيداً لِلمَعاني الَّتِي وَرَدَتْ فِي خُطَبِه ، وَرَأى ﷺحَاجَتَهُمْ إِلَى سَماعِهَا وَتِكْرَارِهَا عَلَيهِمْ ؛ لِيَّحْفَظوهَا وَيَعوهَا وَيُبَلِغُوهَا إِلَى مَنْ لا يَحْضَر جَمْعهمْ ، بَلْ وَأَمَرَهُمْ بِهَذَا التَّبْليغ [1].

ما نزل من القرآن في أيام التشريق بمنى :

عَنِ ابْنَ عُمَرَ ، إنَّ هَذِهِ السُّورَة أُنْزِلَتْ على رَسُولِ اللَّهِ ﷺفي أَوْسَطَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ بِمَنًى، وَهُوَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ، فَعَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺأَنَّهُ الْوَدَاعُ[2].

---

[1] عبد الكريم زيدان : المستفاد من قصص القرآن ٢/ ٥١٥.

[2] ابن حجر العسقلاني : المطَالبُ العَاليَةُ بِزَوَائِدِ المسَانيد الثّمَانِيَةِ ١٣/ ٤٨٣.

المبحث الثاني

المستفاد من حجة الوداع

المستفاد من خطبة النبيﷺ يوم عرفة:

١ - تربية الأفراد على قطع الصلة بالجاهلية والابتعاد عن الذنوب: فقد أشار ﷺإلى أهمية قطع المسلم علاقته بالجاهلية، أوثانها، وثاراتها، ورباها، وغير ذلك، ولم يكن حديثه ﷺمجرد توصية بل كان قرارًا أعلن عنه للملأ كله لأولئك الذين كانوا من حوله والأمم التي ستأتي من بعده، وهذه هي صيغة القرار: «ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية، تحت قدمي موضوع، دماء الجاهلية موضوعة ... وربا الجاهلية موضوع» لأن الحياة الجديدة التي يحياها المسلم بعد إسلامه حياة لا صلة لها برجس الماضي وأدرانه[١].

٢ - التحذير من الذنوب والخطايا والآثام، ما ظهر منها وما بطن؛ لأن الذنوب والخطايا تفعل بالفرد ما لا يفعله العدو بعدوه، فهي سبب مصائبه في الدنيا ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[٢]فترديه في نار جنهم في الآخرة، وتفعل في المجتمعات ما لا يفعله السيف، وأعلن رسول الله ﷺ أنه لا يقصد بالخطايا العودة إلى عبادة الأصنام؛ لأن العقول التي تفتحت على التوحيد، ترفض أن تعود إلى الشرك الظاهر، ولكن الشيطان لا ييأس من أن يجد طريقه إليها من ثغرات الخطايا والذنوب، حتى تردي صاحبها في المهاوي[٣].

---

[١] محمد قلعجي : قراءة سياسية للسيرة النبوية، ص٣٠٣.

[٢] سورة الشورى ، الآية ٣٠.

[٣] محمد قلعجي : قراءة سياسية للسيرة النبوية، ص٣٠٣.

٣ – تربية المجتمع على مبدأ الأخوة في الله؛ فهي العروة الوثقى التي تربط بين جميع المسلمين ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[١] فقد قال ﷺ: «أيها الناس، اسمعوا قولي واعقلوه، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم» وقال: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا حتى تلقوا ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي ضُلالاً يضرب بعضكم رقاب بعض».

٤ـ تربية المجتمع على مبدأ الوقوف بجانب الضعيف؛ حتى لا يكون هذا الضعف ثغرة في البناء الاجتماعي، فأوصى ﷺفي خطبته بالمرأة والرقيق على أنهما نموذجان عن الضعفاء[٢] ، فقد شدد ﷺ في وصيته على الإحسان إلى الضعفاء[٣] وأوصى خيرا بالنساء، وأكد في كلمة مختصرة جامعة القضاء على الظلم البائد للمرأة في الجاهلية، وتثبيت ضمانات حقوقها وكرامتها الإنسانية التي تضمنتها أحكام الشريعة الإسلامية[٤].

٥– التعاون مع الدولة الإسلامية على تطبيق أحكام الإسلام، والالتزام بشرع الله؛ ولو كان الحاكم عبدًا حبشيًّا، فإن في ذلك الصلاح والفلاح، والنجاة في الدنيا والآخرة[٥] فقد بين ﷺالعلاقة بين الحاكم والمحكوم بأنها تعتمد على السمع والطاعة ما دام الرئيس يحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فإذا مال عنهما فلا سمع

---

[١] سورة الحجرات ، الآية ١٠.

[٢] قراءة سياسية للسيرة النبوية، ص٣٠٤.

[٣] كامل سلامة الدقس : دولة الرسول من التكوين إلى التمكين، ص٥٧٥.

[٤] البوطي: فقه السيرة ،ص٣٢٥.

[٥] كامل سلامة الدقس : دولة الرسول من التكوين إلى التمكين، ص٥٧٦.

ولا طاعة، فالحاكم أمين من قبل المسلمين على تنفيذ حكم الله تعالى[1].

٦- تربية المجتمع على مبدأ المساواة بين البشر: فقد قال ﷺ: «لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض، إلا بالتقوى، الناس من آدم، وآدم من تراب» حيث حدد أن أساس التفاضل لا عبرة فيه لجنس، ولا لون، ولا وطن، ولا قومية، وإنما أساس التفاضل قيمة خلقية راقية ترفع مكانة الإنسان إلى مقامات رفيعة جدا[2].

٧- تحديد مصدر التلقي: وقد حدد ﷺمصدر التلقي والطريقة المثلى لحل مشاكل المسلمين التي قد تعترض طريقهم في الرجوع إلى مصدرين لا ثالث لهما، ضمن لهم بعد الاعتصام بهما الأمان من كل شقاء وضلال، وهما: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإنك لتجده يتقدم بهذا التعهد والضمان إلى جميع الأجيال المتعاقبة من بعده، ليبين للناس أن صلاحية التمسك بهذين الدليلين ليست وقفًا على عصر دون آخر، وأنه لا ينبغي أن يكون لأي تطور حضاري أو عرف زمني أي سلطان أو تغلب عليهما[3].

لقد وصف صلى الله عليه وسلم الداء والدواء، ووضع العلاج لكل المشكلات بالالتزام التام بما جاء من أحكام من في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا: كتاب الله وسنتي» هذا هو العلاج الدائم، وقد كرر ﷺ نداءه للبشرية عامة، عبر الأزمنة والأمكنة، بوجوب الاهتداء بالكتاب والسنة في حل جميع المشكلات التي تواجه البشرية، فإن الاعتصام بهما يجنب الناس

---

[1] البوطي: فقه السيرة ، ص٣٣١.

[2] محمد صادق عرجون :الموسوعة في سماحة الإسلام٢/ ٨٧٦.

[3] البوطي: فقه السيرة ، ص٣٣١.

الضلال ويهديهم إلى التي هي أقوم في الحاضر والمستقبل، لقد اجتازت تعاليم رسول الله ﷺوهديه حدود الجزيرة، واخترقت حواجز الزمن، وأسوار القرون، وظل يتردد صداها حتى يوم الناس هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فلم يكن يخاطب سامعيه فيقول لهم: أيها المؤمنون، أو أيها المسلمون، أو أيها الحجاج .. بل كان يقول لهم: يا أيها الناس، وقد كرر نداءه إلى الناس كافة مرات متعددة دون أن يخصصه بجنس أو بزمان أو مكان أو لون، فقد بعثه الله للناس كافة وأرسله رحمة للعالمين[1].

المستفاد من الأساليب التعليمية من خطب حجة الوداع:

أ- التعليم بمباشرة ما يراد تعليمه:

علَّم رسول الله ﷺصحابته الكرام مناسك الحج بصورة عملية، بأن قام بها وباشرها فعلا، ولم يكتف بأن يعلمها لهم قولاً، ولذلك قال لهم: «خذوا عني مناسككم»[2] وعلى هذا فيستحسن من الدعاة وهم يعلمون الناس معاني الإسلام، أن يعلموهم هذه المعاني، والمطلوبات الشرعية، أو بعضها -في الأقل- بصورة عملية، كالوضوء، والصلاة، وتعليم قراءة القرآن بصورة سليمة[3].

ب- تكرار الخطب:

لاحظنا أن النبي ﷺ كرر خطبه، فقد خطب في عرفة، وفي منى مرتين، كما كرر معاني بعض هذه الخطب، فعلى الدعاة أن يقتدوا برسول الله ﷺ، فيكرروا خطبهم

---

[1] أحمد محمد باشميل : الجانب السياسي في حياة الرسول، ص١٣١.

[2] العمري : السيرة النبوية الصحيحة (٢/ ٥٤٩). صحيح مسلم ٢/٩٤٣، حديث(١٢٩٧).

[3] عبد الكريم زيدان : المستفاد من قصص القرآن ٢/ ٥١٨.

ويكرروا بعض معانيها التي يرون حاجة لتكرارها، حتى يستوعبها السامعون ويحفظوها؛ لأن القصد من خطب الخطيب إفادة السامعين بما يقول، فإذا كانت الفائدة لا تحصل -أو لا تتم- إلا بتكرار الخطب من حيث عددها، أو بتكرارها من حيث تكرار معانيها، فليكررها الداعية، ولا يكون حرصه على أن يأتي بجديد في خطبه ما دام يرى الحاجة في ترسيخ معان معينة في أذهان السامعين، إن الداعية همه أن يفيد السامعين، وليس همه أن يظهر براعته في الخطب، وفي تنوع معانيها، دون نظر ولا اعتبار إلى ما يحتاجه السامعون، ودون اعتبار لفهمهم هذه المعاني واستيعابهم لها[1].

ج- فليبلغ الشاهدُ الغائبَ:

وفي هذا توجيه نبوي كريم لكي تعم الفائدة أكبر عدد ممكن من الناس؛ فهذا من باب التعاون على الخير، ولأن الغائب قد يكون أوعى للعلم وأكثر فهمًا له من الحاضر الذي سمع، وعلى الدعاة والعلماء عندما يلقون درسا أو محاضرة لإخوانهم أو لعامة الناس فمن المستحسن أن يقولوا للحاضرين: فليبلغ الحاضر منكم الغائب بما سمعه.

د- جلب انتباه الحاضر لما يقوله الخطيب:

ويستفاد من سؤال النبي ﷺ الحاضرين عن اسم اليوم الذي هم فيه، وكذا عن الشهر والبلد وهم يعرفونها؛ مما يجلب انتباههم إلى ما قد عسى أن يريده بطرح هذه الأسئلة فيصغون إليها إصغاء تامًّا، قال القرطبي: سؤال النبي ﷺ عن الثلاثة -أي عن اليوم والشهر والبلد- وسكوته بعد كل سؤال منها كان لاستحضار فهومهم،

---

[1] عبد الكريم زيدان : المستفاد من قصص القرآن٢/ ٥١٧، ٥١٨.

وليقبلوا عليه بكليتهم، وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه .. فعلى العلماء والدعاة أن يقدموا بين يدي ما يقولونه ما يدعو إلى جلب انتباه السامعين ويشدهم إلى كلامهم[1].

بعض الأحكام الفقهية المستفادة من حجة الوداع:

جاءت حجة الوداع حافلة بالأحكام الشرعية خاصة ما يتعلق بالحج وبالوصايا والأحكام التي وردت في خطبة عرفات؛ لذلك اهتم العلماء بحجة الوداع اهتماما كبيرا واستنبطوا منها الكثير من أحكام المناسك وغيرها مما تحفل به كتب الفقه وكتب شروح الحديث، وخصص بعضهم مؤلفات مستقلة في حجة الوداع[2].

ونشير إلى بعض هذه الأحكام باختصار شديد فمن هذه الأحكام:

أ- إفطار الحاج يوم عرفة: قالت ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها زوج النبي ﷺ: إن الناس شكوا في صيام رسول الله ﷺيوم عرفة، فأرسلت إليه ميمونة بحلاب[3] اللبن، وهو واقف في الموقف، فشرب منه، والناس ينظرون إليه[4].

ب- كيف يفعل بمن توفي محرما؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما: بينما رجل واقف مع رسول الله ﷺبعرفة إذ وقع عن راحلته، فوقصته -أو قال فأوقصته- [5]

---

[1] عبد الكريم زيدان : المستفاد من قصص القرآن ٢/ ٥١٨.

[2] العمري :السيرة النبوية الصحيحة (٢/ ٥٤٩) , ما ألفه الألباني «حجة النبي» وغيره.

[3] الإناء الذي يحلب فيه.

[4] صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب صوم يوم عرفة،٣/٤٢ حديث رقم ١٩٨٩.

[5] فوقصته: قتلته في الحال.

فذكر ذلك للنبي ﷺفقال: «اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبين، ولا تحنطوه[1] تخمروا رأسه[2] فإن الله يبعثه يوم القيامة ملبيًا»[3].

ج- هل يجوز الحج عن الغير؟ قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان الفضل رديف رسول الله ﷺ، فجاءت امرأة من خثعم، فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه، وجعل النبي ﷺيصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر، فقالت: يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت أبي شيخًا كبيرًا لا يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال: «نعم» وذلك في حجة الوداع[4].

د- منهج التيسير: لا حرج، لا حرج: قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: وقف رسول الله ﷺعلى راحلته، فطفق ناس يسألونه فيقول القائل: يا رسول الله، إني لم أكن أشعر أن الرمي قبل النحر فنحرت قبل الرمي، فقال رسول الله ﷺ: «فارم ولا حرج» قال: وطفق آخر يقول: إني لم أشعر أن النحر قبل الحلق، فحلقت قبل أن أنحر، فيقول: «انحر ولا حرج» ، قال: فما سمعته يُسأل يومئذ عن أمر، مما ينسى المرء ويجهل من تقديم بعض الأمور قبل بعض وأشباهها، إلا قال رسول الله ﷺ: «افعل ولا حرج».

---

[1] لا تحنطوه: لا تضعوا عليه من الطيب شيئا.

[2] لا تخمروا رأسه: لا تغطوا رأسه.

[3] صحيح البخاري، كتاب الجنائز, باب الكفن في ثوبين،٢/٧٥ حديث ١٢٦٥، ملبيًا: يحشر يوم القيامة على الهيئة التي مات عليها.

[4] صحيح البخاري: كتاب الحج، باب وجوب الحج وفضله،٢/١٣٢ رقم ١٥١٣.

الفصل الخامس عشر

مرض النبيﷺ وما قاله وما فعله قبيل وفاته

تمهيد:

وَكانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً ، فَإِذا جَاءَ الْأَجَلُ المَحْتُوم ، فَلَا رَادَّ لَهُ ، وَلَمْ يَكُنْ اللهُ تَعَالى قَدْ جعلَ الْخُلْدَ فِي الدُنْيَا لإحَدٍ مِنْ مَخْلوقَاتِه ، وَقَدَّرَ المَوتَ لَمْ يُسْتَثنَ مِنهُ الانْبِيَاء وَالرُّسُل ،بَلْ إِنَّهُمْ كَانُوا الأَكْثَرَ تَسْلِيماً لِهَذَا القَدَر، لِعُمْقِ ايمَانِهِمْ بِاللهِ تَعَالَى ، وَعَظِيمِ حُسْنِ ظَنِّهِمْ بِه ، فَمرَّ عَلَيهِمْ هَذَا القدر مِنْ غَيرِ اسْتِثْنَاء ؛ فَقَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلالُهُ:﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾ وَأنَّ هَذَا القَدَر المَحْتُوم يَطَال البَّشَر جَمْيعاً ، مُؤمِنُهمْ وَكَافِرُهم : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[1].كَمَا خَاطَبَ اللهُ تَعَالَى نَبِيَهُ الكَرْيم ﷺبِقَولِه : ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾[2] . وَمِنْ أَجْلِ التَعَرُفِ عَلَى مَا قَالَهُ الرَّسُولُ وَمَا فَعَلَهُ فِي مَرَضِهِ وَقُبيلِ وَفَاتِهِ وَمَا يُسْتَفَادُ مِنْ ذَلكَ ، فَقَدْ قَسَّمْنَا هَذَا الفَصْل فِي مَبْحَثين وَعَلى النَّحوِ التَّالي:

المَبْحَث الاوَل : مَرضِ النَّبِيّ ﷺ وَافْعَالِهِ حَتَّى وَفَاتِه.

المَبْحَث الثَّانِي: المُسْتَفاد مِنْ تَأمِيرِ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَمِنْ أَقْوَالِ النَّبِيِّ ﷺ قَبلَ وَفَاتِه.

---

[1] سورة الزمر : الآيتان ٣٠.٣١.

[2] سورة الانبياء : الآية ٣٤.

المبحث الاول

مرض النبي ﷺ وافعاله حتى وفاته

بعث أُسَامَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ بجيش لمقاتلة الروم:

لَمَّا كَانَ يَوْمُ الاثْنَيْنِ لأَرْبَعٍ لَيَالٍ بَقِينَ مِنْ صَفَرٍ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ مِنْ مُهَاجَرِهِ، أمر رسول الله ﷺ النَّاسَ بِالتَّهَيُّؤِ لِغَزْوِ الرُّومِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ دَعَا أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فَقَالَ: «سِرْ إِلَى مَوْضِعِ مَقْتَلِ أَبِيكَ فَأَوْطِئْهُمُ الْخَيْلَ، فَقَدْ وَلَّيْتُكَ هَذَا الْجَيْشَ، فَأَغِرْ صَبَاحًا عَلَى أَهْلِ أُبْنَى، وَحَرِّقْ عَلَيْهِمْ، وَأَسْرِعِ السَّيْرَ تَسْبِقِ الأَخْبَارَ، فإن ظفرك الله فأقلل اللبث فيهم، وهذ مَعَكَ الأَدِلاءَ، وَقَدِّمِ الْعُيُونَ وَالطَّلائِعَ مَعَكَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَرْبَعَاءِ بُدِئَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺوَجَعُهُ، فَحُمَّ وَصُدِعَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ يَوْمُ الْخَمِيسِ عَقَدَ لأُسَامَةَ لِوَاءً بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ: «اغْزُ بِسْمِ اللَّهِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَاتِلْ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ» فَخَرَجَ بِلِوَائِهِ مَعْقُودًا، فَدَفَعَهُ إِلَى بُرَيْدَةَ بْنِ الْحَصِيبِ الأَسْلَمِيِّ، وَعَسْكَرَ بِالْجُرْفِ، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ وُجُوهِ الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ وَالأَنْصَارِ، إِلا انْتُدِبَ فِي تِلْكَ الْغَزْوَةِ، مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، وَقَتَادَةُ بْنُ النُّعْمَانِ وَسَلَمَةُ بْنُ أَسْلَمَ بْنِ حُرَيْسٍ، فتكَلَّمَ قَوْمٌ وَقَالُوا: يَسْتَعْمِلُ هَذَا الْغُلامَ، عَلَى الْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺغَضَبًا شَدِيدًا، فَخَرَجَ وَقَدْ عَصَبَ عَلَى رَأْسِهِ عِصَابَةً وَعَلَيْهِ قَطِيفَةٌ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا الناس، فما قالة بَلَغَتْنِي عَنْ بَعْضِكُمْ فِي تَأْمِيرِي أُسَامَةَ، وَلَئِنْ طَعَنْتُمْ فِي إِمَارَتِي أُسَامَةَ لَقَدْ طَعَنْتُمْ فِي إمارتي إياه من قبله، وأيم الله إن كَانَ لَخَلِيقًا لِلإِمَارَةِ، وَإِنَّ ابْنَهُ مِنْ بَعْدِهِ لخليق للإمارة، إن كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّهُمَا لَمُخَيَّلانِ لِكُلِّ

خَيْرٍ- أَيْ لِمَظَنَّةٍ لِكُلِّ خَيْرٍ- فَاسْتَوْصُوا بِهِ خَيْرًا، فَإِنَّهُ مِنْ خِيَارِكُمْ، ثُمَّ نَزَلَ فَدَخَلَ بَيْتَهُ، وَذَلِكَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ لِعَشْرٍ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ سَنَةَ إِحْدَى عَشَرَةَ، وَجَاءَ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ يَخْرُجُونَ مَعَ أُسَامَةَ يُوَدِّعُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَيَخْرُجُونَ إِلَى الْمُعَسْكَرِ بِالْجُرْفِ، وَثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺفَجَعَلَ يَقُولُ: «أَنْفِذُوا بعث أسامة» . فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَحَدِ اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺوَجَعُهُ، فَدَخَلَ أُسَامَةُ مِنْ مُعَسْكَرِهِ وَالنَّبِيُّ ﷺمَغْمُورٌ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي لَدُّوهُ فِيهِ، فَطَأْطَأَ أُسَامَةُ فَقَبَّلَهُ، وَالنَّبِيُّ ﷺلا يَتَكَلَّمُ، فَجَعَلَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ يَضَعُهُمَا عَلَى أُسَامَةَ، قَالَ أُسَامَةُ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يَدْعُو لِي، وَرَجَعَ أُسَامَةُ إِلَى مُعَسْكَرِهِ[1].

النَّبِيَّ ﷺيزور قبور أحد:

خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَوَائِلِ صَفَرٍ سَنَةَ ١١ه إلى أُحُدٍ ، فَصَلَّى عَلَى الشُّهَدَاءِ كَالْمُوَدِعِ للأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ . فَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺخَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلَاتَهُ عَلَى الْمَيِّتِ ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الْآنَ وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الْأَرْضِ أَوْ مَفَاتِيحَ الْأَرْضِ وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا[2].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي مُوَيْهِبَةَ، مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺقَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺمِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ، فَقَالَ: " يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ، إِنِّي قَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ فَانْطَلِقْ مَعِي "، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَلَمَّا وَقَفَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ قَالَ: " السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ

---

[1] ابن سيد الناس : عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ٢/ ٣٥٠.

[2] صحيح البخاري : كتاب الجنائز، باب الصلاة على الشهيد ٢/ ٩١،حديث ١٣٤٤.

الْمَقَابِرِ، لِيَهْنِ لَكُمْ مَا أَصْبَحْتُمْ فِيهِ، مِمَّا أَصْبَحَ فِيهِ النَّاسُ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا نَجَّاكُمُ اللهُ مِنْهُ، أَقْبَلَتِ الْفِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ، يَتْبَعُ أَوَّلُهَا آخِرَهَا ، الْآخِرَةُ شَرٌّ مِنَ الْأُولَى " قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيَّ فَقَالَ: " يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ، إِنِّي قَدْ أُوتِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الدُّنْيَا، وَالْخُلْدَ فِيهَا، ثُمَّ الْجَنَّةَ، وَخُيِّرْتُ بَيْنَ ذَلِكَ، وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ وَالْجَنَّةِ " قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي وَأُمِّي، فَخُذْ مَفَاتِيحَ الدُّنْيَا، وَالْخُلْدَ فِيهَا، ثُمَّ الْجَنَّةَ، قَالَ: " لَا وَاللهِ يَا أَبَا مُوَيْهِبَةَ، لَقَدِ اخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي، وَالْجَنَّةَ " ثُمَّ اسْتَغْفَرَ لِأَهْلِ الْبَقِيعِ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَبُدِئَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي وَجَعِهِ الَّذِي قَبَضَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِ حِينَ أَصْبَحَ [1].

بدء مرض النَّبِيِّ ﷺ واشتداده عليه:

وَكَانَ ابْتِدَاءِ مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ في اواخر صَفَرٍ أوائل شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ مِنَ السَنَةِ الحَادِيَةِ عَشرَة لِلهِجْرةِ. قَالَتْ عَائِشَةُ لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ ﷺ وَاشْتَدَّ وَجَعُهُ اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي فَأَذِنَّ لَهُ[2] .وَكَانَتْ عَائِشَة تَقْرَأ بِالمُعَوذاتِ وَالأدْعِيةِ الَّتِي حَفِظَتهَا مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، فَكَانَتْ تَنْفُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَتَمْسَحُهُ بِيَدِهِ رَجَاءَ البَرَكَةِ[3].

---

[1] حديث صحيح في استغفاره لأهل البقيع واختياره لقاء ربه .رواه احمد في مسنده:٣٧٦/٢٥، حديث(١٥٩٩٧).

[2] صحيح البخاري : كتاب الهبة ، بَاب هِبَةِ الرَّجُلِ لِامْرَأَتِهِ وَالْمَرْأَةِ لِزَوْجِهَا١٥٨/٣،حديث ٢٥٨٨.
عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْبَقِيعِ، فَوَجَدَنِي وَأَنَا أَجِدُ صُدَاعًا فِي رَأْسِي، وَأَنا أَقُول: وَا رأساه، فَقَالَ: بَلْ أَنَا وَاَللَّهِ يَا عَائِشَة وَا رأساه. قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ: وَمَا ضَرّكِ لَوْ مُتِّ قَبْلِي، فَقُمْتُ عَلَيْكَ وَكَفَّنْتُكَ، وَصَلَّيْتُ عَلَيْكَ وَدَفَنْتُكَ؟ قَالَتْ: قُلْتُ: وَاَللَّهِ لَكَأَنِّي بِكَ، لَوْ قَدْ فَعَلْتَ ذَلِكَ، لَقَدْ رَجَعْتَ إلَى بَيْتِي، فَأَعْرَسْتُ فِيهِ بِبَعْضِ نِسَائِكَ، قَالَتْ: فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَتَامَّ بِهِ وَجَعُهُ، وَهُوَ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ، حَتَّى اسْتَعَزَّ بِهِ ، وَهُوَ فِي بَيْتِ مَيْمُونَةَ، فَدَعَا نِسَاءَهُ، فَاسْتَأْذَنَهُنَّ فِي أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي، فَأَذِنَّ لَهُ. حديث صحيح: أخرجه ابن هشام في "السيرة" بإسناد صحيح٦٤٣/٢.
استعز به: اشْتَدَّ عَلَيْهِ وَجَعه وغلبه على نَفسه.

[3] المباركفوري: الرحيق المختوم ص٤٧٠.

مُرُوا أَبَا بكر فليُصَل بالناسِ:

لَمَّا مَرِضَ رَسُولُ الله ﷺ مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَحَضَرَتْ الصَّلَاةُ، فَأُذِّنَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ((مُرُوا أَبَا بَكْرٍ، فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ))، فقالت عَائِشَةُ : إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ[1]، واعادها ثلاثا، فَقَالَ: ((إِنكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ))، فَخَرَجَ أبو بَكْرٍ فَصَلَّى، فَوَجَدَ النَّبِي ﷺ مِنْ نَفْسِهِ خِفَّةً، فَخَرَجَ يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ كَأَنِّي أَنْظُرُ رِجْلَيْهِ تَخُطَّانِ مِنْ الْوَجَعِ، فَأَرَادَ أبو بَكْرٍ أَنْ يَتَأَخَّرَ، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ النَّبِي أَنْ مَكَانَكَ، ثُمَّ أُتِيَ بِهِ حتَّى جَلَسَ إلى جَنْبِهِ، وَكَانَ النَّبِيﷺ يُصَلِّي وَأبو بَكْرٍ يُصَلِّي بِصَلَاتِهِ، وَالنَّاسُ يُصَلونَ بِصلَاةِ أبي بَكْرٍ، فَقَالَ: بِرَأْسِهِ نَعَمْ[2].

وصايا النبي ﷺقبل وفاته:

عَنْ أبي عُبَيْدَةَ قَالَ: آخِرُ مَا تكَلَّمَ بِهِ النَّبِي ﷺ"أَخْرِجُوا يَهُودَ أَهْلِ الْحِجَازِ وَأَهْلِ نَجْرَانَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ شِرَارَ النَّاسِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ" [3] .وعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ – رضي الله عنهما – قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ في مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ عَاصِبٌ رَأْسَهُ بِخِرقَةٍ، فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ النَّاسِ أَحَدٌ أَمَنَّ عَلَيَّ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ مِنْ أبي بكْرِ بن أبي قُحَافَةَ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ النَّاسِ خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، وَلَكِنْ خُلَّةُ الْإِسْلَامِ أَفْضَلُ، سُدُّوا عَنِّي كُلَّ خَوْخَةٍ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ غَيْرَ خَوْخَةِ أبي بَكْرٍ "[4].

---

[1] اسيف: رقيق القلب يغلبه البكاء عند قراءة القرآن.

[2] صحيح البخاري: كتاب الأذان، باب حد المريض أن يشهد الجماعة، ١/١٤٣،حديث (٦٦٤).

[3] اسناده صحيح :أخرجه أحمد في مسنده:٣/٢٢١،حديث(١٦٩١).

[4] صحيح: أخرجه البخاري: ابواب المساجد، بَاب الْخَوْخَةِ وَالْمَمَرِّ فِي الْمَسْجِدِ:١/١٠٠،حديث(٤٦٧).

عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ الله ﷺ فِي مَرَضِهِ: "ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ أَبَاكِ وَأَخَاكِ، حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ، وَيَقُولُ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى وَيَأْبَى الله وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ "[1].وعَنْ مُحَمَّدِ بن جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ رَسُولَ الله ﷺشَيْئًا، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرجِعَ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ الله أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ، فَلَمْ أَجِدْكَ،قَالَ أَبِي: كَأَنَّهَا تَعْنِي الْمَوْتَ، قَالَ: "فَإِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ "[2] .

عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيكَةَ، سَمِعْتُ عَائِشَةَ وَسُئِلَتْ مَنْ كَانَ رَسُولُ الله ﷺ مُسْتَخْلِفًا لَوْ اسْتَخْلَفَهُ، قَالَتْ: أبو بَكْرٍ، فَقِيلَ لَهَا: ثُمَّ مَنْ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَتْ: عُمَرُ، ثُمَّ قِيلَ لَهَا: مَنْ بَعْدَ عُمَرَ؟ قَالَتْ: أبو عُبَيْدَةَ بن الْجَرَّاحِ، ثُمَّ انْتَهَتْ إلى هَذَا[3].

وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ فِي مَرَضِهِ: "وَدِدْتُ أَنَّ عِنْدِي بَعْضَ أصحابي"، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله أَلَا نَدْعُو لَكَ أَبَا بَكْرٍ، فَسَكَتَ، قُلْنَا: أَلَا نَدْعُو لَكَ عُمَرَ، فَسَكَتَ، قُلْنَا: أَلَا نَدْعُو لَكَ عُثْمَانَ، قَالَ: "نَعَم"، فَجَاءَ فَخَلَا بِهِ، فَجَعَلَ النَّبِيﷺ يُكَلِّمُهُ، وَوَجْهُ عُثْمَانَ يَتَغَيَّرُ، قَالَ قَيسٌ: فَحَدَّثَنِي أبوسَهْلَةَ مَوْلَى عثمان أَنَّ عُثْمَانَ بن عَفَّانَ، قَالَ يَوْمَ الدَّارِ: إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ عَهِدَ إِلَيَّ عَهْدًا، فَأَنَا صَائِرٌ إِلَيْهِ، وَقَالَ عَلِيٌّ فِي حَدِيثِهِ: وَأَنَا صَابِرٌ عَلَيْهِ، قَالَ قَيْسٌ: فَكَانُوا يُرَوْنَهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ [4] .

وقال ﷺ: "إِنَّ الْأَنْصَارَ قَدْ قَضوْا مَا عَلَيْهِمْ وَبَقِيَ الَّذِي عَلَيْكُمْ فَأَحْسِنُوا إلى

---

[1] صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضل ابي بكر الصديق، ١٨٥٧/٤، حديث(٢٣٨٧).

[2] صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضل ابي بكر الصديق، ١٨٥٦/٤، حديث(٢٣٨٦).

[3] صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضل ابي بكر الصديق، ١٨٥٦/٤، حديث(٢٣٨٥).

[4] صحيح: رواه ابن ماجه (١١٣) المقدمة وابن أبي عاصم في السنة (١١٧٥)، وابن سعد ٣/ ٦٦، وقال الألباني: إسناده صحيح ورجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي سهلة مولى عثمان وهو ثقة كما قال ابن حبان والعجلي والعسقلاني. وانظر: "ظلال الجنة في تخريج السنة" ٢/ ٥٦٠.

مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ"[1] .وقال ﷺ: "اسْتَوْصُوا بِالْأَنْصَارِ خَيْرًا"[2].

وفي رواية: عَنْ ابْنِ عَبَّاس - رضي الله عنهما - قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ الله ﷺ في مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِمِلْحَفَةٍ قَدْ عَصَّبَ بِعِصَابَةٍ دَسْمَاءَ، حَتَّى جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَحَمِدَ الله وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ النَّاسَ يَكْثُرُونَ، وَيَقِلُّ الْأَنْصَارُ حَتَّى يَكُونُوا في النَّاسِ بِمَنْزِلَةِ الْمِلْحِ في الطَّعَامِ، فَمَنْ وَلِيَ مِنكُمْ شَيْئًا يَضُرُّ فِيهِ قَوْمًا وَيَنْفَعُ فِيهِ آخَرِينَ فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ"، فَكَانَ آخِرَ مَجْلِسٍ جَلَسَ بِهِ النَّبِي ﷺ[3] .

وقال ﷺ «... فمَنْ كُنْتُ جَلَدتُ لَه ظَهْراً فَهَذا ظَهْرِي فلْيَسْتَقِدْ مِنه، ومَنْ كُنْتُ أَخَذْتُ له مَالاً فَهـذا مَالِي، ومَنْ كُنْتُ شَتَمْتُ لَـه عِرْضـاً (فهذا عرضي) فليَسْتَقِدْ....»[4].

وعَنْ أَنَسٍ - رضي الله عنه - قَالَ: كَانتْ عَامَّةُ وَصِيَّةِ رَسُولِ الله ﷺ وَهُوَ يُغَرغِرُ بنفْسِهِ: "الصَّلَاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ"[5] .

وعَنْ عَلِيّ بن أبي طالب - رضي الله عنه - قَالَ: كَانَ آخِرُ كَلَامِ رَسُولِ الله ﷺ: "الصَّلَاةَ الصَّلَاةَ، اتَّقُوا الله فِيمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم"[6].

---

[1] صحيح: صحيح ابن حبان :١٦/٢٥٦،حديث(٧٢٦٦).

[2] صحيح: رواه أحمد عن أنس، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٥٩).

[3] صحيح: أخرجه البخاري: كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام٤/٢٠٤، حديث (٣٦٢٨).

[4] البيهقي: دلائل النبوة ٧/١٧٩.

[5] صحيح: رواه ابن ماجه:٢/٩٠٠ ،حديث(٢٦٩٧)، وصححه الألباني في إرواء الغليل" (٢١٧٨).

[6] صحيح: رواه أبو داود في سننه:٤/٥٠٤،حديث (٥١٥٨). وصححه الألباني.

وعَنْ عبد الله بن عَبَّاسٍ قَالَ: كَشَفَ رَسُولُ الله ﷺ السِّتَارَةَ وَالنَّاسُ صفُوفٌ خَلْفَ أبي بَكْرٍ، فَقَالَ: "أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الْمُسْلِمُ، أَوْ تُرَى لَهُ، أَلَا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرآنَ رَاكِعًا، أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّب-عز وجل-، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ".

وفي لفظ قال: قَالَ كَشَفَ رَسُولُ الله ﷺ السِّتْرَ، وَرَأْسُهُ مَعْصُوبٌ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، فَقَالَ: "اللهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ- ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلَّا الرُّؤْيَا يَرَاهَا الْعبد الصَّالِحُ، أَوْ تُرَى لَه"، ثُمَّ ذَكَرَ بقية الحديث[1].

وعَنْ ابْنُ عَبَّاسٍ - رضي الله عنه - قال: يَوْمُ الْخَمِيسِ، وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ[2]، ثُمَّ بَكَى حَتَّى بَلَّ دَمْعُهُ الْحَصَى، فَقُلْتُ[3]: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، وَمَا يَوْمُ الْخَمِيسِ، قَالَ: اشْتَدَّ بِرَسُولِ الله ﷺ وَجَعُهُ، فَقَالَ: "ائْتُونِي أكتُبْ لَكُم كِتَابًا [4]لَا تَضِلُّوا بَعْدِي"، فَتَنَازَعُوا،

---

[1] صحيح: أخرجه مسلم:١/٣٤٨،حديث (٤٧٩). رواه أبو داود في سننه :١/٣٢٦، حديث(٨٧٦). وقال الالباني: حديث صحيح.

[2] يوم الخميس وما يوم الخميس : معناه تفخيم أمره في الشدة والمكروه .

[3] القائل هو سعيد بن جبير.

[4] فقال ائتوني أكتب لكم كتابا : اعلم أن النبي صلى الله عليه و سلم معصوم من الكذب ومن تغير شيء من من الأحكام الشرعية في حال صحته وحال مرضه ومعصوم من ترك بيان ما أمر ببيانه وتبليغ ما أوجب الله عليه تبليغه وليس معصوما من الأمراض والأسقام العارضة للأجسام ونحوها مما لا نقص فيه لمنزلته ولا فساد لما تمهد من شريعته وقد سحر النبي صلى الله عليه و سلم حتى صار يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يكن فعله ولم يصدر منه صلى الله عليه و سلم في هذا الحال كلام في الأحكام مخالف لما سبق من الأحكام التي قررها فإذا علمت ما ذكرناه فقد اختلف العلماء في الكتاب الذي هم النبي صلى الله عليه و سلم به فقيل أراد أن ينص على الخلافة في إنسان معين لئلا يقع فيه نزاع وفتن وقيل أراد كتابا يبين فيه مهمات الأحكام ملخصة ليرتفع النزاع فيها ويحصل الاتفاق على المنصوص عليه وكان النبي صلى الله عليه و سلم هم بالكتاب حين ظهر له أنه مصلحة أو أوحي إليه بذلك ثم ظهر أن المصلحة تركه أو أوحي إليه بذلك ونسخ ذلك الأمر

فَتَنَازَعُوا، وَمَا يَنْبَغِي عِنْدَ نَبِيٍّ تَنَازُعٌ، وَقَالُوا: مَا شَأْنُهُ أَهَجَرَ اسْتَفْهِمُوهُ، قَالَ: "دَعُونِي، فَالَّذِي أَنَا فِيهِ خَيرٌ[1]، أُوصِيكُم بِثَلَاثٍ: أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ[2]، وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بنحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُم[3]"، قَالَ: وَسَكَتَ عَنْ الثَّالِثَةِ، أَوْ قَالَهَا فَأُنْسِيتُهَا[4][5].

وفي رواية: لَمَّا حُضِرَ رَسُولُ الله ﷺ ،وَفِي الْبَيتِ رِجَالٌ فِيهِم عُمَرُ بن الْخَطَّابِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ :"هَلُمَّ أَكتُبْ لَكُمْ كِتَابًا لَا تَضِلُّوا بَعْدَهُ"، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبِي ﷺقَدْ غَلَبَ عَلَيهِ الْوَجَعُ، وَعِنْدَكُم الْقُرآنُ، حَسْبُنَا كِتَابُ الله، فَاخْتَلَفَ أَهْلُ الْبَيْتِ، فَاخْتَصَمُوا مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: قَرِّبُوا يَكْتُبْ لَكُمْ النَّبِي ﷺ كِتَابًا لَنْ تَضلُّوا بَعْدَهُ، وَمِنهُمْ مَنْ يَقُولُ: مَا قَالَ عُمَرُ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا اللَّغْوَ وَالِاخْتِلَافَ عِنْدَ النَّبِي ﷺ، قَالَ رَسُولُ الله:

الأول وأما كلام عمر رضي الله عنه فقد اتفق العلماء المتكلمون في شرح الحديث على أنه من دلائل فقه عمر وفضائله ودقيق نظره لأنه خشي أن يكتب صلى الله عليه و سلم أمورا ربما عجزوا عنها واستحقوا العقوبة عليها لأنها منصوصة لا مجال للاجتهاد فيها فقال عمر حسبنا كتاب الله لقوله تعالى { ما فرطنا في الكتاب من شيء } وقوله { اليوم أكملت لكم دينكم } فعلم أن الله تعالى أكمل دينه فأمن الضلال على الأمة وأراد الترفيه على رسول الله صلى الله عليه و سلم فكان عمر أفقه من ابن عباس وموافقيه .

[1] دعوني فالذي أنا فيه خير : معناه دعوني من النزاع واللغط الذي شرعتم فيه فالذي أنا فيه من مراقبة الله تعالى والتأهب للقائه والفكر في ذلك ونحوه أفضل مما أنتم فيه.

[2] جزيرة العرب : قال أبو عبيد قال الأصمعي جزيرة العرب ما بين أقصى عدن إلى ريف العراق في الطول وأما في العرض فمن جدة وما والاها إلى أطراف الشأم وقال أبو عبيدة هي ما بين حفر أبي موسى إلى أقصى اليمن في الطول وأما في العرض فما بين رمل يبرين إلى منقطع السماوة قالوا وسميت جزيرة لإحاطة البحار بها من نواحيها وانقطاعها عن المياه العظيمة وأصل الجزر في اللغة القطع وأضيفت إلى العرب لأنها الأرض التي كانت بأيديهم قبل الإسلام وديارهم التي هي أوطانهم وأوطان أسلافهم.

[3] وأجيزوا الوفد بنحو ما كنتم أجيوهم : قال العلماء هذا أمر منه صلى الله عليه و سلم بإجازة الوفود وضيافتهم وإكرامهم تطييبا لنفوسهم وترغيبا لغيرهم من المؤلفة قلوبهم ونحوهم وإعانة لهم على سفرهم.

[4] وسكت عن الثالثة أو قالها فأنسيتها : الساكت هو ابن عباس والناسي هو سعيد بن جبير قال المهلب الثالثة هي تجهيز جيش أسامة رضي الله عنه .

[5] صحيح مسلم: كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه. ١٢٥٧/٣،حديث (١٦٣٧).

"قُومُوا"، قَالَ عُبَيدُ الله: فَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: إِنَّ الرَّزِيَّةَ كُلَّ الرَّزِيَّةِ مَا حَالَ بَيْنَ رَسُولِ الله ﷺوَبَيْنَ أَنْ يَكْتُبَ لَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابَ مِنْ اخْتِلَافِهِمْ وَلَغَطِهِمْ[1].

آخر نظرة لرسول الله للمسلمين وهم يصلون :

عَنْ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَا هُمْ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ مِنْ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي لَهُمْ لَمْ يَفْجَأْهُمْ إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺقَدْ كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ فِي صُفُوفِ الصَّلَاةِ ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ فَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ وَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الصَّلَاةِ فَقَالَ أَنَسٌ وَهَمَّ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَفْتَتِنُوا فِي صَلَاتِهِمْ فَرَحًا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺفَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَتِمُّوا صَلَاتَكُمْ ثُمَّ دَخَلَ الْحُجْرَةَ وَأَرْخَى السِّتْرَ[2] فَتُوُفِّيَ مِنْ يَوْمِهِ[3].

الاحتضـار:

وَبَدَأ الاحْتِضَار فَأَسْنَدَتْهُ عَائِشَةَ إِلَيْهَا ، وكَانَتْ تَقُولُ إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي وَفِي يَوْمِي وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ فَقُلْتُ آخُذُهُ لَكَ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ فَتَنَاوَلْتُهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ وَقُلْتُ أُلَيِّنُهُ لَكَ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ فَلَيَّنْتُهُ فَأَمَرَّهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ يَشُكُّ عُمَرُ فِيهَا مَاءٌ فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ

---

[1] صحيح البخاري : كتاب المغازي ، بَاب مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ٧/ ١٢٠،حديث(٥٦٦٩).

[2] صحيح البخاري: كتاب المغازي ، بَاب مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ، ٦/ ١٢،حديث (٤٤٤٨).

[3] صحيح البخاري: كتاب الأذان، بَاب أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ أَحَقُّ بِالْإِمَامَةِ، ١/ ١٣٦،حديث (٦٨٠).

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ[1].

وَمَا عَدَا أَنْ فَرَغَ مِنَ السِّوَاكِ حَتَّى رَفعَ يَدَهُ أَو اصْبِعَهُ ، وَشَخَصَ بَصَرَهُ نَحْوَ السَّقْفِ، وَتَحَرَكَتْ شَفَتَاهُ ، فَأَصْغَتْ إِلِيهِ عَائِشَة وَهُوَ يَقُولُ :" مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى. اللَّهُمَّ الرَّفِيقَ الْأَعْلَى" [2].كَرَّرَ الكَلِمَة الاخيرَة ثَلاثَاً ، وَمَالَتْ يَدَهُ وَلَحِقَ بِالرَّفِيقَ الْأَعْلَى. إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَقعَ هَذَا الحَادِثْ حِينَ اشْتَدَّتْ الضُحَى مِنْ يَوْمِ الِاثْنَيْنِ ١٢ رَبِيعِ الأَوَّلِ سَنَةَ إِحْدَى عَشَرَةَ، وَقدْ تَمَّ لَهُ ﷺ ثَلاَثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً [3].

تفاقم الاحزان على الصحابة :

وَتَسَرب النبَأ الفَادِحْ ، وَأظْلَمتْ عَلَى أَهْلِ المَدْينَةِ أَرْجَاؤُهَا وَآفَاقَهَا . عَنْ أَنَسِ بن مَالِكٍ قَالَ: لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ الله ﷺ الْمَدِينَةَ، أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَلَمَّا نَفَضنَا عَنْ رَسُولِ الله ﷺ الْأَيْدِي، وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرنَا قلوبنا[4] .

وَلَمَّا مَاتَ قَالَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَام: يَا أَبَتَاهُ أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ يَا أَبَتَاهْ مَنْ جَنَّةُ

---

[1] صحيح البخاري: كتاب ، بَاب مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ، ٦/١٣،حديث (٤٤٤٩).

[2] صحيح البخاري: كتاب ، بَاب مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ، ٦/٤٦،حديث (٤٥٨٦).
صحيح البخاري: كتاب ، بَاب تَمَنِّي الْمَرِيضِ الْمَوْتَ، ٧/١٢١،حديث (٥٦٧٤).
صحيح البخاري: كتاب ، بَاب آخِرِ مَا تَكَلَّمَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ٦/١٥،حديث (٤٤٦٣).

[3] تُوُفِّيَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ ابْنُ ثَلاَثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً . أنظر: صحيح مسلم: باب كم النبي ﷺ٤/١٨٢٥،حديث(٢٣٤٩).

[4] اسناده صحيح على شرط مسلم: رواه ابن حبان في صحيحه :١٤/٦٠١، حديث (٦٦٣٤).

الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهْ يَا أَبَتَاهْ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهْ [1] .

موقف عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَامَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَقَالَ: إِنَّ رِجَالًا مِنْ الْمُنَافِقِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تُوُفِّيَ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا مَاتَ، وَلَكِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى رَبِّهِ كَمَا ذَهَبَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ، فَقَدْ غَابَ عَنْ قَوْمِهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ أَنْ قِيلَ قد مَاتَ، وو الله لَيَرْجِعَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَمَا رَجَعَ مُوسَى، فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ زَعَمُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَاتُ[2].

موقف أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

أَقْبَلَ أَبَو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى فَرَسٍ مِنْ مَسْكَنِهِ بِالسُّنْحِ حَتَّى نَزَلَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ فَلَمْ يُكَلِّمْ النَّاسَ حَتَّى دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ فَتَيَمَّمَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺوَهُوَ مُغَشًّى بِثَوْبِ حِبَرَةٍ فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ ثُمَّ أَكَبَّ عَلَيْهِ فَقَبَّلَهُ وَبَكَى ثُمَّ قَالَ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي وَاللَّهِ لَا يَجْمَعُ اللَّهُ عَلَيْكَ مَوْتَتَيْنِ أَمَّا الْمَوْتَةُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْكَ فَقَدْ مُتَّهَا قَالَ الزُّهْرِيُّ وَحَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ خَرَجَ وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يُكَلِّمُ النَّاسَ فَقَالَ اجْلِسْ يَا عُمَرُ فَأَبَى عُمَرُ أَنْ يَجْلِسَ فَأَقْبَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ وَتَرَكُوا عُمَرَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ أَمَّا بَعْدُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ وَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ قَالَ اللَّهُ تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ

---

[1] صحيح البخاري: كتاب المغازي ، بَاب مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ ، ٦/١٥،حديث (٤٤٦٢).

[2] ابن هشام :السيرة النبوية ٢/٦٥٥.

قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (١) وَقَالَ وَاللَّهِ لَكَأَنَّ النَّاسَ لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذِهِ الْآيَةَ حَتَّى تَلَاهَا أَبُو بَكْرٍ فَتَلَقَّاهَا مِنْهُ النَّاسُ كُلُّهُمْ فَمَا أَسْمَعُ بَشَرًا مِنْ النَّاسِ إِلَّا يَتْلُوهَا فَأَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ عُمَرَ قَالَ وَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ تَلَاهَا فَعَقِرْتُ حَتَّى مَا تُقِلُّنِي رِجْلَايَ وَحَتَّى أَهْوَيْتُ إِلَى الْأَرْضِ حِينَ سَمِعْتُهُ تَلَاهَا عَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ مَاتَ(٢).

القائمون بغسل النبي ﷺ :

الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَالْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ، وَقُثَمُ بْنُ الْعَبَّاسِ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، وَشُقْرَانُ مَوْلَى رَسُولُ اللهِ ﷺ و أَوْسُ بْنُ خَوْلِيٍّ الْأَنْصَارِيُّ، فَكَانَ الْعَبَّاسُ وَالْفَضْلُ وَقُثَمُ يُقَلِّبُونَهُ، وأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وشُقْرَانُ يَصُبَّانِ الْمَاءَ، وَعَلِيٌّ يَغْسِلُهُ، وأَوْسُ أَسْنَدَهُ إِلَى صَدْرِهِ(٣).

وَقَدْ غُسِّلَ النَّبِيُّ ﷺ ثَلَاث غَسْلات بماءٍ وَسِّدْرٍ، وَغُسِّلَ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ، وَغُسِّلَ مِنْ بِئْرٍ يُقَالُ لَهَا الْغَرْثُ بِقُبَاءٍ، كَانَتْ لِسَعْدِ بْنِ خَيْثَمَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَشْرَبُ مِنْهَا(٤).

كفن النبي ﷺ والصلاة عليه وادخاله القبر:

كُفِّنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي ثَلَاثَةِ أَثْوَابٍ يَمَانِيَةٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ (٥) مِنْ كُرْسُفٍ(١)

---

(١) سورة آل عمران :الآية ١٤٤.

(٢) صحيح البخاري: كتاب ، بَاب مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ، ١٣/٦،حديث (٤٤٥٣).

(٣) رواه احمد في مسنده: ١٨٦/٤،حديث (٢٣٥٧).

(٤) البيهقي : دلائل النبوة ٢٤٥/٧.

(٥) سحولية: بفتح السين وضمها: هي ثياب بيض نقية لا تكون إلا من القطن، وقال آخرون: هي منسوبة إلى

لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ[٢].

فَلَمَّا فُرِغَ مِنْ جِهَازِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الثُّلَاثَاءِ، وُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ فِي بَيْتِهِ، وَقَدْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ اخْتَلَفُوا فِي دَفْنِهِ، فَقَالَ قَائِلٌ: فدفنه في سجدة، وَقَالَ قَائِلٌ: يُدْفَنُ مَعَ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: مَا قُبِضَ نَبِيٌّ إِلَّا دُفِنَ حَيْثُ قُبِضَ، فَرُفِعَ فِرَاشُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ، الَّذِي تُوُفِّيَ عَلَيْهِ، فَحُفِرَ لَهُ تَحْتَهُ، ثُمَّ دَعَا النَّاسَ، إِلَى الصَّلَاةِ عَلَيْهِ، عَلَى رَسُولِ الله ﷺ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ، أَرْسَالًا الرِّجَالُ حَتَّى إِذَا فَرَغَ منه، أَدْخَلَ النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنَ النِّسَاءِ، دَخَلَ الصِّبْيَانُ. وَلَمْ يَؤُمَّ النَّاسِ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحَدٌ[٣].عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : دَخَلَ قَبْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺالْعَبَّاسُ وَعَلِيٌّ وَالْفَضْلُ وَشَقَّ لَحْدَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ وَهُوَ الَّذِي يَشُقُّ لُحُودَ قُبُورِ الشُّهَدَاءِ[٤]

وعَنْ عبد الله بن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جُعِلَ فِي قَبْرِ رَسُولِ الله ﷺ قَطِيفَةٌ حَمْرَاءُ [٥] .وفي رواية للترمذي: الَّذِي أَلْحَدَ قَبْرَ رَسُولِ الله ﷺأبو طَلْحَةَ، وَالَّذِي أَلْقَي الْقَطِيفَةَ تَحْتَهُ شُقْرَانُ مَوْلَي رَسُولِ الله ﷺ قَالَ جَعْفَرٌ: وَأَخْبَرَنِي عُبَيْدُ الله بن أبي رَافِعٍ، قَال: سَمِعْتُ شُقْرَانَ يَقُولُ: أَنَا وَاللهِ طَرَحْتُ الْقَطِيفَةَ تَحْتَ رَسُولِ الله ﷺفِي الْقَبْرِ[٦] .وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: " مَا عَلِمْنَا بِدَفْنِ رَسُولِ اللهِ ﷺحَتَّى سَمِعْنَا صَوْتَ الْمَسَاحِي مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، لَيْلَةِ الْأَرْبِعَاءِ "[٧]

سحول مدينة باليمن تحمل منها هذه الثياب.

[١] الكرسف: القطن.

[٢] متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب الكفن بغير قميص ٢/٧٧،حديث (١٢٧١) . صحيح مسلم: كتاب الجنائز، باب في كفن الميت:٢/٦٤٩،حديث (٩٤١).

[٣] البيهقي : دلائل النبوة ٧/٢٦٠.

[٤] إسناده صحيح :رواه ابن الجارود في "المنتقي" ١/١٤٢،حديث: (٥٤٧) .

[٥] صحيح: أخرجه مسلم: كتاب الجنائز ،باب جعل القطيفة في القبر٢/٦٦٥،حديث (٩٦٧).

[٦] إسناده صحيح: رواه الترمذي في سننه: كتاب الجنائز، باب ما جاء في الثوب الواحد يلقى تحت الميت في القبر ٣/٣٦٥،حديث (١٠٤٧) ، وصحح إسناده الألباني.

[٧] مسند الامام احمد:٤٣/١٧٢،حديث(٢٦٠٤٩).

المبحث الثاني

المستفاد من تأمير أسامة بن زيد ومن أقوال النبي ﷺ قبل وفاته

المستفاد من تأمير أسامة بن زيد:

ذكرنا أن النبي ﷺ أمر بإعداد جيش لمحاربة الروم ، وأنه أمرَّ عليه أسامة بن زيد، وأنه كان في هذا الجيش كبار الصحابة مثل عمر بن الخطاب . وقد تكلم بعض المسلمين في هذا التأمير ؛ لكون اسامة شاباً، وفي الجيش شيوخ المهاجرين والأنصار، وقد بلغ هذا الكلام رسول اللهﷺ فأنكره وفنده ورده . وعلى هذا فعلى المسلمين أن يسمعوا ويطيعوا إذا أُمِّرَت عليهم قيادتهم مسؤوليهم ، لأن استحقاق المسؤولية لا تقوم على العمر ، وإنما على القدرة والكفاءة ، ولأن تعيين شخص دون سواه على عمل معين يقوم على عدة اعتبارات يعرفها القائد جيداً ، وقد لا يحيط بها اتباعه ، ومن ثم جاء اختياره لمن عينه ، فعلى المسلمين أن يعرفوا ذلك ، ويحملوا نفوسهم على قبوله ، ولا يجوز لهم رفض هذا التعيين ، لأنه اجتهاد ، وليس اجتهادهم أولى من اجتهاده [1].

المستفاد من استئذان النبيﷺ أزواجه في أن يمرض في بيت عائشة:

ذكرنا أن النبيﷺ لما اشتد به المرض استإذن أزواجه في أن يمرض في بيت عائشة فأذِنَّ له . فعلى علماء المسلمين ودعاتهم أن يذكّروا المسلمين بمدى التزام رسول اللهﷺ بالعدل بين ازواجه. وهذا التذكير للمسلمين بعدل رسول الله

---

[1] عبد الكريم زيدان : المستفاد من قصص القرآن ٢/٥٢٦.

ضروري لاسيما في المناطق التي يكثر فيها تعدد الزوجات ، فمن الخير أن يعرف المسلمون ضرورة تمسكهم بالعدل بين نسائهم في الأكل والشرب والسكن والمبيت وإذا طرأ طارئ يستوجب المبيت والبقاء في بيت إحدى أزواجه فليستأذن[1].

المستفاد من وصية النبي ﷺ بالانصار:

ذكرنا أن النبي ﷺ أوصى في خطبته وهو في مرضه المسلمين بالأنصار، وقال لهم: أَحْسِنُوا إلى مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ، لأنهم قاموا بأعمال جليلة في خدمة الإسلام ، ونصرة الرسولﷺ استحقوا بها ان يذكرهم الله في كتابه العزيز على وجه المدح والثناء لهم والإخبار برضاه عنهم . فعلى المسؤول أن يصفح الصفح الجميل عن الشخص ذي السوابق الجليلة في خدمة الاسلام إذا صدر منه تقصير أو شيء من الاهمال ، ويكتفي منه بقبول عذره ، إن كان له عذر ، وإذا رؤي في تقصيره ما يستوجب التوجيه والتعليم ، فليفعل المسؤول ذلك ، فكل ابن خطاء وخير الخطائين التوابون[2].

المستفاد من تحلل النبيﷺ من المظالم:

ذكرنا قول رسول الله ﷺ: فمَنْ كُنْتُ جَلَدتُ لَه ظَهْراً فَهَذا ظَهْرِي فلْيَسْتَقِدْ مِنه، ومَنْ كُنْتُ أَخَذْتُ له مَالاً فَهذا مَالِي، ومَنْ كُنْتُ شَتَمْتُ لَه عِرْضاً (فهذا عرضي) فليَسْتَقِد". فمن المستحسن لمن يتولى إمرة المسلمين ، أن يعلن مثل هذا القول أو بمعناه في اتباعه، حتى يريهم أنه مستمسك بمقتضيات العدل ، ومتأسي في

---

[1] المصدر نفسه ٢/٥٢٧.

[2] المصدر نفسه .

ذلك برسول اللهﷺ ، وحتى لا يبقى في قلب احد من اتباعه شيء عليه ، لأن المسؤول قد يصدر منه على سبيل الاجتهاد او الغفلة أو الخطأ نحو احدهم ما لا ينبغي صدوره منه ، فلهذا ونحوه يستحن أن يعرض لهم ما قلته ، وأن يطلب منهم أن يذكروا له ما ينقمونه منه ، أو بما يرونه تجاوزاً منه عليهم بلا مبرر[1].

المستفاد من رعاية رسول الله للمسلمين وسروره بحسن احوالهم:

ذكرنا خروج رسول الله ﷺ إلى المسجد يوصيهم ويخطب فيهم ، فقد أوصاهمﷺ بعدم اتخاذ القبور مساجد ؛ لخوفه عليهم من أن يقعوا فيما وقع اليهود والنصارى فيه من اتخاذهم قبور انبيائهم مساجد . كما أوصاهم بالصلاة وبما ملكت أيمانهم ، وهذا مظهر آخر من مظاهر رعايته لهم وشفقته بهم ﷺ . فعلى من يتولى أمر المسلمين ألا ينفك عن رعاية اتباعه ، ووعظهم وتوجيههم وإرشادهم وتذكيرهم بما يراه مفيداً للتذكير به. وكذلك راينا سروره ﷺ عندما كشف ستر حجرة عائشة رضي الله عنها، فنظر إلى المسلمين وهم يصلون ، فسره ذلك وتبسم ضاحكاً ﷺ رضاً منه سروراً بما رآه من حسن أحوالهم وعبادتهم لربهم . فعلى المسؤول أن يتفقد احوال اتباعه حتى إذا رأى منهم ما يسره أظهر سروره ، كما يتفقد الاب أولاده حتى إذا رأى ما يسره منهم أعلن ذلك بابتسامة ، فتشيع فيها المودة والاحترام والطاعة[2].

---

[1] المصدر نفسه .

[2] المصدر نفسه ٢/٥٢٨.

المستفاد من اظهار النبيﷺ فضل أبي بكر ومنزلته في الاسلام:

على علماء المسلمين ودعاتهم أن يبينوا للناس في خطبهم وفي دروسهم ومواعظهم فضل أصحاب رسول الله ﷺ، وفضل أبي بكر الصديق ، فهو خير الأمة بعد رسولها ، فقد ذكره ﷺ في خطبته التي ذكرناها .فعلى العلماء أن يذكروا موقفه الشجاع الذي لم يقفه غيره يوم بلغه وفاة رسول الله ﷺ ، فقد أصاب المسلمين بهر ودهشة هائلة حتى ان عمر بن الخطاب أنكر موته وهدد من يقوله ، لكن الصديق ابا بكر رضي الله عنه كان يتمتع برباطة جأش وقوة أعصاب عند النكبات لا يتمتع بها صحابي آخر[1]، وقال قولته الشهيرة التي نسيها المسلمون وهي: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ﴾[2].

وهذا ما جعله أولى الناس بخلافة رسول الله ﷺ، وقد أثبت ذلك في حركة الردة في جزيرة العرب[3].

---

[1] مصطفى السباعي : السيرة النبوية دروس وعبر ، ص١٧٢.

[2] سورة آل عمران : الآية ١٤٤.

[3] مصطفى السباعي : السيرة النبوية دروس وعبر ، ص١٧٢.

المستفاد من مصيبة المسلمين بفقد رسولها :

لقد دهش الصحابة لموت رسول الله ﷺ، حتى لكأن الموت لا يمكن أن يأتيه، مع أن الموت نهاية كل حي، وما ذلك إلا لحبهم لرسول الله ﷺحباً امتزج بدمائهم وأعصابهم، والصدمة بفقد الأحباب تكون على قدر الحب، ونحن نرى من يفقد ولداً أو أباً كيف يظل أياماً لا يصدق أنه فقده، وأي حب في الدنيا يبلغ حب هؤلاء الصحابة الأبرار لرسول الله ﷺ، وقد هداهم الله به، وأنقذهم من الظلمات إلى النور، وغير حياتهم، وفتح عقولهم وأبصارهم، وسما بهم إلى مراتب القادة العظماء، ثم هو في حياته مربيهم وقاضيهم ومرشدهم يلجؤون اليه في النكبات، ويسترشدونه في الحوادث، ويأخذون منه خطاب الله لهم وحديثه اليهم وتعليمه لهم، فلما مات رسول الله ﷺ انقطع ذلك كله، فأي صدمة أبلغ من هذه الصدمة وأشدها أثراً[1]، ومع ذلك فقد تلقوها بالصبر والثبات والاستمرار على الدعوة إلى الله التي حملهم إياها رسول الله ﷺ . لذلك ينبغي على المسلمين إذا فقد اميرهم بموت أو استشهاد ، فعليهم أن يتحملوا هذا الفقد بالصبر الجميل وبالثبات على العمل والدعوة ، دون كلل أو ملل أو ضعف ، فليس موت أحد من الناس بأعظم وقعاً وأشد مصيبة على المسلمين من موت رسول الله ﷺ على صحابته الكرام ، وليتذكروا قول صدّيق هذه الامة أبي بكر رضي الله عنه : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت[2].

---

[1] المصدر نفسه ، ص١٧٣.

[2] رواه البيهقي في سننه الكبرى ٨/ ١٤٢، حديث (١٦٣١٣).

المصادر والمراجع

- احكام القرآن ،احمد بن علي الجصاص، دار احياء التراث العربي ـ بيروت ،١٤٠٥هـ.
- أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ،أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس المكي الفاكهي (المتوفى: ٢٧٢هـ)،تحقيق: د. عبد الملك عبد الله دهيش ، دار خضر – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤م.
- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ) ، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر الطبعة السابعة، ١٣٢٣ هـ.
- أسد الغابة ، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ) ، دار الفكر – بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- اضواء على الهجرة، توفيق محمد سبع، مطبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
- أعلام النبوة ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ) ، دار ومكتبة الهلال – بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٠٩ هـ.
- إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، ابن طولون الصالحي، تحقيق: محمود الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٣ م.
- الإبانة الكبرى لابن بطة ، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان

العُكْبَري المعروف بابن بَطَّة العكبري (المتوفى: ٣٨٧هـ) ،تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري ، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ) ، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ) ، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- الاساس في السنّة وفقهها، السيرة النبوية، سعيد حوى، دار السلام بمصر، الطبعة الاولى، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- الأسماء والصفات للبيهقي ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ) ،حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي ، مكتبة السوادي، جدة - المملكة العربية السعودية ،الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ، دار الجيل ـ بيروت ،الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- الإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفا ، مغلطاي بن قليج بن عبد الله البكجري المصري الحكري الحنفي، أبو عبد الله، علاء الدين (المتوفى: ٧٦٢هـ)، تحقيق: محمد نظام الدين الفُتَيّح ، دار القلم - دمشق، الدار الشامية -

بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م.

- الإصابة في تمييز الصحابة ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) ،تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض،دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة الأولى ،١٤١٥ هـ.
- الأصنام، هشام بن محمد الكلبي، الطبعة الرابعة ، دار الكتب المصرية .
- الأغصان الندية شرح الخلاصة البهية بترتيب أحداث السيرة النبوية ، أبو أسماء محمد بن طه ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة - دار سبل السلام – الفيوم، الطبعة الثانية، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م.
- الإملاء المختصر في شرح غريب السير ، مصعب بن محمد (أبي بكر) بن مسعود الخشنى الجيانى الأندلسي، أبو ذر، ويعرف كأبيه، بابن أبي الركب (المتوفى: ٦٠٤هـ)استخرجه وصححه: بولس برونله ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع ، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (المتوفى: ٨٤٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي ، دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- إنارة الدجى في مغازي خير الورى صلى الله عليه وآله وسلم ، حسن بن محمد المشاط المالكي (المتوفى: ١٣٩٩هـ) ، دار المنهاج – جدة ،الطبعة الثانية ، ١٤٢٦ هـ.
- أنساب الأشراف ، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (المتوفى: ٢٧٩هـ) ،تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي ، دار الفكر – بيروت ،الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.

- أنِيسُ السَّاري في تخريج وَتحقيق الأحاديث التي ذكرها الحَافظ ابن حَجر العسقلاني في فَتح البَاري ، أبو حذيفة، نبيل بن منصور بن يعقوب بن سلطان البصارة الكويتي ،تحقيق: نبيل بن مَنصور بن يَعقوب البصارة ، مؤسَّسَة السَّماحة، مؤسَّسَة الريَّان، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- البحر المحيط في التفسير ،أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ) ،تحقيق: صدقي محمد جميل ،دار الفكر – بيروت.
- البداية والنهاية ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ،تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.
- بهجة المحافل وبغية الأماثل في تلخيص المعجزات والسير والشمائل ، يحيى بن أبى بكر بن محمد بن يحيى العامري الحرضي (المتوفى: ٨٩٣هـ)، دار صادر – بيروت.
- تأملات في سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم -، د. محمد السيد الوكيل، دار المجتمع، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م.
- تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٧٦ هـ.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)المحقق: عمر عبد السلام التدمري ،الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت ،الطبعة: الثانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

- التاريخ الاسلامي مواقف وعبر، د. عبدالعزيز الحميدي، دار الدعوة ، الاسكندرية ، الطبعة الاولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- التاريخ السياسي والعسكري لدولة المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، استراتيجية الرسول السياسية والعسكرية، د. علي معطي، مؤسسة المعارف بيروت، الطبعة الاولى، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- تاريخ الطبري (تاريخ الأمم والملوك)،محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ه.
- تاريخ اليهود في بلاد العرب، ولفنسون، طبعة القاهرة ١٩٢٧م.
- تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، حسين بن محمد بن الحسن الدِّيار بَكْري (المتوفى: ٩٦٦هـ) ،دار صادر – بيروت.
- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل، أبي القاسم علي بن الحسن إبن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف ابن عساكر سنة الولادة ٤٩٩/ سنة الوفاة ٥٧١ ، تحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري ، دار الفكر ،بيروت ،١٩٩٥م.
- التحالف السياسي في الإسلام، منير محمد الغضبان، دار السلام، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، تونس، الدار التونسية للنشر والتوزيع، ١٩٨٤ م.
- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي، محمد بن عبد الرحمن المباركفوري، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤ هـ- ١٩٨٤ م.

- التربية القيادية، منير الغضبان، دار الوفاء ـ المنصورة ، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)،أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الثانية ،١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
- تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- تفسير القرطبي(الجامع لأحكام القرآن)، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)،تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة ،الطبعة الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية للكتاب ،٢٠٠٠م.
- التفسير المنير ،وهبة الزحيلي ، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة الثانية ، ١٤١٨ هـ.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم ،محمد سيد طنطاوي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الفجالة – القاهرة، ١٩٩٧م .
- جامع الأصول في أحاديث الرسول ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى : ٦٠٦هـ) ،تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط - التتمة تحقيق بشير عيون ، مكتبة الحلواني

، الطبعة الأولى ،مطبعة الملاح .

- الجامع الصحيح للسيرة النبوية ، الأستاذ الدكتور سعد المرصفي ، مكتبة ابن كثير، الكويت الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- الجامع الصحيح سنن الترمذي ،محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون ،دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزَّوائِد ، محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي بن طاهر السوسي الردواني المغربي المالكي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، تحقيق وتخريج: أبو علي سليمان بن دريع ، مكتبة ابن كثير، الكويت - دار ابن حزم، بيروت ،الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- جوامع السيرة النبوية ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت.
- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، الملقب بقوام السنة (المتوفى: ٥٣٥هـ)،تحقيق: محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، دار الراية - السعودية ،الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- حديث القرآن عن غزوات الرسول - صلى الله عليه وسلم -، محمد بكر آل عابد، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى.
- خاتم النبيين - صلى الله عليه وسلم -: محمد أبي زهرة، الطبعة الأولى،١٩٧٢م، دار الفكر بيروت.
- الخصائص الكبرى، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت.

- خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني السمهودي (المتوفى: ٩١١هـ) ،دراسة وتحقيق: د. محمد الأمين محمد محمود أحمد الجكيني.
- الدر المنثور ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفكر – بيروت.
- الدرر في اختصار المغازي والسير، النمري، الحافظ يوسف بن البر، تحقيق: الدكتور شوقي ضيف ،دار المعارف – القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ.
- الدرة الثمينة في أخبار المدينة، محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن المعروف بابن النجار (المتوفى: ٦٤٣هـ)تحقيق: حسين محمد علي شكري، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.
- دراسة في السيرة، د. عماد الدين خليل، دار النفائس – بيروت، الطبعة الثانية ، ١٤٢٥ هـ.
- الدعوة الإسلامية في عهدها المكي: مناهجها وغاياتها ، دكتور رؤوف شلبي ، دار القلم، الطبعة الثالثة.
- دفاع عن الحديث النبوي والسيرة ،محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)
- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة الأولى – ١٤٠٥ ه .
- دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)،حققه: الدكتور محمد

رواس قلعه جي، عبد البر عباس ، دار النفائس، بيروت ،الطبعة الثانية، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

- دولة الرسول ﷺ من التكوين إلى التمكين ،كامل سلامة الدقس ،دار عمار- الأردن ،الطبعة الاولى ،١٩٩٤م.
- الرحيق المختوم، لصفي الدين الرحمن المباركفوري، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ المنصورة ، الطبعة الرابعة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- رحمة للعالمين ،محمد سليمان المنصورفوري (المتوفى: ١٣٤٨هـ)،الطبعة الأولى ،دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض.
- الرسالة المحمدية ، السيد سليمان الندوي الحسيني (المتوفى: ١٣٧٣هـ)، دار ابن كثير – دمشق، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣ هـ.
- الرسول القائد ،محمود شيت خطاب (المتوفى: ١٤١٩هـ)، دار الفكر – بيروت ،الطبعة السادسة ، ١٤٢٢ هـ.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ،الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ .
- سُبُل السَّلام مِن صَحيح سيرة خَير الأنَامِ عَليه الصَّلاة وَالسَّلام ، صالح بن طه عبد الواحد، مكتبة الغرباء، الدار الأثرية، الطبعة الثانية، ١٤٢٨ هـ.
- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: محمد بن يوسف الصالحي، تحقيق:

مصطفى عبدالواحد، لجنة إحياء التراث الإسلامي،١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

- سفراء النبي - صلى الله عليه وسلم -، لمحمود شيت خطاب، مؤسسة الريان، دار الأندلس الخضراء، الطبعة الأولى،١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)،مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ـ الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- السرايا والبعوث النبوية حول المدينة ومكة ، بريك بن محمد بريك أبو مايلة العمري ، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)،تحقيق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي،دار الرسالة العالمية ،الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- سنن ابن ماجه ،ابن ماجة - وماجة اسم أبيه يزيد - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: ٢٧٣هـ)،تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية ،الطبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.
- السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي،أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، مؤلف الجوهر النقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني ،مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، الطبعة الأولى ،١٣٤٤ هـ.
- سنن النسائي الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق :

د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤١١ه – ١٩٩١م.

- سيرة ابن إسحاق (كتاب السير والمغازي)،محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)،تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .
- السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)،علي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، نور الدين ابن برهان الدين (المتوفى: ١٠٤٤هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت ،الطبعة الثانية ، ١٤٢٧هـ.
- السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، علي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (المتوفى: ١٤٢٠هـ)،دار ابن كثير – دمشق، الطبعة الثانية عشرة ، ١٤٢٥ هـ.
- السيرة النبوية بين الآثار المروية والآيات القرآنية، محمد بن مصطفى بن عبد السلام الدبيسي، رسالة دكتوراة، كلية الآداب - جامعة عين شمس، القاهرة،١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
- السيرة النبوية ، دراسة وتحليل، محمد ابو فارس، دار الفرقان ـ عمان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٧م،.
- السيرة النبوية الشريفة، محمد سهيل طقوش، دار النفائس ، بيروت ـ لبنان ، الطبعة الاولى ، ٢٠١٢م.
- السِّيرةُ النّبوية - عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث ، عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، الطبعة السابعة، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

- السيرة النبوية ، للذهبي، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة هلال بيروت.
- السيرة النبوية الصحيحة، د. أكرم العمري، مكتبة المعارف والحكم بالمدينة المنورة ،الطبعة الاولى، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
- السيرة النبوية تربية أمة وبناء دولة، صالح أحمد الشامي، المكتب الاسلامي، الطبعة الاولى، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- السيرة النبوية دروس وعبر، د.مصطفى السباعي، المكتب الاسلامي بيروت، لبنان، الطبعة التاسعة ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنّة، محمد أبو شهبة، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي رزق الله أحمد، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض.
- السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)،تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر،الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م.
- السيرة النبوية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)،تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان،١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.
- السيرة النبوية والدعوة في العهد المدني، أحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٤م.

- السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، أحمد أحمد غلوش، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة، أبو عمر، محمد بن حمد الصوياني، مكتبة العبيكان ،الطبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- شرح السنة، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)،تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش ،المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- الشريعة، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (المتوفى: ٣٦٠هـ)،تحقيق: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي ،دار الوطن - الرياض / السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ) ، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي ،دار طيبة – السعودية ، الطبعة الثامنة، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.
- شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (المتوفى: ١١٢٢هـ)دار الكتب العلمية الطبعة الأولى ،١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- شرح النووي صحيح مسلم للإمام النووي(أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف) (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت ،الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، دار الفيحاء – عمان ،الطبعة الثانية ، ١٤٠٧ هـ.
- صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)،محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- صحيح السيرة النبوية، ابراهيم العلي، دار النفائس، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ-١٩٩٨م.
- صحيح السيرة النبوية ،محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)،المكتبة الإسلامية – عمان – الأردن ،الطبعة الأولى.
- الصحيح المسند من أسباب النزول ،مُقْبِلُ بنُ هَادِي بنِ مُقْبِلِ بنِ قَائِدَةَ الهَمْدَاني الوادعِيُّ (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الرابعة مزيدة ومنقحة، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.
- الصَّحيحُ من أحاديث السّيرة النبوية، أبو عمر، محمد بن حمد الصوياني ،مدار الوطن للنشر ،الطبعة الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
- الصراع مع الصليبيين لأبي فارس، محمد عبدالقادر أبو فارس، دار البشير، طنطا، طبعة عام ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- الصراع مع اليهود، محمد أبو فارس، دار الفرقان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ-

١٩٩٠م.

- صفة جزيرة العرب، الحسن بن احمد الهمذاني ،دار الشؤون الثقافية- بغداد ،١٩٨٩م .
- صلح الحديبية، محمد احمد باشميل، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٩٧٣م-١٣٩٣هـ.
- صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، تأليف: د. محمد فوزي فيض الله، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
- الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)،تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨ م.
- العبقرية العسكرية في غزوات الرسول، محمد فرج ، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧م.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)،دار إحياء التراث العربي – بيروت.
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ،محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: ٧٣٤هـ) ،دار القلم – بيروت ،الطبعة الأولى، ١٤١٤ه ـ ١٩٩٣م.
- الغرباء الأولون، سلمان العودة، الطبعة الثالثة، دار ابن الجوزي، الدمام السعودية،١٤١٢هـ-١٩٩١م.
- غزوة أحد دراسة دعوية، محمد عيظة بن سعيد من مذجح، دار اشبيليا،

الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

- غزوة أحد لأبي فارس، محمد عبدالقادر أبو فارس، الطبعة الاولى، ، دار الفرقان، عمان-الأردن، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- غزوة الأحزاب ، محمد عبدالقادر أبو فارس، دار الفرقان، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- غزوة بدر الكبرى، محمد أبو فارس، دار الفرقان، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- غزوة حنين، محمد احمد باشميل، دار الفكر، بيروت.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ه.
- فتح السلام شرح عمدة الأحكام، للحافظ ابن حجر العسقلاني مأخوذ من كتابه فتح الباري ،جمعه وهذبه وحققه: أبو محمد عبد السلام بن محمد العامر.
- فجر الاسلام ، احمد امين ، مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ،١٩٦٤م.
- فضائل الصحابة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة - بيروت ،الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ه - ١٩٨٣م.
- فقه التمكين في القرآن الكريم، علي محمد الصّلابي، دار البيارق، عمّان، الطبعة الأولى،١٩٩٩م.
- فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ،محّمد سَعيد رَمضان البوطي، دار الفكر - دمشق ،الطبعة الخامسة والعشرون ، ١٤٢٦ هـ.
- فقه السيرة، محمد الغزالي السقا (المتوفى: ١٤١٦هـ)، دار القلم - دمشق
- تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٤٢٧ هـ.

- فقه السيرة النبوية، موفق سالم نوري ،
- فقه السيرة النبوية، منير الغضبان، معهد البحوث العلمية واحياء التراث مكة المكرمة.
- في السيرة النبوية جوانب الحذر والحماية، الدكتور إبراهيم علي محمد أحمد، الطبعة الأولى رجب ١٤١٧هـ،وزارة الأوقاف بدولة قطر.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة التاسعة،١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- قراءة سياسية للسيرة النبوية، محمد قلعجي، دار النفائس، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
- القول المبين في سيرة سيد المرسلين ،محمد الطيب النجار (المتوفى: ١٤١١هـ)، دار الندوة الجديدة ،بيروت – لبنان.
- القيادة العسكرية في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم -،محمد الرشيد، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- كشف الأستار عن زوائد البزار، نور الدين الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
- ما شاع ولم يثبت في السيرة النبوية ، محمد بن عبد الله العوشن، دَارُ طَيبة.
- ماذا خسر العالم بإنحطاط المسلمين، لأبي الحسن علي الحسني الندوي، الطبعة السابعة ،دار المعارف،١٤٠٨هـ-١٩٨٨م،
- المجتمع المدني في عصر النبوة ، أكرم العمري، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الفكر، بيروت – ١٤١٢ هـ.
- مجموعة الوثائق السياسية، لمحمد حميد الله، دار النفائس، الطبعة السادسة، بيروت ، ١٤٠٧هـ.
- محاضرات في تاريخ العرب، صالح احمد العلي، بغداد ، ١٩٥٥م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – لبنان ،١٤٢٢هـ .
- محمد رسول الله، محمد الصادق عرجون، دار القلم، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لمحمد بن عبدالوهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود.
- المختصر الكبير في سيرة الرسول ﷺ،عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم، ابن جماعة الكناني، الحموي الأصل، الدمشقيّ المولد، ثم المصري، عز الدين (المتوفى: ٧٦٧هـ)،تحقيق: سامي مكي العاني ،دار البشير – عمان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م .
- المدخل لدراسة الشريعة الاسلامية، عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة عشر، ٢٠٠٢م.
- المرأة في العهد النبوي، د. عصمة الدين كركر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الاولى ، ١٩٩٣م.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ،علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)دار الفكر، بيروت – لبنان ،الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

- مرويات غزوة بدر، احمد باوزير، مكتبة طيبة، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- المستدرك على الصحيحين ،أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١ه – ١٩٩٠م.
- المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة، عبدالكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- مستعذب الإخبار بأطيب الأخبار، أبو مدين بن أحمد بن محمد بن عبد القادر بن علي الفاسي (المتوفى: بعد ١١٣٢هـ)،دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- المسلمون والروم في عصر النبوة، عبدالرحمن أحمد سالم، دار الفكر العربي، طبعة ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل ،أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)،تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة ،الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥م.
- مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي، تحقيق : حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث – دمشق، الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ه -

١٩٨٤م.

- مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (المتوفى: ٢٥٥هـ)،تحقيق: نبيل هاشم الغمري ،دار البشائر (بيروت)،الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
- المصباح المضيء في كتاب النبي الأمي ورسله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمى، أبو عبد الله محمد بن علي بن أحمد بن حديدة الأنصاري، تحقيق : محمد عظيم الدين ،عالم الكتب - بيروت ، ١٤٠٥هـ.
- مصنف عبد الرزاق ،أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ،المكتب الإسلامي – بيروت ،الطبعة الثانية ، ١٤٠٣ه.
- المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق : كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد – الرياض ،الطبعة الأولى ، ١٤٠٩ه.
- المطَالبُ العَاليَةُ بِزَوَائِدِ المسَانيد الثّمَانِيَةِ ،أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)،تحقيق: مجموعة من الباحثين في ١٧ رسالة جامعية، تنسيق: د. سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشَّثري، دار العاصمة للنشر والتوزيع - دار الغيث للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.
- معارك خالد بن الوليد، د. ياسين سويد، المؤسسة العربية للدراسة والنشر، الطبعة الرابعة ،١٩٨٩م.
- المعاهدات في الشريعة الإسلامية والقانون الدولي، د.محمد الديك، الطبعة الثانية، دار الفرقان للنشر والتوزيع،١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

- معجم البلدان ،شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)،دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥ م.
- المعجم الأوسط ،أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق : طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني،دار الحرمين - القاهرة ، ١٤١٥ه.
- المعجم الكبير ،سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)،تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الطبعة الثانية ،مكتبة ابن تيمية – القاهرة.
- المغازي ،محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ)،تحقيق: مارسدن جونس، الطبعة الثالثة ، دار الأعلمي – بيروت، ١٤٠٩ه -١٩٨٩م.
- المقتفى من سيرة المصطفى ﷺ،الحسن بن عمر بن الحسن بن حبيب، أبو محمد، بدر الدين الحلبي (المتوفى: ٧٧٩هـ)،تحقيق: د مصطفى محمد حسين الذهبي، دار الحديث - القاهرة – مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، عبد العزيز الدوري، بيروت ، ١٩٦٠م.
- مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول، للأستاذ احمد الشريف.
- ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية، عدنان النحوي، الطبعة الثانية.
- من معين السيرة، صالح أحمد الشامي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية،١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- المنتقى من السنن المسندة، أبو محمد عبد الله بن علي بن الجارود النيسابوري المجاور بمكة (المتوفى: ٣٠٧هـ)،تحقيق: عبد الله عمر البارودي ، مؤسسة الكتاب

الثقافية – بيروت ،الطبعة الأولى، ١٤٠٨ ه- ١٩٨٨م.

- منهاج السنة النبوية، لأبي العباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية مؤسسة قرطبة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ - ١٩٨٦م.
- منهج الأعلام الإسلامي في صلح الحديبية، سليم حجازي، دار المنارة، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير محمد الغضبان، مكتبة المنار الأردن الطبعة الثالثة ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان ،نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، تحقيق : حسين سليم أسد ،دار الثقافة العربية ـ دمشق ، الطبعة الأولى،١٩٩٠م.
- المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)،المكتبة التوفيقية، القاهرة- مصر.
- الموسوعة في سماحة الاسلام ، محمد صادق عرجون، الدار السعودية للنشر والتوزيع ـ جدة ،الطبعة الثانية ، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
- موطأ الإمام مالك ،مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، تحقيق :محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – مصر.
- نصب المجانيق لنسف قصة الغرانيق ،أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)،المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، إعداد مجموعة من المختصين بإشراف صالح بن حميد، دار الوسيلة، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

- نظرات في رسالة التعاليم ، محمد عبدالله الخطيب ،مصر،١٩٥٥م.
- نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ،محمد بن عفيفي الباجوري، المعروف بالشيخ الخضري (المتوفى: ١٣٤٥هـ) ،دار الفيحاء – دمشق، الطبعة الثانية ، ١٤٢٥ هـ.
- نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، رفاعة رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي (المتوفى: ١٢٩٠هـ)،دار الذخائر – القاهرة، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـ.
- الهجرة النبوية المباركة، د. عبدالرحمن البر، دار الكلمة، المنصورة- مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- الهجرة في القرآن الكريم، أحزمي سامعون جزولي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الاولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- الوسيط في السيرة والخلافة الراشدة ، هاشم يحيى الملاح ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ، الطبعة الثانية ، ٢٠١١م.
- اليهود في السنّة المطهرة، د. عبدالله الشقاري، دار طيبة، الرياض، طبعة أولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

محتويات الكتاب	رقم الصفحة
المقدمـــة	١
الفصل التمهيدي احوال العرب الاجتماعية والدينية في شبه الجزيرة العربية قبيل البعثة	٧
الباب الأول النبي محمد في مكة	١٧
الفصل الاول استعراض حياة الرسول منذ الولادة حتى البعثة	١٨
المبحث الثاني المستفاد من حياة الرسول من الميلاد إلى البعثة	٣٢
الفصل الثاني الدعوة الاسلامية في مكة	٤٤
المبحث الأول أحداث العهد المكي	٤٥
المبحث الثاني المستفاد من أحداث العهد المكي	١٣٥
الباب الثاني النبي محمد في المدينة	١٦١
الفصل الاول دعائم دولة الاسلام في المدينة	١٦٢
المبحث الاول بناء المسجد النبوي بالمدينة	١٦٣
المبحث الثاني نظام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار	١٦٦
المبحث الثالث وثيقـــة المدينـــة	١٧٤
الفصل الثاني غـــزوة بـــدر	١٨٤
المبحث الأول أحداث غـــزوة بـــــدر	١٨٥
المبحث الثاني المستفاد من أحداث غزوة بدر	٢١٤
الفصل الثالث غـــزوة أحـــد	٢٢٥
المبحث الأول أحداث غزوة أحـــد	٢٢٦
المبحث الثاني المستفاد من أحداث غزوة احد	٢٥٩
المستفاد من الآيات التي نزلت بشأن غزوة أحد	٢٥٩
الأحكام الفقهية المستفادة من غزوة أحد	٢٥٦
الفصل الرابع غزوة الخندق (الاحزاب)	٢٦٧
المبحث الأول أحداث غزوة الاحزاب	٢٦٨
اسباب غزوة الاحزاب	٢٦٨
نتائج غزوة الاحزاب	٢٨٩
المبحث الثاني المستفاد من أحداث غزوة الاحزاب	٢٩٠
الدروس التي استفاد منها الصحابة في غزوة الاحزاب	٢٩١
الفصل الخامس موقف الرسول من يهود المدينة	٣٠٤
المبحث الاول :غزوة بني قينقاع	٣٠٥
المبحث الثاني: غزوة بني النضير	٣٠٩
المبحث الثالث :غزوة بني قريظة	٣١٣
المبحث الرابع المستفاد من موقف الرسول من يهود المدينة	٣١٦
المستفاد من الآيات التي نزلت بشأن غزوة بني النضير	٣١٧
الفصل السادس صلح الحديبية	٣٢٥
المبحث الاول احداث صلح الحديبية	٣٢٦
المبحث الثاني المستفاد من أحداث صلح الحديبية	٣٤٦
الدلالات والاحكام الفقهية التي حفلت بها غزوة الحديبية	٣٥١
الفصل السابع غزوة خيبر	٣٥٥
المبحث الأول أحداث غزوة خيبر	٣٥٦
المبحث الثاني المستفاد من أحداث غزوة خيبر	٣٧٥
بعض الاحكام الفقهية المتعلقة بغزوة خيبر	٣٧٩
الفصل الثامن دعوة الملوك والامراء	٣٨٣
المبحث الأول مكاتبة الملوك والامراء	٣٨٤
المبحث الثاني المستفاد من رسائل رسول الله الى الملوك والامراء	٣٩٦
نتائج ارسال الكتب الى الملوك والامراء	٣٩٩
الفصل التاسع عمرة القضاء	٤٠١

المبحث الأول عمرة القضاء	٤٠٢
المبحث الثاني المستفاد من عمرة القضاء	٤٠٦
الفصل العاشر غزوة مؤتة	٤١٠
المبحث الأول أحداث غزوة مؤتة	٤١١
المبحث الثاني المستفاد من أحداث غزوة مؤتة	٤٢١
الفصل الحادي عشر غزوة فتح مكة	٤٢٩
المبحث الأول أحداث غزوة فتح مكة	٤٣٠
المبحث الثاني المستفاد من أحداث غزوة فتح مكة	٤٥٤
الاحكام الفقهية المستنبطة من احداث فتح مكة	٤٥٩
الفصل الثاني عشرغزوة حنين وحصار الطائف	٤٦١
المبحث الأول احداث غزوة حنين وحصار الطائف	٤٦٢
المبحث الثاني المستفاد من احداث غزوة حنين وحصار الطائف	٤٧٧
المستفاد من الآيات التي نزلت بشأن غزوة حنين	٤٧٧
الأحكام المستنبطة من غزوة حنين والطائف	٤٨١
الفصل الثالث عشرغزوة تبوك	٤٨٦
المبحث الأول خلاصة غزوة تبوك وأحداثها	٤٨٧
المبحث الثاني المستفاد من احداث غزوة تبوك	٥١١
المستفاد من الآيات التي نزلت بشأن المنافقين في غزوة تبوك	٥٢٢
الفصل الرابع عشر حجة الوداع	٥٢٦
المبحث الأول مختصر وقائع حجة الوداع	٥٢٧
المبحث الثاني المستفاد من حجة الوداع	٥٣٢
المستفاد من خطبة النبي يوم عرفه	٥٣٢
بعض الاحكام الفقهية المستفادة من حجة الوداع	٥٣٧
الفصل الخامس عشر مرض النبي وما قاله وما فعله قبيل وفاته	٥٣٩
المبحث الأول مرض النبي وافعاله حتى وفاته	٥٤٠
المبحث الثاني المستفاد من تأمير اسامة بن زيد ومن اقوال النبي قبل وفاته	٥٥٣
المصادر والمراجع	٥٥٨
محتويات الكتاب	٥٨١